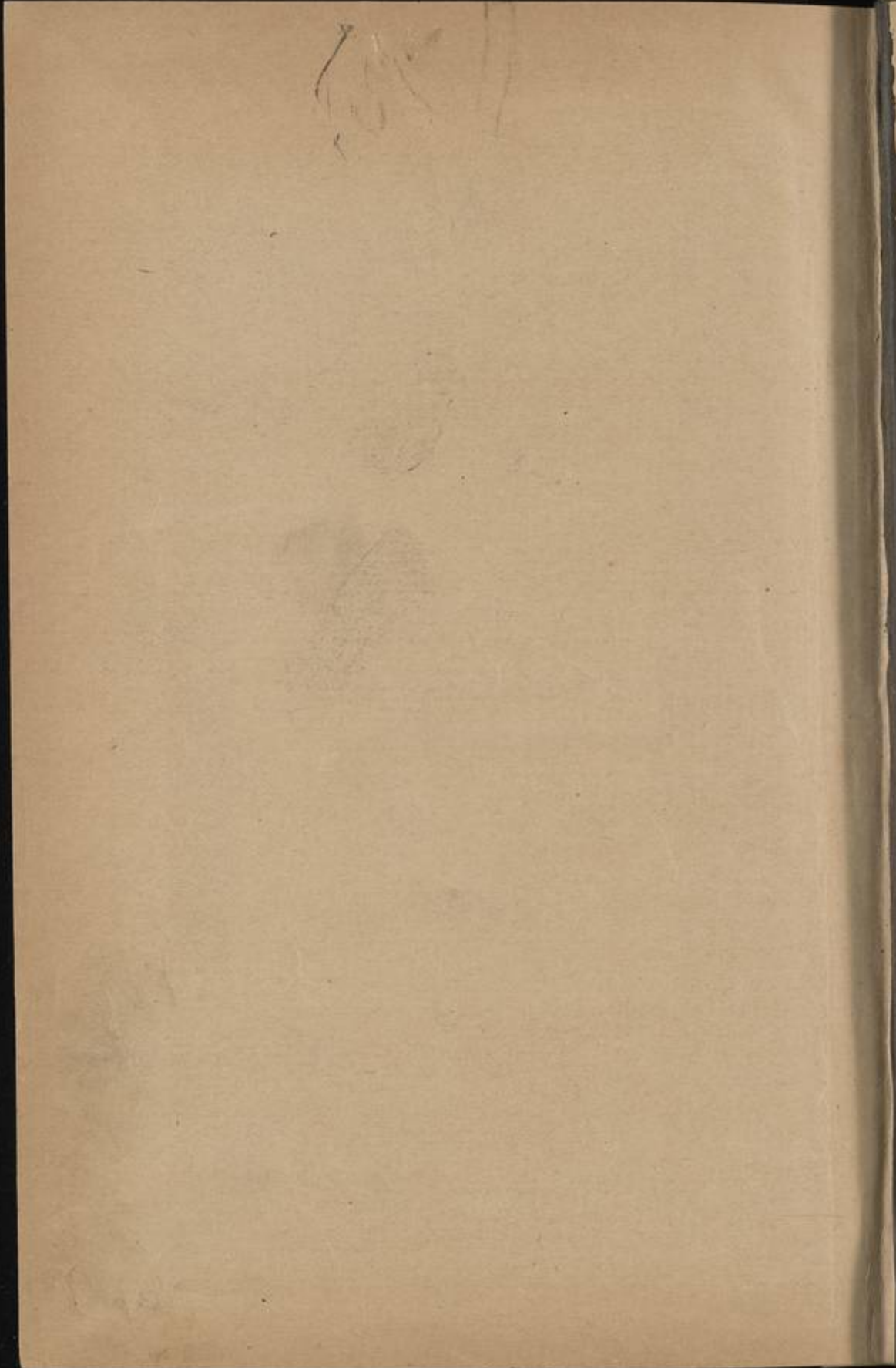
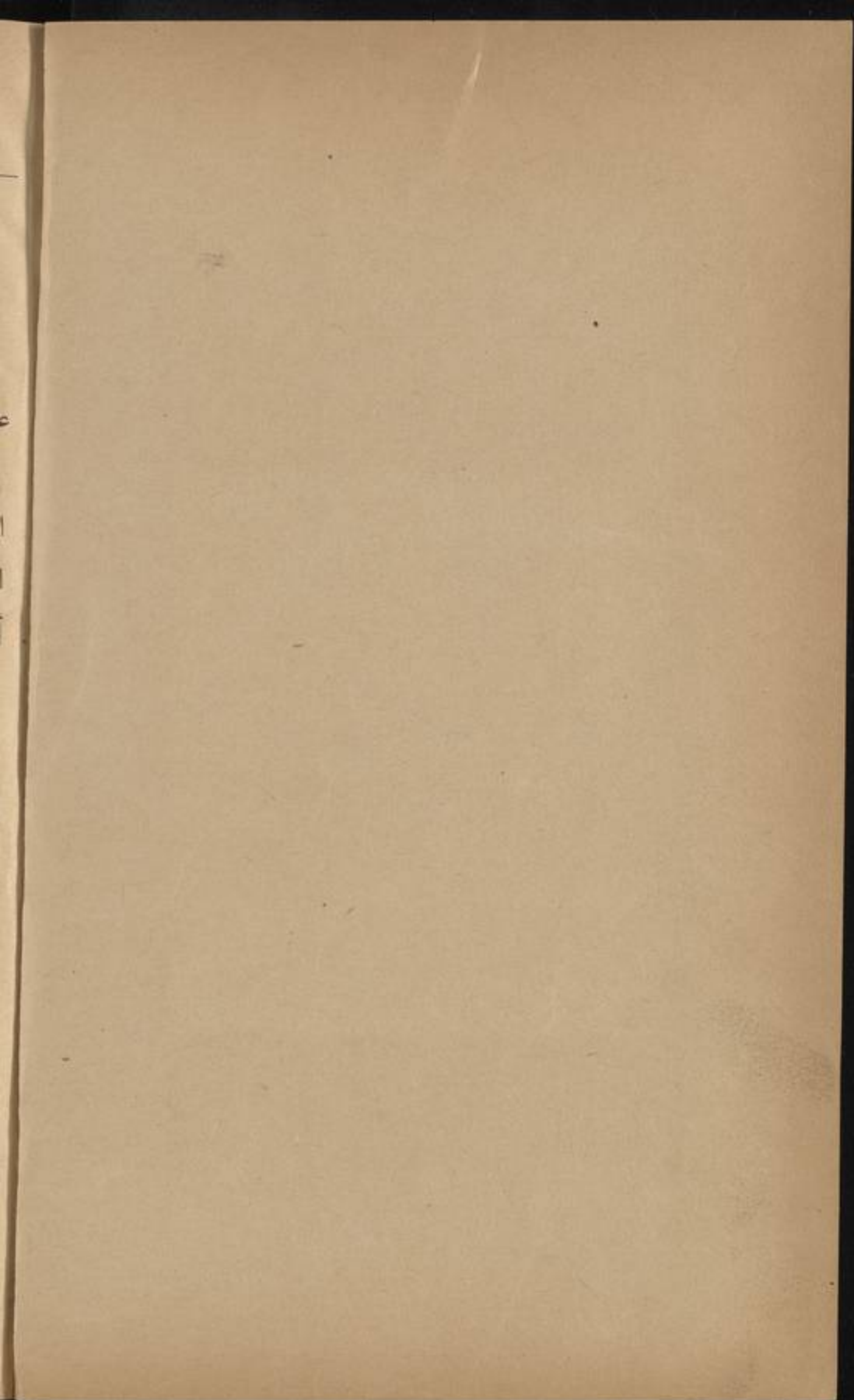


Columbia University  
in the City of New York

THE LIBRARIES







## ترجمة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي

مؤلف هذا الكتاب

جاء في حرف الميم من كتاب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني

عشر ما نصه :

هو محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد  
 النابلسي الحنبلي الشيخ الامام والخبر البحر التحرير الكامل الهمام الاوحد  
 العلامة العالم العامل الفهامة صاحب التأليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة  
 أبو العون شمس الدين ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع  
 عشرة ومائة وألف ( ١١١٤ ) ونشأ بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل الى  
 دمشق لطلب العلم فأخذ بها عن الاستاذ الشيخ عبد الغني بن اسماعيل  
 النابلسي وشيخ الاسلام الشمس محمد بن عبد الرحمن العزي وأبي الفرج  
 عبد الرحمن بن محيي الدين المجلد وابي المجد مصطفى بن مصطفى السواري  
 والشهاب احمد بن علي المنيني وأخذ الفقه عن ابي التقي عبد القادر بن عمر  
 التغلبي وابي الفضائل عواد بن عبيد الله الكوري ومصطفى بن عبد الحق  
 اللبدي وغيرهم وحصل لصاحب الترجمة في طلب العلم ملاحظات ربانية  
 حتى حصل في الزمن اليسير مالم يحصله غيره في الزمن الكثير ورجع  
 الى بلده ثم توطن نابلس واشتهر بالفضل والذكاء ودرس وأفتى وأفاد  
 وألف تأليف عديدة ﴿ فمن ﴾ تأليفه شرح ثلاثيات مسند الامام احمد في  
 مجلد ضخمة وشرح نونية الصرصري سماها معارج الأثوار ، في سيرة  
 النبي المختار ، في مجلدين وتحيير الوفاء ، في سيرة المصطفى ، وغذاء الالباب ، في

شرح منظومة الآداب، والبحور الزاهرة، في علوم الآخرة، وكشف اللثام، في شرح عمدة الأحكام، وتناجج الأفكار، في شرح حديث سيد الاستغفار والجواب المحرر في الكشف عن حال الخضر والاسكندر وعرف الذرنب في شرح السيدة زينب والقول العلي في شرح أرامير المؤمنين علي رضي الله عنه، وشرح منظومة الكبائر الواقعة في الاقناع. ونظم الخصاص الواقعة فيه أيضاً. والدر المنظم في فضل شهر الله المحرم وقرع السياط في قمع اهل اللواط والمنح الغرامية في شرح منظومة ابن فرح الالامية والتحقيق في بطلان التلقيح ولوائح الأفكار السنينة في شرح منظومة الامام الحافظ ابي بكر بن ابي داود الحائفة مجلد وتحفة النساك في فضل السواك والدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية وشرحها المسمى بسواطع الآثار الاثرية بشرح منظومتنا المسماة بالدرة المضية وتناضل العمال بشرح فضائل الأعمال والدرر المصنوعات في الاحاديث الموضوعات ورسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة وكلام عليها. واللمعة في فضائل الجمعة والاجوبة النجدية عن الاسئلة النجدية والاجوبة الوهبية عن الاسئلة الزعمية وشرح على دليل الطالب لم يكمل وتعزية اللبيب بأحب حبيب وغير ذلك واما الفتاوى التي كتب عليها الكراس والأقوال والاكثر فكثيرة ولو جمعت لبلغت مجلدات (وله) رحمه الله تعالى من الاشعار في المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات شيء كثير وباجملة فقد كان غرة عصره وشامة مصره لم يظهر في بلدة بعده مثله وكان يدعى للملمات وية مدتفريح المهمات ذا رأي صائب وفهم ثاقب جسور على ردع الظلمين وزجر المقترين اذا رأى منكراً أخذته رعدة

وعلا صوته من شدة الحدة وإذا سكن غيظه وبرد قيظه يقطر رقة  
ولطافة وحلاوة وظرافة وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع  
الملوك والأمراء والعلماء والأدباء وما وقع في الأزمان السالفة وكان يحفظ  
من أشعار العرب العرباء والمولدين شيئاً كثيراً وله شعر لطيف منه قوله

من لي بان أنظر الى خشف بليل معتكر

وأضمه من غير شف كالضمير المستتر

وقوله

الصبر عيل من القلا والنفس امست في بلا

والجفن جف من البكاء والقلب في الشجو علا

وشكا اللسان فقل في شكواه لا حول ولا

وقوله

أحبة قلبي تزعموا ان حبكم صحيح فان كنتم كما تزعموا زوروا

واحيوا فتى فتى الغرام فـؤاده والا فدعوى حبكم كلها زور

وله غير ذلك من الاشعار والنظام والنتار مما هو مشهور في أيدي

الناس وكانت وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين ومائة وألف بنا بلس ودفن

بترتها الشمالية رحمه الله تعالى آمين انتهى بحروفه من تاريخ سلك الدرر

في أعيان القرن الثاني عشر في حرف الميم جزاء الله خيراً آمين . . .

وفي كتاب السحب الوايلة ، على ضرائح الحنابلة ، بخط الشيخ محمد

ابن حميد مفتي الحنابلة سابقاً بمكة المشرفة مؤلف طبقات الحنابلة المذكورة :

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني أبو العون شمس الدين العلامة

القهامة المسند الحافظ المتقن نقلت من خط شيخ مشايخي الشيخ محمد بن  
 سلام ما نصه (ولد) سنة ١١١٤ بقرية سفارين فقرأ القرآن صغيراً وحفظه  
 وأتقنه ثم قدم دمشق فقرأ العلم في الجامع الاموي على مشايخ فضلاء  
 وأئمة نبلاء ما بين مكيين ومدنيين وشاميين ومصريين ذكرهم في أجازته  
 الكبرى للسيد محمد مرتضى فمنهم في الحديث والفقه والفرائض  
 والأصولين العلامة خاتمة المحققين شيخ المذهب في عصره ومصره الشيخ  
 عبد القادر التغلبي والشيخ مصطفى بن الشيخ عبد الحق اللبدي والشيخ  
 عواد بن عبيد الكوري والشيخ طه بن أحمد اللبدي والشيخ مصطفى  
 ابن الشيخ يوسف الكرمي والشيخ عبد الرحيم الكرمي والمعلم السيد هاشم  
 ثم الحنبليون وفي أنواع الفنون العلامة القهامة الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب  
 البديعيات المشهورة والتأليف الجليلة والعلامة الشيخ أحمد المنيني وشيخ  
 الطريقة السيد مصطفى البكري والعلامة حامد افندي مفتي الشام والحافظ  
 محمد حياة السندي ثم المدني والمعلم الشيخ عبد الرحمن المجلد الحنفي والملا  
 إيلياس الكردي والعلامة اسماعيل جراح العجلوني والعلامة الشيخ أحمد  
 المغربي مفتي الشافعية وقريبه الشيخ محمد المغربي الذي تولى الافتاء بعده  
 والشيخ عبد الله البصراوي والشيخ سلطان المحاسني خطيب الجامع  
 الأموي وغيرهم وأجازوه باجازات مطولة ومختصرة وبرع في فنون  
 العلم وجمع بين الامامة والفقه والديانة والصيانة وفنون العلم والصدق  
 وحسن السمث والخلق والتعبس وطول الصمت مما لا يعني وكان محمود  
 السيرة نافذ الكلمة رفيع المنزلة عند الخاص والعام سخى النفس كريماً بما  
 يملك مهياً معظماً عليه أنوار العلم بادية وصنف تصانيف جليلة في كل



فن فيها العقيدة الفريدة وشرحها الحافل العظيم الفوائد الجمة العوائد مجلد  
 ضخمة . شرح فضائل الاعمال للاضياء المقدسي . نقشات الصدر المكمد  
 بشرح ثلاثيات المسند وعددها ٣٦٣ مجلدان . شرح عمدة الاحكام مجلدان .  
 شرح نونية الصرصري في السيرة مجلدان . الملح الغرامية شرح منظومة  
 ابن فرج اللامية . شرح الدليل في الفقه وصل فيه الى الحدود . البحور  
 الزاخرة في علوم الآخرة مجلدان أودع فيه من غرائب الفوائد . تحبير الوفا  
 في سيرة المصطفى . غذاء الالباب في شرح منظومة الآداب مجلدان .  
 أودع فيه من غرائب الفوائد مالا يوجد في كتاب . دراري الذخائر  
 شرح منظومة الكبائر . قرع السياط في قم أهل اللواط . الجواب المحرر  
 في كشف حال الخضر والاسكندر . تحفة النسك في فضل السواك .  
 التحقيق في بطلان التلقيح رد بها جواز التلقيح في العبادات وغيرها  
 للشيخ مرعي . الدر المشور في فضل يوم عاشوراء المأثور . اللمعة في فضل  
 يوم الجمعة . القول العلي شرح أثر سيدنا الامام علي . نتائج الافكار شرح  
 حديث سيد الاستغفار . أودع فيه غرائب نحو سبع كراريس . رسالة في  
 بيان كفر تارك الصلاة . رسالة في ذم الوسواس . رسالة في شرح حديث  
 الايمان بضع وسبعون شعبة . رسالة في فضل الفقير الصابر . منتخب الزهد  
 للامام أحمد حذف منه المكرر والاسانيد . تفرقة اللبيب قصيدة في  
 الخصاص النبوية وغير ذلك من التحريرات والفتاوي الحديثة والفقهية  
 والاجوبة على المسائل العديدة والتراجم لبعض أصحاب المذهب وبالجملة  
 فتأليفه نافعة مفيدة مقبولة سارت بها الركبان وانتشرت في البلدان  
 كأنه كان اماماً متقناً جليل القدر وظهرت له كرامات عظيمة وكان حسن

التقرير والتحريرات لطيف الاشارة. بليغ العبارة. حسن الجمع والتأليف. لطيف الترتيب والترصيف. زينه أهل عصره. ونقاوة أهل مصره. صواماً قواماً ورده كل ليلة ستون ركعة وكان متين الديانة لا تأخذه في الله لومة لائم محبا للسلف وآثارهم بحيث انه اذا ذكرهم أو ذكروا عنده لم يملك عينيه من البكاء وتخرج به واتفع خاق كثير من النجديين والشاميين وغيرهم وكانت وفاته سنة ١١٨٨ أو سنة ١١٨٩ انتهى

قال في سلك الدرر توفي بنابلس ودفن بتربتها الشمالية ثم قال وبالجملة فقد كان غرة عصره وشامة مصره لم يظهر بعده مثله في بلاده الخ ما تقدم وذكره تلميذه الكمال محمد العامري الغربي في كتابه الورد الانسي بترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي قال وقد ترجمته في معجمي المسمى بأتحاف ذوي الرسوخ وفي طبقات الخنابلة المسمى بالنعمة الاكمل في تراجم أصحاب الامام أحمد بن حنبل ترجمته طويلة قلت أخبرني بعض العلماء الصالحاء النابلسيين أنه لما أراد الرحلة الى دمشق أتى به والده الى الشيخ زيد المشهور في بلاد نابلس المنتسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني يدعوه له وكان معتقداً في تلك الجهات فلما أخبراه بمطلبهما دعا له وأوصاه وقال له اذا وصلت دمشق تجد في الجامع الاموي على يمينك من الباب الفلاني شخصاً صفته كيت وكيت فبلغه مني السلام وقل له يقول لك أخوك زيد ادع لي فحين وصل رأى الشخص وعرفه بالصفة وقال له ماوصاه به الشيخ فقال الشخص: زيد لاحقني بتوصياته في كل بلد أجيها: ودعاه كثيراً وبشره بالفتوح العظيم. ومما ذكره المترجم في اجازته للسيد محمد مرتضى أن شيخه الشيخ سلطان الحاماني وشي إليه

بعض الوشاة بأني سئلت من أفضل الشيخ المحاسني أو الشيخ المنيني فزعم  
 الواشي أنني فضلت الشيخ المنيني عليه فكتب لي بهذه الايات  
 لا تزدرى العلماء بالاشعار      وتحط قدرا من أولي المقدار  
 أنظن سفارين تخرج عالما      ينشي القريض بدقة الانظار  
 هلا أخذت على الشيوخ تأدبا      كي ترتقي درج العلا بفخار  
 واللين منك لاح في مرءاته      لازت تكشف مشكل الاخبار

فأجبتة بقولي

قل للامام مهذب الاشعار      منشي القريض ومسند الاخبار  
 تفديك نفسي يا أديب زماننا      ياذا الحجا يا عالي المقدار  
 من قال عني يا همام بأني      أزري بأهل الفضل والآثار  
 عجب لمن أضحي فريدا في الوري      يصغى لقول مفند مكار  
 مقصوده وشي الحديث ووضعه      فقبلته من غير ما انكار  
 وغدوت مفتخرا على صب اذا      جن الظلام بكى من الاكدار  
 ورشقتة بسهام نظم مزدر      للناس بالتحقير والاصغار  
 هب أن سفارين لم تخرج فتى      ذا فطنة بنتائج الافكار  
 أيباح عجب المرء يا مولاي في      شرع النبي المصطفى المختار  
 لازت في أوج المكارم راقيا      تنشي القريض بهيبة ووقار  
 ما حرك الشوق التليد صبابة      صدح الحمام ونعمة الهزار

فجاء واعتذر وظن أنني لم أقبل عذره فجاء يوما بانه وقال له قم  
 قبل يد عمك يسمح لايبك عما بدر منه فقات أنا أرجو منك السماح  
 فقال سبحانه الله قد استجزت علماء الشام وأهملتني مع مزيد الصحبة

فطلبت منه اجازة فاحتفل في اجازة مطولة فاخرتمته المنية قبل وصولها  
الينا رحمه الله تعالى ورضي عنه

## تقرير الكتاب

قال الشيخ محمد بن احمد بن ناجم المشهور بالقصبي مادحاً لهذا  
الشرح المسمى بلوامع الانوار البهية للامام المحقق الشيخ محمد بن أحمد  
السناري الأري الحنبلي ما نصه قال

يامن يريد سلوك نهج المصطفى	ومن اقتفاه من الطراز الاول
ان كنت تطلب للسلافة منهجاً	وتكون لست من العواة الضلل
كن في أمورك كلها مستمسكا	بالوحي لا بزخارف المتقول
وصن اعتقادك واعتمد ما قد حوى	هذا الكتاب وعنه لا تحول
فبه يزول الشك عن سبل الهدى	وهو الشفاء لكل داء معضل
من يعتقد مسلماً لنصوصه	من غير تحريف وغير تأول
فقد اهتدى سبل السلام حقيقة	ويفوز في عقباه بالفخر الجلي
قد فاق كل مصنف في فنه	فنظيره ابداً اذا لم يحصل
أضحت مناهلة لنا لما صفت	أحلا وأعذب من رحيق السلسل
فلك يدور وقطبه ما جاء من	رب السماء الى النبي المرسل
من لا يدين بما عليه قد انطوى	اضحي عن الحق المبين بمعزل

## فهرس الجزء الاول من شرح عقيدة السفارني

صفحة		صفحة	
٣١	اسم الله الاءم	٥	حرف الالف
١٠١	الاسم والمسمى	١٧٨	الآخرة (مخالفتها) للدنيا
٢١٥ و ٩٩	أسماءه تعالى	٤٥	الآل
١٠٨-١٠٥	الاسماء الحسنی	١٥٤	آيات الانبياء
٩٩ و ٣٥	الاسماء والصفات توقيفية	٢٨٤	إبليس - حكمة خلقه
٢٧٥	الاشعري - ترجمته	١٠٣	ابن كلاب
٢٦٩	» - كسبه والجمهور	٣٧٥	أبو الفرج الشيرازي
٢٤١	الاشعرية والحسن والقبح	٣٠٩	الائم والعدوان
٢٦٢	» والكسب	٢٩٣	الأجل
٢٧٣	» والمصلحة	١٧٧	إحاطة العلم بالله محال
١٩٧	الاصاح - صفة لله	٥٠	أحكام العقل الثلاثة
٠٠٧	أصحاب الرأي والاهرية	٢٣٤	الاختيار لا لملق والعدة
٢٨٠	الاعتداء بالاعاصي قسمان	٢٦٥	إرادة العبد وفعله
٢٣٠	أفعاله تعالى	١٢٣	الارادة والعلم
١٠٣	أقسام ما يخبر به عنه تعالى	٢٨٢	الارادة والمشيشة الخ
١٠٢٦	الاله - الله	٥٦٢	الارجاء
١٠٥٣	الامام أحمد ترجمته	٢٣٢	ارسطو وقدم العالم
٢٦٥	إمام الحرمين والكسب	٢٦٤	الاسباب وتأثيرها
١٧٠ و ٩٨	أهل التأويل	٢١٥	أسباب الشر
٠٩٨	أهل التجهيل	٣٧٩-٣٧٣	الاستثناء في الايمان والاسلام
٠٩٧	» التخييل (المتفلسفة)	٣٢٨	الاستحلال وورد المظالم
٠٦٣	» السنة - فرقهم	٣٢٩	الاستغفار
٠٠٧	» الظاهر	١٥٩	الاستواء على العرش
٢٩٩	الاولياء - البشرى لهم	٣٦٨	الاسلام
٣٧١ و ٣٠٨	أول خلاف في الاسلام	٣٤ و ٧٣	الاسماعيلية
٠١	» خليفة ترجمت له الكتب		



صفحة		صفحة	
١١١	الحياة الالهية	٢٥٢	حرف الجيم
	- حرف الخاء -		الحياني
١٧ و ١٥	خبر الآحاد والمستفيض	٢٧٥	» - مناظرته للأشعري
٠١١	الخبر - تسيمة الى صدق وكذب	٢٥٧ و ٧٩	الجبرية
	» - أنواع الصادق منه والكاذب	٣٢١	الجزء على مثال الذرة
٠١٢	والمحتمل	٠٢٠	الجعد بن درهم
٠١٣	» المتواتر والآحادي	٠٢٠	الجهم بن صفوان
٠٦٥ و ٨	الخلاف والتفرق في المسلمين	١٦٤ و ٣٥٩ و ٣٤٧ و ٢٠٥	الجمعية ٢١ و ٢٠٥
١١٣	الخلف - مذاهمم في الكلام	٢٥١ و	
٢٠٩	خلق الله للأشياء	١٥٨	الجوهر والعرض والجسم
٢٤٤	» الافعال والكسب		حرف الخاء
٠٠٨	» القرآن والفتنة	٢٩٩	جبه تعالى
٣٣٢ و ٣١٣	خلو دمر تكب الكبيرة في النار	١٩٩	الحجر الاسود يمين الله
٠٦٢	الحوارج	٢٣١	حدوث العالم
٣٥٩ و ٧٥	» وفرقهم	٠٨١ و ٦٥	حديث سفترق أمتي
٢٠١	الحوارج - ضلال الناس فيها والدجال	١١٨ و ١١٤	الحروف والاصوات لكلام الله
٢٨٥	الحير والشر	٢٣٨	الحسن والقبح
	حرف الدال والذال	٣٤٤	حسن العيلبوني
٣٣٤	الدروز	٣٣٦	الحشر الجسماني
٠٤١	الدعاء	٢٦٢	الحقيقة والشريعة
٣٣٨	دعاة البدعة وحكمهم	٠١٦	حكم ما تلقته الأمة بالقبول
٠٧٣	الدعوة - مراتبها عند الباطنية	٢٣٦	الحكمة في الخلق
٠٣٧	الدلالة	٢٤٢	الحكمة والنظام ( وجوبهما )
٠٣٧	الدليل على وجوده تعالى	٠٣٩	الحكيم والحكمة الالهية
٢٢٧	» - التعبير عنه	٢٧٧	الحكمة ومراعاة الاصلح
٢١٥	ديمقراطيس	٠٣٣	الحمد والشكر
٣٧٢	الدين ٢ طبقات	١١٧ و ٩١	الحنابلة - مذهبهم

صفحة		صفحة	
١٩٥	الشمال - اضافتها الى الله	١٨٠	الذات والصفات
٠٧٠	الشيعة وفرقهم	٣٠٧	الذنوب ومتعلقاتها
	﴿ حرف الصاد ﴾		﴿ حرف الراء والزاي ﴾
٢١٠ و ٢١٠	الصائبة	٠٠٦	الرأي في الدين
٠٤٦	الصحابة ومراتبهم ٤٥ عددهم	٣١٣	الرجاء للعاصي
٣١٠	الصغائر وما به تكون كباثر	٠٢٨	الرحمن ارحيم
٢٧١	الصلاح والأصلح	١٨٣	رحمة الله وغضبه
٠٤٠	الصلاة على النبي	٠٤١	الرحمة
٠٤٧	» » غير الانبياء	٣١٢	الردة أو كفر المذنب
٢١٠	الصدق - تفسيره	٢٨٧	الرزق عند المتكلمين
١٠٤ و ٣٤	الصفات السلبية	٠٤٣	الرسول
١٢٤ و ١٠٩ و ٨٤	» - انبائها	٣٠٣	الرضا بالله ومن الله
٢٢٠ و ٢١٥ و ١٨٥ و ١٧٩ و ١٥٧	» - أقسامها	٣٠٦	» بالقضاء وبحكم الله ورسوله
١٠٤	» - توحيدها	٨١ و ٣٣٣	الزنادقة
١٠٩	» - السبع النبوتية		﴿ حرف السين ﴾
١١٠	» - تعلقها	٣٣٩	سب الله أو أنبيائه
١٣	صفة العلو لا تستلزم الجهة	٠٣٤	السبب
١٧١	الصوفية	٠٤٢	السلام والتسليم
٢٦١	﴿ حرف الطاء والطاء ﴾	٨٢ و ٦٤ و ٢٢ و ١٨	السلف ومذهبهم
٠١٠	الطب	٩٧ و ١١٦ و ١٨٢ و ٢٠٥ و ٢١٦ و ٢٦٢	و ٢٦٥ و ٢٦٣ و ٢٩٢ و ٣٤٧
٢٦٥	الطبائع - تأثيرها	١٢٢	السمع والبصر
٩٧٣	الطوائف المخالفة للسلف	٢٥١	سيسمويه او سوسن القدري
٢٤٢	الظلم عمال عليه تعالى		﴿ حرف الشين ﴾
٣٣٠	» في الغرض وغيره	٢٢٧	شرح الصدر للاسلام
	﴿ حرف العين والعين ﴾	٢٨٤	القتل - أسبابه وكونه لا يستند الى الله
٢٩٧	عبادة الله - وجوبها		



صفحة		صفحة	
٣٠٨	الفسق	٢٩٩	العبادة حق العبادة
٢٩٢ و ٢٧٣ و ٢٥٤ و ٦٢ و ٣٥	القدر	٢٣٧	العبث والسدى في الخلق - تقيہ
١٢٧	قدرة الله تعالى	٢٨٣	عبد الجبار القاضي
٢٥٦ و ٢٤٩	القدرية	٢٧٥	عنه بن مرزوق
٢٣٢	قدم ا عالم	٣١١	العصيان
١٦٤	القرامطة	٣١٩	المقاب على الذنب كفاية له
٠١٤	القرآن - تواتره	٢٠٧ و ٨٥	المقول - عدم استقلالها بالالهيات
١٣٨	» - كونه كلام الله	٠١٩	علماء السنة - أشهرهم
١٤٧	» - اعجازه	٠٢٦	علم الله ودليله
٠٣٤	القديم والا زلي	٠٩١	» الكلام - ذم السلف له
٣٠١ و ٢٨٩	القضاء والقدر	» »	» - تعريفه وموضوعه ٦١ و ٤
٣٠٥	» والمقضي	» »	» - أول من صنف فيه ٠١٠
	﴿ حرف الكاف ﴾	٢٣٩ و ٢٣٤ و ٢١٥	العلية في الخلق
٣٠٩	الكبائر	٢٣٥	» - أنواعها
٣٢٠	» - كفارتها	١٦٥	علو الله تعالى
٣٥٢	» والخلود بالنار	٠٠٣	العلوم الدينية - اقتسامها
٠٠٨	كتب اليونان - ترجمتها	٠١١	عمرو بن عبيد المعتزلي
٠١٩	» علماء السنة	٣٦٥ و ٣٤٨	العمل من الايمان
٣٥٩ و ٣٤٧	الكرامية	٢٢٦	العوام زمن البعثة
٢٦٢ و ٢٤٤	كسب العباد	٢٢٨	» - ايمانهم
٣٧٥ و ١١٣	الكلاية	١٩٩	العين من صفات الله
١١٢	الكلام الالهي	٢١٧	الغزالي - ترجيحه مذهب السلف
٠٣٧	الكليات الطبيعية	٣٠٠	غنى الله عن عباده
	﴿ حرف الميم ﴾	٢٥١	غيلان القدري
٠٠٧	المامون ودعوته الى البدعة		﴿ حرف الناء والقاف ﴾
٣٦١	الماهيات	٣١١	الفحشاء والمنكر
		٠٤١	الفرق بين الصلاة والدعاء

صفحة		صفحة	
٣٢٢	الموازنة بين الحسنات والسيئات	١٩٨ و ٩٠ و ٨٢	المتشابهات
٣٧٦	الموافاة في الايمان	١٦٤ و ٩٧	المتفلسفة
٣١٠	المواقات	١٨٤	محبة الله تعالى
٢٨٩	الموت والقتل بالأجل	٢٢٠	المذاهب في الصفات
٣٣٠	الميت غير التائب	٣٦٧ و ٣٦٤ و ٧٨	المرجئة
	حرف النون	٢٠٥ و ٢١	المريسية
٠٤٢	النبي	٢١٨	المستحيل في حقه تعالى
٠١٠	النجوم - علمها	٠٨٠	المنشئة
٢٠٢	نزول الرب الى سماء الدنيا	٣٠٥	المنشئة والمحبة
٢٢٨	النظر والاستدلال	٣٢٢	مضاعفة الحسنات
٣٣١	نعمة الاسلام ونعم الدنيا	٢٥١	معبد الجهني القدري
٣٧١ و ٣٣٥	النفاق	٢٨٢ و ٢٧١ و ٢٣٨ و ٦٦ و ١٠	المعتزلة
٢١٥	النفس عند الفلاسفة	٣٤٧ و ٢٨٨	
	( حرف الهاء والواو والياء )	١٥٤	المعجزات والزمان
٢٧٧	الهداية - أنواعها	٠٢٥	معرفة الله
٠٤٣	الهدى	٢٣٣	المعلم الثاني والثالث
٢١٥	الهيولى	٣٢١	المقاصاة بالأعمال
٠١٠	واصل بن عطاء الغزالي	٣٠٤	المقامات والأحوال
١٨٧	وجهه تعالى	٣٨٢	الملائكة الخافون السكاتبون
٠٣٧	الوجود - كليته ووحدته	٣٣٩	الملاحظة
٣٦١	» الذهني والارجي	٠٨٣	المعائلة والمشاهدة
٣٣٠	اليأس - امتناعه	٢٨٣	مناظرة عبد الجبار لاسحاق
١	يحيى بن خالد - تعريبه كتب الفرس ٨ و ١	٢٩٠	» موسى لآدم
١٩٠	يد الله تعالى	٣٣٥	المنافقون
		٠١٠	النصور - ترجمته الكتب السريانية
		٠١٠	المنطق

## فهرس الجزء الثاني من شرح عقيدة السفاريني

صفحة		صفحة	
٤٠١	الامام الاعظم ( الحليفة )	٣٨	آدم - أخذ ذريته من ظهره
٤٣٩	» أحمد	٤٠	» - خلقه
٤٠٠	الامامة ومتعلقاتها	٥٠	» - والأرواح عن يمينه وشماله
٤٠٧	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٢٠	اخرا البلاد خراباً
٢٦٤ و ٢٦٠	أمة محمد - فضلها	٤٣٧	الائمة الاربعة - فضلهم
٢٦١	» - نسبتها الى غيرها	٤٤٢	» - تقليدهم
٢٥١	الانبياء وعددهم	٢١٧	الابرار أهل الجنة
٢٨٢	» - التفاضل بينهم	٧٥	الأبقع والأصهب
٢٩٠	» - ما يجب لهم	٣	ابن حزم - رأيه في عذاب القبر ٢ و ٣
٢٨٠	انشقاق القمر	٤٤	» - » - » مستقر الارواح
٣٥٠	أهل أحد	١٠٢	» صياد والدجال
٣٤٦	» بدر	٣٣٣	» ملجم - قتله عليا
٤٠٣	» الحل والعقد	٤٥ و ٢٢	أبو بكر الباقلاني - رأيه في الروح
٣٥٢ و ٣٥٠	» الشجرة	٢٩٨	» - » - » الصديق - ترجمته
٢٩٨	أول من أسلم	٤٣٩	» حنيفة
١٥٩	» من بيعت	٣٤٤	» عبدة
٢٦١	» - » يدخل الجنة	٢٣٣	أحاديث الرؤية
١٦٧	» - » يحاسب	٤١٧	الأدلة ومدارك العلوم
١٦٧	» - » ما عليه	٥١	الارواح - درجاتها في البرزخ
٢٨٦	أولو العزم	٥٨	» - تعارفها
٣٧٢	أويس القرني	٢٦٨	الاسراء
٢٥١	الايان بللائكة والانبياء	٢٥٩	أشعيا - بشارته نبينا
	حرف الباء	٣٤	الاضافة على الآله والرب
١٤٨	بئر برهوت	٧٦	الاعرج الكندي
٢٠	البدن في الاخرة تبع الروح	١٣٥	مارات الساعة - ترتيبها
٤٣ و ٢٣ و ٣	البرزخ		

صفحة		صفحة	
٠٩٨	الجدل والمرآة	٤١٨	البرهان
٤٢٦	الجزء الذي لا يتجزأ	٣٨٣	البشر - تفضيلهم على الملائكة
١٠٥ و ٤٢	الجساسة	١٨٠	البطاقة والسجلات
٢١١	الجن	١٥٠	البعث والمعاد
١٥٧	الجنة - عدم فناء من فيها	١٥٨	» - كفيته
٢١٦	» -		- حرف التاء -
٢٢١	» والتار موجودتان	٣٧٢	التابون - فضلهم
٢٢٧	» - مكانهما	٤٢٥	التصور والتصديق
١٢١	الجهجاه	٢١٧	تفسير وجعلوا بينه وبين الجنة
٤٢٦	الجوهر	٢٢٣	» الا ماشاء ربك
	- حرف الحاء -	٢٣٦	» لا تدركه الابصار
٢٣٤	الحجاب عن الرب	٢٧٣	» فكان قاب قوسين
٤١٩	الحد المنطقي	٢٤٦	» ومنهم من عاهد الله
٣٥٢	الحديبية	٣٩٢	تفضيل الاشياء - وجوهه
١٦٤	الحساب	٤٣٣	التقليد - براءة المصنف منه
١٧٠	» من لا يحاسب	٤٤٤	» في الفروع
٤١٨	الحس - دلالته	٤٤٦	» - شروطه
٤٢٣	» - إنكاره	٤٣٦	التقوى - حقيقتها
١٥١ و ١٤٧	الحشر	١٠٤	تيم الداري
٠١١	الحكمة - تفسيرها بالسنة	٠٤٧	التناسخ
١٧٧	الحوض	١٢٩	التوبة - الى متى تقبل
	- حرف الخاء -	٤٣٠	التوفيق
٤١٨	الخبر الصحيح		حرف الثاء والجيم
٢٥٨	ختم النبوة بمآتمها	٣٤٩	ثعلبة البدرى
٣٥٧	خديجة - فضلها		» المناق
٤٣٠	الخذلان	١٤١	جابر الجعفي
١٤٣	خروج النار من عدن	٠٥٨	الجب بلا سبب ظاهر

صفحة		صفحة	
٠٢٦	» - حقيقتها	٤٢٩	الخلافان
٠٣٤	» لا تقنى	٣١٢	خلافة الشيخين
٤٠ و ٣٧	» متى خلقت	٣٣٦	الحلفاء الراشدون
٠٤٣	» في البرزخ	٢٢٥	الخلود في النار فيه ٧ أقوال
٥١ و ٤٣	» - مستقرها بعد الموت	٣٢٩	الخوارج على علي
٤٧ و ٤٥ و ٢٢	» - القول بأنها عرض	٣٧٥	الخوارق - أنواعها
١٤٥	الريح التي تقبض المؤمنين		﴿ حرف الدال والذال ﴾
٣٤٢	الزير	١٣٧	الدابة والساعة
١٤٦	الربا على الطريق قبل الساعة	٠٨٢	الدجال وما يتعلق به
	- ﴿ حرف السين ﴾ -	٠٩٩	» - النجاة منه
٠٦٢	الساعة - قربها	٠٢٣	الدخان من علامات الساعة
٠٦٣	» - اشراطها الماضية	١٧٠	دخول الجنة بلا حساب
٠٦٤	» - المتوسطة	٤٣٤	الدهر - سبه
٠٦٦	» - الكبرى التي تليها	١١٦	ذو السويقتين
١١٢	سد ذي القرنين		﴿ حرف الراء والزاي ﴾
٢٧٤	سدره المنتهى	٤٤٥	الرخص في المذاهب
٣٤٢	سعد بن أبي وقاص	٢٤٨	الرسالة ضرورية للبشر
٣٤٣	سعيد بن زيد	٢٨٨	» والتبوة - التفاضل فيهما
٣٧٢	» المسيب	٠٦١	الرسل - أصول دعوتهم
٧٨ و ٧٥	السفياني	٢٤٥	» - الحاجة اليهم
٠٠٤	سؤال القبر	٤٢٢	الرمم المنطقي
١٦٨	السؤال في الحساب	٠٨١	رضوى - الجبل
١٦٩	» ما يعنى عنه فيه	٠٥٧	الرؤيا - أنواعها
٤٢٤	السوفسطائية	٠٣٢	روح عيسى وأدم
٠٦٠	السيد - اطلاقه واستعماله	٠٣٣	» الله
	- ﴿ حرف الشين ﴾ -	٠٢٢	الروح والحياة
٣٥٠	شجرة الرضوان - قطعها	٠٢٥	» - تعلقها بالبدن

صفحة		صفحة	
٤٢٧	العرض والجسم	٤٤٠	الشافعي
٣٤٥ و ٣٤١	العشرة المبشرون بالجنة	٤٢١	الشرط - تعريفه
٢٩١	العصمة	١٢١ و ٧٦	شعيب التميمي
٤١٧	العقل - تعريفه	١٢٧	الشمس - طلوعها من مغربها
٤٢٥	العلم الضروري والكسبي	١٩٦	الشفاعة
٣٢٠	علي - ترجمته	٢١١	الشياطين
٣٣١	» - خلافته		( حرف الصاد والضاد والطاء )
٢٣٨	» - وضعه النحو وروايته	٣٦٠ و ٣٥٥ و ٢٩٧	الصحابة
٣٤٠	» - تفضيله على عثمان	٣٦٩	» - تخصمهم
٣٠٤	عمر الفاروق - ترجمته	١٧٣	صحف الأعمال
٣٢٨	عمار بن ياسر - قتله	٢٩٤	الصدق والأمانة للانبياء
٤٢٤	العندية والعنادية	١٨١	الصراط
	﴿ حرف الغين والفاء ﴾	٠٣٥	الصق والحور والملائكة
٤٢٨	الغيران	٣٢٧	صفين
٣٥٨	فاطمة - فضلها	١٥٤	الصور
٠٠٢	قتنة القبر	٤٢٨	الضدان
٣٢٥	القتنة بين علي ومعاوية	٣٤١	طلحة
١٦٤	الفقراء - دخولهم الجنة قبل الاغنياء		﴿ حرف العين ﴾
٢٦٤	الفهم واليقين والتسليم	٣٢٦	عائشة ووقعة الجمل
٤٢١	»	٣٥٦	» - فضلها
	﴿ حرف القاف ﴾	٤١٣	العاصي ينهى عن معصيته
٠٠٣	القبور	٠٢١	عالم القيب
١٢١ و ٧٥	القحطاني	٣٤٤	عبد الرحمن بن عوف
١٢٦	القرآن - رفعه	٣١٤	عثمان - ترجمته
٢٦٨	»	٣٢٦	» - قتله
٠٩١	قريش والملك	١٥٩	عجب الذنب
١٦٥	القصاص في الحساب	٠١١	عذاب القبر

صفحة		صفحة	
٤١٠	المعروف - عدالة الأمر به	٠٢٩	القوى أرواح
٣٩١	المفاضلة بين المعلومات	١٤٥	قيام الساعة على الشرار
٢٦٦	المقام المحمود	١٦٢	القيامة قيامتان
١٢١	المقعد التيممي		﴿ حرف الكاف واللام ﴾
١٥٧	الملائكة - موتهم	٠١١	الكتاب والحكمة
٣٨٠	» والبشر - المفاضلة بينهما	١٧٥	كتب الاعمال - أخذها
٣٨٨	» أدلة تفضيلهم على البشر	٣٧٥	كرامات الأولياء
١٧٠	من لا يكلمهم الله	١٢٢ و ١١٦	الكعبة - هدمها ورفعها
٠٠٤	منكر ونكير	٤٢٣	الكليات الخمس
٤٠٨	المنكر درجات تفيده	١٩٥	الكوثر
٤١٠	» عدالة الناهي عنه	٠٨٠	الكيسانية - قولهم في المهدي
٣٥٥	المهاجرون والانصار	٤٢٤	اللاأدرية
٠٦٧	المهدي المنتظر		﴿ حرف الميم ﴾
٢٢٦ و ٣٦	الموت ليس عدماً	٤٤٠	مالك ( الامام )
١٦١	الموقف وهو له	٤٢٦	الثلاث
٠٢٦	الميت - رده السلام	٣٥٣	البايعات تحت الشجرة
٠٣٨	الميثاق على نبي آدم	١٢٤	مجااعة قريش
١٧٦	الميزان	٠٨٠	محمد بن الحنفية
	— { حرف النون } —	١٢٠	المدنية - بقاؤها
٠٢٠	نار الآخرة والدينا	٤٤٤	المذهب - التزامه
١٤٣	» عدن قبل الساعة	٤٤٥	» - الانتقال عنه
٢٠٩	النار	٤٢٨	المستحيل والجائز
٢٥٣ و ٢٤٥	النبوة والرسالة	٠٣٣	السيح - خلقه
٢٥٥	» كونها بفضل الله	١٠٧ و ٨٩	» - نزوله
٢٦٥	نبينا كونه الخاتم	٣٢٨ و ٣٢٥	معاوية
٢٦٥	» خصائصه	٢٧٧	معجزات نبينا
٢٦٧ و ٢٥١	» بعثته	٢٧٦ و ٢٦٨	المعراج

١٢ فهرس الجزء الثاني من شرح عقيدة السفاريني

صفحة		صفحة	
٠٥٢	النفس شؤونها . وأمكتها	٢٧٢ و ٢٤٠	نينارؤيته ربه
٤٢٩	التقيضان	٢٨٢	» أفضليته
	( حرف الهاء والواو والياء )	٢٨٣	» مزاياه
٠٧٦	الهاشمي أو الحارث	٢٩٢	» ولادته ونشوءه مسلماً
١٢١	الهيثم	٢٥٣	التي - شروطه
٢٨٩	الولاية والثبوة	١٥٤	التفخ في الصور أنواع
٣٧٥	الولي تعريفه	٢٣٧	النساء رؤيتهن لرهن
٣٧٩	» شرطه	٤٣٢	النص - اتباعه وان لم يعقل
١٠٨	يأجوج ومأجوج	٢٣٠	النذر الى الرب
١٦٠	يجي الغافقي	١٦٩	التعيم الذي يمثل عنه
		٠٢٧	النفس والروح - مباحثهما

﴿ تنبيه ﴾

وضع هذا الفهرس السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلاميه مرتباً على حروف المعجم لتسهيل مراجعة المباحث والمسائل في الكتاب و يذبحي للمراجع ان ينظر المسألة التي يراجعها في فهرس الجزئين لأن بعض المسائل يرد في كل منهما



﴿ جدول الخطأ والصواب للجزء الاول من شرح عقيدة السفاريني ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	١٦	من	ان
٧	١٧	أصحاب	وأصحاب
١٢	٢٠	ويفاوت	ويبفاوت
١٢	٢١	عن صدقه	على صدقه
٢٤	٢٤	المعقول	بالمعقول
٢٧	٢٣	المطلوب	المطروب
٢٧	٢٥	لوه فصار	لبوه ألفافصار
٣٠	٠٦	وقرر	وقرره
٣٢	٢٥	خترا	خيبرا
٣٥	١٧	أبجوز	أوبجوز
٣٦	٢٣	الفسلية	السفلية
٤٥	١٦	لا من خدمه	لا ان خدمه
٤٥	١٨	تجالسه	يجالسه
٤٩	٠٨	أنواعها	بأنواعها
٥٠	١٨	من الخيانة	من الكذب والخيانة
٥١	١٦	سلفية	سلفية
٥٢	٠٢	داخل خارج	داخل الى خارج
٥٢	٠٩	ومتعلقاتها والخاتمة	ومتعلقاتها وفي ذكر فضل الصحابة وأفضلهم (السادس) وفي ذكر الامامة ومتعلقاتها والخاتمة
٥٤	١٨	أربعة	ربعة
٥٦	٠٥	أي انسان	أي أي إنسان
٥٩	٠٩	وحرر	وحرز
٥٩	١٠	ويينكم الجنائز	ويينكم يوم الجنائز

١٤ جدول الخطأ والصواب للعجز الاول من شرح عقيدة السفاريني

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٠	١٣	(أعلا الجنة)	في (أعلا الجنة)
٦٣	١٧	يجتنبها	يجتنبها
٦٤	٠٣	أنه مذهب	أن مذهب
٦٤	٠٤	بعدم أمة	بعدم من أمة
٦٦	٠٢	فقيل من	فقيل له من
٦٦	١٤	أو يطلق	أو يطبق
٦٨	٢٢	الناسخ	التناسخ
٧٠	٠٨	وقال شيخ الاسلام	قال شيخ الاسلام
٧٠	١٩	وقد نصير	وقد يصبر
٧١	٠٢	تاجا	تاج
٧٢	١٢	الزرارية اتباع	الزرارية وهم اتباع
٧٤	١٠	واصل	قال واصل
٧٤	١١	لامعدوم	ولامعدوم
٧٤	٢١	الحسن	الحسين
٧٨	٠٢	أصاب	أصحاب
٧٨	١٢	يوخرون	يوخرونه
٨١	٠٦	في هذه	في عد هذه
٨٤	٢١	بالمعقول	بالمعقول
»	»	لأجل	لأجل
٨٥	٢٤	وجوب	وجود
٨٩	٠٢	والسلامة	فالسلامة
٩١	٢٢	العروة التي	العروة الوثقى التي
٩٢	١٥	ذم أمة المريسة	ذم المريسة
٩٣	١٥	الدمسي	الدميبي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٠٩٣	١٨	قال الحافظ	قال الامام الحافظ
٠٩٦	٠١	عليه	عليه
٠٩٨	٠٧	على غيره	في غيره
١٠١	٢٤	اللفظين	لفظين
١٠٢	٢٤	الشبهة	الشبه
١٠٤	١٠	من الكمال	من صفات الكمال
١٠٤	٢٢	وكذلك قوله ولا يعزب	وكذلك قوله (ومامستانم لغوب) متضمن لـ كمال قدرته وكذلك قوله (ولا يعزب)
١٠٦	٠٧	في باب	عليه في باب
١٠٩	١٣	والتأله والخضوع	والتأله له والخضوع
١١٠	١٠	وفي أسماء	في أسماء
١١١	٢٢	انه لا يعود	انه يعود
١١٦	٢١	أمر	أمرأ
١١٧	٠٣	كثل	مثل
١١٧	٠٨	مسموعا منه	مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه
١٣٢	١٧	القدرة	القدرة
١٤٧	٠٥	لئن	قل لئن
١٤٩	٠٧	مثله	من مثله
١٤٩	١٠	أمور الغيب	أمور من الغيب
١٥٠	٠٩	المعارضة	المعارضة
١٥٠	٢٠	عن الاتيان	العرب عن الاتيان
١٥١	٠٢	فهو وجد	فهل وجد

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الفخم	الفخم	٠٣	١٥٥
أبي لهب	أبي	١٠	١٥٧
و يعتمدونه	و يعتمدونه	٥	١٦٤
يكفيه	يكفيه	٠٣	١٧٥
الالئبت	لئبت	٠٨	١٧٥
لامن جهاته	من جهاته	٠٤	١٧٦
عند ذكر	عن ذكر	١٧	١٧٦
لافتقاره	لافتقار	١٤	١٨١
مر	مز	٠٣	١٨٤
لا يفيضها	و يفيضها	١٨	١٩١
يخفى عليكم أن	يخفى أن	١٣	٢٠٠
الملمدين	المحدين	٠٤	٢٠٨
كأن قذفه	كأقذفه	١٨	٢٢٧
عن الأشعري	عند الأشعري	٠٢	٢٢٨
ان من قلد	ان قلد	١٥	٢٢٨
الاعتقاد على استدلال عقلي في كل	الاعتقاد في كل	١٤	٢٢٩
بمكفر	بمكفر	٠١	٢٣٠
(وسائر) أي بقية (الأشياء)	(وسائر الأشياء)	١٤	٢٣٠
وانه خالق	وان خالق	٢٤	٢٣٠
في صدور العالم	في صدور العلم	٠٩	٢٣٣
العلة الحادثة المطلوبة	للعلة الحادثة المطلوبة	٠٤	٢٣٥
كالقول في الحادث	كالقول الحادث	٢١	٢٣٥
فهو واجب لتصديق	فهو لتصديق	١٦	٢٤١
يليق به نسبته	يليق نسبته	٢٤	٢٤١

صواب	خطأ	سطر	صفحة
تتعلق به	تتعلق بها	٠٧	٢٤٥
لأننا نفرق	لأننا لانفرق	٢٥	٢٤٥
له ولاضدله ولارب	له ولارب	٠٢	٢٥١
قاله السمعاني	قال السمعاني	١٠	٢٥١
ما يقدره	ما يقدر	١٢	٢٥٢
ما أتاهم	بما أتاهم	٠٩	٢٥٥
ورواه الترمذى	رواه الترمذى	٠٤	٢٥٦
واحتج به على	واحتج على	٠٩	٢٥٨
سفيان الثوري	سفيان والثوري	١٢	٢٥٩
فقالا قدم	فقال اقدم	١٨	٢٥٩
ان قلنا ان الله	ان الله	١٩	٢٥٩
كما حكى الله تعالى	كما حكى تعالى	١١	٢٦١
قال ابن القيم	قال ابراهيم القيم	١٩	٢٦١
لكن	لكنه	٠٣	٢٦٣
بينهما	بينها	١٢	٢٦٤
بخلقه	بخلق	٢١	٢٦٨
عدم التأثير	عد التأثير	٢١	٢٦٩
ونقبوا عليه وبرهنوا	ونقبوا وبرهنوا	٢٠	٢٧٢
بالأسقام	بالاستقام	٠٧	٢٧٧
الله	الله	١١	٢٧٨
قد هدى	وهدي	٠٦	٢٧٩
ماسبق به العلم وجرى به القلم	ماسبق به القلم	١٥	٢٨٩
ودعوا	وادعو	١٠	٢٩٥
الذي هو خلقه الذي أمرنا	الذي أمرنا	١١	٣٥

صواب	خطأ	سطر	صفحة
جازاه	جاراه	٠٧	٣١٤
اعتبارا	عتبارا	٠١	٣١٥

﴿ جدول الخطأ والصواب للجزء الثاني من شرح عقيدة السفاريني ﴾

صواب	خطأ	سطر	صفحة
وقريب	قريب	١٦	٠٥
أمير المؤمنين عمر	عمر	٠١	٦
رفعها	رفعهما	٠٦	٠٦
صلوات الله	صلوات وسلامه	٠٢	١٠
العدو	المد	١٤	١٠
وفي حديث شعبة	وفي شعبة	٢٥	١٦
من بدن	من بدون	٢٢	١٩
كيف يعذبون	وكيف يعذب	٠٣	٢٤
بهذه الزيادة	بهذه	١٨	٢٤
الذي قلناه وهو	الذي قال وهو	٢١	٢٤
روحه في جسده	روحه جسده	١٧	٢٥
مونا	فوتا	٠٣	٢٦
صلوات	وصلوات	٠٥	٣١
عيني	عني	١٧	٣٨
والشطاط بالكسر وهو	والشطاط وهو	٠٧	٦٧
تعال صل	يقال صل	٤	٩٠
الفائدة الثالثة	الفائدة الثانية	٠٧	٩٣
ورواهم	ورواهم	١٥	١١١
الجبار	الجبال	٢٤	١٥٦

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٢	٥٠	الواضع	الواضح
١٨٧	٢٤	ن	إن
٢٢٣	١١	ودرها	ودورها
٢٢٣	١٢	ويعد	ويعلم
٢٢٣	٢٥	يخبر به عباده	يخبر به سبحانه عباده
٢٢٧	١٦ و ١٧	فيقبض منها وقال	فيقبض منها وما يصعد اليه فيقبض منها وقال
٢٢٧	٢٥	فوق الشاوت	فوق سبع سموات
٢٢٨	٠٤	كما في السماء	كما بين السماء
٢٣٠	١٠	جعل له	حصل له
٢٣١	١٦	هو حق	هو في حق
٢٣١	١٩	الجنة الحسنى	الحسنى الجنة
٢٣٦	٢٣	الصحابة رضي الله	الصحابة والائمة رضي الله
٢٣٧	١٣	يربن	لايربن
٢٣٨	١٥	مخافه	مخافة
٢٣٨	٢٢	حتى للأنبياء	حتى لمنافقي هذه الأمة على الأصح وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة انها حاصلة للأنبياء
٢٤٢	١٥	بعد الألف فقالت	بعد الألف هل رأى محمد ربه فقالت
٢٦٤	١٤	اياها	وتقدمه اياها
٢٧٠	١٦	وبين الكلم	وبين موسى الكلم
٢٩٩	١٢	ثم باقي الصحابة	ثم باقي أهل بدر ثم باقي أهل أحد
			ثم باقي أهل بيعة الرضوان ثم باقي الصحابة
٣٠١	٠٣	نكحها	أنكحها

صواب	خطأ	سطر	صفحة
صبوتمسا	صبوتمها	٢١	٣٠٥
بأقصر	أقصر	١٤	٣١١
ابن تيمية وغيره من أهل العلم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس	ابن تيمية قدس	١٥	٣٢٨
في الافضية على ترتيبهم في الخلافة	في الخلافة	٢٢	٣٣٩
قال فبايعته	قال بايعته	٢٠	٣٥٣
قال	قالوا	١٢	٣٥٤
غير أصحابي ولا	غير أصحابي ولا	٠٩	٣٦١
من نسبه	من نسبة	٠٤	٣٧٣
يلونهم ثم الذين يلونهم والله	يلونهم والله	١٨	٣٧٣
للعادة	معادة	٠٨	٣٧٥
ملة الاسلام	الاسلام	٢٣	٤٠٠
خليفة	وخليفة	١٧	٤٠٣

تنبية من السيد محمد رشيد رضا صاحب مطبعة المنار

كان يصحح هذا الكتاب بالمقابلة على الأصل أحد الأزهريين بأجرة من المطبعة وكنت أقرأ كل ملزمة بدون مقابلة فأصحح ما أراه فيها من خطأ في العربية أو نقل الأخبار والآثار. ثم رأيت على هامش النسخة التي نطبع عنها ما يدل على أنها قوبلت على نسخة بخط المؤلف فصرت بعد ذلك أدع تصحيح عبارة الأصل وأكثرها في تذكير الأعداد وتأنيثها والضمائر ولكنني كنت أراجع أكثر الأحاديث في كتبها. وبعد تمام الطبع كلفت بعض الخنازلة في الأزهر بمقابلة الكتاب على أصله واستخراج الخطأ والصواب منه فكان هذا الجدول ومعظم الخطأ فيه استبدال في الحروف أو الكلمات المتشابهة أو نقص أو زيادة فيها يسهل إصلاحه ولا يسلم مطبوع من مثله وهناك جمل قليلة سقطت فيجب أن تكتب على الهامش في مواضعها المعروفة بالجدول. فأنصح لكل مقنن للكتاب وكل كتاب بين ما فيه من خطأ الطبع أن يصححه قبل أن يقرأه وذلك سهل جداً والله الموفق



# كِتَابٌ

﴿ لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ﴾

شرح

﴿ الدرّة المضيئة في عمدة الفرقة المرضية ﴾

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البرهان الجلي  
الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي  
رحمه الله تعالى

## الجزء الأول

طبع عن نسخة يظهر أنها كتبت عن نسخة المؤلف في عصره وعلى  
هوامشها تصحيح لبعض العلماء وقد ذهب ورقات من آخرها  
فاكملت حديثاً بخط جديد

— الطبعة الأولى —

﴿ مطبعة مجلة المنار الإسلامية بمصر سنة ١٣٢٣ هجرية ﴾

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تقدست عن الاشباه ذاته \* وتزهت عن سمات الحدوث صفاته \*  
دلت على وجوده وقدمه مخلوقاته \* وشهدت برؤيته وألوهيته ومصنوعاته \* وأقرت  
بالانقياد اليه برياته \* وأذغت لعظمته وحكمته مبتدعاته \* سبحان من اليه تحيرت  
العقول في بديع حكمته وخضعت الالباب لرفع عظمته وذلت الجبابرة لعظيم  
عزته ودلت على وحدانيته محدثاته \* يعطي ويمنع ويخفف ويرفع ويوصل  
ويقطع فلا يستل عما يصنع كما نطقت به آياته \* وأشهد أن لا إله الا الله وحده  
لا شريك له ولا ند ولا ضد ولا ظهير ولا وزير فالكل خلقه واليه غاياته \*  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليفه وأمينه على وحيه وشهيداً على أمره  
ونبيه من أبهرت العقول معجزاته \* وأعجزت النقول دلائل نبوته وارهصاصاته \*  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأظهاره وأحبابه وأنصاره وأحزابه ما دامت  
آلاء الله وأرضه وسمواته \* وما انشقت بنور رسالاته غياهب الشرك وظلماته \*  
وابتسمت الايام بعد عبوسها وأظهرت الاحكام بعد طموسها وأينمت الاوقات  
بعد يبوسها وولى ظلام الظلم وانمحقت آفاته \* أما بعد فيقول العبد الفقير الى  
مولاه العلي محمد ابن الحاج أحمد السفاريني الاثري الحنبلي قد كان في سنة  
ثلاث وسبعين بعد المائة وألف طلب مني بعض أصحابنا التجديين من أنظم أمهات  
مسائل اعتقادات أهل الاثر في سلك سهل لطيف معتبر يسهل على المبتدي  
حفظه وتنفعهم معانيه ولفظه وذلك بعد قراءتهم علينا من مختصرات وعقائد  
جملة كلمه الامام الموفق ومختصر نهاية المبتدين للشيخ مشايخنا البدر البليان والعين  
والاثر للشيخ عبد الباقي والدأبي المواهب فابتهج قلبه بما أوقفناه عليه من الفوائد  
فتمثلت باشتغال الخاطر باللبال وتشتت الافكار فألح بالسؤال والالتماس وقال

ما في فراغك عن هذه الخواطر واشتغالك بهذا المطلوب الحاضر مدة من باس فلما لم يندفع بالاندفاع ولم يفد التعلل لهذا الطالب المتناع نظمت أمهات مسائل عقائد السلف في سمط عقد أبهى من الآليء البهية وسميتها ﴿ الدررة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ﴾ وعدها مائتا بيت وبضعة عشر وتكفي وتشفي من معظم الخلاف الذي ذاع وانتشر ثم بعد تمام نظمها والفراغ مما أودع في ضمنها من دقائق علمها ألح المذكور واخوانه وذووه وخلائه على تصنيف يشرح لهذا العقد الذي شفا وأبرى وقالوا صاحب البيت بالذي فيه أدرى فتجشمت تلك المسالك الوعرة والمدارك التي تقاعس عن ادراك حقائقها غير الالمعية المهرة فاني وان كنت غير ألمعي ولا ماهر ولكني تطلعت على ما أودع حذاق هذا الشأن في الطروس والدفائر فأجبتهم أنجاحاً لمطلوبهم وطلباً لشفاء صدورهم وصلاح قلوبهم وعولت فيما قصدت على المولى الجواد الجليل فهو عوني وحسبي ونعم الوكيل وسميته ﴿ بلوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الانرية ﴾ لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية ﴿ ولأقدم أمام المطلوب مقدمة تشمل على عشر تعريفات محتمة فأقول بعد البراءة من القوة والحول والاعتماد على ذي الكرم والطول

## المقدمة المشتملة على عدة تعريفات

### تعريف الأول

اعلم ان الملة المحمدية تنقسم الى اعتقادات وعمليات فالاعتقادات هي التي لم تتعلق بكيفية عمل مثل اعتقاد وجوب وجود القادر المختار ووجدانيته وتسمى أصلية أيضاً والعمليات هي ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية فالمتعلق بالعملية علم الشرائع والاحكام لانها لا تستفاد الا من الشرع فلا يسبق الفهم عند اطلاق الاحكام الا اليها والمتعلق بالاعتقادات هو علم التوحيد والصفات وعلم الكلام وعلم أصول الدين ولما كان هذا العلم أهم لا ببناء العمليات عليه أوردوا البراهين والحجج عليه واكتفوا في العمليات بالظن المستفاد من الادلة السمعية ولما كان عصر الصحابة

والتابعين لهم باحسان خالياً من البدع الكلامية والشبه الخيالية والخصوم المعتزلية لم تكن أدلة علم أصول الدين مدونة هذا التدوين فلما كثرت الشبه والبدع وانتشر الاختلاف بين أهل العلم وفشا وسطع وصار كل امام بدعة له نحلة يعول عليها وعقيدة يدعو الناس اليها وأوضاع يرجع في مهماته اليها دون علماء الكلام قواعد المعلومة وأوضاعه المفهومة لدفع الشبه والخصوم ورددهم عن مهافتهم الى الصواب المعلوم عن النبي المعصوم

وعلم الكلام هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية أي المنسوبة الى دين النبي صلى الله عليه وسلم وان لم تكن مطابقة للواقع لعدم اخراج الخصم من المعتزلة والجهمية والقدرية والجبرية والكرامية وغيرهم عن أن يكون من علماء الكلام وان خطأناه أو كفرناه (وقيل) تعريف علم الكلام الذي هو التوحيد وأصول الدين العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية أي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا وسواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أولاً ككلام المخالف واعتبر في أدلتها اليقين لانه لا عبرة بالظن في الاعتقادات بل في العمليات

﴿وموضوعه﴾ هو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية اذ موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية ولا شك انه يبحث في هذا العلم عن أحوال الصانع من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها ليعتقد ثبوتها له تعالى وأحوال الجسم والعرض من الحدوث والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك ليثبت بها للصانع ما ذكر مما هو عقيدة اسلامية أو وسيلة اليها وكل هذا بحث عن أحوال المعلوم كاثبات العقائد الدينية وهذا أولى من زعم ان موضوعه ذات الله تعالى ونقدس للبحث عن صفاته وأفعاله ﴿واعلم﴾ انا لا تأخذ الاعتقادات الاسلامية من القواعد الكلامية بل إنما تأخذها من النصوص القرآنية والاحبار النبوية وليس القصد بالاوضاع الكلامية الادفع شبه الخصوم والفرق الضالة عن الطرق الحقية فانهم طعنوا في بعض منها بأنه غير معقول فبين لهم بالقواعد الكلامية معقولة ذلك البعض (واستمداد) هذا الفن من الكتاب

المنزل والتفسير والحديث الثابت والفقهاء والاجماع والنظر (ومسائله) القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية (وغاياته) أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقناً محكماً لا تنزله شبهة من شبه المبطلين (ومنفعته) في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في إبقاء النوع الانساني على وجه لا يؤدي الى الفساد وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد وسيأتي حد كل بحث من هذا عند ذكره في النظم انشاء الله تعالى والله تعالى الموفق

### ❦ الثاني ❦

اعلم ان الصحابة الكرام قد تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً بلا انفصام ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والأفعال بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال فكلمتهم واحدة من أولهم الى آخرهم لم يسوموها أو يلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ولم يبدو الشيء منها بطلاً ولا ضربوا لها مثلاً ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوا القرآن عvisين فأقرّوا ببعض آيات الصفات وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين مع ان اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم لهم فيما أقرّوا به وأثبتوه فأهل الإيمان اذا تنازعوا في شيء من القرآن ردوه الى الله ورسوله كما رتب عليه الإيمان فكل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه ردوه اليهما فلو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بيان ما تنازعوا فيه لم يأمر الله بالرد اليه اذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع الى من لا يوجد عنده فصل النزاع وقد أجمع الناس على ان الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد اليه نفسه في حياته والى سنته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد جعل الله هذا الرد من موجبات الإيمان ولو ازمه فاذا اتفق انتفى الإيمان ضرورة انتفاء المزوم لانتفاء لازمه ولا سيما التلازم

بين هذين الامرين فانه من الطرفين فكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر وقد  
 نهى الصديق ثم الفاروق ومن بعدهما من الصحابة عن القول بالرأي حتى قال  
 عمر رضي الله عنه: ان أصحاب الرأي أعداء السنن أعينهم الاحاديث أن يعوها  
 وتفلتت منهم أن يحفظوها فتألوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا: وقال رضي الله  
 عنه: أيها الناس أتمموا الرأي في الدين فلقد رأيتني واني لأرد أمر رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم برأيي فاجتهد ولا آلو وذلك يوم أبي جندل: (يعني يوم قضية الحدبية)  
 وأضل كل رأي وأبطاله وأفسده وأعطله الرأي المتضمن لتعطيل أسماء الرب وصفاته  
 وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة  
 والقدرية ومن ضاهاهم حيث استعملوا قياساتهم الفاسدة وأراءهم الباطلة وشبههم  
 الرافضة في رد النصوص الصحيحة والآيات الصريحة فردوا لاجلها ألفاظ  
 النصوص التي وجدوا السبيل الى تكذيب روايتها ونحطت بهم وحرفوا المعاني التي  
 لم يجدوا الى رد ألفاظها سبيلاً فقابلوا النوع الاول بالتكذيب والنوع الثاني  
 بالتحريف والتأويل فأنكروا رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة وأنكروا كلامه  
 وتكليمه لعباده وأنكروا مباينته للعالم واستواءه على عرشه وعموم قدرته وحرفوا  
 النصوص عن مواضعها وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد الذي حقيقته  
 انهزبالة الاذهان ونخالة الافكار وعصارة الآراء ووساوس الصدور فملأوا  
 به الاوراق سوادا والقلوب شكوكاً والعالم فسادا فكل من له مسكة من  
 علم ودرية من فهم يعلم ان فساد العالم وخرابه انما نشأ من تقديم الرأي على  
 الوحي والهوى على النقل وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب  
 الا استحكم هلاكه ولا في أمة الا وفسد أمرها أتم فساد وقد قال الامام أحمد  
 رضي الله عنه: رأي فلان ورأي فلان ورأي فلان عندي سواء وانما الحججة في  
 الآثار: وروى ابن عبدالبر بسنده عن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل عن  
 أبيه رضي الله عنه

دين النبي محمد آثارُ  
 لا تعد عن علم الحديث وأهله  
 نعم المطية للفحى الاخبار  
 فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتي طرق الهدى والشمس طالعة لها أنوار

وقال بعض أهل العلم وأحسن

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين النصوص وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمداً حذرا من التجسيم والتشبيه

حاشا للنصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

ثم ان الرأي المذموم هو الرأي المجرد الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا قياس جلي بل هو خرس وتخمين فهذا الرأي الذي ورد التحذير منه والتنفير عنه وأما الرأي المستند الى الاستدلال واستنباط من النص وحده أو من نص آخر معه في الأحكام فهذا من أطف فهم النصوص وأدقه وما ورد عن السلف مما يشعر بمدح الرأي وقبوله فالمراد به هذا والله أعلم

### ❦ الثالث ❦

الرأي مصدر رأى رأياً ميموز والجمع أرى وهو التفكير في مبادي الأمور ونظر عواقبها وعلم ما يؤول اليه من الخطأ والصواب وأصحاب الرأي عند ومقهاء هم أهل القياس والتأويل كأصحاب الامام أبي حنيفة وأبي الحسن الاشعري وأصحاب الرأي ضد أصحاب الظاهر من داود وابن حزم ومن نحا نحوهم أصحاب التأويل ضد أصحابنا من اتباع المأثور والمرور كما جاء مع التفويض واعتقاد التنزيه بأن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وكان سبب انتشار البدع وظهورها وزيادتها ونشورها المأمون ابن هارون الرشيد واسمه عبد الله وكنيته أبو العباس سابع خلفاء بني العباس وأمه اسمها مراجل ولي الخلافة سنة مائة وسبعين (١) وكان من رجال بني العباس حزمًا وعزماً وحلمًا وعلماً ورأياً ودهاءً وشجاعةً وبراعةً وفصاحةً وساحةً الا انه كان رافضياً معتزلياً قدرياً فهو خبيث الاعتقاد كبير الفساد والعناد وفي سنة مائتين وواحد عشر

(١) قوله ولي الخلافة سنة الخ هو سبق قلم وإنما هذا العام عام ولادته وإنما

ولايته على ما ذكر المؤرخون سنة مئة وثمان وتسعين

أمران ينادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية (رضي الله عنه) بخير فإن أفضل الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي سنة مائتين واثنتي عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافاً إلى تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فاشمأزت منه النفوس ودعا الناس لرأيه المعكوس وكادت الفتن أن تقوم على ساقها فكف عن ذلك إلى سنة ثمان عشرة فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن فأجاب من أجاب طوعاً وكرهاً وامتنع سيدنا الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه ومن امتنع معه من أئمة الحديث وطلب الامام أحمد فهلك المأمون ولم يره الامام أحمد والله الحمد وكان هلاك المأمون في شهر رجب سنة ثمان عشرة بعد المائتين

قال العلماء ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرس طلب منه خزانه كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظفر عليه أحد فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلمهم أشاروا بعدم تجهيزها اليه الامطران واحد فانه قال: جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها قال الصلاح الصفدي: حدثني من أتق به ان شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه كان يقول: ما أظن ان الله يفعل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها قال الصلاح الصفدي: لم يستبكر المأمون النقل والتعريب بل فعل ذلك قبله كثير فان يحيى بن خالد البرمكي عرب من كتب الفرس كليله ودمنه وعرب لاجله كتاب المجسطي من كتب اليونان والمشهور ان أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما ولع بكتب الكيمياء

ثم قال الصفدي: والخلاف ما زال في هذه الامة منذ توفي صلى الله عليه وسلم حتى في موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعي الزكاة إلى غير ذلك بل في نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال « اثنوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي » على ما هو مذكور في موطنه وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان بني اسرائيل



اقرقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة» وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قد أخبر أن هذه الأمة ستفترق ومتى افرقت خالف بعضها بعضاً ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من تخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما فهذا الامر كان مأمونا قبل المأمون نعم زاد الشر والضرر وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الالهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالمهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الرافع وكان منار الحق الواحد يشبهه بالثلاث الاثافي والرسم البلاقع على ان السنة الشريفة مرفوعة المنار مأمونة السرار خافقة الاعلام راسخة الاحلام باهرة السن ساطعة الجنى

وزييدها من الليالي جدة وتقادم الايام حسن شباب وأهل السنة قد فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها وذلوا بالشواهد الصادقة الصادعة ما جمع من صعابها وأطلعوا نيرها الاعظم فطمس من البدع تألق شهابها وأجنوا من اتبع هديهم ثم اليقين متحد النوع وان كان متشابهاً وجاسوا خلال الحق فميزوه وأهل مكة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهبأ كبرها السها بغير دليل كذبه الدلائل وماذ كره الصلاح الصفدي مما يشم منه رائحة العذر للمأمون عما أدخله على الامة فيه حق وباطل فأصل الخلاف كان موجوداً الا انه في أمور يسهل بعضها بخلاف ما فشا بفتنة المأمون قال الامام الحافظ الذهبي في كتابه العرش لما ولي المأمون وكان متكلماً عربت له كتب الاوائل فدعا الناس الى القول بخلق القرآن وتهددهم وخوفهم فأجاب به خلق كثير رغبة ورهبة وامتنع من اجابته الامام أحمد بن حنبل ومسهر (١) عالم دمشق ونعيم بن حماد عالم مصر والبويطي فقيه مصر وعفان محدث العراق وطائفة سواهم فسجهم ثم لم ينشب ان مات بطرسوس ودفن ثم استخلف

(١) قوله ومسهر أقول لعله وأبو مسهر فسقط لفظ أبو من قلم الكاتب

١٠ ترجمة كتب الطب والنجوم والمنطق وغيرها - وضع العلوم الاسلامية - المعتزلة

بعده أخوه المعتصم فامتحن الناس ونهض باعباء المحنة قاضيه أحمد بن أبي دؤاد  
وضربوا الامام أحمد رضي الله عنه ضرباً مبرحاً فلم يجبهم وناظروه وجرت أمور  
صعبة انتهى

وأما خالد بن يزيد فعربت له كتب الطب والنجوم وقيل الذي عربت  
له كتب الطب والنجوم المنصور وأما خالد فانما وله في صنعة الكيمياء وله في  
ذلك رسائل وكان قد أخذ تلك الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له مرياس  
الروصي وأما المنصور فأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية  
مثل كليلة ودمنة وأقليدس كما في تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي وقال  
وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وأما المأمون فهو أول من  
أدخل علم المنطق وسائر العلوم اليونانية في الملة الاسلامية وأحضرها من جزيرة  
قبرص وترجمت له كتب كثيرة كما في أوائل السيوطي انتهى وبسبب ذلك حدثت  
الفن بين المسلمين والبغي على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع  
والاهواء وكثرت الوقائع والاختلافات والرجوع الى العلماء في المهات  
فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول  
وترتيب الابواب والفصول وتكثير المسائل بأدلتها وإيراد الشبه بأجوبتها وتعيين  
الاصطلاحات والاصطلاحات وتبيين المذاهب والاختلافات فسموا ما يفيد معرفة  
الاحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ومعرفة أحوال الادلة اجالافي افادتها  
الاحكام بأصول الفقه ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام المشتق من الكلم وهو  
الجرح ومعظم خلافاً به مع الفرق الاسلامية خصوصاً المعتزلة لانهم أول فرقة أسسوا  
قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم  
في باب العقائد

فأول من صنّف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة  
أبو حذيفة واصل بن عطاء وهو رئيس المعتزلة وأول من سمي معتزلياً اعتزل مجلس  
الحسن البصري رحمه الله فسمي بذلك كان واصل بن عطاء هذا أحد البلغاء المتكلمين  
في علم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غنياً وكان أحد الاعاجيب لان لثغته

كانت قبيحة جداً فكان يخلص كلامه من الزاء ولا يفتن لذلك لا اقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه وذكري ابن خلكان كغيره من أهل التاريخ وأخبار الناس ان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري رحمه الله فلما ظهر الاختلاف فقالت الخوارج بتكفير من تكبي الكيبرة وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولا تباعها معتزلون فهذا سبب تسميتهم بالمعتزلة ولواصل من التصانيف كتاب المرجئة وكتاب التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التي أخرج منها الزاء وكتاب معاني القرآن وكتاب الخطب في العدل والتوحيد وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد وكتاب السبيل الى معرفة الحق وغير ذلك وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو من موالي بني منبه وقيل من موالي بني مخزوم وأما عمرو بن عبيد بن باب فمن موالي بني عقيل آل غزادة بن ربوع بن مالك كان جده باب من سبي كالم من جبال السند وكان عمرو شيخ المعتزلة في وقته وله كتاب تفسير عن الحسن البصري وله كتاب الرد على القدرية وله كلام كثير في العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة وولد سنة ثمانين من الهجرة ومات سنة أربع وأربعين ومائة وهو راجع الى مكة بموضع يقال له مران على ليلتين من مكة من جهة البصرة والله أعلم

#### الرابع

الخبر ان طابق ما في الخارج فهو صدق وان لم يطابق الواقع في الخارج فهو كذب ولا فرق في ذلك بين اعتقاد المطابقة مع الصدق أو عدمها مع الكذب وبين ان لا يعتقد شيئاً أو يعتقد عدم المطابقة مع وجودها أو يعتقد وجودها مع عدمها فاذا علم هذا علم انه لا واسطة بين الصدق والكذب وهذا مذهب أهل الحق خلافاً للجاحظ في زعمه ان المطابقة مع اعتقاد المطابقة صدق وغير المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة كذب وغيرها واسطة لاصدق ولا كذب فيدخلك في الواسطة أربعة

أقسام فتصير الأقسام عنده ستة ويكون الصدق والكذب في مستقبل كما يكونان في زمن ماضٍ وموردهما النسبة التي تضمنها الخبر بإيقاع الخبر ومن الخبر ما هو معلوم صدقه وهو أنواع (أحدها) ما يكون علم صدقه ضرورياً بنفس الخبر من غير نظر كالخبر الذي بلغت رواته حد التواتر لفظياً كان أو معنوياً على الأصح (الثاني) ما يكون ضرورياً بغير نفس الخبر بل لكونه موافقاً للضروري وهو ما يكون متعلقه معلوماً لكل أحد من غير كسب وتكرر نحو الواحد نصف الاثنين (الثالث) ما يكون ضرورياً كخبر الله تعالى وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم وخبر كل الأمة لأن الإجماع حجة فكل واحد من هذه الثلاثة علم بالنظر والاستدلال (النوع الرابع) ما يكون غير ضروري وغير نظري ولكنه موافق للنظر وهو الخبر الذي علم متعلقه بالنظر كقولنا: العالم حادث:

ومن الخبر ما هو معلوم كذبه وهو أيضاً أنواع (أحدها) ما علم خلافه بالضرورة كقول القائل النار باردة (الثاني) ما علم خلافه بالاستدلال كقول الفيلسوف العالم قديم (الثالث) أن يوهم أمراً باطلاً من غير أن يقبل التأويل لمعارضته للدليل العقلي كما لو اختلف بعض الزنادقة حديثاً كذباً على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم يتحقق أنه كذب (الرابع) أن يدعي شخص الرسالة عن الله عز وجل بغير معجزة ومن الخبر أيضاً ما هو محتمل للصدق والكذب (فالاول) ما تقدمت أنواعه الضرورية من المتواتر وموافق للضروري ونظري وكخبر الله تعالى ورسوله والإجماع وخبر من وافق أحدها أو ثبت به صدقه (والثاني) من الخبر المعلوم كذبه ما تقدمت أنواعه مما خالف ما علم صدقه (والثالث) من الخبر وهو المحتمل للصدق والكذب فتلاثة أنواع (أحدها) كخبر العدل يترجح صدقه على كذبه ويقاوت فيه الظن (الثاني) ما ظن كذبه كخبر الكذاب يترجح كذبه عن صدقه وهو متفاوت أيضاً (الثالث) ما شك فيه كخبر مجهول الحال فيستوي فيه الاحتمالان لعدم المرجح ولا يلزم من عدم علم صدق الخبر كذبه

ومدلول الخبر من حيث هو الحكم بالنسبة لا بثبوتها فإذا قيل زيد قائم فمدلوله الحكم بثبوت قيامه لأنفس ثبوت قيامه إذ لو كان الحكم بالنسبة بثبوت قيام زيد

للزم منه أن لا يكون شي من الخبر كذباً بل يكون كله صدقاً وخالف القرافي فقال:  
العرب لم تضع الخبر الا للصدق لاتفاق اللغويين والنحويين على ان معنى قام زيد  
حصول القيام منه في الزمن الماضي واحتماله الكذب ليس من الوضع بل من جهة  
المتكلم انتهى قال الكوراني التحقيق في هذا المقام هو ان الخبر مثل زيد قائم اذا  
صدر عن المتكلم بالقصد يدل على الايقاع وهو الحكم الذي صدر عن المتكلم  
ويدل أيضاً على الوقوع فكل منهما يسمى حكماً فاحتمال الصدق والكذب  
وصدق الخبر وكذبه في نفس الأمر إنما هو باعتبار الايقاع لانه المتصف بذلك  
لا الوقوع وأما باعتبار افادة المخاطب فالحكم هو الوقوع لانك اذا قلت زيد قائم  
فإنما يفيد مخاطب وقوع القيام لانك أوقعت القيام على زيد فانه لا يعد فائدة  
والله أعلم

### الخامس تعريف المتواتر والآحاد ومتعلقات ذلك

التواتر لغة تتابع شيتين فصاعداً بمهلة واصطلاحاً خبر عدد يمتنع معه لكثيرته  
تواطؤ على كذب عن محسوس أو عن عدد كذلك الى أن ينتهي الى محسوس من  
مشاهدة أو سماع فقوله خبر جنس يشمل المتواتر وغيره وباضافته الى عدد يخرج  
خبر الواحد وبقوله يمتنع معه الخ يخرج به خبر عدد لم يتصف بالوصف المذكور  
ويخرج بقيد المحسوس ما كان عن معلوم بدليل عقلي كإخبار أهل السنة دهرياً  
بحدوث العالم لتجويز غلظهم في الاعتقاد وهذا الخبر المتواتر مفيد للعلم بنفسه فقيد  
بنفسه لاخراج الخبر الذي صدق الخبرين به بسبب القرائن المحتقة به والحاصل  
بخبر التواتر ضروري عند أصحابنا والاكثر اذ لو كان نظرياً لافتقر الى توسط  
المقدمتين ولما حصل لمن ليس من أهل النظر كالنساء والصبيان ولساغ الاختلاف  
فيه عقلاً كسائر النظريات فالعلم الضروري ما اضطر العقل الى التصديق به وهذا  
كذلك (وقال أبو الخطاب الكوذاني وجمع) انه نظري اذ لو كان ضرورياً لما افتقر  
الى النظر في المقدمتين وهما اتفاقهم على الاخبار وامتناع تطاؤهم على الكذب  
فصورة الترتيب ممكنة ورد ذلك بأن ما ذكره مطرد في كل ضروري (وقال الطوفي في  
مختصره) الخلاف لفظي اذ مراد الاول بالضروري ما اضطر العقل الى تصديقه والثاني

البديهي الكافي في حصول الجزم به تصور طرفيه والضروري ينقسم اليها فدعوى كل فريق غير دعوى الآخر والجزم حاصل على كلا القولين ثم اعلم ان خبر التواتر لا يولد العلم بل يقع العلم عنده بفعل الله تعالى عند الفقهاء وغيرهم من أهل الحق وخالف قوم وهو على المعتمد بمنزلة إجراء العادة بخلق الولد من النبي والله قادر على خلقه بدون ذلك خلافاً لمن قال بالتولد

والتواتر من حيث هو قسبان لفظي كحديث «من كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار» فقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم نيف وستون صحابياً منهم العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم أجمعين والتواتر يكون في القرآن كالقرآت السبع واختلف في الثلاثة الباقية هل هي متواترة أولاً والحق أنها متواترة وأما الاجماع فالمتواتر فيه كثير وأما السنة فالمتواتر فيها قليل حتى ان بعضهم نفى المتواتر اللفظي من السنة الاحديث «من كذب على متعمداً» وزاد بعضهم حديث الحوض كما سند كره في محله وكذا حديث الشفاعة قال القاضي عياض بلغ التواتر وحديث المسح على الخفين قال ابن عبد البر رواه نحو أر بعين صحابياً واستفاض وتواتر

(وأما التواتر المعنوي) من السنة بأن يتواتر معنى في ضمن أحاديث مختلفة الالفاظ متحدة المعنى فكثير فالمتواتر المعنوي هو تغاير الالفاظ مع الاشتراك في معنى كلي ولو بطريق اللزوم كحديث الحوض وسخاء حاتم وشجاعة علي رضي الله عنه وغيرها وذلك اذا كثرت الاخبار في الوقائع واختلف فيها لكن كل واحد منها يشتمل على معنى مشترك بينها بجهة التضمن أو الالتزام فيحصل العلم بالتقدير المشترك وهو مثلاً الشجاعة لعلي رضي الله عنه والسخاء لحاتم ونحو ذلك

والمعتمد عدم انحصار التواتر في عدد وانما يعلم حصول العدد اذا حصل العلم عنده ولا يلزم الدور اذ حصول العلم معلول الاخبار ودليله كالشيع والري معلول المشيع والمروي ودليلها وان لم يعلم القدر الكافي منها ويختلف العلم الحاصل بالتواتر باختلاف القرائن كلهيئات المقارنة للخبر الموجبة لتعريف متعلقه واختلف أحوال المخبرين في اطلاعهم على قرائن التعريف واختلف ادراك المستمعين لتفاوت الازهار والقرائن واختلف الوقائع على عظمها وحقارتها والمعتمد حصول العلم

بالتواتر لكل من بلغه فيتفق الناس كلهم في العلم به الا انه يتفاوت المعلوم عند الامام أحمد رضي الله عنه والمحققين منهم شيخ الاسلام بن تيمية روح الله روحه وغيره وعنه لا قال (المحقق ابن قاضي الجبل): الاصح التفاوت فانا نجد بالضرورة الفرق بين كون الواحد نصف الاثني وبين ما علمناه من جهة التواتر مع كون اليقين حاصلًا فيها وكما نفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولا يشترط اسلام العدد المشروط في التواتر ولا عدالتهم خلافاً لقوم اعتبروها قالوا لان الكفر والفسوق عرضة للكذب والتحريف ولان النصراني نقلوا ان اليهود قتلوا المسيح وهو باطل بالنص (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وبالاجماع والجواب انا نمنع حصول شرط التواتر للاختلال في الطبقة الاولى لكونهم لم يبلغوا عدد التواتر وكذا الجواب عن اخبار الامامية بالنص على امامة علي رضي الله عنه ولا يشترط أيضاً أن لا يحويهم بلد ولا يحصيهم عدد خلافاً لطوائف من الفقهاء لان أهل الجامع لو أخبروا عن سقوط المؤذن عن المنارة والخطيب عن المنبر لكان إخبارهم مفيداً للعلم فضلاً عن أهل بلد

وأما الآحاد فهو ما عد المتواتر فدخل مستفيض مشهور وهو ما زاد نقلته على ثلاثة عدول وعزز وهو ما تنقص نقلته عن عدلين وخبر الآحاد ان كان مستفيضاً مشهوراً أفاد عملاً نظرياً كما نقله العلامة ابن مفلح وغيره عن أبي اسحق الاسفرائيني وابن فورك وقيل يفيد القطع وغير المستفيض من سائر أخبار الآحاد يفيد الظن فقط ولومع قرينة عند الأكثر لاحتمال السهو والغلط ونحوهما على ما دون عدد رواية المستفيض قرب احتمال السهو والخطأ على عددهم القليل وقال الامام الموفق وابن حمدان والطوفي وجمع انه يفيد العلم بالقرآن قال العلامة علاء الدين علي بن سليمان المرداوي في شرح التحرير وهذا أظهر وأصح والقرائن وان قال الماوردي لا يمكن أن تضبط بعادة فقد قال غيره بل يمكن أن تضبط بما تسكن اليه النفس كسكونها الى التواتر أو قرب منه بحيث لا يبقى فيها احتمال عنده ألبتة الا اذا نقله أي نقل خبر الآحاد غير المستفيض آحاد الامعة المتفق عليهم وعلى إمامتهم وجلالتهم وضبطهم من طرق متساوية وتلقته الأمة بالقبول فيفيد العلم حينئذ قال القاضي أبو يعلى هذا المذهب

وقال أبو الخطاب هذا ظاهر كلام أصحابنا واختاره ابن الزاغوني والامام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه وقال الذي عليه الاصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رضي الله عنهم أجمعين ان خبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول تصديقاً وعملاً به يوجب العلم الا فرقة قليلة تبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك والاول ذكره أبو اسحق وأبو الطيب وذكره عبد الوهاب وأمثاله من المالكية والسرخسي وأمثاله من الحنفية وهو الذي عليه أكثر الفقهاء وأهل الحديث والسلف وأكثر الاشعرية وغيرهم انتهى

قال ابن الصلاح ما أسنده البخاري ومسلم العلم اليقيني النظري واقع به خلافاً لقول من نفي ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله الا الظن وإنما تلقته الامة بالقبول لانه يجب عليهم العمل بالظن قال والظن قد يخطئ قال ابن الصلاح وقد كنت أميل الى هذا وأحبه قوياً ثم بان لي ان المذهب الذي اخترناه أولاً هو الصحيح لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ والامة في اجماعها معصومة من الخطأ وقال الامام النووي من الشافعية خالف ابن الصلاح المحققون والاكثرون وقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر انتهى قال الامام ابن عقيل والحافظ بن الجوزي والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو حامد وابن برهان والفخر الرازي والسيدي والمديني وغيرهم لا يفيد العلم ما نقله آحاد الامة المتفق عليهم ولو تلتقي بالقبول وقال الاستاذ أبو اسحق الاسفراثي يفيد عملاً لا قولاً انتهى ونص الامام أحمد رضي الله عنه في رواية الاثرم انه يعمل به ولا يشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله وأطلق ابن عبد البر وجماعة انه قول جمهور أهل (٥) والاثم والنظر حتى قال بعضهم ولومع قرينة ونقل حنبل عن الامام أحمد رضي الله عنه أخبار الرؤية حتى تقطع على العلم بها (١) وقال له المروذي هنا انسان يقول: الخبر يوجب عملاً لاعلماء: فعابه وقال لأدري ما هذا وفي كتاب الرسالة لاحمد بن جعفر الفارسي عن الامام أحمد رضي الله عنه لا تشهد على أحد من أهل القبلة انه في النار لذنب عمله ولا كبيرة اتاها الا أن يكون ذلك في حديث كما جاء صدقه ونعلم انه كما جاء قال القاضي ذهب الى هذا

(٥) يياض بالأصل ولعله: العلم: (١) كذا في الاصل اه



جماعة من أصحابنا أنه يفيد وذكره القاضي في مقدمة المجرد عن علمائنا وحزم به ابن أبي موسى وقاله كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر والظاهرية وابن خوزين منداد المالكي وأنه مخرج على مذهب مالك ولما وقف ابن كثير على اختيار ابن الصلاح من أن ما أسند في الصحيحين مقطوع بصحته قال وانا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد إليه قال ثم وقفت على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية مضمونه أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول عن جماعات ونقل ما قدمنا عنه وزاد: وابن حامد والقاضي أبو يعلى وأبو الخطاب وابن الزاغوني وأمثالهم من الحنابلة وشمس الأئمة من الحنفية قال وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة (تنبيه) قد قدمنا أن المستفيض ما زاد نقلته على ثلاثة عدول فلا بد أن يكونوا أربعة فصاعداً وقال قوم هو ما عده الناس شائعاً وقال محيي الدين يوسف الجوزي: المستفيض ما ارتفع عن ضعف الآحاد ولم يلتحق بقوة المتواتر والله أعلم

السادس

يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين وحكمي الامام ابن عبد البر الاجماع على ذلك قال الامام أحمد رضي الله عنه لا تتعدى القرآن والحديث وقال القاضي أبو يعلى يعمل به في الديانات اذا تلقته الأمة بالقبول ولهذا قال الامام أحمد رضي الله عنه قد تلقتها العلماء بالقبول قال العلامة ابن قاضي الجبل مذهب الحنابلة ان أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات ذكره القاضي أبو يعلى في مقدمة المجرد والشيخ تقي الدين في عقيدته انتهى وقال أبو الخطاب وابن عقيل وغيرهما لا يعمل به فيها ولا يكفر منكر خبر الآحاد في الاصح حكى ابن حامد الوجيهن عن الاصحاب ونقل تكفيره عن الامام اسحق بن راهويه قال في المسودة قد اختلف العلماء في تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل وقد ذكر ابن حامد في أصوله عن أصحابنا في ذلك وجيهن والتكفير منقول عن الامام اسحق بن راهويه انتهى قال ابن حامد لكن غالب أصحابنا على كفره فيما يتعلق بالصفات وذكره في مكان آخر ان جحد أخبار الآحاد كفر كالتواتر عندنا فإنه يوجب العلم والعمل فأما من جحد العلم بها فلا شبهة انه لا يكفر ويكفر في نحو ما ورد في الاسراء والنزول

ونحوهما من الصفات كما في حاشية الجراعي على أصول العلامة ابن اللحام رحمها  
الله تعالى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح العقيدة الاصفهانية  
يجب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى فليس ذلك موقوفاً  
على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام  
ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا  
التصديق به وان لم ندرك ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله  
فقد أشبه الذين قال الله تعالى عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل  
الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس  
مؤمناً بالرسول ولا متلقياً عنه الاخبار بشأن الربوبية كما سندكر هذه المقالة في  
مجالها ان شاء الله تعالى

### السابع ❦ ❦

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان  
التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه  
في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بقلب غير  
مرضي مثل الخوارج والروافض والتدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعزلة  
والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع  
وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر  
المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب  
انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقاتتهم وإبطال  
مذهبهم وتزييفه ودم من ذهب اليه أو عول عليه أو اتقى الى ذوبه أو ناضل  
عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والحبر البحر المفضل أبا عبد  
الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره  
من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور  
لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرمانى  
في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم

بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الأبرار والتابعين الاطهار ومن بعدهم. قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق وبقى ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد والامام الخ كلامه كما سنسب عليه في محالته ومن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق وبقى بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دُحَيْم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب السنة لابن داود ولايني بكر الاثرم ولعبد الله بن الامام أحمد وحنبل بن اسحق ولايني بكر الخلال ولايني الشيخ الاصفهاني ولايني القاسم الطبراني ولايني عبد الله بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والابانة لابن عبد الله ابن بطة وكتاب الاصول لابن عبد الله الطلعنكي وكتاب ردة عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الاربعة والسفيانان والحمادان وابنا أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور وابن جريح والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسعر ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعلة التي ذكرناها

حتى ان الشيخ أباحسن الاشعري قال في كتابه - الابانة في أصول الديانة - مانصه بحروفه «فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به تقول وديانتنا التي بها تدين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وماروي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتمدون وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نصر الله وجهه قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك وبالله التوفيق

### ❦ الثامن ❦

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سميان وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لييد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لا اسم علم قال وكانت الصابئة اذذاك الاقليلا منهم على الشرك وعلمائهم الفلاسفة وان كان الصابئي قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا

والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب وبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية أو اضافية أو مركبة منها وهم الذين بعث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً - فيما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه - عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فلسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يمجدون من العلوم ماسوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين امانن الصابئين واما من المشركين فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداءً من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه . وكلام الائمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنغه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الائمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردّها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين له ظهور الحججة لظريتهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وضلالهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا

القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلاحول ولا قوة الا بالله فمذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكهيف ولا تمثيل فالمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً والمسلم يعبد اياه الارض والسماء والله أعلم

### التاسع ❦

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ولكل مكرومة راجية من الشفاعة والورود على الحوض وروية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والأيمان بالتقدير والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه - ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها - من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأعمى وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبد الاسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف) « على علم الخلف (مناصه) ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطراً من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم هؤلاء الى قسبين أحدهما من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة لاستلزامه

عنده التشبيه كنفى الروية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن يتسبب الى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر وردت على أولئك مقالتهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من أثبت له تعالي صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وقد أنكر السلف على مقاتل ردة على جهم بأدلة العقل وبالغوا في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كإجاءات من غير تكيف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك ألبنة خصوصا الامام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وان كان بعض من كان قريبا من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل ابن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وانما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي : كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضا وفي زماننا تعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من اتسبب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو بأخذ ما لم تأخذ به الامة من قبله وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الامام أحمد رضي الله عنه : لا يخلو من نظر في الكلام الاتهم : وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث وانبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الحشو أو الى انه غير عارف بالله

أو بدينه فمن خطوات الشيطان نعوذ بان منه « انتهى ملخصاً  
 وفي الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله  
 بن الامام أحمد قال حدثني أبي قال: قبور أهل السنة من أهل الكباثر روضة وقبور  
 أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء  
 الله: وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان  
 يقول « اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يجشع ومن نفس لا تسمع ومن  
 دعوة لا يستجاب لها » وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم وفي بعضها « ومن دعاء لا يسمع » وفي بعضها « أعوذ بك من هولاء الأربعة »  
 وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 كان يقول « اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني » ورواه النسائي من حديث  
 أنس رضي الله عنه وزاد « وارزقني علماً تنفعني به » ويأتي الكلام على هذا بأبسط  
 من هذا في المقدمة والله أعلم

### العاشر

اعلم رحمك الله تعالى ان اصطلاحى في هذا الشرح الاستدلال بالكتاب  
 القديم وبقول النبي الكرم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم واقتفاء الصحابة الكرام  
 رضوان الله تعالى عليهم وما درج عليه الرعيل الاول من القرون المفضلة مما تلقاه  
 أئمة الدين بالقبول وأثبتوه بالنقول وأصلوه في الاصول وانزعم متحذلق انه  
 يباين العقول فهو كلام باطل ومذهب معلول فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
 تأتي بمجارات العقول لا بمحالاتها فمن زعم ان العقل يحيل شيئاً مما جاءت به  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يخلو من أحد أمرين إما عدم ثبوته عنهم واما  
 عجز العقل عن إدراكه ولا يلزم من عجز العقول عن ادراك شيء من الاصول  
 أو غيرها أن يكون مستحيلاً كحديث النزول مع عدم الانتقال وكون القرآن كلام  
 الله وصفته مع عدم الانفصال ونظائر ذلك كثيرة جداً فمن لم يسلم للمنقول وقابله  
 بالرد المعقول فهو ضال محبول فذهبنا هو ما وافق صحيح المنقول وصريح  
 المعقول الذي يجمع ما في الاقوال المختلفة من الصواب ويجتنب ما فيها من الخطأ



والارتباب وهذا هو مذهب سلف الأمة وسائر الأئمة وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف فان الله تعالى بين في كتابه الحق بماضيه فيه من الامثال للخلق ويذكر لك من البراهين ما يفيد لسليم الصدر عين اليقين فاذا تأمل العاقل الفهيم نهاية ما يذكروه أهل النظر من جميع طوائف المتكلمة والمتفلسفة ونحوهم يجد في القرآن أكمل منه وأوضح بياناً مع سلامته من المراء والجدال وزبالات أفهام الرجال ومن لم يكن علمه متلقى من الكتاب والسنة فهو غير نافع في نفسه ولا منتفع به بل ضره أكثر من نفعه وعلامة هذا العلم كما قال الحافظ ابن رجب أن يكتسب صاحبه الزهو والفخر والعجب والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا ومنافسته فيها وطلب مباهاة العلماء وممارسة السفهاء وصرف وجوه الناس اليه: ومرادي بالشيخ وشيخ الاسلام حيث أطلق شيخ الاسلام ابن تيمية ومرادي بالمحقق تلميذه ابن القيم وبالعلامة ابن مفلح. واعلم ان غالب ما في هذه التعريفات ستمر بك في محالها وأما قصدت جمعها لك لتكون على بصيرة منها وهذا أو ان الشروع في المقصود من شرح المنظومة والله تعالى أعلم

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بسم الله﴾ أي باسم مسمى هذا اللفظ الاعظم الموصوف بأوصاف الكمال فالإباء متعلقة بمحدوف وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً أولى من تقديره اسماً عاماً مقدماً أما أولوية كونه فعلاً فلأنه الأصل في العمل وحينئذ فحمل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر وأما أولوية كونه خاصاً فلأنه أدل على المطلوب فتقدير أو لف عند التأليف أولى من ابتدئ وكذا عند القراءة ونحو ذلك فيقدر عند كل أمر ما يناسبه وأما أولوية تقديره مؤخراً فلأمرين أحدهما الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً لأنه تعالى مقدم ذاتاً فقدم ذكره ليوافق الاسم المسمى والثاني لا فائدة التخصيص كافي قوله تعالى «اياك نعبد واياك نستعين» لا يقال الأولى ملاحظة قوله تعالى «اقرأ باسم ربك» لانا نقول المطلوب الأهم ثم القراءة لأنها أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأول ما طرق المسامع الشريفة من الوحي فكان الأنسب

تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام لها وحذفت همزة الوصل من الاسم خطأ كما حذفت لفظاً وكثبت الباء متصلة بالسين لكثرة الاستعمال وطولت الباء للتعظيم ولتكون كالعوض عن الهمزة ويرى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ضرب من لم يطول الباء وهي للاستعانة أو المصاحبة أو التعدية أي أقدم اسم الله وأجمله ابتداءً نظمي وتأليفي. والاسم لغة مادل على مسمى وعرفا مادل مفردا على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان والتسمية جعل اللفظ دالا على المعنى وهو مشتق عند البصريين من السمو وهو العلو لأنه يدل على مساه فيعليه ويظهره وعند الكوفيين من السمة وهي العلامة لأنه علامة على مساه وأوصل بعضهم لغات الاسم إلى ثمانية عشر ونظمتها في قوله

ثمان وعشر من لغات أنت لنا في الاسم بنص العارفين بنقلها

سم سمة اسم سماء كذا سما سماة بثلاث الاوائل كلها

(فائدة) الاسم في حق المخلوق غير المسمى وفي الخالق تعالى لا غير ولا عين قال الامام المحقق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن القيم في كتابه (بدائع الفوائد) أسماء الله الحسنى التي في القرآن من كلامه تعالى وكلامه غير مخلوق ولا يقال هي غيره ولا هو هو وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أساؤه غيره وهي مخلوقة انتهى. و«الله» علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وهو عربي عند الاكثر وزعم البلخي من المعتزلة أنه معرب عبري أو سرياني وأكثر محققى النظر على عدم اشتقاقه بل هو اسم مفرد مرتجل للحق جل شأنه قال في شرح المواقف وعلى تقدير كونه في الاصل صفة فقد انقلب علماً مشعراً بصفات الكمال للاشتهار. قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه: (بدائع الفوائد) زعم السبيلي وشيخه ابن العربي ان اسم الله غير مشتق لان الاشتقاق يستلزم مادة يشق منها واسمه سبحانه قديم لامادة له فيستحيل الاشتقاق ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ولا ألم بقلبه وانما أراد أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسماءه الحسنى من العليم والقدير فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لامادة له فما كان جوابكم

عن هذه الاسماء فهو جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى ثم الجواب عن الجميع  
انا لانعني بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا انها متولدة منها  
تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه  
ان أحدهما متولد من الآخر وانما هو باعتبار ان أحدهما متضمن للآخر وزيادة  
فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مبادئ وانما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن فيه  
(بالكسر) مشتقاً والمتضمن (بالفتح) مشتقاً منه ولا محذور في اشتقاق أسماء الله بهذا  
المعنى انتهى ثم اختلف من قال بأنه مشتق في مأخذ الاشتقاق فقيل انه من تاله  
اذا تذلل فعناه المتذلل له والثلاثي منه أله ياله بفتح الحسو في الماضي والمضارع  
والمصدر بمعنى اعتمد ولجأ الى غيره كما قال

ألمت اليه في بلايا تنوبنا فألفيته فيها كريماً ممجداً

أي التجأت اليه واعتمدت عليه والتفعل في تاله للدلالة على حصول شي فشي  
كما في تهمم وتعلم ونظائره ووجهه ان معنى أله الى الشيء استند اليه وهو يقتضي  
الذل والافتقار لانه لا يعتمد على غيره الا بعد ذله لديه وافتقاره اليه فكان معنى  
تأله تذلل وافتقر واحتاج وقيل من وله يوله من باب علم ولها ومعناه تحير لكن قلبت  
الواو همزة فصار ألها كما أبدلوا وسادة فقالوا أسادة ونحوه فلما دخلت عليه أداة  
التعريف صار الأله ثم حذفت الهمزة لكثرة دورانها على الالسنه فصار الله فزيدت  
الالف بين اللام والهاء ليكون كالعوض عن الهمزة فصار الله لكن لا تكتب  
الالف كما لا تكتب في الرحمن لكثرة الاستعمال في الدوران واطلاق المصدر  
وارادة اسم الفاعل أو اسم المفعول شائع في لغة العرب بمعنى المألوه اليه أي المعتمد  
عليه المتذلل له المحتاج اليه أو المألوه فيه أي المتحير فيه لدقة طريق معرفته وقيل انه  
مشتق من اللهب يعني الطرب وشدة الفرح واللعب من لهي يلهي بفتح وسطه لكن  
حذفت الواو من لهو فصار له فادخلت أداة التعريف وزيدت الف بين اللام  
والهاء لتكون كالعوض عن الواو المحذوفة كما مر ومعناه الملهو به أي المطلوب  
والمفروح به يعني عند معرفته وقيل انه مشتق من اللوه أي الاستتار من لاه يلوه  
اذا استتر لكن قلبت الواو من لوه فصار لاه فادخلت أل عليه فصار الاله فحذفت

الالف خطأ كما مر ومن قال بعدم الاشتقاق فقد سلم من هذه التكاليف والله أعلم  
﴿الرحمن الرحيم﴾ اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله الى باب فعل بضم العين  
أو بتزيله منزلة اللازم اذ هما صفتان مشبهتان وهي لا تشتق من متعد والرحمن  
أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً كما في قطع  
وقطع ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائدة من المبالغة كحذر  
وحاذر فان حذر أبلغ من حاذر فالرحمن صفة في الاصل بمعنى كثير الرحمة  
جداً ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها وهو الله والرحيم ذو الرحمة الكثيرة وأتى  
به بعد الرحمن الدال على جلائل النعم اشارة الى ان ما دل عليه من دقائق الرحمة  
وان ذكر بعد ما دل على جلائلها الذي هو المقصود الاعظم هو مقصود أيضاً لثلاث  
يتوهم انه غير ملتفت اليه وقال بعض الصوفية الرحمن هو المحسن باعطاء الامور  
الملكوية مثل الروح والعقل والايمان والشهوة والقدرة ونحوها وقيل هو المحسن  
في الدنيا لعموم احسانه لانه يعم باحسانه المسلم والكافر وغيرهما والرحيم بالضد باعتبار  
كون الرحمن للدنيا يكون الرحيم للآخرة وبكونه للملكوتية يكون الرحيم لعالم  
الشهادة من اعطاء الماء كمول والمشروب والملبوس الى غير ذلك فان قيل اذا كان  
الرحمن الرحيم اسمين فكيف أعربا نعتاً لله تعالى والاعلام لا ينعت بها قيل  
قد قال هذا قوم وأعر بوهما على انها بدل وقال السهيلي البدل ممتنع أيضاً كعطف  
البيان لان الاسم الاول لا يفتقر الى تبين لانه أعرف المعارف كلها وأينها ولهذا  
قالوا: وما الرحمن: ولم يقولوا: وما الله: قال السهيلي لكنه وان أجري مجرى الأعلام  
فهو وصف يراد به الثناء وكذلك الرحيم وقال المحقق ابن القيم في (بدائع الفوائد)  
أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت فأنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العالمية  
والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا ينافي اسميته وصفيته فمن حيث هو  
صفة جرى تابعاً على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع يعني  
كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن) الرحمن على العرش استوى أم من هذا الذي هو  
جند لكم ينصركم من دون الرحمن ( وهذا شأن الاسم العلم ولما كان هذا الاسم  
مختصاً به تعالى حسن مجيئه مفرداً غير تابع كمجيء اسمه «الله» كذلك وهذا لا ينافي

دلالته على صفة الرحمة كاسمه «الله» فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ولهذا لا يجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة قال ابن القيم روح الله روحه وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معني بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وكأن الأول الوصف والثاني الفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته أي صفة ذات له سبحانه والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته أي صفة فعل له سبحانه فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى (وكان بالموءمنين رحيماً) أنه بهم رؤف رحيم) ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته قال رحمه الله تعالى وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرأه قلبك لم تنجل لك صورتها انتهى ورحمة الله جل شأنه وتعالى سلطانه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضيل والانعام وأما تفسيرها برقة في القلب تقتضي التفضيل فالتفضيل غاية فيراد منها غايتها كما يقوله من يقوله من المتكلمة كالزنجشيري في كشافه وغيره من النظار فهذا إنما يليق برحمة الخلق لا برحمة الخالق تعالى وتقدس وبينهما بون. ونظير ذلك العلم فإن حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالخلق بل نفس الإرادة التي يرد بعضهم الرحمة إليها هي في حقه تعالى مخالفة لإرادة الخلق إذ هي في الخلق ميل قلبه إلى الفعل أو الترك والله منزه عن ذلك وكذلك رد الزنجشيري لها في حقه تعالى إلى الفعل بمعنى الإينعام والتفضيل فإن فعل العبد الاختياري إنما يكون لجلب نفع للفاعل أو دفع ضرر عنه ولا كذلك فعله تعالى فما فرضه أهل التأويل موجود فيما فروا إليه من المحذور وبهذا ظهر أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى فإنه خلاف الأصل وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على حقيقته ولا تعذر هنا كما لا يخفى وأيضاً معيار المجاز صحة نفيه كما إذا قيل زيد أسد أو بحر أو قمر لشجاعته أو كرمه أو حسنه فإنه يصح أن تقول زيد ليس بأسد أو ليس ببحر أو ليس بقمر وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ولا يصح أن يقال: الله ليس برحيم فلو كانت الرحمة مجازاً في حقه تعالى لصح ذلك ولا ريب أن الرحمة صفة كمال وسائر الكتب السماوية

مملوءة بذكرها واطلاقها عليه تعالى ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق مجازاً في حق الخالق والحاصل ان الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى وليست الاعترافات متماثلة اذ ليس كمثل شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات كما ان اثبت ذاتاً ليست كالذوات فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق كما أشار الى ذلك وقرر ونبه عليه وحرره ابن القيم رحمه الله في البدائع

## فوائد

(الاولى) انما بدأ المصنفون كتبهم بالبسملة تأسياً بالكتاب المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم واقتداء به في مكاتباته للملوك وغيرهم وامثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم أقطع » رواه عبد القادر الرهاوي في الاربعين البدائية وكذا الخطيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومعنى ذي بال أي حال شريف يحتفل له ويهتم به من مصنف وهراس ومدرس وخطيب وخطاب وبين يدي كل الامور المهمة ويعنى بالاقطع ناقص البركة وقد يكون غير معتد به وروى ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه من فوعاً « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليّ فهو أقطع أبرر ممحوق من كل بركة » تفرد بذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اسماعيل ابن زياد وهو ضعيف وفي رواية « كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله » وقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » اسناده صحيح (الثانية) اختلف القدماء فيما اذا كان الكتاب كله شعراً فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك وعن الزهري رحمه الله قال مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم وعن سعيد بن جبير رحمه الله جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور وقال الخطيب وهو المختار

انتهى ولا سيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم قال بعض العلماء الراجح عند الجمهور طلب البسمة في ابتداء الشعر ما لم يكن محرماً أو مكروهاً قال وأما ما يتعلق بالعلوم فمحل اتفاق (الثالثة) البسمة آية منفردة بنفسها فاصلة بين السور القرآنية ليست من أول كل سورة لا الفاتحة ولا غيرها على الصحيح من المذهب وفاقا للإمام أبي حنيفة وأمام مالك رضي الله عنه فقال ليست هي من القرآن رأساً وعند الشافعي رضي الله عنه أنها آية من كل سورة من القرآن سوى براءة ومراد من قال أنها ليست من القرآن غير التي في سورة النمل فإنها بعض آية اجماعاً فيكفر منكرها بخلاف البسمة غيرها فتبصر (الرابعة) في بعض فضائل البسمة في ذلك أحاديث وآثار كثيرة جداً قال الزهري في قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) هي بسم الله الرحمن الرحيم وروى الامام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال «هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الا كبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب» وكذلك رواه أبو بكر بن مردويه وروى الامام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للنسائي عن أبي المليح واسمه عامر وقيل زيد بن أسامة بن عمير عن أبيه رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعيرنا فقلت تعس الشيطان فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم «لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعته ولكن قل بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب» وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أراد أن ينجي الله من الزبانية التسعة عشر فليقل بسم الله الرحمن الرحيم فإنها تسعة عشر حرفاً فيجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم ذكره ابن عطية والقرطبي وابن كثير في تفاسيرهم عن وكيع عن الاعمش عن أبي وائل عنه قال أبو القاسم الجنيد بن محمد قدس سره في بسم الله هيئته وفي الرحمن عزته وفي الرحيم مودته وفضائل البسمة غير محصورة وأدلة شرفها مشهورة (الخامسة) قال بعض الصوفية وغيرهم اسم الله الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم كلها وعند أكثر أهل العلم أنه

لفظ الجلالة وعدم الاجابة لاكثر الناس مع الدعاء به لتخاف بعض الشروط التي من أهمها الاخلاص وأكل الخلال وقد أخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللهم اني أسألك اني أشهد انك أنت الله لا إله الا أنت الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال له « لقد سألت الله بالاسم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب » ورواه الحاكم الا انه قال فيه « لقد سألت الله باسمه الاعظم » وقال صحيح على شرطهما قال الحافظ المنذري قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي واسناده لا مطعن فيه قال ولم يرد في هذا الباب حديث أجود اسناداً منه انتهى وقال المحقق ابن القيم ومجموع اسم الله الاعظم هو الحلي القيوم وذكر ذلك في نونيته بقوله

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذي عمران  
اسم الإله الاعظم اشتملا على اسم الحلي والقيوم مقترنان  
فان كل مرجعها الى الاسمين يدري ذلك ذو بصر بهذا الشأن

أشار الى ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (والهكُم إله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران (الله لا إله الا هو الحلي القيوم) وأخرج الامام أحمد وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقى وهو يصلي وهو يقول اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله الا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى » ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد هؤلاء الاربعة « يا حي يا قيوم » وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد الحاكم في روايته « أسألك الجنة وأعوذ بك من النار » وقد روى يعلى ورواه ثقات عن السري بن يحيى عن رجل من طي وأثنى عليه خيراً قال كنت أسأل



الله عز وجل أن يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب فرأيت مكتوباً في الكوكب في السماء: يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام: والذي في جلاء الافهام للمحقق ابن القيم وفي مسند أبي يعلى الموصلي عن بعض الصحابة انه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم فرأى في منامه مكتوباً في السماء بالنجوم: يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام انتهى

﴿ الحمد لله القديم الباقي مسبب الاسباب والارزاق ﴾

﴿ حي عليم قادر موجود قامت به الاشياء والوجود ﴾

﴿ الحمد ﴾ لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل وعرفا فعل نبيء عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره . والشكر لغة هو الحمد اصطلاحاً وعرفا صرف العبد لجميع ما أنعم الله به عليه في ما خلق لاجله فيبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه يجتمعان فيما اذا كان باللسان في مقابلة نعمة وينفرد الحمد فيما اذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة . واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث لانه مع كونه على نسق الكتاب العظيم أليق بالمقام وتفاوتاً بذلك وهي وان كانت خبرية لفظاً فهي انشائية معنى . واختار مادة الحمد لاشتماله على الحاء الحلقية والميم الشفوية والدال اللسانية في استعمالها بالثناء على رب البرية حتى لا يخلو مخرج من نصيبه من ذلك بالكلية و«ال» في الحمد للاستغراق أو الجنس أو العهد أي كل الحمد مستحق أو جنسه مختص ومملوك ﴿ لله ﴾ وعلامة ال الاستغراقية أن يخلفها كل ونحوها وال الجنسية اذا تعقيتها لام الاختصاص كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى فتفيد ما أفادته ال الاستغراقية ضمناً وان كانت ال للعهد فالمعهود ثناء الله على نفسه وثناء ملائكته ورسله وأنبيائه وخواص خلقه ولا نظر لغير ثنائهم واللام في لله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص . ولما ابتداء بالبسملة ابتداء حقيقياً وهو الإتيان بها قبل كل شيء أعقبها بالحمدلة ابتداء اضافياً أي بالنسبة لما بعدها وهو ما يقدم على الشروع في المقصود بالذات جمعاً بين حديثي البسملة والحمدلة ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز فان الصحابة افتتحوا كتابته في الامام الكبير بالتسمية والحمدلة (ش عقيدة السفاريني - ٥)

تلوها وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدم في جميع الامصار سواء في ذلك من يقول بأن البسملة آية ومن لا يقول ذلك فكان أولى **﴿القديم﴾** نعمت الله تعالى وهو اسم من أسماءه وتقدم في الرحمن انه ونحوه من أسماء الله تعالى وان جرى مجرى الاعلام فهو وصف يراد به الثناء فأسماءه تعالى أسماء ونعوت والقديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم فإنه سبحانه وتعالى متصف بالقدم وهي صفة سلبية في اصطلاحهم والصفات السلبية ما مدلولها عدم أمر لا يليق به تعالى فقدمه تعالى ذاتي واجب له تعالى غير مسبوق بعدم اذ هو تعالى لا ابتداء لوجوده واعلم ان القدم اما ذاتي كقدم الواجب واما زمني كقدم زمان الهجرة بالنسبة لليوم ومنه «حتى عاد كالعرجون القديم» ومنه القدم الاضافي كقدم الاب بالنسبة لابن (فائدة) القديم أخص من الازلي لان القديم موجود لا ابتداء لوجوده والازلي مالا ابتداء له وجوديا كان أو عدمياً فكل قديم أزلي ولا عكس وفرق آخر أيضاً وهو ان القديم يستحيل أن يلحقه تغير أو زوال بخلاف الازلي الذي ليس بقديم كعدم الحوادث المنقطع بوجودها **﴿الباقي﴾** مشتق من البقاء وهو امتناع لحوق العدم والبقاء صفة واجبة له تعالى كما وجب له القدم لان ما ثبت قدمه استحاله عدمه لانه سبحانه لو قدر لحوق العدم له لكانت نسبة الوجود والعدم الى ذاته تعالى سواء فيلزم افتقار وجوده الى موجد يخترعه بدلا عن العدم الجائز عليه تقديس وتعالى عن ذلك فيكون حادثاً واللازم باطل فكذلك الملزوم لان وجوده تعالى واجب لذاته (تنبيه) نقل بعض المحققين ان البقاء صفة نفسية وعن الاشعري انها صفة معنوية والمشهور عند المتكلمين المحققين انها صفة سلبية كالقدم ومنهم من ذهب الى أن القدم سلبية والبقاء وجودية ومعنى ما ذكرنا انه تعالى لا يشاب بالعدم وهذا من نعوت الجلال والجلال عبارة عن الصفات السلبية في القدم سلب الحدوث وفي البقاء سلب الغناء ولحوق العدم فنعوت الجلال كالتقوam للكمال **﴿مسبب الاسباب﴾** المتوصل بها الى مسبباتها أي خالق الاسباب المتوصل بها الى المطلوب قال أهل اللغة السبب الحبل وكل شيء يتوصل به الى أمر من الامور وفي عرف الشرع ما يلزم من وجوده الوجود ويلزم من عدمه العدم لذاته فالاول احتراز من الشرط فإنه لا يلزم من وجوده الوجود والثاني احتراز

من المانع لانه لا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته والثالث احترام ممالو قارن  
السبب فقدان الشرط ووجود المانع كالنصاب قبل تمام الحول أو مع وجود الدين  
فانه لا يلزم من وجوده الوجود لكن لالذاته بل لامر خارج عنه وهو انتفاء الشرط  
في الاول ووجود المانع في الثاني فالنقييد بكون ذلك لذاته للاستظهار على ما لو تخلف  
وجود المسبب مع وجودان السبب لفقد شرط أو وجود مانع كمن فيه سبب الارث  
ولكنه قاتل أوريقي وعلى ما لو وجد المسبب مع فقدان السبب لكن لوجود سبب  
آخر كالردة المقتضية للقتل اذا فقدت ووجد قتل يوجب القصاص أوزنا محصن  
فتخلف هذا الترتيب عن السبب لالذاته بل للمعنى خارج ولهذا قال بعض الاصوليين  
السبب عبارة عن وصف ظاهر منضبط دل الدليل الشرعي على كونه معرفاً لثبوت  
حكم شرعي طردياً كان كجعل زوال الشمس سبباً للصلاة أو غير طردى كالشدة  
المطرية سواء اطرد الحكم معه أو لم يطرد لان السبب الشرعي يجوز تخصيصه وهو  
المسمى تخصيص العلة . فان قلت هل من أسائه تعالى المسبب حتى أطلتته عليه مع  
ان أسماءه توقيفية أم كيف الحكم قلت ذكر غير واحد من المحققين منهم الامام  
الحق في (بدائع الفوائد) ان ما يطلق عليه سبحانه في باب الاسماء والصفات توقيفي  
وما يطلق عليه في باب الاخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء والموجود  
أو القائم بنفسه قال في البدائع فهذا فصل الخطاب في مسألة أسائه هل هي توقيفية  
أي يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لا يرد به السمع (تنبيه) في نسخة من منظومتي بدل  
مسبب الاسباب : مقدر الآجال : وهو أولى لامرين الاول ان المقدر من صفات  
أفعاله المعبر عنها بالفواضل لان تقدير الآجال وفي نسخة بدل الآجال : الاقدار :  
وهي أعم وتدير الامور والاحكام فعل هو احسان منه تعالى وهو السبب لوجود  
الحمد والشكر لان الاحسان يدعو الى ذكر المحسن بفضائله التي يتأتى بها الاحسان  
والاقدار جمع قدر بسكون الدال وهو عبارة عن مبلغ الشيء ومنتهاه من حيث  
المكان والزمان وكل ماله قدر فمصنوع مفتقر الى مخصص بقدره المتصف به من  
الاقدار من طول وعرض وعمق فانه تعالى جعل لكل شيء قدراً لا يتجاوزه وحداً  
لا يتعداه (الثاني) الدلالة على تقدير الآجال جمع أجل محركة غاية الوقت في الموت

وحلول الدين ومدة الشيء قال تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً) والاخبار والآثار في ذلك كثيرة جداً (و) مقدر (الارزاق) بالفتح جمع رزق بالكسر ما ينتفع به من حلال وحرام ويأتي الكلام عليه في محله هو سبحانه (حي) أي لم يزل موجوداً وبالحياء موصوفاً وسائر الاحياء يترضم الموت والعدم في أحد الطرفين أو فيهما معاً (كل شيء هالك الا وجهه) والحياء صفة ذاتية حقيقة قائمة بذاته تعالى (عليم) بالسرائر والخصيات التي لا يدركها علم خلقه كقوله تعالى (عليم بذات الصدور) وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وهو مشتق من العلم ويأتي الكلام عليه (قادر) أي ذو القدرة التامة والقدرة عبارة عن صفة يوجد بها المقدر على طبق العلم والارادة قال شيخنا الشهاب المنيني في كتابه شرح تاريخ العتيبي للقادر معنيان أحدهما أن يكون بمعنى التقدير من القدرة على كل شيء وذلك صفة الله تعالى وحده دون غيره وإنما يوصف القادر مناعلى بعض المقدورات دون بعض وثانيها أن يكون القادر بمعنى المقدر يقال منه قدر بالتخفيف والتشديد معنى واحد قال تعالى (قدرنا نعم القادرون) أي نعم المقدرين والمراد بقوله من القدرة على كل شيء يعني على كل ممكن لانه الذي تتعلق به القدرة كما يأتي في محله (موجود) سبحانه وتعالى بالوجود القديم لان العالم وكل جزء من أجزائه حادث ومفترق من حيث وجوده وعدمه اليه تعالى من حيث صانعيته وإيجاده اياه وصانع العالم المحتاج اليه في وجوده لا يكون الا واجباً بخلاف وجود غيره فانه جائز وحاصل ذلك أن يقال قد ثبت حدوث العالم أو يقال لاشك في وجود حادث وكل حادث فبالضرورة له محدث فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال واما أن ينتهي الى قديم لا يفتقر الى سبب أصلاً وهو المراد ومن ثم قلنا (قامت) أي وجدت واستمرت (به) سبحانه وتعالى (الاشياء) كلها من الجواهر والاعراض العلوية والفلسية (و) قام به (الوجود) لكل موجود سواء فهو الذي خلقه وسواه وأحدثه وأنشأه فوجود البارئ صفة له واجب قديم ووجود غيره جائز محدث باحداث الخالق الحكيم وعطفه على الاشياء من عطف الخاص

على العام للتخصيص عليه رداً على القائلين بكليات الوجود ووحدته وانه قديم وانه موجود في الخارج وهذا ضرب من الهذيان وان جل ناقلوه فان القائلين به هم القائلون بالوحدة ولا يخفى ان القول بها ضرب من الزندقة فان من المعلوم بصريح العقل وصحيح النقل ان الخالق المبدع ليس هو المخلوق ولا جزءاً من أجزائه ولا صفة من صفاته تعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً ومن يقول ان الكليات الطبيعية ثابتة في الخارج فانه يقول انها جزء من المعينات أو صفة لها ولهذا يقولون المطلق جزء من المعين والعام بعض الخاص فيلزم من زعم ان وجود الرب تعالى هو الكلي أن يكون الخالق جزءاً من المخلوق أو صفة له وهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل وصحيح النقل وأما المثل الافلاطونية فاذا قيل ان ثم وجوداً كلياً مطلقاً مقارناً لجميع الموجودات فهو بمنزلة الانسانية المطلقة والحيوانية المطلقة والعقل الصريح يقطع أن الانسانية المقارنة لا تكون خالقة لكل انسان ولا الحيوانية خالقة لكل حيوان فكيف يكون الوجود المجرد خالقاً لكل موجود أو قديماً غير مخلوق فان هذه الكليات لو قدر وجودها وانها جواهر عقلية مع ان هذا باطل ولا وجود لها الا في الازهان وهو لا تخيلوها في اذهانهم فظنوا وجودها في الخارج فعلى فرض تسليم ذلك فهي جواهر بسيطة لا توصف بأنها حية ولا عالمة ولا قادرة ولا متكلمة فعلى الله عن مقالات أهل الوحدة والحلول والفلسفة والزندقة علواً كبيراً والحاصل انه لا ذرة ولا شذرة من جوهر ولا عرض ولا ملك ولا فلك ولا روح ولا نفس ولا جن ولا انس من جميع العالم السفلي والعلوي الا وهو مخلوق ومصنوع لله تعالى كان بعد ان لم يكن فلا يستحق الوجود الواجب شيء سواه ولا التفات لمن لم يهده الله فأثبت القدم لبعض مخلوقات الله تعالى كما يأتي الكلام على ذلك في محله عند قولنا وضل من أتى عليها بالقدم

﴿ دلت على وجوده الحوادث سبحانه فهو الحكيم الوارث ﴾

﴿ دلت ﴾ دلالة عقلية قطعية ﴿ على وجوده ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ الحوادث ﴾ جمع حادث وهو خلاف القديم والدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بأول الظن بشيء آخر أو من الظن به الظن بشيء آخر فالاول يسمى دليلاً برهانياً

وبرهاناً ان لم يتخلله الظن والا فديلاً اقناعياً وامارة والشيء الثاني يسمى مدلولاً ثم الدال ان كان لفظاً فالدلالة لفظية والا فغير لفظية فان توسط الوضع فيها كالخطوط والعقود والاشارة والنصب فوضعية والا فعملية كدلالة العالم على الصانع وقد استدل به جمع محققون من علماء الكلام وغيرهم وهو مبني على مقدمتين احدهما ان الحوادث موجودة والثاني ان الحادث لا يوجد الا بقديم وبعضهم يعبر ان الممكنات موجودة وان الممكن لا يوجد الا بواجب فاما المقدمة الاولى فدليلها ما يشاهد من حدوث الحوادث فاننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك وهذه الحوادث ليست ممتعة فان الممتنع لا يوجد ولا واجبة الوجود بنفسها فان واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم وهذه كانت معدومة ثم وجدت فعدمها ينفي وجودها ووجودها ينفي امتناعها وهذا دليل قاطع واضح بين على ثبوت الممكنات وأصرح من ذلك وأوضح ان نفس حدوث الحوادث دليل على اثبات المحدث لها فان العلم بأن الحادث لا بدله من محدث أبين من العلم بأن الممكن لا بدله من واجب فتكون هذه الطريق أبين وأقصر كما في النظم . وأما المقدمة الثانية وهي ان الحادث لا بدله من محدث فلاستحالة حدوثه بنفسه كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول الله تعالى أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم ومعلوم ان المحدث لا يوجد بنفسه وطريق العلم بذلك أن يقال الموجود اما حادث واما قديم والحادث لا بدله من قديم فيلزم ثبوت القديم على كل حال وذلك ان الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لها فهي مفترقة اليه دائماً حال الحدوث وحال البقاء ومن زعم من أهل الكلام ان افتقارها اليه في حال الحدوث فقط كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم أوفي حال البقاء فقط كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم له ٧ وكلا القولين خطأ كما قاله شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية روح الله روحه في شرح عقيدة شمس الدين الاصبهاني رحمه الله تعالى فالامكان والحدوث متلازمان فكل محدث ممكن وكل ممكن محدث والفقر ملازم لهما فلا تزال مفترقة اليه لا تستغني عنه لحظة عين وهو الصمد الذي يصمد اليه جميع المخلوقات ولا يصمد هو الى شيء بل

هو سبحانه الغني بنفسه المعني لما سواه وللإمام ابن تيمية  
الفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغني أبداً وصف له ذاتي

﴿سبحانه﴾ وتعالى وهو اسم بمعنى التسبيح الذي هو التزبه وانتصابه بفعل  
متروك اظهاره ولا يخفى حسن موقعه هنا أي هو سبحانه وتعالى منزّه عن أن يخلق  
الخلق سدى أو يشاركه في إحداث شيء من الحوادث شريك بل هو الخالق  
المختار بلا حاجة ولا اضطرار بقدرة قاهرة لحكمة باهرة ولهذا قلنا ﴿فهو﴾ تعالى  
﴿الحكيم﴾ أي المتقن لخلق الأشياء بحسن التدبير وبديع التقدير بحيث يخضع العقل  
لرفقته ويشهد باتقان صنعته كما قال تعالى (أحسن كل شيء خلقه) وقال (وخلق  
كل شيء بقدره) والحكيم من أسمائه الحسنى وهو ذو الحكمة وهي اصابة الحق بالعلم  
فالحكمة منه تعالى علم الأشياء وإيجادها على غاية الاحكام ومن الانسان معرفة  
الموجودات وفعل الخيرات وهذا الذي وصف به لقمان في قوله تعالى (ولقد آتينا  
لقمان الحكمة) قال الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر): العقل لا ينتهي  
الى حكمة الخالق سبحانه وقد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته فتعرضه  
بالتفاصيل على ما تجرّي به عادات الخلق جهل ثم قال الأترى الى أول المعترضين  
وهو ابليس اللعين كيف ناظر فقال أنا خير منه وقول أبي العلاء المعري «رأى منك  
ما لا يشتهي فترندقا» ثم قال ويحك أحضر عقلك وقلبك واسمع ما أقول أليس قد  
ثبت ان الحق مالك وللمالك أن يتصرف كيف يشاء؟ أليس قد ثبت انه حكيم  
والحكيم لا يعيب؟ قال وأنا أعلم ان في نفسك من هذه الكلمة شيء فانك قد سمعت  
عن جالينوس انه قال: ما أدري أحكيم هو أم لا؛ والسبب في قوله هذا انه رأى نقضاً  
بعد إحككم فقامس الحال على أحوال الخلق وهو ان من نبى ثم نقض للمعنى فليس  
بحكيم قال وجوابه لو كان حاضراً أن يقال بماذا بان لك ان النقض ليس بحكمة  
أليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك؟ فكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو  
الكمال؟؟ وهذه الحنة التي جرت لابليس فانه أخذ يعيب الحكمة بعقله فلو فكر علم  
ان واهب العقل أعلام من العقل وان حكمته أوفى من كل حكيم لانه بحكمته التامة  
أنشأ العقول فهذا اذا تأمله المنصف زال عنه الشك انتهى ومراد الحافظ ابن

الجوزي من كان ممن لا يرى طريقاً الى ادراك حكمته الا بالعقل كيف وقد جاء في صريح المنقول ما يوافق صحيح المعقول من الكتاب والسنة ما لا يفتي في لب اللبيب أقل اختلاج وأدنى رهب والله أعلم بكل عيب وهو «الوارث» أي الباقي بعد فناء الخلق والمسترد لأفلاكهم ومواريتهم بعد موتهم قال تعالى (انما نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) وقال تعالى (وانالحن نحبي ونميت ونحن الوارثون) فلا يفتي عليها ولا عليهم لاحد غيره سبحانه ملك ولا ملك ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق (من الملك انيوم) ولا أحد يجيبه فيحجب نفسه فيقول (الله الواحد القهار) وسيأتي الكلام على دقائق تتعلق بالاسماء عند مباحثها ان شاء الله تعالى

(ثم) اني بعد ابتدائي بالبسملة والحمدلة والثناء عليه تعالى بما هو أهله عقبته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اظهاراً لعظمة قدره وأداءً لبعض حقوقه الواجبة اذ هو الوسطة بين الله وبين عبادته وجميع النعم الواصلة اليهم التي من أعظمها الهداية للدين القويم انما هي به وعلى يديه صلى الله عليه وسلم وامثالاً لقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) واعتنائاً للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ في كتاب لم نزل الملائكة تستغفر له » وفي رواية « تصلي عليه مادام اسمي في ذلك الكتاب » وللجمع بين الثناء على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فقلت

«(ثم الصلاة والسلام سرمداً على النبي المصطفى كنز الهدى)  
 \* ( وآله وصحبه الابرار معادن التقوى مع الاسرار ) \*

«(ثم الصلاة)» وهي من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير هذا هو المشهور والجاري على السنة للجمهور ولم يرتض هذا الامام المحقق ابن القيم في كتابيه «جلاء الافهام» وبدائع الفوائد وغيرهما وردده من وجوه (أحدها) ان الله تعالى غير يذنبها في قوله (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) (الثاني) ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم والصلاة تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله فهي حق له ولا له ولهذا منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره يعني وغير سائر



الانبياء والملائكة ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين (الثالث) ان رحمة الله عامة وسعت كل شيء وصلاته خاصة لخواص عباده. وقولهم الصلاة من العباد بمعنى الدعاء مشكل أيضاً من وجوه (أحدها) ان الدعاء يكون بالخير والشر والصلاة لا تكون الا في الخير (الثاني) ان دعوت يعدي باللام وصلت لا يتعدى الا بعلى ودعا المعدي بعلى ليس بمعنى صلى وهذا يدل على ان الصلاة ليست بمعنى الدعاء (الثالث) ان فعل الدعاء يقضي مدعوا ومدعوا له تقول: دعوت الله لك بخير: وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك لا تقول: وصلت الله عليك ولا لك: فدل على انه ليس بمعناه فأي تباين أظهر من هذا قال ولكن التقليد يعمي عن ادراك الحقائق فإياك والاختلاف الى أرضه قال في البدائع: ورأيت لابي القاسم السهيلي كلاماً حسناً في اشتقاق الصلاة فذكر ما ملخصه ان معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع الى الخنو والعطف الا أن ذلك يكون محسوساً ومعقولاً فالمحسوس منه صفات الأجسام والمعقول منه صفة ذي الجلال والاكرام وهذا المعنى كثير موجود في الصفات والكثير يكون صفة للمحسوسات وصفة للمعقولات وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الاجسام ومضاهاة الانام فما يضاف اليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة فاذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا خنو وعطف من قولك: وصلت: أي حنيت صلاك وعطفته فاخلق بأن تكون الرحمة كما سمي عطفاً وحنوا تقول اللهم اعطف علينا أي ارحمنا قال الشاعر

وما زلت في ليني له وتعطفي عليه كاتحنو على الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب اذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم واتنى عليه ورحمة الله للعباد جود وفضل فاذا صلى عليه فقد أفضل عليه وأنعم وهذه الافعال اذا كانت من الله أو من العبد فهي متعدية بعلى مخصوصة بالخير لا تخرج عنه الى غيره فرجعت كلها الى معنى واحد الا انها في معنى الدعاء والرحمة صلاة معقولة أي انحاء معقول غير محسوس ثمرته من العبد الدعاء لانه لا يقدر على أكثر منه وثمرته من الله الاحسان والانعام فلم تختلف الصلاة في معناها وإنما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها والصلاة التي هي الركوع والسجود انحاء محسوس

فلم يختلف المعنى فيها الا من جهة المعقول وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ولذلك تعدت كلها بعلى واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة ولم يجز صليت على العدو أي دعوت عليه فقد صار معنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة وان كان راجعاً اليه اذ ليس كل راحم يحنى على المرحوم وينعطف عليه من شدة الرحمة انهمى ﴿والسلام﴾ بمعنى التحية والسلامة من النقائص والردائل وفي (المطلع) قال الازهري في قولك: السلام عليك: قولان أحدهما اسم السلام ومعناه اسم الله عليك ومنه قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر  
والثاني سلم الله عليك تسليماً وسلاماً ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها  
قال الحافظ ابن الجوزي في (مفتاح الحصن) وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو  
الأولى والاكمل والافضل لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليماً) ولو اقتصر على  
أحدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه خلافاً للشافعية  
وفي كلام بعضهم لا أعلم أحداً نص على الكراهة حتى ان الامام الشافعي نفسه  
اقتصر على الصلاة دون تسليم في خطبة الرسالة والله أعلم ﴿سرمداً﴾ أي دائماً  
متصلاً على ممر الليالي والايام قال في القاموس السرمد الدائم والطويل من الليالي  
أي صلاة وسلاماً ممتدين دائماً امتداداً دائماً سرمداً وباللغة التوفيق ﴿على النبي﴾  
قال في المطلع يهمز ولا يهمز فمن جعله من النبي همزه لانه ينبيء الناس عن الله  
ولانه ينبا هو بالوحي ومن لم يهمز فاما سهله واما أخذه من النبوة وهي الرفعة  
لارتفاع منازل الانبياء على الخلق وقيل مأخوذ من النبي الذي هو الطريق لانهم  
الطرق الموصلة الى الله تعالى . وهو انسان أوحى اليه بشرع (١) وان لم يؤمر بتبليغه

(١) قوله وهو انسان أوحى اليه بشرع الخ اعلم رحمك الله انه يجب على كل  
مسلم أن يعتقد ان الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم رجل حر بالغ من بني آدم ويجب  
أن يعتقد انه من العرب من قريش من بني هاشم قال الفاسي في شرح دلائل  
الخيرات من قال انه ليس بعربي أو ليس بقريشي فكافر وكذا يجب أن يعتقد انه  
ولد بمكة ونشأ بها وهاجر الى المدينة ومات بها وقبره موجود فيها قال الفاسي في

فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور فيبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا والرسول أفضل من النبي إجماعاً لتمييزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة على الأصح خلافاً لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة لأنها تثمر هداية الأمة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها إلى النبوة كنسبة العالم إلى العابد ثم إن محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلها وقيامها معاً بشخص واحد أما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ﴿المصطفى﴾ أي المختار والمستخلص مأخوذ من الصفوة مثثة يقال استصفى الشيء أخذ منه صفوه واختاره كاصطفاه وفي مسلم والنسائي عن وائلة ابن الاسقع رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم» ورواه الترمذي ولفظه «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» ﴿كنز﴾ أي معدن ومقر ﴿الهدى﴾ وموضعه الذي نشأ عنه واسنقر لديه والكنز في الأصل المال المدفون تحت الأرض وفي الحديث «لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة» أي أجرها مدخر لقاتلها والمتصف بها كما يدخر الكنز المدفون لصاحبه . والهدى في الأصل مصدر كالسرى والنق ومعناه الرشد والدلالة ولوغير موصلة ومن أسماه تعالى الهادي وهو الذي بصرعباده وعرفهم طرق معرفته حتى أقروا برؤيته وهدى كل مخلوق إلى المآب له منه في بقائه ودوام وجوده وفي الحديث «الهدى الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» المراد بالهدى هنا السيرة والهبة والطريقة ومعنى الحديث إن هذه الخلال من شمائل الانبياء وخصالهم الحميدة وأنها جزء معلوم من الكتاب المذكور كما إذا قال ليس الذي كان بمكة أولم يكن بالمدينة ولا توفي بها أي من قال ذلك فهو كافر لان هذا جحد له صلى الله عليه وسلم وكذلك أنه لم يخلق من نطفة وإنما هو كعيسى وآدم عليهما السلام أو قال انه لم يكن بشراً آدمياً فكل ذلك نص العلماء على كفر قائله ومدعيه

أجزاء أفعالهم لا أن المعنى ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة فان النبوة غير مكنتية ولا مجتلية بالاسباب وانما هي كرامة من الله تعالى كما يأتي تقرير ذلك في محله ان شاء الله تعالى وتخصيص هذا العدد مما كان يستأثر النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفته ﴿و﴾ الصلاة والسلام الدائمان السرمديان على ﴿الله﴾ صلى الله عليه وسلم وهم أتباعه على دينه قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه - جلاء الافهام - يقال آل الرجل له نفسه وآله لمن تبعه وآله لأهله وأقاربه فمن الاول قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم صل على آل أبي أوفى » وقوله تعالى ( سلام على آل ياسين ) ونازع في هذا قوم فقالوا لا يكون الآل الا الاتباع والاقارب وأجابوا عما ذكر بأن المراد من الآية والحديث الاقارب واختلف في آله صلى الله عليه وسلم فقيل هم الذين حرمت عليهم الزكاة وهم عندنا كالحنفية بنوهاشم خاصة وعند الشافعية بنوهاشم وبنو المطلب وقيل بنوهاشم ومن فوقهم الى غالب وهذا قول أشهب من أصحاب مالك وقيل هم ذريته وأزواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد وقيل آله أتباعه على دينه الى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضي الله عنها ذكره البيهقي واختاره بعض الشافعية قلت وكثير من علمائنا في مقام الدعاء خاصة وقيل هم الانقياء من أمته حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل من آلك قال « كل مؤمن نقي » وفي القاموس آل الرجل أهله وأتباعه وأولياؤه ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالباً فلا يقال آل الاسكاف كما يقال أهله وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو صاحب وهل ألفه منقلبة عن هاء وأصله أهل كما هو مذهب سيبويه وأعن واو كما هو مذهب الكسائي؛ ظاهر كلام ابن القيم في جلاء الافهام ترجيح الثاني وكلاهما مسموع ويصغر على أهيل وأويل والصواب جواز اضافة آل الى الضمير قال الشاعر

أنا الفارس الحامي حقيقة والدي وآلي فأتحمي حقيقة آلك

وفي شعر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم

وانصر على آل الصلي بوعابديه اليوم آلك

نعم هو بالنسبة الى اضافته الى الظاهر قليل وإنما أتبعنا آله عليه الصلاة والسلام له لما تضافرت به الأخبار وصحت به الآثار من قوله صلى الله عليه وسلم «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم» الى ما لا يحصى الا بكلفة ﴿و﴾ الصلاة والسلام الدائم المتصلان على ﴿صحابه﴾ اسم جمع لصاحب وقال الاخفش جمع له و به جزم الجوهرى فقال وجمع صاحب صحب كراكب وركب والضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالصاحب هنا الصحابي ﴿الابرار﴾ جمع البراي البار وهو الصادق والكثير البر والصدق في اليمين وفي أسمائه الحسنى «البر» دون البارقال العلامة أبو بكر بن أبي داود في كتابه (تحفة العباد) البر هو العطوف على عباده المحسن اليهم عم بربه جميع خلقه فلم يبخل عليهم برزقه وهو البر بأوليائه اذ خصهم بولايته واصطفاهم لعبادته وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب له وبالمسيء في الصفح والتجاوز عنه والابرار كثيراً ما يخص بالاولياء والزهاد والعباد . والصحابة الكرام أفضل اولياء الانام وفي الآية الكريمة (وتوفنا مع الابرار) والصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخلله ردة وقسم الامام الحافظ ابن الجوزي الصحبة الى ثلاث مراتب (الاولى) من كثرت معاشرته ومخالطته للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا يعرف صاحبها الا بها فيقال هذا صاحب فلان وخادمه لمن تسكرت خدمته لا من خدمه مرة واحدة أو ساعة أو يوماً (الثانية) من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمناً ولو مرة واحدة لانه يصدق عليه انه صحبه وان لم ينته الى الاشتهار به (الثالثة) من رآه صلى الله عليه وسلم بروية ولم تجالس ولم يمشه فهذا ألحق بالصحبة إلتحاقاً وان كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه ولكنها صحبة الحاقية حكيمه لشرف النبي صلى الله عليه وسلم لاستواء الكل في انطباع طلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم برويته إياهم أو رؤيتهم إياه مؤمنين بما جاء به وإن تفاوتت رتبهم رضوان الله عليهم وفي وصفنا إياهم بالابرار اشارة الى المذهب الراجح من أنهم عدول كلهم ولا يبحث عن عدالة أحد منهم لاني رواية ولا في شهادة والمراد مالم يظهر معارض كزنا ما عزو في قوله صلى الله عليه وسلم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» دليل على عدالتهم اذ لو لم يكونوا عدولا لما حصل الاهتداء بالاقتداء بهم . وعلى

الناس ذكر محاسنهم والكف عما جرى بينهم من الفتن ويجب حمل ذلك على اجتهادهم وظن كل فريق منهم أن ما صار اليه هو الواجب وأنه أرفق للدين وأوفق للمسلمين وكل مجتهد مأجور والله ولي الأمور ولهذا وصفهم بقوله ﴿معادن﴾ جمع معدن وهي المواضع التي يستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة وغيرها والمعدن الإقامة والمعدن مركز كل شيء ومنه حديث «فمن معادن العرب تساؤوني» قالوا نعم أي عن أصولها التي ينسبون اليها ويتفاخرون بها أي هم مستقر التقوى ومواضعها والتقوى لغة الحجز بين الشئيين وشرعا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتنال أمره واجتناب نهيه وأصل اتقى أو تقى لأنه من وقى وقاية فقلت الواو تاء وأدغمت التاء في التاء ﴿مع الأسرار﴾ البديعة والأحوال الرفيعة والسرما استودعته لاختيك وكرهت أن يطلع عليه أحداً وقد قال صلى الله عليه وسلم «المجالس بالامانة الاثلاثة مجالس سفك دم حرام وفرج حرام واقتطاع مال بغير حق» رواه أبو داود من حديث جابر مرفوعاً وأخرج الامام أحمد من حديث أبي الدرداء «من سمع من رجل حديثاً لا يشتهي أن يذكر عنه فهو أمانة وان لم يستكتمه» وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما يابني ان أمير المؤمنين يدنيك يعني عمر رضي الله عنه فاحفظ عني ثلاثاً لا تفتشين له سرّاً ولا تعتابن عنده أحداً ولا يطلعن منك على كذبة ولا شك ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا أعمق الناس أسراراً وأبرهم قلوباً وأعلاهم أنواراً

### تنبیہات

(الاول) كثير ما يجمع المصنفون في الصلاة بين الاكل والصحب ويعطفونهم عليهم مع شمول الاكل لهم في مقام الدعاء على المعتمد كما اختار القاضي أبو يعلى أحد أركان المذهب وقدمه المجد في شرحه والامام الموفق في المغني لرغم أنوف المبتدعة من الرافضة وأشباهم أذلم الله تعالى (الثاني) ذكر الحافظ أبو زرعة الرازي واسمه عبد الله ابن عبد الكريم شيخ الاسلام أبي الحسن مسلم ابن الحجاج ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون على مائة ألف قال البرماوي في شرح «الزهر البسام» هذا على الاصح في النقل عنه كما رواه ابن المديني في

ذيله على كتاب الصحابة وروي أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ممن روى عنه وسمع منه صلى الله عليه وسلم واستبعده البرماوي قلت قد جزم بهذا العدد الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى وذكره شيخنا الشهاب المنيني في نظمها بقوله

وصحبه أفضل خلق الله      بعد النبيين بلا اشتباه  
هم كالنجوم كلهم مجتهد      يا ويل أقوام بهم لم يهتدوا  
والفضل في ما بينهم مراتب      وعدهم للأنبياء يقارب

(الثالث) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل تجوز استقلالاً أم لا؟ قال الامام المحقق ابن القيم في (جلاء الافهام) هذه المسئلة على نوعين أحدهما أن يقال اللهم صل على آل محمد فهذا يجوز ويكون عليه الصلاة والسلام داخل في آله فالافراد عنه وقع لفظاً لا معنى الثاني أن يفرد واحد بالذكر كقوله اللهم صل على علي أو حسن أو أبي بكر أو غيرهم من الصحابة ومن بعدهم فكره ذلك الامام مالك قال لم يكن ذلك من عمل من مضى وهو مذهب أبي حنيفة وسفيان بن عيينة والثوري وبه قال طاوس وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تنبغي الصلاة الا على النبي ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز روى ابن أبي شيبة عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحم الله روحه: أما بعد فان ناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة وان من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء كتابي فرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعائهم للمسلمين عامة: وهذا مذهب الشافعية ولهم ثلاثة أوجه منع تحريم أو كراهة تنزيه أو من باب ترك الأولى حكاه النووي في الاذكار وقالت طائفة من العلماء تجوز الصلاة على غير النبي استقلالاً قال القاضي أبو يعلى من أئمة مذهبي في كتابه رءوس المسائل وبذلك قال الحسن البصري وخصيف ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان وكثير من أهل التفسير وهو قول الامام أحمد رضي الله عنه نص عليه في رواية أبي داود وقد سئل أينبغي أن لا يصلى على أحد الا على النبي صلى الله

عليه وسلم؟ قال: أليس قال علي لعمر صلى الله عليك؟ قال القاضي وبه قال اسحق بن راهويه وأبو ثور وابن جرير الطبري واحتجوا بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عن جماعة من أصحابه ممن كان يأتيه بالصدقة واختار الامام المحقق ابن القيم الجواز ما لم يتخذ شعاراً أو يخص به واحداً اذا ذكر دون غيره ولو كان أفضل منه كفعل الرافضة مع أمير المؤمنين علي وأهل بيته دون غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فيكره حينئذ ولو قيل بالتحريم لكان له وجه هذا ملخص كلامه والله أعلم

﴿وبعد فاعلم أن كل العلم كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي﴾

﴿لأنه العلم الذي لا ينبغي لعاقل لفهمه لم يتبع﴾

﴿وبعد﴾ الواو بدل عن أما النائية عن مها ولتضمنها معنى الشرط لزم إلقاء في جوابها وبعد من الظروف المبينة ما لم تضاف لفظاً ومعنى أو ينوي ثبوت لفظ المضاف إليها أو تقطع عن الإضافة رأساً فتعرب حينئذ في الثلاثة وإن حذف المضاف إليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم ويأتي بها للانتقال من أسلوب إلى غيره أي بعد بالبسمة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم ونقل الامام القاضي علاء الدين المرادوي الحنبلي في كتابه شرح التحرير أنه نقل إتيانه صلى الله عليه وسلم بأما بعد في خطبه ونحوها خمسة وثلاثون صحابياً واختلف في أول من نطق بها فقيل داود عليه السلام وعن الشعبي أنها فصل الخطاب الذي أوتيها لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد وقيل أول من نطق بها يعقوب وقيل أيوب وقيل سليمان عليهم السلام وقيل قس بن ساعدة الأيادي وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان وائل وعلى هذه الأقوال فصل الخطاب الذي أوتيها داود عليه السلام «البينة على المدعي واليمين على من أنكر» —والأول— وهو أول من تكلم به داود عليه السلام أشبه كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره ويمكن الجمع لكن نسبة أولية ذلك لسحبان وائل ساقط جداً نعم زعم بعض الناس أن سحبان



أول من نطق بها في الشعر حيث قال

لقد علم القوم اليمانون انني اذا قلت أما بعد اني خطيبها

وقد نظمت ذلك الشمس الميداني مع زيادة آدم عليه السلام فقال

جرى الخلف اما بعد من كان بادئاً بهاعد أقوالا وداود أقرب

ويعقوب أيوب الصبور وآدم وقس وسحبان وكعب ويعرب

﴿فاعلم﴾ الفاء في جواب الواو النائية عن اما لتضمنها معنى الشرط والعلم صفة

يميز المتصف بها بين الجواهر والاجسام والاعراض والواجب والممكن والمتنع

تميزاً جازماً مطابقاً ﴿ان كل العلم﴾ أي سائر العلوم الشرعية وكذا العقلية أنواعها

وتفارقها من أصولها وفروعها ﴿كالفرع﴾ لعلم ﴿التوحيد﴾ المتفرع عليه والناشي عنه

المنظور اليه والمقتبس منه ﴿فاسمع﴾ سماع فهم وعرفان وقبول وإذعان ﴿نظمي﴾

لأمهات مسائله ومهمات دلائله والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب

للاجعل فمعنى وحدت الله نسبت اليه الوحدانية لاجتماعه واحداً فان وحدانية الله

تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل قال في القاموس التوحيد ايمان بالله وحده انتهى أي

التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الخبر الدال على ان الله تعالى واحد

في ألوهيته لا شريك له والتصديق بذلك الخبران ينسبه الى الصدق ومطابقة الواقع

بالقلب واللسان معاً لاننا نعني بالتوحيد هنا الشرعي وهو افراد المعبود بالعبادة مع

اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالا فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته

الصفات ولا تنفك عن الذات ولا يدخل أفعاله الاشتراك فهو الخالق دون

من سواه وانما كانت العلوم كالفرع لعلم التوحيد لانه أشرف العبادات وأفضل

الطاعات وشرط في صحة كل عبادة وطاعة وشرط لقبول الاعمال اذ هو معرفة

ذي العظمة والجلال فمن لم يوحد المعبود فكل عمله مردود وانما سمي هذا العلم

بالتوحيد لانه أشهر مسائله وأشرفها ويسمى أيضاً بعلم الكلام لأن مباحثه

كانت معنونة في كتب القدماء بقولهم: الكلام في كذا: أولان أشهر مواضع الخلاف

فيه مسألة كلام الله تعالى حتى جرى ماجرى لائمة الدين بنزعة الشيطان للمخالفين

ولكون علم التوحيد أصل العلوم وأمس النجاة وسلم المعرفة للحي القيوم قلنا ﴿لانه﴾ أي

علم التوحيد ﴿العلم﴾ العظيم القدر الفخيم الامر ﴿الذي لا ينبغي﴾ أي لا يطلب ولا يحسن ولا يجمل لشخص بالغ ﴿عاقلاً﴾ من ذكر وأنثى من بنى آدم ﴿لفهمه﴾ أي لا ادراك صور معرفته في ذهنه واقتداره على الاتصاف بالعلم به ﴿لم يتبع﴾ أي لم يطلبه ويداب في تحصيله ليكون في ايمانه على بصيرة وفي عبادته على يقين ومعرفة منيرة. ويبين أهل الشك والريب والحيرة بل عليه أن يشمر عن ساق الجد والاجتهاد ويدأب في سائر أحواله لينال المراد ويبين أهل الفرقة والتقييد ويخلع من عنقه ربة التقليد.

### ﴿ فيعلم الواجب والمحال كجائز في حقه تعالى ﴾

﴿ فيعلم الواجب ﴾ أي يجب على كل مكلف شرعاً أن يعرف ما يجب لله تعالى وهو ما لا يتصور في العقل عدمه كوجوده تعالى ووجوب قدمه وقدم الواجب لشرفه اذ به يتصف الباري جل وعلا ولان بمعرفته يعرف قسيما ﴿و﴾ يعلم ﴿المحال﴾ وهو ما لا يتصور في العقل وجوده كالشريك له تعالى وألفه للاطلاق وقدمه على الجائز لانه كالبيسط للنسبة اليه ولانه المقابل للواجب ولاجل القافية كما يجب على كل مكلف أن يعلم لكل حكم ﴿جائز﴾ وهو ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه على السواء كارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع ونسخ بعضها ببعض الى سائر ما يجوز ﴿في حقه تعالى﴾ وتقدس ومثل ذلك لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيعرف الواجب في حقهم من الصدق والامانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه والمستحيل في حقهم من الخيانة وكتم شيء مما أمروا ببلاغه والجائز في حقهم من الأكل والشرب والنوم والنكاح والامراض الغير المزرية بمناصبهم العالية كما يأتي تفصيل ذلك في محاله ان شاء الله تعالى

- |                          |                              |
|--------------------------|------------------------------|
| ﴿ وصار من عادة أهل العلم | أن يعتنوا في سبر ذا بالنظم ﴾ |
| ﴿ لأنه يسهل للحفظ كما    | يروق من سمع ويشفي من ظم ﴾    |
| ﴿ فمن هنا نظمت لي عقيدة  | أرجوزة وجيزة مفيدة ﴾         |
| ﴿ نظمتها في سلكها مقدمة  | وستة ابواب كذلك خاتمة ﴾      |

﴿وصار﴾ في هذه الازمنة ومن قبلها في سائر الامصار بعد كثرة الخلاف وتباين الفرق وظهور البدع من قديم الاعصار ﴿من عادة أهل العلم﴾ بالسنة الدائنين في تحرير أدتها والقائمين بنشرها وتعليمها والوقوف على أصولها وتبين دقائق مجال الخلاف لخوف الزيغ والانحراف ﴿أن يعتنوا﴾ أي يقصدوا ويشتغلوا ويهتموا ﴿في سبر﴾ أي تتبع مهات مسائل ﴿ذا﴾ أي هذا العلم الذي هو علم التوحيد وضبط أمهات تفاصيله ﴿بالنظم﴾ لسهولة حفظه لانه كلام متسق مقفى موزون فيرسيخ في الحافظة من غير مز يد مشقة بخلاف المشور فانه أصعب رسوخاً في الحافظة كالا يخفى فمن ثم قلنا معالين للنظم ﴿لانه﴾ أي المنظوم المفهوم من النظم ﴿يسهل﴾ يقال سهل ككرم سهالة وسهولة وتسهيلاً لان ويسر ومن الارض ضد الحزن أي يسر ﴿للحفظ﴾ والعلوق في الحافظة ﴿كا﴾ انه ﴿بروق﴾ أي يحسن ويجمل ويلذ ﴿للسمع﴾ لكونه ينسط له ويلتذ بسماعه لتقفيته ووزنه ﴿ويشفي﴾ أي يبرىء ﴿من ظا﴾ أي من شدة عطش واشتياق الى معرفة أصول علم التوحيد ومهات مسائله والظماً مهموز العطش أو أشده وظمى اليه اشتاق وترك الهمز للوزن ﴿فن هنا﴾ أي من أجل ما ذكرنا من تمييز النظم على النثر ﴿نظمت﴾ النظم التأليف وضم شيء الى آخر يقال نظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً ألفه وجمعه ﴿لي﴾ ولمن كان مثلي واعتقاده اعتقادي على النحو الاثري ﴿عقيدة﴾ سفلية اثرية ﴿أرجوزة﴾ وزنها أفعولة كافحوسة أي مرجزة النظم من الرجز أحد بحور الشعر على الأرجح وجمعها أرجيز قال الشاعر «أبالأرجيز يا ابن اللوم توعدني» ﴿وجيزة﴾ أي قليلة من أوجز في كلامه اذا اختصره وقلة ﴿مفيدة﴾ أي مريحة لمن قرأها وتأمل معانيها حق التأمل ﴿نظمتها﴾ أي نظمت مسائلها ومهاتما ﴿يفي سلكها﴾ أي خيظها قال في القاموس السلكتة بالكسر الخيط يخيظ بها والجمع سلك وجمع الجمع أسلاك ﴿مقدمه﴾ بكسر الدال المهملة على الافصح اسم فاعل من قدم بمعنى تقدم ومنه «لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» أي لا تقدموا عليه ومقدمة العلم ما يتوقف الشروع فيه عليها كمعرفة حده ورسمه وموضوعه وغاية المقصود منه ومقدمة الكتاب تقال لطائفة من كلامه قدمت امام المقصود منه لارتباط له بها

وانتفاع بها فيه ﴿وستة أبواب﴾ جمع باب وهو فرجة في سائر يتوصل بها من خارج الى داخل ومن داخل خارج وفي العرف اسم لطائفة من العلم يشتمل على فصول وفروع ومسائل غالباً ﴿كذلك﴾ أي كما انه يشتمل على مقدمة وستة أبواب يشتمل على ﴿خاتمة﴾ وهي في اللغة عاقبة الشيء وأخرته وهنا من هذا القبيل ما يأتي بها المصنف أو الناظم في آخر كتابه أو في آخر بحث أو مسألة لتعاطها بما تقدمها في الجملة هذه فهرست ما ذكرنا (المقدمة) في ترجيح مذهب السلف على غيره (الباب الاول) في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك (الثاني) في الافعال (الثالث) في الاحكام والكلام على الايمان ومتعلقات ذلك (الرابع) في بعض السمعيات من الحشر والنشر واشراط الساعة ونحو ذلك (الخامس) في النبوات ومتعلقاتها (والخاتمة) في فوائدها وفرائدها لانه لا يسع الجهول بها واستمر بك باباً باباً ان شاء الله تعالى ولما نظمت هذه العقيدة الاثرية

﴿وسميتها بالدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية﴾

﴿على اعتقاد ذي السداد الحنبلي امام أهل الحق ذي القدر العلي﴾

﴿حبر الملا فرد العلا الرباني رب الحجى ماحي الدجى الشيباني﴾

﴿وسميتها﴾ من السمة وهي العلامة أي سميتها يعني عقيدتي التي نظمتها في التوحيد ﴿بالدرة﴾ بضم الدال المهملة المشددة وفتح الراء المشددة أيضاً اللؤلؤة العظيمة والجمع در ودرر ودرات ﴿المضية﴾ أي المنورة من الاضائة يقال ضاءت وأضاءت بمعنى يعني استنارت فصارت مضيئة ﴿في عقد﴾ أي اعتقاد أهل الفرقة أي الطائفة ﴿المرضية﴾ في اعتقادها المأثور عن منبع الهدى وينبوع النور يأتي الكلام عليها قريباً ﴿على اعتقاد﴾ متعلق بنظمت والاعتقاد هو حكم الذهن الجازم فان كان موافقاً للواقع فهو صحيح والا فهو فاسد والحاصل ان كل معنى عبر عنه الانسان بكلام خبري من اثبات أو نفي تخيله أو لفظ به إما ان يحتمل متعلقه النقيض بوجه من الوجوه أولاً الثاني العلم والاول امان ان يحتمل النقيض عندالذكار لو قدره أولاً الثاني الاعتقاد فان طابق هذا الاعتقاد لما في نفس الامر فهو اعتقاد صحيح

وان لم يطابق ما في نفس الامر فهو اعتقاد فاسد والاول وهو الذي يحتمل النقيض عند الذكاء لو قدره الراجح منه ظن والمرجوح وهم المساوي شك وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ﴿ذي﴾ أي صاحب ﴿السداد﴾ بفتح السين المهملة المشددة فردا بين مهملتين بينهما الف القصد في الدين والسبيل قال في القاموس والسداد الاستقامة كالسداد يعني بالفتح وأما سداد القارورة والثغر فبالكسر فقط وسداد من عوز وعيش لا يسد به الخلة وقد يفتح أولحن اه وقد جزم النضر بن شميل وجمع بلحن من ففتح سداد في قوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس وأمير المؤمنين علي رضي الله عنهما «اذ اتزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» وفيه حكاية مشهورة والمراد بذي السداد هو الامام الامجد إمامنا أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان بفتح المهملة وتشديد التحية وبعد الالف نون بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بكسر الهاء واسكان النون وبعدها موحدة بن أفضى بالفاء والصاد المهملة بن دعوى بن جديلة بن أسدين ربعة بن نزار بن معد بن عدنان الامام المروزي ثم البغدادي ﴿الحنبلي﴾ نسبة الى جده أبي أيه حنبل ﴿امام أهل الحق﴾ الذين هم الفرقة اللاحية لاقتنائهم المأثور عن منبع الهدى ومعدن الخيرات وينبوع النور ﴿ذي﴾ صاحب ﴿القدر﴾ أي المقدر ﴿العلي﴾ أي المرتفع السامي لكثرة فضائله وتوفر محامده ومناقبه وآثاره في الاسلام المشهورة ومقاماته في الدين المذكورة فقد انتشر ذكره في البلاد وعم نفعه العباد قال الامام اسحق بن راهويه: الامام أحمد بن حنبل حجة بين الله تبارك وتعالى وبين عبده في أرضه وقال الامام الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت فيها أحدا أتقى ولا أروع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل وقال أحمد بن سعيد الدارمي ما رأيت أسود رأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقته معانيه من أبي عبد الله أحمد ابن حنبل ومن ثم قلت ﴿حبر الملائكة﴾ بفتح الحاء المهملة وكسرها وسكون الموحدة العالم والصالح والملا بفتح الميم واللام مهموز أشرف الناس وجماعتهم وذوو الشارة منهم ﴿فرد﴾ أي واحد صاحب الخصال ﴿العلاء﴾

أي المرتفعة السامية بأوصافها الجميلة ونعوتها الفضيلة ﴿الرباني﴾ أي العالم العامل المعلم للعلم غيره وهو منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو الشديد التمسك بدين الله تعالى وطاعته وعن المبرد أنه منسوب إلى ربان الذي يربي الناس بالتعليم وقال الصوفية هو الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني وفي البخاري الرباني الذي يربي بصغار العلم قبل كباره وقال بعضهم الرباني من أفيضت عليه المعارف الإلهية فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه ورأيتني كاتباً في كتابي (القول العلمي في شرح حديث سيدنا أمير المؤمنين علي) عند قوله رضي الله عنه «الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق» ما لفظه: العالم الرباني وهو الذي لازيادة على فضله لفاضل ولا منزلة فوق منزلته لكامل قال ابن عباس رضي الله عنهما الرباني هو المعلم أخذه من التربية أي يربي الناس بالعلم كما يربي الطفل أبوه وقال سعيد بن جبير هو الفقيه العليم الخبير وقال سيبويه زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب كما قالوا شعراني وحياني لعظيم الشعر والحية وقال أبو نعيم الزاهد سألت ثعلباً عن هذا الحرف وهو الرباني فقال سألت ابن الأعرابي فقال إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قيل له هذا رباني فإن حرم خصلة منها لم يقل له رباني وفي (مفتاح دار السعادة) للامام المحقق ابن القيم معنى الرباني الرفيع الدرجة في العلم العالي المنزلة فيه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار) انتهى والله أعلم ﴿رب﴾ أي صاحب ﴿الحجبي﴾ كلى العقل والفضة والمقدار العالي كان سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه أربعة من الرجال حسن الوجه حسن الهيئة لا يخوض في شيء من أمور الناس ذاقوا وسكينة من أحياء الناس وأكرمهم نفساً وأحسنهم عشرة وأدباً كثير الإطراق وغض البصر معرضاً عن اللغو لا يسمع منه إلا المذكرة بالحديث وذكر الصالحين قال الامام الحافظ أبو داود كانت مجالس الامام أحمد مجالس آخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا قال وما سمعته ذكر الدنيا قط وقال ثعلب في صفته رأيت رجلاً كأن النار توقدين عينيه وقال عبد الملك الميموني ما أعلم اني رأيت أحداً أنضر ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في ثيابه وشعر رأسه وبدنه من الامام أحمد بن حنبل وكان يحب الفقراء

ويعرض عن أهل الدنيا وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ يحب في الله ويبغض في الله ويحب لمن أحبه وما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها لا تأخذه في الله لومة لائم حسن الجوار يؤذى فيتحمل وكان أصبر الناس على الوحدة فكان لا يرى الا في مسجد أو جنازة أو عيادة مريض ويكره المشي في الاسواق وكان يقول الخلوّة أروح لقلبي وكان يقال كان ابن مسعود رضي الله عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا وكان أشبه الناس بهدي عبد الله وسمته علقمة بن قيس وكان أشبه الناس بعلقمة إبراهيم النخعي وكان أشبهه الناس بإبراهيم منصور ابن المعتز وكان أشبهه الناس بمنصور سفيان الثوري وكان أشبهه الناس بسفيان وكيع بن الجراح قال محمد بن يونس وكان أشبهه الناس بوكيع الامام أحمد بن حنبل رضوان الله عليهم أجمعين وكان الامام أحمد رضي الله عنه يخضب بالحناء خضبا ليس بالقاني. وأعلم انه لاشبهة عند أئمة الدين بأن سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه امام السنة والصابر في المحنة (ماحي) بنور السنة وإضاءة المتابعة وسنا الوراثة المحمدية أي مذهب أثر (الدجى) أي مظلمة البدعة يقال دجا الليل دجوا ودجوا أظلم كأدجى وتدجى وليلة داجية أي مظلمة ودياجي الليل أي حنادسه فان امامنا وسيدنا الامام أحمد رضي الله عنه كسر سورة أهل البدع وقل جمعهم ورد كيدهم في صدورهم وأبقى شجاهم في نحورهم (الشيباني) نسبة الى أحد أجداده شيبان المذكور في نسبه فالامام أحمد رضي الله عنه من صريح ولد اسماعيل ومن صميم العرب وكان أبو الامام أحمد والي سرخس من أبناء الدعوة العباسية وتوفي وله ثلاثون سنة سنة تسع وسبعين ومائة وللإمام أحمد نحو خمس عشرة سنة فان أمه حملت به بمرور قدمت بغداد وهي حامل به فوضعت بها ووليت أمه واسمها صفية وهي شيبانية أيضا فانها صفية بنت ميمون بن عبد الله الشيباني من بني عامر نزل أبوه بهم فتزوجها وجدها عبد الملك ابن سواده بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان تنزل به قبائل العرب للضيافة فحاز إمامنا رضي الله عنه شرف النسيب وكل له بأصله تمام الشرفين

فانه امام أهل الأثر فمن نحا منحاه فهو الأثرى

﴿فانه﴾ أي الامام أحمد رضي الله عنه ﴿امام﴾ وقدوة ﴿أهل﴾ أي أصحاب ﴿الأثر﴾ يعني الذين انما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في كتابه أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين الفخام دون زبالات أهل الأهواء والبدع. ونخالات أصحاب الآراء والبشع ﴿من﴾ أي انسان من هذه الأمة ﴿نحا﴾ أي قصد ويمم ﴿منحاه﴾ أي مقصده ومذهبه وسار بسيرته من اتباع الاخبار واقتفاء الآثار ﴿فهو﴾ أي ذلك الذاهب مذهب الامام أحمد ﴿الأثري﴾ أي المنسوب الى العقيدة الأثرية والفرقة السلفية المرضية ويعرف أيضاً بمذهب السلف وهو مذهب سلف الامة وجميع الأئمة المعبرين المقلدين في أحكام الدين وقد قال الامام علي بن المديني وهو شيخ الامام أحمد وشيخ الشافعي وشيخ البخاري وغيرهم اتخذت أحداً ما ما فينا وبين الله تعالى وقال اذا أفناني أحمد بن حنبل لم أبال اذا لقيت ربي كيف كان وقال: أحمد سيدنا حفظ الله أحمد هو اليوم حجة الله على خلقه وقال ان الله تعالى أعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة وقد قال قتبية وأبو حاتم اذا رأيت الرجل يحب الامام أحمد بن حنبل فاعلم انه صاحب سنة وقال ابن ما كولا الامام أحمد هو امام النقل وعلم الزهد والورع وقال غير واحد من أئمة الدين الامام أحمد امام أهل السنة وفي قصيدة اسمعيل بن فلان الترمذي

لمعرك ما يهوى لأحمد نكبةً  
هو المحنة اليوم الذي يبئلي به  
قنا أعين المراق فعل ابن حنبل  
وقال أبو مزاحم الخاقاني

لقد صار في الآفاق أحمد محنةً  
وقال ابن أعين رحمه الله تعالى

أضحى ابن حنبل حجة مبرورة  
وإذا رأيت لأحمد منتقفاً  
ومحب أحمد يعرف المتنك  
فاعلم بأن ستوره ستهتك



وعلى كل حال الامام أحمد هو امام أهل السنة بلا محال فهو المبيض وجه السنة النافض عن وجهها غبار البدعة فكل سني أثري فهو امامه. فان قلت اذا كان مذهب السلف هو ما عليه الاثمة جميعاً تبعاً للتابعين والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وهو الذي كان عليه سيد المرسلين وخاتم النبيين فكيف ينسب هذا المذهب للامام أحمد دون من تقدمه من أئمة الدين قلت الامر كما ذكرت والحق كما استخبرت وهذه المقالة هي الشريعة الغراء ومقالة أهل الفرقة الناجية بلا محالة ولا يرتاب ذولب لبيب ورأي صحيح مصيب انها هي التي كان عليها النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم وأصحابه أهل الاصابة والتصويب والتابعين لهم باحسان من أهل التفضيل والتبويب ولكن لما كان في المائة الثالثة اشرايت الفتن واستعلنت البدع والحنن وقامت دولة أهل الابتداع على ساق وأعلن بقواعد أهل الاعترال ذوو الضغائن والنفاق وساعدتم على ذلك أئمة الجور والخلفاء الفساق قام الامام أحمد كالنمر الهصور لابل كالبحر الطامي والربال الجسور فرد كيدهم في نحورهم وألقى بلا بلهم في صدورهم قفمع مقاتلهم وزيفها عليهم وبين فسادهم بكل حال فردهم على أعقابهم خائبين لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال فلا جرم نسب المذهب اليه لانه المقصود اذ ذلك بالذات والمعول عليه فانه هو الذي انتصر للحق ونصره وشدخ رأس أهل البدع وهصره وبين الصحيح من الفاسد والغث من السمين والحق من الباطل والصدق من المين فلما كان الامام أحمد رضي الله تعالى عنه هو الذي فل مضاربتهم وبين معايبهم وكشف عن زيفهم ودحض تلوينهم وتحريفهم وانتصر لما كان عليه السلف من الإثبات بلا تمثيل ومن التزويه بلا تعطيل ومرور الآيات المتشابهات بلا تأويل ودعا الى هذه المقالة وأقام عليها كل برهان ودلالة نسبت له المقالة وصار امام أهلها في كل حالة وألف كتابه في الرد على الجهمية والزنادقة وهذا الكتاب رواه عنه الخلال من طريق ابنه عبد الله وذكره كله في كتاب السنة الذي جمع فيه نصوص الامام أحمد وكلامه وعلى منوال كتاب الخلال «السنة» جمع البيهقي كتابه الذي سماه «جامع النصوص» من كلام الشافعي

وخطبة كتاب الامام أحمد (الرد على الجهمية) الحمد لله الذي جعل في كل  
 زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون  
 منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم  
 من قليل لا بليس قد أحيوه وكم من ضال تائه هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما  
 أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين  
 وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في  
 الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله  
 وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون الجهال بما يشبهون  
 عليهم فتعوز بالله من قن المضلين «ثم ساق الكتاب قد قرأناه ورويناه عن علماء  
 معتبرين وفضلاء راسخين والله ولي المتقين وقد ذكر كتاب الامام أحمد هذا أئمة  
 المذهب قال الخلال كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من  
 خط أبيه الامام أحمد رضي الله عنه واحتج القاضي أبو يعلى في كتابه (ابطال التأويل)  
 بما نقله منه عن الامام أحمد وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن الامام  
 أحمد ونقل منه أصحابه قديماً وحديثاً ونقل منه الامام الحافظ البيهقي وعزاه الى  
 الامام أحمد وصحح هذا الكتاب شيخ الاسلام بن تيمية عن الامام أحمد  
 واعتمده الامام المحقق ابن القيم في جل تأليفه وصححه في كتابه (الجبوش الاسلامية)  
 وقال لم يسمع من أحد من متقدمي أصحاب الامام أحمد ولا متأخريهم طعن فيه  
 والله أعلم فلما انتصر الامام أحمد رضي الله عنه للسنة السنية والفرقة الناجية  
 المرضية وقمع أهل البدع وزيف مقالاتهم وأدحض بدعتهم وأظهر ضلالتهم  
 صار هو علم السنة وامامها وصاحبها وحليلها ومقدمها حتى ان الامام أبالحسن علي  
 ابن اسمعيل الأشعري امام الطائفة الأشعرية اتسب الى الامام أحمد ورأى اتباعه  
 على عقيدته هو المنهج الاحمد قال في كتابه (الابانة في اصول الديانة) لما أنكر قول  
 المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فان قال قائل: «فعرفونا  
 قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به تقول وديانتنا  
 التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روي عن

الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائعين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى ولد سيدنا وقدوتنا وامامنا الامام أحمد رضي الله عنه في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ومائة ببغداد وتوفي نهار الجمعة من شهر ربيع الاول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه سنة احدى وأربعين ومائتين وغسله المروزي وأدرج في ثلاث لفائف وحرر من صلى عليه بمائة الف الف وعلى السور ستون ألفاً سوى من كان في السفن وكان الامام أحمد رضي الله عنه يقول قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز وأسلم من اليهود والنصارى والمجوس يوم موته عشرون ألفاً وناحت الجن عليه وهتفت بموته الهواتف قال أبو زرعة كان يقال عندنا بخراسان الجن نعت أحمد بن حنبل قبل موته وسمعوا قائلاً يقول مات رجل بالعراق فذهبت الجن كلها يصلي عليه الامردة وقد رثي بقصائد جمّة ودفن ببغداد بباب حرب

﴿سقى ضريحاً حله صوب الرضا والعفو والرضوان ما نجم أضاء﴾  
 ﴿وحله وسائر الائمة منازل الرضوان أعلى الجنة﴾

﴿سقى ضريحاً﴾ أي قبراً وفي حديث دفن النبي صلى الله عليه وسلم «يرسل الى اللاحد والضارح فأيهما سبق تركناه» قال في النهاية الضارح هو الذي يعمل الضريح وهو القبر فعيل بمعنى مفعول من الضرح وهو الشق في الارض ومنه في خبر سطيح أوفى على الضريح ﴿حله﴾ أي سكنه الامام أحمد ونزل به يقال حل المسكن وبه يحل ويحل نزل به كاحتله وبه فهو حال ﴿صوب﴾ فاعل سقى وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو فموحدة كالصيب انصباب الغيث واراقتة ومجى السماء بالمطر أي غيث ﴿الرضي﴾ واراقتة على قبره وانصبابه على ضريحه أي رضوان الله ورحمته وجوده وبركته ﴿و﴾ سقى ضريحاً حله الامام أحمد صوب ﴿العفو﴾ من الله والصفح

﴿والغفران﴾ بضم الغين المعجمة وسكون الفاء فراء فنون قبله الف اسم من الغفر وهو السر والتغطية يقال غفر الله له ذنبه مغفرة وغفرانا غطى عليه وعفى عنه ومن أسماه تعالى الغفار والغفور وهما من أبنية المبالغة ومعناها السائر لذنوب عباده وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم والمغفرة لباس الله تعالى العفو للمذنبين ولا يزال رضوان الله ورحمته وعفوه ومغفرته نازلة على ضريح الامام أحمد رضي الله عنه ومتواصلة ومستمرة ﴿مانجم﴾ أي كوكب من نجوم السماء ﴿أضأ﴾ أي استنار يقال ضاء واضأ بمعنى استنار وصار مضيئاً أي مدة دوام استنارة الكواكب في كبد السماء وفيه من المناسبة أنه تشبه بالنجوم العلماء بجماع الانارة والهداية في الظلماء ﴿وحله﴾ الله سبحانه أي أحل الامام أحمد بن حنبل رضوان الله عليه ﴿و﴾ أحل ﴿سائر﴾ أي بقية ﴿الائمة﴾ من علماء الامة وأعلام الائمة من الاربعة المتبوعة مذاهبهم وغيرهم من أئمة الدين وأعلام المسلمين الذين بذلوا جهدهم في نشر السنة وتدوين الشريعة على الطريقة المرضية الحسنة ﴿منازل الرضوان﴾ من الرحيم الرحمن الكرم المنان ﴿أعلا الجنة﴾ أي الدرجات العالية من الجنان على حسب مقاماتهم الشائخة ومناصبهم الباذخة فلهم الفضيلة بالسبق والاجتهاد وبذل النصيح وارشاد العباد وعلى الذين جاؤا من بعدهم على ممر الزمان أن يقولوا «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان» فرضوان الله ورحمته وعفوه وصفحه وغفرانه وبركته عليهم ولهم ماتعاقب الملوان وكر الجديدان والله ولي الاحسان

## فوائد

تقدمها امام المقصود لا يستغنى عن معرفتها في هذا الفن ليكون الطالب لنيل هذه المطالب على بصيرة (الاولى) لا بد لكل طالب علم أن يتصوره ما يحده أو رسمه ليكون على بصيرة في طلبه وأن يعرف موضوعه ليمتاز عنده عما سواه مزيد امتياز فان العلوم إنما يتميز بعضها عن بعض بامتياز الموضوعات وأن يصدق بغاية ما كماله والا كان طلبه واجتهاده عبثاً ولا بد أن يكون معتداً بها بالنظر لمشقة التحصيل والا فربما فترجده وأن تكون مترتبة على ذلك الشيء المطلوب والا فربما زال

اعتقادها بعد الشروع فيه فيصير سعيه في تحصيله عبثاً في نظره (٥) فإذا علمت هذا (فخذ) هذا العلم المسمى بأصول الدين وبعلم العقائد وبعلم التوحيد وبعلم الكلام العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية أي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية والمراد بالعقائد الدينية المنسوبة إلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا وسواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أو لا ككلام المخالف واعتبر في أدلتها اليقين لأنه لا عبرة بالظن في هذا العلم بل في العمليات وخرج عن التعريف العلم بغير الشرعيات وبالشرعيات الفرعية وعلم الله تعالى والمملك وعلم الرسول عليه الصلاة والسلام بالاعتقادات ودخل علم علماء الصحابة بذلك فإنه كلام وأصول وعقائد وإن لم يكن يسمى في ذلك الزمان بهذا الاسم حيث كان متعلقاً بجميع العقائد بقدر الطاقة البشرية مكتسباً من النظر في الأدلة اليقينية أو كان ملكة تتعلق بها بأن يكون عندهم من المآخذ والشرايط ما يكفيهم في استحضار العقائد على ما هو المراد بقولنا العلم بالعقائد من الأدلة وموضوع كل علم شرعياً كان أو عقلياً ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية (موضوع) هذا العلم البحث عن أحوال الصانع سبحانه من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها من صفاته وأفعاله الاختيارية وكذلك ما يبحث عن الجوهر والاعراض والاجسام والحدوث والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك مما لا يجوز عليه تعالى (وغاياته) أن يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متقناً محكماً لا تزلله شبه المبطلين فيرتقي من حضيض التقليد إلى ذروة الايقان بسبب التمكّن من الاستدلال ومن فوائده أيضاً إرشاد الطالبين وإلزام المعاندين باقامة الحجج والبراهين ونقض غبار شبه الخصوم عن قواعد الدين وصحة النية والاعتقادات الاسلامية التي يقع بها العمل في حيز القبول (وثمره) جميع ذلك الفوز بسعادة الدارين والظفر بما هو كمال في الكونين

(٥) يذكّر المصنف في هذه الفوائد حد علم التوحيد وموضوعه وغاياته الخ وقد رأى القاري أنه قد تقدم له في مقدمة الشرح مثل هذا وكذلك تقدم ذكر عبارة الابانة للشيخ أبي الحسن الأشعري وقد أعادها في الصفحة الماضية

ففي الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في إبقاء النوع الإنساني على وجه لا يؤدي إلى الفساد وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (ومسائله) القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية (واستمداده) من الكتاب والسنة والاجماع والنظر الصحيح

(الفائدة الثانية) مما ينبغي أن يعلم أن القواعد الكلامية ما رتبت هذا الترتيب وبوبت هذا التبويب لتؤخذ منها الاعتقادات الإسلامية والقواعد الدينية بل المقصود منها ليس الادفع شبه الخصوم ودحض منهج أهل البدع والضلال فانهم طعنوا في بعض منها بأنه غير معقول فبين علماء السنة بأن زعمهم على غاية من الغلط والذهول فان الأنبياء تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها ثم بين لهم علماء السنة بالقواعد الكلامية معقولة ما أنكروا وزيفوا عليهم من بدعهم الفضيحة ونزغاتهم الشنيعة ما ابتكروا وانما أخذ أهل الاعتقادات واعتمدوا من المعتقدات على ما جاءت به النصوص الصريحة والاخبار الصحيحة ودرج عليه سلف الأمة ومنهج إليه أعلام الأئمة من الرعيل الأول ومن عليهم دون سواهم المعول

(الثالثة) أول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الأرجاء وبدعة التشيع والخوارج وهذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون وقد أنكروا على أهلها كما سيأتي بيان ذلك ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على النهج الأول ولزوم ظاهرها السنة وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم إلى ان حدثت الفتن بين المسلمين والبغى على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والاهواء وكثرت المسائل والواقعات والرجوع إلى العلماء في المهمات فاشتغلوا بالنظر والاستدلال واستنباط النتائج وتمهيد القواعد وانتاج القضايا والفوائد وأخذوا في التبويب والتفصيل والترتيب والتأصيل فأُسست فرقة المعتزلة قواعداً للخلاف ومنهجاً للفرقة والانحراف وكان أول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصري وأصل بن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة قال شيخ الإسلام ابن تيمية كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق المي وهو أول خلاف حدث في الأمة هل هو كافر أو مؤمن فقالت الخوارج انه كافر وقالت الجماعة انه مؤمن وقالت طائفة تقول انه فاسق لا مؤمن ولا كافر منزلة بين

منزلتين وخذوه في النار فقال الحسن البصري رضي الله عنه اعتزلوا عنا فاعتزلوا حلقة الحسن وأصحابه فسموا معتزلة وسموا هم أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي على الله تعالى ونفي الصفات القديمة عنه وقال بعض العلماء وقف على مجلس الحسن البصري رجل فقال يا امام ظهر في هذا الزمان جماعة يكفرون صاحب الكبيرة يعني بهم الخوارج وجماعة يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة يعني بهم المرجئة فما تعتقده من ذلك فأطرق الحسن مفكراً في الصواب فبادره واصل بن عطاء بالجواب فقال أنا لأقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً وقام الى اسطوانة في المسجد يقرر مذهبه ويثبت المنزلة بين المنزلتين ويقول الناس ثلاثة مؤمن وكافر ولا مؤمن ولا كافر وهو صاحب الكبيرة اذا مات بلا توبة فقال له الحسن اعتزل عنا واصل فسموا المعتزلة لذلك . ورفيق واصل في الاعتزال وقرينه عمرو بن عبيد المتكلم الزاهد وكان من العلم والعمل والزهد والورع والديانة على جانب عظيم حتى ان الحسن البصري لما سئل عنه اجاب السائل لقد سألته عن رجل كان الملائكة أدبته وكان الانبياء ربه ان قام بأمر قعده وان قعد بأمر قام به وان أمر بشيء كان ألزم الناس له وان نهى عن شيء كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن ولا باطناً أشبه بظاهر منه انتهى و يروى ان واصل بن عطاء تكلم مرة بكلام فقال عمرو بن عبيد لو بعث نبياً كان يتكلم بأحسن من هذا وفصاحة واصل مشهورة وكان يلثغ بالراء فكان يجتنبها حتى كأنها ليست من الحروف ثم خلفه الجبائي وكان الأشعري امام الطائفة الأشعرية من أصحابه ثم فارقه لما ظهر له فساد مذهبه كما هو مشهور والله أعلم

(الرابعة) أهل السنة والجماعة ثلاث فرق الاثرية وامامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه والأشعرية وامامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله والماتريدية وامامهم أبو منصور الماتريدي وأما فرق الضلال فكثيرة جداً وهذا أوان الشروع في المقصود وبالله التوفيق

## المقدمة

في ترجيح مذهب السلف على غيره من سائر المذاهب

وقد قدما ما يفيد أنه مذهب السلف هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ومن بعدهم أئمة الدين والديانة والمعرفة والصيانة والسنة والأمانة وإنما نسب لإمامنا الامام أحمد رضي الله عنه لأنه انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما انتهى إلى غيره وابتلي بالحننة والرد على أهل البدع أكثر من غيره فصار اماماً في السنة أظهر من غيره ولهذا قال بعض شيوخ المغاربة المذهب لمالك والشافعي وغيرهما من الأئمة والظهور للإمام أحمد بن حنبل فالذي عليه أحمد عليه جميع الأئمة وإن زاد بعضهم على بعض في العلم والبيان واظهار الحق ودفع الباطل

﴿ اعلم هديت أنه جاء الخبر عن النبي المقتفى خير البشر ﴾  
 ﴿ بان ذي الأئمة سوف تفترق بضعا وسبعين اعتقاداً والحق ﴾  
 ﴿ ما كان في نهج النبي المصطفى وصحبه من غير زيغ وجفا ﴾

﴿ اعلم ﴾ فعل أمر من العلم وهو حكم الذهن العاجز المطابق للواقع أي كن متهيئاً ومتفهماً لإدراك ما يلقي اليك من العلوم وما في ضمن المشور من كلامي والمنظوم ﴿ هديت ﴾ جملة معترضة دعائية من الهداية وهي الدلالة والمراد بها هنا الدلالة الموصلة إلى المطلوب بقريته المقام ﴿ أنه ﴾ أي الشأن والأمر ﴿ جاء الخبر ﴾ يعني الحديث المعول عليه في القديم والحديث ﴿ عن النبي ﴾ المصطفى والخبيب ﴿ المقتفى ﴾ أي المختص المتبع ومن أسماؤه صلى الله عليه وسلم المقتفى قال في النهاية هو المولى الذاهب وقد قفى يقفي فهو مقف يعني أنه آخر الانبياء المتبع لهم فإذا قفى فلا نبي بعده انتهى وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه ( زاد المعاد في هدي خير العباد ) المقتفى الذي قفى على آثار من تقدمه من الرسل قفى الله به على آثار من سبقه منهم وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه إذا أخر عنه ﴿ خير البشر ﴾ بل خير جميع الخلق من الأنس والجن والملائكة فهو سيد العالم وشفوة نبي آدم



وأفضل خلق الله وخير مخلوقات الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿بأن ذي﴾  
 أي هذه ﴿الأمة﴾ المحمدية والملة الأحمدية ﴿سوف﴾ أي س ﴿تفترق﴾ فيما بعد ﴿بضعاً﴾  
 أي الى بضع ﴿وسبعين﴾ فرقة والبضع في العدد بالكسر وقد تفتح ما بين الثلاث الى  
 التسع وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع فلا يقال بضع وعشرون أو يقال ذلك  
 لما في القاموس وعلى هذا القول جرينا في النظم فيقال بضعة وعشرون رجلاً وبضع  
 وعشرون امرأة ولا يعكس ﴿اعتقاداً﴾ أي إقتراقهم لاجل الاعتقاد فهو مفعول  
 لأجله وهي ضالة منحرفة عن الصراط المستقيم والتهج القويم ﴿و﴾ انما ﴿المحق﴾ من  
 جميعها طائفة واحدة وهي ﴿ما كان﴾ سيرها واعتقادها ونهجها واعتقادها ﴿في نهج﴾  
 أي منهج ﴿الذي المصطفى﴾ أي صفوة خلق الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال  
 ان من أسماه صلى الله عليه وسلم المصطفى وهو مشهور ملهوج به وهو صادق عليه  
 ولا نق به قال القاضي عياض في الشفا بعد أن ذكر المأثور من أسماه مالفظة وجرى  
 منها أي القاب وسماته في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله  
 واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى وبالمتبى وبالطيب والله أعلم ﴿و﴾  
 من كان منهم في نهج ﴿صحبه﴾ رضوان الله عليهم أي من كان على منهاجهم وسار  
 بسيرهم من اقتفاء الرسول في اتباع المنقول ﴿من غير زيغ﴾ أي من غير ميل  
 والانحراف ولا شك ولا انصراف ﴿و﴾ من غير ﴿جفا﴾ بالجيم أي من غير تجاف  
 عن هديهم وازالة عن نهجهم والجفاء نقيض الصلة ويقصر ويصح أن يقرأ بالخاء  
 المعجمة ويكون المعنى من غير ميل ولا كتم وستر والخافية ضد العلانية والمشار  
 اليه في البيتين هو ما رواه سيدنا الامام أحمد من حديث معاوية رضي الله عنه قال  
 قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «الان من قبلكم من أهل الكتاب  
 افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان  
 وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة» ورواه أبو داود وزاد فيه «وانه سيخرج  
 في أمي أقوام تتجاري بهم الاهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه لا يبقى منه  
 عرق ولا مفصل الا دخله» قوله الكلب بفتح اللام قال الخطابي هو داء يعرض  
 للانسان من عضه الكلب قال وعلامة ذلك في الكلب أن تحمر عيناه ولا يزال

يدخل ذنبه بين رجليه فاذا رأى انساناً ساوره وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال «ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة» فقيل من هم يارسول الله يعني الفرقة الناجية؟ فقال «هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وفي رواية «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهي ما كان على ما أنا عليه وأصحابي» قال بعض العلماء هم يعني الفرقة الناجية أهل الحديث يعني الاثرية والاشعرية والماتريدية قلت ولفظ الحديث يعني قوله الا فرقة واحدة ينافي التعدد ولذا قال

﴿وليس هذا النص جزماً يعتبر في فرقة الاعلى أهل الاثر﴾

﴿وليس هذا النص﴾ المذكور عن منبع النور ومصباح الديجور ﴿جزماً﴾ يحتمل المصدرية أي أجزم به جزماً أو انه مفعول لاجله أي من جهة الجزم واليقين ﴿يعتبر﴾ أي يستدل به ويوافق ﴿في فرقة﴾ أي لا ينطبق ويصدق على فرقة من الثلاث وسبعين فرقة ﴿الاعلى﴾ فرقة ﴿أهل الاثر﴾ وما عداهم من سائر الفرق قد حكوا العقول وخالفوا المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم والواجب أن يتلقى بالقبول فاني يصدق عليهم الخبر أو يطلق عليهم الاثر

❦ تنبيهات ❦

الاول قال بعض أهل العلم أهل البدع خمسة يعني من جهة أصولها ثم كل تشعب وتفرق فرقاً شتى أحدها المعتزلة القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم وينفون رؤية الله تعالى في الآخرة ويقولون بوجود الثواب والعقاب والصلاح والاصلاح على الله ومن أصول المعتزلة القول بالعدل وثبوت المنزلة بين المنزلتين والتوحيد يعني نفي الصفات كما تقدم وهم عشرون فرقة يضلل بعضهم بعضاً

(أحدها) الواصلية اتباع واصل ابن عطاء قالوا بجميع ما ذكر وخطأوا أحد الفريقين من عثمان رضي الله عنه ومقاتليه وجوزوا أن يكون سيدنا عثمان رضي الله عنه بين الكفر والايمان وخلدوه في النار وكذا علي ومقاتلوه وحكموا بأن طلحة والزبير وعلياً رضي الله عنهم بعد وقعة الجمل لو شهدوا على حبة لم تقبل شهادتهم كالمبتلعين (الثانية) العمرية مثلهم الا أنهم فسقوا كلا الفريقين

(الثالثة) لهذليه أصحاب أبي الهذيل العلاف قالوا بفناء مقدرات الله من الجنة والنار وان العباد مجبورون في الآخرة ولهذا تسمى المعتزلة أبا الهذيل جهمي الآخرة وان الله عالم بعلم وقادر بقدره كلاهما عين ذاته مرید بارادة لافي ذات متكلم بكلمة «كن» لافي ذات وهو يوافق قول جهم في بعض الوجوه وان كان المعتزلة كلهم جهمية قال شيخ الاسلام ابن تيمية: أول من حفظ عنه انه قال مقالة لتعطيل الصفات في الاسلام الجعد بن درهم الذي ضحى عليه (هـ) خالد القسري وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمعان وأخذها ابان من طالوت ابن أخت لبيد بن الاعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين والنمرود هو ملك الصابئة المشركين اسم جنس ككسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم وكان الصابئون هولاء يعبدون الكواكب ويننون لها الهياكل فذهب النفاة من هولاء يقولون في الرب تعالى ليس له الاصفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه عن السمنية وبعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات قال شيخ الاسلام فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والنصارى والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين إما من الصابئين وإما من المشركين

(الرابعة) النظامية أصحاب ابراهيم بن يسار النظام قالوا ان الله لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا مالا صلاح لهم فه ولا ان يزيد وينقص من عقاب وثواب وكونه مریداً لفعله كونه خالقه ولفعل العبد كونه أمر به والانسان هو الروح والبدن والايعراض والاجسام لا تبقى والجسم مؤلف من الاعراض والعلم والجمل المركب مثلان والايمان والكفر كذلك وان الله خلق الخلق دفعة والنقدم والتأخر في الكون والظهور ونظم القرآن ليس بمعجز والتواتر يحتمل الكذب والاجماع والقياس ليس حجة وأوجبو

(هـ) كتب بهامش الاصل هنا «كذا بخطه ولعله به» اه وهذا وتقدم مثل هذا النقل

عن شيخ الاسلام في ص ٢٠

- النص على الامام وثبوتة لعلي لكن كتبه عمر  
 (الخامسة) الاسوارية وهم أصحاب الاسواري زادوا على من قبلهم ان الله لا  
 يقدر على ما أخبر بعدمه أو علم عدمه  
 (السادسة) الاسكافية أصحاب أبي جابر الاسكاف قالوا ان الله لا يقدر على  
 الظلم على العتلاء لكن على الصبيان والمجانين  
 (السابعة) الجعفرية أصحاب جعفر بن مبشر وابن حرب زادوا ان في فساق الامة  
 من هو شر من الزنادقة والمجوس والاجماع على حشد الشرب خطأ وسارق الحبة  
 منخلع عن الايمان  
 (الثامنة) البشرية أصحاب بشر بن المعتز قالوا الاعراض من الطعوم والروائح  
 وغيرها تقع متولدة والقدرة بسلامة البنية والله قادر على تعذيب الطفل ظلماً  
 (التاسعة) المرديات وهم أصحاب أبي موسى عيسى بن صبيح المردي تلغى بشر  
 قالوا ان الله قادر على الكذب والظلم ووقوع فعل بين فاعلين تولدا والناس قادرون  
 على مثل القرآن وأحسن منه ويكفرون القائل بخلق الاعمال والرؤية  
 (العاشرية) الهشامية أصحاب هشام بن عمر قالوا لا يطلق اسم الوكيل على الله  
 تعالى لاستدعائه موكلا ولا دلالة في القرآن على الحلال والحرام والامامة لاتعقد  
 مع الاختلاف والجنة والنار لم يخلقا بعد ولم يقتل عثمان ومن أفسد صلاة عقدها  
 بشروطها فأول صلاته معصية  
 (الحادية عشرة) الصالحية وهم أصحاب الصالح جوزوا قيام السمع والبصر والعلم  
 والقدرة بالميت وخلو الجواهر عن الاعراض  
 (الثانية عشرة) الحائطية أصحاب احمد بن حائط من أصحاب الباطل قالوا للعالم  
 إلهان قديم ومحدث والمسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة  
 (الثالثة عشرة) الحدية أصحاب فضل الحديدي زادوا الناسخ وان كل حيوان  
 مكلف بل قيل في كل نوع من الحيوان نبي من جنسه  
 (الرابعة عشرة) المعيرية أصحاب معمر بن عباد السلمي قالوا ان الله لا يخلق شيئاً  
 غير الاجسام ولا يوصف بالقدم ولا يعلم نفسه والانسان لا فعل له غير الارادة

(الخامسة عشرة) الثمانية أصحاب ثمامة ابن أشرس النيميري قالوا الافعال المتولدة لافاعل لها والمعرفة متولدة من النظر وانما واجبة قبل الشرع واليهود والنصارى والمجوس والزناقة يصيرون تراباً لا يدخلون الجنة ولا ناراً وكذا البهائم والاطفال والاستطاعة سلامة الآلة ومن لا يعلم خالقه من الكفار معذور ولا فعل للانسان غير الارادة وما عداه حادث بلا محدث والعالم فعل الله بطبعه

(السادسة عشرة) الخياطية أصحاب أبي الحسن بن أبي عمر الخياط قالوا بالقدرة وتسمية المعدوم شيئاً وجوهرها وعرضاً وقالوا عن ارادة الله كونه غير مكره ولا كاره وهي في فعله الخلق وفي فعل العباد الامر والسمع والبصر العلم بمتعلقهما

(السابعة عشرة) الجاحظية اتباع عمرو الجاحظ أبي عثمان بن بحر البصري المتكلم صاحب التصانيف في كل فن وكان تلميذ أبي اسحق ابراهيم بن يسار البلخي المتكلم الذي تقدم ذكره قالوا المعارف كلها ضرورية ولا ارادة في الشاهد والاجسام ذوات طبائع ويمتنع انعدام الجواهر والنار تجذب اليها أهلها لان الله يدخلهم فيها والخير والشر من فعل العبد والقرآن جسد ينقلب تارة رجلاً وتارة امرأة (الثامنة عشرة) الكعبية أصحاب أبي القاسم عبد الله الكعبي قالوا فعل الرب واقع بغير ارادته ولا يرى نفسه ولا غيره الا بمعنى العلم

(التاسعة عشرة) الجبائية وهم شيعة أبي علي الجبائي قالوا ارادة الله حادثة لافي محل والعالم يقنى فناء لافي محل والله متكلم بكلام يخلقه في جسم ولا يرى في الآخرة والعبد خالق لفعله ومرتكب الكبيرة لامؤمن ولا كافر واذا مات بلا توبة يخلد في النار ولا كرامة للأولياء ويجب على الله اكمال عقل المكلف واعداد أسباب التكليف له من بعث الرسل والمعجزة على يده وشاركه ابن له يعني ابا علي وهو أبو هاشم وانفرد أبو علي بأن الله عالم بلا صفة وسمعه وبصره كونه حياً بلا آفة

(العشرون) الهاشمية فرقة أبي هاشم قالوا لا توبة عن كبيرة مع الاصرار على غيرها اذا كان عالماً بقبحها ولا مع عدم القدرة عليها ولا يتعلق علم بمعلومين على التفصيل وأثبت الله خمس حالات الحية والعالمية والقادرية والموجدية، والإلهية موجبة للأربعة فهذه العشرون فرقة المشهورة من فرق أهل الاعتزال وكلها متصفة بالبدع والضلال

❦ الفرقة الثانية الشيعة الشنيعة ❦

وافترقت الى اثنتين وعشرين فرقة وأصول ذلك كله ثلاث فرق غلاة  
وامامية وزيدية أما الغلاة فافترفت ثمانية عشر فرقة يكفر بعضها بعضاً  
(أحدها) السبائية وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي قال لامير المؤمنين علي ابن أبي  
طالب رضي الله عنه: أنت الإله حقاً: فأحرق من أصحاب هذه المقالة من قدر عليه  
منهم فخذلهم أخاديد وأحرقهم بالنار وقال

اني اذا سمعت قولاً منكراً أجمت ناراً ودعوت قنبراً

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وابن سبأ هذا أول من ابتدع  
الرفض قال وكان منافقاً زنديقاً أراد فساد دين الاسلام كما فعل بولص صاحب  
الرسائل التي بأيدي النصارى حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بهاديينهم وكان يهودياً  
فأظهر النصرانية نفاقاً لقصده إفساد ملتهم وكذلك كان ابن سبأ يهودياً فقصده ذلك  
وسعى في الفتنة فلم يتمكن لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة فقتل فيها عثمان  
بن عفان رضي الله عنه وتبع ابن سبأ جماعات على بدعته وضلالته وقال هؤلاء ان  
علياً رضي الله عنه لم يمت وإنما الذي قتله عبد الرحمن بن ماجم شيطان وأما علي ففي  
السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وأنه ينزل الى الارض ويملاها عدلاً ويقولون  
عند الرعد عليك السلام يا أمير المؤمنين

(الثانية) الكاملية وهم أتباع أبي كامل قالوا بكفر الصحابة رضي الله عنهم  
ببرك بيعة علي وبكفر علي رضي الله عنه ببرك طلب حقه ويعتقدون التناسخ وان  
الإمامة نور يتناسخ وقد تصير في شخص نبوة

(الثالثة) البيانية أتباع بيان بن سمعان التميمي (١) قالوا الله تعالى على صورة  
الانسان ومهلك كله الا وجهه وروح الله حل في علي ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في  
ابنه أبي هاشم ثم في بيان

(الرابعة) المغيرية وهم أتباع المغيرة بن سعيد العجلي قالوا الله تعالى جسم علي

(١) في الاصل بنان بنون بعد الباء والصواب بيان كما في المواقف وشرح

صورة انسان من نور وقلبه منبع الحكمة ولما أراد الخلق تكلم بالاسم الاعظم فطار فوق تاجا على رأسه ثم كتب على كفه أعمال العباد فغضب من المعاصي فغرق فحصل منه بحران أحدهما ملح مظلم والآخر حلو نير ثم اطلع في البحر النير فأبصر ظله فانتزعته فجعل منه الشمس والقمر وأقى الباقي ثم خلق الخلق من البحرين فالكفر من المظلم والايمان من النير ثم أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم والثامن في ضلال وعرض الامانة وهي منبع الامامة (١) على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان قالوا وهو أبو بكر حملها بأمر عمر بشرط أن يجعل الخلافة بعده له قالوا والامام المنتظر زكريا بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وهو حي في جبل حاجر

(الخامسة) الجناحية وهم المنسوبون الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قالوا الأرواح تتناسخ فكان روح الله في آدم ثم في شيث ثم في الأنبياء والأئمة حتى انتهت الى علي وأولاده الثلاثة ثم الى عبد الله قالوا وهو حي بجبل أصهبان وأنكروا القيامة واستحلوا المحرمات

(السادسة) المنصورية وهم أتباع أبي منصور العجلي قالوا الامامة صارت لمحمد بن علي بن الحسين وخرج الى السماء ومسح الله رأسه بيده وقال يا بني اذهب وبلغ عني (٢) قالوا والرسل لا تنقطع والجنة رجل أمرنا بمولاته وهو الامام والنار رجل أمرنا بمعادته وكذا الفرائض والمحرمات

(السابعة) الخطائية وهم أتباع أبي الخطاب الاسدي قال الاثمة أنبياء وادعى النبوة لنفسه وقال الحسنان رضي الله عنهما بنان لله وجعفر إله لكن أبو الخطاب أفضل منه ومن علي ويستحلون شهادة الزور لموافقهم على مخالفهم قالوا والجنة نعيم الدنيا والنار آلامها واستباحوا المحرمات وتركوا الفرائض قالوا ويمكن أن يوحى الى كل مؤمن ومنهم من هو خير من جبرئيل وميكائيل وهم لا يموتون بل يرفعون الى الملكوت

(١) كذا في الاصل وفي المواضع « وهي منع علي عن الامامة (٢) زاد في

المواقف وهو الكسف

(الثامنة) الذمية الذين ذموا النبي صلى الله عليه وسلم لأن علياً إله بعثه ليدعوه فدعا إلى نفسه وقد قيل عند هؤلاء بإلهيتها وهم في التقديم خلاف وقيل عندهم هما وفاطمة والحسنان آلهة وهم يقولون فاطم ولا يقولون فاطمة تحاشياً عن التأنيث  
(التاسعة) الغرابية وهم الذين قالوا محمد أشبه بعلي من الغراب فغلط جبرئيل من علي إلى محمد بالرسالة

(العاشر) الهاشمية وهم أتباع هشام بن الحكم قالوا إن الله جل شأنه طويل عريض عميق متساو كالسبيكة البيضاء يتلأأ من كل جانب وله لون وطعم ورائحة ويقوم ويقعد ويعلم ماتحت الثرى بشعاع ينفصل عنه إليه وهو سبعة أشبار بأشبار نفسه مماس للعرش بلا تفاوت واراوته هي حركة لآعينه ولا غيره وإنما يعلم الأشياء بعد كونها يعلم لاقديم ولا حادث وكلامه صفة له لا مخلوق ولا قديم والاعراض لاتدل على الباري والآئمة دون الانبياء

(الحادية عشرة) الزرارية أتباع زرار بن أعين قالوا صفات الله حادثة ولا حياة قبل الصفات ولهم أقوال خبيثة جداً

(الثانية عشرة) اليونسية وهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كان يونس على مذهب القطعية في الامامة ثم أنه أفرط في التشبيه فقال إن الله تعالى يحمله حلة عرشه وهو أقوى منهم كما أن الطائر المعروف بالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل بقوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وهذا الاستدلال خطأ منه فإن الآية مصرحة بأن العرش هو المحمول

(الثالثة عشرة) النعمانية وهم أتباع محمد بن النعمان قال إن الله تعالى نور غير جسماني على صورة انسان وإنما يعلم الأشياء بعد حدوثها

(الرابعة عشرة) الرزامية قالوا الامامة لمحمد بن الحنفية ثم لابنه عبد الله ثم لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم لولاده إلى المنصور ثم حل الإله في أبي مسلم وأنه لم يقتل واستحلوا المحارم

(الخامسة عشرة) المفوضة قالوا الله تعالى فوض خلق العالم إلى محمد صلى الله عليه وسلم



(السادسة عشرة) البدائية جوزوا البداء على الله

(السابعة عشرة) النصيرية قالوا ان الله تعالى حل في علي رضي الله عنه

(الثامنة عشرة) الاسماعيلية و يلقبون بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب وأصل دعوتهم مبنية على ابطال الشرائع وانتقاض الدين فان قوماً من المجوس راموا عند ظهور الفتن واختلاف الكاظمة وتباين الدول كسر شوكة الاسلام وانتقاض عرى الدين ولم يمكنهم التصريح بذلك ولا اعلان ما قصدوه من الإفك والمهالك فأخذوا في تأويل الشريعة على وجه يعود الى قواعد أسلافهم ورأسهم في ذلك ( حمدان قرمط ) ومنهم بل صاحب اظهار دعوتهم ( أبو سعيد الخبائي ) فظهر على البحرين واجتمع عليه جماعة من الأعراب والقرامطة فقوي أمره وقتل من حوله من أهل تلك القرى ثم قتل أبو سعيد سنة احدى وثلاثمائة قتله خادم له في الحمام وأقام مقامه ولده أباطاهر سليمان بن أبي سعيد الحسيني بن بهرام القرمطي وكان قد استولى على هجر والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين فلما كان عام سبع عشرة وثلاثمائة وافي حجاج المسلمين أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهب أموال الحاج وقتلهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت الحرام وقلع الحجر الاسود وأنفذه الى هجر وطرح القتلى في زمزم وقلع باب الكعبة . والقرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة وكان أبو سعيد المذكور قصيرا مجتمعا الخلق أسمر كربه المنظر فلذلك قيل له قرمطي والجنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعدها لف موحدة نسبة الى جنابة وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف والقرامطة منها فنسبوا اليها

ولهم في دعوتهم مراتب (الرزق) وهو التفرس في حال المدعو هل هو قابل أم لا ولذلك منعوا إلقاء البذر في السبخة (١) والتكلم في بيت فيه سراج أي فقيه ثم (التأنيس) باستمالة كل واحد بما يميل اليه من زهد وخلاعة ثم (التشكيك) في أركان الشريعة بمقطعات السور وقضاء صوم الخائض دون صلاحها والغسل من النبي دون البول لتعلق القلوب بمراجعهم فيها ثم (الربط) وهو أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده

(١) فسرته في شرح المواقف بدعوة من ليس قابلاً لما وهو ظاهر اه مصححه

ان لا يفشي عنهم شيئاً وحوالته على الامام في كل ما أشكل عليه ثم (التدليس) وهو دعوى موافقة كبار الدين لهم حتى يزداد ميلهم ثم (التأسيس) وهو تهديد مقدمات يقبلها المدعو ثم (اللمع) وهو الظلمة التي استقامت وجوب الافعال البدنية ثم (الساخ) عن الاعتقادات وحينئذ يأخذون في الاباحة واستعجال نلذات وتأويل الشريعة قال شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين بن تيمية روح الله روحه ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة والها تكون لأسرارهم كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة انهم وضعوا لانفسهم اصطلاحات وروجوها على المسلمين ومقصودهم بهامقصد الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالي يعنون به العقل والنفس ويقولون هو الروح والتلم وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين ومن مذهبهم ان الله تعالى لا موجود لا معدوم وربما خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة وقد دخل كثير من هذه القرامطة في كلام كثير من المتصوفة كما دخل في كثير من المتكلمة قال شيخ الاسلام ابن تيمية وكتاب رسائل اخوان الصفا أصل مذهب القرامطة الفلاسفة فرما نسبوا هذا الكتاب بالافتراء الى جعفر الصادق ليجعلوه ميراثاً عن أهل البيت قال وهذا من أقبح الكذب وأوضحه فإنه لانزاع بين العقلاء ان رسائل اخوان الصفا إنما صنعت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه قريباً من بناء القاهرة المعزية ودولة العبيدية انا كية المنتسبين لاهل البيت الملقين بالفاطمية من هذا النمط فان ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ومن فرقهم الدرور والقيامنة والحزاوية وأضرابهم وهؤلاء من أكفر الناس وبالله التوفيق

( وأما الزيدية ) فهم ينتسبون للسيد الشريف زيد بن علي زين العابدين بن الحسن شهيد كربلاء ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم وكان زيد اماماً عالمياً شجاعاً مقداماً وكان قد بايعه جموع من الشيعة ثم قالوا له تبرأ من الشيخين يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال معاذ الله وزيرا جدي فتركوه ورفضوه ورفضوا عنه فسموا الراضية والنسبة رافضي ثم انقسموا ثلاث فرق «الاولى» الجارودية أصحاب أبي الجارود قالوا بالنص على علي رضي

الله عنه والصحابة كفروا بمخالفته والخلافة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع فهو امام واختلفوا في المنتظر أهو محمد بن عبدالله ولم يقتل أو محمد بن القاسم أو يحيى بن عمر صاحب الكوفة (الثانية) السليمانية شيعة سليمان بن جرير قالوا الامامة شورى وإنما تعتقد برجلين من خيار المسلمين وأبو بكر وعمر امامان وان أخطأت الامة في البيعة لهما وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة (الثالثة) البترية أصحاب بتر التوصي قالوا بنحو قول من قبلهم الا أنهم توقفوا في كفر عثمان رضي الله عنه

(وأما الإمامية) فقالوا باتباع الاثني عشر إماماً وهم علي والحسن والحسين وزين العابدين علي بن الحسين والباقر محمد بن علي زين العابدين وجعفر الصادق بن محمد الباقر وموسى الكاظم بن جعفر الصادق وعلي المرتضى بن موسى الكاظم ومحمد الجواد بن علي المرتضى وعلي الهادي بن محمد الجواد وحسن العسكري بن علي الهادي ومحمد بن حسن الحجة فالامامية هم القائلون بزعمهم بقول هؤلاء الائمة الابرار رضوان الله عليهم وسلامه ما تعاقب الليل والنهار فقالت الإمامية بالنص الجلي على امامة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكفروا بالصحابة بمخالفته وساقوا الامامة الى جعفر الصادق ثم اختلفوا في المنصوص عليه بعده وتشعب متأخروا الامامية الى معتزلة ومشبهة ومفضلة والله تعالى أعلم

### ❦ الفرقة الثالثة الخوارج ❦

وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفارقوه بسبب التحكيم وكانوا اثني عشر ألفاً فأرسل اليهم ابن عباس رضي الله عنهما فجادلهم ووعظهم فرجع بعضهم وأصر على المخالفة آخرون وقالت فرقة ننظر ما يصدر من علي من أمر التحكيم فان أنفذه أقمنا على مخالفته ثم انهم أعلنوا الفرقة وأخذوا في نهب من لم ير رأيهم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» فقتلهم علي وطائفته وقال صلى الله عليه وسلم في حق الخوارج المارقين «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من

الاسلام كما يترق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله تعالى لمن قتلهم يوم القيمة» وقد روى مسلم أحاديثهم في صحيحه من عشرة أوجه وانفق الصحابة على قتلهم وفرح علي رضي الله عنه بقتلهم وأخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر به ولما قيل لعلي الحمد لله الذي أراح منهم العباد قال كلا والذي نفسي بيده ان منهم لفي اصلاب الرجال وان منهم لمن يكون مع الدجال ثم انهم تشعبوا الى سبعة فرق

(الاولى) المحسكة الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عند التحكيم وكفروه وهم اثنا عشر ألفاً قالوا من نصب من قریش وغيرهم وعدل فهو امام ولم يوجبوا نصب الامام وكفروا عثمان وأكثر الصحابة وكل مرتكب للكبيرة (الثانية) البيهسية أتباع بييس واسمه الهيصم بن جابر كما في القاموس قالوا الايمان هو العلم بالله تعالى وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فن وقع فيما لا يعرف أهو حلال أم حرام فهو كافر لوجوب الفحص عنه وقيل لا حتى يرجع الى الامام فيحده وما لاحد فيه فغفور وقيل اذا كفر الامام كفرت الرعية حاضراً كان أو غائباً والأطفال كما باهم ايماناً وكفراً

(الثالثة) الازارقة أتباع نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجي اللعين وقد خرج معه قوم من البصرة والاهواز وغيرها من بلدان فارس وغيرها وعظمت شوكتهم وتملكوا الأمصار وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه منها انه كفر علياً رضي الله عنه بسبب التحكيم وزعم ان قوله تعالى «ومن الناس من يعجبك قوله» الآية نزل في حقه وزعم انه نزل في حق عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه وان من ارتكب كبيرة خرج من الاسلام وكان مخلداً في النار مع سائر الكفار وحرمة النقية وجوز قتل اولاد المخالفين له ونساءهم وقال لاحد للثقف ولاللزنا

(الرابعة) النجدية أتباع نجدة بن عامر النخعي قالوا لا حاجة الى الامام ويجوز نصبه ووافقوا الازارقة في التكفير

(الخامسة) الاصفريه وهم اتباع زياد بن الاصفر خالفوا الازارقه في تكفير القعدة وفي منع الحد على الزنا وفي اطفال الكفار وقالوا المعصية الموجبة للحد لا يدعى صاحبها الا بها وما لاحد فيه لعظمه فترك الصوم كفر وزوجون المؤمنة من الكافر في دار النقية دون العلانية

(السادسة) الاباضية اتباع عبد الله بن اباض قالوا مخالفونا كفار غير مشركين تجوز منا كحتمهم وتقبل شهادة مخالفينهم عليهم ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن والاستطاعة قبل الفعل ومخلوق العبد مخلوق لله ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة وتوقفوا في اولاد الكفار وفي النفاق اهو شرك أم لا وجواز بعثة الرسل بلا دليل وتكليف اتباعه وكفروا علياً وأكثرت الصحابة رضي الله عنهم وافترقوا أربع فرق (الاولى) الخفصية اتباع أبي حفص بن أبي المقدم زادوا ان بين الايمان والشرك معرفة الله فمن كفر بأمر سوى الشرك أو بارتكاب كبيرة فكافر لامشرك (الثانية) اليزيدية قالوا سبيعت نبي من العجم بكتاب يكتب من السماء ويترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى ملة الصابئة وكل ذنب شرك (الثالثة) الحارثية اتباع أبي الحارث الاباض خالفوا في العذر والاستطاعة قبل الفعل (الرابعة) القائلون بطاعة لا يراد بها الله

(السابعة) العجاردة اتباع عبد الرحمن بن عجرد زادوا على النجدية وجوب دعوة الطفل الى الاسلام اذا بلغ واطفال المشركين في النار ويتشعب من مذهبهم احدى عشر فرقة (الاولى) الميمونية أصحاب ميمون بن عمران قالوا بالقدر والاستطاعة قبل الفعل والله يرد الخير دون الشر ولا يرد المعاصي واطفال الكفار في الجنة ولهم اعتقادات سيئة (الثانية) الحمزية اتباع حمزة بن أدرك واقفوه الا أنهم قالوا اطفال الكفار في النار (الثالثة) الشيعية أشياع شعيب بن محمد كالميمونية الا في القدر (الرابعة) الحازمية وهم أصحاب حازم بن عاصم (والخلفية) أصحاب خلف (والاطرافية) عذروا أهل الاطراف فيما لم يعرفوه ووافقوا أهل السنة في أصولهم ونفوا القدر (الخامسة) المعلوماتية كالحازمية إلا أن المؤمن عندهم من عرف الله بجميع أسمائه وفعل العبد مخلوق لله (السادسة) المجهولية قالوا تكفي معرفة الله ببعض أسمائه وفعل العبد له

(السابعة) الصلتية وهم أصحاب عثمان بن أبي الصلت هم كالمجاردة لكن قالوا من أسلم واستجار بنا توليناه وبرثنا من أطفاله (الثامنة) التغالبة أصاب تغلب بن عامر قالوا بولاية الاطفال ونقل عنهم ان الاطفال لاحكم لهم ويرون أخذ الزكاة من العبيد اذا استغنوا وإعطاءها الى العبيد اذا افتقروا ثم افرقوا أربع فرق (أحدها) الاخنسية أصحاب الاخنس بن فليس وهم كالتغالبة الا أنهم توقفوا في أهل دار النقية الا من علم حاله وحرّموا الاغتيال بالقتل والسرقه ونقل عنهم تزويج المسلمات من مشركي قومهم (والمعبدية) أصحاب معبد بن عبد الرحمن خلفهم في التزويج من المشركين وخالفوا التغالبة في زكاة العبد (والشيبانية) أصحاب شيبان بن سلمة قالوا بالجبر ونفي القدرة (والمكرمية) أصحاب مكرم العجلي قالوا تارك الصلاة كافر لجهله بالله وكذا كل كبيرة كفر فاذن فرق الخوارج عشرون والله أعلم

#### فرقة الرابعة المرجئة

لقبوا بذلك لانهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد أي يؤخرون أو لا أنهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق (الاولى) اليونسية قالوا الايمان المعرفة بالله والخضوع له والمحبة ولا يضر معها ترك الطاعات وابليلس كان عارفاً بالله وإنما كفر باستكباره (الثانية) العبيدية أصحاب عبيد المكذب رأوا ان علم الله لم يزل شيئاً غيره وأنه على صورة الانسان

(الثالثة) الغسانية أصحاب غسان الكوفي قالوا الايمان هو المعرفة بالله ورسوله وبما جاء من عندهما اجمالاً وهو لا يزيد ولا ينقص وعنوا بالاجمال جواز أن يقال انه تعالى قد فرض الحج ولا أدري أين الكعبة لعلها في غير مكة أو يقال بعث محمداً ولا أدري هو الذي بالمدينة أم لا

(الرابعة) الثوبانية وهم أصحاب ثوبان المرجيء قالوا الايمان هو المعرفة والاقرار بالله ورسوله وما لا يجوز في العقل أن يفعله ولو عفا عن عاص لعفا عن كل من هو مثله وكذا لو أخرج واحداً من النار ولم يجزموها بخروج المؤمن من النار (الخامسة) التومنية وهم أصحاب أبي معاذ التومني قالوا الايمان المعرفة والتصديق

والمحبة والاخلاص والاقرار وترك بعضه كفر وليس بعضه ايماناً وكل معصية يجمع على انها كفر يقال لمتركها فسق وعصى لافاسق ولاعاص ومن قتل نبياً أو لطمه فقد كفر لأنه دليل تكذيبه هذه هي المرجئة الخالصة ومنهم من جمع بين الارجاء والقدر كمحمد بن شبيب وغيلان الدمشقي قال الاوزاعي أول من تكلم في القدر معبد الجهني ثم غيلان

(السادسة) النجارية وهم أصحاب محمد بن الحسين النجار وافقوا أهل السنة في خلق الأفعال وان الاستطاعة مع الفعل والعبد مكتسب ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وفرقهم ثلاثة (البرعونية) قالوا كلام الله اذا قرئ عرض واذا كتب جسم (والزعفرانية) قالوا كلام الله غيره وكل ما هو غيره مخلوق ومن قال كلام الله مخلوق فقد كفر (والمستدركة) استدركوا عليهم وقالوا انه مخلوق مطلقاً لكننا وافقنا السنة والاجماع في نفيه وقالوا أقوال مخالفينا كذب حتى قولهم لا اله الا الله

### الفرقة الخامسة الجبرية

الذين يقولون انا مجبرون على أفعالنا ويسندون الأفعال الى الله تعالى فمنهم (متوسطة) يسندون الفعل الى الله ويثبتون للعبد كسباً (وخالصة) لا تثبت للعبد شيئاً كالجهمية أصحاب الجهم بن صفوان قالوا لا قدرة للعبد أصلاً والله سبحانه وتعالى لا يعلم الشيء قبل وقوعه وعلمه تعالى حادث لافي محل ولا يوصف بما يوصف به غيره كالعلم والقدرة والارادة. والجنة والنار يفنيان ووافقوا المعتزلة في نفي الرؤية وخلق الكلام ويجاب المعرفة بالعقل وقول الجهمية من أعظم مقالات أهل الافك والضلال باتفاق سلف الأمة وأئمتها حتى ان الامام عبد الله بن المبارك لما سئل عن الأثنتين وسبعين فرقة أجاب بأن أصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية فقيل له فالجهمية فقال ليست الجهمية من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكان يقول انا لنحكي قول اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية فان الجهمية تارة تقول بالحلول وتارة (١) قولها الى التعطيل انتهى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية

(١) لعله قال «برمي قولها» الخ أو كلمة أخرى بمعنى برمي سقطت من الناسخ

في رسالته الحموية (١) أصل مقالة التعطيل للصفات إنما أخذ من تلامذة اليهود والمشركون وضلال الصابئين قال فانه أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه وقد قيل أن الجعد أخذ مقاله عن ابان بن سمرعان وأخذها ابان من طالوت بن أخت ليبيد بن الاعصم وأخذها طالوت من ليبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين وأخذها أيضاً الجهم عن السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والنصارى والصابئين والمشركون والفلاسفة الضالين والله أعلم

### السادسة المشبهة

الذين شبهوا الله بمخلوقاته وقد اختلفوا في طرق التشبيه (فمنهم) مشبهة غلاة الشيعة كالتقدم ومنهم مشبهة الحشوية قالوا هو تعالى من لحم ودم وله اعضاء حتى قال بعضهم لاصحابه اعفوني من اللحية والفرج وسلوني عما وراءها (ومنهم) مشبهة الكرامية أصحاب عبد الله بن أبي محمد بن كرام قالوا ان الله على العرش من جهة العلو وتجاوز عليه الحركة والنزول فقليل يملأ العرش واختلفوا أبعاد متناه أو غيره ؟ (ومنهم) من أطلق عليه لفظ الجسم وفي القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى عن ذلك انتهى فساء محمداً والمعروف انه عبد الله بن كرام (٢) نعم الاستاذ أبو بكر محمد بن اسحق بن محمّشاد كان زعيم أصحاب عبد الله بن كرام وكان في دولة يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين كبير القدر عالي الذكر قالوا وتحل الحوادث في ذاته تعالى وإنما يقدر عليها دون الخارجة عن ذاته ويجب عندهم أن يكون أول خلقه حياً يصح منه

(١) سبق هذا غير مرة (٢) قال في المواقف «أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام»

وذكر شارح القاموس ان كنيته أبو عبد الله



الاستدلال، والنبوة والرسالة صفتان سوى الوحي والمعجزة والعصمة وصاحبها رسول ويجب على الله ارساله لا غير فهو حينئذ مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس ويجوز عزله دون الرسول وجوزوا امامين كعلي ومعاوية الا أن امامة علي وفق السنة بخلاف معاوية لكن تجب طاعة رعيته له والإيمان قول الذر في الازل «بلى» وهو باق في الكل الا المرتدين

ولا يخفى ما في هذه الفرق من التداخل والمشهور ان أصول الفرق الضالة سبعة اولها المعتزلة ٢٢ ثم الشيعة ٢٢ فالخوارج ١٢ فالمرجئة ٥ فالنجارية ٣ الجبرية ١ المشبهة ٣

### التنبيه الثاني

ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه التفرقة بين الايمان والزندقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ستفترق أمتي نيفاً وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة» هذا لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة من أمته اذ قال ستفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد والصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجوداً بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى النليس فلا يمكن نسبتهم الى الامة انتهى قال شيخ الاسلام بن تيمية في الاسكندرية أما هذا الحديث فلا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ولم يروه واحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمسند عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» وروي عنه انه قال «هي الجماعة» وفي حديث آخر «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وضعفه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهم قال وأيضاً لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولاً ورداً فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن

الكفر انتهى قلت وقد ذكر الحديث الذي ذكره الغزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر أنه روي من حديث أنس ولفظه « تفترق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة » قالوا يارسول الله من هم قال « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدي ورواه الطبراني أيضاً قال أنس كنا نراهم القدرية قال ابن الجوزي وضعه الأبرد بن أشرس وكان وضاعاً كذاباً وأخذ منه ياسين الزييات فقلب اسناده وخلطه وسرقه عثمان ابن عفان القرشي وهؤلاء كذابون متروكون وأما الحديث الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي امامة ووائلة وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة ولفظ حديث معاوية مائقم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم ثم أخذ يذكر بعض ما عليه أهل الفرقة الناجية فقال

- ﴿ فأثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه ﴾
- ﴿ فكل ما جاء من الآيات أوصح في الأخبار عن ثقات ﴾
- ﴿ من الأحاديث نمره كما قد جاء فاسمع من نظامي واعلم ﴾
- ﴿ ولا نرد ذلك بالعقول لقول مفتر به جهول ﴾
- ﴿ فعقدنا الإثبات يا خليلي من غير تعطيل ولا تمثيل ﴾

﴿ ف﴾ انهم أي الأثرية من الفرقة الناجية ﴿ أثبتوا النصوص ﴾ القرآنية والأحاديث النبوية متمسكين ﴿ بالتنزيه ﴾ لله سبحانه وتعالى ﴿ من غير تعطيل ﴾ للصفات الواردة في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وهو نفيها عنه تعالى فان المعطلين لم يفهموا من أساء الله تعالى وصفاته الا هو اللائق بالخلق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بين التمثيل والتعطيل فمثلوا أولاً وعطلوا آخراً فهذا تشبيه وتمثيل منهم

المفهوم من أسمائه وصفاته تعالى بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم فعملوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الاسماء والصفات اللاتقبة به عز وجل بخلاف سلف الأمة وأجلاء الائمة فانهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف **﴿ولا تشبيه﴾** تعالى الله عن ذلك فانه تعالى قال في محكم كتابه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) فرد على المشبهة بنبي المثلية ورد على المعطلة بقوله (وهو السميع البصير) واعلم ان قدما المعتزلة كأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم ذهبوا الى ان المماثلة هي المشاركة في أخص صفات النفس فمماثلة زيد لعمره عندهم مشاركة اياه في الناطقية فقط وذهب الماتريدي الى ان المماثلة هي الاشتراك في الصفات النفسية كالحيوانية والناطقية لزيد وعمره وقالوا ومن لازم الاشتراك في الصفة النفسية أمران أحدهما الاشتراك فيما يجب ويجوز ويمتنع وثانيهما أن يسد كل منهما مسد الآخر وينوب الآخر منابه فمن ثم يقال المثلان موجودان مشتركان فيما يجب ويجوز ويمتنع أو موجودان يسد كل واحد منهما مسد الآخر والمثلان وان اشتركا في الصفات النفسية لكن لا بد من اختلافهما بجهة أخرى ليتحقق التعدد والتمايز فيصح التماثل ونسب الى الاشعري انه يشترط في التماثل التساوي من كل وجه واعترض بأنه لا تعدد حينئذ فلا تماثل وبأن أهل اللغة مطبقون على صحة قولنا زيد مثل عمرو في الفقه اذا كان يساويه فيه ويسد مسده وان اختلفا في كثير من الأوصاف وفي الحديث «الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل» أراد به الاستواء في الكيل دون الوزن وعدد الحبات وأوصافها ولا يخفى ان الممكن أن يقال المراد التساوي في الوجه الذي به التماثل فزيد وعمره اذا اشتركا في الفقه وكان بينهما مساواة فيه بحيث ينوب أحدهما عن الآخر يصح القول بأنهما مثلان فيه وإلا فلا وكل هذا مغالطة وتمويه ليس شيء منه مما نحن فيه **﴿فكلما جاء﴾** عن الله تعالى في القرآن العظيم **﴿من الآيات﴾** القرآنية **﴿أوضح﴾** مجيئه **﴿في الاخبار﴾** بالاسانيد الثابتة المرضية **﴿عن﴾** رواة **﴿ثقات﴾** في النقل وهم العدول الضابطون المرضيون عند أهل الفن العارفين بالجرح والتعديل **﴿من الاحاديث﴾** الصحيحة والآثار الصريحة مما يوهم تشبيهاً أو تمثيلاً فهو من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله نؤمن به وبأنه من عند الله

تعالى و ﴿تمره كما قد جاء﴾ عن الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث قال الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث فذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تكيف وهو سبحانه ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكلما أوجب نقصاً أو حدوداً فالله تعالى منزّه عنه حقيقة فانه تعالى مستحق الكمال الذي لا غاية فوقه ومذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه وتفويض علمه إلى الله تعالى قال جبر القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما هذا من المكتوم الذي لا يفسر فالواجب على الانسان أن يؤمن بظاهره ويكفل علمه إلى الله تعالى وعلى ذلك مضت أئمة السلف كالزهري ومالك والأوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والامام أحمد واسحق فكل هؤلاء رضي الله عنهم يقولون في الآيات المتشابهة مرها كما جاءت قال سفيان بن عيينة وناهيك به كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءة ته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله فهذا مذهب سلف الأمة وفضلاء الأئمة رضي الله عنهم فليندا قلت ﴿فاسمع﴾ سماع أذعان وتفهم وامثال وتعليم ﴿من﴾ منطوق ﴿نظامي﴾ ومفهومه ومحتززه ومعلومه ﴿واعلم﴾ فعل أمر مؤكّد بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفاً أي اعلم ذلك علم تحقيق وتحرير وتدقيق واعتمده واعتقده فانه نهج سلف الأمة وسبيل أئمة الأئمة ﴿ولانرد ذلك﴾ الوارد في الكتاب المنزل وما جاء عن النبي المرسل ولا شيئاً منه ﴿بالمعقول﴾ بضرب من التأويل أو التمويه والتضليل لاجل ﴿قول﴾ انسان ﴿مفتر﴾ من الفرية وهي الكذب ومنه «فقد أعظم على الله الفرية» أي الكذب ومنه قوله تعالى ( ولا يأتين بهتان يفترينه ) يقال فرى يفري فرياً وافترى يفترى افتراء اذا كذب ومفتر اسم فاعل منه ﴿به﴾ أي بذلك القول الذي تقوله والتأويل الذي تأوله ﴿جهول﴾ صفة لمفتر من صفات المبالغة فان الله جل

ثناؤه سعى نفسه في كتابه العزيز بالرحمن الرحيم ووصف نفسه بالرحمة والمحبة فقال (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) وقال (ورحمتي وسعت كل شيء) وقال (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال (ان الله يحب المتقين) و: يحب المحسنين) و: يحب الصابرين) و: يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وكذلك الرضى والغضب الى غير ذلك من سائر ما جاء به الكتاب العظيم والنبي الكريم فالف الامه وعلماؤا الائمة يؤمنون به ويشبتهون الله تعالى بالمعنى الذي اراده تعالى مع اعتقادهم التنزيه والتقدیس عن التشبيه والتنقيص ومن الناس من يجعل رحمة وجهه الله تعالى عبارة عما يخلقه من النعمة وهذا ظاهر البطلان.

فان قيل ان اثبات هذا تشبيه لان الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب منزه عن مثل صفات المخلوقين (فالجواب) ان الذي يلزم من هذه الصفات يلزم من غيرها فان الارادة في حق المخلوق ميله الى ما ينفعه ودفع ما يضره والله تعالى منزه عن الاحتياج الى عبادته وهم لا يبلغون ضره ولا ينفعه بل هو الغني عن كل ما سواه :

فان قيل الارادة التي ثبتها الله ليست مثل ارادة المخلوقين كما اننا قد اتفقنا وسائر المسلمين على انه تعالى حي عليم قدير وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين (فالجواب) انا نقول وكذلك الرحمة والمحبة التي ثبتها الله تعالى ليست مثل رحمة المخلوق ومحبة المخلوق :

فان قيل لا نعقل من المحبة والرحمة الا هذا قال لك نفاة الصفات ونحن لا نعقل من الارادة الا هذا وقلنا نحن معشر أهل الأثر لا يخفى على عاقل فهم ولا مؤمن سليم ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة اليها و ارادته تعالى ومحبته ورحمته بالنسبة اليه فكما ان ذاته لا تشبه ذاتنا وحياته لا تشبه حياتنا فرحمته ومحبته ورضاه وغضبه كذلك فلا يجوز التفريق بين المماثلين فثبت له إحدى الصفتين وتنفي عنه الاخرى مع ورود الجميع في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق اذ غاية ما يقال انا ثبتت الارادة بالعقل لان وجوب التخصيص في المخلوقات دل على الارادة فيقال أولاً انتفاء الدليل المعين لا يقتضي انتفاء المدلول فهب ان مثل هذا الدليل لا يثبت في الرحمة والمحبة فن ابن

نفيت ذلك مع ان السمع أثبت ذلك ويقال ثانياً في اثبات ذلك بالطريق العقلي نظير الذي أثبت به الارادة: ما في المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين والاحسان الى المخلوقات وأنواع الرزق والهدى والمسرات دليل على رحمة الخالق سبحانه والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه الطريق . تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته وحياته وتارة يدلهم بالنعيم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً) الآية وقوله (أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) الآية وقوله في سورة الرحمن بعد ذكر تعداد أنواع النعم (فبأي آلاء ربكم تكذبان) وكذلك اثبات حكمته تعالى ومحبته التي تنبني عليها حكمة خلقه وأمره مما يعلم بالسمع وبالعقل أيضاً كما تعلم ارادته تعالى وسلف الامة وأتمتها على ان الله تعالى يحب ويحب وهو قول شيوخ المعرفة وفي الحديث « وأسألك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة » اذا علمت ذلك ﴿فمقدنا﴾ معشر الاثرية الذي نعقد عليه ونهجنا الذي نسلكه ونذهب اليه ﴿الاثبات﴾ للاسماء والصفات كما وردت به الآيات ودلت عليه الروايات ﴿يا خليلي﴾ من الخلة وهي نهاية المحبة وخلاصتها بحيث انها تخلت الاعضاء والمفاصل والمراد بالخليل هنا الموافق على مذهب السلف السائل عن منهاجه ودقائقه وأمهات مسأله وحقائقه فانا ندين الله تعالى باثبات ما جاءت به الآيات وصحيح الروايات وسلكته الائمة السادات ﴿من غير تعطيل﴾ لها عن حقائقها ونفيها مع صحة مخارجها بل ثبتها ونؤمن بها ولا تشبيه في مجرد اثباتها ﴿ولا﴾ أي ومن غير ﴿تمثيل﴾ لها بصفات المخلوق بل اثبات بلا تمثيل وتمزيه بلا تعطيل فالتمثل يعبد صنماً والمعتل يعبد عدماً والمثبت المسلم يعبد رب الارض والسماء المنعوت بنعوت الصفات والاسماء وعندنا معشر السلف ومن نحامنحنا من علماء الخلف

﴿ فكل من أول في الصفات كذاته من غير ما اثبات ﴾  
 ﴿ فقد تعدى واستطال واجترى وخاض في بحر الهلاك واقترى ﴾

﴿ ألم تراخلاف أصحاب النظر فيه وحسن ما نحاه ذو الاثر ﴾

﴿ فانهم قد اقتدوا بالمصطفى وصحبه فاقنع بهذا وكفى ﴾

﴿ فكل من أول في الصفات ﴾ الثابتة للذات المقدسة عن سمات المحدثات والمراد بالتأويل هنا أن يراد باللفظ ما يخالف ظاهره أو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر أو عن حقيقته لجازه وهو في آيات الصفات المقدسة من المنكرات عند أئمة الدين من علماء السلف المعبرين فانا حيث أثبتنا ذاتاً لا كالذوات فإلما منع من اثبات صفات لا كصفات المحدثات فالكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات فصفاة تعالى قديمة ثابتة ﴿ كذاته ﴾ تعالى فليس لنا أن نتأول في صفات الله تعالى ولا في ذاته ﴿ من غير ما ﴾ مازائدة تأكيد للنفي ولاقامة الوزن ﴿ اثبات ﴾ عن صاحب الشرع وأصحابه وأئمة التابعين المعبرين من علماء السلف وأتباعهم فهم العمدة دون غيرهم وعلم من النظم ان الله سبحانه يطلق عليه الذات كما يقال انه شيء لا كالأشياء وانه ذات لا كالذوات بخلاف الماهية فأكثر المتكلمين منع اطلاقها على الله تعالى لأن معنى الماهية المجانسة وهي المشاركة في الجنس والفصل قالوا وماروي عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من أنه كان يقول ان الله ماهية لا يعلمها الا هو لم يصح عنه فان هذا اللفظ لم يوجد في كتبه ولم ينقله عنه أحد من أصحابه العارفين بأقواله فلو ثبت عنه لحمل على ان مراده انه تعالى يعلم ذاته لا بدليل أو ان له أسماء لا يعلمها غيره كما في حديث « وأسألك بكل اسم هولاك أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » فله أسماء لا يعلمها الا هو وأما قوله عليه السلام « ان الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » يعني الاسماء الحسنى متصفة بأن من أحصاها دخل الجنة والله أعلم ﴿ فقد تعدى ﴾ فهذا خبر للمبتدأ الذي هو كل من أول وتعديه تجريره على ما لم يأذن به الله ورسوله فانه فعل ما ليس له وقال على الله بما لم يأذن الله ورسوله له به ﴿ واستطال ﴾ على السلف الصالح فكانه استدرك عليهم ما يزعم انهم أغفلوه وحرر فيما يدعي انهم أهملوه ﴿ واجترى ﴾ افتعال من الجرأة أي تشجع وافتات حده وتعدى طوره ولم يقتد بالصادق المصدوق ولا بأصحابه والتابعين لهم باحسان ﴿ وخاض ﴾ يقال خاض الماء

يخوضه خوفاً وخياطاً دخله كخوضه واختاضه وبالفرس أورده كاخاضه وخاض  
 الغمرات اقتحمها أي اقتحم ﴿ في بحر الهلاك ﴾ أي الموت والانهماك يعني رمى  
 نفسه في بحر يذهب بدينه ويؤول به الى الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي  
 ﴿ واقترى ﴾ على مولاه الذي خلقه وسواه ومن أظلم ممن اقترى على الله فان من لم  
 يسلم لم يسلم ومن لم يقتف طريقة السالف الصالح لم يربح ويفهم فعلى العاقل أن  
 يتبع طريقة أهل الأثر فانها أسلم ودع عنك ما قيل من أن مذهب الخائف أعلم  
 فانها من النزعات الفلسفية والزخارف البدعية والاحداس النفسية والوساوس  
 الجهمية والتحدقات الزندقية فأين علم زيد وعمرو ممن شاهد الرسول وعابن  
 الامر ومن ثم قلنا ﴿ ألم تراخلاف أصحاب النظر ﴾ يعني نظار المتكلمة من سائر  
 الفرق والطوائف ورد بعضهم على بعض وتضليل بعضهم بعضاً ﴿ فيه ﴾ أي في نظرهم  
 الذي يزعم كل فريق منهم انه هو العلم الحق والقول الصدق فيأتي غير ذلك  
 الفريق فينقضه ويرمي صاحبه بالزندقة والتحقيق فكل فرقة من المتأولين تخطئ  
 الأخرى وتزعم أن ما اهدت اليه بعقلها أحق وأحرى فترد ما زعمت  
 تلك انه برهان فتجىء الأخرى فتبرهن على بطلانه وتزعم انه هذيان وتعتقد  
 ان الذي زخرفته هو حق اليقين فتأتي فرقة أخرى فتزعم انه من وحي الشياطين  
 فكل من طالع كتب أهل الكلام والمتصوفة علم ما في قلوبهم من الهدرمة والزخرقة  
 فالناس شتى وأراء مفرقة كل يرى الحق فيما قال واعتقدا

﴿ و ﴾ الم تر ﴿ حسن ما ﴾ أي المذهب الذي ذهب اليه والمنحاه الذي ﴿ منحاه ﴾  
 وقصده ونهجه ﴿ ذو ﴾ أي صاحب مذهب ﴿ الاثر ﴾ من النبي الأمين والصحابة  
 والتابعين والائمة المعبرين الذين هم عمدة هذا الدين ﴿ فانهم ﴾ أي الاثرية  
 المفهومين من قوله وحسن منحاه ذو الاثر ﴿ قداقتدوا ﴾ فيما اعتقدوه وعولوا فيما  
 اعتمدوه بالنبي ﴿ المصطفى ﴾ افعال من الصفوة وهو نبينا رسول الله محمد صلى  
 الله عليه وسلم ﴿ و ﴾ اقتدوا من بعده صلى الله عليه وسلم ﴿ بصحبه ﴾ الذين صحبوه  
 وتقلوا عنه الشريعة وعابنوا الوحي والتنزيل وعلموا من الرسول بما جاء به جبريل  
 فان كنت تبغي السلامة وتسلم من البدع والندامة ﴿ فاقتنع ﴾ أي ارضى ﴿ بهذا ﴾



البيان المسند الى آيات القرآن والى حديث سيد ولد عدنان والى الصحابة والتابعين والائمة المهتدين ﴿وكفى﴾ بهؤلاء مستندا ومعتقدا والسلامة فيما نحوه وأصلوه لا فيما زخرفه أهل التأويل وتقولوه

### تنبهات

(الاول) لاخلاف بين العقلاء ان الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص فتراهم ثبت أحدهم لله ما يظنه كمالا وينفي الآخر عين ما أثبتة هذا لظنه نقصا وسبب ذلك أنهم سلطوا الافكار على مالا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى خلق العقول وأعطاهها قوة الفكر وجعل لها حدا تقف عنده من حيث ماهي مفكرة لا من حيث ماهي قابلة للوهب الإلهي فاذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الافكار على ماهو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت من عمياء وخبطت خبط عشواء فلم يثبت لها قدم ولم ترتكن على أمر مطمئن اليه فان معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادرا كما من طريق الفكر وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص إلهي يختص به الانبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من ضر البدع والفكر من نزغات الفلاسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومما يوضح ذلك ان العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحاجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وانزال الكتب واللازم باطل بالنص قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ولو انا اهلكناهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) فكذا الملزوم فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحاجة البالغة واقطعت علقة الاعتذار ( فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ) لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها

ومنعها القبول وقد أنزل الكتاب وأنزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله أمرنا الشارع بالإيمان بها ومنها ناعن التفكير في ذات الله رحمة منه بنا ولطفًا لعجزنا عن ادراكه فإن تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائدة وطمع في غير مطمع وكد من غير منجع وقد أمرنا بالإيمان بالمتشابه وفي الحديث «تعلموا القرآن والنسوا غرائبها» يعني فرائضه أي حدوده - وهي حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله «رواه الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وأعملوا ما أمرتم به واتموا عما هيتم عنه واعتبروا بأمثاله وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا» وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سرى الله فهو كاذب» ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفًا بنحوه وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسولهم في العلم إن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه. ولما قدم ابن صبيغ المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابه القرآن أرسل إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجونًا من تلك العراجين فضر به حتى أدمى رأسه وفي رواية فضر به بالجر يد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برى ثم أعاد عليه الضرب ثم تركه حتى برى فدعى به ليعيده عليه فقال إن كنت تريد قتلي فأقتلي قتلا جميلًا أوردني إلى أرضي فأذن له إلى أرضه وكتب

الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين . وفي فروع ابن مفلح من  
علمائنا ان عمر رضي الله عنه أمر بهجر ابن صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات  
والنازعات انتهى وهذا من سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسد  
باب الذريعة والآية الشريفة دلت على ذم متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء  
الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم الى الله وسلموا اليه كما مدح الله تعالى المؤمنين  
بالغيب فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه أن يسلك مسلك السلف الصالح وأن  
يرقى على سلم التسليم فإنه من أنجح المصالح وأن يؤمن بالمتشابهات من آيات الأسماء  
والصفات كما فعل الصحابة والتابعون ويمثل من نبيه خاتم النبيين وامام المرسلين  
في قوله « وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » فلقد بالغ في النصيحة  
بأدلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبينا عن قومه ورسولا  
عن أمته ورضي الله تعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وذوي الحق وحزبه

### ❦ الثاني ❦

اعلم ان مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به  
نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا  
تمثيل فالله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه  
الصفات من المحدثات فاذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم  
عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم  
ووجب اثباته على الوجه الذي ورد ونكل معناه للعزير الحكيم ولا نعدل به عن  
حقيقة وصفه ولا نلحد في كلامه ولا في أسائه ولا في صفاته ولا نزيد على ما ورد ولا  
نلتفت لمن طعن في ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف فمن  
عدل عن هذا المذهب القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف فذع عنك فلاناً  
عن فلان وعليك بسنة سيد ولد عدنان فهي العروة التي لا انفصام لها والجنة  
الواقية التي لا انحلال لها والله تعالى الموفق

### ❦ الثالث ❦

قد ذم السلف الصالح لخوض في علم الكلام والتقصي والتدقيق فيما زعموا

انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتخييلات الكشفية والمباحث القرمطية وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الخافي يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله حتى ان هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوماً بلغني ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق والله علي ان أظفرني به الله لا قتلته قتلة ما قتلها أحداً فأقام بشر متوارياً أيام الرشيد نحواً من عشرين سنة قال شيخ الاسلام بن تيمية وهذه التأويلات التي ذكرها بن فورك ويذكرها الرازي في (تأسيس التقديس) ويوجد منها في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري في المائة الثالثة في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد) فيما افتري على الله من التوحيد) خشكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وقد أجمع أئمة الهدى على ذم أئمة المريسية وأكثرهم كفروهم وضلواهم وذموا الكلام وأهله بعبارات رادعة وكلمات جامعة قال أبو الفتح نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) باسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول ما رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله عز وجل خير له من أن يبتلى بالكلام وقال حكيم في أصحاب الكلام أن يصفعوا وينادى بهم في العشائر والقبائل هذا جزء من ترك السنة وأخذ في الكلام وقال سيدنا الامام أحمد عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمرء فانه لا يفلح من أحب الكلام وقال في علماء أهل البدع من المتكلمة لا أحب لاحد أن يجالسهم ولا يخاطبهم ولا يأنس بهم فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره الا الى البدعة فان الكلام لا يدعوهم الى خير فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدل عليكم بالسنن والفقهاء

الذي تنتفعون به ودعوا الجدل وكلام أهل الزيغ والمرء ادركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام وقال رضي الله عنه من أحب الكلام لم يفلح عاقبة الكلام لا تؤل الى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة وقد نقل عن هذين الامامين من ذم الكلام وأهله كلام كثير مذكور في كتب علماء السلف وعن عبد الرحمن بن مهدي قال دخلت على الامام مالك بن أنس وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر فقال الامام مالك رضي الله عنه للرجل لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم كما تكلموا في الاحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل: فهل يكون أشد من هذا الانكار من هؤلاء الائمة الكبار وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سمعت أبا حنيفة يقول لعن الله عمرو بن عبيد فإنه مبتدع والنصوص عن أئمة الهدى في ذلك كثيرة جدا وروى الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه (العرش) بسنده الى أبي الحسن القيرواني قال سمعت الاستاذ أبا المعالي الجويني يقول يا أصحابنا لا تستغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي الى ما بلغ ما اشتغلت به وقال الفقيه أبو عبد الله الدسمي قال حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على الامام أبي المعالي الجويني فعرفه في مرض موته فاقعد فقال لنا اشهدوا على اني قد رجعت عن كل مقالة قلتموها خالف فيها السلف الصالح وانني أموت على ما يموت عليه عجايز نيسابور قال الحافظ الذهبي قلت هذا معنى قول بعض الائمة عليكم بدين العجايز يعني انهم مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام قال الحافظ الذهبي وقد كان شيخنا أبو الفتح القشيري رحمه الله تعالى يقول تجاوزت حد الاكثرين الى العلى وسافرت واستبقيتهم في المفاوز وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفسي في قسيم المفاوز ولججت في الافكار ثم تراجع اختياري الى استحسان دين العجايز وقال شيخ الاسلام بن تيمية في رسالته الحموية وقد أخبر الواقف على نهايات اقدم المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم

لعومري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أوقار ع سن نادم  
وقول بعض رؤسائهم

نهاية اقدم العقول عقل وأكثر سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسامنا وغاية دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقال

قال شيخ الاسلام ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت  
أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني الله  
برحمته فالويل لفلان وهأنا ذا أموت على عقيدة أمي ويقول الآخر منهم أكثر  
الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام قال شيخ الاسلام ثم اذا حقق عليهم  
الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقفوا من ذلك  
على عين ولا أثر وما ذكرناه عن الأنبا قطرة من بحر لحي وبالله التوفيق

فان قلت اذا كان علم الكلام بالثابتة التي ذكرت والمكانة التي عنها برهنت  
فكيف ساغ للائمة الخوض فيه والتنقيب عما يحتويه ثم انك أتيت ماعنه نهيت  
وحررت ماعنه نفرت وهل هذا الا في بادي الرأي مدافعة وجمع الشدئين اللذين بينهما  
تمام المانعة قلت انما ذهب اليه ذهنك من التمانع لممتنع وما سنج في خلدك من التدافع  
لمندفع بل العلم الذي نهيناعنه غير الذي ألفنا فيه والكلام الذي حذرنا منه غير  
الذي صنف فيه كل امام وحافظ وفقه فعلم الكلام الذي نهى عن أئمة الاسلام  
هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والإلحاد والأباطيل وصرف الآيات القرآنية  
عن معانيها الظاهرة والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف  
ومذهب الأثر وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا العمري تزيق القلوب  
الملسوعة بأرقام الشبهات وشفاء الصدور المصدوعة بتراجم المحدثات ودواء  
الداء العضال وبازهر السم القتال فهو فرض عين أو عين فرض على كل نبيه  
وهو العلم الذي تعقد عليه الخناصر لدحض حجة كل متحدثق وسفيه فزال هذا  
لاشكال والله ولي الافضال

## الباب الأول

في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك من تعداد الصفات التي يثبتها المتكلمة كالسلف وأسمائه تعالى وكلامه وغير ذلك

﴿ أول واجب على العبيد معرفة الإله بالتسديد ﴾

﴿ بأنه واحد لا نظير له ولا شبه ولا وزير ﴾

﴿ صفاته كذاته قديمة أسماؤه ثابتة عظيمة ﴾

﴿ أول واجب على العبيد ﴾ جمع عبد وله أحد عشر جمعاً جمعاً ابن مالك في قوله

عباد عبيد جمع عبد وأعبد أعابد معبوداء معبودة عبيد

كذلك عبيدان وعُبدان أثبتا كذلك العبيدي وامددان شئت أن تمد

قال أبو علي الدقاق ليس شيء أشرف ولا اسم أم للمؤمن من الوصف

بالعبودية قال الشاعر

لا تدعني الايبا عبداً فانه أشرف أسمائي

وقال الآخر

أصم اذا نوديت باسمي وانني اذا قيل لي يا عبداً لسميع

﴿ معرفة الإله ﴾ سبحانه وتعالى وهي عبارة عن معرفة وجود ذاته تعالى بصفات

الكمال فيما لم يزل ولا يزال دون معرفة حقيقة ذاته وصفاته لاستحالة ذلك عقلاً

عند الأكثرين يعني ان العقل يحيل معرفة كنه ذاته وقوله أول واجب يعني

لنفسه على كل مكلف بالنظر في الوجود والموجود ووجوب ذلك بالشرع دون

العقل لأن العقل لا يوجب ولا يحرم وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة

وجبت معرفة الله عقلاً لأشراً لأنها دافعة للضرر المظنون وهو خوف العقاب

في الآخرة حيث أخبر جمع كثير بذلك وخوف ما يترتب في الدنيا على اختلاف

الفرق في معرفة الصانع من المحاربات وهلاك النفوس وتلف الأموال وكل ما يدفع

الضرر المظنون بل والمشكوك واجب عقلاً كما اذا أردت سلوك طريق فأخبرت

بأن فيها عدواً أو سبباً فانه يجب عليك اجتنابها خوف الوقوع في الهلكة ورد قولهم

يمنع ظن الخوف في الأعم الأغلب إذ لا يلزم الشعور بالاختلاف ولا بما يترتب عليه من الضرر ولا بالصانع وبماترتب في الآخرة من الثواب والعقاب والاختيار بذلك إنما يصل إلى البعض وعلى فرض الوصول لارجحان لجانب الصدق لأن التقدير عدم معرفة الصانع وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ودلالة المعجزات ولو سلم ظن خوف فلانسلم أن تحصيل المعرفة يدفعه لأن احتمال الخطأ قائم بخوف العقاب أو الاختلاف بحاله والعناء زيادة وفي كتاب الشيرازي (جامع الانوار) لتوحيد الملك الجبار) من الاشعرية ان وجوب معرفة الله بالعقل والشرع معاً والتحقيق وجوب معرفة الباري جل شأنه شرعاً وقوله ﴿بالتسديد﴾ أي التكوين والتوفيق للسداد أي الصواب يعني بالنظر الصائب في الوجود والموجود كما مر آنفاً ويجب النظر قبلها لتوقفها عليه فهو أول واجب لغيره وقال القاضي أول واجب وطاعة اكتساب ارادة النظر المؤدي إلى المعرفة فمن تركه مع القدرة عليه لغير عذر اثم ولا اثم على الناظر في مدة نظره والنظر والمعرفة ا اكتساب وقد يوهبان لمن أراد الله هداه ولا يقعان ضرورة وقيل بلى وحمل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية على المعرفة النظرية كمعرفة ابليس لا المعرفة الايمانية وقال مثبتو النبوات تحصل لهم المعرفة بالله بثبوت النبوة من غير نظر ولا استدلال في دلائل العقول ذكره القاضي أبو يعلى في (عيون المسائل) وغيره من كتبه وذكروا ابن حمدان في (نهاية المبتدئين) ان معرفة الله تحصل باكتساب موجب أي ان البداية سبقت بالتوفيق لاصابة الدليل الموصل إلى المعرفة واختصاص المراد بمعرفة سبق بفضله ومقارنة عونه بالوصول إلى تمام أدلته فتكون المعرفة الحقيقية معرفة الدليل الموصل إلى حقيقة معرفة الله تعالى وهو اكتساب موهوب كقصص ابراهيم الخليل عليه السلام في النظر. والمعرفة تزيد وتقص كالإيمان نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه فمعرفة التفصيل أزيد من معرفة الجملة وأول نعم الله تعالى الدينية على المؤمن وأعظمها ان أقدره على ارادة النظر والاستدلال لمعرفته تعالى وقال خاتمة المحققين العلامة الشيخ عثمان النجدي في تعليقه في اصول الدين أول نعم الله الدينية على عبده ان أقدره على معرفته وقال ابن حمدان بعد أن ذكر الأول وقيل ان هداه للإيمان وأول نعمه الدينية الحياة العرية عن ضرر



وقال القاضي ادراك الذات ونيل المشتبهات التي لا يتعقبها ضرر لاجلها وهو نعم كل حيوان ولكن يقيد المكلف بالشكر وهو اعترافه بنعمة المنعم على جهة الخضوع والاذعان وصرف كل نعمة في طاعة فشكر المنعم واجب شرعاً خلافاً للمعتزلة في قولهم بوجوب شكر المنعم عقلاً فيجب على كل مكلف شرعاً أن يعرف الله تعالى بصفات الكمال ويحزم ﴿بأنه﴾ سبحانه وتعالى ﴿واحد﴾ لا يتجزأ ولا ينقسم فرد صمد ﴿لا نظيره﴾ أي لا مثل له ﴿ولا شبهه﴾ له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا شريك له في ملكه ﴿ولا وزير﴾ له تعالى والوزير حبا الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه فلا وزير للباري جل شأنه يحمل ثقله ويعينه في تدبير خلقه ولا ظهير له في صنعه ولا معين له في ملكه ﴿صفاته﴾ سبحانه وتعالى الذاتية والفعلية والخبرية ﴿كذاته﴾ عز شأنه ﴿قديمه﴾ لا ابتداء لوجودها ولا انتهاء اذ لو كانت حادثة لاحتاجت الى محدث تعالت ذاته المقدسة و صفاته المعظمة عن ذلك فان حقيقة ذاته مخالفة لسائر الحقائق وكذلك صفاته تعالى قال المحققون ليست حقيقته معلومة الآن في الدنيا للناس وإنما يعلم تعالى بصفاته وهل يمكن علم حقيقته في الآخرة؟ قال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها كما سيأتي وبعضهم «لا» والرؤية لا تفيد الحقيقة كما يأتي فذهب السلف من الفرقة الناجية بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماء الحسنى و صفاته العلى ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله تعالى وآياته وليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً فالنبي المعصوم صلوات الله عليه وسلامه مع كمال علمه وقدرته و ارادته وشدة حرصه على هداية أمته وبلاغ نصحه وشفقته عليهم أرشدهم الى هذا السبيل وكذا الصحابة والتابعون لهم باحسان فالسلف في اثبات الصفات كالذات على الاستقامة

وأما المنحرفون عن طريقهم فثلاث طوائف أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل فأما (أهل التخييل) وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف فأنهم يقولون إن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان

واليوم الآخر إنما هو تحييل للحقائق لينتفع به الجمهور لأنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح الحقائق وليس فوق هذا الكفر كفر

( وأهل التأويل ) هم الذين يقولون ان النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم ذلك ولا دلهم عليها ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتباع أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوه عن مدلوله ومقتضاه ويعرفوا الحق على غيره وسواه وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعزلة ومن نحا منحاهم ولا يخفى ما في ضمن كلام هؤلاء من قصد الاضلال وعدم النصح ومناقضة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وما وصفه الله به من الرأفة والرحمة وقد تظاهر هؤلاء بنصر السنة وهم في الحقيقة لالاسلام نصروا ولالغلاسة كسروا بل فتحوا لأهل الاحاد الباب وسلطوا القرامطة الباطنية من ذوي الفساد على الاحاد في السنة والكتاب

( وأهل التجهيل ) هم الذين يقولون ان الرسول لم يعرف معاني ما أنزل عليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك وكذلك قولهم في أحاديث الصفات وأن الرسول تكلم بكلام لا يعرف معناه وهذا قول كثير من المنتسبين الى السنة واتباع السلف فيقولون في آيات الصفات وأحاديثها لا يعلم معرفتها الا الله ويستدلون بقوله تعالى ( وما يعلم تأويله الا الله ) ويقولون تجري على ظاهرها وظاهرها مراد مع قولهم ان لها تأويلها بهذا المعنى لا يعلمه الا الله قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « المحموية » التأويل الذي لا يعلمه الا الله هو الحقيقة التي يؤل الكلام اليها فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كالك وغيره : الاستواء معلوم والكيف مجهول : فكيفية الاستواء مثلاً هو التأويل الذي لا يعلمه الا الله جل وعلا ﴿ تنبيه ﴾ اختلف الناس في اثبات صفات الباري جل شأنه فأثبتها أهل الحق من غير نفي لها ولا لبعضها وهذا مذهب سلف الامة وسائر الأئمة وأثبت المتكلمون بعضها من الحياة والقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر ويسمونها الصفات الثبوتية والمعنوية وما عداها

من صفات الافعال والسلوب ونحوها فحادثة عندهم وذهبت المعتزلة والفلاسفة  
وأكثر فرق أهل الضلال الى فيها كما يأتي تحرير بعض قول أهل الاعتزال نعم  
المعتزلة تثبت له تعالى الأسماء دون الصفات والله أعلم

فصل في بحث أسمائه جل وعلا

اعلم ان المعتزلة ومن وافقهم واتبعهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون ما تضمنته  
من الصفات فمنهم من جعل العليم والتقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة  
المرادفة ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصير  
فأثبتوا الاسم دون ما تضمنته من الصفات قال شيخ الاسلام في رسالته (الدمرية)  
والكلام على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصريح المعقول المطابق لصحيح  
المنقول فان هؤلاء يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات وذلك انه قد  
علم بضرورة العقل انه لا بد من موجود قديم غني عما سواه اذ نحن نشاهد حدوث  
المحدثات كالحيوان والاعدن والنبات والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممنوع وقد  
علم بالاضطرار ان المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب كما قال  
تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) فاذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم  
الخالقون لأنفسهم تعين أن خالقاً خلقهم واذا كان من المعلوم بالضرورة أن في  
الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم فمعلوم  
ان هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود  
هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام  
لا يقضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا في  
غيره فلا يقول عاقل اذا قيل ان العرش شيء موجود وان البعوض شيء موجود  
ان هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود بل الذهن يأخذ معنى مشتركا  
كلياً هو مسمى الاسم المطلق واذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما  
يخصه لا يشركه فيه غيره مع ان الاسم حقيقة في كل منهما ولهذا سمي الله تعالى  
نفسه باسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الأسماء مختصة به اذا أضيفت اليه

لا يشركه فيها غيره لأنه سبحانه القديم وأسماؤه قديمة وصفاته قديمة فإذا كان  
 المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول الله حي عليم قدير  
 وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة قيل له لافرق بين اثبات الأسماء وبين  
 اثبات الصفات فمن زعم ان اثبات الصفات يقتضي تشبيهاً أو تجسماً لما يرى في  
 الشاهد قيل له ولا يرى في الشاهد ما هو مسمى بحي وعليم وقدير الا ما هو كذلك فكل  
 ما احتج به من نفي الصفات يحتج عليه من الأسماء الحسنى فما كان جواباً له كان  
 جواباً لمثبتي الصفات ولما كانت أسماؤه سبحانه ثابتة باتفاق أهل السنة والمعتزلة  
 قال مشيراً لذلك في النظم بقوله ﴿أسماؤه﴾ سبحانه وتعالى ﴿ثابتة﴾ بالنص والعقل  
 ﴿عظيمة﴾ وصفها بذلك لأنها معظمة موصوفة بأنها حسنى وأنها قديمة عند أهل  
 الحق كصفاته الذاتية وكذا الفعلية والمراد بأسمائه تعالى ما دل على مجرد ذاته كالله  
 أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد)  
 أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين  
 العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا ينافي اسميته فمن حيث هو صفة  
 جرى تابعاً على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم  
 وأما زعم المعتزلة ان الله كان أزلياً بلا اسم ولا صفة فلما أوجد الخلق وضعوا له  
 الأسماء والصفات كما نقله عنهم القرطبي والفاكهاني وغيرهما فهو خطأ فاحش قال  
 السمين هذا القول منهم أشد خطأ من قولهم بخلق القرآن لإشعاره بالاحتياج للغير  
 وقال ابن حمدان في (نهاية المبتدئين) في أصول الدين) أسماء الله تعالى قديمة انتهى

وقد نص الإمام الشافعي ان أسماء الله تعالى غير مخلوقة وقال سيدنا الإمام  
 أحمد من قال ان أسماء الله تعالى مخلوقة فقد كفر قال ابن حمدان ولا يقال أسماء  
 الله هي المسمى ولا غيره اذ الغير ما فارق أو يفارق بزمان أو مكان أو الوجود والعدم  
 بل يقال الاسم للمسمى به أو صفة للمسمى وعلم عليه أو دال على المسمى وقيل أسماء  
 الفعل غيره وأسماء الذات هي المسمى نفسه قال وقد عظم على الإمام أحمد الكلام  
 على الاسم والمسمى وأمسك عنه بعضهم وقال لا نعلم وقال القاضي الاسم والتسمية  
 والوصف والصفة واحد فتسمية الخلق لله هو المسمى كما نقول في التلاوة هو المتلو وأما

تسمية الله للخلق فهو غير الاسم لانهم مخلوقون وكذلك أسماءهم وقال القاضي أيضاً الاسم غير المسمى وقال أخيراً الصحيح عندي ان الوصف ليس هو الصفة لأن الوصف حروف والصفة معني يرجع الى ذات الموصوف وهي هيئة فيه ليست حروفاً قال وأما الاسم والتسمية فهما بمعنى واحد وان التسمية هي الاسم لان الجميع بحروف فهي كالتلاوة والمتلوان الجميع حروف والمسمى هو الذات انتهى وقال ابن بطه لا يقال في اسم الله انه غيره ولا هو انتهى كلام ابن حمدان

وقال الامام المحقق ابن القيم في بدائع الفوائد اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثاله حقيقة متميزة متحصلة فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه لأنه شيء موجود في اللسان مسموع بالأذان فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان وهو المسمى والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه فقد بان لك ان الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى ولهذا تقول سميت هذا الشخص بهذا الاسم كأن تقول حليته بهذه الحلية فالحلية غير المحلى فكذلك الاسم غير المسمى وقد صرح بذلك سيبويه وأخطأ من نسب اليه غير هذا وادعى ان مذهبه اتحادهما قال في البدائع وما قال نحوي قط ولا عربي ان الاسم هو المسمى ويقولون أجل مسمى ولا يقولون أجل اسم ويقولون مسمى هذا الاسم كذا ولا يقول أحد اسم هذا الاسم كذا ويقولون بسم الله ولا يقولون بسمى الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله تسعة وتسعون اسماً» ولا يصح أن يقال تسعة وتسعون مسمى ونظائره كثيرة جداً

قال ابن القيم في البدائع واذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى بقي هنا التسمية وهي اعتبر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى والتسمية عبارة عن جعل المسمى ووضع الاسم للمسمى كما ان التحلية عبارة عن فعل المحلى ووضع الحلية على المحلى فهنا ثلاث حقائق اسم ومسمى وتسمية كحلية ومحلى وتحلية وعلامة وعلم وتعليم ولا سبيل الى جعل اللفظين منها مترادفين علي معنى واحد لتباين حقائقها فاذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد

من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد فان قيل ما شبهة من قال باتحادها فالجواب شبهته  
أشياء منها ان الله تعالى هو وحده الخالق وما سواه مخلوق فلو كانت أسماؤه غيره  
لكانت مخلوقة ويلزم أن لا يكون له اسم في الازل ولا صفة لان أسماءه صفات  
وهذا أعظم ما قاد متكلمي الاثبات الى القول باتحادها والجواب عن كشف  
هذه الشبهة ان منشأ الغلط في هذا الباب من اطلاق ألفاظ مجمة محتملة لمعنيين حق  
وباطل فلا ينفصل النزاع الا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها ولا ريب  
ان الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها فلم يزل  
بصفاته وأسمائه وهو إله واحد له الاسماء الحسنى والصفات العلى وصفاته وأسمائه  
داخلة في مسمى اسمه وان كان لا يطلق على الصفة انها إله يخلق ويرزق فليست  
صفاته وأسمائه غيره وليست هي نفس الإله وبلاء القوم من لفظة الغير فانها يراد  
بها معنيين أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة بالله وكل ما غير الله مغايرة محضة  
بهذا الاعتبار فلا يكون الا مخلوقاً ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها  
فاذا قيل علم الله وكلام الله غيره بمعنى انه غير الذات المجردة عن العلم والكلام  
كان المعنى صحيحاً ولكن الاطلاق باطل فاذا أردت ان العلم والكلام مغاير  
لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلاً لفظاً ومعنى وبهذا أجاب أهل  
السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن وقالوا كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه فالله  
تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ومن تلك الصفات صفة الكلام كما  
ان علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة واذا كان القرآن كلامه وهو  
صفة من صفاته فهو متضمن لاسمائه الحسنى فاذا كان القرآن غير مخلوق ولا يقال  
انه غير الله فكيف يقال ان بعض ما تضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهي غيره فقد  
حصص الحق بحمد الله وانحسم الاشكال وان أسماءه الحسنى التي في القرآن من  
كلامه وكلامه غير مخلوق ولا يقال هو غيره ولا هو هو وهذا المذهب مخالف للمذهب  
المعتزلة الذين يقولون أسماؤه غيره وهي مخلوقة ولمذهب من رد عليهم ممن يقول  
اسمه نفس ذاته لا غيره وبالتفصيل نزول الشبهة وتبين الصواب  
احتج من قال بأن الاسم عين الذات بقوله (تبارك اسم ربك: واذا ذكر اسم ربك:

سبح اسم ربك) ونحو ذلك والجواب أنها حجة عليهم في الحقيقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمثل هذا الأمر وقال «سبحان ربي الأعلى» و«سبحان ربي العظيم» ولو كان الأمر كما زعموا لقال سبحان اسم ربي العظيم ثم إن الأمة كلهم لا يجوز أحد منهم أن يقول عبدت اسم ربي ولا سجدت لاسم ربي ولا ركعت لاسم ربي ولا يا اسم ربي أرحمني وهذا يدل أن هذه الأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم. وأما الجواب عن تعلق الذكر والتسبيح بالمأمور به بالاسم فقد قيل فيه أن التعظيم والتنزيه إذا وجب للمعظم فقد يعظم ما هو من سببه ومتعلق به كما يقال سلام على الحضرة العالية والباب السامي والمجلس الكريم ونحوه ولا يخفى أن هذا الجواب غير مرضي لأن الرسول إنما قال «سبحان ربي» فلم يرجع على ما ذكرتموه ولأنه يلزم مما ذكرتم أن يطلق على الاسم التكبير والتحميد والتهليل وسائر ما يطلق على المسمى فيقال الحمد لاسم الله ونحوه وهذا مما لم يقله أحد. والجواب الصحيح أن الذكر الحقيقي محل القلب لأنه ضد النسيان والتسبيح نوع من الذكر فلو أطلق الذكر والتسبيح لما فهم منه إلا ذلك دون اللفظ باللسان والله تعالى أراد من عباده الأمرين جميعاً ولم يقبل الإيمان وعقد الإسلام إلا باقترانها واجتماعها فصار معنى الآيتين سبح ربك بقلبك ولسانك وإذا ذكر ربك بقلبك ولسانك فأقحم الاسم تنبيهاً على هذا المعنى حتى لا يخلو الذكر والتسبيح من اللفظ باللسان لأن ذكر القلب متعلقه المسمى المدلول عليه بالاسم دون ما سواه والذكر باللسان متعلقه اللفظ مع مدلوله لأن اللفظ لا يراد لنفسه فلا يتوهم أحد أن اللفظ هو المسبوح دون ما يدل عليه من المعنى قال ابن القيم في البدائع وعبر لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة فقال المعنى سبح ناطقاً باسم ربك متكلماً به وكذا سبح اسم ربك المعنى سبح ربك ذا كراً اسمه قال وهذه الفائدة تساوي رحلة لكن لمن يعرف قدرها

واحتجوا أيضاً بقوله تعالى (ما تعبدون من دونه الأسماء) وإنما عبدوا مسمياتها والجواب أنهم وإن كان عبدوا المسميات ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة كاللغات والعزى وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمى لها في الحقيقة فأنهم سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم حقيقة الإلهية لها وليس لها من الإلهية إلا مجرد

الاسماء لاحقيقة المسمى فما عبد والاسماء لاحقائق لمسمياتها وهذا كمن سمي قشور  
البصل لحماً وأكلها فيقال ما أكلت من اللحم الا اسمه لامسماه

### ❦ تنبيهات ❦

الأول ما يجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام (أحدها) ما يرجع الى  
نفس الذات كقولك ذات وموجود وشيء (الثاني) ما يرجع الى صفات معنوية  
كالعليم والقدير والسميع والبصير (الثالث) ما يرجع الى أفعاله كالحالق والرازق  
(الرابع) ما يرجع الى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتاً اذ لا كمال في العدم  
المحض كالقدوس السلام (الخامس) ما دل على جملة أوصاف عديدة لا تختص  
بصفة معينة بل هو دال على معان نحو المجيد العظيم الصمد فان المجيد من اتصف  
بصفات متعددة من الكمال ولفظه يدل على هذا فانه موضوع لسعة والكثرة  
والزيادة ومنه قولهم : في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار : وأمجد الناقة  
علفاً : ومنه رب العرش المجيد لسعة العرش وعظمته والعظيم من اتصف بصفات  
كثيرة من صفات الكمال وكذلك الصمد (السادس) صفة تحصل من اقتران أحد  
الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو  
القدير، الحميد المجيد، ونحو ذلك فان الغنى من صفات الكمال والحمد كذلك  
واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما  
وكذلك نظائرهما

وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى الا أن تكون متضمنة  
لثبوت كالأحد المتضمن لانفراده بالرؤية والإلهية والسلام المتضمن لسلامته  
من كل نقص وبرائة من كل ما يضاد كماله وكذلك الاخبار عنه بالسلب  
انما هو لتضمنها ثبوتاً كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) فانه متضمن لكمال حياته  
وقيوميته وكذلك قوله (ولا يعرب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء)  
متضمن لكمال علمه ونظائر ذلك

### ❦ الثاني ❦

يجب أن يعلم ان ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب



أسمائه وصفاته كالشيء الموجود والقائم بنفسه فان هذا يجبر به عنه ولا يدخل في  
أسمائه الحسنى وصفاته العلى

### الثالث

أسماءه الحسنى أعلام وأوصاف فالوصف فيها لا ينافي العلمية وهذا بخلاف  
أوصاف العباد ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات دلالة على الذات والصفة  
بالمطابقة ودلالة على أحدهما بالتضمن ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم ولأسمائه  
الحسنى اعتباران (أحدهما) من حيث الذات (والثاني) من حيث الصفات فهي  
بالاعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة ولما ذكر أسماءه سبحانه وتعالى وأنها  
ثابتة للذات المقدسة وانها عظيمة قديمة أردف ذلك بقوله

﴿ لكننا في الحق توقيفيه لنا بدأ أدلة وفيه ﴾

﴿ لكننا ﴾ أي الاسماء الحسنى ﴿ في ﴾ القول ﴿ الحق ﴾ المعتمد عند أهل الحق  
﴿ توقيفية ﴾ بنص الشرع وورود السمع بها وبما يجب أن يعلم ان علماء السنة اتفقوا  
على جواز اطلاق الاسماء الحسنى والصفات العلى على البارى جل وعلا اذا ورد  
بها الاذن من الشارع وعلى امتناعه على ماورد المنع عنه واختلفوا حيث لا اذن ولا  
منع في جواز اطلاق ما كان تعالى متصفاً بمعناه ولم يكن من الاسماء الاعلام  
الموضوعة من سائر اللغات اذ ليس جواز اطلاقها عليه تعالى محل نزاع لاحد بشرط  
أن لا يكون اطلاقها يوم نقصاً بل كان مشعراً بالمدح فالجمهور منعوا اطلاق ما لم يأذن  
به الشارع مطلقاً وجوزوه المعتزلة مطلقاً وما ليه بعض الاشاعرة كالقاضي أبي بكر الباقلاني  
وتوقف امام الحرمين الجويني وفصل الغزالي فجوزوا اطلاق الصفة وهي على ما دل  
على معنى زائد على الذات ومنع اطلاق الاسم وهو ما يدل على نفس الذات واحتج  
للقول المعتمد انها توقيفية بأنه لا يجوز أن يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس  
من أسمائه فالبارى أولى وتعلق المعتزلة بان أهل كل لغة يسمونه سبحانه باسم مختص  
بلغتهم كقولهم (خدائي) وشاع من غير تكبر. رد هذا بأنه لو ثبت لكان كافياً في  
الاذن الشرعي. والتوقيفي ماورد به كتاب أوسنة صحيحة أو حسنة أو اجماع لانه

لا يخرج عنها وأما السنة الضعيفة والقياس فلا يثبت بهما لان المسئلة من العمليات  
 فلهذا قال ﴿لنا﴾ معشر أهل السنة وأتباع السلف ﴿بذا﴾ أي باعتبار ثبوت التوقيف  
 في أسماء الباري جل وعلا من الشارع ﴿أدلة﴾ جمع دليل ﴿وفيه﴾ عالية توفي بالمقصود  
 لأن ما لم يثبت عن الشارع لم يكن مأذوناً في اطلاقه عليه والاصل المنع حتى يقوم  
 دليل الاذن فاذا ثبت كان توقيفاً قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (بدائع  
 الفوائد) ما يطلق عليه سبحانه وتعالى في باب الاسماء والصفات توقيفي وما يطلق  
 في باب الاخبار لا يجب أن يكون توقيفاً كالقديم والشئ، والموجود والقائم بنفسه  
 فهذا فصل الخطاب في مسئلة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض  
 ما لا يرد به السمع

### تنبيهات

أحدها اذا كانت الصفة منقسمة الى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه  
 تعالى بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمريد والماعل والصانع فان هذه الالفاظ  
 لا تدخل في أسمائه ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الاطلاق بل هو الفعال لما يريد  
 فان الارادة والفعل والصنع منقسمة ولهذا انما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلا  
 وخبراً ثم انه لا يلزم من الاخبار عنه بالفعل مقيدان يشتق له منه اسم مطلق كما غلط  
 فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى - المفضل القاتن الما كرك - تعالى عن  
 قوله فان هذه الاسماء لم يطلق عليه سبحانه منها الا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز ان  
 يسمى بأسمائها المطلقة وقال السعد فان قيل قد وجدنا من الاوصاف ما يمتنع اطلاقه  
 مع ورود الشرع به كالماكر والمستهزى، والمنزل والمنشى، والحارث والزارع والرامي  
 أي والبانى والآمر والناهي قلنا لا يكفي في صحة الاجراء على الاطلاق مجرد وقوعها  
 في الكتاب والسنة بحسب ما اقتضاه المقام واتساق الكلام بل يجب أن لا يخلو  
 عن نوع تعظيم ورعاية أدب: وما قبل هذا أوضح منه وأتم فائدة

### ❦ الثاني ❦

ان الاسم اذا أطلق على الله تعالى جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به

عنه فعلا ومصدرا نحو السميع البصير التقدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة  
ويخبر عنه بالافعال من ذلك نحو: قد سمع الله (فقدرنا فنعم القادرون) هذا ان  
كان الفعل متعدياً فان كان لازماً لم يخبر عنه به نحو الحي يطلق الاسم والمصدر  
دون الفعل فلا يقال حيي

### الثالث

احصاء أسماء الله الحسنى والعلم بها أصل العلم بكل معلوم فان المعلومات سواء إما  
أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا والعلم إما علم بما كونه أو علم بما شرعه ومصدر  
الخلق والامر عن أسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباطا مقتضى بمقتضيه فالامر  
كله مصدره عن أسمائه الحسنى ولهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرافة والرحمة  
بهم والاحسان اليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه فأمره كله مصلحة وحكمة  
ورحمة ولطف واحسان اذ مصدره أسماؤه الحسنى وفعله كله لا يخرج عن العدل  
والحكمة والمصلحة والرحمة اذ مصدره أسماؤه الحسنى أيضاً فلا تفاوت في  
خلقه ولا عبث ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثاً فالعلم بأسمائه واحصاؤها أصل  
لسائر العلوم فمن احصاها كما ينبغي للمخلوق دخل الجنة

### الرابع

أسماؤه كلها حسن ليس فيها اسم الا وهو حسن وقد تقدم ان من أسمائه ما يطلق  
عليه باعتبار الفعل نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت وهذا يدل على ان أفعاله كلها  
خيرات محضه لا شر فيها لانه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى  
وهذا باطل فالشر ليس اليه فكلا لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته فلا يدخل في  
أفعاله فالشر لا يضاف اليه فعلا ولا وصفاً وانما يدخل في مفعولاته وقرن بين الفعل  
والمفعول فالشر قائم بمفعوله المبين له لا بفعله الذي هو فعله فتأمل هذا فانه خفي  
على كثير من المتكلمين وزلت فيه أقدم وضلت فيه أفهام وهدى الله أهل الحق  
لما اختلفوا فيه باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كما حرر ذلك كله  
في البدائع

الخامس ❦

اختلف في مراتب احصاء أسماء الله تعالى التي من أحصاها دخل الجنة وهذا قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح فقبل أحصى أفاضها وعددها وقيل فهم معانيها ومدلولها وقيل دعاؤه بها كما قال تعالى ( والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ) وهذا على مرتبتين احدها دعاء ثناء وعبادة والثاني دعاء طلب ومسئلة فلا يثنى عليه الا باسمائه الحسنى وصفاته العلى ولذلك لا يستل الا بها فلا يقال يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني بل يستل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً اليه بذلك الاسم قال في البدائع وهذه العبارة أولى من عبارة من قال تتخلق باسماء الله فانها ليست بعبارة سديدة وهي منترعة من قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه به على قدر الطاقة: والحاصل ان لهم أربع مراتب أشدها انكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه به تعالى ثم يليها عبارة من قال تتخلق بأسمائه تعالى وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن بركان وهي التبعيد وأحسن من الجميع الدعاء وهي المطابقة للأمر القرآني وبالله التوفيق

السادس ❦

الإلحاد في أسمائه تعالى المشار اليه في قوله تعالى ( والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ) وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ) هو العدول بها وبحقائقتها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادة - ل ح د - تقول العرب التحد فلان الى فلان اذا عدل اليه فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع (أحدها) ان تسمى الأصنام بها كنسيتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز وتسميتهم الضم إلهاً وهذا إلحاد حقيقة فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة ( الثاني ) تسميته بما لا يليق بجلاله كنسمية النصارى له أباً وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك ( والثالث ) وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود انه فقير وقولهم انه استراح بعد ان خلق خلقه وقولهم يد الله مغلولة وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته ( ورابعها ) تعطيل الاسماء عن

معانيها وجحد حقائقها كقول الجهمية ومن تبعهم ان أسماءه تعالى ألقاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحى والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لاحياة له ولاسمع ولا بصر ولا كلام ولا ارادة تقوم به وهذا من أعظم الالحاد فيها عقلا ولغة وشرعاً وفطرة وهو مقابل لإلحاد المشركين (وخامسها) تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه فهو إلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة تعالى الله عن إلحادهم علواً كبيراً وبرأ الله أتباع رسوله وورثه نبيه القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ووصفه به نبيه فأثبتوا له الاسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التمثيل وتنزيههم خلياً عن التعطيل والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل انتهى ملخصاً من البدائع والله الموفق

### فصل في بحث صفات مولانا عز وجل

اعلم ان التوحيد ثلاثة أقسام توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الصفات فتوحيد الربوبية ان لاخالق ولارازق ولامحيي ولامميث ولا موجد ولا معدم الا الله تعالى وتوحيد الالهية إفراده تعالى بالعبادة والتأله والخضوع والذل والحب والافتقار والتوجه اليه تعالى وتوحيد الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيًا وإثباتًا فيثبت له ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم ان طريقة سلف الامة وأئمتها اثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكهيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد في الاسماء ولا في الآيات فانه تعالى ذم الملحدون في أسمائه وآياته فقال (وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعمالوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) فطريقه سلف الامة وأئمتها إثبات الاسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) والله سبحانه وتعالى بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتعطيل فالاثبات المفصل من أسمائه

وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الآية وقوله «قل هو الله أحد» (السورة) وهو العليم الحكيم . وهو العليم القدير . وهو السميع البصير . وهو العزيز الحكيم . وهو الغفور الرحيم . وهو بكل شيء عليم . الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير . وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه اتباعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم . - وغضب الله عليه ولعنه - وكلم الله موسى تكليماً . - ونادىناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً . - ويوم يناديهم - إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . - ورحمتي وسعت كل شيء . - الى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي أسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته فإن في ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل واثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده الى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بخلاف من حاد وزاغ عن سبيلهم من الكفار والمشركين ومن ضاهى هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والقرامطة والجهمية والباطنية والملاحدين فهم على الضد من ذلك فيصفون الله سبحانه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون الوجوداً مطلقاً لاحقيقة له عند التأمل وإنما يرجع الى وجود في الازهان لافي الاعيان فقولهم يستلزم التعطيل والتمثيل فانهم يمثلونه بالمتنعات والمدومات والجمادات ويعطون الاسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات المقدسة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ولما كانت أسماؤه الحسنی تعالى يقول باثباتها أهل السنة وكذا المعتزلة على مامر قدم البحث عليها ولما كانت صفاته تعالى منها ما اتفق عليه كالصفات السبعة ومنها ما اختلف فيه كصفات فعله تعالى ورحمته وغضبه ونحوها بدأ بما اتفق عليه منها وهي

السبع صفات الثبوتية

﴿ له الحياة والكلام والبصر ﴾

﴿ سمع ارادة وعلم واقتدر ﴾

﴿ بقدرة تعلقت بممكن ﴾

﴿ كذا ارادة فع واستبين ﴾

- ﴿ والعلم والكلام قد تعقا بكل شيء يا خليلي مطا ﴾  
 ﴿ وسمعه سبحانه كالبصر بكل مسموع وكل مبصر ﴾  
 ﴿ وان ماجاء مع جبريل من محكم القرآن والتنزيل ﴾  
 ﴿ كلامه سبحانه قديم أعبي الوري بالنص يا عليم ﴾  
 ﴿ وليس في طرق الوري من أصله أن يستطيعو سورة من مثله ﴾

الاولى ما أشار إليها بقوله مما يجب ﴿ له ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ الحياة ﴾ وهي صفة ذاتية ثبوتية قديمة أزلية تقتضي صحة العلم والقدرة لاستحالة قيامها بغير الحي قال العلماء رحمهم الله تعالى حياة الباري عز وجل مما اتفق عليه العقلاء نعم الحياة في حقه لا يجوز أن تكون بمعنى الحياة في حقنا لأنها في حقنا قوة تتبع اعتدال النوع وهذا في حقه تعالى محال فمن ثم اختلف في معناها في حقه تعالى فقال أبو الحسين البصري من المعزلة حياته صحة العلم والقدرة فمغنى كونه حياً أنه يصح أن يعلم ويقدر وعند الفلاسفة الحي هو الدراك الفعال وقال أهل السنة حياته صفة زائدة على العلم والارادة قديمة قائمة بذاته لأجلها يصح أن يعلم ويقدر لانفس صحة العلم والقدرة وكذا فسرها جمهور الأئمة من أهل السنة والجماعة فهي صفة كمال في نفسها فاتصف بها جل وعلا فصفة الحياة هي الجامعة لسائر الصفات متقدمة الرتبة عليها فلا يتقدمها الا الوجود وهي لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم ومثلها الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات الذاتية وضابطها انها كل صفة لا تقتضي أمراً زائداً على قيامها بمحلها كما ان ضابط ما يتعلق من الصفات انها كل صفة تقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلها فان العلم يقتضي معلوماً والقدرة تقتضي مقدوراً الخ (نبيه) ذكر الامام المحقق ابن القيم في البدائع ان الصفة متى قامت بموصوف لزمتها أمور أربعة أمران لفظيان وأمران معنويان فاللفظيان ثبوتي وسلبى فالثبوتي ان يشق للموصوف منها اسم والسلبى ان يمتنع الاشتقاق لغيره والمعنويان ثبوتي وسلبى فالثبوتي انه لا يعود حكمها الى الموصوف ويخبر بها عنه والسلبى انه لا يعود حكمها الى غيره ولا يكون خبراً عنه وهذه قاعده عظيمة في معرفة الاسماء والصفات كالكلام والعلم ونحوها

(الثانية) ما أشار إليها بقوله ﴿و﴾ يجب له سبحانه وتعالى ﴿الكلام﴾ أي يجب الجزم بأنه تعالى متكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لا يشبه كلام الخلق قال شيخ الاسلام أبو العباس ثقي الدين ابن تيمية في شرح «رسالة الاصفهاني» الامام المتكلم الاشعري قد اتفق سلف الامة وأئمتها على ان الله تعالى متكلم بكلام قائم بذاته وان كلامه تعالى غير مخلوق وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم ان كلامه تعالى مخلوق خلقه في غيره وانه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء واتفق أئمة السلف على ان كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود قال ومعنى قولهم منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلق في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات وانه سبحانه لم يقم به كلام قال ولم يرد السلف انه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره ولهذا قال سيدنا الامام أحمد كلام الله ليس بيائن من خلقه في بعض الاجسام قال شيخ الاسلام ومعنى قول السلف «واليه يعود» ما جاء في الآثار «ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية» وما جاءت به الآثار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحدِيث الذي رواه الامام أحمد في المسند وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه» يعني القرآن وفي لفظ «باحب اليه مما خرج منه» وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة - ان هذا كلام لم يخرج من الرأي من رب - وقول ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع قائلاً يقول لميت لما وضع في حده اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال - مه القرآن كلام الله ليس بمر بوب منه بدأ واليه يعود - وهذا الكلام معروف عن ابن عباس رضي الله عنهما وقول السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود كما استفاضت الآثار عنهم بذلك كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالاسانيد المشهورة



(قال) شيخ الاسلام في شرح «الأصفهانية» وهذه الروايات لا يدل شيء منها على ان الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره وانما تدل على ان الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع لانه خلقه في غيره كما فسره بذلك الامام أحمد رضي الله عنه وغيره من الأئمة قال أبو بكر الخلال سئل الامام أحمد عن قوله القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود فقال الامام أحمد منه خرج هو المتكلم به واليه يعود يعني ما قدمنا. فان قيل هل كلام الباري جل وعلا صفة ذات أو صفة فعل؟ فالجواب مذهب سلف الامة ومحقق الأئمة انه صفة ذات وفعل معا فان صفة الكلام لله عز شأنه ثابتة باجماع الانبياء على ذلك فيتكلم اذا شاء ومتى شاء بلا كيف فان الكلام صفة كمال لا تقص فيه فالرب أحق ان يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا تقص فيه يثبت للمخلوق فالخالق أولى به لأن القديم الواجب الخالق أحق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ولان كل كمال يثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتعا وهو محال بخلاف الفرض واما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره والرب تعالى لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطي الكمال أحق بالكمال فيلزم ان يكون غيره أكمل منه لو كان غيره معطيا له الكمال وهذا محال بل هو جل شأنه بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلماً على غيره فيجب ثبوت كونه متكلماً وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازماً له بدون قدرته ومشيئته والذي لم يزل يتكلم اذا شاء أكمل ممن صار الكلام يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكناً له وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته (وقال ابن كلاب) ومن وافقه كلامه تعالى صفة ذات لازم لذاته كزوم الحياة ليس هو متعلقاً بمشيئته وقدرته بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته لزم ان يكون حادثاً فيلزم ان يكون مخلوقاً أو قائماً بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لأن القابل للشيء لا يخلوعه وعن ضده قالوا تسلسل الحوادث ممتنع اذ التفريع على هذا الاصل ثم ان هؤلاء لما قالوا يقدم عين الكلام تنازعوا

فقالت طائفة القديم لا يكون حروفاً ولا أصواتاً لأن الصوت يستحيل بقاؤه كما  
 يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدوم عينه بطريق الأولى والأحرى  
 فيمتنع قدم شيء من الاصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات المعينة  
 لأن تلك لا تكون كلاماً الا اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقاً بغيره فلو  
 كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقاً  
 بغيره وهذا ممتنع فيلزم أن يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده لأنه لو  
 تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحاً بلا مرجح وان كان لا يتناهى لزم  
 وجود أعداد لانهاية لها في آن واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحداً  
 هو الامر والنهي والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال شيخ  
 الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا أصل قول الكلايين والاشعرية ومن وافقهم  
 وقالت طائفة من أهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم انه حروف قديمة  
 الاعيان لم تنزل ولا تزال وهي مترتبة في ذاتها لافي وجودها كالحروف الموجودة  
 في المصحف وليس بأصوات قديمة ومنهم من قال بل هو أصوات أيضاً قديمة ولم  
 يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التي لا توجد الامتعاقة وبين الحروف المكتوبة  
 التي توجد في آن واحد كما يفرق بين الاصوات والمداد ويمتنع ان يكون الصوت  
 المعين قديماً لأن ماوجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والصوت لا يبقى واما  
 الحروف المكتوبة فقد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد أو ما يقدر بالمداد  
 كالشكل المصنوع في حجر وورق بازالة بعض اجزائه وقد يراد بالحروف نفس  
 المداد واما الحروف المنطوقة فقد يراد بها أيضاً الاصوات المقطعة المرلفة وقد  
 يراد بها حدود الاصوات وأطرافها كما يراد بالحرف في الجسم حده ومنتهاه فيقال  
 حرف الرغيف وحرف الجبل ومنه قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف)  
 وقد يراد بالحروف الحروف الحالية وهو ما يشكل في باطن الانسان من الكلام  
 المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به وقد تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون  
 أصوات في الحي الناطق على قولين لهم وعلى هذا تنازعت هذه الطائفة القائلة  
 بقدم أعيان الحروف هل تكون قديمة بدون أصوات قديمة أم لا بد من أصوات؟

قد يمة لم تزل ولا تنزال ثم القائلون بقدم الاصوات المعينة تنازعوا في المسموع من القارى هل يسمع منه الصوت القديم فليل المسموع منه هو الصوت القديم وقيل بل صوتان الا ان احدهما القديم والاخر المحدث فما لا بد منه في وجود القرآن فهو القديم وما زاد على ذلك فهو المحدث وقيل بل الصوت القديم غير المسموع من العبد وهذا كله كلام من لا يعول على كلامه من الفرق الماثلة. والذين قالوا ان كلامه تعالى صفة فعل هم الذين يقولون ان القرآن مخلوق وبين الفرقين بنون الأولون يقولون ان التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال لأنه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعا لما كان موجودا قبل سماعه بمنزلة ما جعل الاعمى بصيرا لما كان موجودا قبل رؤيته من غير احداث شيء منفصل عن الاعمى فعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لأنه حينئذ نودي ولهذا يقولون انه يسمع كلامه خلقه بدل قول الناس انه يكلم خلقه. واما الآخرون وهم الخلقية الذين يقولون ان القرآن مخلوق خلقه الله تعالى في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية ولا يخفى ان قوله تعالى « منزل من ربك » مبطل لهذا ولقول من يقول ان القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل او محمد والهواء أو الهمة جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي أو الهمة محمد فعبر عنه بالقرآن العربي أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره فهذا قول من يقول ان القرآن العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى وهذا قول الكلائية والأشعرية في نفس القرآن العربي الذي جاء به جبريل من رب العالمين فبلغه للنبي الامين وأخبرنا الله ورسوله انه كلام رب العالمين نزل به الروح الامين. وقالت طائفة بل الكلام لا بد ان يقوم بالمتكلم ويمتنع ان يكون كلامه مخلوقا في غيره والحق جل شأنه متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادثا كان بعد ان لم يكن وهذا قول الكرامية ومن نحا نحوهم ثم من هؤلاء من يقول كلامه كله حادث لا يحدث ومنهم من يقول هو حادث ومحدث

## ﴿ مذهب السلف في الكلام ﴾

وتحري مذهب السلف ان الله تعالى متكلم كما مر وان كلامه قديم وأن القرآن كلام الله وأنه قديم حروفه ومعانيه وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر بقوله (إنه فكّر وقدّر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدره ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا لاسحر يوثر ان هذا الاقوال البشر) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول بشر أو جني أو ملك فمن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر. وأما قوله تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر) فالمراد ان الرسول بلغه عن مرسله لانه قوله من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي أرسله كما قال (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى يعرض نفسه على الناس في المواسم ويقول «الأرجل يحملني الى قومه لا بلغ كلام ربي فان قر يشاقد منعوني ان أبلغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره والكلام كلام من قاله مبتدئاً به لا كلام من قاله مبلغاً مؤدياً وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسمع موسى مطلق بلا واسطة وسمع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الانبياء بارسال رسول اليهم والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «نصر الله أمر سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه» فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوماً فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك ولهذا قال تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «زينوا القرآن بأصواتكم» فجعل الكلام كلام

الباري وجعل الصوت الذي يقرؤه به العبد صوت القاري وأصوات العباد ليست هي الصوت الذي ينادي الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فإن الله ليس كمثل شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فليس علمه كمثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداءه مثل نداءهم ولا صوته مثل أصواتهم فمن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال أن أصوات العباد أو المداد الذي يكتب به القرآن قديم أزلي فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف وهو كلام الله مبلّغاً عنه مسموعاً منه تعالى فكلام الله قديم وصوت العبد مخلوق

والحاصل أن مذهب الحنابلة كسائر السلف أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت قال الامام الموفق في رسالته - البرهان في حقيقته القرآن - قال تعالى (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً) وقال (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) وهو هذا الكتاب العربي الذي هو مائة وأربع عشرة سورة أولها الفاتحة وآخرها قل أعوذ برب الناس مكتوب في المصاحف متلو في المحاريب مسموع بالأذان متلو باللسن محفوظ في الصدور له أول وآخر وأجزاء وابعاض وهو كلام الله تعالى وقولهم أن القديم لا يجزأ ولا يتعدد غير صحيح فإن أسماء الله تعالى متعددة قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أن لله تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة » وهي قديمة وقد نص الامام الشافعي أن أسماء الله غير مخلوقة وقال الامام أحمد من قال ان أسماء الله تعالى مخلوقة فقد كفر فكذا كتب الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان متعددة وهي كلام الله تعالى وقد ورد السمع بان القرآن ذو عدد وأقر المسلمون بانه كلام الله تعالى وقد عد الأشعري صفات الله سبع عشرة صفة وبين ان منها ما لا يعلم الا بالسمع فاذا جاز أن يوصف بصفات متعددة لم يلزم بدخول العدد في الحروف شيء قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه القرآن كيف تصرف فهو غير مخلوق ولا نرى القول بالحكاية والعبارة وغلط من قال بهما وجهه فقال من قال ان القرآن عبارة عن

كلام الله فقد غلط وجهل قال وقوله تعالى (تكليماً) يبطل الحكاية منه بدا واليه يعود قال الامام موفق الدين ابن قدامة واما قولهم ان كلام الله يجب ان لا يكون حروفاً يشبه كلام الآدميين فالجواب ان الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه كما ان اتفاق البصر في انه ادراك المبصرات والسمع في انه ادراك المسموعات والعلم في انه ادراك المعلومات ليس بتشبيه كذلك هذا وايضاً يلزمهم ان نفوا هذه الصفة لكون هذا تشبيهاً أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها واما قولهم ان الحروف تحتاج الى مخارج وأدوات فالجواب ان احتياجها الى ذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام ربنا تعالى عن ذلك. على ان بعض المخلوقات لم تحتاج الى مخارج في كلامها كالأيدي والارجل والجلود التي تنكلم يوم القيمة والحجر الذي سلم على النبي صلى الله عليه وسلم والحصى الذي سبغ في كفه والذراع المسمومة التي كلمته وقال ابن مسعود - كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل - واذا قالوا ان الله تعالى يحتاج كما جئنا قياً سائراً علينا فهو عين التشبيه الذي يفرون منه وقولهم ان التعاقب يدخل في الحروف قلنا انما كان ذلك في حق من ينطق بالمخارج والادوات والله سبحانه لا يوصف بذلك قال الحافظ أبو نصر انما يتعين التعاقب في من ينكلم باداة يعجز عن اداء شيء الا بعد الفراغ من غيره وأما المتكلم بلا جارحة فلا يلزم في كلامه التعاقب وقد اتفقت العلماء على ان الله سبحانه وتعالى يتولى الحساب بين خلقه يوم القيمة في حالة واحدة وعند كل واحد منهم ان المخاطب في الحال هو وحده وهذا خلاف التعاقب. قال الامام موفق في قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً) وكلمه ربه - وقال تعالى - وناديناه من جانب الطور الايمن: وقال تعالى - اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى -) أجمعنا على أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله تعالى من الله لا من شجرة ولا من حجر ولا من غيره لأنه لو سمع من غير الله تعالى لكان بنو اسرائيل أفضل في ذلك منهم لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام وهو على زعمهم انما سمع من الشجرة ثم يقال لهم لم سمي موسى كليم الله؟ واذا ثبت ان موسى عليه السلام انما سمع من الله عز وجل لم يجوز أن يكون الكلام الذي سمعه الاصوتاً وحرفاً فانه لو كان معنى في النفس وفكرة وروية لم يكن

ذلك تسكيباً لموسى ولا هو شيء يسمع والفكر لا يسمى مناداة فان قالوا نحن لانسميه صوتاً مع كونه مسموعاً قلنا هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى فانه لا يعني بالصوت الا ما كان مسموعاً ثم ان لفظ الصوت قد صحت به الاخبار قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ومن نفي الصوت يلزمه ان الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه بل ألهمهم اياه الهاماً قال وحاصل الاحتجاج للنبي الرجوع الى القياس على أصوات المخلوقين لانها التي عهدت ذات مخارج ولا يخفى ما فيه اذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما ان الروية قد تكون من غير اتصال أشعة ولئن سلم فليمنع القياس المذكور لان صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة وجب الايمان به ثم إما التفويض واما التأويل وقال ابن حجر أيضاً في موضع آخر من شرح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم «ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب» حمله بعض الأئمة على مجاز الحذف أي يأمر من ينادي فاستبعده بعض من أثبت الصوت بأن في قوله يسمعه من بعد إشارة الى أنه ليس من المخلوقات لانه لم يعهد مثل هذا فيعم وبأن الملائكة اذا سمعوه صعقوا واذا سمع بعضهم بعضاً لم يصعقوا قال فعلى هذا فصوته صفة من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره اذ ليس يوجد شيء من صفاته في صفات المخلوقين قال وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب خلق أفعال العباد انتهى

ومن الاحاديث في اثبات الصوت ماروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الانصاري رضي الله عنه فقال عبد الله بن أنيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يحشر الله العباد - أوقال - الناس - وأوما بيده الى الشام» حفاة عراة غرلا بهما» قال قلت ما بهما قال ليس معهم شيء «فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الدينان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة» قلنا كيف وانما تأتي الله حفاة عراة غرلا قال «بالحسنات والسيئات» أخرج أصله البخاري في صحيحه

تعليقاً مستشهداً به الى قوله: أنا الملك أنا الدين: وأخرجه الامام أحمد وأبو يعلى الموصلي والطبراني وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بلغني ان للنبي صلى الله عليه وسلم حديثاً في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر فاشترت بعيراً فشدت عليه رحلاً وسرت حتى وردت مصر فضيت الى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه فخرج الي مملوكه فنظر في وجهي ولم يكلمني فدخل الى سيده فقال اعرابي فقال سله من أنت فقال جابر بن عبد الله الانصاري فخرج الى مولاه فلما تراءى لنا اعتنق أحدنا صاحبه فقال يا جابر ما جئت تعرف فقلت حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص ولا أظن ان أحداً من مضى ومن بقي أحفظ له منك قال نعم يا جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله تبارك وتعالى يبعثكم يوم القيمة من قبوركم حفاة عراة غرلابهما ثم ينادي بصوت رفيع غير قطع يسمعه من بعد كن قرب: أنا الدين لا تظالم اليوم أما وعزتي لا يجاورني اليوم ظالم ولو لطمه بكف أو يد على يد: ألا وان أشد ما تخوف على أمي من بعدي عمل قوم لوط فلترتقب أمي العذاب اذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال» وقد رواه عبد الحق الاشبيلي من طريق الحارث بن أبي أسامة ومن مسنده نقله وخرجه علي بن معبد البغوي الملكي وغيره وفيه - فابتعت بعيراً فشدت عليه رحلي ثم سرت اليه فسرت شهراً حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن أنيس الانصاري فأتيت منزله فأرسلت اليه ان جابراً على الباب فرجع الرسول الي فقال جابر بن عبد الله؟ قلت نعم فرجع اليه فخرج فاعتنقته فقلت حديث بلغني انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يحشر الله العباد - أو قال الناس الحديث وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله اذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صالحة كبر السائلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك يقول الحق فينادون الحق الحق» أخرجه أبو داود ورجاله ثقة ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري



وأبو داود والترمذي وابن ماجه وكذا رواه الامام أحمد وابنه عبدالله وقال سألت  
أبي فقلت يا أباي الجهمية يزعمون ان الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا انما  
يدورون على التعطيل ثم روى الامام أحمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله بن  
مسعود رضي الله عنه قال « اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء » قال السجزي  
ومافي رواية هذا الخبر الامام مقبول انتهى وثمة الخبر: « فيخرون سجدا حتى اذا  
فرغ عن قلوبهم - أو قال سكن عن قلوبهم - قال أهل السماء ماذا قال ربكم قالوا  
الحق قال كذا وكذا » قال القاضي أبو الحسين وغيره ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود  
رضي الله عنه الا توقيفاً لانه اثبات صفة للذات انتهى وقد روي في اثبات الحرف  
والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثاً بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج  
بها أخرجه الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره وأخرج سيدنا الامام أحمد  
غالبها واحتج به وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضاً في شرح البخاري واحتج  
بها البخاري وغيره من أئمة الحديث على ان الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت  
وقد صححوا هذا الاصل واعتقدوه واعتمدوا على ذلك منزهيين الله تعالى عمالا  
يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسائر النقص كما قالوا في سائر الصفات فاذا  
رأينا أحداً من الناس مما لا يقدر عشر معشار هؤلاء يقول لم يصح عن النبي صلى  
الله عليه وسلم حديث واحد انه تكلم بحرف وصوت ورأيت هؤلاء الأئمة قد  
دونوا هذه الاخبار وعملوا بها ودانوا الله سبحانه وتعالى بها وصرحوا بأن الله  
تعالى تكلم بحرف وصوت لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة معتمدين  
على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لا يتطرق  
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتريه شك ولا وهم  
ولا خيال نفي التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل بل يقولون في صفة الكلام  
كما يقولون في سائر الصفات اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما عليه سلف  
الأئمة وغفول الأئمة فهو حق اليقين بلا محال وهل بعد الحق الا الضلال

(نبيه) ممن ذهب الى مذهب السلف والحنابلة من قدم كلامه تعالى وانه بحرف  
وصوت من متأخري محققى الاشاعرة صاحب المواقف وان رد عليه جمع منهم من

متحذلق ومجازف وسيأتي لذلك نعمة عند ذكر القرآن الكريم والفرقان القديم وبالله التوفيق الصفة الثالثة والرابعة ما أشار إليهما بقوله ﴿و﴾ يجب له سبحانه وتعالى ﴿البصر﴾ وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتعلق بالمبصرات فيدرك بها ادراكاً تاماً لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق نأثر حاسة كما يأتي الكلام على ذلك مع السمع قريباً ﴿سمع﴾ باسقاط حرف العطف أي ويجب له سبحانه وتعالى سمع قال العلامة ابن هشام في حذف حرف العطف بابه الشعر كقول الخطيئة

ان امرأ رهطه في الشام منزله \* برمل يبرين جارشد ما اغتربا

أي ومنزله والسمع صفة قديمة يتعلق بالمسموعات واثبات هاتين الصفتين أعني السمع والبصر للدلائل السمعية وهما صفتان زائدتان على الذات عند أهل السنة كسائر الصفات لظواهر الآيات والأحاديث وليس راجعين إلى العلم بالمسموعات والمبصرات خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم وللإمام أبي الحسن الأشعري في قوله انها راجعان إلى العلم بالمسموع والمبصر لكن المشهور من مذهب الأشاعرة كسائر أهل السنة ان كلاماً من السمع والبصر صفة معايرة للعلم ونقل صاحب المواقف أن الجمهور خالف أبا الحسن الأشعري في قوله انها راجعان إلى العلم قال فانا اذا علمنا شيئاً كاللون مثلاً علماً تاماً ثم رأيناه فانا نجد بين الحالتين فرقاً ضرورياً ونعلم أن الحالة الثانية مخالفة للحالة الأولى بلا شبهة ولو كان الإبصار علماً بالمبصر لم يكن هناك فرق وهكذا نجد الفرق بين العلم بهذا الصوت وسماعه وبين العلم بهذا الطعم وذوقه وبين العلم بهذه الرائحة وشمها وظواهر الكتاب والسنة تدل على المعايرة بين العلم والسمع والبصر ففي البخاري في (باب وكان الله سميعاً بصيراً) عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات: وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا اذا علونا كبرنا فقال «أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً بصيراً قريباً» الحديث وقال الامام الحافظ البيهقي في كتابه الاسماء والصفات السميع من له سمع يدرك به المسموعات والبصير من له بصر يدرك به المرئيات ولكل منهما في حق البارئ صفة قائمة بذاته تعالى وقد أفادت الآية والأحاديث الرد على من

زعم انه سميع بصير بمعنى عليم وأخرج أبو داود بسند قوي على شرط مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الى قوله - ان الله كان سميعاً بصيراً)؛ ويضع أصبعيه: قال أبو يونس وضع أبو هريرة إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه قال البيهقي وأراد بهذه الاشارة تحقيق اثبات السمع والبصر لله لبيان محلها من الانسان يريدان له سمعاً وبصراً لأن المراد به العلم فانه لو كان كذلك لاشار الى القلب لانه محل العلم ولم يرد بذلك الجارحة فان الله تعالى منزه عن مشابهة الخلق ولا يلزم من قدم السمع والبصر قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لانها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث (الصفة الخامسة) ما أشار اليها بقوله ﴿ارادة﴾ باسقاط حرف العطف على ما مر أي ويجب له تعالى صفة الارادة ويراد فيها المشيئة وهما عبارتان عن صفة في الحي توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الاوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة الى الكل قال علماء الكلام نسبة الضدين الى القدرة سواء اذ كما يمكن أن يقع بقدرة تعالى أحد الضدين يمكن أن يقع به الضد الآخر ونسبة كل منهما الى الاوقات سواء اذ كما يمكن أن يقع في وقته الذي وقع فيه يمكن أن يقع قبله أو بعده فلا بد من مخصص يرجح أحدهما على الآخر ويعين له وقتاً دون سائر الاوقات وهذا المخصص هو الارادة وهي واحدة قديمة أزلية باقية اذ لو كانت حادثة لزم كونه محلاً للحوادث وأيضاً لا حاجة الى ارادة أخرى وهي شاملة لجميع الكائنات لانه تعالى موجد لكل ما يوجد من الممكنات ولانه تعالى فاعل بالاختيار فيكون مرئياً لها لان اليجاد بالاختيار يستلزم ارادة الفاعل ويأتي تنمة الكلام عند ذكر متعلق القدرة والارادة ان شاء الله تعالى

(الصفة السادسة) ما أشار اليها بقوله ﴿و﴾ يجب له عز وجل ﴿علم﴾ أي يجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم واحد وجودي قديم باق ذاتي ينكشف به المعلومات عند تعلقه بها وإنما قلنا بأن علمه ذاتي كسائر صفاته تعالى للرد على الحكماء القائلين بنفي الصفات واثبات غاياتها وللرد على المعتزلة القائلين بأنه يعلم بالذات لا بصفة

زائدة عليها والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته ورود النصوص بأنه تعالى عالم وحى وقادر ونحوها وكونه عالماً يعلل بقيام العلم به في الشاهد فكذلك في الغائب وقس عليه سائر الصفات وأيضاً فالعالم من قام به العلم والقادر من قامت به القدرة فإن قيل قياس الغائب على الشاهد فقهى فالجواب أنه ليس كذلك بل هو قياس في الجملة قال شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية عن الامام الرازي في كتابه نهاية العقول قال نفات الصفات ان ذات الله لو كانت موصوفة بصفات قائمة بها لكانت الحقيقة الالهية مركبة من تلك الذات ومن تلك الصفات ولو كانت كذلك لكانت ممكنة لأن كل حقيقة مركبة فهي محتاجة الى اجزائها وكل واحد من اجزائها غيرها فان كل حقيقة مركبة فهي محتاجة الى غيرها وذلك في حق الله تعالى محال فاذن يستحيل اتصاف ذاته بالصفات وقال الرازي في الجواب عن هذا قوله يلزم من اثبات الصفات وقوع الكثرة في الحقيقة الالهية فتكون تلك الحقيقة ممكنة قلنا ان عنيتم به احتياج تلك الحقيقة الى خارجي فلا يلزم لاحتمال استناد تلك الصفات الى الذات الواجبة لذاتها وان عنيتم توقف الصفات في ثبوتها على الذات المحصورة فذلك مما نلتزمه فإين المحال وأيضاً فعندكم الاضافات صفات وجودية في الخارج فيلزمكم ما ألزمتونا ثم قال الرازي ومما يبين فساد قول الفلاسفة في قولهم الشيء الواحد لا يكون مؤثراً وقابلاً انهم اتفقوا على ان الله عالم بالكليات واتفقوا على ان العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في العالم واتفقوا على ان صور المعلومات مودعة في ذات البارئ تعالى حتى ان ابن سينا قال ان تلك الصور اذا كانت داخلة في الذات بل كانت من لوازم الذات لم يلزم منها محال واذا كان كذلك فذاته مؤثرة في تلك الصورة وقابلة لها ومن كان ذلك مذهباً له كيف يمكنه انكار الصفات قال وبالجملة فلا فرق بين الصفاتية وبين الفلاسفة الا ان الصفاتية يقولون الصفات قائمة بالذات والفلاسفة يقولون هذه الصور العقلية عوارض مقومة بالذات فالذي يسميه الصفاتية صفة يسميه الفلاسفة عارضاً والذي يسميه الصفاتية قياماً يسميه الفلاسفة قواماً أو مقوماً فلا فرق الا في العبارة وقد عارضه شيخ الاسلام في بعض مقالته وغض من بعض أدلته فما اعترض عليه ما ذكره

من اتفاق الفلاسفة على ان الله تعالى عالم بالكليات قال هو اتفاق ابن سينا وأمثاله بخلاف ارسطو وأتباعه وكذلك ما ذكره من قولهم باثبات صور المعلومات لذاته وأنها عارضة لذاته هو قول ابن سينا وموافقيه صرح بذلك في الاشارات وهو مما اعترف الفلاسفة بتناقض ابن سينا وأمثاله بذلك في مسألة توحيدهم ونفي الصفات حيث قالوا بنفي الصفات الثبوتية مطلقاً ثم قالوا باثبات صور وجودية علمية قائمة بذاته وهو تصريح باثبات الأمور الوجودية القائمة بذاته ثم ان شيخ الاسلام بعد ما أفسد كلام الفلاسفة وبرهن على افساده قال ثم ان نظار المسلمين ردوا عليهم أما الصفاتية بأنهم يلتمزون اثبات الصفات وأما المعتزلة وانفوا الصفات فانهم يعترفون بما يستلزم اثباتها فانهم يثبتون كونه حياً عالماً قادراً وهذا بعينه يستلزم اثبات الصفات قال شيخ الاسلام ابن تيمية منشأ الضلال في هذا الموضوع ان مسمى واجب الوجود عبروا به عن عدة معان أحدها الذي يكون موجوداً بنفسه لا يفتقر الى مبدع وهذا هو الذي يدل عليه وجود الممكنات والثاني الذي لا يكون له تعلق بغيره ولا ملازمة بينه وبين غيره ونفي الصفات انما يكون على هذا التفسير لاعلى المعنى الأول ثم بعد كلام كثير لابن تيمية روح الله روحه يرد به على الفلاسفة والمعتزلة وأضرابهم قال ومن المعلوم لكل من عرف ما جاءت به الرسل ان التوحيد الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه لم يتضمن نفي صفات الله بل الكتب الالهية مملوءة باثبات صفات الله تعالى قال وكذلك العقل الصريح هو موافق لما جاءت به الكتب الالهية من اثبات صفات الكمال لله تعالى وقول هؤلاء بامتناع اثبات واجبين قديمين لفظ فيه اجمال وابهام فان أريد بذلك نفي الهين واجبين أو الهين قديمين فهذا حق لا ينازع فيه مسلم وكذلك ان عنوا نفي موجودين قديمين بأنفسهما واجبين أو قديمين فهذا حق فهم وان كان هذا بعض مرادهم فلم يقتصروا عليه بل أرادوا نفي صفات الله الواجبة القديمة كعلمه وقدرته وحينئذ فنفي واجبين قديمين بهذا الاعتبار باطل وهم قد يقولون لو كانت الصفة ثابتة لكانت مشاركة في أخص صفاته فتكون الصفة لها ويدعون ان من أثبت الصفات فقد قال قول النصارى كما حكاه سيدنا الامام أحمد وغيره من أئمة السنة

عنهم وهو موجود في كلامهم وهذا باطل ومن المعلوم أن صفة الموصوف المحدث  
الممكن اذا وافقته في كونها محدثة ممكنة لم يلزم أن تكون مماثلة له فليست صفة  
النبي نبياً ولا صفة الانسان انساناً فكيف يجب أن تكون صفة الاله الهابل هو  
سبحانه اله واحد مختص بما لا يماثله فيه غيره من صفات الكمال منزّه عن صفات النقص  
مطلقاً وعن أن يكون له كفوء في شيء من صفات الكمال قال شيخ الاسلام ومعرفة  
هذا من أهم الأمور فان نفات الصفات أدخلوا ذلك في مسمى التوحيد وجعلوا  
هذا من مسمى التوحيد فلبسوا بذلك على كثير من الناس اذ كان مسمى التوحيد  
في غاية العظمة عند أهل الملل فاذا ظن من لم يعرف حقائق الأمور ان ما ذكره من  
النفي المستلزم للتعطيل هو من التوحيد الذي بعث الله به الرسول انقلب دين الاسلام  
في نفسه فجعل ما هو داخل في التعطيل الذي ذم الله به فرعون وغيره من الكافرين  
هو من التوحيد الذي بعث الله به المرسلين ولهذا كان علماء الحديث يصنفون الكتب  
في التوحيد يذكرون اثبات ما أثبتته الله ورسوله من الاسماء والصفات مناقضة  
لهؤلاء النفات فان منفي الصفات لم يكن الامعدوماً فان اثبات ذات بلاصفات أو  
وجود مطلق لا يتعين انما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان فمن لم يثبت لله الصفات  
لم يحقق عبادته له فلهدا وغيره كان الشرك بعبادة غير الله واقعاً في نفات الصفات  
(تنبيه) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من علماء الكلام أدلة عقلية  
على اثبات صفة العلم لله تعالى منها ايجاده سبحانه وتعالى الأشياء لاستحالة ايجاده  
الأشياء مع الجهل قال شيخ الاسلام هذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أولهم  
وآخرهم والقرآن قد دل عليه كافي قوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) قال  
والفلاسفة أيضاً سلكوه وبيانه من وجوه (أحدها) ان ايجاده الأشياء هو بارادته  
والارادة تستلزم تصور المراد وهو العلم فكان اليجاد مستلزماً للارادة والارادة  
مستلزماً للعلم فاليجاد مستلزم للعلم (الثاني) ان المخلوقات فيها من الأحكام والاتقان  
ما يستلزم علم الفاعل بها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم قال  
وبهذين الطريقتين يتقرر ما ذكره أي الأصفهاني في عقيدته قال شيخ الاسلام ولهم  
طرق أخرى منها أن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع أن يكون

المخلوق أكمل من الخالق اذ كل كمال فيه فهو منه فيجب أن يكون الخالق عالماً قال وهذا له طريقان احدهما أن يقال يعلم بالضرورة ان الخالق أكمل من المخلوق وان الواجب أكمل من الممكن ويعلم بالضرورة انا اذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم كان العالم أكمل فلو لم يكن الواجب عالماً لزم أن يكون الممكن أكمل منه وهو ممتنع الثاني أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عازياً منه بل هو أحق به والله سبحانه له المثل الأعلى لا يستوى هو والمخلوق في قياس شمول ولا في قياس تمثيل بل كما ثبت لمخلوق من كمال الخالق تعالى أحق به وكل نقص تنزهه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى وقال شيخ الاسلام في موضع آخر ولهذا كان المستعمل في الكتاب والسنة وكلام السلف في حقه تعالى هو القياس الأولى مثل أن يعلم أن ما ثبت لغيره من كمال مطلق لا نقص فيه فهو أحق بأن يثبت له من ذلك الكمال ما هو أحق به مما سواه فاذا كان الحياة والعلم والقدرة كمالا لا نقص فيه وقد اتصف به المخلوق فالخالق تعالى أحق أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة وما ينزهه عن غيره من العيوب فهو سبحانه أحق بتنزيهه عنه كما في قوله تعالى ( والله المثل الأعلى: انتهى ملخصاً ودليل ثبوت صفة العلم لله تعالى سمعاً من الكتاب والسنة كثيرة جداً كقوله تعالى «عالم الغيب والشهادة» - لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون - اليه يرد علم الساعة - ولا يحيطون بشيء من علمه - يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » وما لا يحصى من الآيات الا بكلفة وفي حديث أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال سبق علم الله في خلقه فهم صائرون اليه وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله الى غير ذلك من الآيات والأخبار والله ولي الاسرار

( السابعة ) ما أشار اليها بقوله ﴿واقندر﴾ جل شأنه على ايجاد الموجودات وخلق الممكنات ﴿بقدره﴾ وهي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها فانه جل شأنه قادر على جميع الممكنات باتفاق المتكلمين وكذا الحكماء لكن القدرة عند المتكلمين عبارة عن صحة الفعل والتبرك وعند الحكماء عبارة عن كونه

ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ومقدمة الشرطية الاولى بالنسبة الى وجود العالم دائم الوقوع ومقدمة الشرطية الثانية بالنسبة الى وجود العالم دائم ان لا وقوع وصدق الشرطية لا يستلزم صدق طرفها ولا ينافي كذبها ودوام الفعل وامتناع الترك بسبب الغير لا ينافي الاختيار كما ان العاقل مادام عاقلاً يغمض عينه كلما قرب ابرة من عينه بقصد العز فيها من غير تخلف مع انه يغمضها بالاختيار وامتناع ترك الاغماض بسبب كونه عالماً بضرر الترك لا ينافي الاختيار فما ظنك بمن يكون علمه بين ذاته كل هذا على رأي الحكماء القائلين ان المقتضي لقدرة هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان فاذا ثبتت قدرته على البعض ثبتت على الكل لان العجز عن البعض نقص وهو على الله تعالى محال مع ان النصوص قاطعة بعموم القدرة كقوله تعالى «وهو على كل شيء قدير» قال الاصفهاني في عقيدته الدليل على قدرته ايجاده الاشياء وهو إما بالذات وهو محال والالسان العالم وكل مخلوقاته قديماً وهو باطل فتعين أن يكون فاعلاً بالاختيار وهو المطلوب قال شيخ الاسلام بن تيمية روح الله روحه قد يقال هذا إنما أثبت به كونه فاعلاً بالاختيار يثبت الارادة لا يثبت القدرة ثم قال في اثبات القدرة وتقرير ذلك أن يقال انه اما أن يكون المبدع للاشياء مجرد ذات عرية عن الصفات مستلزماً وجود المفعول كما يقوله المتفلسفة القائلين بقدم الافلاك وصدورها عن ذات مجردة واما أن تكون ذاتاً موصوفة بصفات لا يجب معها وجود المخلوقات كما عليه أهل الملل والاول باطل لانه يستلزم أن لا يحدث في العالم شيء لان العلة التامة القديمة يجب أن تستلزم معلولها فلا يتأخر شيء من معلولها لانها عن الازل وهو خلاف الحس والمشاهد وهذا الوجه يبطل قولهم بالموجب بالذات وتقدم شيء بعينه من اجزاء العالم وسواء فسروا الموجب بذات مجردة مستلزماً للموجب أو بذات موصوفة مستلزماً للموجب فان القول بكون المبدع ملزوماً لموجبه ومقتضاه مع تأخر بعض ذلك عن الازل جمع بين التقيضين الى أن قال فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة أو يقال فاذا لم يكن موجِباً بذاته بل بصفة تعين أن يكون مختاراً فإنه اما موجب بالذات واما فاعل مختار بالاختيار والمختار انما يفعل بالقدرة اذ القادر هو الذي ان شاء فعل



وان شاء لم يفعل فأما من يستلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة التي تستلزمه الحركات الطبيعية الذي لا قدرة له على فعلها ولا تركها وحقيقة الامر ان العلم بكون الفاعل قادرا علم ضروري—الى أن قال صفة الحجي تسمى قدرة واذا كانت أكمل من غيرها سميت قوة قال تعالى ( وقالوا من أشد منا قوة ) ولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وقد ذكر قوله (أشد منهم قوة) في غير موضع وقال تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ثم قال والذي دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الامة وأتمتها ان الله يخلق الاشياء بالأسباب فالقوى التي جعلها الله في الحيوان والحجاء هي من الاسباب التي بها يحدث الحوادث قال ومذهب السلف والائمة ان الله خالق كل شيء بمشيئته وقدرته وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فقد رتبته ومشيئته تستلزم وجود المقدور ولفظ الاختيار في القرآن والسنة وكلام السلف يتضمن تفضيل المختار على غيره قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار— ثم قال— ما كان لهم الخيرة) فذكر الاختيار بعد المشيئة وقد صار لفظ الاختيار يعبر به عن الارادة بناء على ان العالم لا يريد الا ما هو خير من غيره أو بناء على ان الحجي لا يريد الا ما يراه خيرا من غيره وان كان قد يغلط في اعتقاده انه خير من غيره والمقصود أن السلف والائمة وجمهور الأمة يثبتون في المخلوقات قوى وقدرة تصدر الحوادث عنها فاثبات القدرة لله تعالى وقدرته على الفعل من أبين الاشياء عندهم والعلم بذلك من أظهر المعارف وأجلها فانه قد استقر في فطرتهم أن الفاعل لا يكون الا قادرا وأن القدرة صفة كمال فاذا كان المخلوق قويا قادرا على ما يفعله فالخالق تعالى أولى أن يكون قادرا قويا على ما يفعله ومن المستقر في الفطر أيضاً انه اذا فرض الفاعل غير قادر على الفعل امتنع كونه فاعلا ولهذا كان من نفى أن يكون للعبد قدرة مؤثرة كجهنم ابن صفوان وأبي الحسن الأشعري ومن اتبعهما لا يسمون العبد فاعلا بل يقولون هو كاسب وجهم نفسه كأن يقول ليس بقادر كما انه ليس بفاعل وعند الأشعرية انه ليس بفاعل حقيقة بل هو كاسب وانه ليس له قدرة مؤثرة في المقدور ومذهب أئمة السلف وعلماء السنة أن الله تعالى خالق لأفعال العباد مع قولهم أن العبد فاعل قادر يفعل

بمشيئته وان الله تعالى خالق ذلك كله وأنه تعالى اذا خلق للعبد قدرة تامة ومشيئة جازمة كان هذا مستلزماً لخلق المراد المقدور . قال شيخ الاسلام ابن تيمية مذهب السلف وجمهور المسلمين الذين يثبتون القدر يقولون ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن العبد فاعل قادر مختار والله تعالى خالق فعله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) فاذا حقق العبد هذا المقام زالت الاشكالات كلها ويظهر حينئذ انه لا منافاة بين أن يكون الرب قادراً مختاراً ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو موجب بمشيئته وقدرته ماشاءه من المقدورات فإشاءه وجب وجوده وما لم يشأه امتنع وجوده فهو موجب بذاته الموصوفة بالمشيئة والقدرة وكل ماشاءه فهو محدث كائن بعد ان لم يكن ليس معه شيء قديم بقدمه فاذا علم هذا وانضم الى ما قاله السلف وجمهور أئمة السنة انه تعالى يخلق الاشياء بالاسباب وأنه يخلق بحكمة علم بأنه تعالى قادر مختار ولكثرة فروع هذه المسئلة وما يتفرع عليها وكثرة لوازمها قال جلال الدين الدواني في شرح العقائد العضدية الأولى في اثبات هذا المطلب بل سائر المطالب التي يتوقف ارسال الرسول عليها أن يتمسك فيها بالدلائل السمعية فيستدل على شمول القدرة بقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) وعلى شمول العلم بقوله تعالى (والله بكل شيء عليم) وأمثال ذلك

ولما فرغ من تعداد السبع صفات التي يثبتها المتكلمة الصفاتية وغيرهم شرع في ذكر ما لها من المتعلقات وتقدم أن الحياة لا تتعلق بشيء فقال ﴿تعلقت﴾ قدرة الله تعالى الأزلية القديمة الذاتية ﴿ب﴾ كل ﴿ممکن﴾ وقد علمت أن الممكن ما ليس بواجب الوجود ولا مستحيل الوقوع ولم يوجد شيء ولن يوجد شيء إلا بها وقد نص سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه أنه تعالى قادر بقدرة قديمة وقوة شديدة قال شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية الممتنع لذاته ليس بشيء في الخارج بانفاق العقلاء لا امتناع أن يكون له في الخارج وجود أو ثبوت عند من يفرق بين الوجود والثبوت فهو سبحانه قادر على كل شيء وأحد الضدين على سبيل البدل وأما وجودهما معاً فليس بشيء بل هو ممتنع لذاته وكذلك وجود الملزوم بدون لوازمه التي يمتنع وجوده بدونها هو من هذا الباب كوجود الولد

قبل والده مع كونه قد ولده ووجود الصفات بدون ذات تقوم بها ونحو ذلك قال ومن فهم هذا الامر انحلت عنه الاشكالات التي تورده على قدرة الله تعالى وحكمته ومشيتته في مسائل القدر وغيرها وتبين له ان خير الكلام كلام الله وانه سبحانه بين فيه الامور الإلهية والمطالب العلية أحسن بيان وأكمله حيث يبين قدرته على أشياء لم يفعلها كقولها (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ولو شاء الله ما اقتتلوا) ونحو ذلك مع انه تعالى لم يفعل مقدوره وتبين ان خلاف المعلوم مقدور ممكن باعتبار نفسه لكنه لا يكون لعدم مشيئته له وهو لا يشاؤه لما في ذلك من فوات حكمته التي يمتنع اجتماعها مع وجود هذا المفروض والله أعلم: وفهم من النظم ان القدرة لا تتعلق بواجب ولا مستحيل فليسا من متعلقاتها ولا عجب في ذلك لانها لو تعلقت بهما لزم انقلابها جائزين ولزم صحة تعلقها باعدام محلها قال بعض الاشاعرة والاولى الاستدلال بالنصوص الدالة على شمول قدرته تعالى اجالا مثل (والله على كل شيء قدير ه وخلق كل شيء فقدره تقديرا) وتفصيلا مثل (خلق الله السموات والارض وجعل الظلمات والنور - خلق الموت والحياة)

### تبيينان

(الاول) صحح بعض متأخري الاشعرية ان للقدرة الازلية تعلقين صلوحيا وهو التعلق الازلي بمعنى انها في الازل صالحة للإيجاد والاعدام على وفق تعلق الارادة الازلية بها فيما لا يزال وتعلقا تنجيزيا وهو التعلق بالحادث المقارن لتعلق الارادة بالحدوث الحالي وظاهر كلام علاننا بل وكلام الامام احمد ان تعلق القدرة بالممكن تعلق واحد مغايبا فية محدودة من الزمان يوجد في ذلك الزمان المحصص بالارادة القديمة الازلية والله أعلم

(الثاني) من طوائف الضلال القائلين بعدم شمول القدرة الازلية لجميع الممكنات المجوس قالوا انه تعالى لا يقدر على الشرور ولا خلق الاجسام المؤذية وانما القادر على ذلك فاعل آخر يسمى «أهرمن» ومنهم النظم وأتباعه من المعتزلة قالوا انه تعالى لا يقدر على خلق الجهل والكذب والظلم وسائر القبائح ومنهم عباد الصمري وأتباعه قالوا انه تعالى لا يقدر على ما علم انه لا يقع ولا ما علم انه

يقع لاستحالة الاول ووجوب الثاني ومنهم الكعبي واتباعه قالوا انه لا يقدر على مثل مقدور العبد ومنهم الجبائي واتباعه قالوا انه تعالى لا يقدر على نفس مقدور العبد قال العلامة الشيخ مرعي روح الله روحه في كتابه ( رفع الشبهة والغرر عن محتج على فعل المعاصي بالقدر ) مذهب أهل الحق ان الرب سبحانه متفرد بخلق المخلوقات فلا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فانه محدثه وقالت المعتزلة ان جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأعمالهم لم يخلقها الله تعالى ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها الذين فعلوها دون الله تعالى وقال آخرون ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة لا خالق لها وقال آخرون هي فعل الطبيعة فالذين زعموا ان العباد خلقوها قالوا ان وقوع الافعال من العبد على وفق قصده وداعيته إقداماً وإحجاماً دليل على انه موجد لها ومخترعها قالوا ولولا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة وتكليفاً بالمحال وكان لا يحسن مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف ونقل عن الامامية هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق الله ؟ على قولين ونقل أبو الحسن الأشعري عن الزيدية انهم فرقان فرقة تزعم ان أفعال العباد مخلوقة لله خلقها وأبدعها وفرقة تزعم انها مخلوقة لله تعالى وانها كسب للعباد أحدثوها واخترعوها وفعلوها وتأتي لهذا تنمة في بحث القدر ان شاء الله تعالى

ولما كانت الارادة تعلق بما نعلقت به القعدة من جميع الممكنات قال ﴿ كذا ﴾ أي مثل القدرة في التعلق بالممكنات ﴿ ارادة ﴾ وانها أيضاً ارادة واحدة كما مر وان القدرة والارادة غير متناهيتي المتعلقات كما قاله المتكلمون الا ان تعلق القدرة بالممكنات تعلق إيجاد أو إعدام وتعلق الارادة بها تعلق تخصيص كما تقدم والاولى التعويل في ثبوت عموم تعلق الارادة على الادلة السمعية مثل قوله تعالى ( انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ) فان قيل يلزم من عموم تعلق الارادة فيها للزوم المحال وهو أن نسبة الارادة الى الفعل والترك والى جميع الأوقات على السواء اذ لو لم يجز تعلقها بالطرف الآخر وفي الوقت الآخر لزم نفي القدرة والاختيار واذا كانت على السواء فتعلقها بالفعل مثلاً دون الترك وفي هذا الوقت دون غيره مفتقر الى مرجح

ومخصص لامتناع وقوع الممكن بلا مرجح على رأي المتكلمين فالجواب أن الارادة تعلق بالمراد لذاتها من غير افتقار الى مرجح آخر لأنها صفة شأنها التخصيص والترجيح للمساوي والمرجوح فان قيل فمع تعلق الارادة لا يبقى التمكن من التبرك وينتفي الاختيار: فالجواب انه قد تقرر أن الوجوب بالاختيار محقق الاختيار ثم انا نقول قد تقدم ما يرد مثل هذه الشبه في كلام شيخ الاسلام ومن المعلوم أن تعلق القدرة والارادة بالممكنات بالنسبة الى الذات وأما بعد التعلق والتخصيص فقد وقع ما وقع وامتنع ما امتنع وقال بعض محققي الاشاعرة الارادة تخصص ما تعلقت به وترجحه وعند وقوع المراد يزول تعلقها الحادث مع بقائها يعني القدرة بحالها وبقاء تعلقها الصلوحى بحاله أيضاً قال وللارادة أيضاً تعلقان أزلي صلوحى وحادث تنجيزي كمال القدرة سواء وتقدم ما فيه والله أعلم

— ❦ تنبيهان ❦ —

(الأول) التعلقات الثانية للقدرة والارادة يعني التنجيزية مترتبة فتعلق القدرة تابع لتعلق الارادة وتعلق الارادة تابع لتعلق العلم فلا يوجد أو يعدم سبحانه من الممكنات عندنا الا ما أراد ايجاده واعدامه منها ولا يريد الا ما علم منها أن يكون أراده وما علم انه لا يكون لم يردده وقالت المعتزلة الارادة تابعة للامر لا للعلم فلا يريد عندهم الا ما أمر به من الايمان والطاعة سواء وقع ذلك أم لا فعندنا ايمان أبي جهل ما مور به غير مراد له تعالى لعلمه سبحانه عدم وقوعه وكفر أبي لوب منهي عنه وهو واقع بارادة الله تعالى وقدرته وعند المعتزلة ايمانه مراد له ما مور به وكفره غير مراد له لهيه عنه

(الثاني) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الذي كتبه على حسن ارادة الله تعالى وكذلك تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعلوم قال فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الأمر والذهي كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى (فائقوا الله ما استطعتم) فكل من أمره الله ونهاه فهو مستطيع بهذا الاعتبار وان علم انه لا يطيعه وان أريد بالقدرة القدرة التقديرية التي لا تكون الا مقارنة للمفعول فمن علم الله أنه لا يفعل الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له قال ومن

هذا الباب تنازع الناس في الأمر والارادة هل الله تعالى يأمر بما لا يريد أولاً يأمر بما لا يريد؟ قال فان الارادة لفظ فيه إجمال يراد بالارادة الارادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكقوله تعالى (فمن يرده الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) وقول نوح عليه السلام (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) فلاراد الله تعالى يأمر العباد بما لا يريد به هذا التفسير والمعنى كما قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فدل على انه لم يوت كل نفس هداها مع أنه تعالى أمر كل نفس بهداها قال شيخ الاسلام وأما الارادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضى فهي ملازمة للأمر كقوله تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) وكقول المسلمين هذا يفعل شيئاً لا يريد الله اذا كان يفعل بعض الفواحش أي الله لا يحب ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه ثم قال اعلم أن التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو بسبب يتوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك مخلوق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار وأن فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالأثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثراً بل الله وحده خالق كل شيء فلا شريك له ولا ند له فإشاء كان وما لم يشأ لم يكن (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له الآية ولما كان هذا المقام مشتملاً على هذا الغموض والنزاع مما ذكرناه واضعاف اضعافه مما لم نذكره حسن قوله في تسمية البيت ﴿فهي﴾ من وعاء يعيه حفظه وجمعه كوعاءه أي اجمع حواشي هذا الكلام واحفظ مضمون هذا النظام ﴿واستبين﴾ أي اطلب البيان من مظاهره والايضاح من مكانه فان قدرته تعالى القديمة وارادته الازلية الذاتية العظيمة كل منهما إنما يتعلق بالممكن الجائز كما في التفصيل دون الواجب والمستحيل والله الموفق لسواء السبيل

﴿والعلم﴾ أي علم الله تعالى ﴿والكلام﴾ أي كلامه سبحانه وتعالى أي كل واحد منهما قديم فعله تعالى واحد وجودي قديم باق ذاتي وكلامه تعالى قديم وجودي ذاتي ﴿قد تعلقا﴾ أي علم الله وكلامه أي كل واحد منهما قد تعلق ﴿بكل شيء﴾ من الأشياء من الجازات والواجبات والمسئحيلات فيجب شرعاً أن يعلم أن علم الله غير متناه من حيث تعلقه إما بمعنى أنه لا ينقطع وهو واضح وأما بمعنى أنه لا يصير بحيث لا يتعلق بالمعلوم فإنه يحيط بما هو غير متناه كالأعداد والأشكال ونعيم الجنة فهو شامل لجميع التصورات سواء كانت واجبة كذاته وصفاته أو مستحيلة كشریک له تعالى أو ممكنة كالعلم بأسره الجزئيات من ذلك والسكليات على ما هي عليه من جميع ذلك وأنه واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وإن تعددت معلوماته وتكثرت أما وجوب عموم تعلقه سماعاً بمثل قوله تعالى (والله بكل شيء عليم) — عالم الغيب والشهادة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض — يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور — يعلم ما يسرون وما يعلنون) الي غير ذلك من الآيات القرآنية وأما وجوب ذلك عقلاً فلأن المقتضي للعالمية هو الذات أما بواسطة المعنى الذي هو العلم على ما هو مذهب الصفائية والسلف وهو الحق أو بدونها على ما هو رأي النفاة والمقتضي للمعلومية إمكانها ونسبة الذات إلى الكل على السواء فلو اقتصت عالميته بالبعض دون البعض لكان ذلك بمخصص وهو محال لا متناع احتياج الواجب في صفاته وسائر كالاته إلى التخصيص لمنافاته لوجوب الوجود والغناء المطلق وأما وجوب وحدته فلأن الناس جملة وتفصيلاً انحصروا في فريقين أحدهما أثبت العلم القديم مع وحدته والآخر نفاه ولم يذهب إلى تعدد علوم قديمة أحد يعتمد عليه إلا أبو سهل الصعلوكي من الأشاعرة حيث قال إن الله علوماً لانهاية لها كما إن متعلقاتها كذلك وهو مججوج بالاجماع السابق لمقاتله. فإن قيل كيف يستقيم القول بوحدة العلم مع كونه تعالى عالماً بما كان وبما سيكون وبالكاثر والعلم بذلك كذلك متغاير فالجواب إن الباربي جل شأنه في أزله يتعلق علمه بوجود الشيء مضافاً إلى محله المعين فالمضي والحال والاستقبال من عوارض الاخبار عن تعلق علمه تعالى لا ظروف للعلم لأنه ليس بزباني حتى

يُوصف بالماضي والحاضر والمستقبل ومنشأ الشبهة من حيث الإخبار عن ذلك  
 التعلق بخصوص القول اللفظي فان تقدم زمن الإخبار عنه على زمن وجود ذلك  
 الفعل سمي الإخبار مستقبلاً وان تأخر سمي ماضياً وان قارن سمي حالاً فهي  
 مسميات تعرض باعتبار الاخبار عنه أما تعلق العلم بوجوده في الزمان المعين فشيء  
 واحد وبعض الاشاعة جعل للعلم تعلقين أزلي وتنجزياً كالقدرة والارادة قال  
 وتكون تلك الاخبار راجعة للتعلق التنجزى قلت ومذهب السلف بمنزل عما  
 يراد من هذا فان الله تعالى قديم وصفاته قديمة وأفعاله قديمة وما يتخيل للعقل  
 من أنواع التغييرات والتخالفات نسب وازافات بالنسبة لادراكنا والله  
 تعالى الموفق .

### تنبهات

(الاول) زعمت الفلاسفة انه تعالى لا يعلم الجزئيات من حيث كونها جزئيات  
 زمانية يلحقها التغيير قالوا لان تغير المعلوم يستلزم تغير العلم وذلك يستلزم تغير الذات  
 وهو محال على الله تعالى بيان لزوم ذلك انه لو كان عالماً بأن زيداً جالس في  
 المكان الفلاني فعند خروج زيد منه فاما أن يبقى ذلك العلم أو لا فان بقي لزم  
 الجهل وان كان الثاني لزم التغيير في علمه وهو قائم به فيلزم قيام الحوادث به وهو  
 محال والجواب اختيار الثاني ومنع التغيير في نفس العلم فان المتغير تعلقه لانيه  
 وتغير الازافات والنسب جائزة وأجاب الفلاسفة عن هذا مشايخ السنة ومشايخ  
 المعتزلة بأن علم الباري بأن الشيء سيوجد نفس العلم بأنه وجد فان من علم أن  
 زيداً سيدخل البلد غدا فعند حصول الغد يعلم بهذا العلم أنه دخل البلد الآن  
 وانما يحتاج أحدنا لعلم آخر لطريان الغفلة عن الاول والباري منزّه عن ذلك فلا يلزم  
 من علمه بالجزئيات تغير أصلا في علمه تعالى وهذه إحدى ما كفر أهل الاسلام  
 الفلاسفة بها ولهم من أمثالها الطامات العضلات فلا يهولنك ما ينسب اليهم من  
 المعارف ودقائق الافكار فما منهم الا تخالف أو على شفا جرف هار  
 (الثاني) خالف في احاطة علمه تعالى بسائر الاشياء فرق سوي الفلاسفة  
 فقالت فرقة بأنه تعالى لا يعلم نفسه واحتجوا بأن العلم نسبة عارضة للعالم بالنسبة الى



المعلوم قالت والنسبة إنما تتحقق بين المتغيرين فلا تتحقق عند عدم المغايرة والجواب عنه بأنه صفة لا نسبة بل صفة ذات وأيضاً ينتقض ما زعموه بعلمنا فان كل واحد منا يعلم نفسه ضرورة مع عدم المغايرة (الثانية) زعمت بأنه تعالى وتقدس لا يعلم شيئاً قالوا لانه لو علم شيئاً علم علمه به وهو إنما يكون بعد علمه بذاته ضرورة قالوا وقد علم امتناع علمه بذاته كما زعمت الفرقة الأولى وأيضاً لو كان يعلم شيئاً أمكن أن يعلم علمه به والا يلزم أن يكون واحداً عالمًا بالعلوم الهندسيات ولم يمكنه العلم بأنه عالم بها وهذا يعلم فساداً بنفس تصويره فلا يشتغل برده لأنه هذيان من قائله (الثالثة) زعمت بأنه لا يعلم غيره لان العلم بشيء غير العلم بآخر فلو كان عالمًا بالغير وغيره غير متناه يلزم قيام العلوم الغير المتناهية بذاته وهو يوجب الكثرة في الذات وهو محال والجواب أن الكثرة في المعلومات والتعلقات دون العلم وهذا بين (الرابعة) زعمت انه تعالى لا يعلم الشيء الغير المتناهي لان كل معلوم متميز عند العالم عن غيره وتميز غير المتناهي عن الغير إنما يكون بأن يحيط به حد وغاية يكون الغير خارجاً عنه ومتميزاً وغير المتناهي لا يكون له حد وغاية والا يكون متناهياً والجواب أن المعقول كل واحد واحد من غير تناه وهو متميز وما هو غير متميز إنما هو الكل من حيث هو غير متناه وهو لا يقدح في المطلوب لان المطلوب علمه بغير المتناهي وهو حاصل عند العلم بكل واحد واحد (الخامسة) زعمت انه تعالى لا يعلم الاشياء كلها قالت وإلا لزم من علمه بشيء علمه بالعلم بذلك الشيء وهلم جرا فيلزم التسلسل والجواب ان هذا التسلسل في الاضافات والنسب وهو غير محال وبالله التوفيق

(التبيه الثالث) معنى تعلق علمه تعالى بالمستحيل علمه تعالى باستحالاته وانه لو تصور متصور وقوعه لزمه من الفساد كذا على ما أشار اليه بعض السلف بقوله : علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون وبهذا تميز عن علمنا بالمستحيل

(الرابع) قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه إن علم الله السابق محيط بالأشياء على ما هي عليه ولا محوفيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فانه

سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون قال وأما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو وثبات؟ على قولين للعلماء قال وأما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والاثبات انتهى ومثل العلم في تعلقه بالواجب والجائز والمستحيل صفة الكلام فإنه يتعلق بكل شيء من الثلاثة يعني الواجب والممكن والممتنع ﴿يا خليلي﴾ أي يا صديقي ومحبي مشتق من الخلة وهي توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبو به وهي رتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح كما قال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

قال والخليل الصديق والاثني خلية والخلالة مثلية الصداقة والمودة ﴿مطلقاً﴾ عن التقييد بواحد من الثلاثة بل يعمها جميعاً ﴿وسمعه سبحانه﴾ وتعالى ﴿كالبصر﴾ منه جل شأنه فسمعه تعالى يتعلق ﴿بكل﴾ شيء ﴿مسموع و﴾ بصره سبحانه وتعالى يتعلق ﴿بكل﴾ شيء ﴿مبصر﴾ فهو تعالى سميع بصير كما تقدم يسمع ويبصر بسمع وبصر قديمين ذاتيين وجوديين متعلقين بكل مسموع ومبصر كما ذكره علماؤنا وأسندوه الى نص الامام أحمد رضي الله عنه يعني أن هاتين الصفتين متحدتا المتعلق فتعلقان بالموجود واجباً كان أو ممكناً عيناً كان أو معنياً كلياً كان أو جزئياً مجرداً كان أو ذا مادة مركباً أو بسيطاً ولا يلزم من اتحاد الصفة اتحاد المتعلق فالبصر يتعلق بجميع المبصرات والسمع يتعلق بسائر الأصوات وتقدم الكلام عليهما والله أعلم

— فصل في مبحث القرآن العظيم والكلام المنزل القديم —

اعلم رحمك الله أن الناس اختلفوا في هذا الكتاب المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ما نزل قطر وهطل فذهب السلف الصالح وأئمة أهل الأثر هو ما أشير اليه بقوله ﴿وان﴾ أي نجزم ونحقق فهو معطوف على قوله بأنه واحد

البيت وما بعده فالواجب اعتقاده والملزوم اعتقاده بأن ﴿ما﴾ أي الوحي والكلام  
لذي ﴿جاء﴾ من الله ﴿مع جبريل﴾ الملك المكرم أمين الله على وحيه لأن نبيا نوره ورسله  
وفيه لغات عديدة منها جبرائيل كجبرئيل وحزقييل كما في النظم وجبرين بنون  
وغيرها ﴿من محكم القرآن﴾ العظيم ﴿و﴾ محكم ﴿التنزيل﴾ الذي أنزله الله تعالى على  
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة أمينه الفضيل الملك العظيم جبريل فهو عطف  
مرادف ﴿كلامه سبحانه﴾ وتعالى ﴿قديم﴾ قال الشيخ الامام أبو الحسن محمد  
ابن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه ( الفصول في الاصول )  
سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن  
أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي  
وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن  
حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه  
من جبريل والصحابة رضي الله عنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو  
الذي نتلوه نحن بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً  
ومقروءاً وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر  
عليه لعابن الله والملائكة والناس أجمعين انتهى كلامه بحروفه وقد أخبر الله تعالى  
بتنزيله وشهد بانزاله على رسوله فقال تعالى ( انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً )  
وقال ( وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ) وقال جل شأنه  
( لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهِيداً )  
والمنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم هو هذا الكتاب وقد أمر سبحانه بتريته  
فقال ( ورتل القرآن ترتيلاً ) ( ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه ) وقال  
( لا تحرك به لسانك لتعجل به ) وأمر سبحانه بقراءته والاستماع له والانصات اليه  
وأخبر أنه يسمع ويتلى فقال ( حتى يسمع كلام الله ) وقال ( فاقرأوا ما تنسرون القرآن )  
( واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ) وكل هذا من صفات هذا الموجود عندنا  
لامن صفات ما في النفس الذي لا يظهر لحواس ولا يدري ما هو . وأخبر سبحانه أن منه  
سوراً وآيات وكلمات قال الامام الموفق في كتابه - البرهان في حقيقة القرآن - القرآن

كتاب الله العربي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو كتاب الله الذي هو هذا الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات بغير خلاف قال تعالى (تلك آيات الكتاب المبين) انا جعلناه قرآناً عربياً انا جعلناه قرآناً عربياً) والآيات في هذا كثيرة جداً وكذا الأحاديث النبوية والأخبار الأثرية كقوله صلى الله عليه وسلم « ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه - الحديث وفيه - فأتوه فان الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة الا اني لا أقول : الم : حرف ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر » وقال صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن فأعرب به فله بكل حرف عشر حسنة ومن قرأه فله بكل حرف حسنة » حديث صحيح وأجمع المسلمون على ان القرآن أنزل على محمد وانه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم المستمرة الذي تحدى الله الخلق الإتيان بمثله فمجزوا وأجمعوا على أنه يقرأ ويسمع ويحفظ ويكتب وكل هذه الصفات لا تعلق لها بالكلام النفسي قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدته التي في بيان ان القرآن كلام الله تعالى ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال في قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الى قوله - قل نزله روح القدس من ربك بالحق) بيان لنزول جبريل به من الله فان روح القدس هذا جبريل بدليل قوله (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وهو الروح الامين في قوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وفي قوله الامين دلالة على انه موثوق على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد بغير الرسالة وقال في صفته في الآية الاخرى « انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » وفي قوله (منزل من ربك) دلالة على أمور منها بطلان قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والبخارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة جميعاً لان

بدعة نفي الاسماء والصفات أول ما ظهرت من جهم فانه بالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة وكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان الجعد بن درهم قد سبقه الى بعض ذلك فانه أول من أحدث ذلك في الاسلام فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر فقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبجه فالمعتزلة وان وافقوا جهما على بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل الايمان بالقدر وبعض مسائل الصفات ولا يبالغون في النفي مبالغته فان جهما يقول ان الله لا يتكلم أو يتكلم بطريق المجاز وأما المعتزلة فيقولون يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم بنفي الاسماء كما نفى الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة بخلاف المعتزلة فلا ينفون الاسماء وفي قوله تعالى (منزل من ربك) دلالة على بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غيره كما يقوله طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول أعظم كفراً من الذي قبله وفيها دلالة أيضاً على بطلان قول من يقول ان القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو في جسم آخر كالهواء كما يقول ذلك الكلائية والاشعرية القائلين بأن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي قلت ذكر جماعة من محققي الاشعرية كالسعد التفتازاني والجلال الدواني وشرح جواهر العضد لتلميذه الكرمانى انه لانزاع بين الاشاعرة وبين المعتزلة في تسمية الله تعالى متكلماً بمعنى انه يوجد الاصوات والحروف في الغير وهو اللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي صلى الله عليه وسلم وإنما النزاع ان المعتزلة لم يشبهوا غير هذه الاصوات والحروف الموحدة في الغير معنى قائماً بذات البارى قالوا ونحن يعني معاشر الاشاعرة تثبته فانهم يقولون كلام الله تعالى معنى قائم بذات البارى تعالى معبر عنه بالعبارات والالفاظ وهو الطالب الذي يجد كل واحد ما عند الامر بالشيء قبل التلفظ بصيغة افعال قالوا فهو يغير العبارات والعلم

والارادة أما العبارات فلانها تختلف بحسب الازمنة والاقوام دون المعنى القائم بذاته تعالى وأما العلم فلانه تعالى أمر أبا لهب بالايمان وكان عالماً بأنه لا يؤمن لأن معلومه تعالى واجب الوقوع فلو كان ايمان أبي لهب واقعاً في علمه تعالى لوقع ولم يقع وأما الارادة فلانه تعالى أمره به ولم يردده ولذلك لم يقع قالوا فما قالت المعتزلة على حدوث الكلام لا ينبغي قولنا بقدمه لان ما قالوا في حدوثه وجهان معقول ومنقول فالمعقول انه لو كان قديماً يلزم تحقق الامر بلا مأمور وهو سفيه وعبث وهذا انما يدل على حدوث لفظه لا على حدوث المعنى القائم بذاته لان معنى أمره في الأزل انه تعالى يطلب في الازل المأمور به عند المأمورين عند وجودهم في الازل كطلب الوالد التعلم من ولد سيوجد ولا سفيه في ذلك ولا عبث قالوا والمنقول ان القرآن ذكر والذكر محدث ونقلوا من جنس هذا الكلام ضرورياً والحاصل ان المعتزلة موافقة الاشعرية والاشعرية موافقة المعتزلة في ان هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق محدث وإنما الخلاف بين الطائفتين ان المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا والاشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى وان المعتزلة يقولون ان المخلوق كلام الله والاشعرية لا يقولون انه كلام الله نعم يسمونه كلام الله مجازاً هذا قول جمهور منقدميه وقالت طائفة من متأخريهم لفظ الكلام يقال على هذا المنزل الذي تقرأه ونكتبه في مصاحفنا وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي قال شيخ الاسلام ابن نيمية لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله وهو كلامه حقيقة قال شيخ الاسلام وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزلة أقرب قال وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى يوافقون لهؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني اذ هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون ان أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا

كلاماً له حقيقة غير الخلق لانهم يقولون عن الكلام النفسي انه معنى واحد هو الامر والنهي والخبر ان عبر عنه بالعربية كان قرآناً وان عبر عنه بالعبرية كان تورا وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام فانا اذا عرفنا التوراة والانجيل لم يكن معناها معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا وكذلك (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى آية الكرسي آية الدين وقالوا اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الالتزام ليس لهم عنه جواب عقلي ثم منهم من قال الناس في الصفات إما مثبت لها وإما ناف لها وإما اثباتها وإما نفيها فخلافاً للاجماع ومن اعترف بأن ليس له عنه جواب أبو الحسن الآمدي وغيره من المحققين والمقصود ان النص القرآني يبين فساد هذا القول فان قوله (نزله روح القدس من ربك) يقتضي نزول القرآن من رب العالمين والقرآن اسم لهذا الكتاب العربي لفظه ومعناه بدليل قوله (فاذا قرأت القرآن) فانه انما يقرأ القرآن العربي لامعانيه المجردة وأيضاً فضمير المفعول في قوله نزله عائد الى ما في قوله تعالى (والله أعلم بما ينزل) فالذي أنزله الله هو الذي أنزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم ان يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عين من الاعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وأيضاً فانه قال تعالى عقب هذه الآية (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وهذا ظاهر الدلالة على بطلان زعمهم فقد اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يزعمون ان محمداً صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من شخص كان بمكة أعجمي قيل انه كان مولى لابن الحضرمي فاذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشراً والله جل وعز أبطل ذلك بان لسان ذلك أعجمي وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين وان محمداً لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه تبارك وتعالى لم يؤلفه روح القدس وهذا بيان من الله تعالى

ان القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه وتعالى ونزل به منه وقد قال تعالى (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من المعترين) والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلاية أو بعضهم ومن وافقهم يفرقون بين كلام الله وكتاب الله فيقولون كلامه هو القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه المنظوم المؤلف من الحروف العربي وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة وقد سمي الله تعالى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآناً وكتاباً وكلاماً فقال تعالى (الرتلك آيات الكتاب وقرآن مبين) - وقال - طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين - وقال - واذا صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن - الى قوله تعالى - يا قومنا اناسمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) فيبين ان الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظه انه لقرآن كريم في كتاب مكنون) والمقصود ان قوله تعالى «وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً» يتناول نزول القرآن العربي على كل قول وقد أخبر تعالى «أن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق» إخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه أو يقولونه والعلم لا يكون الا حقاً مطابقاً للمعلوم بخلاف القول والظن الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربي منزل من الله تعالى لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد عليهما السلام ولا من غيرهما فمن لم يقر بذلك من هذه الامة كان أهل الكتاب خيرا منه من هذا الوجه فان قلت قد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة القدر) أنزل الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفزقاً بحسب الحوادث وقد أخبر الله تعالى ان القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) وقال تعالى (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) وقال تعالى (كلاما نزلنا نوحاً في لوح محفوظ) وذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برة) وقوله تعالى (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فالجواب ان كون القرآن



العظيم مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي الصحف المطهرة بأيدي الملائكة الكرام لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله تعالى سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وقال والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو تعالى قدم مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وأثار السلف ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف وهو حق فإذا كان ما خلقه باثناً عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكون كلامه الذي يرسل به ملائكته مكتوباً قبل أن يرسلهم به ومن زعم أن جبريل أخذ القرآن من الكتاب ولم يسمعه من الله تعالى كان هذا باطلاً من وجوه منها أن الله تعالى قد كتب التوراة لموسى عليه السلام بيده فبنو إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه الله سبحانه فيه فإن كان محمد أخذ عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو إسرائيل أعلا من محمد صلى الله عليه بدرجة وهكذا من قال أنه ألقى إلى جبريل معاني القرآن وأن جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقوله يستلزم أن يكون جبريل الهمة الهاماً وهذا الإلهام لا حاد المؤمنين كما قال تعالى (وإذا وحيت إلى الحواريين إن آمنوا بي ورسولي) (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وقد أوحى إلى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون لا حاد الأنبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم عن جبريل عليه السلام لأن جبريل هو الذي علمه محمد بمنزلة الواحد من هؤلاء ولهذا زعم بعض الصوفية أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء وزعم أنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول فجعل أخذه وأخذ الملك الذي جاء إلى الرسول من معدن واحد وادعى أن أخذه عن الله أعلى من أخذ الرسول للقرآن قال شيخ الإسلام ابن تيمية ومعلوم أن هذا من أعظم الكفر قال وهذا القول من جنسه والآيات القرآنية تدل دلالة صريحة على أن القرآن منزل من الله لا من غيره كقوله

تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز  
 العليم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) وكذا قوله (بلغ ما أنزل اليك من ربك) وأيضاً  
 الكلاية يقولون أنه معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فمسمع جميع كلام  
 الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض عليهم قولهم فأنهم يقولون أنه معنى  
 واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى  
 كله كان كل من موسى والملائكة سمع جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع  
 خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله تعالى أو أنزل عليه شيئاً  
 من كلامه عالمًا بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة وان كان  
 الواحد من هؤلاء إنما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك مناقض لقولهم وأيضاً  
 فقول الله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً) ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه (ونادينا  
 من جانب الطور الأيمن وقرناه نجياً) فلما أنها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخضع  
 نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى) الآيات دليل على  
 تكليم يسمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن قال انه يسمع فهو مكابر  
 ودل الدليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتاً مسموعاً فلا يعقل في لغة العرب  
 لفظ النداء غير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً كما تقدم وذكر الامام الموفق في  
 البرهان ان الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام فناده ربه يا موسى فأجاب سريعاً  
 استئناساً بالصوت لييك لييك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت قال «يا موسى  
 أنا فوقك وعن يمينك وعن شمالك وأمامك وعن ورائك» فلم ان هذه الصفة لا تكون  
 الا لله تعالى قال فكذلك أنت يا إلهي أفسكلامك أسمع أم كلام رسولك قال بل  
 كلامي يا موسى كما في الخبر قال وجاء في خبر آخر ان بني اسرائيل قالوا يا موسى  
 بما شبهت صوت ربك قال انه لا شبه له قال وروي ان موسى عليه السلام لما كلمه  
 ربه ثم سمع كلام الآدميين مقتهم لما وقر في مسامعه من كلام الله تعالى قال الامام  
 الموفق وهذه الاخبار ونحوها لم تزل متداولة بين أهل العلم من الصحابة والتابعين  
 يرونها بعضهم عن بعض لم ينكرها منكر فيكون اجماعاً كذا قال  
 ولما بين الناظم ان القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى مع جبريل عليه السلام الى

النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأثبت انه كلام الله وانه قديم أعقب ذلك ببعض نعوت هذا الكتاب المنزل على النبي المرسل فقال ﴿أعجب﴾ أي أعجز ﴿الورى﴾ أي جميع الخلق من الانس والجن قال في القاموس الورى كفى الخلق ﴿بالنص﴾ القرآنى والتنزيل الرحمانى ﴿ياعليم﴾ أي يا عالم المبالغ فى العلم فان العليم صفة مبالغة كما هو معروف قال تعالى (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فتحدى الخلق بالآتين بمثله وقال تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) فليأتوا بحدیث مثله ان كانوا صادقين) فلما عجزوا عن الآتيان بمثله تحداهم بعشر سور فقال جل شأنه (قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات) فلما عجزوا تحداهم بالآتيان بسورة واحدة فقال تعالى (قل فأتوا بسورة من مثله) أي من مثل القرآن العظيم فعجزوا وفي قوله تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) فليأتوا بحدیث مثله ان كانوا صادقين) غاية التحدي والتبكيك والرد عليهم والتبكيك أي ان كانوا صادقين في زعمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول القرآن العظيم فليأتوا بحدیث مثله فانه اذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قادراً على أن يتقوله كما يقدر الانسان أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكناً للناس الذين هم من جنسه فيمكن الناس أن يأتوا بمثله ولما تحداهم الله تعالى بسورة واحدة في قوله (قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) بعد ان تحداهم بالآتيان بعشر سورهم وما استطاعوا قال جل شأنه (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا ان ما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو) كما قال (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) أي هو سبحانه يعلم انه منزل لا يعلم انه مفترى كما قال (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أي ما كان لأن يفترى يقول ما كان ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله بل نفى احتمال فعله وأخبر بأن مثل هذا لا يقع بل يمتنع وقوعه فيكون المعنى لا يمكن ولا يحتمل ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله فان الذي يفتره من دون الله مخلوق ﴿وليس في طوق﴾ أي ليس في وسع ﴿الورى﴾ من جميع الخلق وطاقتهم فالطوق الوسع والطاقة كما في القاموس وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه ومراجعته النبي

صلى الله عليه وسلم في الصوم فقال النبي عليه الصلاة والسلام «وددت اني طوقت ذلك» أي ليته جعل داخلاً في طاقتي وقدرتي ولم يكن عاجزاً عن ذلك غير قادر عليه لضعف فيه ولكن يحتمل أنه خاف العجز عنه للحقوق التي تلزمه لئلا يفتن الله عنه: الصوم تخل بمحظوظين منه كما في النهاية ومنه حديث عامر بن فبيرة رضي الله عنه: كل امرئ مجاهد بطوقه: أي أقصى غايته وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه فالمنع ليس في قدرة الخلق ولا طاقتهم ولو بذلوا جهدهم بغاية ما يمكنهم ولو مع تمام المشقة الحاصلة لهم ﴿من أصله﴾ أي الوري بمعنى الخلق أي من أولهم الى آخرهم ويحتمل وهو المراد أنه ليس في طوق الخلق من الأصل ﴿أن يستطيعوا﴾ الايتان بأقصر ﴿سورة﴾ من القرآن فليس في طوق جميع الخلق من أصل خلقهم وجبلتهم وقدرتهم واستطاعتهم من غير أن يسلبهم الله تعالى ذلك الايتان بأقصر سورة ﴿من مثله﴾ أي القرآن كما تحدى الديان أهل الفصاحة والبلاغة واللسن وذوي الرزانة والدراية والفظن فاعترفوا بالعجز عن الايتان بمثل أقصر سورة في القرآن قال الامام الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى لما تحيروا عند سماع القرآن وأدهشهم أسلوبه نوذي عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله (فأتوا بسورة من مثله) انتهى هذا وهم مصابيح الكلام وبلغاء النثر والنظام فعدلوا عن مصابقة اللسان الى مقارعة السنان قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الجواب الصحيح— وهذا التحدي كان بمكة فان سورة يونس وهود والطور من المكِّي ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة فقال في سورة البقرة وهي مدنية « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » ثم قال « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » فذكر أمرين (أحدهما) قوله فان لم تفعلوا فاتقوا النار بقول اذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق فخافوا الله أن تكذبوه فيحقيق بكم العذاب الذي وعدته المكذابين وهذا دعاء الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد ان دعاهم بالحكمة وهو جدالهم بالتي هي أحسن (والثاني) قوله ولن تفعلوا ولن لنفي المستقبل فيثبت أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله كما أخبر قبل ذلك وأمر الله تعالى نبيه صلى الله

عليه وسلم أن يقول في سورة «سبحان» وهي مكية افتنحها بذكر الإسراء وهو كان بمكة  
 بنص القرآن والخبر المتواتر (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا  
 القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع  
 الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن ولو  
 تظاهروا وتعاونوا على ذلك وهذا التحدي لجميع الخلق وقد سمعه كل من سمع  
 القرآن وعرفه الخاص والعام وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة  
 مثله ومن حين بعث صلى الله عليه وسلم وإلى اليوم الأمر على ذلك مع ما علم من  
 أن الخلق كانوا كلهم كفاراً قبل أن يبعث وما بعث إنما تبعه قليل وكان الكفار  
 من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن نارة يذهبون إلى  
 أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوه عن قصة  
 يوسف وأهل الكهف وذوي القرنين ويجمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه  
 وصاروا يضررون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبه ما مع ظهور الفرق فتارة  
 يقولون مجنون وتارة ساحر وكاهن وشاعر إلى أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون  
 هم وغيرهم من كل عاقل يسمعا أنها افتراء عليه فإذا كان قد تحدام بالمعارضة مرة  
 بعد مرة وهي تبطل دعواهم فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها فإنه مع وجود  
 هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور ثم هكذا  
 القول في سائر الأرض فهذا يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض  
 عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة وهذا أبلغ من الآيات التي تكرر  
 جنسها كاحياء الموتى فإن هذا لم يأت أحد بنظيره فاقدامه صلى الله عليه وسلم في  
 أول الأمر على هذا التحدي وهو بمكة واتباعه قليل على أن يقول خبراً يقطع به  
 أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله في ذلك  
 العصر وفي سائر الأعصار المتأخرة لا يكون إلا مع جزمه بذلك وتيقنه له والافع  
 الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن  
 تصديقه وإذا كان جازماً بذلك متيقناً له لم يكن ذلك إلا عن أعلام الله تعالى له  
 بذلك وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الانسان ان جميع الخلق لا يقدرون أن

يأتوا بمثل كلامه الا اذا علم العالم انه خارج عن قدرة البشر والعلم بهذا يستلزم كونه معجزا قال شيخ الاسلام رحمه الملك العلام ونفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب فإنه ليس من جنس الشعر والرجز ولا الرسائل والخطابة ولا نظمه نظم شي . من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن و بلاغته عجيب خارق للعادة وليس له نظير في كلام جميع الخلق يعني من لدن آدم والى الآن وهذا نهاية الاعجاز وبالله التوفيق

### ﴿ فوائد ﴾

( الاولى ) التحدي المعاوضة والمتحدي هو الذي يتحدى الناس أي يدعوهم ويعيظهم الى أن يعارضوه فيقال فيه حداني على هذا الامر أي بعثني عليه ومنه سعي حادي العيس لأنه بحدائه يعيظها على السير قال شيخ الاسلام في الجواب الصحيح وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة ولكن أصله الاول انتهى وفي القاموس احدى تعمد شيئاً كتحداه والحديا بالضم وفتح الدال المهملة المنازعة والمباراة

( الثانية ) ما قد أشرت اليه في قولي وليس في طوق الورى من أصله الخ أي ليس في وسع البشر ولا سائر الخلق ولا في أصل خلقتهم وجبلتهم القدرة على أن يأتوا بمثل أقصر سورة من القرآن العظيم والذكر الحكيم فإنه معجز في نفسه فليس في وسع الخلق ولا قدرتهم على مضاهاته قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه الوفاء وكان المرتضي العلوي يقول بالصفة يعني ان الله تعالى صرف عن الاتيان بمثله لا انهم عجزوا قال الامام أبو الوفاء ابن عقيل الصرف عن الاتيان بمثله دال على ان لهم قدرة حاصلة قال وان كان في الصرف نوع اعجاز الا ان كون القرآن في نفسه ممتنعاً عن الاتيان بمثله لمعنى يعود عليه أكد في الدلالة وأعظم لفضيلة القرآن قال وما قول من قال بالصفة الا بمثابة من قال بأن عيون الناظرين الى عصى موسى عليه السلام خيل لهم انها حية وثعبان لا انها في نفسها انقلبت قال فالتحدي للمصروف عن الشيء لا يحسن كما لا يتحدى

العجم العربية قال الحافظ ابن الجوزي وأنا أقول إنما يصرفون عن الشيء بتغير طباعهم عند نزوله ان يقدروا على مثله فهو وجد لأحد منهم قبل الصرقة منذ وجدت العرب كلام يقاربه مع اعتمادهم على الفصاحة فالقول بالصرقة ليس بشيء وقال شيخ الاسلام في (الجواب الصحيح) كل ما ذكره الناس من الوجوه في اعجاز القرآن حجة على اعجازه ولاتناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبوا له ثم قال ومن أضعف الاقوال قول من يقول من أهل الكلام انه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها أو بسلب القدرة الجازمة وهو ان الله تعالى صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام مقتضي التام أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً مثل قوله لذكر يا «آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوايا» فان هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو انه اذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة الى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادة بمنزلة من يقول اني أخذ جميع أموال أهل هذا البلد العظيم وأضر بهم جميعهم وأجوعهم وهم قادرون على أن يشتكوا الى الله والى ولي لا امر وليس فيهم مع ذلك من يشتكي فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة ولو قدر أن أحدا صنف كتاباً يقدر أمثاله على تصنيف مثله أو قال شعراً يقدر أمثاله على أن يقولوا مثله وتحداهم كلهم فقال عارضوني وان لم تعاضوني فأنتم كفار مأواكم النار ودمائكم حلال امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد فاذا لم يعارضوه كان هذا من العجائب الخارقة للعادة والذي جاء بالقرآن صلى الله عليه وسلم قال للخلق كلهم أنا رسول الله اليكم جميعاً ومن آمن بي دخل الجنة ومن لم يؤمن بي دخل النار وقد أبيع لي قتل رجالهم وسبي ذرارهم وغنيمة أموالهم ووجب عليهم كلهم طاعتي ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق ومن آياتي هذا القرآن فانه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله وأنا أخبركم ان أحدا لا يأتي بمثله فانه لا يخلو اما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين فان كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه فان سلب القدرة المعتادة أن

يقول رجل معجزتي انكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الاكل والشرب فان المنع من المعتاد كاحداث غير المعتاد فهذا من أبلغ الخوارق وان كانوا عاجزين ثبت انه خارق للعادة فثبت كونه خارقاً للعادة على تقدير النقيضين النبي والاثبات فثبت انه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر قال شيخ الاسلام قدس الله سره فهذا غاية التبرل قال والا فالصواب المقطوع به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون على ذلك قال بل ولا يقدر محمد نفسه صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه على أن يدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر كما أخبر به تعالى في قوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) قلت وفي شفاء أبي الفضل القاضي عياض بعض ميل للقول بالصرفة فانه قال وذهب الشيخ أبو الحسن يعني الأشعري الى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه قال وقال به جماعة من أصحابه قال وعلى الطريقين فعجز العرب عنه واقامة الحجية عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحداهم بأن يأتوا بمثله قاطع قال وهو أبلغ في التعجب وأحرى بالتفريع والاحتجاج بمجى بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو آية وأقع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كأسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً ولا يرضونه الا اضطراراً والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم لاسرعوا بالحجج وقطع العذر وافحام الخصم لديهم هذا وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة بالمعرفة به لجميع الأنام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ماعنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فمأخولوا في ذلك حجة من نبات شفاههم ولا أتوا بنقطة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فمأنسوا ومنعوا فانقطعوا انتهى كلامه وذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه «الوفاء» عن الامام ابن عقيل أنه قال حكلي لي أبو محمد بن مسلم النحوي قال كنا نتذاكر اعجاز القرآن وكان



ثم شيخ كثير الفضل فقال ما فيه ما يعجز الفضلاء عنه ثم ارتقى الى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ووعد انه يبادهم بعد ثلاثة أيام بما يعمل مما يضاحي القرآن فله انقضت الأيام الثلاثة صعد واحد فوجده مستندا يابساً وقد جفت يده على القلم قالت وبمثل هذه يحتاج القائلون بالصرقة وايس بحجة لعدم حصر الملوك فيها بل لما عجز أهل كره الله كندا وتجرته على ما ليس في وسعه وقدرته والله الموفق

(الثالثة) كون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه وأسلوبه حساً أو اخباره بالغيب والمغيبات ولا من صرف الدواعي والمعارضات بل هو آية بيّنة ومعجزة ظاهرة ودلالة باهرة وحجة قاهرة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي والغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل البقينية والأقيسة العقلية التي هي الامثال المضروبة كما في قوله تعالى ( ولقد ضربنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شياً جدلاً - ) (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) - ولعلمهم يندكرون (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) فكل ما ذكره الناس من وجوه الاعجاز في القرآن فهو حجة على اعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبوا لما تنبوا له كما مر في كلام شيخ الاسلام

(الرابعة) القرآن العظيم كلام الله القديم ونوره المبين وحبله المتين وفيه الحجة والدعوة فله بذلك اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبي من الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة » قال الحافظ ابن حجر في الفتح يعني ان معجزتي التي تحدت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الاعجاز الواضح قال وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا انه لم يوت من المعجزات ما أوتي من تقدمه بل المراد انه المعجزة العظمى والآية الكبرى التي اختص بها دون غيره صلى الله عليه

وسلم من الانبياء عليهم السلام انتهى ولا يخفى أن كون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي شريعته المنعوت بها فيها معجزته التي تحدى الخلق بها من أعظم الآيات وأبهر المعجزات وأظهر الدلالات ولهذا استمرت معجزته العظمى باستمرار شريعته الغراء وفيه اشارة وتنبية وإيماء وتنويه الى أن هذا النبي الامين خاتم الانبياء والمرسلين فشرعته دائمة مادام الملوان ومعجزته باقية ما كر الجديدان وبالله التوفيق

(الخامسة) كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأتون بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة لا قوامهم الكافرة وأمهم الفاجرة فكان كل نبي تقع معجزته مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيا عند فرعون فجاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا فبسوا وانصدعوا واحترأوا وانقمعوا وعلموا أن ما جاء به موسى هو الحق اليقين (فألقي السحرة ساجدين) قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون) ولم يقع ذلك بعينه لغير موسى من الانبياء عليهم السلام ولما كان الزمن الذي بعث فيه عيسى عليه السلام قد فشا فيه الاطباء والحكماء بين الأنام وكان أمرهم في غاية الظهور والاعناء بصناعتهم ظاهر مشهور جاء سيدنا المسيح باحياء الموتى وبراء الاكهم والأبرص من الداء العضال القبيح وخلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فطاشت قلوب الحكماء وأذعنوا انه من عند الله ولما كانت العرب أرباب البلاغة وجرائم الفصاحة وأس البيان وأرومة الوضاعة وفرسان الكلام وأرباب النظام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يختص به غيرهم من سائر الامم وقد أوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت مثله انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى لهم ذلك طبعاً وسليقة وفيهم غريزة وحقيقة يأتون منه على البديهة بالعجب العجاب ويدلون به الى كل سبب من الأسباب فيخطبون بديهة في المقامات الشديدة الخطب ويرتمجون به في قسائل الحرب بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويتبدون ويتصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطرقون من أوصافهم ما هو أجمل من سمط اللاك فيخدعون الالباب ويدلون الصعاب

ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويحجرون الجنان ويسطون من يد الجعد  
البتان ويصترونها ناقص كاملا وتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذوا اللفظ  
الجزل والقول الفصل والكلام الفهم والطبع الجوهرى والمزغ القوي ومنهم  
الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع  
السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية  
وعلى كل حال لهم في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة لا يشك ان الكلام  
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم فمراهم الا والرسول الكريم قد أتى  
بهذا الكتاب العزيز العظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل  
من حكيم حميد قد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت  
فصاحته على كل مقول ونظافر إعجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته وعجازه وهم  
أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأوسع في اللغة والغريب مقالا بلغتهم التي  
بها يتحاورون ومنازعتهم التي عنها يتناضلون صار خابهم في كل حين ومقرعا  
لهم بضعاً وعشرين من السنين وموبخاً لهم على رؤس ملاتهم أجمعين (أم  
يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله  
ان كنتم صادقين) فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يقرعهم أشد القرع  
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم  
ويستبيح أرضهم وأموالهم ونساءهم وأبنائهم وهم في كل ذلك ناكصون عن  
معارضته مجمعون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشعيب بالكذب والاعتراء  
بالافتراء فيقولون تارة هذا سحر مفترى وأخرى أساطير الاولين وطورا يقولون اذا  
سمعوا آيات الكتاب: قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا  
وبينك حجاب: ومنهم من استحمق وهذى فقال بضرب من الدعوى لونها قلنا  
مثل هذا ومن تعاطى شيئاً من سخفهم بدعوى المعارضة افضح وانكشف عواره  
وما نجح وظهر بواره ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم قوله  
تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى) قال والله ان له حلالة  
وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لشمر ما يقول هذا بشر: وذكر أبو

عبيد ان اعرابياً سمع رجلاً يقرأ (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فسجد فقيل له في ذلك فقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلاً يتلو (فلما استأسوا منه خلصوا نجياً) فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام وذكر القاضي عياض في الشفاء ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوماً نائماً في المسجد اذا هو بقاءم على رأسه يتشهد شهادة اسق فاستخبره فأعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع قوماً من أسرى المسلمين يقرءون آية من كتابكم فنامتها فاذا هي قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قال تلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه) الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا من أنواع اعجاز القرآن العظيم والذي ذكره الحكيم وفوق كل ذي علم عليم: وبالله التوفيق

(السادسة) قال علماء ناو في بعض آية من القرآن العظيم اعجاز وعلى التحقيق يتفاضل ثوابه ويتفاوت اعجازه كما في مختصر التحرير وغيره من كتب الاصول قال الامام القاضي أبو يعلى بن الفراء قدس الله روحه في بعض آية من القرآن اعجاز لقوله تعالى (فليأتوا بحديث مثله) قال القاضي علاء الدين المرادوي في شرح التحرير والظاهر ان القاضي أبا يعلى أراد ما فيه الاعجاز والا فلا يقول مثل قوله تعالى (ثم نظر) ونحوها ان في بعضها اعجازاً أو فيها أيضاً وهو واضح وقال الامام أبو الخطاب الكوذاني أحد اعلام المذهب والمنفية لا اعجاز في بعض آية بل في آية وهذا ليس على اطلاقه فان بعض الآيات الطوال فيها اعجاز كما ان الآية القصيرة كقوله تعالى (ثم نظر) لا يلزم أن يكون فيها اعجاز وقال بعض المحققين القرآن كله معجز لكن منه ما لو انفرد لكان معجزاً بذاته ومنه ما اعجازه مع الانضمام فان القرآن يتفاوت اعجازه ويتفاضل ثوابه فان الفرق يظهر بين آية الكرسي وآية اللمين وبين سورة الاخلاص وسورة تبت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذي أنزل عليه القرآن وهو أعلم بجملة وتفصيله وبفضله وتفضيله «يا سين قلب القرآن وفاتحة الكتاب أفضل سورة في القرآن وآية الكرسي أعظم آية في القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» والاحاديث الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والايات بالتفضيل وكثرة الثواب في تلاوتها كثيرة جدا وذهب الامام أبو الحسن الاشعري والقاضي الباقلاني وغيرهما الى المنع ويروي هذا القول عن الامام مالك رضي الله عنه ولذلك كره أن تردد سورة دون غيرها قال بعض العلماء والعجب ممن يذكر الخلاف في ذلك بعد ورود النصوص عن صاحب الشريعة بالتفضيل وقال العز بن عبد السلام كلام الله في الله أي المتعلق بذاته تعالى وصفاته والثناء على نفسه ونحو ذلك أفضل من كلامه في غيره فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه - الاتقان في علوم القرآن - اختلف القائلون بالتفضيل فقال بعضهم التفضيل راجع الى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلي الاعلى وقيل بل يرجع لذات اللفظ وان ما تضمنه قوله تعالى ( وإلهكم إله واحد ) لا آية وآية الكرسي وأخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانية الله تعالى وصفاته ليس موجودا مثلا في (تبت يدا أبي لهب) وما كان مثلها فالتفضيل انما هو بالمعاني العجيبة وكرامتها وبالله التوفيق

### فصل في

في ذكر الصفات التي يثبتها الله تعالى أئمة السلف وعلماء الأئردون غيرهم من علماء الخلف وأهل الكلام فضلا عن فرق أهل الزيغ والفساد وأساطين الفلاسفة وأهل الا-اد - وما كان في اثبات هذه الصفات ما يبدر للعقول الفلسفية والأقيسة الكلامية والاخيلة الخلفية ما يوهم التجسيم قدم امام المقصود ما ينفي ذلك بقوله

﴿ وليس ربنا بجهوه ولا عرض ولا جسم تعالى ذوالعلى ﴾

﴿سبحانه قد استوى كما ورد من غير كيف قدته الى ان يحده﴾

﴿وليس ربنا﴾ تبارك وتعالى ﴿بجوهر﴾ يراد به ما قابل العرض ويراد به ما في اصطلاح أهل الكلام يعني العين الذي لا يقبل الانقسام لافعلا ولا وهما ولا فرضاً وهو الجزء الذي لا يتجزأ وعند الفلاسفة وبعض محققي النظار لا وجود للجوهر المفرد أعني الجزء الذي لا يتجزأ واليه ميل شيخ الاسلام ابن تينية قال المثبتون للجوهر المفرد بأنه لا شكل له لأن الشكل هيئة أحاطت الحد الواحد أو الحدود فلو كان له شكل لكان محاطاً لحد أو حدود وحينئذ يلزم انقسامه لأن ما يلاقي منه بجزء من المحيط يعاير الملاقي بآخر وهو الانقسام لانا لانعني بالتقسيم الا ما يفرض فيه شيء غير شيء فلا يكون ما فرضناه جوهرها فردا واذا لم يكن له شكل امتنع أن يكون مشا كلا لشيء لأن المشا كلمة هي الاتحاد في الشكل وليس للجوهر المفرد شكل كما علمت ولنا بصدد تقريره ولا بطلانه وإنما نحن بصدد نفي كون الباري جل شأنه جوهرها ﴿ولا﴾ ربنا جل شأنه وتعالى سلطانه ﴿عرض﴾ وهو ما لا يقوم بذاته بل بعينه بأن يكون تابعا لذلك الغير في التحيز أو مختصا به اختصاص النعت بالمنعوت لا بمعنى انه لا يمكن تعقله بدون المحل كما قد يتوهم فان ذلك انما هو في بعض الاعراض ﴿ولا﴾ هو سبحانه ﴿جسم﴾ وهو ما تركيب من جزءين فضاء وعند بعض النظار لا بد من تركبه من ثلاثة أجزاء لتتحقق الابعاد الثلاثة أعني الطول والعرض والعمق وعند البعض من ثمانية ليتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة قال (السعد) وليس هذا نزاعاً لفظياً راجعاً الى الاصطلاح حتى يدفع بأن لكل واحد أن يصطلح على ما شاء بل هو نزاع في أن المعنى الذي وضع لفظ الجسم بازائه هل يكفي فيه التركيب من جزءين أم لا احتج الاولون بأنه يقال لأحد الجسمين اذا زيد عليه جزء واحد انه أجسم من الآخر فلو ان مجرد التركيب كاف في الجسمية لما صار بمجرد زيادة الجزء أزيد في الجسمية وفيه انه أفعل من الجسمية بمعنى الضخامة وعظم المقدار يقال جسم الشيء اذا عظم فهو جسم والكلام في الجسم الذي هو اسم لصفة انتهى وقال (الكرمانى) في شرح الجواهر الجسم يطلق بالاشتراك على معنيين الاول الجسم الطبيعي المنسوب الى الطبيعة التي هي مبدأ الأثر وعرفه الحكماء بأنه جوهر يمكن أن يفرض فيه

ابعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة فقولهُ يمكن مشعر بأن مناط الجسمية ليس فرض الابعاد بالفعل حتى يخرج الجسم عن الجسمية بان لا يفرض فيه الابعاد بالفعل بل مجرد امكان الفرض وان لم يفرض أصلاً كاف وتصوير فرض الابعاد في الجسم بعد تأليف ما كان وهو الطول وبعد آخر مقاطع له على زوايا قائمة وهو العرض وبعد آخر مقاطع لها كذلك وهو العمق فقولهُ على زوايا قائمة ليس للاحتراز بل بيان الواقع فان حقيقة الجسم لا يكون الا كذلك ولما نفى كون الباري جل وعز جوهر أو عرضاً أو جسماً لا يتصاف الا بالامكان والحقارة والثاني لا يحتاجه الى محل يقوم به والثالث لانه مركب فيحتاج الى الجزء فلا يكون واجباً لذاته ولا مستغنياً عن غيره وفي ضمن ما نفاه رد على بعض فرق الضلال من المجسمة كما تقدمت الاشارة الى ذلك في صدر هذا الكتاب أعقب ذلك بقوله ﴿ تعالیٰ ﴾ ونقدس ﴿ ذو العلا ﴾ في ذاته العلية وصفاته القدسية عما يقول الظالمون علواً كبيراً

ثم ذكر بعد هذا التمهيد المذهب السلفي والاعتقاد الأثري فقال ﴿ سبحانه ﴾ وانما صدر بالتسبيح اشارة الى تزيينه تعالى عن قول المعطلة واعتقاد المثلة ﴿ قد استوى ﴾ على عرشه من فوق سبع سمواته استواء يليق بذاته ﴿ كما ورد ﴾ في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والنصوص السلفية مما لا يحصى ويتعدران يستقصى فهذا كتاب الله من اوله الى آخره وسنة رسول الله من اولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم باحسان رحمهم الله تعالى ثم كلام سائر أئمة الدين ممن تولى على كلامهم الخناصر ولا ينازع فيه الا كل معاند ومكابر بان الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه قال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الجيوش الاسلامية — هذا كتاب الله وذكر مثل ما ذكرنا وقال ابن القيم في قوله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع اذ لا تتذكرون) يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) تأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين فقولهُ خلق السموات والارض في ستة ايام يتضمن ابطال قول الملاحدة القائلين

بقدم العالم وأنه لم ينزل وان الله تعالى لم يخلقه بقدرته ومشيتته بل من أثبت منهم وجود الرب جملة لازماً لذاته أزلاً وأبداً كما يقول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل والكتب وشهدت به العقول والفطر وقوله: ثم استوى على العرش: يتضمن ابطال قول المعطلة الجهمية الذين يقولون ليس على العرش سوى العدم وان الله ليس مستوياً على عرشه ولا ترفع اليه الايدي ولا يصعد اليه الكلم الطيب ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم اليه ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل من عنده جبريل بوحيه ان يوحى اليه الخ كلامه رحمه الله تعالى وقال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) وقوله (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) وقوله (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعداذنه) الآية (وقوله تنزيلاً ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى) وقوله (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) وقوله (هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم احاطته وعموم رؤيته وقال تعالى (ياها مان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب) اسباب السموات فاطلع الى إله موسى واني لا ظنه كاذباً) قال في الجيوش قال أبو الحسن الأشعري وقد احتج بهذه الآية على الجهمية فاكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله ان الله فوق السموات. وأما الاحاديث فمنها قصة المعراج فهي متواترة وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم السموات سماء سماء حتى انتهى الى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه خمسين صلاة فلم ينزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين الله تعالى ينزل من عند ربه الى موسى فيسأله كم فرض ربك عليك فيخبره فيقول ارجع الى ربك فاسأله التخفيف وفي الصحيحين



من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي» وفي لفظ «كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي» وفي لفظ فهو مكتوب عنده فوق العرش وكل هذه الالفاظ في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال «ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يحفظ القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه» وذكر الامام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حديث الاسرى وفيه «ثم علا به - يعني جبريل - فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاوز سدرة المنتهى ودنا من الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ما ذاعهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيريه في ذلك فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلى به الى الجبار تبارك وتعالى» الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حكومة سعد بن معاذ في بني قريظة «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة اربعة» وفي لفظ - من فوق سبع سموات» وأصل القصة في الصحيحين وفي صحيح مسلم من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رضي الله عنه قال لظمت جارية لي فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فغظم ذلك علي فقلت يا رسول الله أفلا أعنتها قال «بلى انثني بها» قال فنجثت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أين الله فقالت في السماء قال فمن أنا قالت أنت رسول الله قال أنها مؤمنة وفي لفظ قال «أعنتها فانها مؤمنة» قال الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه (العرش) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم يدونونه كما جاء وقال في أول الحديث من الاحاديث المتوافرة الواردة في العلو وفي صحيح البخاري عن أنس

ابن مالك رضي الله عنه قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الاوعال «والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه» رواه الامام أحمد في المسند وابن خزيمة في كتاب التوحيد وقول عبد الله ابن رواحة الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم

شهدت بان وعد الله حق وان النار مشوى الكافرين

وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

وقول أمية ابن الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم فاستحسنه

وقال «آمن شعره وكفر قلبه»

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً

بالبناء الأعلى الذي سبق الخلق وسوى فوق السماء سريراً

شرحها ما يناله نظر العيون يرى دونه الملائك صوراً

وقد جاء في الكتاب والسنة من ذلك ما يتعذر أو يتعسر إحصاؤه فتارة يخبر انه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش كما مر وقد ذكر الله استواءه على العرش في سبعة مواضع من كتابه وتارة يخبر بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه وتارة يخبر بنزولها من عنده وتارة يخبر بأنه العلي الاعلى كقوله (سبح اسم ربك الاعلى) وقوله (وهو العلي العظيم) وتارة يخبر بأنه في السماء وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض كقوله تعالى (وله من في السموات ومن في الارض ومن عنده) ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فلو كان موجب العندية معنى عاماً لدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده ولم يكن أحد مستكبراً عن عبادته بل مسبحاً له ساجداً مع أنه تعالى قال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك رداً على الكفار المستكبرين عن عبادته. قال شيخ الاسلام وأما الاحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها الا الله قال فلا يخلو اما ان يكون

ما اشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله تعالى على خلقه واستوانه على عرشه هو الحق أو الحق تقيضه اذا الحق لا يخرج عن التقيضين واما ان يكون هو جل شأنه نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق كما يقول الجهمية الذين يقولون هو سبحانه لا فوقهم ولا فيهم ولا داخل العالم ولا خارجه ولا مابين ولا محايث وتارة يقولون هو بذاته في كل مكان وفي كلا المقالتين يدفعون ان يكون هو نفسه فوق فاما ان يكون الحق اثبات ذلك أو نفيه فان كان نفي ذلك هو الحق فمعلوم ان القرآن لم يبين هذا قط لانصا ولا ظاهرا ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين لأئمة المذاهب الاربعة ولا غيرهم ولا يمكن أحدا ان ينقل عن واحد من هؤلاء انه نفي ذلك أو أخبر به وأما نقل الاثبات عن هؤلاء فأكثر من ان يحصى فان كان الحق هو النفي دون الاثبات والكتاب والسنة والاجماع انما دل على الاثبات ولم يذكر النفي أصلا لزم ان يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب بل نطقوا بما يدل اما نصا وأما ظاهرا على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب ومعلوم ان من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فله أوفر حظ من قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فان القائل اذا قال هذه النصوص أريد بها خلاف ما يفهم منها أو خلاف مادلت عليه أو انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه وإنما أريد به علو المكانة ونحو ذلك فيقال له فكان يجب ان يبين للناس الحق الذي يجب التصديق به باطنا وظاهرا بل ويبين لهم ما يدلهم على ان هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه فانه غاية ما يقدر انه تكلم بالمجاز الخالف للحقيقة والباطن الخالف للظاهر ومعلوم باتفاق العقلاء ان مخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازي فاذا كان الرسول المبلغ المدين الذي بين للناس ما أنزل اليهم علم ان المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه كان عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد لاسيما اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الله فانه عليه أن ينههم عن أن يعتقدوا في الله ما لا يجوز اعتقاده اذا كان ذلك مخوفا عليهم ولو لم

يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي يقول النفاة هو اعتقاد باطل فاذا لم يكن في الكتاب ولا السنة ولا كلام أحد من السلف والأئمة ما يوافق قول النفاة أصلاً بل هم دائماً لا يتكلمون الا بالاثبات امتنع حينئذ أن لا يكون مرادهم الاثبات وأن يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعمدونه وهم لم يتكلموا به قط ولم يظهروه وإنما أظهروا ما يخالفه وينافيه وهذا كلام متين لا مخلص لاحد عنه . قال شيخ الاسلام روح الله روحه لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام أما المتفلسفة والقرامطة فيقولون ان الرسل كلّموا الخلق بخلاف ما هو الحق وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون ور بما يقولون انهم كذبوا لأجل مصلحة العامة فان مصلحة العامة لا تقوم الا باظهار الاثبات وان كان في نفس الأمر باطلا وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه فانه يقال لو كان الامر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك ولكانوا يطلعون خواصهم على هذا الامر فكان يكون النفي مذهب خاصة الأئمة وأكملها عقلا وعلماء ومعرفه والامر بالعكس فان من تأمل كلام السلف والأئمة وجد أعلم الأمة عند الامة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسليمان الفارسي وأبي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين هم أعظم الخلق اثباتاً وكذلك أفاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين وأصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين وأمثالهم بل المنقول عن هؤلاء في الاثبات يجيب عن اظهاره كثير من الناس وعلي ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسمعيل الانصاري ما يروى ان من العلم كهيئة المسكون لا يعرفه الا أهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره الا أهل الفترة بالله تأولوا ذلك على ما جاء من الاثبات لأن ذلك ثابت عن الرسول والسابقين والتابعين لهم باحسان بخلاف النفي فانه لا يوجد عنهم ولا يمكن حمله عليه وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف في الاثبات ما لا يحصي عدده الا رب السموات

ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد إلا أن يكون من الأكاذيب المختلفة التي ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم (قلت) وقد أكثر العلماء من التصنيف وأجلوا بخيلهم ورجلهم من التأليف في ثبوت العلو والاستواء ونهبوا على ذلك بالآيات والحديث وما حوى فمنهم الراوي الأخبار بالاسانيد ومنهم الحاذف لها وأتى بكل لفظ مفيد ومنهم المطول المسهب ومنهم المختصر والمتوسط والمهذب فمن ذلك مسألة العلو لشيخ الاسلام ابن تيمية والعلو للإمام الموفق صاحب التصانيف السنية والجيوش الاسلامية للإمام المحقق ابن قيم الجوزية وكتاب العرش للحافظ شمس الدين الذهبي صاحب الانفاس العلية ومالا أحصي عدهم إلا بكلفة والله تعالى الموفق

قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه (أقوال الثقات) في تأويل الاسماء والصفات) ومما احتج به أهل الاثبات بأنه الذي طبع الله عليه أهل الفطرة العقلية السليمة من الأولين والآخرين الذين يقولون انه فوق العالم اذ العلم بذلك فطري عقلي ضروري لا يتوقف على سماع قالوا ولم يقل قائل يا الله الا وجد من قلبه ضرورة يطلب العلو بحيث لا يمكن رفع هذه الضرورة عن القلوب ولا يلتفت الداعي يمته ولا يسرة وأما العلم بأنه تعالى استوى على العرش بعد خلقه السموات والأرض في ستة أيام فهذا معي علم بالوحي على الانبياء فاخبروا عليهم الصلاة والسلام أمهم بذلك قال سيدنا الشيخ الكبير (الشيخ عبدالقادر الجيلي) الحنبلي قدس الله سره في كتاب (الغنية في الفقه) قال وهو تعالى بجهة العلوم مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج إليه « الآية ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش استوى على العرش كما قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ثم قال وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش ثم قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف وهذا نص كلامه قدس الله سره في الغنية . وقال الامام القرطبي في تفسيره في سورة الاعراف وقد كان السلف الاول رضي الله عنهم

لا يقولون بنبي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكتابة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله قال ولم ينكر أحد من السلف الصالح انه تعالى استوى على عرشه حقيقة انتهى وقال أبو نعيم الحافظ في كتابه (محنة الواثقين) وأجمعوا أن الله فوق سموانه وانه عال على عرشه مستو عليه لا مستول كما تقول الجهمية وقال ابن رشد المالكي في كتابه المسمى بالكشف وأما هذه الصفة يعني القول بالجهة فلم تنزل أهل الشريعة يشبثونها حتى نفتها المعتزلة ومتأخرو الاشاعرة كابي المعالي ومن اقتدى بقولهم ثم قال وقد ظهر ان اثبات الجهة واجب شرعاً وعقلاً الخ كلامه

وقيل للامام عبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا قال بأنه فوق السماء السابعة على العرش باين من خلقه على ان نفس الامام أبي الحسن لاشعري في كتابه - الابانة - قال ان الله مستو على عرشه كما قال ( الرحمن على العرش استوى ) وقال ( اليه يصعد الكلم الطيب ) وقال ( لعلي اطلع الى إله موسى واني لأظنه من الكاذبين ) كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال ( أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض ) فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات وكان كلما علا فهو سما قال ( أأنتم من في السماء ) وإنما أراد العرش الذي هو أعلا السموات قال ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم اذا دعوا الى نحو السماء لان الله مستو على العرش الذي فوق السموات فلو لا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش قال وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر وان الله في كل مكان وجحدوا ان يكون على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والارض السابعة لان الله تعالى قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز ان يقال انه مستو على الاشياء كلها مع انه لم يحز عند أحد من المسلمين ان يقال ان الله تعالى مستو على الحشوش والاخلية فبطل ان يكون الاستواء على العرش الاستيلاء ثم بسط الادلة على هذه المسئلة من الكتاب والسنة والعقل بما يطول نقله وقال لاشعري أيضاً في كتابه - جمل المقالات - قال أهل السنة وأصحاب

الحديث الله ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه على العرش كما قال عز وجل (الرحمن على العرش استوى) ولا تقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وانه نور كما قال ويبيح (وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الى ان قال ولم يقولوا شيئاً الا ما وجدوه من الكتاب او جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقالت المعتزلة ان الله استوى على عرشه بمعنى استولى هذا نص كلامه فالاشعري انما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية وصرح بخلافه وانه خلاف قول اهل السنة وكذلك قال محيي السنة الحسين ابن مسعود في تفسيره تابعاً لابي الحسن الاشعري وقال القاضي أبو بكر ابن الباقلاني وهو من افضل متكلمي الاشعرية فان قال قائل فهل تقولون انه تعالى في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) وساق الآيات المتقدمة ثم قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان والحشوش ولصح ان يرغب اليه نحو الارض والى خلفنا ويمينا وشمالنا قال وهذا أجمع المسلمون على خلافه ومخطئة قائله وأطال في الاستدلال في كتابه - التمهيد في أصول الدين - وهو من أشهر كتبه

قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وكثير من الناس صار منتسباً الى بعض طوائف المتكلمين متوهماً أنهم حققوا في الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يوتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم قال ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ولا يتبع ما جاءه من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا لو انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم) فكذلك من يتعصب لطائفة بلا برهان من الله انتهى

إذا علمت هذا فاعلم ان كثيراً من الناس يظنون ان القائل بالجهة أو الاستواء هو من المجسمة لأنهم يسمون ان من لازم ذلك التجسيم وهذا وهم فاسد وظن كاذب وحدث حائد لانه يقول أولاً لمن ارتكب هذا المركب لازم المذهب ليس بمذهب

عند أئمة أهل التحقيق وذوي النباهة والمعرفة والتصديق فكيف يحسن ان ينسب الى المرء شي من لوازم كلامه وهو من أبعد الناس عنه بقصده ومرامه فان أهل الاثبات المتبعين للمنصوص من الاخبار والآيات ينزهون الله تعالى عن التكيف والحد ويعتقدون ان من وصفه تعالى بالجسم أو كيف فقد زاع وألحد ولهذا قال لما أثبت له صفة الاستواء كما ورد في القرآن العظيم والذكر الحكيم نو من بأنه عز وجل استوى على عرشه ﴿من غير كيف﴾ كما روى اللالكثاني الحافظ في كتابه السنة من طريق قرّة بن خالد عن الحسن البصري عن أمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) الاستواء معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة والبحث عنه كفر: وهذا له حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي وفي لفظ آخر قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر: وروى يحيى بن آدم عن أبيه وابن عيينة قال سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن المشهور بربيعة الرأي وهو شيخ الامام مالك بن أنس رضي الله عنه عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق: وروي نحو ذلك أيضاً عن الامام مالك رضي الله عنه فقد ذكر الامام يوسف بن عبد البر في كتابه التمهيد - قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا شريح بن النعمان قال حدثنا عبد الله بن نافع قال قال الامام مالك بن أنس في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان قال وقيل لما لك: الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله استواؤه معقول وكيفيته مجرولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء ويرى عن الشعبي أنه سئل عن الاستواء فقال هذا من مثابه القرآن نو من به ولا تتعرض لمعناه وروي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه سئل عن الاستواء فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل وأهممت نفسي في الادراك وامسكت عن



الخوض غاية الامسك وعن سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه انه لما سئل عن الاستواء اجاب بقوله استوى كما ذكر لا كما يحظر للبشر  
 فمعنى قول أم سلمة رضي الله عنها في الحديث ومن نحاحوها من الائمة الاستواء  
 معلوم أي وصفه تعالى بأنه تعالى على العرش استواء معلوم بطريق القطع الثابت  
 بالتواتر وأما الوقوف على حقيقة أمر يعود الى الكيفية فمجهول والجهالة فيه من جهة  
 انه لا سبيل لنا الى معرفة الكيفية لانها تبع للماهية وقولهم والسؤال عنه بدعة لان  
 الصحابة رضي الله عنهم لم يسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يسألوا  
 الصحابة ولان جوابه يتضمن الكيفية ولهذا قيل في الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالبين  
 بسؤالهم التكيف والكيف مجهول فالذي ثبت نفيه بالشرع والعقل واتباع السلف انما  
 هو علم العباد بالكيفية فعندها تنقطع الاطماع وعن دركها تقصر العقول والوقوف  
 على درج سلم التسليم تنتهي هم الائمة الفحول ولهذا قال في تيممة نظمه ملوحاً بالارد  
 على الممثل والمعطل بقوله ﴿قد تعالى﴾ الله علا وجل ولسنا في اتباع المأثور مع  
 التسليم للمولى الحكيم على وجل فانا نفتني أثر المأثور ونشهر سيف السنة لأعناق  
 أهل البدع والنفي باتباع المشهور ونرد على كل من ألد بان الله تعالى ونقدس  
 وتزه من ﴿أن يحد﴾ أو يقاس بما يحد وفيه اشارة الى رد زعم من زعم بأنه يلزم  
 من كونه تعالى مستوياً على عرشه ان يحد قال الامام القرطبي وابن أبي زيد  
 والقاضي عبد الوهاب من المالكية وجماعة من شيوخ الحديث والفقهاء وابن عبد البر  
 والقاضي أبو بكر بن العربي وابن فورك وغيرهم ممن لا يحصى عددهم انه سبحانه  
 مستو على العرش بذاته وأطلقوا في بعض الاماكن فوق عرشه قال القاضي أبو  
 بكر وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكن في مكان ولا مماسية  
 قال شيخ الاسلام ابن تيمية استوى على عرشه على الوجه الذي يستحقه سبحانه  
 من الصفات الالائية قال فان قال قائل لو كان الله تعالى فوق العرش للزم اما ان يكون  
 أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً وذلك كله محال ونحو ذلك من الكلام  
 والجواب ان يقال ان هذا لم يفهم من كون الله على العرش الا ما ثبت للاجسام فهذا  
 اللازم تابع لهذا المفهوم واما استواء يليق بجلال الله ويختص بعظمته فلا يلزم

شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام وحال هذا القائل  
 مثل قول من يقول اذا كان للعالم صانع فاما ان يكون جوهر أوعرضاً وكلاهما محال  
 اذ لا يعقل موجود الا كذلك قال والقول الفصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله  
 مستو على عرشه استواء يليق بجلاله فكما انه تعالى موصوف بالعلم والبصر والقدرة  
 ولا يثبت لذلك خصائص الاعراض التي للمخلوقين فكذلك سبحانه هو فوق عرشه  
 ولا يثبت نفوقيته خصائص نفوقية المخلوقين على المخلوق تعالى الله عن ذلك فلدفع  
 هذا الوهم أشار في النظم لنفي التحديد المتحدلق به كل ملحد وعنيد وقال الامام  
 القرطبي أظهر الاقوال وان كنت لا أقول به ولا أختاره ما تظاهرت عليه الآي  
 والاختيار والفضلاء الاختيار ان الله سبحانه على عرشه كما أخبر في كتابه بلا كيف  
 بان من جميع خلقه هذا جملة مذهب السلف الصالح انتهى والعجب من القرطبي  
 حيث يقول وان كنت لا أقول به ولا أختاره ولعله خشي من تحريف الحسنة  
 فدفع وهمم بذلك قاله العلامة الشيخ مرعي وبهذا قال جماهير الحنابلة لكن قالوا  
 استوى على الوجه الذي يستحقه لذاته مما لا يشاركه فيه المحدث ولا يشابهه ولا  
 يعائله ولا يدل على اثبات كمية ولا صفة كيفية بل على الوجه الذي يستحقه الله  
 لنفسه قالوا والى هذا الاشارة في حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في  
 الحديث المار الاستواء معلوم والكيف مجهول الحديث ورضي الله تعالى عن الامام  
 مالك حيث قال أو كلا جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى  
 محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هو لا وكل من هو لا مخصوم بمثل ما خصم به الآخر  
 فلم يبق الا الرجوع لما قاله الله ورسوله والتسليم لهما

### تنبهات

(الاول) قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه أكثر ما يخطئ الناس من جهة  
 التأويل والقياس فالتأويل في الأدلة السمعية والقياس في الأدلة العقلية قال شيخ  
 الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وهو كما قال والتأويل الخطأ انما يكون في  
 الالفاظ المتشابهة والقياس الخطأ انما يكون في المعاني المتشابهة قال شيخ الاسلام  
 وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات حتى آل

الأمر بمن يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم الى أن اشتببه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود وهذا غاية الضلال والهديان ثم قال شيخ الاسلام روح الله روحه ما أخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرف لانه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها مع ان هذا الباب يوجد عامته منصوصاً في الكتاب والسنة متفقاً عليه بين سلف الأمة وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد بل ولاله أن يوافق أحدا على اثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده فان أراد حقاً قبل وان أراد باطلاً ردوان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه بل يوقف للفظ ويفسر المعنى قال كما تنازع الناس في الجهة فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما اذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا أريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم أنه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه اثبات العلو والاستواء والغوقية والعروج اليه ونحو ذلك وقد علم أنه ما تم موجود الا الخالق والمخلوق والخالق مابين المخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته فيقال لمن نفي أريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخل في المخلوقات أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب ان الله فوق العالم بائن من المخلوقات وكذلك يقال لمن قال الله في جهة أريد بذلك ان الله فوق العالم أو يريد به ان الله داخل في شيء من المخلوقات فان أردت الاول فهو حق وان أردت الثاني فهو باطل وكذلك لفظ المتحيز ان أراد به ان الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر منه وسع كرسية السموات والارض وقد قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض) وفي حديث بن عباس رضي الله عنهما (ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم) وفي

حديث آخر (وانه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) قال وان أراد به انه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها ومنفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه كما ذكره في التدمرية وقال شيخ الاسلام في التدمرية أيضاً أما علوه تعالى ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فيظن المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام كقوله (وسخر لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره) فيتحيل انه اذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً اليه كحاجة المستوي على الفلك والانعام فتعالى الله وتقدس فهذا خطأ وفي مفهوم استوائه تعالى على العرش حيث ظن انه مثل استواء الانسان فانه ليس في اللفظ ما يدل على ذلك لانه تعالى اضاف الاستواء الى نفسه الكريمة كما اضاف اليه سائر أفعاله وصفاته فذكر انه خلق ثم استوى كما ذكر انه قدر فهدى فلم يذكر استواء مطلقاً يصلح للمخلوق ولا عاماً يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته وقد علم انه تعالى الغني عن الخلق وانه الخالق للعرش ولغيره وان كل ما سواه مفتقر اليه وهو الغني عن كل ما سواه فكيف يجوز أن يتوهم انه تعالى اذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً اليه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً هل هذا الاجهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه أو ظنه ظاهر اللفظ أو جوزوه على رب العالمين الغني عن الخلق المجيد المتعال

(الثاني) قال الجلال الدواني في شرح العقائد العنصرية ما لفظه ولا بن تيمية أبي العباس أحمد وأصحابه ميل عظيم الى اثبات الجهة ومبالغة في القدح في نفيها قال ورأيت في بعض تصانيفه انه لا فرق عند بديهته العقل بين أن يقال هو معدوم وبين أن يقال طلبته في جميع الامكنة فلم أجده ونسب النايفين الى التعطيل قال هذا مع علو كعبه في العلوم الثقيلة والعقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه قال ومحصل كلام بعضهم في بعض المواضع ان الشرع ورد بتخصيصه تعالى بجهة الفوق كما خص الكعبة بكونها بيت الله ولذلك يتوجه اليها في الدعاء قال ولا يخفى انه ليس في

هذا القدر غائلة أصلاً لكن بعض أصحاب الحديث من المتأخرين لم يرض بهذا القول وأنكر كون الفوق قبلة الدعاء بل قال قبلة الدعاء هو بعينه نفسه كما أن نفس الكعبة قبلة الصلاة وصرح بكونه جهة الله حقيقة من غير تجوز اه كلامه بحروفه قلت ليس شيخ الاسلام بأول من نسب النافين لتعطيل فهذا (أبو محمد عبد الله بن سعد بن كلاب) وهو الذي تبع طريقته أبو الحسن الأشعري وإن خالفه في بعض الأشياء إلا أنه على نهجه في اثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه قال ابن كلاب في كتبه أخرج من الأثر والنظر من قال أنه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه وحكى عنه أبو الحسن الأشعري أنه كان يقول إن الله مستو على عرشه كما قال وأنه فوق كل شيء هذا لفظ حكاية الأشعري وحكى عنه أبو بكر بن فورك فيما جمعه من مقالاته في كتاب المجرد أخرج من النظر والخبر قول من قال لا هو في العالم ولا خارجاً عنه فنفاه نفيًا مستويًا لأنه لو قيل له صفة بالعدم ما قدر أن يقول أكثر من هذا وقال ابن كلاب إن قالوا لا فوق ولا تحت أعدموه لأن ما كان لا فوق ولا تحت عدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة سلك طريق ابن كلاب ومال إلى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها وقال شيخ الاسلام في رسالته التدمرية بعد أن ذكر أن الذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلهًا محموداً بل ولا موجوداً قال وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا أنه لا يتكلم ولا يرى أو ليس فوق العالم أولم يستوعب العرش ويقولون ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مابين للعالم ولا محاث له اذهبه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم وليست هي مستلزمة صفة ثبوت ولهذا قال محمود بن سبكتكين لمن ادعى ذلك في الخالق ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم انتهى (الثالث) ذكر الإمام أبو العباس عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي المحقق العارف تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سرهما الذي قال فيه شيخ الاسلام أنه جنيد زمانه في رسالته نصيحة الإخوان ما حصله في مسألة العلو والفوقية والاستواء هو إن الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلأ

ولاملاء وانه كان منفردا في قدمه وأزليته متوحدا في فردانيته لا يوصف بأنه فوق  
 كذا اذ لا شيء غيره هو تعالى سابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم وهو لازمان  
 له تعالى وهو تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته فلما اقتضت  
 الارادة المقدسة خلق الاكوان المحدثه المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت  
 الارادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو سبحانه منزه عن صفات  
 الحدث فكون الاكوان وجعل جهتي العلو والسفل واقتضت الحكمة الإلهية أن  
 يكون الكون في جهة التحت لكونه مربوبا مخلوقا واقتضت العظمة الربانية أن  
 يكون هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق فيها ولا  
 تحت والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في  
 ذاته ولا في صفاته ما لم يكن له في قدمه وأزليته فهو الآن كما كان. فلما أحدث الربوب  
 المخلوق ذات الجهات والحدود والحلا والملاذ الفوقية والتحتية كان مقتضى حكم العظمة  
 الربوية أن يكون فوق ملكه وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون  
 لا باعتبار القدم من الكون فاذا أشير اليه بشيء يستحيل أن يشار اليه من جهة التحتية  
 أو من جهة اليعنة أو من جهة اليسرة بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية  
 ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله فالاشارة تقع على اعلا جزء من  
 الكون حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به لا كما يقع على الحقيقة المحسوسة  
 عندنا في اعلا جزء من الكون فانها اشارة الى جسم وتلك اشارة الى اثبات اذا  
 علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه وتعالى في قدمه اسكن لم يظهر حكمها  
 إلا خلق العرش كما ان الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة وكذلك  
 التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه الا في محله قال فاذا علم ذلك فالامر الذي يهرب  
 المتأولة منه حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء فنحن أشد الناس  
 هر بأم من ذلك وتنزيها للباري تعالى عن الحد الذي لا يحصره فلا يحد بحد يحصره  
 بل يحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الكون  
 وأسفله اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا وهو في قدسه سبحانه منزه عن صفات  
 الحدث وليس في القدم فوقية ولا تحتية وانما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة

بارئه الامن فوqe فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات عند العرش ويبقى ماوراءه لا يدركه العقل ولا يكفي الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجعلا مثبتا لامكيفا ممثلا (قال) فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل وعمارة التعطيل وحمافة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علور بنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصذر ينشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل ونغي مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقونا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها ثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك قال وكذلك التشبيه والتمثيل حمافة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكيف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى والله أعلم

وذ كرشيخ الاسلام في كتابه في العرش ما حاصله اختلف في العرش هل هو كروي كالأفلاك فيكون محيطا بها واما ان يكون فوقها وليس هو كرها فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم ان الافلاك مستديرة كرية الشكل ان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدود وان الجهة السفلى هي المركز وليس للأفلاك الا جهتان العلو والسفل فقط واما الجهات الست فهي للحيوان وليس لها في نفسها صفة لازمة بل هي بحسب الاضافة فتكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ويكون امام هذا ما يكون خلف هذا ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا يتغير فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل مع ان وجه الارض التي وضعها الله للانام وارساها بالجبال هو الذي عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والأنهار الجارية فاما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط بها وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم ولو قدر ان هناك احد الكائنات على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه ولا من في هذه تحت من في هذه كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس احد جانبي الفلك تحت الآخر ولا القطب الشمالي تحت القطب الجنوبي ولا بالعكس وان كان الشمالي هو الظاهر لنا فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء فما كان

بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثون درجة وهو الذي يسمى عرض البلد فاذا قدر ان العرش مستدير محيط بالخلقوات كان هو اعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يتوجه اليه والى ما فوقه الانسان الا من العلو من جهاته الباقية اصلا ومن توجه الى الفلك التاسع او الثامن او غيره من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء فكيف بالتوجه الى العرش او الى ما فوقه وغاية ما يقدر ان يكون كروي الشكل والله تعالى محيط بالخلقوات كلها احاطة تليق بجلاله فان السموات السبع والارض في يده اصغر من الحمصة في يد احدنا قال ابن عباس رضي الله عنهما ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وهذا الاثر وامثاله معروفة في كتب الحديث قال شيخ الاسلام ومن المعلوم ان الواحد منا والله المثل الاعلى اذا كان عنده خردلة ان شاء قبضها فاحاحت بها قبضته وان شاء لم يقبضها بل جعلها تحتها فهو في الحالين مباين لها والعرش سواء كان هذا الفلك التاسع الذي هو الفلك الاطلس عند الفلاسفة ويسمونه الفلك الاعظم وفلك الافلاك او كان جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة وجه الارض غير محيط به فيجب على كل حال ان يعلم ان العالم العلوي والسفلي بالنسبة الى الخالق في غاية الصغر كما قال تعالى « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » وفي ذلك من الاحاديث ماسياتي ذكر بعضها عن ذكر يديه تعالى . وسواء قدر ان العرش محيط بالخلقوات كاحاطة الكرة بما فيها او قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه بالنسبة الى جوفها وكالقبعة بالنسبة الى ماتحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق الخلقوات والخالق سبحانه وتعالى فوقه والعباد في توجه الى الله يقصد العلو دون التحت . ثم قال شيخ الاسلام في آخر كتاب العرش قد تبين انه سبحانه وتعالى اعظم واكبر من ان تكون الخلقوات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك وانها اصغر عنده من الحمصة او الفلفل ونحو ذلك في يد احدنا فاذا كانت الحمصة او الفلفل بل الدرهم والدبنار او الكره التي يلعب بها الصبيان ونحو ذلك في يد انسان او تحتها ونحو ذلك هل يتصور عاقل



إذا استشعر علو الانسان على ذلك واحاطته به أن يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الأعلى أعظم من أن يظن ذلك به وإنما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وبالله التوفيق

﴿ فلا يحيط علماً بذاته كذلك لا يفك عن صفاته ﴾

﴿ فكل ما قد جاء في الدليل فثابت من غير ما تمثيل ﴾

ولما كان الله سبحانه وتعالى بهذه المثابة من العظمة والكبرياء والجلالة وكان الناظم مستشعراً بهذا قال ﴿ فلا يحيط علماً ﴾ معشر الخلق من الملائكة والانس والجن ولو بذلنا جهدنا في تحصيل معرفته وأنفدنا أعمارنا في الدأب في التدقيق والامعان في النظر فيما توصل الى ادراك حقيقته فلا يمكن أن يحيط علماً ولا أن تدرك عقولنا العلم ﴿ بذاته ﴾ المقدسة وحقيقته المعظمة قال شيخ الاسلام في التدمرية ومثل هذا يعني عدم العلم بحقائق الصفات والذات يوجد كثيراً في كلام السلف والائمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى وأنه لا يعلم كيف الله الا الله قال فلا يعلم ماهو الا هو وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في صحيح مسلم وغيره وقال في الحديث الآخر « اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في المسند وصحيح أبي حاتم وقد أخبر فيه ان لله من الاسماء ما استأثر به في علم الغيب عنده فعاني هذه الاسماء التي استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره ونحن نعلم ان أسماء الله تعالى كلها انعمت في دلالتها على ذات الله مع تنوع معانيها فهي متوافقة من حيث الذات متباينة من جهة الصفات فهي مترادفة بحسب الذات متباينة بحسب الصفات قال شيخ الاسلام ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن إذا أخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا

ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب وفسرنا ذلك وأمانفس الحقيقة المخبر عنها مثل التي  
 لم تكن بعد وانما تكون يوم القيمة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله انتهى  
 ولهذا قال بعض الناس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسم كما قاله  
 ابن عباس رضي الله عنها قال ابن وهب قال عبد الرحمن بن زيد يعرفون أسماءه  
 كما كانوا في الدنيا بالتفاح والرمان وليس هو مثله في الطعم وقد أخرج عبد الله  
 ابن الامام أحمد رحمهما الله تعالى من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهبط الله آدم من الجنة وعلمه صنعة كل شيء  
 وزوده من ثمار الجنة فتماركم هذه من ثمار الجنة غير انها تغير وتلك لا تغير» والله جل  
 شأنه لا يعلم عباده الحقائق التي أخبر عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر ولا يعلمون  
 حقائق ما أراد بخلقه وأمره من الحكمة ولا حقائق ما صدرت عنه من المشيئة والقدرة  
 فحقيقة ما دل عليه سبحانه وتعالى من حقائق الاسماء والصفات وماله من الجنود  
 الذين يستعملهم في أفعاله فلا يعلمه الا هو (وما يعلم جنود ربك الا هو) وهذا من  
 تأويل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وبهذا يتبين ان التشابه يكون في الالفاظ  
 المتواطئة كما يكون في الالفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة وان زال الاشتباه بما  
 يميز أحد المعنيين من اضافة أو تعريف كما اذا قيل فيها أنهار من ماء فهنا قد خص  
 هذا الماء بالجنة فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا لكن حقيقة مامتاز به ذلك الماء  
 غير معلومة لنا وهو مع ما أعده الله تعالى لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن  
 سمعت ولا خطر على قلب بشر من التأويل الذي لا يعلمه الا الله وكذلك مدلول  
 أسماه وصفاته التي يختص بها التي هي حقيقته لا يعلمها الا هو ولهذا كان الأئمة  
 الكبار كالامام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرفون الكلم  
 عن مواضعه فالحقيقة التي استأثر الله بعلمها لا يعلمها الا هو كما بسط عليه الكلام  
 شيخ الاسلام في التدمرية وغيرها ثم قال وقد افرق الناس في هذا المقام ثلاث  
 فرق (فالسلف) والأئمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر مع  
 علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة وان مباينة الله تعالى لخلقه  
 أعظم (والفرق الثاني) الذين أثبتوا ما أخبر به في الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا

كثيراً مما أخبر به من الصفات مثل طوائف من أهل الكلام (والفريق الثالث) نفوا هذا وهذا كالفراطة الباطنية والفلاسفة اتباع المشائين ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر وهو لا اله الا الله الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى والله أعلم ﴿كذلك﴾ أي كان علمنا لا يحيط بالذات المقدسة ﴿لا ينفك﴾ أي لا يخلص ولا يزول ﴿عن صفاته﴾ الذاتية وأفعاله الاختيارية فذاته المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين وصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين فنسبة صفة المخلوق اليه كنسبة صفة الخالق اليه وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب اليه كالمنسوب اليه وأراد الناظم بما ذكر الرد على المعتزلة ونحوهم من نفات الصفات فإنهم يزعمون ان كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه بمثل فمن قال لله تعالى علم قديم أو قدرة قديمة كان عندهم مشبهاً ممثلاً لان التقدم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله فمن أثبت له صفة قديمة فقد أثبت له مثلاً قديماً فيسمونه ممثلاً بهذا الاعتبار ومثبتو الصفات لا يوافقونهم على هذا بل يقولون أخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين وانه بكل شيء عليم وانه على كل شيء قدير وانه إله واحد ونحو ذلك والصفة لا توصف بشيء من ذلك ثم من هؤلاء الصفاتية من لا يقول في الصفات انها قديمة بل يقول الرب بصفاته قديم ومنهم من يقول هو قديم وصفته قديمة ولا يقول هو وصفته قديمان ومنهم من يقول هو وصفاته قديمان ولكن يقول ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه فان التقدم ليس من خصائص الذات المجردة بل هو من خصائص الذات الموصوفة بالصفات والافالذات المجردة لا وجود لها عندهم فضلاً عن أن تختص بالتقدم وقد يقولون الذات متصفة بالتقدم والصفات متصفة بالتقدم وليست الصفات إلهاً ولا رباً كما ان النبي محدث وصفاته محدثة وليست الصفات نبياً فهو لا اله الا الله المعتزلة اذا أطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل كان هذا بحسب اعتقادهم الفاسد الباطل وهب ان هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيهاً فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وانما الواجب نفي ما نفته الادلة الشرعية والعقلية والقرآن قد نفي مسمى المثل والكفو والند ونحو

ذلك والصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفؤه ولا نده فلا تدخل في النص وأما العقل فلم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة وكذلك زعمهم ان الصفات لا تقوم الا بحسب فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلًا لساير الاجسام وهذا هو التشبيه وهذا باطل فان الله تعالى لا مثل له بل له المثل الأعلى فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل ولا في قياس شمول تستوي أفراده ولكن يستعمل في حقه تعالى المثل الاعلى وهو ان كل ما تصف به المخلوق من كمال الخالق به أولى وكل ما يتره عنه المخلوق فالخالق أنزه عنه وأعلى فالذي يعتمد عليه نفى النص والعيب مما هو سبحانه مقدس عنه فهذه الطريق الصحيحة والمحجة الرجحية فثبتت له من صفات الكمال ما يليق بعزة ذي الجلال وينفي مماثلة غيره له فيها فلا يشركه شيء من الاشياء فيما هو من خصائصه وكل صفة من صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه أحد فذهب السلف وأئمة الدين اثبات ما وصف الله نفسه من الصفات ونفى مماثلته لشيء من المخلوقات كما تقدم الكلام على الصفات بما لعل فيه كفاية لمن تبصر والله الموفق

— آية —

اختلف النظار في صفات الباري عز وجل هل هي عين ذاته تعالى او غير ذاته المقدسة وبهذه الشبهة نفت المعتزلة الصفات عن الذات لانهم قالوا اما ان تكون الصفات حادثة فيلزم قيام الحوادث بذاته وخلوه تعالى في الازل عن العلم والقدرة والارادة الحياة وغيرها من الكمالات وصدورها عنه تعالى بالقصد والاختيار او بشرط حادثة والجميع باطل بالاتفاق واما ان تكون قديمة فيلزم تعدد القدماء وهو كفر باجماع المسلمين وقد كفر النصارى بثلاثة قدماء فكيف بالكثير والجواب انما المحذور في تعدد القدماء المتغايرة ونحوه يمنع تغاير الذات مع الصفات والصفات بعضها مع بعض فينفى التعدد والتكثروا بن سلم ما زعموا من تعدد القدماء فالممتنع تعدد القدماء واذا كانت ذوات مستقلة لا تعدد ذات وصفات لها فهذا مياين لقول النصارى كما لا يخفى على ذي بصيرة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في شرح العقائد الاصفهانية اسم الغير فيه اصطلاحان احدهما ان الغيرين ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر والثاني

ان الغيرين ماجاز مفارقة احدهما الآخر وعرفا ايضا بانهما الموجودان للذات يمكن انفكك احدهما عن الآخر بوجود او مكان اوزمان فالغيرية كون الموجودين يتصور انفكك احدهما عن الآخر والعينية هي الاتحاد في المفهوم بلا تفاوت اصلا فلا يكونان تقيضين بل يتصور بينهما واسطة بان يكون الشيء بحيث لا يكون مفهوما مفهوما الآخر ولا يوجد بدونه كالجزء مع الكل والصفة مع الذات العلية وبعض صفاتها مع بعض قال شيخ الاسلام والاول - يعني ان حد الغيرين ما جاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر - اصطلاح المعتزلة والكرامية والثاني وهو ان حد الغيرين ماجاز مفارقة احدهما للآخر كما تقدم اصطلاح طوائف من الكلاية والاشعرية ومن وافقهم من الفقهاء من اصحاب الأئمة الاربعة قال واما الأئمة كالامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وغيره فان لفظ الغير عندهم يحتمل هذا وهذا ولهذا كان السلف لا يطلقون القول بان صفات الله تعالى غيره لانها ليست غيره فلا يقولون كلام الله غير الله ولا يقولون ليس غير الله بل يستفسرون القائل عن مراده فقدير يد الاول وقدير يد الثاني وهذا طريقة حذاق النظائر فان اراد الاصطلاح الثاني فجز الشيء اللازم وصفته اللازمة ليس بغير له فلا يكون ثبوته موجبا لافتقار الى غيره وان تكلم بالاول فثبوت الغير بهذا التفسير لا بد منه فانه يمكن العلم بوجوده والعلم بانه خالق والعلم بعلمه والعلم بارادته وهم يفسرون عن ذلك بالعقل والعناية وهذه المعاني أغيار على هذا الاصطلاح وثبوتها لازم لواجب الوجود واذا كان ثبوت هذه الاغيار لازما له لم يجز القول بنفيها لأن نفيها يستلزم نفي واجب الوجود واعلم ان مثل هذا وان تسمى تركيبيا فليس منافيا لوجوب الوجود فاذا قيل واجب الوجود لا يفتقر الى غيره قيل لا يفتقر الا غير يجوز مفارقه له أم الى غير لازم لوجوده فالاول حق وأما الثاني اذا أريد بالافتقار انه مستلزم له فممنوع وقال شيخ الاسلام أيضا قدس الله سره في كتابه - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ما ملخصه من الناس من يقول كل صفة للرب عز وجل غير الاخرى ويقول الغير ان ماجاز العلم باحدهما مع الجهل بالآخر ومنهم من يقول ليست هي غير الاخرى ولا هي لان الغيرين ماجاز وجود احدهما مع عدم الآخر أو ماجاز مفارقة احدهما الآخر بزمان أو مكان

أو وجود قال والذي عليه سلف الأمة وأئمتها إذا قيل لهم علم الله وكلام الله هل هو غير الله أم لا لم يطلقوا النفي ولا الإثبات فإنه إذا قيل لهم غيره أو هم انه مبين له وإذا قيل ليس غيره أو هم أنه هو بل يستفصل السائل فإن أراد بقوله غيره انه مبين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مبينة له منفصلة عنه وان كان مخلوقاً فكيف بصفات الخالق وان أراد بالغير أنها ليست هي هو فليست الصفة هي الموصوف فهي غيره بهذا الاعتبار واسم الرب اذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما تستحقه من صفات الكمال فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال فاسم (الله) جل وعز يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخلية في المسمى ولكنها زائدة على الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات فأولئك لما زعموا أنه ذات مجردة قال هؤلاء الصفات زائدة على ما أثبتوه من الذات وأما في نفس الامر فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليها بل الرب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال وصفاته داخلية في مسمى أسمائه سبحانه وتعالى انتهى وهذا تحقيق لا مزيد عليه فاحفظه فإنه مهم والله التوفيق

ثم أخذني ذكر الصفات التي يثبتها السلف فقال ﴿فكل ما﴾ أي وصف ﴿قد جاء﴾ مضمونه ﴿في الدليل﴾ الشرعي من الكتاب العظيم وسنة النبي الكريم ووصفه بعد السلف الصالح ﴿فإنه﴾ ثابت ﴿له سبحانه وتعالى وموصوف به﴾ من غير ما ﴿زائدة مز يد النفي وتأكيده﴾ تمثيل ﴿بل ثبت له ماورد ولا تتعرض له بتأويل ولا رد فذهب السلف في آيات الصفات أنها لا تأويل ولا تفسر بل يجب الايمان بها وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى فقد روى اللالكثائي الحافظ عن محمد بن الحسن قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه قال العلامة الشيخ مرعي وغيره من علمائنا وغيرهم مضت أئمة السلف على الايمان بظاهر ما جاء في الكتاب من آيات الصفات وكان الزهري ومالك والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والامام أحمد ابن حنبل واسحاق ابن واھويه وغيرهم رحمهم الله ورضي عنهم يقولون في آيات الصفات مرورها كما

جاءت وقال سفيان ابن عيينة وناهيك به علما وفها وورعا وزهدا وامامة كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لاحدان يفسره الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما ذكرناه أولا ومما لم نذكره مما هو اضعاف اضعاف

- ﴿ من رحمة ونحوها كوجهه      ويده وكل ما من نهجه ﴾  
 ﴿ وعينه وصفة النزول      وخلقه فاحذر من النزول ﴾  
 ﴿ فسائر الصفات والافعال      قديمة لله ذي الجلال ﴾  
 ﴿ لكن بلا كيف ولا تمثيل      رغماً لأهل الزيف والتعطيل ﴾  
 ﴿ فمرها كما أتت في الذكر      من غير تأويل وغير فكر ﴾

اذا علمت ذلك فما يثبت له تعالى السلف دون غيرهم صفة الرحمة وقد أشار اليها بقوله ﴿ من رحمة ﴾ وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى نفتضي التفضل والانعام كما تقدم في أول الكتاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح العقائد الاصفهانية الذي اتفق عليه سلف الامة واثمتها ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل فانه قد علم بالسمع مع العقل ان الله ليس كمثل شيء لاني ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله كما قال « هل تعلم له سمياً » فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ولم يكن له كفواً أحد » وقد علم بالعقل ان المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه فلو كان المخلوق مثلاً للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع والخالق يجب وجوده وقدمه والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه بل يجب حدوثة وامكانه فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك وهذا جمع بين النقيضين قال اذا عرف هذا فنقول ان الله تعالى سمي نفسه في القرآن العظيم بالرحمن الرحيم ووصف نفسه بالرحمة كما قال « ربنا وسعت كل شيء » رحمة وعلماً » ورحمتي وسعت كل شيء » قال ومن الناس من جعل رحمة الله تعالى عبارة عما يخلقه من النعمة ومنهم من جعل رحمة ارادته لانهم زعموا ان

الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج والله تعالى منزّه عنها فالمراد بها في حقه ارادة الخير والاحسان الى من رحمه فان أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادي التي هي انفعالات وقد مر في أول الكتاب الكلام على الرحمة بما لعله يشفي ويكفي قوله ﴿ونحوها﴾ أي نحو الرحمة من محبته تعالى ورضاه وغضبه ونحو ذلك قال تعالى «يحبهم ويحبونه» وأثبت عليك محبة مني «ان الله يحب المحسنين» و: يحب المتقين» و: يحب الصابرين» و: يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا» قال شيخ الاسلام ومن الناس من نفى ان تكون له صفة محبة أو رضا أو غضب غير الارادة قال علماء الخلف المحبة ميل القلب الى ما يلائم الطبع والله منزّه عن ذلك وحينئذ فحبة الله تعالى للعبد ارادة اللطف به والاحسان اليه ومحبة العبد لله هي محبة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مرضاه فمعنى يحب الله أي يحب طاعته وخدمته أو يحب ثوابه واحسانه وهذا مذهب جمهور المتكلمين قال الامام العلامة المحقق الاصولي الطوفي الحنبلي رحمه الله تعالى ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء الى ان الله تعالى لا يحب وانما محبته محبة طاعته وعبادته وقالوا أيضا هو لا يحب عباده المؤمنين وانما محبته ارادته الاحسان اليهم قال والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمتها وجميع مشايخ الطريق ان الله تعالى يحب ويحب لذاته وأما حب ثوابه فدرجة نازلة وهذا من كلام شيخ الاسلام فإنه قال للناس في هذا الاصل العظيم ثلاثة أقوال (أحدها) أن الله تعالى يحب ويحب كما قال تعالى «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» فهو المستحق ان يكون له كمال المحبة دون ما سواه وهو سبحانه يحب ما أمر به ويحب عباده المؤمنين قال شيخ الاسلام وهذا قول سلف الامة وأئمتها وقول أئمة شيوخ المعرفة والقول (الثاني) أنه يستحق ان يحب لكنه لا يحب الا بمعنى ان يريد وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية (والثالث) أنه لا يحب ولا يحب وانما محبة العباد له ارادتهم طاعته وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام كالرازي فيقال لمن نفى رحمة الله ومحبته وغضبه ورضاه ونحوها وأثبت له الارادة لم نثبت تلك وأثبت له الارادة فان قبل لان اثبات هذه الصفات تشبيهه لان الرحمة رقة



تلحق المخلوق والغضب غليان الدم لأرادة الانتقام ونحو ذلك والرب منزه عن مثل صفات المخلوقين قيل له وكذلك يقول لك منازعتك في الارادة ان الارادة المعروفة ميل الانسان الى ماينفعه ودفع ما يضره والله تعالى منزه عن الاحتياج الى عبادته وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو الغني عن خلقه كلهم فان قيل الارادة التي تثبتها لله تعالى ليست مثل ارادة المخلوقين كما انا قد اتفقنا وسائر المسلمين على انه حي عليم قدير وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين قال لك أهل الاثبات وكذلك المحبة والرحمة ونحوها التي تثبتها لله تعالى ليست مثل رحمة المخلوق ومحبهه فان قلت لا أعقل من الرحمة والمحبة الا هذا قال لك النفاة ونحن لانعقل من الارادة الا هذا ومعلوم عند كل عاقل ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة الينا وارادته ومحبهه ورحمته تعالى بالنسبة اليه فلا يجوز التفريق بين المماثلين فيثبت له احدى الصفتين وينفى الاخرى وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق . قال شيخ الاسلام في التدمرية القول في بعض الصفات كالقول في بعض ان كان المخاطب ممن يقربان الله تعالى حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بارادة ويحتمل ذلك كله حقيقة وينازع في محبهه تعالى ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات قيل له لافرق بين مانفيته وبين ما أثبتته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين فكذلك محبهه ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به قيل لك وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله تعالى رضى وغضب يليق به وللمخلوق رضى وغضب يليق به فان قال الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة فان قلت هذه ارادة المخلوق قيل لك وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في علمه وسمعه وبصره وقدرته ونحو ذلك فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لنازعه فيما أثبتته فان قال تلك الصفات أثبتها بالعقل لأن الفعل دل على القدرة

والتخصيص دل على الارادة والإحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة  
 للحياة والحى لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك قال له سائر أهل  
 الاثبات لك جوابان (أحدهما) أن يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول  
 المعين فهب إنما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه لا ينفيه وليس لك  
 ان تنفيه من غير دليل لان النافي عليه الدليل كما على المثبت والسمع قد دل عليه  
 ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما اثبته الدليل السالم  
 عن المعارض المقاوم (الثاني) ان يقال يمكن اثبات هذه الصفات بنظير ما اثبت به  
 تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم وما يوجد في الخلوقات من  
 المنافع للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين وأنواع الرزق والهذى والمسرات  
 دليل على رحمة الخالق كدلالة التخصيص على الارادة والمشية والقرآن يثبت دلائل  
 الربوبية بهذه الطريق تارة يدلمهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه  
 وقدرته وحياته وتارة يدلمهم بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته  
 وهذا كثير في القرآن وان لم يكن مثل الاول او أكثر منه لم يكن اقل منه بكثير  
 واكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما قد ثبت  
 بالشاهد والخبر من اكرام أوليائه وعقاب اعدائه والغايات الموجودة في مفعولاته  
 ومأموراته وهي ما تنتهى اليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته  
 البالغة كما يدل التخصيص على الادارة واولى لقوة العلة الغائية ولهذا كان ما في القرآن  
 من بيان مخلوقاته من النعم والحكم اعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على  
 محض المشية قال شيخ الاسلام طيب الله مضجعه ومما يوضح ذلك ان وجوب  
 تصديق كل مسلم بما اخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى ليس موقوفا على ان يقوم  
 دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فان مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول  
 اذا اخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا  
 ومن لم يقرب بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد اشبه الذين قال الله عنهم (وقالوا لن  
 نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله اعلم حيث يجعل رسالاته) ومن سلك  
 هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا منلقيا عنه الاخبار بشأن

الربوبية ولا فرق عنده بين ان يخبر الرسول بشيء من ذلك او لم يخبر به فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه ومالم يخبر به ان علمه بعقله آمن به فلا فرق عند من سلك هذه السبيل بين وجود الرسول واخباره وبين عدم الرسول وعدم اخباره وكان ما يدكر من القرآن والحديث والاجماع عديم الأثر عنده قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية وقد صرح بهذا أئمة هذا الطريق قال ثم أهل الطريق الثبوتية فيهم من يحيل على القياس وفيهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية بها يحصل الايمان النافع في الآخرة ثم ان حصل قياس أو كشف هوافق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم كان حسنا مع ان القرآن قد نبه على الطريق الاعترافية التي بها يستدل على مثل ما في القرآن كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) فاخبر انه يري عبادته من الآيات المشهودة التي

هي أدلة عقلية ما يبين ان القرآن حق وليس لقائل أن يقول انما خصت هذه الصفات بالذكر لان السمع موقوف عليها دون غيرها فان الامر ليس كذلك لان التصديق بالسمعيات ليس موقوفاً على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك ثم قال شيخ الاسلام قدس الله روحه والمقصود هنا التنبيه على ان ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصوراً على ما ذكره هؤلاء مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل وبعضها بالسمع فان من عرف حقائق أقوال الناس بطرقهم التي دعتمهم الى تلك الاقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله وأما أهل البدع فيتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها انتهى وبالله التوفيق

ثم ذكر من صفات الله التي يثبتها السلف دون غيرهم عدة وبدأ بصفة الوجه له تعالى فقال ﴿كوجهه﴾ أي من الصفات الثابتة له تعالى صفة الوجه

اثبات وجود لا اثبات تكيف وتحديد وهذا الذي نقل الخطابي وغيره انه مذهب السلف والأئمة الاربعة وبه قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها محتجين بان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكيف فكذلك اثبات الصفات وقالوا انا لانلتفت في ذلك الى تأويل لسنا منه على ثقة ويقين لاحتمال ان يكون المراد غيره لانه مأخوذ بالظن والتخمين لا بالقطع واليقين فلان بني اعتقادنا عليه ولا نرجع عن النص الثابت اليه فان هذا عند السلف مذموم ونأهج هذا المنهج معيب ملوم قال بعض المحققين صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكيف والتحديد فالموء من مبصر بها من وجه أعمى من وجه مبصر من حيث الاثبات والوجود أعمى من حيث التكيف والتحديد قال الله تعالى في محكم كتابه (ويبقى وجه ربك - فأينما تولوا فثم وجه الله - انما نطمعكم لوجه الله - كل شيء هالك الا وجهه) وفي الحديث من بنى مسجدا يتقني به وجه الله وفي آخر: أعوذ بوجهك: والاحاديث كثيرة شهيرة قال أهل التأويل المراد بالوجه الذات المقدسة فأما كونه صفة الله فلا وهو قول المعتزلة وجمهور المتكلمين وزعموا انه يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الوجه عبارة عنه عز وجل كما قال (ويبقى وجه ربك) وقال ابن فورك قد تذكر صفة الشئ، ويراد بها الموصوف توسعا كما يقول القائل رأيت علم فلان ونظرت الى علمه والمراد نظرت الى العالم وقال القرطبي قال الحدائق الوجه راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه أظهر الاعضاء في المشاهدة ومذهب السلف الاول والرعيلى الذي عليه المعول ان الوجه صفة ثابتة لله تعالى ورد بها السمع فتلقى بالقبول ويبطل مذهب أهل التأويل ما قاله الامام الحافظ البيهقي والخطابي في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) فأضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال (ذو الجلال) ولو كان ذكر الوجه صلة ولو لم يكن صفة للذات لقال ذي الجلال فلما قال ذو الجلال علمنا انه نعت للوجه وان الوجه صفة للذات وقال علماءنا قد ثبت في الخطاب العربي الذي أجمع عليه

أهل اللغة ان تسمية الوجه في أي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات فأما الحيوان فذلك مشهور حقيقة لا يمكن دفعه وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضاً لأنه يقال فلان وجه القوم لا يراد به ذات القوم اذ ذات القوم غيره قطعاً ويقال هذا وجه الثوب لما هو أجوده ويقال هذا وجه الرأي أي أصحه وأقومه ويقال أتيت بالخبر على وجهه أي على حقيقته الى غير ذلك مما يقال فيه الوجه فاذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب ان يحمل الوجه في حق الباري على وجه يليق به وهو ان يكون صفة زائدة على تسمية قولنا ذات فان قيل يلزم ان يكون عضواً وجارحة ذات كمية وكيفية وهو باطل فالجواب هذا لا يلزم لان ما توهمه المعارض انما هو بالاضافة الى ذات الحيوان المحدث لا من خصيصية صفة الوجه ولكن من جهة نسبة الوجه الى جملة الذات فيما ثبت لها من الماهية المركبة وذلك أمر مدرك بالحس في جملة الذات فكانت الصفات الحادثة مساوية للذات المحدثه بطريق كونها منها ومنتسبة اليها نسبة الجزء من الكل فأما الوجه للباري تعالى ينسب اليه نسبة الذات اليه وقد ثبت ان الذات في حق الباري لا توصف بأها جسم مركب تدخله الكمية وتسلط عليها الكيفية ولا نعلم لها ماهية فصفتها تعالى التي هي الوجه كذلك لا يوصل لها الى ماهية ولا يوقف لها على كيفية ولا تدخلها التجزئة المأخوذة من الكمية لان هذه انما هي صفات الجواهر المركبة أجساماً والله تعالى منزه عن ذلك ولو جاز هذا الاعتراض في الوجه لقليل بمثله في السمع والبصر والقدرة والعلم ونحوها فان العلم في حق المخلوق في الشاهد عرض قائم بقلب يثبت بطريق ضرورة أو اكتساب ولا كذلك في حق الباري جل وعلا لانه مخالف للشاهد في الذاتية وغير مشارك في اثبات ماهية أو كمية أو كيفية قال أبو الحسن الأشعري لله تعالى وجه بلا كيف كما قال (وجهه ربك) قال ونصدق بجميع الروايات التي يشتمها أهل النقل وقال القاضي ابو بكر بن الباقلاني فان قال قائل فما الدليل على ان لله تعالى وجهها قيل له قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقال الامام ابو حنيفة وله تعالى يد ووجه ونفس فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف وقد

روى مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه حديث : ان الله لا ينام ولا ينبغي له  
 ان ينام حجاب النور لو كشفه لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من  
 خلقه: قال الامام النووي معناه انه تعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه النوم فان  
 النوم انقار غلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وسبحات  
 وجهه نوره وبهاؤه وجلاله بضم السين المهملة والباء الموحدة وقيل سبحات الوجه  
 بحاسنه لانه يقال سبحان الله عند رؤيتها واصل الحجاب في اللغة المنع والستر والمراد  
 به هنا المانع من رؤيته وسمى ذلك المانع نورا لانه يمنع في العادة من الادراك  
 كشعاع الشمس قال والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره جميع  
 المخلوقات لان بصره تعالى محيط بجميع الكائنات الخ كلامه وقوله المراد  
 بالوجه الذات يعني على طريقة الخلف وقالوا في قوله تعالى ( فاين ما تولوا فثم وجه  
 الله ) اي فثم رضاه وثوابه وقالوا في قوله ( انما نطمعكم لوجه الله ) اي لرضاه وطلب  
 ثوابه وقيل فثم الله والوجه صلة وقيل المراد بالوجه في قوله تعالى فثم وجه الله  
 الجهة التي وجهنا الله اليها اي القبلة والحق الحقيق مذهب سلف الامة وما عليه  
 الأئمة من اثبات الوجه ونحوه ولهذا قال ﴿ و ﴾ ك ﴿ يده ﴾ تعالى الثابت بها النص القرآني  
 والحديث النبوي العرفاني كقوله تعالى ( يد الله فوق ايديهم - لما خلقت بيدي - بل  
 يده مبسوطان - قل ان الفضل بيد الله ) فقد اعلمنا في محكم تنزيله انه خلق ابانا  
 آدم عليه السلام بيديه وكذب جل شأنه اليهود في قولهم يد الله مغلولة فقال ( بل يده  
 مبسوطان ) واعلمنا في محكم الذكر ان الارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات  
 مطويات بيمينه وقال ( فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء - واليه ترجعون ) وقال  
 ( تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير - أولم يروا انا خلقنا  
 لهم مما عملت أيدينا أنعاما ) وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي  
 الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : التقى آدم وموسى فقال موسى أنت  
 الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه : الحديث وفي  
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً نحوه فقال آدم يا موسى أنت الذي  
 اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده الحديث وفي حديث أبي هريرة

رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما خلق الله الخلق وفي رواية لما خلق الله آدم كتب بيده على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي وفي حديث النزول عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فيسط يديه فيقول ألا عبد يسألني فأعطيه الحديث وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أحدكم ليتصدق بالتمر من طيب ولا يقبل الله الا طيبا فيجعلها الله في يده اليمين ثم يربها كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله حتى تصير مثل أحد وفي رواية فيجعلها الله في كفه فيربها كما يربي أحدكم مهرة أو فضيله حتى تعود في يده مثل الجبل ومعنى تعود هنا تصير وفي رواية من حديث أبي هريرة مرفوعا من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيباً ولا يصعد الى السماء الا طيب فنقع في كف الرحمن وفي لفظ الاهو يضعها في يد الرحمن أو في كف الرحمن وفي رواية وان كانت مثل تمر فتر بوله في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله وفي لفظ وان الرجل ليتصدق باللحمة فتر بوا في يد الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل الجبل وفي حديث أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله محمد الله باذن فقال له ربه رحمتك ربك يا آدم الحديث وفيه فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر ايهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة الحديث وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ايضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يمين الله ملأى ويفيضها نفعه سحاً بالليل والنهار أرايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفض ما في يمينه وعرشه على الماء وييمينه الاخرى القبض يرفع ويخفض وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده يعني بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وفي القرآن العظيم (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الآية وفي الصحيحين ايضاً واللفظ لمسلم عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوي الله

السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيديه اليمنى ثم يقول انا الملك ابن الجبارون ابن المتكبرون ثم يطوي الارضين بيده الاخرى ثم يقول انا الملك ابن الجبارون ابن المتكبرون وفي لفظ في الصحيح عن عبد الله بن مقسم انه نظر الى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الله سمواته وارضه بيده ويقول انا الملك و يقبض اصابعه ويبسطها انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول يأخذ الجبار سمواته وارضه و قبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول انا الرحمن انا الملك انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئا انا الذي اعيدتها ابن الملوك ابن الجبارة وفي لفظ ابن الجبارون ابن المتكبرون ويتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني لا أقول اساقط هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث مروى في الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضا وفي بعض الفاظه قال قرأ على المنبر (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية قال مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة وفي لفظ يأخذ الجبار سمواته وارضه بيده فيجعلهما في كفه ثم يقول بهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد وقال ابن عباس رضي الله عنهما يقبض عليهما فما يرى طرفاها بيده وفي لفظ عنه ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم قال شيخ الاسلام في كتاب العرش وهذه الآثار معروفة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا محمد ان الله يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيبهزن فيقول أنا الملك انا الملك قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الجبر ثم قال (وما قدر الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح



الله روحه في هذه الآية والاحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق اهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين ان السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى عظمة الله عز وجل اصغر من ان تكون مع قبضته لها الا كالشيء الصغير في يد احدنا حتى يدحوها كما يدحا بالكرة

اذا استحضرت ما ذكرناه وفهمت معنى ما تلوناه فاعلم ان مذهب السلف الصالح وعلما الحنابلة ومن وافقهم من اهل الأثران المراد باليدين اثبات صفتين ذاتيتين يسميان يدين يزيدان على النعمة والقدرة محتجين بما مر من الآيات القرآنية والاحبار النبوية فان الله تعالى اثبت لآدم عليه السلام من المزية والاختصاص ما لم يثبت مثله لابليس بقوله (لما خلقت بيدي) والا فكان ابليس يقول وأنا خلقتني بيديك فلا مزية لآدم ولا تشريف. فان قيل انما اضيف ذلك الى آدم ليوجب له تشريفا وتعظيما على ابليس ومجرد النسبة في ذلك كاف في التشريف كفاية الله وبيت الله فهذا كاف في التشريف وان كانت النوق والبيوت كلها لله: فالجواب التشريف بالنسبة اذا تجردت عن اضافة الى صفة اقتضى مجرد التشريف فأما النسبة اذا اقترنت بذكر صفة أوجب ذلك اثبات الصفة التي لولاها ماتمت النسبة فان قولنا خلق الله الخلق بقدرته لما نسب الفعل الى تعلقه بصفة الله اقتضى ذلك اثبات الصفة وكذا أحاط بالخلق بعلمه يقتضي احاطته بصفة هي العلم فكذلك هنا لما كان ذكر التخصيص مضافا الى صفة وجب اثبات تلك الصفة على وجه يليق بجلال الله وعظمته لا بمعنى العضو والجارحة والجسمية والبعضية والكمية والكيفية تعالى الله عن ذلك قال الامام الحافظ البغوي في قوله تعالى (بيدي) في تحقيق الله تعالى التثنية في اليد دليل على انها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانهما صفتان من صفات ذاته وقال البيهقي في كتاب «الاسماء والصفات» باب ما جاء في اثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة فذكر الآيات ثم قال الحافظ البيهقي قال بعض اهل النظر قد تكون اليد بمعنى القوة كقوله (داود ذا الايد) اي ذا القوة وبمعنى الملك والقدرة والنعمة وتكون صلة أي زائدة ثم أبطل البيهقي ذلك كله وأثبت ان اليدين صفتان تعلقنا بخلق آدم تشريفا له دون خلق ابليس تعلق القدرة بالمقدور لا من طريق المباشرة

ولا من حيث المماساة وليس لذلك التخصيص وجه غير ما بينه الله تعالى في قوله (لما خلقت يدي) انتهى وقال أبو الحسن الأشعري اليد صفة ورد بها الشرع والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص منها والقدرة أعم كالمحبة مع الإرادة والمشيتة فإن في اليد تشريفاً لازماً وذهبت المعتزلة وطائفة من الأشعرية إلى أن المراد باليدين معنى النعمتين وطائفة من الأشعرية أيضاً أن المراد باليدين القدرة لأن اليد يعبر بها في اللغة عن القدرة لقول الشاعر

ه فتمت ومالي في الأمور يدان ه

وقالوا في قوله تعالى (بل يدها مبسوطتان) إنما ثنى اليد مبالغة في الرد على اليهود ونفي البخل عنه وإثباتا لغاية الجود قالوا فإن غاية ما يبذل السخي من ماله أن يعطيه يديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة قالوا أو المراد بالثنائية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة أو باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب ولا يخفى ما في هذا من الاعراض والانصراف والعدول عن الحق والانصاف بل الصواب إثبات ما أثبتته الله لنفسه ووصفه به نبيه حسبا ورد من غير إلحاد ولارد فهو إثبات وجود بلا تكيف كما مر قال الحافظ البيهقي المتقدمون من هذه الأمة لم يفسروا ما ورد من الآي والخبار في هذا الباب مع اعتقادهم بأجمعهم بأن الله واحد لا يجوز عليه التبعض قال وذهب بعض أهل النظر إلى أن اليمين يراد به اليد واليد لله صفة بلا جارحة فكل موضع ذكرت فيه من الكتاب أو السنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها من الطي والأخذ والقبض والبسط والقبول والانفاق وغير ذلك تعلق الصفة الذاتية بمقتضاها من غير مباشرة ولا مماسة وليس في ذلك تشبيه بحال وهذا مذهب السلف والحنابلة ومن وافقهم قال الخطابي وليس معنى اليد عندي الجارحة وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكفيها وننتهي إلى حيث انتهى بها الكتاب والخبار الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة انتهى

وقال أهل التأويل كما في تفسير البيضاوي وغيره في الآية هو تشبيه على عظمته وكل قدرته على الأفعال العظام التي تجبر فيها الأفهام ودلت على

ن تحزيب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين لاحقيقة ولا مجازاً وقال بعضهم هو لبيان تصوير عظمة الله وجلاله وقدرته وان المملكات كلها منقادة لارادته ومسخرات بأمره وذهب بعضهم الى ان القبض قد يكون بمعنى الملك والقدرة كقولهم ما فلان الا في قبضتي أي قدرتي ويقولون الاشياء في قبضة الله أي في ملكه وقدرته قالوا وعلى هذا التأويل تخرج الآية والآحاديث كحديث مسلم وغيره «ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» ورواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال النووي هو من أحاديث الصفات إما نؤمن بها ولا نتكلم بتأويل ونعتقد ان ظاهرها غير مراد وأن لها معنى يليق بالله أو تأول على أن المراد بكونهم على اليمين على الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة وقوله وكلتا يديه يمين فيه تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة وأن يديه تعالى بصفة الكمال لا تقص في واحدة منهما لان الشمال تنقص عن اليمين وقال بعضهم وقد تكون اليمين بمعنى التبجيل والتعظيم يقال فلان عندنا باليمين أي بالمحل الجليل ومنه قول الشاعر

أقول لناقبي اذ بلغتني لقد أصبحت عندي باليمين

أي بالمحل الرفيع وأحسن منه قول بعضهم

ألم أك في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا

قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه - القول البديع في علم البديع - أراد ان يقول ألم أكن قريبا منك فلا تجعلني بعيداً عنك فعدل عنه الى لفظ التمثيل لما فيه من زيادة المعنى لما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من الاوصاف لان اليمين أشد قوة فهي معدة للطعام والشراب والأخذ والاعطاء وكل ما شرف والشمال بالعكس واليمين مشتق من اليمن وهو البركة والشمال من الشؤم فكأنه قال ألم أكن مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً وقد كنت منك بالمكان الشريف فلا تجعلني في الوضع وفي بعض ألفاظ الحديث ذكر الشمال لله تعالى قال الحافظ البيهقي وقد ورد ذكر الشمال لله تعالى من طريقين في أحدهما جعفر بن الزبير وفي الآخر

يزيد الرقاشي وهما متروكان قال وكيف يصح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه سعى كلتا يديه يمين وكأن من قال ذلك ارسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة اليمين وقال الخطابي ليس فيما يضاف الى الله سبحانه من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف. وقال الامام الحافظ ابو بكر محمد بن خزيمة في كتابه «السنة» مذهبنا مذهب اهل الآثار ومتبعي السنن ولا نلتفت الى جهل من يسميهم مشبهة اذا الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه فنحن نقول لله جل وعلا يدان كما اعلمنا الخالق الباري في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم نقول كلتا يدي ربنا عز وجل يمين على ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ونقول ان الله عز وجل يقبض الارض جميعا باحدى يديه ويطوي السماء بيده الاخرى وكلتا يديه يمينان لاشمال فيهما ثم قال كيف يكون مشبها من يثبت لله تعالى اصابع؟ على ما بينه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم للخالق الباري ونقول ان الله جل وعلا يضع السماء على اصبع والارضين على اصبع الى تمام الحديث ثم قال فكيف يكون مشبها من يثبت لربه عز وجل يدين؟ على ما اثبتته لنفسه وأثبتته له نبيه صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مشبها يدي ربه بيدي نبي آدم؟ نقول لله يدان مبسوطان ينفق كيف يشاء بهما خلق آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده واداه قديمتان لم تزالا باقيتين وايدي المخلوقين مخلوقه محدثة غير قديمة فانية غير باقية بالية نصير ميتة ثم رميا ثم بنسئته الله خلقا آخر نبارك الله احسن الخالقين ثم قال اي تشبیه يلزم اصحابنا ايها العقلاء اذا اثبتوا للخالق ما يثبت له نفسه ويثبت له نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ ثم قال وقول هؤلاء المعطلة يوجب ان كل من يقرأ كتاب الله ويؤمن به اقراراً باللسان وتصديقا بالقلب فهو مشبه لان ما وصف الله تعالى به نفسه في محكم تنزيله تزعم هذه الفرقة ان من وصفه به فهو مشبه ثم سبهم ولعنهم ووصفهم بالكفر والتعطيل واطال من التبكيك والتنكيك على من اول النصوص وصرحها عن حقيقتها وباللغة التوفيق. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان قلوب بني

ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء» ثم قال عليه الصلاة والسلام «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك» روي هذا الحديث من عدة طرق عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم منهم النواس بن سميان الكلبي قال رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى ان شاء اقامه وان شاء ازاغه» وكان يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» رواه الامام احمد والحاكم في صحيحه ومنهم ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت فقلت يا رسول الله وان القلوب لتتقلب قال «نعم ما من خلق من بني آدم الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله فان شاء اقامه وان شاء ازاغه» فنسأل الله تعالى ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله ان يهب لنا من لذنه رحمة انه هو الوهاب ومنهم ابو ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الله فاذا شاء صرفه واذا شاء بصره واذا شاء نكسه ولم يعط الله احدا من الناس شيئا هو خير من ان يسلك في قلبه اليقين وعند الله مفاتيح القلوب فاذا اراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه واليقين والصدق وجعل قلبه وعاء واعيا لما سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة وجعل اذنه سمیعة وعينه بصيرة ولم يوث احد من الناس شيئا يعني هو شر من ان يسلك الله في قلبه الريبة وجعل نفسه شرهة شرهة متعطلة لا ينفعه المال وان اكثر له وغلق الله القفل على قلبه فجعله ضيقا حرجا كما يصعد في السماء» كما روي ذكره الامام الحافظ ابو بكر بن خزيمة في كتابه السنة

واما قول الخطابي ذكر الاصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها فهو عجب منه بل هو ثابت في صحيح السنة المقطوع بصحتها وقال النووي في شرح صحيح مسلم هذا من الاحاديث المتشابهات وفيها القولان الايمان بهامان غير تعرض لتأويل ولا معرفة المعنى بل تؤمن بها وان ظاهرها غير مراد لقوله تعالى (ليس كمثله شيء) ثانيهما يتأول بحسب ما يليق قال فعلى هذا فالمراد المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي

كفي لا يراد انه حال في كفه بل المراد تحت قدرتي ويقال فلان في خنصري وبين اصبعي اقلبه كيف شئت يعني انه هين علي قهره والتصرف فيه كيف شئت فمعنى الحديث انه سبحانه يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يتمتع عليه منها شي ولا يفوته ما اراده كما لا يتمتع على الانسان ما كان بين اصبعيه (قال) خاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تأكيدها له في نفوسهم وأجابوا عن ثنية الاصابع مع كون القدرة واحدة بان ذلك مجاز واستعارة واقعة موقع التمثيل بحسب ما اعتادوه غير مقصود به الثنية والجمع وفي - نهاية ابن الاثير - اطلاق الاصابع عليه تعالى مجاز كاطلاق اليد واليمين والعين وهو جار مجرى التمثيل والكناية عن سرعة قلب القلوب وان ذلك أمر معقود بمشيئة الله تعالى قال وتخصيص ذكر الاصابع كناية عن اجراء القدرة والبطش لان ذلك باليد والاصابع وقال القرطبي وغيره الاصبغ قد تكون بمعنى القدرة على الشيء وسهولة قلبه كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله انا احمله على اصبعي وارفعه بأصبعي وأمسكه بخنصري فهذا مما يراد به الاستظهار في القدرة على الشيء فلما كانت السموات والارض أعظم الموجودات وكان امساكها بالنسبة الى الله كالشيء الحقيق الذي نجعله بين اصابعنا ونهزه بايدينا وتتصرف فيه كيف شئنا ذلك على قوته القاهرة وعظمته الباهرة لا اله الا هو سبحانه وقال بعض المحققين هذا الحديث من جملة ما تنزهه السلف عن تأويله كحاديث السمع والبصر واليد فان ذلك يحمل على ظاهره ويجري بلفظه الذي جاء به عن غير ان يشبهه بمشبهات الحس أو يحمل على معنى المجاز في الاتساع بل يعتقد انها صفات الله تعالى لا كيفية لها قال وإنما تنزهوا عن تأويل هذا القسم لانه لا يلتئم معه ولا يحمل ذلك على وجه يرتضيه العقل الا ويمتنع منه الكتاب والسنة من وجه آخر

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في رسالته التدمرية اذا قال قائل ظاهر النصوص مراد أوليس بمراد فانه يقال له لفظ الظاهر فيه اجمال واشتراك فان كان القائل يعتقد ان ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب ان هذا غير مراد ولكن السلف والائمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ولا يرتضون ان

يكون ظاهر القرآن والحديث كفرًا وباطلاً والله اعلم وأحكم من ان يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه الا ما هو كفر واضلال الى ان قال قوله صلى الله عليه وسلم «قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن» فقالوا قد علم ان ليس في قلوبنا اصابع الحق فيقال لهم لو اعطيتم النصوص حقا من الدلالة لعلمتهم انها لم تدل الا على حق أما الواحد فقوله صلى الله عليه وسلم «الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صالحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه» صريح في أن الحجر ليس هو صفة الله ولا هو نفس يمينه فانه قال فكأنما صافح الله وقبل يمينه فالشبه ليس هو المشبه به الى أن قال قوله صلى الله عليه وسلم «قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن» فانه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالاصبع ولا مماس لها ولا انها في جوفه ولا في قول القائل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه واذا قيل السحاب المسخر بين السماء والارض لم يقتض أن يكون مماسا للسماء والارض ونظائر هذا كثيرة فذهب السلف في هذا ونظائره من الاخبار المتشابهة الواردة في صفات الله عز وجل ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن ان تقبلها ولا تردّها ولا تأولها وتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكفيها فنطلق ما اطلقه الله ونفسر ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون والائمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والامانة رضوان الله عليهم اجمعين فهذا مذهب سلف الامة وسائر الائمة والعدول عنه وصمة والاتفات الى سواه نقمة وبالله التوفيق وقوله ﴿ وكل ما ﴾ أي كل شيء وارد من صفات الله تعالى ﴿ من نهجه ﴾ أي نهج اليد والوجه ونحوها والنهج الطريق الواضح أي كل ما ورد من الاوصاف من الرجل والقدم والصورة ﴿ و ﴾ من ﴿ عينه ﴾ عز وجل فهجه الواضح وسبيله المبين الاقرار بما ورد والايان بما صح من غير تشبيه ولا تمثيل ولا إلحاد ولا تعطيل بل نقر ونذعن ونسلم ونؤمن بكل ذلك ونثبتة اثبات وجود بلا تكييف ولا تحديد فمن ذلك العين في قوله تعالى (ولتصنع على عيني) وقوله (فانك باعيننا) وقوله (تجري بأعيننا) فذهب السلف اثبات ذلك صفة لله تعالى وفي الصحيحين

وغيرها لما ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم «ان الله ليس بأعور» ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال «ان الله تبارك وتعالى ليس بأعور الا ان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» هذا لفظ مسلم ولفظ صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس بأعور» وأشار بيده الى عينه وان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية» أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه في باب قوله تعالى (ولتضع على عيني) وذكر البخاري في حجة الوداع من كتاب المغازي من صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فلا ندري ما حجة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فاطنّب في ذكره وقال «ما بعث الله من نبي الا أنذر أمته أنذره نوح والنبيون من بعده وأنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى ان ربكم ليس بأعور وأنه أعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية» والاحايث كثيرة قال البيهقي والقرطبي وغيرها في هذا نفي نقص العور عن الله تعالى واثبات العين له صفة وعرفنا بقوله «ليس كمثل شي» أنها ليست بحدقه وقال علماءنا قد ورد السمع باثبات صفة له تعالى وهي العين فتجري مجرى السمع والبصر وليس المراد اثبات عين هي حدقة ماهيتها شحمة لان هذه العين من جسم محدث والله يتعالى عن ذلك وأما العين التي وصف بها الباري جل وعلا فهي مناسبة لذاته في كونها غير جسم ولا جوهر ولا عرض فلا يعرف لها ماهية ولا كيفية قالوا وقد امتنعت المعتزلة والاشعرية من ان يقال لله تعالى عين فأما المعتزلة فنفوا العين والبصر فهم على جادتهم وأما الاشعرية فنفوا صفة العين واثبتوا صفة البصر فيضعف ذلك على قولهم لانهم يراققون على انه يبصر ببصر وانما امتنعوا من تسمية عين لما استوحشوا من العين في الشاهد فقالوا بالتأويلات ومن المغاسد قياس الغائب على الشاهد وقال أهل التأويل المراد من قوله تعالى (تجري بأعيننا) أي برأى منا ونحن نراها قالوا أو المراد بأعيننا بحفظنا وكلاهما قالوا أو المراد به عين الماء أي



تجري بأعين خلقهاها وخبرناها فهي اضافة ملك وخلق لا اضافة صفة ذاتية أو المراد تجري بأوليانا وخيار خلقنا وقالوا في قوله تعالى «ولتصنع على عيني» أي تربي وتغذي على مرأى مني وكذا «فانك بأعيننا» أي برأى منا وفي حفظنا وقال بعضهم العين مأوَّلة بالبصر أو الادراك بل قيل انها حقيقة في ذلك خلافا لما توهم بعض الناس انها مجاز قال وانما المجاز في تسمية العضو بها وذكر الشيخ ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه الشيخ محمد المقدسي القشاشي ما لفظه: ثم وقفت من كلام الشيخ الاشعري في - الابانة - الذي هو آخر مصنغاته والمعتمد في المعتد على ما يشدأركان ما قررناه من مذهبه وذلك انه قال وان له تعالى عينين بلا كيف وان الله علما وثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارق انتهى قال الكوراني فصرح باثبات العينين بلا كيف والحمد لله رب العالمين انتهى وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه أحاديث الصفات تمر كما جاءت من غير بحث عن معانيها ونخالف ما خطر في خاطر عند سماعها وننفي التشبيه عن الله تعالى عند ذكرها مع تصديق النبي صلى الله عليه وسلم والايان بها وكل ما يعقل ويتصور فهو تكيف وتشبيه وهو محال كما نقله عنه الامام ابن حمدان في نهاية المتبتئين انتهى وهذا مذهب السلف الاثرية فهو الحق والله التوفيق

﴿ فائدة ﴾

ذكر الامام شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في كتاب الجواب الصحيح مانصه لما كان حلول اللاهوت في البشر واتحاده به مذهب أضل به طوائف كثيرون من بني آدم النصراري وغيرهم وكان المسيح الدجال يأتي بخوارق عظيمة والنصارى احتجوا على الإلهية المسيح بمثل ذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من علامات كذبه أموراً ظاهرة لا يحتاج فيها الى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير من الآدميين فان كثيراً من الناس بل أكثرهم تدهشهم الخوارق حتى يصدقوا صاحبها قبل النظر في إمكان دعواه واذا صدقوه صدقوا النصراري في دعوى إلهية المسيح وصدقوا أيضاً من ادعى الحلول والاتحاد في بعض المشايخ أو بعض أهل البيت أو غيرهم من أهل الافك والفجور قال شيخ الاسلام روح الله ووجه وبهذا يظهر

الجواب عما أورده بعض أهل الكلام كالرازي على هذا الحديث حيث قالوا دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة فكيف يحتج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور؟ قال شيخ الإسلام وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من اضلال الادلة البينة التي تبين فساد الاقوال الباطلة والا فاذا كان بنو اسرائيل في عهد موسى عليه السلام ظنوا ان العجل هو إله موسى فقالوا هذا الحكم وإله موسى وظنوا ان موسى نسيه والنصارى مع كثرتهم يقولون ان المسيح هو الله وفي المنتسبين الى القبلة خلق كثير يقولون ذلك في كثير من المشايخ او اهل البيت حتى ان كثيرا من اكابر شيوخ المعرفة او التصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والترديد وهو ان يكون الموحد هو الموحد فكيف يستبعد مع اظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة ان يعتقد فيه انه الله؟ وهو يقول: أنا الله: وقد اعتقد ذلك في من لم يظهر فيه مثل خوارقه من الكذابين وفي من لم يقل أنا الله كالمسيح وسائر الانبياء والصالحين والله أعلم

﴿و﴾ من ﴿صفة النزول﴾ أي ما يشبهه السلف ولا يتأولونه صفة نزول الباري جل وعلا الى سماء الدنيا كما أخرجه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بني كلب» ولحديث الامام أحمد ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله يمهل حتى اذا كان ثلث الليل الأخير نزل الى السماء الدنيا فنادى هل من مستغفر هل من تائب هل من سائل هل من داع حتى ينفجر الفجر» ورواه البخاري ولفظه - ينزل ربنا عز وجل الى السماء الدنيا - وروي أيضاً من حديث جابر ابن عبد الله وحديث رفاعة بن عرابه الجهني ومن حديث جبير بن مطعم ومن حديث عثمان بن أبي العاص ومن حديث أبي الدرداء ومن حديث القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين وذكر أحاديث هؤلاء الحفاظ أبو بكر بن خزيمة في كتاب - السنة - له بأسانيده من أوجه متعددة قال الحفاظ ابن حجر في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) قد اختلف في معني النزول على

أقوال فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ومنهم من أنكر صحة الاحاديث وهم الخوارج ومنهم من أجراه على ماورد مؤمنا به على طريق الاجمال منزها لله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الاربعة والسفيانيين والحمادين والاوزاعي والليث وغيرهم ومنهم من أول على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد يخرج الى نوع التحريف قال الامام الحافظ البيهقي وأسلمها الايمان بلا كيف والسكوت عن المراد الا ان يرد ذلك عن الصادق فيصار اليه قال ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على ان التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم اتبعي وقال العلامة الطوفي في قواعد الاستقامة والاعتدال المشهور عند أصحاب الامام أحمد رضي الله عنه أنهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كاللحجي والايان والنزول والهبوط والذنو والتدلي كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح قال وكلام السلف في هذا الباب يدل على اثبات المعنى المتنازع فيه قال الاوزاعي لما سئل عن حديث النزول يفعل الله ما يشاء وقال حماد بن زيد يدنو من خلقه كيف يشاء وهو الذي حكاه الاشعري عن أهل السنة والحديث وقال الفضيل بن عياض اذا قال لك الجهمي انا ا كفر برب يزول عن مكانه فقل أنا أومن برب يفعل ما يشاء وقال أبو الطيب حضرت عند أبي جعفر الترمذي وهو من كبار فقهاء الشافعية وأثنى عليه الدارقطني وغيره فسأله سائل عن حديث «ان الله ينزل الى سماء الدنيا» وقال له فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علو فقال أبو جعفر الترمذي النزول معقول والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فقد قال في النزول كما قال مالك في الاستواء وهكذا القول في سائر الصفات وقال أبو عبد الله أحمد بن سعيد الرباطي حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وحضر اسحاق بن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال نعم فقال له بعض قواد الامير يا أبا يعقوب أتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال وكيف ينزل قال له اسحاق اثبت الحديث حتى أصف لك النزول فقال له الرجل اثبته فقال اسحاق (وجاء بك والملك صفا صفا) فقال الامير عبد الله بن طاهر يا أبا

يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحاق أعز الله الامير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ ذكره أبو عبد الله الحاكم وروى باسناده أيضاً عن اسحاق بن راهويه قال قال لي الامير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي تروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا» كيف ينزل؟ قال قلت أعز الله الامير لا يقال لأمر الرب كيف ينزل إنما ينزل بلا كيف وقال اسحق لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في أمر المخلوقين لقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) ولا يجوز ان يتوهم على الله بصفاته وأفعاله يفهم ما يجوز التفكير والنظر في أمر المخلوقين وذلك أنه يمكن أن يكون الله موصوفاً بالنزول كل ليلة اذا مضى ثلثها الى السماء الدنيا كما شاء ولا يسئل كيف نزوله لأن الخالق يصنع ما يشاء كما شاء وذكر شيخ الاسلام في (شرح الاصفهانية) عن الامام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أنه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان فقال يا ضعف ليلة النصف من شعبان وحدها؟ ينزل في كل ليلة فقال الرجل كيف ينزل أليس مخلو ذلك المكان فقال عبد الله بن المبارك ينزل كيف شاء وقال أبو عثمان النيسابوري لما صح خبر النزول عن النبي صلى الله عليه وسلم أقربه أهل السنة وقبلوا الحديث وأثبتوا النزول على ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهاً بنزول خلقه وعلموا وعرفوا واعتقدوا وتحققوا ان صفات الرب لا تشبه صفات الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق سبحانه وتعالى عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً وروى البيهقي باسناده عن اسحق بن راهويه قال جمعني وهذا المبتدع يعني ابراهيم بن صالح مجلس الامير عبد الله بن طاهر فسألني الامير عن أخبار النزول فثبتها فقال ابراهيم ابن صالح كفرت برب ينزل من سماء الى سماء فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء فرضي عبد الله كلامي وأنكر على ابراهيم وقال شيخ الاسلام وقال أبو عثمان النيسابوري الملقب بشيخ الاسلام في رسالته المشهورة في السنة وثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه في كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيهه بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف بل يثبتون ما أثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم ويثبتون فيه اليه وبمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره علي ظاهره ويكون علمه

الى الله وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المحي والياتيان في ظلل من الغمام والملائكة وقوله عز وجل «وجاء ربك والملك صفاً صفاً» وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف (بنقض عثمان بن سعيدة على المريسي الجهمي العنيدة فيما افترى على الله في التوحيد) ما لفظه وادعى المعارض ان قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضي من الليل الثالث فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل من داع قال فادعى ان الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش وكل مكان من غير زوال لانه المحي القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول قال فيقال لهذا المعارض وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ولا مذهبه برهان لان أمر الله ورحمته تنزل في كل ساعة ووقت وأوان فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره أو الاسحار أفأمره ورحمته يدعون العباد الى الاستغفار أو يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولوا: هل من داع فأجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فاعطيه: فان قررت مذهبك لزمك ان تدعي ان الرحمة والامر هما اللذان يدعون الى الاجابة والاستغفار بكلاهما دون الله وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء قد علمتم ذلك ولكن تكابرون وما بال أمره ورحمته ينزلان من عنده الليل ثم يمكثان الى طلوع الفجر ثم يرفعان لان رفاة يرويه يقول في حديثه ينفجر الفجر وقد علمتم ان شاء الله أن هذا التأويل أبطل باطل ولا يقبله الا كل جاهل الى أن قال ثم أجمل المعارض جميع ما انكره الجهمية من صفات الله تعالى المسماة في كتابه وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم فعد منها بضعة وعشرين صفة فسا واحدا يتكلم عليها ويفسرها بما حكى بشر بن غياث المريسي وفسرها وتأولها حرفاً حرفاً خلاف ما عني الله ورسوله فبدأ منها بالوجه ثم بالسمع والبصر والغضب والرضى والحب والبغض والفرح والكره والضحك والعجب والسخط والارادة والمشيمة والاصابع والكف والقدم واليد واليمين والعين والياتيان والمحبي والنفس والتكليم قال عمد المخالف الى هذه الصفات فذستها ونظم بعضها الى بعض ثم قررها أبواباً في كتابه وتلطف بردها بالتأويل كتلطف الجهمية معتمداً فيها على المريسي ويدلس عند الجهال

بالتشنيع بها علي قوم يؤمنون بالله ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكيف ولا تمثيل فزعم ان هؤلاء المؤمنين بها يكيفونها ويشبهونها بذوات انفسهم وان العلماء قالوا بزعمه ليس شيء منها اجتهاد رأي ليدرك كيفية ذلك أو يشبه شيء منها بشيء مما هو في الخلق قال وهذا خطأ كما أن الله ليس كمثل شيء فكذلك ليس كصفاته شيء قال ابو سعيد عثمان بن سعيد قلنا للدعاض المدلس بالتشنيع ان قوله كيفية هذه الصفات وتشبيها بما هو في الخلق خطأ فاننا لا نقول كما قلت فنحن لانكيفها ولا نشبهها ولا نكفر بها ولا نكذبها ولا نبطلها بتأويل الضلال كما ابطلها المريسي وأماما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكيف صفات الله فاننا لانجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والاحكام التي تراها باعيننا ونسمعها باذاننا فكيف في صفات الله تعالى التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون غير اننا لا نقول فيها كما قال المريسي ان هذا الصفات كلها شيء واحد وليس السمع منه غير البصر وان الرحمن بزعمكم ليس يعلم نفسه سمعا من بصر ولا بصرا من سمع ولا وجها من يدين ولا يدين من وجه وهو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه ويد ونفس وعلم وقد قال تعالى «انني معكم اسمع وأرى» وقال «ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم» وقال تعالى «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» ولم يقل رأى وقال «اعملوا فسيرى الله عملكم» ولم يقل يسمع الله فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السمع فيما يرى الى آخر كلامه الذي رد به على المريسية وقال الامام الحافظ أبو بكر بن خزيمة باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب جل وعلا الى سماء الدنيا كل ليلة فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الاخبار من ذكر نزول الرب من غير ان نصف التكيفية لان نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا وأعلمنا انه ينزل والله جل وعلا ولي نبيه عليه السلام بيان ما بالساميين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون ومصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول غير متكفين للعقول بصفة التكيفية اذا النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول ثم ذكر الاخبار بأسانيده

## تنبهات

الاول الذي يلزم من قال باثبات صفة النزول يلزم مثله من قال صفة الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والارادة له تعالى لانه لا يعقل من هذه صفات الاعراض التي لا تقوم الا بجوارحنا فكما نقول نحن وأياهم حياته وسمعه و بصره ليست باعراض بل هي صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فنقول نحن أيضا بمثل ذلك بعينه نزوله وفوقته واستواؤه ونحو ذلك فكل ذلك ثابت معلوم غير مكيف بكيفية ولا انتقال يليق بالخلق بل هو كما أخبر هو ورسوله سيد البشر مما يليق بجلال عظمته وباهر كبريائه لان ذاته وصفاته معلومة من حيث الجملة ثبوت وعلم وجوبه بلا كيفية ولا تحديد فكل ما ورد في الكتاب وصح عن رسول الملك الوهاب فسبيله واحد من النزول واليد والتقدم والوجه والغضب والرضى وغيرها فاحفظه وبالله التوفيق ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في رسالته الحموية واعلم انه ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا وقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بهذه الامور بالاضطرار كما انه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوة ثم ان العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص وان كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله على ان الاساطين من هؤلاء والفحول معترفون بان العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية واذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوت على ما هو عليه ومن المعلوم للمؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك وأنصح للأمة وأفصح من غيره عبارة وبيانا بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للامة وأفصحهم فقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمال العلم والقدرة والارادة ومن المعلوم ان المتكلم اذا كمل علمه وقدرته وارادته كمل كلامه وفعله وانما يدخل النقص إما من نقص علمه وأما من عجزه عن بيان علمه واما لعدم ارادة البيان والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم والغاية في ارادة كمال البلاغ المبين والغاية في قدرته على البلاغ ومع وجود القدرة التامة

والارادة الجازمة يجب وجود المراد فعلم قطعاً ان ما بينه من الايمان بالله واليوم  
الآخر حصل به مراده من البيان وان ما أراده من البيان هو المطابق لعلمه وعلمه  
بذلك هو أكمل العلوم فكل من ظن ان غير الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم  
بهذا منه فهو من المحدين لامن المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم  
باحسان رحمة الله عليهم ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على الاستقامة  
دون من سواهم وتقدم في صدر الكتاب ما لعله يشفي ويكفي

(الثاني) قال أهل التأويل ان العرب تنسب الفعل الى من أمر به كما تنسبه الى من  
فعله وبشره بنفسه قالوا والمعنى هنا ان الله تعالى يأمر ملكاً بالنزول الى السماء الدنيا  
فينادي بأمره وقال بعضهم ان قوله وينزل راجع الى أفعاله لا الى ذاته المقدسة فان  
النزول كما يكون في الاجساد يكون في المعاني أو راجع الى الملك الذي ينزل بأمره  
ونفيه تعالى فان حمل النزول في الاحاديث على الجسم فتلك صفة الملك المبعوث  
بذلك وان حمل على المعنوي بمعنى انه لم يفعل ثم فعل سمي ذلك نزولاً عن مرتبة  
الى مرتبة فهي عربية صحيحة والحاصل ان تأويله على وجهين أما بان المراد ينزل  
أمره أو الملك بأمره وأما انه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والاجابة لهم ونحو ذلك  
كما يقال نزل البائع في سلعته اذا قارب المشتري بعدما باعده وأمكنه منها بعد منه  
والمعنى هنا ان العبد في هذا الوقت أقرب الى رحمة الله منه في غيره من الاوقات  
وانه تعالى يقبل عليهم بالتحن والعطف في هذا الوقت بما يلقيه في قلوبهم من  
التنبيه والتذكير الباعثين لهم على الطاعة وقد حكى ابن فورك ان بعض المشايخ  
ضبط رواية البخاري بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ما سكا قالوا ويقويه  
ما روى النسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالوا قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم «ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يأمر  
منادياً يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى»  
قال القرطبي صححه عبد الحق قالوا وهذا يرفع الاشكال ويزيل كل احتمال والسنة  
يفسر بعضها بعضاً وكذا الآيات قالوا ولا سبيل الى حمله على صفات الذات المقدسة  
فان الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الاوقات والساعات



وصفات الرب جل شأنه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهاها عن التجدد والحدوث قالوا وكل ما لم يكن فكان أو لم يثبت فثبت من أوصافه تعالى فهو من قبل صفة الافعال قالوا فالنزول والاستواء من صفات الافعال والله أعلم

(الثالث) قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين نقول بحديث النزول مما سنده صحيح ولفظه صريح قال التميمي في اعتقاد سيدنا الامام أحمد النزول حق نقول به من غير انتقال ولا حلول في الامكنة وقال ابن البنا في اعتقاد الامام أحمد لا يقال بحركة ولا انتقال وقال القاضي قد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول الى السماء الدنيا لا على جهة الانتقال والحركة كما جازت رؤيته تعالى وتجلي للجبل لا على وجه الحركة والانتقال وقال لا ثبت نزولا عن علو وزوال بل نزولا لا يعقل معناه ولا يعقل ذلك في الشاهد وقال ابن عقيل ليس بنزول ولا انتقال ولا كنزولنا وقال القاضي أيضا اجماع الأمة انه بائن من خلقه وهو على ما ثبته لنفسه في ذاته وصفاته ومن شبهه بخلقهم كفر وخطأ ابن عقيل وغيره من الأئمة من قال نزوله بحركة وانتقال وقال القاضي النزول صفة ذات والحق انه صفة فعل قال الشيخ عماد الدين الواسطي نزوله ثابت معلوم غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالخلق بل نزول كما يليق بعظمته وجلاله فصفاته تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكيف والتحديد فيكون المؤمن مبصرا بها من وجه أعنى من وجه مبصرا من حيث الاثبات والوجود أعنى من حيث التكيف واتحديدو بالله التوفيق

﴿و﴾ مما اختلف فيه فأثبتته السلف والما تر يديّة دون غيرهم من المعتزلة والكلابية والأشعرية صفة ﴿خلقهم﴾ لكن الأشعرية ونحوهم يثبتون له تعالى الصفات السبعة المتقدمة وأما المعتزلة فتفي قيام الصفات والافعال به وتسمي الصفات اعراضا والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به تعالى الاعراض ولا الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم أنهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله تعالى يجب تنزيهه عن كل عيب ونقص وآفة فانه القدوس السلام الصمد الكامل في كل نعمت من نعمت الكمال كمالا لا يدرك الخلق حقيقته منزها عن كل نقص تنزيها لا يدرك الخلق كماله وكل كمال يثبت لموجود من غير استزمام نقص

فالخالق تعالى أحق بتزيمه عنه وأولى ببراءته منه قال شيخ الاسلام ابن تيمية  
 قدس الله سره في مسألة حسن ارادة الله تعالى لخلق الخلق وانشاء الانام وروينا  
 من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر الطبري والبيهقي وغيرهم  
 في تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (الصمد)  
 قال: السيد الذي كمل في كل سوؤده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم  
 الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد كمل في حكمته والغني الذي قد كمل في  
 غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحليم الذي  
 قد كمل في حلمه وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسوؤد وهو الله عز وجل  
 هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفو ولا مثله شيء سبحان الله الواحد القهار  
 قال وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة الوالبي  
 لكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس لكن مثل هذا الكلام ثابت عن  
 السلف وقد روي عن سعيد بن جبير أيضاً انه قال الصمد الكامل في صفاته وأفعاله  
 وثبت عن أبي وائل شقيق بن سلمة انه قال الصمد السيد الذي انتهى سوؤده .  
 وهذه الاقوال وما أشبهها لا تنافي ما قاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن  
 جبير ومجاهد والحسن والسدي والضحاك وغيرهم من ان الصمد هو الذي لا جوف  
 له وهذا منقول عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه  
 موقوفاً أو مرفوعاً فان كلا القولين حق . قال ولفظ الاعراض في اللغة قديفهم منه  
 ما يعرض للانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قديفهم منه  
 ما يحدثه الناس من الافعال المذمومة والبدع التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان  
 من نحو الامراض والله تعالى يجب تزيمه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص .  
 ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم منزه عن الاعراض والحوادث الا نفي  
 صفاته الذاتية وأفعاله الاختيارية فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا  
 رحمة ولا خبر ولا رضى ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا اتيان ولا محبي .  
 ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وأفعاله وجماهير المسلمين يخالفونهم في  
 ذلك ومن الطوائف من ينازعهم في الصفات دون الافعال ومنهم من ينازعهم في

بعض الصفات دون بعض ومن الناس من ينازعهم في الفعل القديم فيقول ان فعله تعالى قديم وان كان المفعول محدثا انتهى

وقال الوزني من الحنفية في كتابه الذي سماه (مرقاة المبتدئين في أصول الدين) وهو شرح المنظومة المعروفة بالجواهر ما ملخصه التخليق صفة الله تعالى وهو فعل الله لا قنضاء المفعول فعلا لاستحالة مفعول بلا فعل ففعله تعالى صفة له فاستحال دخوله تحت قدرته وادارته ثم قال واعلم ان الأئمة الأربعة ونظائرهم من أئمة أهل السنة واكثر رجال الصوفية الذين كانت كراماتهم ظاهرة مثل مالك بن دينار و ابراهيم بن آدم والفضيل بن عياض وذو النون المصري والسرسقطي (هـ) ومعروف الكرخي وسهل بن عبد الله التستري ومن نشر علم الاشارة الجنيد البغدادي وأبو بكر الشبلي وغيرهم كانوا يصفون الله بالفعل والكلام والرواية والسمع كما يصفونه بالحياة والعلم والقدرة ثم حط على الاشعري وانه أتى بخلاف مذهب أهل السنة انتهى وقال النسفي في عقائده المشهورة والتكوين صفة الله أزلية وهو تكوينه العالم ولكل جزء من أجزائه وهو غير المكون عندنا قال شارحها المحقق التفتازاني التكوين هو المعنى المبرع عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع ونحو ذلك ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود صفة لله تعالى لا طباق العقل والنقل على انه خالق للعالم مكون له وامتناع اطلاق الاسم المشتق على الشيء من غير ان يكون مأخذ الاشتقاق وصفا قائما به أزليه لوجوه (الاول) انه يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى (الثاني) انه وصف ذاته في كلامه الازلي بالله الخالق فلو لم يكن في الازل خالقا للزم الكذب أو العدول الى المجاز أي الخالق في ما يستقبل أو القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة على انه لو جاز اطلاق الخالق عليه بمعنى القادر لجاز اطلاق كل ما يقدر عليه من الاعراض (الثالث) انه لو كان حادثا فاما بتكوين آخر فيلزم التسلسل وهو محال ويلزم منه استحالة تكون مع انه مشاهد وإما بدونه فيستغني الحادث عن المحدث والاحداث وفيه

(هـ) كذا في الاصل وصوابه السري السقطي وهو سري بن المفلس التسقطي

تعطيل الصانع (الرابع) انه لو حدث لحدث إما في ذاته تعالى فيصير محالاً للحوادث  
أوفى غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به فيكون  
كل جسم خالقاً ومكوناً لنفسه ولا خفاء في استحالته ومبنى هذه الأدلة على أن  
التكوين صفة حقيقية كالعلم والقدرة قال والمحققون من المتكلمين على أنه من  
الاضافات والاعتبارات العقلية مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء  
ومعه وبعده ومذكورا بالثناء ومعبودا لنا ومميتا ومحيا ونحو ذلك قال والحاصل  
في الأزل هو مبدأ التخليق والترزيق والإماتة والإحياء وغير ذلك ولا دليل على  
كونه صفة أخرى سوى القدرة والارادة وان كانت نسبتها الى وجود المكون  
وعدمه على السواء لكن مع انضمام الارادة بتخصيص أحد الجانبين قل ولما  
استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لا يتصور بدون المكون كالضرب بدون  
المضروب فلو كان قديما لزم قدم المكونات وهو محال أشار النسفي الى الجواب  
بقوله وهو أي التكوين تكوينه للعالم ولكل جزء من أجزائه لأن الأزل بل  
لوقت وجوده على حسب علمه وارادته فالتكوين باق أزلا وأبدا والمكون حادث  
بحدوث التعلق كما في العلم والقدرة وغيرها من الصفات القديمة التي لا يلزم من  
قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلقاتها حادثة وهذا تحقيق ما يقال ان وجود العالم ان  
لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته لزم تعطيل الصانع واستغناء الحوادث  
عن الموجود وهو محال وان تعلق فاما ان يستلزم ذلك قدم ما يتعلق وجوده به فيلزم  
قدم العالم وهو باطل أولا فليكن التكوين أيضا قديما مع حدوث المكون المتعلق  
به وما يقال بان القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه اذ القديم مالا  
يتعلق وجوده بالغير والحادث ما يتعلق به فنظور فيه لان هذا معنى القديم والحادث  
بالذات على ما يقول به الفلاسفة وأما عند المتكلمين فالحوادث ما يوجد بعبارة أي  
يكون مسبوقا بالعدم والتقديم بخلافه وبمجرد تعلق وجوده بالغير لا يستلزم حدوثه  
بهذا المعنى لجواز ان يكون محتاجا الى الغير صادرا عنه دائما بدوامه كما ذهب اليه  
الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات كالمبولى مثلا نعم اذا أثبتنا صدور العالم من  
الصانع بالاختيار دون الإيجاب بدليل لا يتوقف على حدوث العالم كان القول

بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولاً بحدوثه ومن هنا يقال ان التنصيص على كل جزء من أجزاء العالم اشارة الى الرد على زعم قدم بعض الاجزاء كالمهيولى والا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم لا بمعنى عدم تكونه بالغير والحاصل انا لانسلم انه لا يتصور التكوين بدون المكون وان وزانه معه وزان الضرب مع المضروب فان الضرب صفة اضافية لا يتصور بدون المضافين أعني الضارب والمضروب وقد بينا ان التكوين صفة حقيقية هي مبدأ الاضافة التي هي اخراج المعدوم من العدم الى الوجود لاعينها حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحققها بدون المكون مكابرة وانكاراً للضرورة فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء فلا بد لتعلقه بالمفعول ووصول الالم اليه من وجود المفعول معه اذ لو تأخر لانعدم كذا قيل وهذا بالنسبة لفعل الخلق وهو بخلاف فعل البارئ فانه أزلي الدوام يبقى الى وقت وجود المفعول فالتكوين غير المكوّن عندنا لان الفعل يغير المفعول بالضرورة كالضرب مع المضروب والاكل مع المأكول ولانه لو كان نفس المكون لزم ان يكون المكون مكوّناً مخلوقاً بنفسه ضرورة انه مكوّن بالتكوين الذي هو عينه فيكون قديماً مستغنياً عن الصانع وهو محال وان لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى انه أقدم منه وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ضرورة تكونه بنفسه وهذا لا يوجب كونه خالقاً والعالم مخلوقاً فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه هذا خلف وأن لا يكون الله مكوّناً للاشياء ضرورة انه لا معنى للمكوّن الا من قام به التكوين والتكوين اذا كان عين المكوّن لا يكون قائماً بذات الله تعالى وان يصح القول بأن خالق سواد هذا الحجر اسود وهذا الحجر خالق السواد اذ لا معنى للخالق والاسود الا من قام به الخلق والسواد وهما واحد فحملهما واحد هذا كله تنبيه على كون الحكم بمتغاير الفعل والمفعول ضرورياً

ثم قال السعد التفتازاني وهذا يعني ابطال القول بأن الفعل هو المفعول لا يتم الا باثبات أن تكون الاشياء وصدورها عن البارئ تعالى يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات مغايرة للقدرة والارادة قال والتحقيق أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود

المقدور لوقت وجوده اذا نسب الى القدرة يسمى ايجابها له واذا نسب الى القادر يسمى الخلق والتكوين ونحو ذلك لحقيقته كون الذات بحيث تعلق قدرته بوجود المقدور لوقته ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الافعال كالتزويق والتصوير والاحياء والاماتة وغير ذلك الى ما لا يكاد يتناهى قال وأما كون كل من ذلك صفة حقيقية أزلية فمما تفرد به بعض علماء ماوراء النهر وفيه تكثير للقدماء جدا وان لم تكن متغايرة قال والا قرب ما ذهب اليه المحققون منهم وهو أن مرجع الكل الى التكوين فانه ان تعلق بالحياة سمي احياء وبالموت اماتة وبالصورة تصويرا وبالرزق رزيقا الى غير ذلك فالكل تكوين وانما الخصوص بمخصوصية التعلقات انتهى ومراده بقوله مما تفرد به بعض علماء ماوراء النهر يعني علماء الكلام والافو مذهب السلف الذي لا يعدل عنه الا الى آراء متناهية وتخييلات متفاوتة ونحانة أذهان قد انحرفت عن جادة المأثور وزبالات انظار قد انفتلت عن المنهج المشهور الى التهاافتات الفلسفية والتخييلات الكلامية ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح (العقائد الاصفهانية) الصواب أن الخلق غير المخلوق قال والذين يقولون الخلق هو المخلوق قولهم فاسد وبين وجه فساده وذكروا من الآيات القرآنية والاخبار النبوية الدالة على هذا الاصل شيئا كثيرا مثل (كل يوم هو في شأن) واتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقوله (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) فأخبر أن طاعته سبب لمحبه ورضاه ومعصيته سبب لسخطه وغضبه وقال تعالى (فاذكروني أذكركم) وجواب الشرط مع الشرط كالمسبب مع سببه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» وفي الصحيحين وغيرهما «لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ اذا هو بدايته عليها طعامه وشرابه فالتة أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته» وفي الصحيح

«يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» وفي الصحاح والسنن والمسائيد من هذا شي كثير يتعذر أو يتعسر احصاؤه وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً ثم قال وبهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى القرآن والتوراة والانجيل وكان عليه سلف الامة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة يظهر بطلان مذهب القائلين بالتقدماء الخمسة

قال شيخ الاسلام وهذا المذهب منسوب الى ديمقراطيس وهي العلة والنفس والهيولى وهي في لغتهم بمعنى المحل والخلاء والدهر فزعم هؤلاء ومن وافقهم بأن هذه الخمسة قديمة أزلية وأن سبب حدوث العالم أن النفس التفت الى الهيولى وامتنع على الرب تخليصها أو رأى أنه لا يخلصها مرارة تعلقها بالهيولى ثم تخلصها أو لتستفيد بذلك كالات ثم يخلصها بعد ذلك قال ولهذا يقول محمد بن زكريا الرازي من فلاسفة الاسلام لالذة الاعدم الألم وغاية سعادة النفس خلاصها من الألم الحاصل بتعلقها بالهيولى وأبو عبدالله بن الخطيب الرازي يعني الفخر وبعض من يأتى به يرجحون هذا القول وبه يجيب هؤلاء عن الحجة المشهورة للفلاسفة ويسمونهم -الجواب الباهر- قال في محصله وذكر ما هو شبيه بالخرافة وهو بمعزل عن كلام أهل الشرائع والدين والنبوات ومناهج المرسلين قال شيخ الاسلام روح الله وروحه وهذا المذهب من أفسد مذاهب العالم قال وهو يشبه من بعض الوجوه مذهب المجوس القائلين بالاصلين القديمين النور والظلمة قال والرسول عليهم السلام وأتباعهم أهل الملل متفقون على أن الله تعالى خالق لكل ما سواه فليس معه شيء قديم بقدمه لانفس ولا عقل ولا غير ذلك من الاعيان سواء سمي خلاء أو دهرًا أو غير ذلك وبالله التوفيق

ولما كان أهل الملة مختلفين فمنهم من نفي الصفات من أصلها وأثبت الاسماء وهم المعتزلة ومنهم من نفي الصفات الخبرية والافعال الاختيارية أن تقوم بذاته تعالى وأثبت السبع صفات كالاشعرية ومن وافقهم وكان مذهب السلف وسائر الائمة وجهور الامة اثبات الصفات الذاتية والاسماء الحسنى والصفات الخبرية وصفات لافعال الاختيارية لله تعالى حثك على الاتباع لسلف الامة وحذرک من

الابتداع ومخالفة السنة وأعيان الأئمة فقال ﴿ فاحذر من النزول ﴾ من ذروة  
الايقان وسنام الدين والايقان وأوج الرفعة والعرفان الى حضيض الابتداع  
وقاذورات الاختراع فان السلامة كل السلامة في اتباع الرعيل الاول والسرب  
الذي عليه المعول لا ما ابتدعته فروخ الجهمية وانتحلته أساطين الفلاسفة من فرق  
المشائية والاشراقية ﴿ فسائر الصفات ﴾ الذاتية من الحياة والقدرة والارادة والسمع  
والبصر والعلم والكلام وغيرها وسائر الصفات الخبرية من الوجه واليدين والقدم  
والعينين ونحوها ﴿ و ﴾ سائر صفات ﴿ الافعال ﴾ من الاستواء والنزول والايقان والمحبة  
والتكوير ونحوها ﴿ قديمة لله ﴾ أي هي صفات قديمة عند سلف الامة وائمة الاسلام  
لله ﴿ ذي الجلال ﴾ والاكرام ليس منها شيء محدث والا كان محلا للحوادث وما  
حل به الحادث فهو حادث تعالى الله عن ذلك . ولما كان ربما توهم متوهم أن ذلك  
سلم للتشبيه والتمثيل المنفي في محكم النص استدرك ذلك فقال ﴿ لكن ﴾ باسكان  
النون ﴿ بلا كيف ولا تمثيل ﴾ واثبات ذلك والاعتراف به والاقرار والاذعان بموجبه  
لمادلت عليه النصوص القرآنية والاحاديث الثابتة النبوية فاعتقدنا ذلك واعتمدناه  
متابعة للسلف وارتضيناه ﴿ رغما ﴾ أي ﴿ لا ﴾ جل رغم أنوف ﴿ أهل الزيف ﴾ أي الميل  
والانحراف عن منهج أهل الحق والشك والخور عن سبيل أهل الصدق يقال زاع اذا  
مال وأزاع غيره اذا ماله ﴿ و ﴾ رغما لوف أهل ﴿ التعطيل ﴾ من الطوائف الضالة والفرق  
المائلة فمذهب السلف حق بين باطلين وسنة بين بدعتين فان من الناس من حمل  
النصوص على التشبيه والتمثيل فضل واضل ومنهم من حملها على التحريف والتعطيل  
فألحد وانفصل عن الحق وختل وأهل الحق أثبتوا النصوص واعتقدوها بلا تكيف  
منهم يقولون اثبات وجود لا اثبات تكيف وتحديد ولهذا قال ﴿ فرها ﴾ أي آيات  
الصفات وأخبارها ولا تتعرض لمعانيها وأسرارها بل تفسيرها أن نمرها ﴿ كما أتت  
في الذكر ﴾ القرآني والحديث الصحيح عن المعصوم العبداني ﴿ من غير تأويل ﴾ لها  
﴿ وغير فكر ﴾ في معانيها فان ذلك ليس في طوق البشر أن يكلفوه ولا في وسعهم  
أن يعرفوه وعلى ذلك وضت أئمة السلف والحق مع من سلف فكان الزهري والامام  
مالك والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والامام أحمد



واسحق بن راهوية وغيرهم رضي الله عنهم يقولون في مثل هذه الآيات يعني التي فيها بحجج الله ووجهه وإتيانه والاختبار كخبر النزول «مروها كجاءت» وقال سفيان ابن عيينة كل ما وصف الله نفسه في كتابه ف تفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وسمع الامام أحمد رضي الله عنه شخصا يروي حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا تغير حال فأنكر الامام أحمد عليه ذلك وقال قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كان أغبر على ربه منك وقال أبو حنيفة رضي الله عنه في كتاب الفقه الاكبر ما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته ونعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال وان كان يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وقال العلامة ابن الهمام ان الاصبع واليد صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به هو سبحانه أعلم وقال أبو حامد الغزالي في كتابه «إلجام العوام» في الباب الاول منه: اعلم ان الحق الصحيح الذي لامراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ثم قال حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الاخبار من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الكف ثم الامساك ثم التسليم لاهل المعرفة (فالتقديس) تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها (والتصديق) الايمان بقوله صلى الله عليه وسلم وان كل ما ذكر حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله وأراده (والاعتراف بالعجز) أن يقر ان معرفة مراده ليس على قدر طاقته وان ذلك ليس من شأنه وحرفته (والسكوت) بأن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه مخاطرا يذنيه وانه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر وأما (الامساك) فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيها والنقصان منها والجمع والتفريق بل لا ينطق لا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة (وأما الكف) فبان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكير فيه (وأما التسليم) لاهل المعرفة فان لا يعتقد ان ذلك ان خفي عليه لعجزه فقد خفي

على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء أو على الصديقين والاولياء انتهى وقد  
 من انه لا يعلم حقيقة ما هو تعالى غيره فعليه المعول والله تعالى أعلم ۝ ۝ ۝  
 ولما فرغ من ذكر ما يجب له تعالى من الاسماء والصفات الذاتية والاخبارية  
 والفعلية أخذ في ذكر ما يستحيل في حقه تعالى فقال

﴿ ويستحيل الجهل والعجز كما قد استحال الموت حقاً والعمى ﴾  
 ﴿ فكل نقص قد تعالى الله عنه فيأشرف لمن والاه ﴾

﴿ ويستحيل ﴾ في حق الله تعالى اضداد الصفات التي اتصف بها البارئ جل شأنه  
 والمستحيل هو كما مر ما لا يتصور في العقل ثبوته فما يستحيل في حق مولانا عز وجل  
 ﴿ الجهل ﴾ الذي هو ضد العلم ﴿ والمعجز ﴾ الذي هو ضد القدرة ﴿ كما ﴾ انه قد ﴿ استحال ﴾  
 في حقه تعالى ﴿ الموت ﴾ الذي هو ضد الحياة حق ذلك ﴿ حقاً ﴾ فهو مصدر ﴿ و ﴾ يستحيل  
 في حقه تعالى ﴿ العمى ﴾ الذي هو ضد البصر وكذا الصمم الذي هو ضد السمع والبكم  
 الذي هو ضد الكلام والفناء الذي هو ضد البقاء والعدم الذي هو ضد الوجود والفقر الذي  
 هو ضد الغنى والمماثلة للحوادث المنفي في قوله تعالى ليس كمثل شيء وتقدم انه ليس بجسم  
 ولا جوهر ولا عرض فهي من المستحيلة في حقه تعالى وما نفاه سبحانه وتعالى عن  
 نفسه في محكم الذكر كقوله (ليس كمثل شيء - هل تعلم له سمياً - فلا تضربوا الله  
 الامثال - فلا تجعلوا الله اندادا - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد - ولم يتخذ ولداً - ولم  
 يكن له شريك في الملك) ونحو ذلك والنفي انما يدل على عدم المنفي والعدم المحض ليس  
 بشيء أصلاً فضلاً عن أن يكون كمالاً وانما يكون كمالاً اذا استلزم أمراً وجودياً  
 فلهذا لم يصف الرب تعالى نفسه بشيء من النفي الا اذا تضمن ثبوتاً كقوله تعالى  
 (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) فقوله لا تأخذه سنة ولا نوم  
 يتضمن كمال حياته وقيوميته فان النوم أخو الموت ومن تأخذه السنة والنوم لا يكون  
 قيوماً قائماً بنفسه مقياً لغيره فان السنة والنوم يناقض ذلك ثم قال تعالى (له مافي  
 السموات ومافي الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ففي شفاعته أحد عنده  
 الا باذنه يتضمن كمال كونه له مافي السموات ومافي الارض ليس له في ذلك  
 شريك ولا ظهير فان الشافع اذا شفع عند غيره بغير اذنه كان شريكاً له فيما يشفع

فيه وكان متصرفا فيه اذ جعله مماثلا بعد ان لم يكن فكان في نفي هذه الشفاعة قد بين انه لا شريك له بوجه من الوجوه والصمد الذي يحتاج اليه كل شي ولا يحتاج الى شي ولا يؤثر فيه غيره والحاصل ان كل ما كان ضدا لما ذكر من أوصافه أو تقيضا أو خلافا فهو تعالى منزّه عنه مطلقا ولهذا قال ﴿فكل نقص﴾ من هذه الاوصاف المذكورة ونحوها ﴿قد تعالى﴾ وتنزه ﴿الله عنه﴾ لان له الكمال المطلق فكل كمال لا يؤدي الى نقص ما فالله أولى به وكل نقص فالله منزّه عنه ﴿فيا بشرى﴾ نادى البشرى بشارة ﴿الكل﴾ أي شخص من اهل السنة والجماعة قد ﴿والاه﴾ الله أو قد والى هو الله أي اتخذها وليا معتمدا عليه ومفوضا جميع أموره اليه مع اقتفائه المأثور واتباعه للرسول فكأنه يقول لنفسه ولسائر أهل السنة هذا أوان حصول البشرى لكم أو يا بشرى اقبلي وتعالى فهذا أوانك وانما نوه بالبشرى لمن والاه الله تعالى لعظم ذلك وخطره ودخوله في حصن ولايته ومحل نظره وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» الحديث وروى ابن أبي الدنيا من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال «من آذى لي وليا فقد استحل بحارتي» ورواه الامام أحمد بمعناه وفي رواية يقول الله عز وجل «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة» وأخرج ابن ماجه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ان يسير الرياء شرك وان من عادى لي وليا فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا مصاييح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة» وقد قال الله تعالى في محكم الذكر (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فالناظم اقتبس من الآية البشارة لاهل الولاية وقد روى الامام أحمد في كتاب الزهد باسناده عن وهب بن منبه قال: ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام حين كلمه اعلم أن من أهان لي وليا وأخافه فقد بارزني بالمحاربة

وباداني وعرض نفسه ودعاني اليها وأنا أسرع شيء الى نصرته أوليائي أفيظن  
الذي يحار بني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاجزني أن يعجزني أم يظن الذي يبارزني  
أن يسبقي أو يفوتني وكيف وأنا التأثير لهم في الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم  
الى غيري: واعلم أن كل من عصى الله فقد حاربه لكن كلما كان الذنب أقبح كان  
أشد محاربة لله تعالى ولهذا سمي الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين  
لله ولرسوله لعظم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده وكذلك معاداة أوليائه  
فانه سبحانه يتولى نصرته أوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه  
فاذا كان من والى الله تعالى بهذه المثابة من الحفظ والاعزاز والنصرة له من قبل  
العزیز القهار وتوعد من عاداه وآذاه بمعاداة القوي الجبار فله البشارة العظمى  
والمسرة والمزلة العليا والمبرة وقد قدمنا غير مرة أن الحق عز وجل موصوف بكل  
كمال منزّه عن كل نقص وهو العزيز المتعال

— تنبيه —

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه جماع الامر ان الاقسام الممكنة في  
آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة قسمان  
يقولان تجري على ظاهرها وقسمان يقولان هي على خلاف ظواهرها وقسمان يسكتان  
فأما الأوليان فأحدهما من يجريها على ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهو لاء  
المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف وعليهم توجه الرد بالحق الثاني من يجريها على  
ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى وعظمته كما يجري اسم العليم والقدير والرب والإله  
والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى فان ظواهر هذه  
الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم فالعلم والقدرة والكلام  
والمشيئة والرحمة والرضى والفضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليدان  
والعين في حقه أجسام فاذا كان الله عز وجل موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما  
وقدرة وكلاما ومشية ولم تكن في حقه تعالى اعراضا يجوز عليها ما يجوز على صفات  
المخلوقين فكذلك الوجه واليد والعين ونحوها صفات له تعالى لا كصفات المخلوقين  
وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم

وكلام الباقيين لا يخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين. وتقدم نظير هذا فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثل شيء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وقد مر انه لا يعلم ما هو الا هو وان صفاته لا يعلم كنهها وحقيقتها الا هو تعالى وانما تعلم الذات المقدسة والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله وقد تنازع الناس في حقيقة الروح واختلفوا فيها اختلافا كثيرا مع القطع باتصالها بالبدن وانها تخرج منه وتخرج الى السماء وقد تجبط فيها الفلاسفة ومن وافقهم تجبط الذي به مس من الشيطان لكونهم رأوها من غير جنس البدن وعالمه وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون الصفات الثابتة لها من الصعود والنزول والاتصال والانفصال حقا قال شيخ الاسلام وأما القسمان اللذان يقولان هي على خلاف ظواهرها فقسم يتناولونها ويعينون المراد منها مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر وقسم يقولون الله أعلم بمراده منها لكننا نعلم انه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه قال وأما القسمان الواقفان فقسم يجوز أن يكون المراد ظواهرها اللائق بالله تعالى ويجوز أن لا تكون صفة لله وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقسم بمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات قال فهذه الاقسام الستة لا يمكن الرجل أن يخرج عن قسم منها قال والصواب في كثير من الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية انتهى كلامه والله تعالى الموفق

﴿ فصل ﴾

في ذكر الخلاف في صحة ايمان المقلد في العقائد وعدمها وفي جوازها وعدمه وقد أشار الناظم الى هذا المقام الذي هو منزلة أقدام فقال

﴿ وكل ما يطلب فيه الجزم فمنع تقليد بذلك حتم ﴾

﴿ لأنه لا يكتفى بالظن لذني الحجي في قول أهل الفن ﴾

﴿وقيل يكفي الجزم اجماعاً بما يطلب فيه عند بعض العلماء﴾  
 ﴿فالجازمون من عوام البشر فمسلمون عند أهل الأثر﴾

﴿وكل ما﴾ أي حكم ومطلوب مما عنه الذكركر الحكمي وهو المعنى الذي يعبر عنه بالكلام الخبري وهو ما أنبأ عن أمر في نفسك من اثبات أو نفي والمراد هنا كل اعتقاد يطلب فيه ﴿أي ذلك الاعتقاد من معرفة الله تعالى وما يجب له ويستحيل عليه ويجوز ﴿الجزم﴾ بأن يجزم به جزماً لا يحتمل متعلقه النقيض عنده لو قدره في نفسه فإن طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح والا ففاسد فما كان من هذا الباب ﴿فمنع تقليد﴾ وهو لغة وضع الشيء في العنق حال كونه محيطاً به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلائد وعرفاً أخذ مذهب الغير يعني اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا دليله فإن أخذه بالدليل فليس بمقلد له فيه ولو وافقه فالرجوع الى قوله صلى الله عليه وسلم ليس بتقليد قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في المسودة التقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع بتقليد لان الاجماع دليل ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد وقد قال الامام أحمد رضي الله عنه في رواية أبي الخارث من قلده الخبر رجوت أن يسلم ان شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان كان حجة بنفسه انتهى ملخصاً ﴿بذلك﴾ أي بما يطلب فيه الجزم ولا يكتفي فيه بالظن ﴿حتم﴾ بفتح الحاء المهملة وسكون التاء المثناة فوق أي لازم واجب قال علماءنا وغيرهم يحرم التقليد في معرفة الله تعالى وفي التوحيد والرسالة وكذا في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر عند الامام أحمد رضي الله عنه والاكثر وذكره أبو الخطاب عن عامة العلماء وذكر غيره انه قول الجمهور قاله في شرح التحرير قال وأطلق الحلواني من أصحابنا وغيره منع التقليد في أصول الدين واستدلوا بتحريم التقليد بأمره سبحانه وتعالى بالتدبر والتفكر والنظر وفي صحيح ابن حبان لما نزل في آل عمران (ان في خلق السموات والارض) الآيات قال صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن ويل له ويل له» والاجماع على وجوب معرفة الله تعالى ولا يحصل بتقليد لجواز كذب الخبر واستحالة حصولها كمن قلده في حدوث العالم وكمن قلده في قدمه ولان التقليد لو أفاد علماً فإما بالضرورة وهو باطل وإما بالنظر

فيستلزم الدليل والاصل عدمه والعلم يحصل بالنظر واحتمال الخطأ لعدم مراعاة القانون الصحيح ولأن الله تعالى ذم التقليد بقوله تعالى (انا وجدنا آباءنا على أمة) ولقوله تعالى (فاعلم انه لا إله الا الله) فالزم الشارع بالعلم ويلزمنا نحن أيضا لقوله (فاتبعوه لعلكم تهتدون) فتعين طلب اليقين في الوحدانية ويقاس عليها غيرها والتقليد لا يفيد الا الظن ولهذا قال معللا للمنع عنه بقوله (لانه) أي الشأن والامر والقصة (لا يكتفي) في أصول الدين ومعرفة الله رب العالمين (بالظن) الذي هو ترجيح أحد الطرفين على الآخر فالراجح هو الظن والمرجوح الوهم فلا يكتفي به في أصول الدين (الذي) أي لصاحب (الحجى) كإلى أي العقل والفظنة (في قول أهل الفن) من الأئمة وعلماء المنقول والمعقول من الاصوليين والمتكلمة وغيرهم قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين كل ما يطلب فيه الجزم بمنع التقليد فيه والاخذ فيه بالظن لانه لا يفيد وانما يفيد دليل قطعي قال في شرح مختصر التحرير وأجازه يعني في التقليد في أصول الدين جمع قال بعضهم ولو بطريق فاسد قال العلامة ابن مفلح وأجازه بعض الشافعية لاجماع السلف على قبول الشهادتين من غير أن يقال لقاتلهم اهل نظرت؟ وسمعه الامام ابن عقيل عن أبي القاسم ابن التبان المعتزلي قال وانه يكتفي بطريق فاسد وقال هذا المعتزلي اذا عرف الله وصدق رسوله وسكن قلبه الى ذلك واطمأن به فلا علينا من الطريق تقليدا كان أو نظرا واستدلالا والى هذا الاشارة بقوله (وقيل يكتفي) في أصول الدين (الجزم) ولو تقليدا (اجماعا) (ب) كل (ما) أي حكم (يُطْلَبُ) بضم أوله مبني لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل مضمرة يعود على الجزم (فيه) أي في ذلك المطلوب من أصول الدين (عند بعض العلماء) من علماء مذهبنا والشافعية والمعتزلة وغيرهم قال العنبري وغيره يجوز التقليد في أصول الدين ولا يجب النظر اكتفاء بالعقد الجازم لانه صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في الايمان من الاعراب وليسوا أهلا للنظر باللفظ بكلمتي الشهادة المنبج عن العقد الجازم ويقاس غير الايمان من أصول الدين عليه وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقيل يكتفي الجزم يعني بالظن اجماعا بما يطلب فيه الجزم (فالبجازمون) حينئذ بعقدهم ولو تقليدا (من عوام البشر) الذين ليسوا بأهل للنظر والاستدلال بما لا يتم الاسلام بدونهم (ف) على الصواب هم (مسلمون)

عند أهل الأثر واكثر النظار والمحققين وان عجزوا عن بيان مالا يتم الاسلام الا به وقال ابن حامد من علمائنا لا يشترط ان يجزم عن دليل يعني بل يكفي الجزم ولوعن تقليد وقيل الناس كلهم مؤمنون حكما في النكاح والارث وغيرها ولا يدري ما هم عند الله انتهى وقال العلامة المحقق ابن قاضي الجبل من علمائنا في أصوله قال ابن عقيل القياس التقلي حجة يجب العمل به ويجب النظر والاستدلال به بعد ورود الشرع قال ولا يجوز التقليد والحق الذي لا محيد عنه ولا انفكك لاحد منه صحة ايمان المقلد تقليدا جازما صحيحا وان النظر والاستدلال ليسا بواجبين وان التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفة نعم يجب النظر على من لا يحصل له التصديق الجازم أول ما تبلغه الدعوة قال بعض علماء الشافعية اعلم ان وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا يشترط فيه ان يكون عن نظر واستدلال بل يكفي اعتقاد جازم بذلك اذ المختار الذي عليه السلف وأئمة الفتوى من الخلف وعامة الفقهاء صحة ايمان المقلد قال وأما نقل عن الامام الشيخ ابني الحسن الاشعري من عدم صحة ايمان المقلد فكذب عليه كما قاله الاستاذ أبو القاسم القشيري ثم قال ومما يرد على زاعمي بطلان ايمان المقلدان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فتحو اكثر العجم وقلوا ايمان عوامهم كجلايف العرب وان كان تحت السيف او تبعا لكبير منهم أسلم ولم يأمروا أحدا منهم بترديد نظرو ولا سألوه عن دليل تصديقه ولا ارجأوا أمره حتى ينظر والعقل يجزم في نحو هذا بعدم وقوع الاستدلال منهم لاسنحاله حينئذ فكان ما أطبقوا عليه دليلا أي دليل على ايمان المقلد وقال ان التقليد ان يسمع من نشأ بقله جبل الناس يقولون للخلق رب خلقهم وخلق كل شيء من غير شريك له ويستحق العبادة عليهم فيجزم بذلك اجلالا لهم عن الخطأ وتحسينا للظن بهم فاذا تم جزمه بأن لم يجوز نقيض ما أخبروا به فقد حصل واجب الايمان وان فاته الاستدلال لانه غير مقصود لذاته بل للتوصل به للجزم وقد حصل وقال الامام النووي: الآتي بالشهادتين مؤمن حقا وان كان مقلدا على مذهب المحققين والجاهير من السلف والخلف لانه صلى الله عليه وسلم كفتي بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة بالدليل وقد تظاهرت بهذا الاحاديث



الصحيح يحصل بمجموعها النواتر والعالم القطعي انتهى وبما تقرر تعلم ان النظر ليس بشرط في حصول المعرفة مطلقا والا لما وجدت بدونه لوجوب انتفاء المشروط بانتفاء الشرط لكنها قد توجد فظهر ان النظر لا يتعين على كل احد وانما يتعين على من لا طريق له سواه بان بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحصل له العمق الجازم ابتداء تقليد فيجب عليه النظر حتى يظهر له حقيقة الاسلام اذ الاعراض غير جائز فمثل هذا الشخص النظر عليه واجب اجماعا واما المقلد الذي يؤمن بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اول ما بلغته دعوته وصدق به تصديقا جازما بلا تردد فع صحة ايمانه بالاتفاق لا ياتم بترك النظر وان كان ظاهرا ماتقدم الاثم مع حصول الايمان لان المقصود الذي لاجله طلب النظر من المكلف وهو التصديق الجازم قد حصل بدون النظر فلا حاجة اليه نعم في رتبته انحطاط وربما كان مترزلا الايمان فالحق انه ياتم بترك النظر وإن حصل له الايمان ومن ثم نقل بعضهم الاجماع على تأثيمه لان جزمه حينئذ لا تثبت به اذ لو عرضت له شبهة عكرت عليه وصار مترددا بخلاف الجزم الناشئ عن الاستدلال فانه لا يفوت بذلك والله تعالى الموفق

تنبهات

الاول في مسألة التقليد ثلاثة أقوال ( اولها ) النظر واجب وقد نقلناه عن من النقل عنهم ورجحه الامام الرازي وأبو الحسن الآمدي ( الثاني ) ليس بواجب والتقليد جائز وقد قدمنا كلام العنبري وغيره في ذلك ( الثالث ) التقليد حرام وياتم بترك النظر والاستدلال ومع اثمه بترك النظر فإيمانه صحيح وقد فهم كل هذا مما قررناه سابقا ثم قول ( رابع ) وهو ان النظر حرام لانه مظنة الوقوع في الشبه والضلال لاختلاف الازهان بخلاف التقليد فيجب بان يحزم المكلف عقده بما يأتي به الشرع من العقائد الدينية ولكن قد علم ممام ان الرجوع الى الكتاب والسنة ليس بتقليد وان سمي تقليدا فجاز ومنه قول الامام أحمد رضي الله عنه ومن قلد الخبر رجوت ان يسلم ان شاء الله تعالى وقد قال أبو حامد الغزالي في كتابه ( فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ) من ظن ان مدرك الايمان الكلام والادلة المحررة والنقسيات المرتبة فقد أبعد لابل الايمان نور يقذفه الله في قلوب عباده عطية وهدية من عنده تارة

بتنبه في الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رؤيا في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبتته ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم جا حدا له منكرا فلما وقع بصره على طلعتة البهيبة وغرته الفريدة فرآها يتلأ لأ منها نور النبوة قال والله ما هذا وجه كذاب وسأل ان يعرض عليه الاسلام فأسلم وجاء آخر اليه فقال أشدك الله الله بعثك نبيا فقال «بلى والله الله بعثني نبيا» فصدقه يمينه وأسلم وأمثالهما أكثر من ان يحصى ولم يشتغل واحد منهم قط بالكلام وتعلم الادلة بل كان يبدو نور الايمان أولا بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة يضاء ثم لا يزال يزداد وضوحا واشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب الى ان قال والحق الصريح ان كل من اعتقد ان كل ما جاء به الرسول واشتمل عليه القرآن حق اعتقادا جازما فهو مؤمن وإن لم يعرف أدلته قال فالايان المستفاد من الادلة الكلامية ضعيف جدا مشرف على التزلزل بكل شبهة انتهى

فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم كانوا يعلمون ان العوام واجلاف العرب يعلمون الادلة اجمالا كما أجاب به الاعرابي الاصمعي عن دليل سو الهيم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدل على اللطيف الخبير: فلذلك لم يلزمهم بالنظر ولا سألوهم عنه ولا ارجأ وأمرهم فلما كان كذلك لم يكن اكتفاؤهم بمجرد الاقرار دليلا على عدم وجوب النظر على الاعيان ولا على ان تاركه غير آثم فالجواب ما ذكره دعوى بلا دليل وحكاية الاعرابي لا تدل على ان جميع الاجلاف والعوام كانوا عالمين بالادلة اجمالا فان المثل الجزئي لا يصحح القواعد السككية والعقول مختلفة الامزجة متفاوتة أشد تفاوت فوجود فرد من الاعراب قوي العقل نافذ البصيرة لا يدل على ان كل الاعراب والاجلاف كذلك بلا خفاء وبوضوح ان من الذين أسلموا في عهدهم كانوا يكونون أعجماء ونساء وقبلوا منهم الاسلام ولم يأمرهم بالنظر ولم يرجئوهم وأيضا كان أهل الشرك من قريش يجادلون ويناضلون عن آلهتهم و(اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقالوا (اجعل الآلهة إلهها واحدا ان هذا شيء عجاب) ويقول أبو سفيان وهو من رؤسائهم وصناديدهم يوم

أحد: أعل هبل أعل هبل: فمثل هذا المصمم على الشرك المتعجب معه من التوحيد وقد أسلم تحت ظل السيف كيف كان صلى الله عليه وسلم ان مثل هذا كان يعلم دليلاً اجمالياً على التوحيد والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يسمعوا ولم يعلموا منه قبل ذلك الا الشرك المصمم والكفر الصراح والاعتقاد الفاسد هذا مما لا بدل عليه عقل ولا نقل

( الثاني ) قد قدمنا ان التقليد الصحيح محتمل للعلم بمعنى ان المقلد تقليداً صحيحاً لا يصدق بما ألقى اليه من العقائد الخفية الا بعد انكشاف صدقها عنده من غير ان يكون له دليل عليها وقد جاء في محكم الذكر ( فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ) وأخرج ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفربايني وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدائني رجل من بني هاشم وليس هو محمد بن علي قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال كيف يشرح صدره للاسلام يارسل الله قال ( نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح ) قالوا فهل لذلك من امارات يعرف بها قال ( الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ) قال الحافظ السيوطي في هذا الحديث مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها الى درجة الصحة أو الحسن وكما كان قذف النور في القلب موجياً لانشرح الصدر وانفسح القلب كما قذفه مستلزماً لجعل النفس قابلة للحق مهياً لخلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه سواء كان ثم استدلالاً أولاً وكما تصنت من كدبراتها واتصفت بالصفات المذكورة كان قبولها للعقائد الخفية أشد واذعانها لها أحرى لكون ذلك النور المقذوف في القلب كائناً لعين البصيرة عن صدق ما أخبر به من العقائد كشفاً يحمله على الاذعان والانتقاد والتصديق به وحسن الاعتقاد بحيث يصير ضرورياً حتى لو رام الانفكاك عنه لم يجد له الى سبيلا وان لم يكن ثم نظر ولا استدلال

( الثالث ) قد نقل عن أبي الحسن الأشعري انه لا بد من انبناء الاعتقاد في كل مسألة من الاصول على دليل عقلي لكن لا يشترط الاقتدار على التعبير عنه وعلي

مجادلة الخصوم ودفع الشبه قال السعد النفتازاني في (شرح المقاصد) هذا هو المشهور عند الأشعري حتى حكي عنه أن من لم يكن كذلك لم يكن مؤمناً انتهى قال في جمع الجوامع وعن الأشعري لا يصح إيمان المقلد قال شارحه وشنع عليه أقوام بأنه يلزمه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين وقال القشيري مكذوب عليه قال التاج السبكي والتحقيق أنه إن كان التقليد أخذاً لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم بأن لا يجزم به فلا يكفي إيمان المقلد قطعاً لأنه لا إيمان مع أدنى تردد فيه وإن كان التقليد أخذاً لنول الغير بغير حجة لكن جزمياً فيكفي إيمان المقلد عند الأشعري وغيره خلافاً لأبي هاشم المعتزلي في قوله لا يكفي بل لا بد لصحة الإيمان من النظر وقد وافق النقل عن الأشعري جماعة منهم القاضي وإمام الحرمين وغيرها قالوا قال الجمهور عدم صحة الاكتفاء بالتقليد في العقائد الدينية حتى زعم بعضهم أنه مجمع عليه وعزاه ابن القصار للإمام مالك رضي الله عنه والمشهور نقل بعضهم عن الجمهور عدم جواز التقليد في العقائد الدينية وأنهم اختلفوا في المقلد منهم من قال أنه مؤمن إلا أنه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح ومنهم من فصل فقال هو مؤمن عاص إن كان فيه أهلية لفهم النظر الصحيح وغير عاص إن لم يكن فيه أهلية ذلك ومنهم من نقل عن طائفة أن قلد القرآن والسنة القطعية صح إيمانه لا تباعه القطامي ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم ومنهم من جعل النظر والاستدلال شرطاً للكمال ومنهم من حرم النظر كما مر ذلك قال الجلال المحلي في شرح (جمع الجوامع) وقد انفقت الطرق الثلاث يعني الموجبة للنظر والمجوزة له والمحرومة على صحة إيمان المقلد انتهى وعبارة الآمدي في (الابكار) اتفق الأصحاب على انتفاء كفر المقلد وأنه ليس للجمهور إلا القول بعصيانه بترك النظر إن قدر عليه مع اتفاقهم على صحة إيمانه وأنه لا يعرف القول بعدم صحة إيمان المقلد إلا لأبي هاشم بن أبي علي الجبائي من المعتزلة محتجاً بأن من لم يعرف الله سبحانه بالدلائل فهو كافر قال الآمدي: وأصحابنا مجمعون على خلافه وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رئيس الطائفة الماتريدية أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم وأنهم حشو الجنة كما جاءت به الأخبار وانفقد

عليه الاجماع لكن منهم من قال لا بد من نظر عقلي في العقائد وقد حصل لهم منه القدر الكافي فان فطرهم جبلت على توحيدا. الصانع وقدمه وحدث ما سواه من الموجرات وان عجزوا عن التعبير باصطلاح المتكلمين هذا حاصل ما أجيب به عن الاشعري حتى قال بعض الاشاعرة عن الاشعري لا يكاد يكون في العوام مقلد وعبارة (شرح المقاصد) ذهب كثير من العلماء وجميع الفقهاء الى صحة ايمان المقلد وترتيب الاحكام عليه في الدنيا والآخرة ومنعه الشيخ أبو الحسن والمعتزلة وكثير من المتكلمين. احتج القائلون بالصحة بأن حقيقة الايمان التصديق وقد وجدت من غير اقتترانه بموجب من موجبات الكفر فان قيل: لا يتصور التصديق بدون العلم لأنه اما ذاتي للتصديق أو شرط له ولا علم للمقلد لأنه اعتقاد جازم مطابق مستند الى سبب من ضرورة أو استدلال فأجاب بأن المعتبر في التصديق هو اليقين أعني الاعتقاد الجازم المطابق بل ربما يكتفى بالمطابقة ويجعل الظن الغالب الذي لا يخطر معه التقيض بالبال في حكم اليقين انتهى

(الرابع) قال السعد اعلم بأن القائلين بعدم صحة ايمان المقلد أو ليس بنافع اختلفوا فمنهم من قال لا يشترط ابتناء الاعتقاد في كل مسألة بل يكفي ابتناؤه على قول من عرفت رسالته بالمعجزة مشاهدة أو تواترا أو على الاجماع ومنهم من قال لا بد من ابتناء الاعتقاد في كل مسألة من الاصول على دليل عقلي لكن لا يشترط الاقتدار على التعبير عنه ولا على مجادلة الخصوم وتقدم الصحيح المعتمد من هذا قريبا ومنهم من قال لا بد مع ابتناء الاعتقاد على الدليل العقلي من الاقتدار على مجادلة الخصوم وحل ما يورد عليه من الاشكالات قال واليه ذهب المعتزلة فلم يحكموا بايمان من عجز عن شيء من ذلك بل يحكم أبو هاشم بكفره وقد تقدم عن العنبري وغيره من شيوخ المعتزلة جواز التقليد في أصول الدين وأنه لا يجب النظر اكتفاء بالعقد الجازم فعليه المعول واتضح ان المرجح صحة ايمان المقلد عند محقق كل طائفة بشرط الجزم وعدم النزول والشك على أنا نقول: المختاران الراجع الى أخبار الرسول والكتاب المنزل والاجماع ليس بمقلد فمن شهد الله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ونهج سبيل المسلمين من فعل

المأمور وترك المحذور ولم يأت بكفر فهو مؤمن وبالله التوفيق . ويؤيد هذا ما أخرجه الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري) فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري (بسند متصل الى أبي حازم عمر بن أحمد العبدى الحافظ انه قال سمعت أبا علي ظاهر بن أحمد السرخسي يقول لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في داري ببغداد دعاني فأتيته فقال اشهد علي اني لا أكفر أحدا من أهل القبلة لان السكل يشيرون الى معبود واحد ونما هذا كله اختلاف عبارات انتهى بلفظه فنسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة

### الباب الثاني في الافعال المخلوقة

- ﴿ وسائر الاشياء غير الذات وغير ما الاسماء والصفات ﴾
- ﴿ مخلوقة لربنا من العدم وذل من أثنى عليها بالقدم ﴾
- ﴿ وربنا يخاف باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾
- ﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وسائر الاشياء ﴾ جمع شيء (غير الذات) المقدسة (وغير ما) زائدة لتأكيد النفي  
 ﴿ الاسماء ﴾ اي غير اسمائه تعالى فانها قديمة كالذات (و) غير (الصفات) الذاتية والخبرية التي ثبتت في الكتاب والسنة والفعالية فكل شيء غير الذات العلية واسماؤها وصفاتها  
 ﴿ مخلوقة لربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ من العدم ﴾ مسبوق به وتبين لك حكمه بتعبير الناطم  
 بسائر لانها بمعنى البقية قال في القاموس والسائر الباقي لا الجمع كما توهم جماعات  
 أو قد يستعمل له ومنه قول الاحوص \* فحلبها لنا لبانة لما \* وقد انوم سائر الحراس \*  
 قال وضاف اعرابي قوما فأمروا الجارية بتطيبه فقال: بطني عطري \* وسائر ذري \*  
 فكل ما سواه سبحانه واسماؤه وصفاته محدث مسبوق بالعدم وهذا المتفق عليه  
 عند سلف الامة وأثبتها من أن الله تعالى خالق كل شيء ورب به ومليكه وأن خالق كل شيء  
 بقدرة ومشيئته وانه ماشاء كان وما لم يشاء لم يكن فهو سبحانه وتعالى

خالق الممكنات المحدثات من الأجسام والاعراض القائمة بالحيوان والجماد والمعادن والنبات وغيرها. وهذا الذي دلت عليه الكتب المنزلة وأخبرت به الرسل المرسله وعليه سلت الامة وأتمتها بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف خلافا لبعض الفلاسفة كأرسطو القائل بقدم العالم وخلافا لديمقراطيس القائل بقدم العلة والنفس والهيولى والحلاء. والدهر قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (جواب المسائل الاسكندرية) قد نقلوا عن أساطين الفلاسفة المتقدمين أنهم كانوا يقولون بحدوث صورة الفلك ولكنهم مضطربون في المادة ومتنازعون فيها نعم أرسطو واتباعه قائلون بقدم صورته قال وليس لهم دليل صحيح على قدم شيء من العالم البتة ولهذا قال ﴿ وَضَلَّ ﴾ عن الصراط المستقيم والنهج البين القويم ﴿ من ﴾ أي أي شخص وكل انسان من كل طائفة من طوائف العالم ﴿ اثنى ﴾ عليها ﴿ أي على سائر الاشياء سوى الذات المقدسة وصفاتها القديمة فسائر ما عدا ذلك كل من اثنى على شيء منها ﴾ بالقدم ﴿ فقد ضل وأضل وقد اخبر الله في محكم الذكر بأنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله قد بمقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بمئتين الف سنة وكان عرشه على الماء» أي مقادير الخلائق التي خلقها في ستة أيام الى أن يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال وما اكتب قل ما هو كائن الى يوم القيامة» فقد بين ان القلم الذي هو أول المخلوقات من هذا العالم انما كتب ما هو كائن الى يوم القيامة وهذا هو التقدير المذكور في قوله قرر مقادير الخلائق. وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم وقد جاء عن الصحابة والتابعين من الآثار والخبار من هذا النهج شيء كثير وفي التوراة ما يوافق الكتاب والسنة من ذكر الماء الذي كان مخلوقا قبل ان يخلق السموات والارض وأن الله خلق السماء من بخار ذلك الماء وذلك البخار هو الدخان المذكور في قوله تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء

وهي دخان فقال لها وللارض اثتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين) والعرش ايضا خلق قبل ذلك كما دل عليه الكتاب والسنة قال شيخ الاسلام في الأجوبة الاسكندرانية قد أخبرت الكتب الإلهية أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام فتلك الايام ليست مقدره بحركة الشمس والقمر فانه فيها خلق الشمس والقمر والافلاك وسواء كانت بقدر هذه الايام أو كان كل يوم بقدر ائف سنة فعلى القولين ليس مقدار هذه حركات ما خلق فيها والحاصل أن الكتب الإلهية والسنة النبوية واجماع المسلمين على أن الله خالق كل شيء فان كل ما سوى الله مخلوق قال شيخ الاسلام وصفائه تعالى ليست خارجه عن معنى اسمه وتقدم قال شيخ الاسلام وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه انه قال «خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وقال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه (اغاثة اللفهان) وشيخه شيخ الاسلام في (شرح الاصبهانية) أول من عرف عنه القول بقدم العالم ارسطو وكان ضالا مشركا يعبد الاصنام يعني المصورات في هياكلهم على صور الكواكب السيارة قال وله في الهيئات كلام كله خطأ قد تعقبه في الرد عليه طوائف المسلمين حتى العجمية والمعتزلة والقدرية والرافضة وفلاسفة الاسلام أنكروه عليه قال ابن القيم قد جاء في كلامه بما يسخر منه العقلاء فانكر أن يكون الله تعالى يعلم شيئا من الموجودات وقرر ذلك بأنه لو علم شيئا لكل بمعلوماته ولم يكن كاملا في نفسه وبأنه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات قال المحقق ابن القيم يسخر به ويهزأ منه: فهذا غاية عقده هذا المعلم والاستاذ وقد حكى عنه ذلك أبو البركات البغدادي فيلسوف الاسلام وبالغ في ابطال هذه الحجج وردّها قال ابن القيم فحقيقة ما كان عليه هذا المعلم لا يتابعه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ودرج على أثره اتباعه من الملاحدة ممن يستر بانبايع الرسل وهو منحل من كل ما جاؤا به قال واتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الانبياء عليهم والسلام ويرون عرض ما جاءت به الانبياء على كلامه فما وافقه منها قبلوه وما خالفه لم يعباؤا به شيئا ويسمونه المعلم الأول لانه أول من



وضع لهم التعاليم المنطقية والمعلم الثاني من الفلاسفة أبو نصر الفارابي الا أنه من فلاسفة الاسلام وهو الذي وضع لهم التعاليم الصوتية ووسع لهم في صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة أرسطو وهذبها وبالغ في ذلك وكان على طريقة سلفه والمعلم الثالث أبو علي بن سينا فإنه بالغ في تهذيب الفلسفة وقربها من شريعة الرسل ودين الاسلام بجهده وغاية ما أمكنه . قال الامام ابن القيم وحسبك جهلا بالله واسمائه وصفاته وأفعاله من يقول أنه سبحانه لو علم الموجودات لحقته الكلال والتعب واستكمل بغيره وحسبك خذلانا وضلالا وعمى السير خلف هؤلاء واحسان الظن بهم وأنهم ذوو العقول وحسبك عجباً من جهلهم وضلالهم ما قالوه في سلسلة الموجودات وصدور العلم عن العقول العشرة والنفوس التسعة الى أن أمهوا صدور ذلك الى واحد من كل جهة لا علم له بما صدر عنه ولا قدرة له عليه ولا ارادة وأنه لم يصدر عنه الا واحد قال ابن القيم وصرح أفلاطون بحدوث العالم كما كان عليه الاساطين وحكى عنه ذلك تلميذه أرسطو وخالفه فيه فزعم أنه قديم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة من المنتسبين الى الملل وغيرهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ليس لارسطو ولا لاتباعه ولا غيرهم حجة واحدة تدل على قدم شيء من العالم أصلاً وقد قدمنا قول شيخ الاسلام وغيره ان أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة هو أرسطو قال شيخ الاسلام وأما الاساطين قبله فلم يكونوا يقولون بقدم صورة الفلك وان كان لهم في المادة أقوال أخرى . والحاصل أن الحق الذي لا ريب فيه ولا شك يعتبر به أن الله تعالى خالق لكل ما سواه فليس معه شيء قديم بقدمه لانفس ولا عقل ولا غيرهما . قال في (اغائة اللفغان) والفلاسفة فرق شتى لا يخصصهم الا الله وأحصى المعتون بمقالات الناس منهم اثني عشرة فرقة مختلفة اختلافاً كثيراً منهم أصحاب الرواق وأصحاب الظلة والمشاؤون وهم شيعة أرسطو وفلسفتهم هي الدائرة اليوم بين الناس وهي التي يحكها ابن سينا والفارابي وابن الخطيب وغيرهم ومنهم الفيثاغورية والافلاطونية قال ولا نجد منهم اثنين متفقين على رأي واحد بل قد تلاعب بهم الشيطان كتلاعب الصبيان بالكرة قال وبالجملة فلاحدهم هم أهل التعطيل المحض فانهم عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع من الصانع وعطلوا

الصانع عن صفات كماله وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه فعطلوه عن مبدئه ومعاده عن فاعله في غايته ثم سرى هذا الداء منهم في الامم وفي فرق المعطلة أولا وآخرا ولهذا قال « وضل من اثني عليها بالقدم فهو لاء » هم الضلال ومن نحنا نحوهم من الفرق الضالة والله على كل شيء قدير

﴿وربنا﴾ تبارك وتعالى ﴿يخلق﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿باختيار﴾ منه فذهب سلف الامة واثمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بعد ان لم تكن سواء كان ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق ﴿من غير حاجة﴾ منه تعالى اليه أي يخلق الخلق لا الحاجة اليه ولا ﴿اضطرار﴾ عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الاجباء والاحواج والالزام والاكره فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكروه له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من ثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعله لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البغية آخر المدرك - ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعله قديما لم يلزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه

فعل لعله حادثة لزم محذوران (أحدهما) ان يكون محالا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادث فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك للعللة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان لعله عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعله والعللة ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) ان تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعلة أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل فهذه الحجج من حجج من ينفى تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

التقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة النانلون بقدم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لانفي بالعللة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لفاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها

ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة البارئ تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من مخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحدانه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باء طلاحكم العلة الغائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التقضين وهو لا المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

التقدير الثالث وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالأمورات لحكمة محدودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كابي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة

في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل لخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الي الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمده لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقه وألم يجده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لالتذاده وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثا في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لاعاجلة ولا آجلة كان عبثا ولم يكن محمودا على هذا وأنتم علمتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقعتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ولا أحد من العقلاء أحدا بالاحسان الى غيره ونحو ذلك الاماله في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكنّه ﴾ تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾ أي ههنا بلا أمر ولا نهي ولا حكمة ومعنى السدى المهمل وابل سدى اذا كانت ترعى حيث شاءت بالاراع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما هو كثير جدا أن الله تبارك وتعالى لا يفعل الا لحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئا ولا قضاه ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر ﴿ فاتبع الهدى ﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته فهو الحكيم التقدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين

والتقيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الإمام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفي ذلك الأشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح إذا فسر بكون الفعل نافعاً للفاعل ملاًماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هولاً وهولاً أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الأفعال التي أوجبها الله تعالى وندب إليها هي نافعة لفاعلها ومصالحة لهم وجميع الأفعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصالحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضاراً للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود إليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل إلا ما عاد إلى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتع لذاته وكل ما يقدر ممكننا من الأفعال فهو حسن إذ لا فرق بالنسبة إليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسناً وقبحاً لا يعود إلى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وإن كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فإنه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني انهما لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجود الصلاح ولهم في الأصاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لاعلى منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والا كثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً قولان وهل يتسلسل الحكم أولاً يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على نبي اسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا للعلم ونظارها ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتغال الافعال على الحكم والمصالح جوارا عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو محال ومن حدودها افتقارها الى علة أخرى وانه يلزم التسلسل قال الامام الرازي وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنع ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالأرادة فانها قديمة ومتعلقها حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وعلا وأقاموا على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في مخيلة الفظين السالم من رتبة تقليد الاساطين أذنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجلب وأجنب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و(مفتاح دار السعادة) وغيرها فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم

ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحساب باطل والله متعال عنه لما فاته لحكمته فقال تعالى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله قوله تعالى (أحسبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون) فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وبعدها عن هذا الحساب وانه متعال عنه فلا يليق به لقبه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال: الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الايجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الاول فلهثبني الحسن والقبح فيه طريقان احدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن والقبح وأربابه يقولون باثباته ويصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد وبنفي ايجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الايجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فلا أقوال أربعة لا مزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف انه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الايجاب والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين (وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلنأس فيه ههنا ثلاث طرق أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا قول المعتزلة وهؤلاء يقولون: يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه.



وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبتته منهم يقولون ان العذاب الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الايجاب والتحريم العقليان غائباً فهنم مصرحون بهما ويفسرون ذلك بالزوم الذي أوجبه حكمته وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كإله وغناه قالوا وهذا في الافعال نظير ما يتولى أهل السنة في الصفات انه يجب له كذا ويمتنع عليه كذا فكما ان ذلك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء، يمكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين التقيضين وبابه فقابلوا المعتزلة أشد مقابلة واقسما طرفي الافراط والتفريط ورد هو لاء الوجوب والتحريم الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحريم عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحریم الظلم على نفسه فانهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين التقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت مالم يحرمه على نفسه ولم يوجبها على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته حكمته وكإله والفرقة الوسطى أثبتت له ما أثبتته لنفسه من الايجاب والتحريم الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كإله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعها بعقولها

كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وماربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون فتيلًا) فأخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزهه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل الا على الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المعطلة امتنعت من اثبات المثل الا على الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في صفاته بالجادات الناقصة بل بالمعدومات وأهل السنة نزهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ونزهوه فيها عن الشبيه والمثال فأثبتوا له المثل الا على ولم يضربوا له الامثال فكانوا أسعد الناس بعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانتة على فعل المأمور كان ظلما وأنه اذا اشترك اثنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الامور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والافكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظلم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا

الحديث به وأسندوا ذلك وقوّوه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأنهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير ملكك بل إنما عذبت من تملك وعلى هذا فيجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وقوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وبما روى عن اياس بن معاوية قال: ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا القدريّة قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء: والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته وأوليائه وأهل طاعته ويخلدهم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار ممتنعا لاخباره أنه لا يفعله لالمنافاة حكمته ولا فرق بين الامرين بالنسبة اليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لارادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون. والتزموا أيضا أنه يجوز أن يعذب الاطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلدهم في الجحيم وربما قالوا وقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معا أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرّمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا واردة هو ما فسر به سلف الامة وأمنها انه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يده ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها اذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو موثق فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين التقيضين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلما وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه ان عذبهم فأنهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يستل عما يفعل

وان قضاءه فيهم عدل وبمناظرة اياس للقدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حق  
يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل  
على أنه يجوز عليه تعالى ان يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير  
جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة  
وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه  
ووضعه العقوبة والثواب مواضعها وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي  
ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا  
ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعذيباً لحقه  
عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله  
عليه وسلم «لن ينجي أحداً منكم عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا ان  
يتغمدني الله برحمته منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمن لها فانها  
خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم»  
فجمع بين الأمرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالم لهم  
وانه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمته خير لهم من أعمالهم  
فظاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل  
منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لانسبة لها الى نعمة من نعم الله  
عليه فتبقى سائر النعم تنقضاء شكراً والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع  
عباده تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة  
الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لان  
حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله  
لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم

﴿ أفعالنا مخلوقة لله لكنها كسب لنا يا الهي ﴾

﴿ وكل ما يفعله العباد من طاعة أو ضدها مراد ﴾

﴿ لربنا من غير ما اضطرار منه لنا فافهم ولا تمار ﴾

﴿ أفعالنا ﴾ معشر الخلق جميعها خيرها وشرها كبيرها وصغيرها ﴿ مخلوقة ﴾ ومصنوعة ﴿ لله ﴾ تعالى خلقها وأوجدتها كما قال تعالى ( ذلكم الله ربكم خالق كل شيء - وخلق كل شيء - وهو بكل شيء عليم - والله خلقكم وما تعملون ) وكقوله تعالى ( لا إله الا هو خالق كل شيء - فاعبدوه - و - هل من خالق غير الله ) قال العلماء اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله لا سواه وان الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد وبين ما لا يتعلق بها فهي مقدورة بقدرة الله اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر واليه الاشارة بقوله ﴿ لكننا ﴾ أي أفعالنا التي تصدر عنا في بادى الرأي ﴿ كسب لنا ﴾ معشر الخلق والكسب في اصطلاح المتكلمين ما وقع من الفاعل مقارنة لقدرة محدثة واختيار وقيل هو ما وجد بقدرة محدثة في المكتسب وقال العلامة ابن حمدان من علمائنا الكسب هو ما خلقه الله في محل قدرة المكتسب على وفق ارادته في كسبه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في (شرح الاصفهانية) فسر والكسب بما قارن القدرة المحدثة في محلها وبمجرد المقارنة لا يميز القدرة عن غيرها فان الفعل يقارن العلم والارادة وغير ذلك قالوا والقدرة هي التمكن من التصرف وقيل سلامة البنية . وقال القاضي الامام من علمائنا خلق الشيء . بقوله ( كن ) وهو قائم بالله غير بائن منه ومراده . وقال شيخ الاسلام بن تيمية روح الله روحه فيما كتبه على حسن ارادة الله تعالى : الكسب عند القائل به عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه وقوله ﴿ بالاهي ﴾ تكملة للبيت بالاتيان بالقافية واشارة الى الحث على المبادرة الى الدأب في الطاعة وعدم الخلود الى الراحة وقلب القلب عن الله واللعب يقال لها لها لهما لعب كالتهى وألهاه ذلك والملاهي آله قال النسفي في عقائده كغيره من علماء السنة : وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ان كانت طاعة ويماقبون عليها ان كانت معصية لا كما زعمت الجبرية انه لا فعل للعبد أصلاً وان حر كانه بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة عليها ولا قصد ولا اختيار وهذا باطل لانا لانفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة

الارتعاش ونعلم ان الاول باختياره دون الثاني ولانه لو لم يكن للعبد فعل أصلا لما صح تكليف ولا يترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله ولا اسناد الافعال التي تقتضي سابقة القصد والاختيار اليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب بخلاف مثل طال واسود لونه والنصوص القطعية تنفي ذلك كقوله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) فمن شاء فليؤم من ومن شاء فليكفر (الى غير ذلك) قال المحقق السعد التفتازاني فان قيل بعد تعميم علم الله تعالى وارادته: الجبر لازم قطعاً لانهما اما ان يتعلق بوجود الفعل فيجب أو بعده فيمتنع: قلنا يعلم ويريد ان العبد يفعله أو يتركه باختياره فلا اشكال فان قيل: فيكون فعله الاختياري واجباً أو ممتنعاً وهذا ينافي الاختيار قلنا ممنوع فان الوجوب بالاختيار محقق للاختيار لا مناف وأيضاً منقوض بأفعال الباري تعالى فان قيل: لا معنى لكون العبد فاعلاً بالاختيار الا تونه موجداً لافعاله بالقصد والارادة وقد سبق ان الله تعالى مستقل بخلق الافعال وإيجادها ومعلوم ان المقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين مستقلتين قال التفتازاني: قلنا لا كلام في قوة هذا الكلام وماتته الا انه لما ثبت بالبرهان ان الخالق هو الله تعالى وبالضرورة ان لقدرة العبد وارادته مدخلاً في بعض الافعال كحركة البطش دون البعض كحركة الارتعاش احتجنا في التفصي عن هذا المضيق الى القول بان الله تعالى خالق والعبد كاسب وإيجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين لكن بجهتين مختلفتين فان الفعل مقدور الله بجهة اليجاد ومقدور العبد بجهة الكسب وهذا القدر من المعنى الضروري وان لم تقدر على أزيد من ذلك في تلخيص العبارة المفضحة عن تحقيق كون العبد بخلق الله تعالى وإجاده مع ما للعبد من القدرة والاختيار ومن جملة ما له في الفرق بين الكسب والخلق ان الكسب وقع بألة والخلق لا بألة والكسب لا يصح انفراد القادر به والخلق يصح فان قيل: قد أثبت ما نسبتم الى المعتزلة من اثبات الشركة قلنا الشركة ان يجتمع اثنان على شيء وينفرد كل منهما بما هو له دون الآخر كشركاء القرية والحلقة كما اذا جعل العبد خالقاً لافعاله والصانع خالقاً لسائر الاعراض والاجسام بخلاف ما اذا أضيف أمر الى شيئين بجهتين مختلفتين كالارض تكون ملكاً لله تعالى بجهة التخليق وللعباد بجهة

ثبوت التصرف وكفعل العبد ينسب الى الله تعالى بجهة الخلق والى العبد بجهة الكسب فان قيل فكيف كان كسب القبيح قبيحا سفها موجبا لاستحقاق الذم بخلاف خنقه قلنا لانه قد ثبت ان الخالق حكيم لا يخلق شيئا الا وله عاقبة حميدة وان لم نطلع عليها فجزمنا بان ما نستقبه من الافعال قد يكون له فيها حكم ومصالح كما في خلق الاجسام الحيثة الضارة المؤلمة بخلاف الكسب فانه قد يفعل الحسن وقد يفعل القبيح فجعلنا كسبه للقبيح مع ورود النهي عنه قبيحا سفها موجبا لاستحقاق الذم والعقاب ﴿وكل ما﴾ أي فعل أو الذي ﴿يفعله العباد من طاعة﴾ وهي ما تكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الاجل ﴿أو﴾ أي وكل ما يفعلونه من ﴿ضدها﴾ أي ضد الطاعة وهي المعصية يعني ما فيه ذم في العاجل والعقاب أو اللوم في الاجل ﴿مراد لربنا﴾ تعالى أي داخل تحت ارادته ومشئته فالله تعالى خالق كل شيء ور به ومليكه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير وهو تعالى يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ومع كونه تعالى خالق كل شيء ور به ومليكه فرق بين المخلوقات وميز بين أعيانها وأفعالها كما قال (أفجعل المسلمين كالمجرمين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات) الى غير ذلك من الآيات مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق الى شقي وسعيد كما قال تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وقال تعالى (فريقا هادي وفريقا حاق عليهم الضلالة) ونظائر هذا في القرآن كثير ﴿من غير ما﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿اضطارا﴾ افعال من الضر وأصله مضطر (١) فأدغمت الراء وقلبت التاء طاء لاجل الضاد أي من غير إيجاب وجبر واكراه فالخلق سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار وصرفه في ماشاء من توبة وأصرار وحوبة واستغفار وثنى عنانه الى مراد انه بقوة اقتدار من

(١) هذا أصل كلمة مضطر لا كلمة اضطرار اذ ليس في هذه الاقلب التاء طاء

غيرا كراه ولا اجبار ولا اضطهاد ولا اضطرار بل خلق له قدرة ونوع اختيار فيفعل الفعل ويوقعه باذن القادر الجبار وقوله ﴿منه﴾ أي من غير اضطرار من الله تعالى ﴿لنا﴾ معشر العباد بل خلق فينا قدرة وأقدرنا على ايقاع أفعالنا بالاذن منه والتمكين لنا من التوصل الى امثال الأوامر والانكفاف عن مواقع الزواجر فلقدرة العبد تأثير في ايجاد فعله لا بالاستقلال والاستبداد بل بالاعانة والاذن والتمكين (٢) من الفاعل المختار الجواد ﴿فافهم﴾ فهم إذعان وتحقيق وتحرير وتدقيق يقال فهم الشيء اذا علمه وعرفه بقلبه ﴿ولا تماري﴾ في علمك ولا تجاري (٣) في فهمك بل كن مع الحق حيث كان ولا تغتر بنحاة الافهام وزباله الاذهان فمأمم الا النص الصريح والنقل الصحيح دون المحال وما بعد الحق الا الضلال فلا تكن إمعة في هذا الباب وتخذ الى الدعة فيحقيق بك العذاب والمرء الجدال والمراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة ممرارة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الخالب اللبن من الضرع وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال المرء في القرآن كفر» ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال في النهاية قيل أراد المرء والجدال في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه من المعاني على مذهب أهل الكلام وأصحاب الأهواء والآراء دون ما تضمنته من الاحكام وأبواب الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلماء وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة (٤) وروى أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وحسنه الترمذي من حديث أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك المرء وهو مبطل نبي له بيت في ررض الجنة ومن ترك وهو محق نبي له في وسطها ومن حسن خلقه نبي له في

(٢) علمها التمكين لا التمكين (٣) هكذا أثبت الياء في الاصل وهو غلط

(٤) ان مذاكرات الصحابة ومراجعاتهم في الفهم لم تكن مرءا وكانوا يطلقون لفظ المرء على الجدال لتأييد الرأي واتباع الهوى (مصححه)



أعلاها» ورواها الطبراني في الاوسط من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وهو مازح وبيت في أعلا الجنة لمن حسنت سيرته» وربض الجنة بفتح الراء والباء الموحدة وبالضاد المعجمة ما حولها

وهذا المقام زلت فيه أقدام وضلت فيه طوائف من أهل الكلام والتصوف وصاروا الى ما هو شر من قول المعتزلة ونحوهم وحاصل ذلك ان الناس اتسموا الى طرفي تفریط وافراط ووسط أما المفرطون فالقدرية يعظمون الأمر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا انهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة تامة وخلقا متاولا لكل شيء لزم من ذلك القدح في عدل الرب تعالى وحكمته وغلطوا في ذلك والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة وعندهم ان الله تعالى ما أحدث هذا ولا هذا بل أمر بالطاعة ونهى عن المعصية وليس عندهم لله تعالى نعمة على عباده المؤمنين في الدين الا وقد أنعم بمثلها على الكفار فعندهم ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأباهب مستويان في نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير ان يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير ان يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله تعالى حجب الايمان الى الكفار كأبي لهب وأمثلة كما حبه للمؤمنين كما حبه للمؤمنين كعلي رضي الله عنه وأمثلة وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان اليهما بالسواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه: من توهم منهم أو من نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقولوه فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كتناهما فعله بقدرته تحصل له من غير ان يخصه الله تعالى بارادة خلقها فيه تختص باحدهما ولا قوة جعلها فيه تختص باحدهما فمن احتج منهم بقوله

تعالى «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» على مذهبهم كان جاهلا بمذهبه وكانت الآية الكريمة حجة عليهم لانه تعالى قال «قل كل من عند الله» وعندهم ليس الحسنات المفعولة ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد والله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية الكريمة ردا على من يقول الحسنة من الله والسيئة من العبد قال ولم يقل أحد من الناس ان الحسنة المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية وأثبتت القدرية من المعتزلة ونحوهم ما في الحيوان من القدرة والاختيار والافعال دون سائر القوى والطباع والافعال التي فيه أوفي غيره من الاجسام وغلوا في أفعال الحيوان حتى جعلوها تحدث بلا سبب محدث لها كما زعمه الفلاسفة في الحركة الفلكية وجعل أكثرهم ما يحدث بسبب منه ومن غيره فعلا يسمونها الافعال المتولدة كالشبع عن الاكل والري عن الشرب وخروج السهم عن النزع وحصول الموت عن الضرب ونحو ذلك وهوؤلاء القدرية تارة يثبتون حادثا بلا محدث وممكننا يرجح وجوده على عدمه بلا مرجح كحدوث فعل الحيوان وتارة يضيفون الحادث الى بعض أسبابه دون سائر أسبابه كإضافة المتولدات الى فعل الانسان دون غيره وتارة ينكرون الاسباب كأنكارهم ما في الاجسام من القوة الطبيعية غير الارادية والاسباب ثابتة وهي حادثة باحداث الله تعالى وهي مفتقرة الى أسباب آخر ولها موانع وهوؤلاء ينفون بعضها ويجعلون بعضها حادثا بغير احداث الله تعالى ويجعلون ذلك المحدث مستقلا لا يفتقر الى مشارك قال شيخ الاسلام قدس الله روحه: وقول هؤلاء القدرية شر من قول الجبرية من بعض الوجوه فان قول الجبرية كما يأتي يتضمن ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح وحدوث الجوادث بلا سبب أصلا وقول القدرية يتضمن ذلك ويزيد عليه بأنه يتضمن حدوث جميع الجوادث بلا محدث أصلا ويتضمن اضافة فهم الجوادث الى ما لا يعلم ثبوته بل يعلم انتفاؤه من الاسباب ويتضمن أنهم يجعلون السبب مستقلا بالاحداث مع افتقاره الى شريك يعاونه وموانع يعارضه وافتقاره الى محدث يحدثه فلا يثبتون لا محدثه ولا شريكه ولا مانعه بل يضيفون الى السبب المحدث الذي له شركاء وموانع وحصول

الآثر به موقوف على فعل الله تعالى فيضيفون إليه مع هذا ما هو مخلوق للرب الذي لا شريك له ولا رب سواه ولهذا كان إلحاد هؤلاء ظاهراً عند أهل الملة بخلاف الأولين فانهم معدودون من أهل البدع قال وهذا المقام من أعظم المقامات التي اضطرب فيها مبتدعة المتكلمين وملاحدة الفلاسفة حتى إن الرجل الواحد يصنف الكتب المتعددة فينصر قول هؤلاء في كتاب كما يقع في كتب الرازي والآمدي وأبي حامد وغيرهم

٥ تنبيهات ❦

(الاول) أول من تكلم في القدر معبد الجبني وكان أولاً يجلس الى الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله وقيل بل أول من تكلم فيه معبد بن عبد الله بن عويمر قال السمعاني وبعض علماء الأشاعرة وغيرهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه شرح الايمان : أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سيسويه من أبناء الجوس وتلقاه عنه معبد الجبني وقال العلامة الطوفي في شرح تائية شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه كان أول من تكلم في القدر بالبصرة سوسن رجل من أبناء الجوس ثم معبد الجبني وأخذ غيلان عن معبد ويقال أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله تعالى فقال آخر لم يقدر الله هذا ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رد عليهم من بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ووائل بن الاسقع رضي الله عنهم وكان أكثره بالبصرة والشام وقليل منه بالحجاز فكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية ولهذا قال وكيم بن الجراح القدرية يقولون الامر مستقبل وان الله لم يقدر الكتابة والاعمال والمرجئة يقولون: القول مجزي عن العمل. والجهمية يقولون المعرفة تجزي عن القول والعمل قال وكيع هو كله كفر قال شيخ الاسلام ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم وانما ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد في انكار الكتاب المتقدم والسعادة روايتان

(الثاني) القدرية فرقتان (الاولى) تنسك ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور ازلا ولم يتقدم علمه بها وانما ياتنفها علما حال وقوعها وكانوا يقولون ان الله امر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعلمه بعد ما فعلوه ولهذا قالوا الامر اُنْف أي مستأنف يقال روض أنف اذا كانت وافية لم ترع قبل ذلك يعني انه مستأنف العمل السعيد والشقي ويبتدي ذلك من غير ان يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب فلا يكون العمل على ما قدر فيحتدى به حذو القدر بل هو امر مستأنف مبتدا والواحد من الناس اذا أراد ان يعمل عملا قدر في نفسه ما يريد عمله ثم يوقعه كما قدر في نفسه وربما أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمى هذا التقدير الذي في النفس خلقا ومنه قول الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفري

يقول اذا قدرت أمرا أمضيته وأنفذته بخلاف غيرك فانه عاجز عن امضاء ما يقدر والرب تعالى اولى قال الله تعالى «انا كل شي خلقناه بقدر» وهو سبحانه يعلم قبل ان يخلق الاشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده واداته تعالى قائمة بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كافي قوله تعالى «لا ملأ من جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين» وقال «ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى» وقال «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون» وان جندنا لهم الغالبون» وقال ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه، ولولا كلمة سبقت من ربك لتضي بينهم فيما هم فيه مختلفون» وهو سبحانه كتب ما يقدره فيما يقدره فيه كما قال تعالى «ألم تر ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير» قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكأن كتابا ثم أنزل تصديق ذلك في هذه الآية وفي الآية الاخرى «ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير» قال العلماء: والمنكرون لهذا انقرضوا وهم الذين كفرهم عليه الامام مالك والامام الشافعي والامام أحمد وغيرهم من الائمة رضي الله عنهم وهم الذين قال فيهم الشافعي ان سلم القدرية العلم

خصصوا يعني يقال لهم أيجوز ان يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا  
 وافقوا أهل السنة وان أجازوا لزمهم نسبة الجهل الى الله تعالى تعالى الله عن ذلك  
 علوا كبيرا وقد قال الامام أحمد رضي الله عنه في قوله تعالى «واذ أخذنا من النبيين  
 ميثاقهم ومنك ومن نوح» هذه حجة على القدرية قال الامام المحقق ابن القيم في  
 (البدائع) أراد القدرية المنكرة للعلم بالاشياء قبل كونها وهم غلاتهم الذين كفرهم  
 السلف والا فلا تعرض فيها لمسئلة خلق الافعال انتهى قال القرطبي قد انقضى  
 هذا المذهب فلا تعرف أحدا ينسب اليه من المتأخرين (الثانية) من فرقي القدرية  
 المقرون بالعلم قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: القدرية اليوم مطبقون على ان  
 الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وأما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد  
 مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من  
 المذهب الاول قال والمتأخرون منهم أنكروا تعلق الارادة بأفعال العباد فرارا من  
 تعلق التقديم بالمحدث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وأما هؤلاء يعني الفرقة  
 الثانية فأنهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك قال وفي هؤلاء خلق كثير  
 من العلماء والعباد كتب عنهم وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من كان  
 داعية لم يخرجوا له وهذا مذهب فقهاء الحديث كالامام أحمد وغيره ومن كان  
 داعية الى بدعة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس وان كان في الباطن  
 مجتهدا فأقل عقوبته ان يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين فلا يؤخذ عنه العلم  
 ولا يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ولهذا لم يخرج أصحاب الصحيح لمن  
 كان داعية ولكن روواهم وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن  
 رأي القدرية والمرجئة والخوارج والشيعة وقال الامام أحمد لو تركنا الرواية عن  
 القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة قال شيخ الاسلام ابن تيمية برد الله مضجعه  
 هذا لأن مسئلة خلق أفعال العباد واردة الكائنات مسئلة مشككة ولهذا القدرية من  
 المعتزلة وغيرهم أخطأوا فيها وقد أخطأ أيضا كثير ممن رد عليهم لأنهم سلكوا  
 في ردهم عليهم مسلك جهنم بن صفوان وأتباعه فنفوا حكمة الله في خلقه وأمره  
 ونفوا رحمته بعباده ونفوا ما جعله سبحانه من الاسباب خلقا وأمرنا وغير ذلك

وهؤلاء القدرية فرطوا غاية التفريط بحيث أنهم نفوا ان يكون الله تعالى خالقاً لأفعال عباده فأثبتوا خالقاً غيره مستقلاً بالخلق والامر دونه تعالى الله عن ذلك وباللّه التوفيق

(الثالث) في بعض ما ورد في ذم القدرية من الآثار والاعبار وما رده عليهم من الصحابة الاخبار والأئمة الابرار روى مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجبني فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخل المسجد فاكثفته أنا وصاحبي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام اليّ فقلت أبا عبد الرحمن أنه قد ظهر قبلنا ناس يقولون القرآن ويتفقدون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون ان لا قدر وان الامر أنف فقال اذا لقيت أولئك فأخبرهم اني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل أحد ذهباً فانفقته ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم ساق حديث جبريل عليه السلام وفيه «وتؤمن بالقدر خيره وشره - زاد في رواية - وحلوه ومره» الحديث وفي رواية أبي داود عن يحيى بن يعمر وحמיד بن عبد الرحمن قالوا لقينا ابن عمر فذكرنا له القدر وما يقولون فيه فذكرنا نحوه وزاد قال وسأله رجل من مزينة أو جهينة فقال يا رسول الله فيم نعمل؟ في شيء؟ خلا ومضى أو شيء؟ مستأنف؟ قال «في شيء؟ خلا ومضى» فقال الرجل أو بعض القوم فقيم العمل قال «ان أهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وان أهل النار ميسرون لعمل أهل النار» وعند أبي داود أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأصله في الصحيحين وفيه قال يا محمد اخبرني عن الايمان قال «أن تؤمن بالله والملائكة والكتب والنبين وتؤمن بالقدر» قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم» قال صدقت وأخرج الترمذي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن من عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله الا الله

واني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموث ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر» وفي صحيح مسلم عن أبي الاسود الدؤلي قال قال لي عمران بن حصين رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ويثبت الحجة عليهم؛ فقلت بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم قال فقال فلا يكون ظلماً؟ قال ففزعنا من ذلك فرعاشديداً وقلت كل شيء خلق الله وملك الله فلا يستل عما يفعل وهم يستلون فقال رحمك الله اني لم أرد بما سألتك الا لأحزر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون بما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؛ فقال «لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ( ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) وفي أواسط الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى» وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «القدر سر الله» وفي الجامع الكبير عن الحارث قال جاء رجل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال طريق مظلم لا تسلكه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال بحر عميق لا تلجه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال سر الله خفي عليك فلا تفشه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر وساق الكلام في جواب السائل الى ان قال أيها السائل تقول لاحول ولا قوة الا بالله؟ قال الا بالله العلي العظيم قال أفتعلم ما في تفسيرها قال تعلمني مما علمك الله يا أمير المؤمنين قال ان تفسيرها لا يقدر على طاعة الله ولا تكون له قوة في معصية الله في الامر من جميعا الا بالله أيها السائل ألك مع الله مشيئة أو فوق الله مشيئة أو دون الله مشيئة فان قلت ان لك دون الله مشيئة اكتفيت بها عن مشيئة الله وان زعمت ان لك فوق الله مشيئة فقد ادعيت ان قوتك ومشيتك غالبتان على قوة الله ومشيتته وان زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد ادعيت مع الله شركاء في مشيئته: الاثر المروي بطوله

والاخبار والآثار في هذا الباب كثيرة جدا  
واما ذم القدرية فقد اخرج أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه عن أبي  
عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
« القدرية مجوس هذه الامة » رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم قال الحافظ  
ابن حجر ورجاله من رجال الصحيحين لكن ذكر الحافظ المنذري ان في سننه  
انقطاعا وقد أجاب عنه بان أبا الحسن بن القطان القاسبي الحافظ صحح سننه  
وقال ان أبا حازم عاصر ابن عمر وكان معه بالمدينة ومسلم يكتبني في الاتصال  
بالمعاصرة فهو صحيح على شرط مسلم قلت وقد اخرج الحديث الامام الحافظ ابن  
الجوزي في كتابه الموضوعات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لكل أمة مجوسا ومجوس هذه الامة القدرية  
فلا تعودوهم اذا مرضوا ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا » رواه ابن عدي وحكم عليه  
بالوضع ونعقبه الجلال السيوطي بأن جعفر بن الحارث الذي أعله به قد وثقه ابن عدي  
فقال لم أر في أحاديثه حديثا منكر ارجوا انه لا بأس به وقال البخاري حفظه  
سيء يكتب حديثه والحديث ورد بهذا اللفظ من حديث حذيفة أخرجه أبو داود  
وجابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجه وعبد الله بن عمر أخرجه الامام أحمد والبخاري  
في تاريخه والطبراني في الاوسط واللالكائي في السنة باسانيد بعضها على شرط  
الصحيح وسهل بن عبد الله أخرجه الطبراني في الاوسط واللالكائي أيضا وأنس  
أخرجه الطبراني وابن عباس أخرجه اللالكائي وورد عن عمر موقوفا أخرجه  
اللالكائي واقول قد روى الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه والحاكم  
وقال صحيح الاسناد قال الحافظ المنذري ولا أعرف له علة عن أم المؤمنين  
عائشة الصديقة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ستة لعنهم  
ولعنهم كل نبي مجاب الزائد في كتاب الله عز وجل والمكذب بقدر الله والمتسلط  
على أمي بالجبروت لينزل من أعز الله ويعز من اذل الله والمستحل حرمة الله  
والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك للسنة » وفي حديث أبي هريرة رضي الله  
عنه مرفوعا « تكونون قدرية ثم تكونون زنادقة ثم تكونون مجوسا وان لكل



أمة مجوسا وان مجوس أمي المكذبة بانقدر فان مرضوا فلا تعودهم وان ماتوا  
فلا تشهدهم ولا تدعوا لهم جنازة» قال الخطابي انما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم  
مذهب المجوس في قولهم بالاصلين وهما النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل  
النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك اتقدر به يضيفون الخير الى  
الله والشر الى غيره والله تعالى خالق الامرين معا وكذا قال ابن الاثير في جامع  
الاصول القدرية في اجماع أهل السنة والجماعة هم الذين يقولون ان الخير من الله  
والشر من الانسان وان الله لا يريد افعال العصاة وسموا بذلك لانهم اثبتوا للعبد  
قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ونفوا ان تكون  
الاشياء بقدر الله وقضائه قال وهؤلاء مع ضاللتهم يضيفون الاسم الى مخالفتهم  
من أهل الهدى فيقولون انهم القدرية حين يعملون الاشياء جارية بقدر من الله  
وانكم أولى بهذا الاسم منا ولانكم تثبتون القدر ونحن نفيه ومثبته أحق بالنسبة  
اليه من نافية فانتم الداخلون تحت وعيد الحديث دوننا فأجابهم المثبتون بانكم  
أولى بذلك لانكم تثبتون القدر لانفسكم ونحن نفيه عن أنفسنا ومثبت الشيء لنفسه  
أولى بالنسبة اليه ممن نفيه عن نفسه وأيضا هذا الحديث يبطل ما قالوه فإنه قال صلى الله  
عليه وسلم «القدرية مجوس هذه الامة» ومعنى ذلك انهم لمشابهتهم المجوس في مذهبهم  
وقولهم بالاصلين وهما النور والظلمة وتقدم كلام شيخ الاسلام فلا يهمل وبالله التوفيق

\*\*\*

وأما المفرطون فالجبرية وهم الذين يزعمون انه لا فعل لامبد أصلا وان حركته  
بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار فاثبتوا ان الله تعالى خالق  
كل شيء وربه ومليكه وهذا جيد لكن نفوا تأثير الاسباب والحكم في الجماد والحيوان  
وانكروا ان يكون للحيوان من الانسان أو غيره فعل يفعل به بقدرته وحقيقته قول  
هؤلاء ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا سبب أصلا  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه قابل القدرية قوم من العلماء والعباد  
وأهل الكلام والتصوف فاثبتوا القدر و آمنوا بان الله خالق كل شيء وربه ومليكه  
وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وهذا حسن لكنهم قصرُوا في الامر والنهي

والوعد والوعيد وأفرطوا حتى غلبهم الامر الى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين  
 الذين قالوا « لو شاء الله ما أشركنا ولا أبأونا ولا حرمننا من شيء » قال فأولئك  
 القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث أنهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شرا  
 غير الله سبحانه فهو لا، شابهوا المشركين الذين قالوا « لو شاء الله ما أشركنا ولا  
 أبأونا ولا حرمننا من شيء » فالمشركون شر من المجوس لان المجوس يقرون بالجزية  
 باتفاق المسلمين حتى ذهب بعض العلماء الى حل نسايتهم وطعامهم وأما المشركون  
 فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسايتهم ومذهب الامام أحمد في المشهور عنه  
 والشافعي وغيرهما أنهم لا يقرون بالجزية فجمهور العلماء على ان مشركي العرب لا يقرون  
 بالجزية والمقصود ان من أثبت القدر واحتج على ابطال الامر والنهي فهو شر من  
 أثبت الامر والنهي ولم يثبت القدر قال شيخ الاسلام وهذا متفق عليه بين المسلمين  
 وغيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية  
 العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحذور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة  
 وأهل العصية لم يؤمن بأحد من الرسل ولا شيء من الكتب وكان عنده آدم  
 وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاولون وكفار  
 مكة سواء وهذا الضلال قد كثرت في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة  
 ولا سيما اذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير اثبات  
 المحبة والبغض والرضى والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية وأما  
 الالهية فهي عندهم القدرة على الاختراع وعندهم مجرد الاقرار بان الله رب كل  
 شيء كاف لا يدعون التحقيق والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان  
 صاحب هذا المقام لا يستحسن حسنه ولا يستقبح سيئته لشهوده الربوبية العامة  
 والقيومية الشاملة وهذا الموضوع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول  
 ولا قوة الا بالله وغاية توحيد هؤلاء توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام  
 الذين قال الله تعالى فيهم « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون » سيقولون لله  
 قل أفلا تذكرون « الآيات ونحوها فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأن الله خالق  
 السموات والارض ويده ملكوت كل شيء وكانوا مقرين بالقدر وهو معروف عنهم في

النظر والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرًّا من اليهود والنصارى فمن كان غاية توحيدهم ومنتهى تحقيقه هذا التوحيد كان توحيدهم من توحيد المشركين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحم الله روحه وهذا المقام مقام وأي مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وبدل فيه دين الإسلام والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على من يدعي نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله أن المعتزلة والشيعية والتقديرية المبتدئين للأمر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوي بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والذبي الصادق والمنتبي الكاذب وأولياء الله وأعدائه بل هم أحق من المعتزلة بالذم كما قال الامام أبو محمد الخلال في كتاب السنة عن المروزي قال قلت لابي عبد الله يعني الامام أحمد رضي الله عنه رجل يقول ان الله أجبر العباد على المعاصي فقال هكذا لا تقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وأنكر سفيان والثوري أيضاً على من قال جبر وقال ان الله جبل العباد وقال المروزي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس يعني قوله «ان فيك لخلقين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة» فقال اخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال «الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما» وذكر عن أبي اسحاق الفزاري قال قال لي الازاعي اتاني رجلان فسألاني عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبيهما قلت رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتاني الازاعي ومعه الرجلان فقال تكلمما فقال أقدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر ونازعناهم حتى بلغ بنا وبهم الجواب الى ان الله تعالى جبرنا على ما نانا عنه وحال بيننا وبين ما أمرنا به وورزقنا ما حرم علينا فقلت يا هؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به قد ابتدعوا بدعة واحدة حدثا وإني أراكم قد خرجتم من البدعة الى مثل ما خرجوا اليه فقال يعني الازاعي أصبت واحسنت يا أبا اسحق وذكر الخلال عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدي والازاعي عن الجبر فقال الزبيدي أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويحيل عبده على ما أحب وقال الازاعي ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة فأهاب أن أقول ذلك

ولكن القضاء والقدر والخلق والجليل فهذا يعرف في القرآن والحديث قال شيخ الاسلام ادخل الخلال وغيره من علماء الاسلام القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتاج به على المعاصي ويدخل في ذم أهل العلم من يحتاج بالقدر على اسقاط الأمر والنهي أعظم ممن يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم قال شيخ الاسلام ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروي في ذلك حديث مرفوع قلت وهو ما روي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا «ان الله لعن أربعة على لسان سبعين نبيا - قلنا من هم يارسول الله قال «القدرية والجهمية والمرجئة والروافض» الحديث وفيه قلنا يارسول الله ما المرجئة قال الذين يقولون الايمان قول بلا عمل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا «المرجئة والقدرية والروافض والخوارج يسلب منهم ربع التوحيد فسيلقون الله كفارا خالد بن مخدب في النار» أخرجه ابن حبان وقال فيه محمد بن يحيى بن رزين دجال يضع الحديث وذكره ابن الجوزي في الموضوعات لان كلا من هاتين البدعتين تفسد الأمر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم والقدرية يعني الجبرية ان احتج بالقدر كان عوناً للمرجئ وإن كذب به أي بالقدر كان هو والمرجئ متقابلين هذا يبلغ في التشديد حتى يجعل العبد لا يستعين بالله على فعل ما أمره به وترك ما نهى عنه وهو لاء القدرية حقيقة وهذا يعني المرجئ يبلغ في الناحية الاخرى ومن المعلوم ان الله تعالى ارسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت وتطاع فيما أمرت كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للأمر فقد اذهب الاصل قال شيخ الاسلام ومعلوم انه من أسقط الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هو لاء قولهم متناقض لا يمكن أحد منهم ان يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والا فليس هو حجة لأحد فاذا

ظلم الانسان ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله وأفسد عياله فمضى لأمه أو ذمه أو طلب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر قال ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا من الكفر الذي لا يرضاه أحد بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع وقال تلميذه المحقق ابن القيم في كتابه (شرح منازل السائرين) مشهد أصحاب الجبر وهم الذين يشهدون أنهم مجبرون على أفعالهم وانها واقعة بغير قدرتهم واختيارهم بل لا يشهدون انها أفعالهم البتة ويقولون ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر وان الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه وانه آلة محضة وحر كانه بمنزلة هبوب الرياح وحركات الاشجار وهؤلاء اذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه وقد يغفلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرا وشرها موافقتها المشيئة والقدر ويقولون كما ان موافقة الامر طاعة فموافقة المشيئة طاعة كما حكى تعالى عن المشركين اخوانهم انهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلا على أمره بها ورضاه بها قال وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشد عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه حتى ان من هؤلاء من يعتذر عن ابليس لعنه الله ويتوجع له ويقيم عذره بجهده وينسب ربه الى ظلمه بلسان الحال واقال ويقول ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وارانته منه ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه وهل كان في ترك سجوده لغيرك الا محسنا ولكن

اذا كان المحب قليل حظ فما حسناته الا ذنوب

قال ابراهيم القيم رحمه الله وهؤلاء أعداء الله حقا وأولياء ابليس وأحبابه واخوانه واذا ناح منهم نائح على ابليس رأيت من البكاء والحنين أمرا عجبا ورأيت من تظلم الاقذار وآهام الجبار ما يسدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه قال فهؤلاء الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته وتدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طرا فرقة القدرية يعني الجبرية وتقدم ان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه قال ان بدعة

القدرية النفاة كانت في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم قال وأما بدعة هؤلاء المحتجين بالقدر فلم يعرف لها امام ولم تعرف به طائفة من طوائف المسلمين معروفة قال وإنما كثر ذلك في المتأخرين وسموا هذا حقيقة وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة ولم يميزوا بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن تحقيق أحوال القلوب كالاخلاص والصبر وبين الحقيقة الكونية القدرية التي نؤمن بها ولا نحتج بها على المعاصي وفيهم من يقول ان المعارف اذا فني في شهود توحيد الربوبية لم يستحسن حسنة ولم يستبج سيئة ويقول بعضهم من شهد الارادة سقط عنه الامر والنهي ويقول بعضهم ان الخضر عليه السلام انما سقط عنه التكليف لانه شهد الارادة الى غير ذلك من كلامهم والحاصل ان هذه المقالة من أشنع المقالات وأفظع البدع المحدثات والمحتج بقدر الله على معاصي الله تعالى زنديق وخارج عن سواء السبيل وعادم التحقيق ومارق من الدين ومباين التوفيق والباري جل شأنه قد أرسل الرسل قاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وفي الاحتجاج على المعاصي بالقدر انعكاس ماجاءت به الرسل من تعظيم النهي والامر والله التوفيق

\*\*\*

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا في تعطيل القدرية النفاة ولم يفرطوا في افرات الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله وهؤلاء على مذهب ابن مذهب الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل السنة كافة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون ان الله تعالى فعل عندها لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري ان الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكنه الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسبا للعبد لكن يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد موثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلائي من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته حركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة موثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجذما ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا؟ انكارا لان يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس الامشيئة محضة لاختصاصها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح

ومذهب سلف الامة واثمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بمبادل عليه الشرع والعقل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع أنه خالق السبب فلا بد أن يسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر وبزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الأعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينها تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (هذا من عمل الشيطان) وقال (وما لسانه الا الشيطان) مع قوله (كل من عند الله) وأخبر ان العباد يفعلون ويصنعون يعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون وينقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان أمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وان الله تعالى خالق الاشياء بالاسباب وان الله تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فاعله خالق فعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث افعال الملائكة والجن والانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الأقدمين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول



ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققى أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته و فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى « وما تشاؤون الا ان يشاء الله » فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطباع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى « فأزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات » وقال « فأحيا به الارض بعد موتها » وقال « يهدي به كثيرا » وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطباع للحيوان وغيره كما قال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال « هو أشد منهم قوة » وقال في الجادات « واخرجت الارض أنثاقها » وقال « واهترزت ورببت وأنبتت من كل زوج بهيج » وقال « ندمر كل شيء بأمر ربها » وقال « وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلي ماءك وياسماء أقلمي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي » وقال تعالى « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه » وهذا في القرآن كثير جدا وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا ما نصه : ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدره الله من غير فرق بين ما تعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق . قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام

الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان اصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولاً عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه: اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطراباً عظيماً واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاماً فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور قلت الذي قاله الامام في النظامية اقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين: قد ثرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومشيئهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتولوا أي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اليبس المصنف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما ينط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعدتيم وعصيتم وأيتيم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس على الله حجة وأحاط بذلك كله ثم استرأب في ان أفعال العباد واقعة على حسب

ايتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصائب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طوب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولاً وعرضاً وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف وتقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورمات الضلال ولا سبيل الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرته القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرته الله استقل بها ويسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرته الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالباً بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكاً لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذا المتلطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان قائلنا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الا كتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكنسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهر با— ثم قال يعني امام الحرمين— فنقول قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقذور بالقدرة الحادثة

واقع بها قطعاً لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديره وخلقا فانه وقع بقدره الله وهو القدرة وليست القدرة فعلاً للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخالق له فاذا كان موقع الفعل خلقاً لله فالواقع به مضاف خلقاً الى الله تعالى وتقديره وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيئاً آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهدت الى هذه الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهياً اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحسنة وخيرة وأرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاخترهم واتصافهم بالأقدار والقدرة خلق الله ابتداءً ومقدروها مضاف اليه مشيئة وعلماً وقضياً وخلقاً وفعلاً من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولولم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هياً أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب بمأمور منهي وفعله تقدير الله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلاً شرعياً يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزوه الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا عطاء دونه ولا مرأ فيه لمن رعاه حق رعايته (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا انه عصي فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحماً لربه في التدبير موقعا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كره؟ الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير

في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرة اذا شاء الله ذلك وممكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المنقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه و اضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأيبده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا ووصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الأشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لانه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والواقع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان الكسب عند الأشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته

الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الأشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على انه أي الأشعري انما نفي الاستقلال لاصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للأشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولوسلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للبعد قدرة الابطمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للبعد قدرة مؤثرة بتمكن الله لاستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محققي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق

ثم أشار في النظم الى مسألة عظيمة مبنية على ان أفعال الباري لا تعمل فقال

﴿ وجاز للمولى يعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم جرى ﴾

﴿ فكل ما منه تعالى يجمل لأنه عن فعله لا يستل ﴾

﴿ فان يشب فانه من فضله وان يعذب فبمحض عدله ﴾

﴿ فلم يجب عليه فعل الاصلاح ولا الصلاح ويح من لم يفعل ﴾  
 ﴿ فكل من شاء هداه يهتدي وان يرد ضلال عبد يعتد ﴾

﴿ وجاز للمولى ﴾ جل وعلا قال في النهاية المولى اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعق والمنعم عليه وأكثرها قد جاءت في الحديث فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه والمراد به هنا رب العالمين وإنما اختير هنا المولى دون غيره من سائر الاسماء لمناسبة المقام ﴿ يعذب الورى ﴾ كفتى الخلق والمراد به هنا ذوو العقول الحيوان من كل جسم نام متحرك بالارادة أو على عمومها واردة الاول أولى بدليل قوله ﴿ من غير ما ﴾ زائدة لمزيد تأكيد النفي أي من غير ﴿ ذنب ﴾ أي أم ﴿ ولا جرم ﴾ وهو بمعنى ما قبله قال في النهاية الجرم الذنب وقد جرم واجترم وتجرم انتهى وفي القاموس الجرم بالضم الذنب كالجريمة والجمع اجرام وجروم وإنما حسن عطفه عليه في هذا المحل لتقصد البيان والايضاح والتعريف لشبهه بالخطابة ﴿ جرى ﴾ من العبد ولا صدر عنه ولا تمادى عليه فيجوز عليه تعالى عقلا ان يثيب العاصي وان يعاقب الطائع لولا ما أخبر به من إثابة المطيع فلا يجب عليه واحد من الامرين ﴿ فكل ما ﴾ أي شيء ﴿ منه تعالى ﴾ من اثابة وعقوبة وخلق خير وشر ﴿ يجمل ﴾ أي يحسن قال في القاموس الجمال الحسن في الخلق والخلق يقال جمل ككرم فهو جميل كأمر وغراب ورمان وفي النهاية الجمال يقع على الصور والمعاني ومنه ان الله تعالى جميل يحب الجمال أي حسن الافعال كامل الاوصاف فكل ما يصدر عن البارئ جل شأنه من الامر والخلق بالنسبة اليه حسن جميل حتى اثابة العاصي وعقوبة المطيع ﴿ لانه ﴾ تعالى ﴿ عن فعله ﴾ الذي يصدر عنه ﴿ لا يستل ﴾ كما قال تعالى ﴿ لا يستل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ ﴿ فان يثب ﴾ عباده المطيعين وخلقهم المتقين والثواب الجزاء ومنه حديث ابن التيهان « ائيبوا أخاكم » أي جازوه على صنيعه يقال ائابه يئيبه ائابة والاسم الثواب ويكون في الخير والشر الآتية في الخبر أخص وأكثر استعمالا وهو المراد هنا ﴿ فانه ﴾ أي ائابه بالخير والجزاء الحسن

﴿من فضله﴾ تعالى الزائد وكرمه الجزيل لان اتقى الناس واعبدهم لا تعادل عبادته وتقواه  
نعمة ايجاده من العدم الى الوجود فضلا عن سائر نعمه تعالى على عبده من البصر والسمع  
وغيرهما والفضل العطاء عن اختيار لاعن ايجاب كما تزعمه الحكماء ولا عن وجوب  
كما تقوله المعتزلة ﴿وان يعذب﴾ عباده ولو المطيعين منهم ﴿فبمحض﴾ أي خالص  
﴿عدله﴾ تعالى والمحض بالحاء المهملة والضماد المعجمة في اللغة اللبن الخالص غير مشوب  
بشيء ومنه الحديث «بارك لهم في محضها ومخضها» أي الخالص والممخوض يعني انه  
لو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من شائبة الظلم لانه تعالى تصرف في ملكه والعدل  
وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل عكس الظلم الذي هو وضع الشيء  
في غير محله مع الاعتراض على الفاعل فطاعات العبد وان كثرت لا تغني بشكر بعض  
ما انعم الله به عليه بل ولا بنعمة الاقدار على الطاعة والتوفيق لها فكيف يتصور  
استحقاقه عوضا عليها واستدل لهذا بقوله «ان تعذبهم فانهم عبادك» يعني لم تتصرف  
في غير ملكك بل ان عذبت عذبت من تملك وبقوله تعالى «لا يستل عما يفعل وهم  
يستلون» وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه  
لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم: وبقوله  
صلى الله عليه وسلم في دعاء الهم والحزن: اللهم اني عبدك بن عبدك ناصيتي بيدك  
ماض في حكمك عدل في قضاؤك: وبما روى عن اياس ابن معاوية قال ما ناظرت  
بعقلي كاهن احد الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وان  
تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء وتقدم هذا في شرح قوله ولكنه لا  
يخلق الخلق سدى « فليراجع فان الامام المحقق ابن القيم كشيخه شيخ الاسلام  
وجمع لم يرتضوا بهذا وتقبوا وبرهنوا واثبتوا الحكمة والعلّة في أفعاله تعالى على  
الوجه الذي شرحناه فيما تقدم ومذهب الاشاعرة ان أفعال البارئ تعالى ليست  
معللة بالاعراض والمصالح . والغرض ما لا أجله يصدر الفعل عن الفاعل ويقولون  
ان الله تعالى يفعل هذه الحوادث عند الاسباب المقارنة لها وان ذلك عادة محضة  
ويجعلون اللام في أفعاله لام العاقبة لالام التعليل كما هو مقرر محرر ومذهب  
الماتريدي امتناع خلق فعله عن المصلحة قال السعد والحق ان تعليل بعض الأفعال



لا سيما الأحكام الشرعية بالحكم والمصالح ظاهر : ومذهب سلف الأئمة على ما  
 حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الأصفهانية وأنه القول الوسط الجامع للحق  
 الموافق لصحيح المنقول وصرح العقول وعليه أشهر الطوائف انتسابا إلى السنة  
 هم مثبتة القدر الذين يقرون بما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الله تعالى خالق  
 كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وأنه خالق كل شيء  
 بقدرته ومشيئته ويثبتون لله تعالى حكمة يفعل لأجلها قائمة به تعالى لا منفصلة عنه  
 ويثبتون له رحمة ومحبة ورضا وسخطا ويثبتون للحوادث أسبابا تقتضي التخصيص  
 ويثبتون ما خلقه الله من الأسباب والموانع قال وهذا هو الموافق لصحيح  
 المنقول وصرح العقول وهو الذي يجمع ما في الأقوال المختلفة من الصواب  
 ويجتنب ما فيها من الخطأ قال فهذه طريقة سلف الأمة وأئمة الدين وهي التي يدل  
 عليها الكتاب والسنة واجماع السلف فإن الله تعالى بين في كتابه الحق وأدلته بما  
 ضربه فيه من الأمثال وسننه من البراهين العقلية انتهى قال بعض متكلمي  
 الأشاعرة أن الأشاعرة يقولون بالحكمة والمصلحة في نفس الأمر لأنهم يمنعون  
 العبث في أفعاله تعالى كما يمنعون الغرض ولذلك كان التعبدية من الأحكام ما لا يطالع  
 على حكمته لا ما لا حكمة له على أن بعضهم نقل عن الأشاعرة أنهم انما يمنعون وجوب  
 التعليل لأنهم يحيلونه كما صرح به الامام ابن عقيل الحنبلي واستغفر به بعض الأشاعرة  
 وبالله التوفيق فاذا علمت ذلك وفهمته **﴿ فلم يجب عليه ﴾** سبحانه وتعالى **﴿ فعل الإصلاح ﴾**  
 أي الانفع **﴿ ولا ﴾** يجب عليه أيضا فعل **﴿ الإصلاح ﴾** لعباده خلافا للمعتزلة فمعتزلة البصرة  
 قالوا بوجوب الإصلاح في الدين وقالوا تركه بخل وسفه يجب تنزيهه البارئ عنه  
 ومنهم الجبائي وذهب معتزلة بغداد إلى وجوب الإصلاح في الدين والدنيا معالكن  
 بمعنى الاوفق في الحكمة والتدبير وهذه المسئلة مترجمة في كتب القوم بمسئلة  
 وجوب الصلاح والإصلاح وحاصلها أن المعتزلة قالوا بوجوب ما هو الإصلاح للعباد  
 عليه تعالى وتفصيل ذلك أنهم اتفقوا بعد القول بوجوب الإصلاح للعباد عليه تعالى  
 وعلى وجوب الاقدار والتمكين وأقصى ما يمكن في معلوم الله تعالى مما يؤمن عنده  
 الكافر ويطيع العاصي وأنه تعالى فعل بكل أحد غاية مقدوره من الإصلاح قالوا

وليس في مقدوره تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا لطف لو فعل بالكفار  
لا آمنوا جميعا والا لكان تركه بخلا وسفها ثم اختلفوا فيما يجب مراعاة الاصلاح  
بالنسبة اليه كما نبهنا عليه من جهة الدين والدنيا أو الدين فقط على ما مر ثم اختلفوا  
في تفسير الاصلاح هل هو الاوفق في الحكمة والتدبير والانفع كما تقدم آنفا ثم  
اختلفت معتزلة البصرة فمنهم من اعتبر الانفع في علم الله تعالى فأوجب ما علم الله  
نفعيته ومن هؤلاء الجبائي ومنهم من لم يعتبر ذلك فزعم ان من علم الله منه الكفر  
على تقدير تكليفه اياه يجب تعريضه للثواب بأن يبقيه الى ان يبلغ عاقلا  
قادرا على اكتساب الخيرات والبغدادية وان لم يلزمهم فيها شيء لكن الاكراه  
عليهم في تخليد الفساق في النار أشد قبحا وشناعة وتمسكوا على ذلك بقولهم نحن  
نقطع بأن الحكيم اذا أمر بطاعته أحدا وقدر على ان يعطي المأمور ما يصل به الى  
الطاعة من غير تضرر بذلك ثم لم يفعل كان مذموما عند العقلاء معدودا  
في زمرة البخلاء وكذلك من دعا عدوه الى الموالاة والرجوع الى الطاعة  
والمصافاة لا يجوز ان يعامله من الغلظ واللين الا بما هو أنجح في حصول المراد  
وأدعى الى ترك العناد قالوا وايضا من اتخذ ضيافة لرجل واستدعاه الى الحضور  
وعلم انه لو تلقاه يبشر وطلاقة وجهه لخل وأكل والا لم يدخل فالواجب عليه عند  
العقلاء البشر والطلاقة والملاطفة لا اضدادها وأجلبوا وأجنبوا من هذا التمويه  
الذي لا يصدر الا من ضال سفيه ولهذا قال ﴿ ويح ﴾ هذه كلمة ترحم وتوجع  
تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وهي منصوبة على المصدر وقد ترفع وتضاف  
كما هنا وضدها ويل فانها تقال للحزن والهلاك والمشقة من العذاب وكل من وقع  
في هلكة دعا بالويل وقيل وي كلمة مفردة ولا مة مفردة وهي كلمة تفرح وتعجب  
فان قلت كان المناسب هنا الاتيان بكلمة ويل لاقتضاء المقام قلت بل الانسب  
كلمة ويح لانه يتوجع ويترحم لاخوانه من الملة الاسلاميه كيف استزلم الشيطان  
وتلاعب بهم تلاعب الصبيان بالكرة والصولجان مع ظهور أدلة القرآن والسنة  
لمذهب أهل السنة فعلى عقولهم الدما روعلى فهو مهم البوار ﴿ من ﴾ أي شخص  
بالغ عاقل لم ﴿ يفلح ﴾ أي لم يفز بمتابعة الحق وموافقته الشرعة اوردفرض الباطل

ومجانبة البدعة والفلاح من الكلمات الجوامع وهو عبارة عن أربعة أشياء بقاء  
 بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل قالوا فلا كلمة في اللغة أجمع  
 للخيرات منها ولمذهب المعتزلة لوازم فاسدة تدل على فسادها منها ان القربات  
 من النوافل صلاح فلو كان الصلاح واجبا وجب وجوب الفرائض ومنها ان  
 خلود أهل النار يجب ان يكون صلاحا لهم دون ان يردوا فيعتبوا ربهم ويتوبوا  
 اليه ولا ينفعكم اعتذاركم عن هذا بأنهم لوردوا لعادوا فان هذا حق ولكن لو  
 أماتهم وأعدمهم فقطع عتابهم كان أصالح لهم ولو غفر لهم وأخرجهم من النار كان  
 أصالح لهم من إمامتهم وإعدامهم ولم يتضرر سبحانه بذلك ومنها ان تدم خاق  
 ابليس وجنوده أصالح للخلق وأنفع وقد خلقه البارئ جل شأنه وأيضا نظاره وتمكينه  
 وتمكين جنوده وجريانهم من الأدمي مجرى الدم في ايشارهم ينافي مذهبهم فكان يلزمهم  
 أن لا يكون شيء من ذلك والواقع خلافه ومنها ما أزمه الامام أبو الحسن الأشعري للجبائي  
 وقد سأله عن ثلاثة أخوة أمات الله أحدهم صغيرا واحيا الآخر فاختار أحدهما الابن  
 والآخر الكافر فرفع الله درجة المؤمن البالغ على أخيه الصغير في الجنة بعمله فقال أخوه  
 الصغير يارب لم لا بلغتني منزلة أخي فقال انه عاش وعمل عملا استحق به هذه المنزلة  
 فقال يارب فهلا أحييتني حتى اعمل مثل عمله فابلق منزلته فقال كان الاصلح  
 لك ان توفيتك صغيرا لاني علمت انك ان بلغت اخترت الكفر فكان الاصلح في  
 حقتك ان أمتك صغيرا قال الأشعري فان قال الثاني يارب لم لم تمنني صغيرا لئلا عصي  
 فلا أدخل النار ماذا يقول الرب في بيت الجبائي وكان الأشعري على مذهب أبي علي  
 الجبائي فترك مذهبه . قال ابن خلكان كان أبو الحسن الأشعري أولا معتزليا ثم تاب من  
 القول بالعدل وخلق القرآن فقام في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة فرقي كرسيا  
 ونادى بأعلا صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان  
 بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله تعالى لا يرى بالابصار وان أفعال الشرانا  
 أفعالها وانائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم : قال ابن  
 خلكان : مولد الأشعري سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة وتوفي سنة نيف  
 وثلاثين وثلاثمائة ودفن بين الكرخ وباب البصرة انتهى قال ابن القيم في

مفتاح دار السعادة فاذا علم الله سبحانه انه لو اخترم العبد قبل البلوغ وكالاعتق  
لكن ناجيا ولو أهله وسهل عليه النظر لعند وكفر وجحد فكيف يقال ان  
الاصلاح في حقه إبقاؤه حتى يبلغ قال والمقصود عندكم يعني المعتزلة القائلين بالاصلاح  
بالتكليف الاستصلاح والتفويض باسنى الدرجات التي لاتنال الا بالاعمال. وأيضا  
قال القائلون بوجوب الاصلاح: الرب تعالى قادر على التفضيل بمثل الثواب ابتداء  
بلا واسطة عمل فأبي غرض له في تعريض العباد للبلوى والمشاق وكونه تعالى  
قادرا على ذلك حق ثم كذبوا وافتروا فقالوا الغرض في التكليف ان استيفاء  
المستحق حقه أهني وألذمن قبول التفضل واحتمال المنه وهذا كلام أجهل الخلق  
بالرب تعالى وبحقته وعظمته ومساواة بينه وبين آحاد الناس وهو من أقبح التشبيه  
وأخبثه تعالى عن ضلالهم وافسدهم علوا كبيرا. وأيضا يلزم القائلين بوجوب الاصلاح  
ان يوجبوا على الله عز وجل ان يميت كل من علم من الاطفال انه لو بلغ لكفر  
وعاند فان اخترامه هو الاصلاح له بلاريب أو ان يجحدوا عمله سبحانه بما سيكون  
قبل كونه التزمه سلفهم الخبيث الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم  
ولا خلاص لهم عن أحد هذين الإلزامين الا بالتزام مذهب أهل السنة والجماعة من  
ان أفعال الله لا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة ولا تقاس بأفعالهم الخاسرة  
بل أفعاله تعالى لا تشبه أفعال خلقه ولا صفاته صفاتهم ولا ذاته ذواتهم اذ ليس  
كمثله شيء وهو السميع البصير. وأيضا يلزمهم ان من علم الله تعالى اذ بلغ من  
الاطفال يختار الايمان والعمل الصالح ان لا يميتهم طفلا فان الاصلاح في حقه ان  
يحييه حتى يبلغ ويؤمن ويعمل صالحا فينال بذلك الدرجات العالية وهذا مما  
لا جواب لهم عنه. وأيضا يلزمهم ان يقولوا ليس في مقدور الله تعالى اطف لوفعله  
تعالى بالكفار لا آمنوا وقد التزمه المعتزلة القدرية وبنوه على أصلهم الفاسد انه  
يجب على الله تعالى ان يفعل في حق كل عبد ما هو الاصلاح له فلو كان في مقدوره  
ما يؤمن العبد عنده لوجب عليه ان يفعله به والقرآن من أوله الى آخره بردهذا  
القول ويكذبه ويخبر سبحانه وتعالى انه لو شاء لهدى الناس جميعا ولو شاء لا آمن من  
في الارض كلهم جميعا. وأيضا يلزمهم وقد التزموه ان لطفه تعالى ونعمته وتوفيقه

بالمؤمن كلطفه بالكافر وان نعمته عليهما سواء لم يخص المؤمن بنضل عن الكافر وكفى بالوحي وصريح المعقول وفطرة الله والاعتبار الصحيح واجماع الأمة رداً لهذا القول وتكذيباً له وأيضاً مامن أصلح الاوفوقه ماهو أصلح منه والاقصار على رتبة واحدة كالاقصار على الصلاح فلا معنى لقواكم يجب مراعاة الاصلح اذ لا نهاية له فلا يمكن في الفعل رعايته الى غير ذلك مما يلزم القائلين بالصلاح والأصلح فانه تعالى خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة بهذاب الكفر المخلد المستمر ولا سيما المبلى في الدنيا بالاستقام والآلام والمحن والآفات مع الكفر والمهفوات وكيف ينهض لهم دليل وخلود الكفار في النار ليس باصلح لهم من غير تفضيل

### ﴿ تنبيه ﴾

مذهب القول بالصلاح والاصلاح مبنى فيما قاله متكلمو الاشاعرة وغيرهم على قاعدتين احدهما تحسين العقل وتقييحه في الاحكام الشرعية الثانية استلزام الأمر للإرادة فان قلت قد اسلفت عن اسلافك مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما الميل والاستدلال لاثبات التعليل والحكمة في الخالق والامر وذلك من أصول القول بالصلاح والاصلاح ثم هنا ابطلت هذا القول وذكرت من لوازمه مالا جواب عنه فما نضع في هذه اللوازم التي ألزمت بها المعتزلة ومال الجواب عنها اذا وجهت اليكم؟ قلت لا ريب انما اثبت لله ما أثبتته لنفسه وشهدت به الفطرة والعقول من الحكمة في خلقه وأمره فكل ما خلقه وأمر به فله فيه حكمة بالغة وآية قاهرة لاجلها خلقه وأمر به واسكن تقول ان الله في خلقه وأمره كله حكمة ليست مماثلة للمخلوق ولا مشابهة له بل الفرق بين الحكمتين كالفرق بين الفعلين والفرق بين الوصفين والذاتين فليس كمثل شي في وصفه ولا في فعله ولا في حكمة مطلوبة له من فعله بل الفرق بين الخالق والمخلوق في ذلك كله أعظم فرق وايدنه واوضحه عند العقول والفطر وعلى هذا فجميع ما ألزمت به الفرقة القائلة بالصلاح والاصلاح بل واضعاف ما ذكر من الازمات لله فيه حكمة يختص بها لا يشاركه فيها غيره ولاجلها حسن منه ذلك وقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم وهذا

كما يحسن منه تعالى مدح نفسه والثناء عليها وان قبج من أكثر خلقه ذلك ولبق  
بجلاله الكبرياء والعظمة ويقبح من خلقه تعاطيها كما روي عنه صلى الله عليه وسلم  
انه حكى عن الله تعالى انه قال «الكبرياء ازارني والعظمة ردائي فمن نازعني واحدا  
منهما عذبت» وكما يحسن منه امانة خلقه وابتلاؤهم وامتحنهم بأنواع المحن ويقبح  
ذلك من خلقه وهذا أكثر من ان تذكر امثله فليس بين الله وبين خلقه جامع  
يوجب ان يحسن منه ما حسن منهم ويقبح منه ما قبح منهم وانما توجه تلك  
الالزامات على من قاس أفعال الله تعالى بأفعال عباده دون من أثبت له حكمة  
يخص بها لا تشبه المخلوقين من الحكمة فهو عن تلك الالزامات بمعزل ومنزله  
منها ابعد منزل ونسكتة الفرق ان بطلان الصلاح والاصلاح لا يستلزم بطلان الحكمة  
والتعليل كما ان التعليل الذي ثبته غير الذي ثبتته المعتزلة كما مر فان المعتزلة اثبتوا  
الله شريعة عقلية وأوجبوا عليه فيها وحرموا بمقتضى عقولهم فالمعتزلة يوجبون على  
الله ويحرمون بالقياس على عباده ولا ريب ان هذا من أفسد القياس نبه عليه  
وأبطله كما بينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة واما زعم  
المعتزلة استلزام الامر للارادة الكونية فباطل لا يعول عليه وبالله التوفيق

﴿فكل من﴾ أي آدمي من خلقه ﴿شاء﴾ أي الله تعالى ﴿هداه﴾ المراد بالهدى  
هنا التوفيق والالهام وهذه الهداية هي المستلزمة للاهتمام فلا يتخلف عنها وهي المذكورة  
في قوله تعالى «يضل من يشاء ويهدي من يشاء» وفي قوله تعالى «ان تحرص على هداهم  
فان الله لا يهدي من يضل» وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم «ومن يضل الله فما له من  
هاد» ومن يهد الله فما له من مضل» وفي قوله تعالى «انك لا تهدي من أحببت وانكن الله  
يهدي من يشاء» فنفي عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله  
«وانك لتهدي الى صراط مستقيم» والمشيئة ترادف الارادة فكل من شاء الله  
تعالى هدايته من جميع خلقه ﴿مهتدي﴾ الهداية المطلوبة في قوله تعالى «اهدنا الصراط  
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم» من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وأعلم ان أنواع الهداية أربعة أحدها الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في  
قوله تعالى «الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» أي أعطى كل شيء صورته الذي لا يشبهه

فيها بغيره وأعطى كل عضو شكاه وهياته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه الى ما خلقه له من الاعمال وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بارادته الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له فله هداية تليق به كما ان لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وان اختلفت أنواعها وضروبها وكذلك لكل عضو هداية تليق به فالرجلان للمشي واليدان للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين لكشف المرئيات وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان للازدواج والتناسل وتربية لولد وهدى الولد الى التقام الثدي عند وضعه وطلبه ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها الا هو فتبارك الله رب العالمين وهدى النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الابنية ثم تسلك سبل ربهما مذلة لها لاتستعصي عليها ثم تأوي الى بيوتها وهداها الى طاعة يعسوبها ثم هداها الى بناء البيوت العجيبة الصفة المحكمة البناء ومن تأمل بعض هدايته الماثورة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (النوع الثاني) هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي الهلاك والنجاة وهذه لاتستلزم الهدى التام فانها سبب وشرط لا موجب ولهذا ينتفي الهدى معها كقوله تعالى «واما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى» أي بيناهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله تعالى «وانك لتهدي الى صراط مستقيم» (الثالث) هداية التوفيق والالهام المستلزمة للاهتداء التي ذكرناها آتفا

(الرابع) غاية هذه الهداية وهي الهداية الى الجنة والنار اذ اسبق أهلها اليهما قال تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم» وقال أهل الجنة فيها «الحمد لله الذي هدانا لهذا» وقال تعالى عن أهل النار «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم» وتفصيل أنواع الهداية وأسبابها ومتعلقاتها كثيرة جدا ذكرها الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد وقد لخصت لك منه ما له يحصل به أصل المقصود والله أعلم (تنبيه) المشهور عند المعتزلة ومن مذهبهم ان الهداية هي الدلالة الموصلة الى المطلوب فان لم تكن موصلة الى المطلوب فليمت بهداية عندهم

وعند أهل اهل الحق ان الهداية مجرد الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء أولم يحصل كما ذكرنا ذلك في النوع الثاني من أنواع الهداية وقوله تعالى «واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» وبالله التوفيق ﴿وان رد﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿ضلال عبد﴾ من خلقه بترك الأمور وارتكاب المحظور ﴿بعتد﴾ بارتكاب ذلك وانتهاك المحارم واقتحام المهالك والضلال ضد الهدى يقال عدا عدوا وعدوانا محرمة وتعدي واعداء احضر وعدا عليه عدوانا بالظلم ظلمه كعدى واعتدى قال الامام ابن القيم في شرح منازل السائرين ان العدوان أن يتعدى ما يبيح منه الى القدر المحرم كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه اما ان يعتدي على ماله أو بدنه أو عرضه فاذا أتلف انسان عليه شيئا أتلف عليه اضعافه واذا قال فيه كلمة قال فيه اضعافها فهذا كله عدوان وتعدي للعدل قال وهو نوعان عدوان في حق الله تعالى وبدوان في حق العبد فالذي في حق الله كما اذا تعدى ما أباح له من الوطء الحلال في الأزواج والمملوكات الى ما حرم عليه من سواهما كما قال تعالى «والذين هم لفروجهم حافظون» الاعلى أزواجهم أو مملكت أيانهم فانهم غير ملومين «فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» وكذلك لو تعدى ما يبيح له من زوجته وأمه الى ما حرم عليه منها كوطئها في حيضها أو نفاسها أو في إحرام أحدها أو صيامه الواجب وكذا كل ما يبيح له منه قدم معين فتعداه الى أكثر منه فهو من العدوان وكذلك العدوان في حق العبد تجاوز القدر الذي أبيح له منه فمما تجاوز القدر المحدود كان معتديا وباغيا وظالما فارتكاب الأثم والعدوان والفحشاء والمنكر والخطايا والذنوب من الضلال ومن أعظمها القول على الله بلا علم فهو أشد المحرمات تحريما وأعظمها أثما ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والاديان ولا تباح بحال بل لا تكون لا محرمة وهي المذكورة في قوله تعالى «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون» وفي قوله تعالى «قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا» الآيات والحاصل ان الله تعالى اذا شاء هداية



عبده يهتدي واذا أراد ضلاله وهلاكه يعتدي فهو سبحانه الموفق لمن أراد له السعادة والخاذل من شاء ابتعاده فالتوفيق والخذلان من الحكيم المنان قال الامام ابن القيم في شرح منازل السائرين: قد اجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يكلك الله الى نفسك والخذلان ان يخلي بينك وبينها فالعباد متقلبون بين توفيقه وخذلانه بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيعطيه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له فهو دائر بين توفيقه وخذلانه فان وفقه فبفضله ورحمته وان خذله فبعذله وحكمته وهو تعالى المحمود في هذا وهذا له اتم حمد واكمله ولم يمنع العبد شيئاً هو له وانما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه وهو اعلم حيث يضعه واين يجعله فاذا علم العبد هذا المقام وشهده وأعطاه حقه علم ضروريه وفاقته الى التوفيق والهداية في كل نفس ولحظة وطرفة عين وعلم ان توحيديه وايمانه ممسك بيد غيره لو تخلى عنه طرفه عين لثل عرشه ولخرت سماء ايمانه على الارض وان الممسك له من يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه فدأب هذا المشاهد لهذا المقام ان يقول بقلبه ولسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك ودعواه يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا انت برحمتك استغيث اصلح لي شأني كله ولا تسكنني الى نفسي طرفه عين ولا الى أحد من خلقك ثم قال والتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه مريداً له محباً له مؤثراً له على غيره ويغض اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله والعبد محل له قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في مواضعه وعند أهله فلا يمنعه أهله ولا يضعه عند غير أهله: ولم يرتض بتفسير التوفيق بأنه خلق الطاعة والخذلان خلق المعصية لان ذلك مبني على مذهب الجبر وانكار الاسباب والحكم وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكن من الطاعة والاعتقاد

عليها وتهيئة أسبابها وهذا حاصل لكل أحد كافر ومشرك بلغته الجمحة وتمكن من  
الايان فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين اذ الإقدار والتمكين  
والدلالة والبيان قدعم به الفر يقين ولو أفرد المؤمن عندهم بتوفيق وقع به الايمان  
منهم والكفار بخذلان امتنع به الايمان منهم لكان ذلك عندهم محاباة وظلما والتزموا  
لهذا الاصل لوازم قامت بها عليهم سوق الشناعة من العقلاء ولم يجحدوا بدا من التزامها  
فظهر فساد مذهبهم وتناقضه لمن أحاط به علما وتصوره حق تصوره وعلم انه من أردا  
مذهب في الدنيا وأبطه وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله  
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشئنة الله للكائنات  
وأثبتوا الاسباب والحكم والغايات والمصالح كما مر ونزهوا الله عز وجل ان يكون  
في ملكه مالا يشاء وان يقدر خلقه على مالا يدخل تحت قدرته ومشئنته وان يكون  
شيء من أفعالهم واقعا بغير اختياره وبدون مشئنته ومن قال ذلك فلم يعرف ربه  
ولم يثبت له كمال الربوبية والتوفيق في اللغة التأليف وجعل الاشياء متوافقة ونقل  
السعد التفتازاني عن امام الحرمين أن العصمة هي التوفيق بعينه فان عمت كانت  
توفيقا عاما وان خصت كانت توفيقا خاصا وأن اللطف هو التوفيق أيضا وأن  
الموفق لا يعصى اذ لا قدرة له على المعصية كما ان الخذول لا يطيع والحاصل أن مذهب  
السلف على ما قرره الامام المحقق ان الهداية والتوفيق ارادة الله من نفسه ان  
يفعل بعبد ما يصلح العبد كما تقدم ومن أسأته تعالى الهادي وهو الذي بصرع عباده  
وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق الى مالا بد له منه  
في بقائه ودوام وجوده وبالله التوفيق

### تنبيه

فهم من النظم ان البارئ جل وعلا يريد من العبيد مالا يرضاه ولا يحبه فان  
الارادة والمشئنة مترادفتان وهي لا تستلزم الامر والرضى والمحبة كما تقدم في بحثها  
وقالت المعتزلة يمتنع عليه تعالى ارادة الشرور والمعاصي والقبايح وقالوا يريد مالا  
يقع ويقع مالا يريد فرعموا انه تعالى اراد من الكافر الايمان وان لم يقع لا الكفر  
وان وقع وكذا اراد من الكافر الفاسق الطاعة لا الفسق حتى زعموا ان اكثر ما يقع

من عباده على خلاف مراده تعالى الله عن ذلك وزعموا ان ارادة القبيح قبيحة  
والله تعالى منزه عن القبائح ورد بأنه تعالى لا يقبح منه شيء وان خفي علينا وجه  
حسنه وتقدم هذا في قوله

وكل ما يفعله العباد من طاعة أو ضدها مراد

الايات المارة آفاً والحاصل أن الأمر والرضى والمحبة لا تكون الا في الخير  
والارادة قد تكون في الخير وقد تكون في غيره فهي تتعلق بكل ممكن كما تقدم  
قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر - ان الله لا يأمر بالفحشاء) فان قلت قد قال الله  
تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (واذا أردنا أن نهلك  
قرية أمرنا مترفياً ففستقوا فيها) فالجواب الارادة التي نعنيها هي الارادة الكونية  
واما الارادة الدينية فهي ترادف الرضى والمحبة وكذلك الأمر الذي نعنيه أو نتكلم  
عليه الأمر الديني وأما الأمر الكوني فهو يرادف الارادة كما في عدة آيات  
قرآنية على أن أظهر تفاسير قوله تعالى أمرنا مترفياً أي أمرناهم بطاعتنا والالتقياد  
لامرنا على السنة رسلنا ففستقوا بمخالفة رسلنا ومما يحكى أن القاضي عبد الجبار  
الهمداني المعتزلي دخل على الصاحب بن عباد وكان معتزلياً أيضاً وكان عنده  
الاستاذ أبو اسحق الاسفرائيني من أئمة أهل السنة ومحققى الاشاعرة فقال عبد  
الجبار على الفور سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال أبو اسحق فوراً سبحان من  
لا يقع في ملكه الا ما يشاء فقال له عبد الجبار وفهم أنه قد عرف مراده أريد  
ربنا ان يعصى فقال أبو اسحق أيعصى ربنا قهراً فقال له عبد الجبار أرايت ان  
منعني الهدى وقضى عليّ بالردى أحسن اليّ أم أساء؟ فقال له الاستاذ أبو اسحق ان  
كان منعك ما هو لك فقد أساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء  
فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب وقد قدمنا ماله  
يشفي ويكفي والله الموفق

فان قيل كيف يريد الله سبحانه أمراً لا يرضاه ولا يحبه وكيف يشاؤه  
ويكونه وكيف تجتمع ارادته له وبغضه وكراهته فالجواب اعلم أن هذا السؤال  
أصل الافتراق والاضلال الواقع بين طوائف المسلمين وفرق الموحدين واعلم

ن المراد نوعان مراد لنفسه ومراد لغيره فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا للمريد ولا فيه مصلحة له بالنظر الى ذاته وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته مراد له من حيث افضائه وايصاله الى مراده فيجتمع فيه الامران بقضه وارادته من غير تناف لاختلفا متعلقهما كاللدواء المتناهي في الكراهة اذا علم متناوله ان فيه شفاء وقطع العضو المتأكل اذا علم أن في قطعه بقاء جسده وقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم أنها توصل الى مراده ومحبوبه بل العاقل يكتفي في ايثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان خفيت عنه عاقبته وطويت عنه مغيبته فكيف بمن لا تخفى عليه العواقب فهو سبحانه يكره الشيء ويغضه في ذاته ولا ينافي ذلك ارادته لغيره وكونه سببا الى أمر هو أحب اليه من فوته من ذلك خلق ابليس الذي هو مادة لفساد الاديان والأعمال والاعتقادات والارادات وهو سبب شقاء العبيد وعملهم بما يغضب الرب المريد وهو الساعي في وقوع مساخط الله ومناهيه بكل طريق وحيلة فهو مسخوط للباري مبعوض قد لعنه وأبعده وغضب عليه وطرده ومع هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة للباري جل وعلا ترتب وجودها على خلقه وإيجاده ووجودها أحب الى الله من عدمها لحكمة جرت منه في عبادته على وفق مراده (منها) اظهار القدرة على خلق المتضادات المتقابلات كخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وازكاها وهي مادة كل خير فتبارك الله خالق الاضداد وكما ظهرت قدرته التامة في خلق الليل والنهار والضياء والظلام والداء والدواء والحياة والموت والحر والبرد والحسن والقبح والأرض والسماء والماء والنار والخير والشر وكل ذلك ونظائره من دلائل كمال قدرته وعزته فانه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض وجعلها محال تصرفه وتدبيره وحكمته فخلق الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل حكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته

(ومنها) ظهور آثار اسمائه القهرية كالتقهار والمنتقم والعدل والصار ونحوها وظهور آثار

أسائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وسرته وتجاوزه عن حقه وعمته لمن شاء من عبده فلولا خلق ما يكرهه من الاسباب المقتضية الى ظهور هذه الاسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد وفي الحديث «لولا ان تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم» (ومنها) ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة فانه الحكيم الخير الذي يضع الاشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته من المنع والعتاء والثواب والعقاب والخفض والرفع والعز والذل ونحوها (ومنها) حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق ابليس لما حصلت ولكان الحاصل بعضها لا كلها فعبودية الجهاد سببها الكفر والعناد الناشئ عن تلبس ابليس وعبودية التوبة المحبوبة الى الله تعالى وعبودية مخالفة أعدائه ومراغمتهم (ومنها) عبودية الاستعاذة من الشيطان الرجيم ونفس اتخاذ ابليس عدوا من أكبر أنواع العبودية وأجلها الى غير ذلك من الحكم والفوائد التي أبداهها الامام المحقق بن القيم في شرح منازل السائرين فلخصت منها العلة يدل الغطن على مالا يدخل تحت الاحصاء فان وجودها مرتب على وجود ابليس ترتيب وجود السبب على سببه والمزوم على لازمه

ثم قال فان قلت فاذا كانت هذه الاسباب مرادة لما تقضي اليه من الحكم فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه أم هي مسخوطة من جميع الوجوه فأجاب بان هذا السؤال برد على وجهين أحدهما من جهة الرب سبحانه وهل يكون محبا لها من جهة افضائها الى محبوبه وان كان يبغضها لذواتها والثاني من جهة البعد وهي انه هل يشرع له الرضى بها من تلك الجهة أيضا فاعلم ان الشر كله يرجع الى العدم أعني عدم الخير وأسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر وأمان جهة وجوده المحض فلا شر فيه مثاله ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها فانها خلقت في الأصل متحركة لاتسكن فان أعينت بالعلم والهيام الخير تحركت به وان تركت تحركت بطبعها الى خلافه وحركتها من حيث هي حركة خير وانما تكون شرابا لإضافة لامن حيث هي حركة والشر كله ظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه فلورضع في موضعه لم يكن

شرا فعلم ان جهة الشرفيه نسبة اضافية ولهذا كانت العقوبات الموضوعية في محامها خيرا في نفسها وان كانت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة مستعدة له فصار ذلك الألم شرا بالنسبة اليها وهو خير بالنسبة الى الفاعل حيث وضعه موضعه فانه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات فان حكمته تأبى ذلك بل قد يكون ذلك المخلوق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر أرجح من اعتبارات مفاسده بل الواقع منحصر في ذلك فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن ير يد شيئا يكون فسادا من كل وجه وبكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه ما هذا من أبين المحال فانه سبحانه بيده الخير والشر ليس اليه بل كل ما اليه خير والشر انما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه فلو كان اليه لم يكن شرا فتأمله فاقطع نسبته اليه هو الذي صيره شرا

فان قلت لم تنقطع نسبته اليه خلقا ومشيتة قلت هو من هذه الجهة ليس بشر والشر الذي فيه من عدم امداده بالخير وأسبابه والعدم ليس بشيء حتى ينسب الى من بيده الخير فان أردت مزيد ايضاح في ذلك فاعلم ان أسباب الخير ثلاثة الابدان والاعداد والامداد فهذه هي الخيرات وأسبابها فإيجاد هذا السبب خير وهو الى الله واعداده خير وهو اليه أيضاً وامداده خير وهو اليه أيضاً فاذا لم يحدث فيه اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس الى الفاعل وانما اليه ضده فان قلت فهلا أمدده اذ أوجده قلت ما اقتضت الحكمة إيجاد امداده فانه سبحانه يوجد ويمده وما اقتضت الحكمة إيجاد وترك امداده أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته فإيجاد خير والشر وقع من عدم امداده

فان قلت فهلا أمد الموجدات كلها فالجواب هذا سؤال فاسد يظن مورده ان الموجودات أبلغ في الحكمة وهذا عين الجهل بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها وليس في خلق كل نوع منها تفاوت فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت والتفاوت انما وقع بأمر عديمة لم يتعلق بها الخلق والا فليس في الخلق من تفاوت قال رحمه الله تعالى فان اعتاص ذلك عليك ولم

تفهمه حق الفهم فراجع قول القائل  
 اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع  
 وسر المسئلة ان الرضى بالله يستلزم الرضى بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه  
 ولا يستلزم الرضى بمفعولاته كلها بل حقيقة العبودية ان يوافقه عبده في رضاه وسخطه  
 فيرضى منها بما رضي ويسخط منها ما سخطه  
 فان قيل هو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة فكيف يمكن العبد ان يرضى  
 بعقوبته له فالجواب لو وافقه في رضاه بعقوبته لا تقلبت لذة وسرورا ولكن لا يقع  
 منه ذلك فان لم يوافق في محبة طاعته التي هي سرور النفس وقرّة العين وحياة القلب  
 فكيف يوافق في محبة العقوبة التي هي أكره شيء اليه واشق شيء عليه بل من  
 كان كارها لما يحبه من طاعته وتوجيهه فلا يكون راضيا بما يختاره من عقوبته ولو فعل  
 ذلك لارتفعت عنه العقوبة ويأتي لهذا التمسك في الرضاء بالقضاء انشاء الله تعالى

## ﴿ فصل ﴾

في الكلام على الرزق وهو اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان فيأكله قال في  
 القاموس الرزق بالكسر ما ينتفع به كل مرتزق والجمع ارزاق وبالفتح المصدر وقد  
 أشار الناظم الى ذكره بقوله

﴿ والرزق ما ينفع من حلال او ضده فحل عن المحال ﴾

﴿ لانه رازق كل الخلق وليس مخلوق بغير رزق ﴾

﴿ ومن يمت بقتله من البشر أو غيره فبالقضاء والقدر ﴾

﴿ ولم يفت من رزقه ولا الاجل شيء فدع أهل الضلال والخطل ﴾

﴿ والرزق ما ينفع المرتزق اي ينتفع (١) المرتزق بحصوله له سواء كان ذلك المنتفع به

قوله : ينتفع : وللشيخ تقي الدين تفصيل نفيس نصه « والرزق براديه شيان  
 أحدهما بيان ما ينتفع به العبد والثاني ما يملكه العبد فالثاني هو المذكور في قوله  
 تعالى (ومما رزقناهم نبقون وانفقوا مما رزقناهم) وهذا هو الحلال الذي ملكه الله

﴿من حلال﴾ وهو ما انحلت عنه التبعات وهو ضد الحرام ولهذا قال ﴿أو ضده﴾ أي ضد الحلال وهو الحرام وهو ما منع منه شرعا اما لصفته في ذاته ظاهرة كالسم والحمر أو خفية كالر باومنذ كي الجوس ونحوه لانه في حكم الميتة والمخلل في تحصيله كالر با والغصب ونحو ذلك فكل ذلك رزق لان الله يسوقه للحيوان فيتناوله ويتغذى به وخالف المعتزلة في ذلك فقالوا الحرام ليس برزق وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا فيلزمهم على التفسير الاول ان ما يأكله الدواب ليس برزق مع ظاهر قوله تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) فيكون مصادما للقرآن لانه يقتضي ان تكون كل دابة مرزوقة ولا ينفعهم زعمهم ان تسمية ما يأكله الدواب رزقا مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فيأكله فيكون لفظ الرزق مجازا عما تأكله الدواب فلا يلزم ان يكون كل دابة مرزوقة حقيقة لانا نقول هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن وهو خلاف المتعارف في اللغة فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة ثم ان تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس لدخول ملك الله تعالى وخروج رزق الدواب والعبيد والائمة ويلزمهم أيضا على الوجهين ان من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو خالف الاجماع الحاصل من الامة قبل ظهور المعتزلة أن لا رازق الا الله وان استحق العبد الدم واللوم على أكل الحرام. والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق وكل أحد مستوف رزق نفسه حلالا كان أو حراما ولا يتصور ان لا يأكل انسان رزقه أو يأكل غير رزقه لان ما قدر الله تعالى غذاء لشخص يجب ان يأكله ويمتنع ان يأكله غيره ولهذا قال ﴿مخل﴾ أي زل وارجع ﴿عن المحال﴾ وجه كونه محالا أنه لا احدي يقبل الرزق ولا يمكن الا ان يأكل رزقه فاذا تغذى طول عمره بالحرام يكون ما رزقه الله تعالى وهو محال وعلى كل حال ما ذهب اليه المعتزلة ضرب من المحال ولهذا أوضح كون ذلك محالا بقوله ﴿لانه﴾ سبحانه وتعالى ﴿رازق كل الخلق﴾ كما في الادلة القرآنية والاحاديث النبوية مما

اياها وأما الاول فهو المذكور في قوله تعالى (وما من دابة) الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «وان نساء» الآتي في كلام المصنف والعبد قد يأكل الحلال والحرام فهو رزق بالاعتبار الاول لا الثاني اه عبد الوهاب (كذا في هامش الاصل)



لا يحصى الا بكلمة كقوله تعالى ( وما من ذابة في الارض الا على الله رزقها -  
 وكوا من رزقه - ان الله هو الرزاق ) ﴿ وليس ﴾ يوجد ﴿ مخلوق ﴾ من سائر الحيوانات  
 ويبقى ﴿ بغير رزق ﴾ فظهر فساد مذهب المعتزلة وحقبة مذهب أهل الحق  
 فان الله تعالى قسم بين الخلق معاشهم في الحياة الدنيا وعلوم أن الحرام معيشة  
 لبعض الانام والله الفعال لما يريد ﴿ ومن يموت ﴾ من سائر الحيوانات ﴿ يقتله ﴾  
 من سائر أنواع القتل ﴿ من البشر ﴾ محرمة الانسان ذكر اكان أو أنثى واحدا أو جمعا  
 وقبلي يثني ويجمع ايشار او قدمه للاعتناء به والاهتمام بأحواله ولانه المقصود بالذكر وانما قال  
 ﴿ او غيره ﴾ من سائر الحيوانات لدفع توهم ان ما قتل منها ليس كذلك ﴿ فموته ﴾ بالقضاء  
 أي بقضاء الله تعالى وهو لغة الحكم وعرفنا ارادة الله الازلية المتعلقة بالاشياء على  
 ما هي عليه فيما لايزل ﴿ والقدر ﴾ بتحرريك الدال وتسكن مصدر قدرت الشيء  
 بفتح الدال مخففة اذا أحطت بمقداره وال فيه وفي القضاء عوض عن مضاف اليه  
 أي بتقدير الله تعالى لذلك وهو عند الماتريديّة تحديده تعالى ازلا كل مخلوق بحده  
 الذي يوجد به من حسن وقبح ونفع وضرر وايحويه من زمان ومكان وما يترتب  
 عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب وغفران وعند الاشاعرة ايجاد الله تعالى  
 الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به القلم  
 قال الخطابي رحمه الله تعالى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر من الله  
 تعالى والقضاء معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله صلى  
 الله عليه وسلم « فخرج آدم موسى » من هذا الوجه وليس كذلك وانما عناه الاخبار عن  
 تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير  
 منه تعالى وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل التقدير  
 كالهدم والنشر والقبض أسماء لما صدر عن فعل الهادم والتاشر والقبض يقال  
 قدرت الشيء وقدرت خفيفه وثقله بمعنى واحد قال والقضاء معناه في هذا الخلق  
 كقوله تعالى ( فقضاهن سبع سموات في يومين ) أي خلقهن واذا كان الامر كذلك  
 فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكتسابهم ومباشرتهم تلك الامور  
 وملاستهم اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار والحجة انما تلزمهم بها

واللائمة تلحقهم عليها قال وجماع القول في هذا انهما امران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما كان موضع الحجّة لآدم على موسى عليهما السلام ان الله سبحانه وتعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وبيان هذا في قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة فاخبر قبل كون آدم انما خلقه للأرض وانه لا يتركه في الجنة حتى ينقله عنها اليها وانما كان تناوله سبب الوقوع الى الارض التي خلق لها ليكون فيها خليفة والياً على من فيها فانما أدلى آدم بالحجة على موسى لهذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومني على أمر قد قدره الله عليّ من قبل ان يخلقني قال فقول موسى وان كان في النفوس منه شبهة وفي ظاهره متعلق لاحتجاجه بالسبب الذي جعل امارة لخروجه من الجنة فقول آدم في تعلقه بالسبب الذي هو بمنزلة الأصل أرجح وأقوى والفالج قد يقع مع المعارضة بالترجيح كما يقع البرهان الذي لا يتعارض له انتهى

والحديث الذي احتج فيه آدم على موسى رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة وروى أيضاً باسناد جيد من حديث ابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «احتج آدم وموسى وفي لفظ ان موسى قال يا رب ارنا آدم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته فقال موسى يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوباً : وعصى آدم ربه فغوى : قبل ان أخلق قال باربعين سنة وفي لفظ قال افتلومني على أمر قد قدر عليّ قبل ان أخلق باربعين سنة قال فخرج آدم موسى» قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ظن طوائف في هذا الحديث ان آدم احتج بالقدر على الذنب وانه حج موسى بذلك فطائفة من هؤلاء يدعون التحقيق والعرفان يحتجون بالقدر على الذنوب مستدلين بهذا الحديث وطائفة يقولون الاحتجاج به سائغ في الآخرة لاني الدنيا وطائفة يقولون هو حجة للخاصة المشاهدين للقدر

دون العامة وطائفة كذبت به كالجباثي وغيره وطائفة تأولته وتأويلات فاسدة مثل قول بعضهم إنما حجه لانه كان قد تاب وقول آخر كان أباه والابن لا يلوم أباه وقول آخر كان الذنب في شريعة واللوم في أخرى قال وهذا كله تعريج عن مقصود الحديث وظاهر ما يؤخذ من كلام شيخ الاسلام ومن مفهوم الحديث ان آدم إنما حج موسى عليهما السلام لكونه قد كان تاب من الذنب الصوري واستسلم للمصيبة التي لحقت الذرية بسبب أكله والمقدر عليه والحديث تضمن التسليم للمقدر عند المصائب لاعند الذنوب والمعائب فيصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب كما قال تعالى ( فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك ) وقال تعالى ( ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ) قالت طائفة من السلف كان ابن مسعود رضي الله عنه (١) هو الرجل نصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم فالإيمان بالقدر والرضا بما قدره الله من المصائب والتسليم لذلك هو من حقيقة الإيمان وأما الذنوب فليس لاحد ان يحتج على فعلها بقدر الله تعالى بل عليه ان لا يفعلها واذا فعلها فعليه ان يتوب منها كما فعل آدم عليه السلام وقال العلامة ابن مفلح في الآداب قال شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه موسى قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فلما علم على المصيبة التي حصلت بسبب فعله لا لاجل كونها ذنبا ولهذا احتج عليه آدم عليه السلام بالقدر وأما كونه لاجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا بالحديث فان آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس قال ولان آدم عليه السلام احتج بالقدر وليس لاحد ان يحتج بالمقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء وقال شيخ الاسلام أيضا في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وهذا الحديث قد ضلت به طائفتان طائفة كذبت به لما ظنوا انه يقتضي رفع الذم والعقاب عن عصى الله عز وجل لاجل القدر وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة لاهل الحقيقة الذين شهدوه أو الذين لا يرون ان لهم فعلا وذكروا نحو ما قدمنا من الطوائف

(١) لا بد من وقوع حذف هنا أقله (يقول) الخ

ثم قال وكل هذا باطل ولكن وجه الحديث ان موسى عليه السلام لم يعلم أباه الا لاجل المصيبة التي لحقته من أجل أكله من الشجرة فقال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة لم يعلمه لمجرد كونه أذنب ذنبا وتاب منه فان موسى عليه السلام يعلم ان التائب من الذنب لا يلام ولو كان آدم عليه السلام يعتقد رفع الملام عنه لاجل القدر لم يقل (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) والمسلم مأثور عند المصائب ان يصبر ويسلم وعند الذنوب يستغفر ويتوب والله أعلم اذا علمت هذا مع ما قدمناه تحت قوله \* وكل ما يفعله العباد من العبادات والتبتهات التي ذكرناها في اثناء ذلك علمت ان القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن الى الابد وانه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الاشياء قبل ان تكون في الازل وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها قال شيخ الاسلام

قال الفاسي في شرح دلائل الخيرات واختلف في القضاء والقدر هل هما واحد أو متباينان ولكل معنى يخصه وعلى الاول قيل هما بمعنى الارادة وقيل بمعنى القدرة والارادة وقيل مجموع القدرة والارادة والعلم وعلى الثاني فقيل القضاء سابق وعزاه السيد الشريف في شرح المواقيف للشاعرة فتمت قال قضاء الله عند الاشاعرة هو ارادته الازلية المتعاقبة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وقدره ايجاده اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها انتهى وقيل القدر سابق وعليه قول الأبي في شرح مسلم القدر عبارة عن تعلق علم الله وارادته ازالا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث الا وقد قدره سبحانه وتعالى أي سبق علمه به وتعلقت به ارادته قال الشيخ السنوسي في شرح قصيدة الحوضي وابرار الكائنات فيما لا يزال على وفق القدر هو القضاء انتهى فحاصل القضاء على هذا كما قال بعضهم يرجع الى التعلق التجيزي والقدر الى الصلاحي وقيل القدر هو الارادة والقضاء لارادة المقرونة بالحكم الخبري فنقضاء الله يزيد بالسعادة ارادته سعادته مع اخباره الكلام عن سعادته فعلى هذا لا تقديم ولا تأخير الا انك اذا اعتبرت الكلام قلت باقضاء وان لم تعتبره قلت هو قدر والله أعلم انتهى بحروفه (اه من هامش الاصل)

ابن تيمية اغدق الله الرحمة على ضريحه ان علم الله السابق محيط بالاشياء على ما هي عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون كما تقدم قال وأما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يقع فيه محو واثبات على قولين للعلماء قال وأما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والاثبات انتهى وتقدم اذا علمت هذا فقوله ومن يموت بمقتله الخ ان المراد ان المقتول ميت بأجله أي الوقت المقدر لموته لا كما يزعم بعض المعزلة من ان الله تعالى قد قطع عليه الاجل والحق عند أهل الحق ان المقتول ميت في الوقت الذي قدره الله تعالى له وعلم انه يموت فيه لا كما زعمت المعزلة انه قد قطع عليه الاجل يعني لم يوصله اليه وانه لو لم يقتل لعاش الى أمد هو أجله الذي علم الله تعالى موته فيه لولا القتل فهم يقطعون بامتداد العمر لولا القتل وحاصل النزاع ان المراد بالاجل المضاف زمان تبطل فيه الحياة قطعاً من غير تقدم ولا تأخر فهل يتحقق ذلك في المقتول أم المعلوم في حقه انه ان قتل مات وان لم يقتل فيعيش الى وقت هو أجل له فعندم القاتل قد قطع عليه الاجل وانه لو لم يقتل لعاش الى أمد هو أجله الذي علم الله تعالى موته فيه لولا القتل وزعم أبو الهذيل منهم انه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت البتة وقول غيره لو لم يقتل لجاز ان يموت في ذلك الوقت وان لا يموت وهو مذهب أهل السنة يعني الى أجله الذي اذا جاء لا يتأخر عنه ولا يتقدم كما قال تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وادعى أبو الحسين ومن تابعه من المعزلة بأن المسئلة بديهية يعني موت المقتول من فعل القاتل وبقاؤه لولا القتل ضرورة يدرك من غير استدلال بل بمجرد البديهية والجمهور منهم كانوا يقولون ان المسئلة استدلالية وقال الكعبي منهم ان المقتول تبطل حياته بأجل القتل وليس المقتول بميت فيخص الموت بما لا يكون على وجه القتل على ما يشهره قوله تعالى (أفان مات) الآية لكن المعنى مات حتف أنفه فمجرد بطلان الحياة موت والحاصل ان المقتول مات بأجله الذي أجله الله تعالى الذي لا يتقدم موته عليه لحظة ولا يتأخر عنه لحظة فانه عز وجل حكم بأجل العباد على علم من غير تردد فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما الاحاديث التي فيها ان بعض

الطاعات تزيد في العمر مثل صلاة الرحم ونحو ذلك مما جاء انه يقصر العمر فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو والاثبات وعلم الله تعالى لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا نقصان كما مر آنفاً والحق ان الاجل واحد لا كما زعم الكعبي ان للمقتول أجلين القتل والموت وانه لو لم يقتل (هـ) لعاش الى أجله الذي هو الموت ولا كما زعمت الفلاسفة ان للحيوان أجلاً طبيعياً قيل هو في الانسان ان يبلغ مائة وعشرين سنة وموته عندهم يتحلل رطوبته وانطفأ حرارته الغريزيتين وأجل آخر غير الطبيعي اختراجه بحسب الآفات والامراض ولرد هذه المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة العاطلة أشير بقوله ﴿ ولم يفت ﴾ على المقتول ولا غيره ﴿ من رزقه ﴾ المقسوم له في علم ملك الحي القيوم شي قل ولاجل ﴿ ولا ﴾ فانه أيضاً من ﴿ الاجل ﴾ المحتوم ﴿ شي ﴾ ولا لحظة واحدة ﴿ فدع ﴾ أي أترك وجانب ﴿ أهل الضلال ﴾ من طوائف الاعتزال فانهم ضلوا الطريق القويم واضلوا عن الصراط المستقيم ﴿ ودع أهل ﴾ الخطل ﴿ وهو بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة الخفة والسرعة والكلام الفاسد الكثير وهذا مناسب لحال الفلاسفة لسرعة كلامهم وتنميقه وخفته وتزويقه مع ما فيه من الاضطراب وكثرة الخطأ وقلة الصواب والتناقض والتحكيم بالعقول والخوض فيما لا يعلم حقيقته الا بالتلقي عن الرسول فكلم لهم من هفوة باردة

(هـ) قوله ولو لم يقتل الخ وللشيخ هنا كلام نفيس نصه المقتول يموت بأجله عند عامة المسلمين الا فرقة من القدرية قالوا ان القائل قطع أجل المقتول ثم تكلم الجمهور لو لم يقتل فقال بعضهم كان يموت لان أجله فرغ وقال بعضهم لا يموت لانتهاء السبب وكلا القولين قاله من ينتسب الى السنة وكلاهما خطأ فان القدر سبق بانه يموت بهذا السبب لا بغيره فاذا قدر انتفاء هذا السبب كان فرض خلاف ما في المقدور ولو كان المقدور انه لا يموت بهذا يمكن ان يكون المقدر انه يموت بغيره وأمكن ان يكون المقدر انه لا يموت فالجزم بأحدهما جهل فامتددت أسبابه لم يجزم بدمه عند عدم بعضها ولو لم يجزم بثبوته ان لم يعرف له سبب آخر بخلاف ما ليس له الاسباب واحد مثل دخول النار فانه لا يدخلها الا من عصي الله اه عب (كذافي هامش الاصل)

ومقالة فاسدة فدع نحاتة افكارهم ونخاله آرائهم وابتكارهم واكرع من المنبل العذب الزلال الصافي وتضلع من الغذاء الهنيء المريء الشافي الذي جاء به الرسول عن جبريل عن رب العالمين لا ما قذفته الافكار من الوسوس ووحى الشياطين

(تتمة) في ذكر بعض ماورد في هذا الفصل من الاخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار روى ابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تستبطوا الرزق فانه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام » وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فان نفسا ان تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل وادعوا ما حرم » رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال على شرط صحيح مسلم وأخرج الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يقرب من الجنة الا وقد أمرتكم به ولا عمل يقرب من الار الا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطن أحد منكم رزقه فان جبريل أتى في روعي ان أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس واجملوا في الطلب فان استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله تعالى فان الله لا يتال فضله بمعصيته » وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها رواه البزار وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويومر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي عن محمد بن يزيد الاسفاطي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم فقلت يا رسول الله حديث ابن مسعود الذي حدثت عنك فقال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق فقال صلى الله

عليه وسلم «والذي لا اياه الا هو حدثته به انا» يقولها ثلاثا ثم قال غفر الله للاعشى كما حدث به وغفر الله لمن حدث به قبل الاعشى ولمن حدث به بعده وفي الصحيحين من حدث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وكل الله بالرحم ملكا يقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله ان يقضي خلقا قال هارب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك في بطن أمه» وفي مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزد فيها ولا ينقص وقد روي أنه يكتب على جبهته أو بطن كفه أو ورقة تعلق في عنقه وفي رواية بين عينيه قال الحافظ بن رجب في شرح الاربعين النووية وبكل حال فهذه الكتابة التي تكتب للعنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى ( ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها) كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بمخمسين ألف سنة» كما تقدم قال علماء الحديث فيكتب رزقه قليلا كان أو كثيرا وصفته حلالا كان أو حراما أو مكروها ويكتب أجله طويلا كان أو قصيرا وبالله التوفيق

### الباب الثالث

#### ﴿ في الاحكام والكلام على الايمان ومعلقات ذلك ﴾

اعلم وفقني الله واياك وسائر المسلمين لمرضاته ان طرق الناس قد اختلفت في علة التكليف وحكمته مع كون الله سبحانه وتعالى لا يتفجع بطاعة ولا تنصره بمعصية فسلكت الجبرية ومن وافقهم مسلكتهم المعروف وان ذلك صادر عن محض المشيئة وصرف الارادة وأنه لا علة ولا حكمة له ولا ما يبحث عليه سوى محض الارادة وسلكت القدرية مسلكتها المعروف وهو ان ذلك استتجار منه لعبيده لينالوا أجرهم بالعمل



فيكون الذنب اقتضاؤهم الثواب بلا عمل لما فيه من تكدير النعمة والمسلطان فاسدان كما ترى وتقدم ذلك وحسبك ما يدل عليه العقل الصريح والنقل الصحيح من بطلان هذين المذهبين وفسادها وليس عند الناس غير هذين المسلكين الامسلك من هو خارج عن الديانات واتباع الرسل ممن يرى ان الشرائع وضعت نواميس تقوم عليها مصلحة الناس ومعاشهم وان فائدها تنكميل قوة النفس العملية وارتياضها لتخرج عن شبه الانعام فتصير مستعدة لان تكون محلا لقبول الفلسفة العليا والحكمة وهذا مسلك خارج عن مناهج الانبياء واممهم وأما اتباع الرسل الذين هم أهل البصائر فحكمة الله عز وجل في تكليفهم ما كفهم به أعظم وأجل عندهم مما يخطر بالبال أو أعرب به المقال فيشهدن له سبحانه في ذلك من الحكم الباهرة والاسرار العظيمة أكثر مما يشهدونه في مخلوقاته وما تضمنته من الاسرار والحكم ويعلمون مع ذلك انه لانسبة لما أطلعهم سبحانه عليه من ذلك الى ما طوى علمه عنهم واستأثر به دونهم وان حكمته في أمره ونهيه لانه جل وعلا أهل ان يعبدوا الى هذا المقام أشار بقوله

﴿ وواجب على العباد طرا ان يعبدوه طاعة وبرا ﴾

﴿ ويفعلوا الفعل الذي به أمر حتماً ويتركوا الذي عنه زجر ﴾

﴿ وواجب على العباد طرا ﴾ أي جميعا وفي حديث قس بن ساعدة الايادي ومراد المحشر الخلق طرا قال في النهاية أي جميعا وهو منصوب على المصدر أو الحال ﴿ ان يعبدوه ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ طاعة ﴾ أي لاجل الطاعة وامثال الامر لما ندب الخلق من التكليف على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿ وبرا ﴾ أي لاجل البر والاحسان الناشي عنهما المحبة قال في النهاية البر بالكسر الاحسان والتقرب الى الله تعالى فهو سبحانه أهل ان يعبد وأهل ان يكون الحب كله له والعبادة له حتى لو لم يخلق جنة ولا ناراً ولا وضع ثوابا ولا عقابا لكان جل شأنه أهلا ان يعبد أقصى ماتاله قدرة خلقه من العبادة وفي بعض الآثار الالهية «لولم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلا ان أعبد» وفي الفطرة والعقل ما يقتضي شكره وافراده بالعبادة كما فيهما ما يقتضي تناول المنافع واجتناب المضار فان الله تعالى فطر خلقه على محبته والاقبال عليه وابتغاء الوسيلة اليه وانه لاشي على الاطلاق أحب الى

العباد منه وان فسدت فطر أكثر الخلق بما طرأ عليها بما اقتطعها واحتالها عما خلق فيها قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فينب سبحانه ان اقامة التوجه وهو اخلاص القصد وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفا مقبلا عليه معرضا عما سواه هو فطرته التي فطر عليها عباده فلو خلوا ودواعي فطرهم لما مالوا عن ذلك ولا اختاروا سواه ولكن غيرت الفطر وفسدت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة عرضاء هل تحسون فيها من جدعها حتى تكفروا أنتم تجدونها» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقروا «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون» منيبين اليه «ومنيبين نصب على الحال من المفعول أي فطرهم منيبين اليه والانابة اليه تتضمن الاقبال عليه بمحبته وحده والاعراض عما سواه وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار بكسر الحاء المهملة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في مقامي هذا انه قال كل ما حلت عبدا فهو له حلال واني خلقت عبادي حنفاء فأنتهم الشياطين فاستحلهم عن دينهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وحرمت عليهم ما أحلت لهم» فأخبر سبحانه انه انما خلق عباده على الحنيفية المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له وكمال طاعته وحده دون غيره وهذا من الحق الذي خلقت له وبه قامت السموات والارض وما بينهما وعليه قام العالم ولاجله خلقت الجنة والنار ولاجله ارسل رسله وأنزل كتبه ولاجله أهلك القرون التي خرجت عنه وآثرت غيره فكونه سبحانه أهلا ان يعبد ويحب ويشئ عليه أمر ثابت له لذاته فهو سبحانه الاله الحق المبين والآه هو الذي يستحق ان يوله محبة وتعظيما وخشية وخضوعا وتذللا وعبادة فهو الاله الحق ولو لم يخلق خلقه وهو الاله الحق ولو لم يعبدوه فهو المعبود حقا والآه حقا المحمود حقا ولو قدر ان خلقه لم يعبدوه ولم يحمده ولم يألوه لم يستحدث تعالى بخلقهم ولم بأمره اياهم استحقاق الإلهية والحمد بل إلهيته وحده ومجده وغناه أوصاف ذاتية له سبحانه يستحيل مفارقتها له كحياته ووجوده وقدرته وعلمه وسائر صفات كماله

وقد جاءت الرسل وأنزلت الكتب بتقرير ما استودع سبحانه في الفطر والعقول من ذلك وتسكميله وتفضيله وزيادة حسننا الى حسنة فأنقذت شريعته وفطرته وتطابقا وتوافقا فعبده عباده وأحبوه ومجدوه بداعي الشرع وداعي الفطرة والعقل فاجتمعت لهم الدواعي ودعوتهم الى وليهم وإلههم وفاطرم فأقبلوا اليه بقلوب سليمة لم يعارض خبره عندها شبهة توجب رييا وشككا ولا أمره شهوة توجب رغبتها عنه وإيثارها سواء وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى نفطرت قدماء فقيل له تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال «أفلا أكون عبدا شكورا» واقتصر صلى الله عليه وسلم من جوابهم على ما تدركه عقولهم وتناله أفهامهم والا فن المعلوم أن باعته على ذلك الشكر أمر يجل عن الوصف ولا تحيط به العبارة والأذهان فأين هذا الشهود من شهود طائفتي القدرية والجبورية

واعلم انه لا يمكن أحدا من خلقه قط أن يعبدته تعالى حق عباده ولا يوفيه حقه من المحبة والحمد ولهذا قال أ كمل خلقه وأفضلهم وأعرفهم به وأحبهم اليه وأطوعهم له «لا أحصي ثناء عليك» وأخبر صلى الله عليه وسلم أن عمله لا يستقل بالنجاة فقال «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا أن يتعمدني الله برحمة منه وفضل» وفي الحديث المرفوع المشهور ان من الملائكة من هو ساجد لا يرفع رأسه منذ خلق ومنهم راعع لا يرفع رأسه من الركوع منذ خلق الى يوم القيامة وانهم يقولون يوم القيامة سبحانهك ما عبدناك حق عبادتك

ولما كانت عبادته سبحانه وتعالى تابعة لمحبهه واجلاله وكانت المحبة نوعين محبة تنشأ عن الانعام والاحسان فتوجب شكرا وعبودية بحسب كمالها ونقصانها ومحبة تنشأ عن جمال المحبوب وكماله فتوجب عبودية وطاعة أمر واجتناب نهى أكمل من الاولى وكان الباعث على الطاعة والعبودية ان لا يخرج عن هذين النوعين قال الناظم عاطفا امثال الامر والانتها عما عنه الزجر ﴿ويفعلوا﴾ يعني العباد ﴿الفعل الذي به أمر﴾ سبحانه وتعالى أي الفعل الذي أمر به فان كان على سبيل الحتم والتأكيد ففعلوه على لوجوب وان كان على سبيل الندب والارشاد فعلى الندب ولهذا قال ﴿حما﴾

أي لازما مصدر حتم يعني أنهم يفعلون ما أمر الله به أمرا على سبيل الحتم والالزام  
وأما اذا كان الامر لاعلى سبيل الحتم ففعله غير لازم لهم بل هو مندوب ومرغوب  
فيه ومستحب قال في النهاية الحتم اللازم الواجب الذي لا بد من فعله ﴿و﴾ ان ﴿يركوا﴾  
الشيء الذي عنه زجر ولا يخفى ان الزجر يفيد التحريم لان معنى الزجر المنع  
قال في القاموس زجره منعه ونهاه كأزجره فانزجر وازدجر فان لم يكن على سبيل  
الزجر والتحريم فيكون الكراهة وخلاف الاولى وتركه على سبيل الندب والاستحباب  
فتكون الطاعة تارة تقع عن محبة وشوق وأخرى عن خوف مقرون بحب وأما من  
أتى بصورة الطاعة خوفا مجردا عن الحب فليس بمطيع ولا عابد وانما هو كالمكره  
أو كأجير السوء الذي ان أعطي عمل وان لم يعط كافر وأبق فالعبادة والطاعة  
الناشئة عن محبة الكمال والجلال أعظم من الطاعة الناشئة عن رؤية الانعام والافعال  
والاحسان فان الذوق السليم يدرك الفرق بين ما تعلق بالحي القيوم الذي لا يموت  
وبين ما تعلق بالخلق من رغبة في جنة أو خوف من نار وان شمل النوعين اسم  
المحبة لان من يحبك لذاتك وأوصافك وجمالك أتم وأكمل وأعظم ممن يحبك  
لخيرك ودينارك وأسماء الله الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية  
والامر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين فأمره سبحانه وتعالى ونهيه هو  
موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها من غير ان يتزين تعالى بطاعة  
ولا بشان بمعصية وتأمل قوله تعالى في الحديث القدسي «عبادي انكم لن تبلغوا  
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» الحديث فبين سبحانه ان ما أمرهم به  
من الطاعات وما نهاهم عنه من السيئات لا يتضمن استجلاب نفعهم ولا اندفاع  
ضرهم كأمر السيد عبده والوالد ولده والامام رعيته بما ينفع الأمر والمأمور به  
ونهيهم عن ما يضر الناهي والمنهي بل هو سبحانه المنزه عن حقوق نفعهم وضرهم  
به في احسانه اليهم بما يفعله بهم وبما يأمرهم به من اجابة الدعوات وغفران  
الزلات ونفريج الكربات فليس ذلك لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة فانه  
الغني الحميد ولكن له سبحانه في تكليف عباده وأمرهم ونهيهم من الحكم البالغة  
ما يقتضيه ملكه التام وحمده وحكمته ولو لم يكن من ذلك الا انه يستوجب من

عباده شكر نعمه التي لا تحصى ومنه التي لا تستقصى بحسب قواهم وطاقتهم لا بحسب ما ينبغي له فإنه أعظم وأجل من أن يقدر خلقه عليه لكان كافيا فلا شيء أحسن في العقول والفطر من شكر المنعم ولا انفع للعبد منه فهذا من مسلكنا آخران في التكليف والامر والنهي أحدهما يتعلق بذاته تعالى وصفاته وأنه أهل لذلك والثاني يتعلق باحسانه وانعامه ولا سيما مع غناه عن عباده وأنه إنما يحسن إليهم رحمة منه وجوداً وكرماً للمعاوضة ولا لاستجلاب منفعة وللادفع مضرة فأبي المسلكين سلكه العبد أوقعه على محبته وبذل الجهد في مرضاه ذكر ذلك في مفتاح دار السعادة وإطال جدا فلو خلاص منه هذا وبالله التوفيق . قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين يجب امثال أمره تعالى واجتناب نهيه الجازمين ويستحب في غيرهما ويلزم به الطاعة والخضوع والاخلاص في الكل قال والامر بالشيء نهى عن ضده معنى والنهي عنه أمر بضده معنى ان كان ضده واحداً أو أحدها ان كانت أكثر من واحد والامر والنهي المطلقان للفور والتكرار الممكن شرعاً كما هو مذکور في محاله من أصول الفقه

## ﴿ فصل ﴾

في الكلام على القضاء والقدر غير ما تقدم قال

﴿ وكل ما قدر أو قضاه فواقع حتماً كما قضاه ﴾

﴿ وليس واجب على العبد الرضى بكل مقضي ولكن بالقضاء ﴾

﴿ لأنه من فعله تعالى وذلك من فعل الذي تقالى ﴾

﴿ وكل ما ﴾ أي كل شيء ﴿ قدره ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿ أو قضاه ﴾ من سائر الاشياء وتقدم تعريف القضاء والقدر قريباً ﴿ هو ﴾ واقع حتماً ﴿ لازماً ﴾ كما قضاه ﴿ أي كما حكم به وقدره حسبما سبق به علمه وجرى به القلم في الكتاب الذي كتبه قبل ان يخلق السموات والارض والخلائق بمخمين ألف عام المذكور في قوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ﴾ قال في النهاية قد تكرر في الحديث ذكر القدر وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به

من الامور وقال في القضاء انه الفصل والحكم وقال وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء وأصله القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاض اذا حكم وفصل وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق وقال الازهري القضاء في اللغة على وجوه مرجعها انقطاع الشيء واتمامه وكما أحكم عمله أو اتم أو ختم أو ادي أو أوجب أو اعلم أو انفذ أو امضي قال وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث ومنه القضاء المقرون بالقدر فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء وتقضيه وتقدم وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في أول تفسير سورة الاسراء ان اسماعيل بن أحمد النيسابوري قد استوعب الواجه في القضاء في كتابه (الوجوه والنظائر) فقال لفظه «قضى» الكتاب العزيز جاءت على خمسة عشر وجهاً الفراغ (فاذا قضيت مناسككم) والامر (اذا قضى أمراً) والأجل (فمنهم من قضى نجبه) والفصل (لقضى الأمر بيني وبينكم) والمضي (ليقض الله أمراً كان مفعولاً) والهلاك (لقضى اليهم أجلهم) والوجوب (لما قضى الأمر) والابرام (في نفس يعقوب قضاءها) والاعلام (وقضينا الى بني اسرائيل) والوصية (وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه) والموت (فذكره موسى فقضى عليه) والنزول (فلما قضينا عليه الموت) والخلق (فقضاهن سبع سموات) والفعل (كلاماً يقض ما أمره) يعني حقاً يفعل ما أمره والعهد (اذ قضينا الى موسى الأمر) وذكروا غيره القدر المكتوب في اللوح المحفوظ كقوله تعالى (وكان أمراً مقضياً) والفعل (فاقض ما أنت قاض) أي وجب لهم العذاب والوفاء بغاية العبادة والكفاية ولن يقضي عن احد بعدك وبعض هذه الوجوه متداخل وبرد القضاء بمعنى الانتهاء (فلما قضى زيد منها وطراً) وبمعنى الاتمام (ثم قضى أجلاً واجل مسمى عنده) وبمعنى كتب (اذا قضى أمراً) وبمعنى الأداء وهو ما ذكره بمعنى الفراغ ومنه قضى دينه وتفسير (وقضى ربك ان لا تعبدوا) بمعنى وصى منقول من مصحف أبي بن كعب أخرجه الطبري وأخرجه أيضاً من طريق قتادة قال هي في مصحف ابن مسعود ووصى ومن طريق مجاهد في قوله تعالى وقضى قال وأوصى من طريق الضحاك انه قرأ ووصى وقال لصقت الواو بالصاد فصارت قافاً فقرأت وقضى

كذا قال واستنكره منه انتهى ملخصا فقولته في النظم: فواقع حتما كما قضاءه: اشارة  
 الى ما قدمنا ذكره من ان الله تعالى قدر الاشياء في الازل وعلم سبحانه انها ستقع  
 في أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها  
 من غير زيادة ولا نقص وقصد بذلك الرد على المعتزلة القدرية المنكرة لسبق العلم  
 بالاشياء قبل وجودها وزعمهم ان الله تعالى لم يقدر الامور ازلا ولم يكتبها ولم يتقدم  
 له علم بها وانما ياتنفها علما حال وقوعها وهؤلاء انقضوا كما مر وأما القدرية  
 المثبتة لسبق العلم بالاشياء انما خالفوا السلف في زعمهم ان أفعال العباد مقدورة لهم  
 واقعة منهم على جهة الاستقلال لا اذن ولا صنع للباري في ذلك كما مر الكلام على  
 ذلك بما فيه غنية فراجعه ان شئت **﴿وليس واجب على العبد﴾ المكلف ﴿الرضى﴾**  
 وهو سكون القلب وطمأنينته الى قدم اختيار الله للعبد انه اختار له الافضل فيرضى  
 به وقال الجنيد قدس الله روحه: الرضى صحة العلم الواصل الى القلب فاذا باشر  
 القلب حقيقة العلم أذاه الى الرضى وليس الرضى والمحبة كالرجاء والخوف فان الرضى  
 والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة لا يفارقان في الدنيا ولا في الآخرة ولا في  
 البرزخ بخلاف الخوف والرجاء فانهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه وأمنهم  
 مما كانوا يخافونه وان كان رجاءهم لما ينالون من كرامته دائما لكنه ليس رجاء مشوبا  
 بشك بل رجاء واثق بوعيد صادق من حبيب قادر فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون  
 وقد قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله متى يبلغ العبد الى مقام الرضى فقال اذا أقام نفسه  
 على أربعة أصول في ما يعامل به ربه فيقول ان اعطيتني قبلت وان منعتني رضيت وان  
 تركتني عبدت وان دعوتني أجبت قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه منازل  
 السائرين الرضى بالله أعلا من الرضى بما من الله قال وليس من شرط الرضى أن  
 لا يحس بالالم والمكاره بل ان لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه ولهذا اشكل  
 على بعض الناس الرضى بالمكروه وطعنوا فيه وقالوا هذا ممتنع على الطبيعة وانما  
 هو الصبر والا فكيف يجمع الرضى والكراهة وهما ضدان والصواب انه لا تناقض  
 بينهما وان وجود الألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضا كرضا المريض بشرب  
 لدواء الكريه ورضي الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الظم والجوع

ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها وقال: أجمع العلماء على ان الرضى مستحب مؤكد استحبابه واختلفوا في وجوبه على قولين قال وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يحكيهما قولين لاصحاب الامام أحمد رضي الله عنه وكان يعني شيخ الاسلام يذهب الى القول باستحبابه قال ولم يجسئ الامر به كما جاء بالصبر وانما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم قال وأما ما يروى من الاثر: من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليخذ ربا سواي: فهذا اثر اسراييلي ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم ولا سيما عند من يرى ان الرضى من جملة الاحوال التي ليست مكتسبة وانه موهبة محضة فكيف يؤمر به وليس مقدوراً وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السالك على ثلاث طرق فالخراسانيون قالوا: الرضى من جملة المقامات وهو نهاية التوكل فعلى هذا يمكن ان يتوصل اليه العبد بالاكتساب والعراقيون قالوا هو من جملة الاحوال وليس كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال وحكمت طئفة ثالثة بين الطائفتين منهم القشيري فقالوا بداية الرضى مكتسبة للعبد فهي من جملة المقامات ونهاية من جملة الاحوال فأوله مقام ونهاية حال والفرق بين المقامات والاحوال ان المقامات عند من المكاسب والاحوال من مجرد المواهب قال المحقق ابن القيم هنا ثلاثة أمور الرضى بالله والرضى عن الله والرضى بقضاء الله فالرضى بالله فرض والرضى عنه وان كان من أجل الامور وأشرف أنواع العبودية فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشقته عليهم وأوجبته طائفه كما أوجبوا الرضى به وأما الرضى بقضاء الله فهو المشار اليه بقوله لا يجب الرضى ﴿ بكل مقضي ﴾ بل حكم المقضي لا بد فيه من التفصيل لانه اما ان يكون مقضيا دينيا شرعيا فالواجب على العبد ان لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له ربه وسيده كما قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فاختيار العبد خلاف ذلك مناف لايمانه وتسليمه ورضاه بالله ربا وبالاسلام ديناً وحمد رسوله واما ان يكون كونيا قدر يا وهذا منه ما لا يسخطه الله كالمصائب الذي يتلى عبده بها فهذا لا يضره فراره منها الى القدر الذي يرفعها عنه وبكشفتها وليس في ذلك منازعة للاربابية وان كان فيه منازعة للقدر



بالقدر فهذا تارة يكون واجبا وتارة يكون مستحبا وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين وتارة يكون حراما وتارة يكون مكروها فالمقضي الذي لا يحبه الرب ولا يرضاه مثل المعاييب والذنوب فالعبد مأمور بسخطه ومنهبي عن الرضى به وهذا هو التفصيل الواجب بالرضا بالقضاء المشار إليه بقوله ﴿ولكن﴾ يجب الرضا ﴿بالقضاء﴾ فان انظر الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به وهو من مقامات الصديقين فصار له حرمة أوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل وظنوا ان كل ما كان مقضيا للرب تعالى مخلوقا له ينبغي الرضا به ثم اتقسما فرق بين فقالت فرقة اذا كان القضاء والرضا متلازمين فمعلوم انما مأمورون بتغيير المعاصي والكفر والظلم فلا تكون مقضية مقدره وهم القدريه وقالت فرقة قد دل العقل والشرع على انها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها كالمرجئة والجبرية وكل من الفريقين على سبيل ضلال وانحراف عن نهج الحق وطريق الصواب والحق في ذلك التفصيل فترضى بقضاء الله الذي أمرنا ان نرضى به ولا نرضى من ذلك بالمقضي مما بنا ناعن الرضى به فترضى بالقضاء ونسخط من المقضي ما لا يحبه الله تعالى ويرضاه ولهذا قال ﴿لانه﴾ أي القضاء ﴿من فعله﴾ أي من فعل الله سبحانه و﴿تعالى﴾ وهذا أحد الاجوبة عن الرضا بالقضاء فترضى بفعله تعالى دون المعصية الصادرة من العبد وهذا ونحوه لا يتمشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة فان من قال كل ما شاء الله تعالى وقضاه فقد أحبه ورضيه لا يحسن منه ولا عنده هذا التفصيل كما لا يخفى وأيضا هذا انما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي والفعل غير المفعول وهو مذهب السلف وأما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا عنده قال المحقق ابن القيم في شرح منازل السائرين انما نشأ الاشكال من جعلهم المشيئة نفس المحبة ثم زاده بجعلهم الفعل نفس المفعول والقضاء عين المقضي فنشأ من ذلك الزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك والتزام رضاهم به والذي يكشف هذه الغمة وينجي من هذه الورطة التفريق بين ما فرق الله بينه وهو المشيئة والمحبة فليسا واحدا ولاهما متلازمان بل قديشاه مالا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه فالاول كمشيئته وجود ابليس وجنوده ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه والثاني كمحبة ايمان الكفار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين ولوشاء ذلك لو جد كله فانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن

فاذا تقرر هذا فالاصل ان الفعل غير المفعول والقضاء غير المقضي وان الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاء وقد زالت الشبهات وانحلت الإشكالات . اذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو أساس الاسلام وقاعدة الايمان فيجب على العبد ان يكون راضيا به بلا حرج ولا منازعة ولا معاوضة ولا اعتراض قال تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) فاقسم تعالى انهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ويسلموا لحكمه وهذا حقيقة الرضى بحكمه فالتحكيم في مقام الاسلام وانتفاء الحرج في مقام الايمان والتسليم في مقام الاحسان ومتى خالطت القلب بشاشة الايمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين وحيي بروح الوحي وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الامارة مطمئنة راضية وادعة وتلقى الاسلام بصدر منشرح فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله ﴿ وذاك ﴾ أي المقضي المبغوض لله ورسوله من المعاصي والظلم والعدوان ونحوها لا يرضى به العبد لانه ﴿ من فعل ﴾ الشخص ﴿ الذي تقال ﴾ تفاعل من قلاه كرماء رفضه وأبغضه أي من فعل الذي أتى بما يبغضه الله باتيان به وملاسته له وفعله الذي فعله من المظالم والمعاصي والاشياء المبغوضة للباري سبحانه وتعالى فأتى بما يوجب بغضه ويكره اليه غاية الكراهة فهذا لا يسوغ الرضا به وسر المسئلة ان الذي الى الرب منها غير مكروه وانما المكروه المسخوط مالم يعبد منها قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى القضاء يراد به ثلاثة اشياء أحدها الأمر والنهي فهذا الرضى به واجب والثاني الكفر والمعاصي فهذا الرضى به ليس بواجب والثالث المصائب التي تصيب العبد فهبل الرضى بها واجب أو مستحب قال ثم يقال القضاء الذي هو صفة الله الرضى به واجب وأما المقضي وهو الكفر والمعاصي التي هي أفعال العباد فالرضى بها ليس بواجب انتهى ومقصوده ولا جاز وفي تائيه شيخ الاسلام ابن تيمية

وقال فريق ترتضي بقضائه ولا ترتضي المقضي لا قبح خلقه

وقال فريق ترتضي باضافة اليه وما فينا فنلقى بسخطه

فرضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجه اكتساب بحيلة  
قال الطوفي في شرح التائية المذكورة (الثالث) قول من قال نرضى بالقضاء  
الذي هو تقديره ولا نرضى بالمقضي الذي هو أفعالنا القبيحة قال وهذا أجاب بعض  
أهل السنة للمعتزلة عن قولهم لو كان الكفر بقضاء الله لوجب الرضى به لان الرضى  
بالقضاء واجب ولكن بالكفر كفر فلا يكون بقضاء الله تعالى فاجابهم بالفرق بين القضاء  
والمقضي قال (الرابع) قول من قال نرضى بالمقضي من حيث انه خلق الله ومراده ونسخطه  
من حيث هو مكتسب لنا وهذا من باب اختلاف الجهتين كما قال الفقهاء في الوضوء من  
آنية الذهب والفضة ونحو ذلك والله أعلم فان قلت ايس الى العبد شي منها قلنا  
هذا هو لجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق والتدري  
أقرب الى التخلص منه من الجبري وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم أسعد  
بالتخلص منه من الفريقين والرضى بالقضاء من السعادة كما في مسند الامام أحمد وسنن  
الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« من سعادة ابن آدم استخارة الله عز وجل ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن  
شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله » فالرضى  
بالقضاء من أسباب السعادة والسخط على القضاء من أسباب الشقاوة وروى ابن أبي الدنيا  
بسند عن عمر بن ذر قال بلغنا ان أم الدرداء رضي الله عنها كانت تقول ان الراضين بقضاء  
الله الذي ما قضاه الله لهم رضوا به لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة وقال  
سيدنا الامام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لعدي بن حاتم وقد رآه كثيرا حزينا لقتل  
ابنيه ووفتي عينه « يا عدي من رضي بقضاء الله كان له اجر ومن لم يرض بقضاء الله حبط  
عمله » رواه ابن أبي الدنيا والله أعلم

### ﴿ فصل في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها ﴾

اعلم وفقك الله تعالى ان فرقة المعتزلة من أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد  
به ظاهر السنة وجرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان  
رضى الله عنهم في باب العقائد وذلك ان رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس  
الحسن البصري يقرأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين

المنزلة فقال له الحسن اعتزل عنا فسموا المعتزلة وهم سموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب الصلاح والاصلاح وثواب المطيع وعقاب العاصي على الله تعالى ونفي الصفات القديمة عنه كما تقدم ذلك قال الحافظ العلامة شمس الدين محمد بن عبد الهادي الحنبلي من بني قدامة في مناقب شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أول خلاف حدث في الملة في الفاسق المي هل هو كافر أو مؤمن فقالت الخوارج انه كافر وقالت الجماعة انه مؤمن وقالت طائفة المعتزلة هو لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين وخلدوه في النار واعتزلوا حلقه الحسن البصري وأصحابه فسموا معتزلة وأما أهل السنة فلم يخرجوه من الاسلام ولم يحكموا عليه بخلود في النار وإنما هو فاسق بكبيرته مؤمن بإيمانه وهو تحت مشيئة الله تعالى ولهذا قال

- ﴿ ويفسق المذنب بالكبيره      كذا اذا أصر بالصغيره ﴾  
 ﴿ لا يخرج المرء من الايمان      بمواقات الذنب والعصيان ﴾  
 ﴿ وواجب عليه ان يتوبا      من كل ماجر عليه حوبا ﴾  
 ﴿ ويقبل المولى بمحض الفضل      من غير عبد كافر منفصل ﴾  
 ﴿ ما لم يتب من كفره بضده      فيرتجع عن شره وصدده ﴾  
 ﴿ ومن يمت ولم يتب من الخطا      فامرته مفوض لذي العطا ﴾  
 ﴿ فان يشأ يعفو وان شاء اتقم      وان يشأ أعطى وأجزل النعم ﴾

( ويفسق ) المسلم المكاف ( المذنب ) باتيانه للمعصية ( الكبيرة ) أصل الفسوق الخروج عن الاستقامة والجور وبه سمي العاصي فاسقا وفي الحديث « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والغراب الأبقع والفارة والكلب العقور والحدأة » وسميت فواسق لخروجها بالايذاء والافساد عن طريق معظم الدواب وسمي الرجل الفاسق لخروجه عن أمر الله والمذنب هو المقترف للذنب وهو الاثم كما في القاموس والجمع ذنوب وجمع الجمع ذنوبات قال تعالى ( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

على الأثم والعدوان) قال في شرح منازل السائرين الأثم والعدوان كل منهما اذا  
افرد تضمن الآخر فكل اثم عدوان اذ هو فعل ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر الله  
به فهو عدوان على أمره ونهيه وكل عدوان اثم فانه يأثم به صاحبه لكن عند  
اقترانها فهما شيان بحسب متعلقها ووصفها فالاثم ما كان محرم الجنس كالكذب  
والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك والعدوان ما كان محرم القدر والزيادة بأن يتعدى ما يبيح  
منه الى القدر المحرم كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه بأن يتعدى على ماله أو بدنه  
أو عرضه والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ  
الاسلام أو ورد فيها وعيد بنفي ايمان أو لعن ونحوهما وقيل مالحق صاحبها وعيد  
شديد بنص كتاب أو سنة قال ابن عبد السلام الشافعي لم أقف للكبيرة على ضابط سالم  
من الاعتراض وعدل امام الحرمين عن تعريفها الى حد السالب للعدالة فقال  
كل جريمة تؤذن بقلّة اكتراث تركيها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلّة للعدالة  
وكل جريمة لا تؤذن بذلك بل يبقى حسن الظن بصاحبها لا تحبط العدالة وقد ذهب  
بعض العلماء الى ان كل محرم كبيرة منهم الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني والقاضي  
أبو بكر الباقلاني وامام الحرمين الجويني بل حكاه ابن فورك عن الاشاعرة  
والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة ويقال انه لاخلاف بين الفريقين في المعنى  
بل في التسمية والاطلاق لانفاق الجميع على ان من المعاصي ما يقدرح في العدالة  
ومنها ما لا يقدرح والحامل لمن اطلق على الجميع اسم الكبيرة تعظيم الحضرة الالهية  
من ان يكون العاصي له تعالى مرتكبا الامعصية كبيرة فبالنظر لامعصية فمنها الكبائر  
ومنها الصغائر وبالنظر الى المعصية فالجميع كباثر وفي شرح البخاري للبدر العيني  
عن سعيد بن جبير رحمه الله قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما الكبائر سبع  
فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الى السبعمانه أقرب منها الى السبع غير انه  
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقد أوصلها علماؤنا الى نيف وسبعين  
كبيرة كما في الاقناع وغيره وقوله ﴿كذا﴾ أي مثل اتيانه الكبيرة ﴿اذا أصر﴾ على  
الجريمة الصغيرة يقال اصر يصر على الشيء اصرارا اذا لزمه وداومه وثبت عليه  
وأكثر ما يستعمل في الشر والذنوب واما من أتبع الذنب الصغير بالاستغفار فليس

بمصر عليه وان تكرر منه وفي الحديث «ما أصر من استغفر» وفيه أيضاً «ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون» فمن أصر فإنه يفسق حتى ﴿الجريمة﴾ الصغيرة لان الاصرار يصير الصغيرة في حكم الكبيرة قال بعض العلماء تصير الصغيرة كبيرة بخمسة أشياء الاصرار عليها والتهاون بها والفرح بها والافتخار بها وصدورها عن عالم فيقتدى به فيها ثم ذكر ما عليه أهل السنة من أن اتيان الجريمة وان كانت كبيرة لا يخرج بها الشخص المؤمن عن الايمان بقوله ﴿لا يخرج المرء﴾ هو بتثليث الميم الانسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه أوسع مروان قاله في القاموس وهي بها ويقال مرة ولأمرأة وفي امرء مع ألف الوصل ثلاث لغات فتح الرأء دائماً واعرابها دائماً وتقول هذا السوء ومرء ورأيت امرأ ومرأ ومررت بامرئ ومرء معرباً من مكانين كله من القاموس ﴿من الايمان﴾ الآتي تعريفه فيما بعد ﴿بموبقات الذنب﴾ متعلق بقوله لا يخرج والموبقات بموحدة وقاف المهلكات جمع موبقة سميت الجريمة الكبيرة بذلك لانها سبب لاهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقاب وفي الآخرة من العذاب قال الحافظ ابن حجر والمراد بالموبقة الكبيرة وفي الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وغيرها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم لزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» وثبت في حديث أبي هريرة أيضاً من وجه آخر الكبائر الشرك بالله الحديث وأخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له الكبائر سبع قال هن أكثر من سبع وسبع وفي رواية عنه هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى السبعائة كما تقدم يعني باعتبار أصناف أنواعها والحكمة في الاقتصار على السبع المذكورة في الحديث مع ورود ما يزيد على السبعين في أحاديث متفرقة ان هذه موصوفة بصفة زائدة على مجرد الكبيرة وهي الموبقة أي المهلكة فان قيل قد ورد في عدة أحاديث الكبائر سبع ففي حديث عمرو بن العاصي رضي الله عنه عند الامام أحمد في المسند وصحيح البخاري والترمذي والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الكبائر الاثني عشر بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق

وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم والرجوع الى الاعرابية بعد الهجرة» فعد في هذا الحديث ثمانية في بادي الرأي وكأنه عد الاكل للربا ومال اليتيم واحدة وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا عند البزار باسناد حسن «الكبائر الشرك بالله والاياس من روح الله والتقنوط من رحمة الله» وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البيهقي باسناد صحيح مرفوعا «الكبائر الاشرار بالله وقذف المحصنة وقتل النفس المؤمنة والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين وإلحاد بالبيت قبلتكم أحياء وأمواتا» الى غير ذلك من الاحاديث التي وصف فيها الذنوب بالكبر مما يزيد عن السبعين الجواب ان هذا مما يؤيد ان العدد لا مفهوم له وانه صلى الله عليه وسلم علم أولا بالسبع المذكورات ثم علم بما زاد فيجب الاخذ بالزائد اوان الاقتصار على السبع وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل أو من وقعت له واقعة والاقوى ان التنصيص على السبع في كل حديث لزيادة عظمتها. ومن الكبائر الزنا وبخيلة الجار أشد وبالحرمان أشد فأشد فان الجريمة الصغيرة قد تنقلب كبيرة بقرينة تضم اليها وتنقلب الكبيرة فاحشة فان قتل النفس بغير حق كبيرة فان قتل اصلاله أو فرعا أو ذارحم أو بالحرمان أو في الاشهر الحرم أو في رمضان فهو فاحشة وكذا الزنا وتفصيل ذلك كثيرة جدا والمراد ان الانسان لا يخرج من الايمان بملاسته واتبائه بمواقف الذنوب التي هي أكبر الكبائر وأل في الذنب للجنس أو الاستغراق فيشمل كل الذنوب «والعصيان» دون الشرك بالله تعالى والكفر به بأي أنواع المكفرات فان ذلك يخرج من الدين بيقين والعصيان ضد الطاعة وهو يرادف الذنب والاثم والجرم وكذا البغي والعدوان والظلم ولكن يفهم من هذه تجاوز الحد المباح الى ما وراءه وكذا الفحشاء والمنكر فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تجريدا لقصد الصفة وهي الفعلة الفحشاء والحصلة الفحشاء وهي ما ظهر قبها الكل أحد واستخبثها كل ذي عقل سليم ولهذا فسر بالزنا واللواط وقد سماه الله فاحشة لتناهي قبجه وكذلك القبيح من القول يسمى فحشا وهو ما ظهر قبجه جدا من السب القبيح والقذف ونحوه وكذا المنكر صفة لموصوف محذوف أي الفعل المنكر وهو ما أنكرته العقول السليمة والفطر المستقيمة

والحاصل ان الشخص المؤمن لا يخرج من الايمان بملاسة كبائر الذنوب والعصيان وقد اختلف الناس في هذه المسئلة على طرق فطريق الخوارج ان من ارتكب كبيرة من الذنوب - بل والصغيرة لان عندهم كل ذنب كبيرة نظراً لعظمة من عصى وكل كبيرة كفر يخرج من الايمان ويدخل الكفر ويخلد في النار قالوا لانه لا يخلد في النار الا الكفار وطريق المعتزلة انه يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر فهو في منزلة بين الكفر والايمان ومن أصول المعتزلة اثبات المنزلة بين المنزلتين كما مر ومع ذلك هو خالد مخلد في النار مع قولهم ان مرتكبي الكبائر ليسوا بكفار بل هم فساق مخلدون في النار هذا كله عند الطائفتين اذا لم يتوبوا قبل معاينة الموت والماق مذهب أهل الحق من أدل السنة ان مرتكبي الكبيرة في مشيئة الله تعالى وعفوه لان أصل الايمان من التصديق بالله والمعرفة والادعان موجود ونصوص الكتاب والسنة لا تدل الا على هذا كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كنتم عليكم النصائح في القتلى) الآيتين وفي ذلك يقول (فمن عفي له من أخيه شيء) فسماه أخاً وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً) وقوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا - الى قوله تعالى - انما المؤمنون اخوة) الآية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال وحوله عصابه من أصحابه «بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تأتوا بيهتان تغفرونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك فموقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم سيره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه» قال فبايعناه على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى «ابن آدم لو لقيتني بقراب الارض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس وأبو عوانة في مسنده من حديث أبي ذر وأيضاً الامام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر أيضاً وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى «من تقرب مني



شبرا تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن اناني يمشي  
 أتته هرولة ومن لقيني بقرب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بقربها مغفرة»  
 وأخرج الامام احمد من رواية اخشن السدوسي قال دخلت على أنس رضي  
 الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «والذي نفسي بيده لو  
 أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم» وقال  
 صلى الله عليه وسلم «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» وقال «من كان آخر  
 كلامه لا اله الا الله دخل الجنة» وقال «ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله  
 ينتقي بذلك وجه الله» وفي حديث الشفاعة «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة  
 من خردل من ايمان» وفيه يقول الله عز وجل «وعزتي وجلالي لا اخرجن من النار  
 من قال لا اله الا الله» فالتوحيد من أعظم بل أعظم أسباب المغفرة فهو السبب  
 الاعظم فمن فقدته فقدت المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال الله  
 تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فدللت الآية مع  
 حديث أنس ان من جاء مع التوحيد بملء الارض خطايا لقيه الله بملئها مغفرة  
 مع مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وان شاء (١) وأخذه بذنوبه ثم كان عاقبته ان  
 لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة قال بعض المحققين الموحد لا يلتقي  
 في النار كما يلتقي الكفار ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار والنصوص على قول أهل  
 الحق والادلة له كثيرة جداً فدل الكتاب والسنة واتفاق الفرقة الناجية على  
 انه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد وأما آية النساء (ومن يقتل مؤمناً متعمداً)  
 فالها نظائر أمثالها من نصوص الوعيد كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له  
 نار جهنم خالدين فيها أبداً) وقوله (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون  
 في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) وكذلك ماورد من السنة كقوله صلى الله عليه  
 وسلم «من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده ينوجاً بها خالداً مخلد في نار جهنم»  
 ونظائره كثيرة فقالت فرقة الوعيد في حق المستحل لها لانه كافر وأما من فعلها  
 غير مستحلها لم يلحقه وعبد الخلود وان لحقه وعيد الدخول وقد انكر الامام

(١) لعله سقط من هنا لفظ «عذبه» والا فالواو في قوله «واخذه» زائد

أحمد رضي الله عنه هذا القول وقل لو استحلت ذلك ولم يفعله كان كافرا والنبي صلى الله عليه وسلم إنما قال من فعل كذا وكذا (وقالت فرقة أخرى) الاستدلال بنصوص الوعيد هذه مبني على ثبوت العموم قالوا وليس في اللغة ألفاظ عامة وقصدتم تعطيل هذه الأدلة عن استدلال المعتزلة والخوارج بها لكن ذلك يستلزم تعطيل جملة الشرع فهم ردوا باطلا بأبطال منه وبدعة بأقبح منها فكانوا كمن رام أن يبني قصرا فهدم مصرا (وقالت فرقة أخرى) في الكلام اضمار فمنهم من قال باضمار الشرط والتقدير فجزاؤه كذا ان جراه أو ان شاء ومنهم من قل باضمار الاستثناء والتقدير فجزاؤه كذلك الا أن يعفو (وقالت فرقة أخرى) هذا وعيد واخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح فيجوز على الله تعالى اخلاف الوعيد لا اخلاف الوعد والفرق بينهما ان الوعيد حقه فاخلافه عفو وهبة واسقاط ذلك موجب كرمه وجوده واحسانه والوعد أوجبه على نفسه بوعدده والله لا يخلف الميعاد ولهذا مدح به كعب بن زهير رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال  
نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

وتناظر في هذه المسئلة أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد المعتزلي صاحب واصل بن عطاء فقال عمرو بن عبيد يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده وقد قال تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه) فقال أبو عمرو ويحك يا عمرو من العجمة أتيت إن العرب لا تعد اخلاف الوعيد ذما بل جودا وكرما أما سمعت قول الشاعر

ولا يرهب ابن العم ما عشت صوتي      ولا يتحدثني من صولة المتهددي  
واني وان أوعدته أو وعده      تخلف ايعادي ومنجز موعدي

وعلى كل حال قد قام الدليل على ذكر الموانع من انفاذ الوعيد بعضها بالاجماع وبعضها بالنص فالتوبة مانع بالاجماع والتوحيد مانع بالنصوص المواترة التي لا مدفع لها والحسنات العظيمة الماحية مانعة والمصائب المكفرة مانعة واقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص فلا تعطل هذه النصوص وأضعاف أضعافها فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين ومن ثم قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات

عتبارا لمتنضي العقاب ومانعاً عمالاً لأرجحهما وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما وبناء الاحكام الشرعية والاحكام القدرية وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود وبه ارتباط الاسباب ومسبباتها خلقاً وأمرأ وقد جعل تعالى لكل ضد ضداً يدافعه ومانعاً يمانعه ويكون الحكم للأغلب منهما والحاصل والله اعلم كون المذنب المني وان كثرت ذنوبه وعظمت خطاياها في مشيئة مولاه ان شاء عذبه وان شاء عافاه وعلى كل حال خلود أهل التوحيد في النار من المحال فالصواب اجتنابه وعدم الالتفات اليه والتعويل على مذهب أهل الحق والركون اليه وباللّه التوفيق

\*\*\*

ولما كان من متعلقات الذنوب التوبة وكانت واجبة على كل من تلبسَ بذنب ذكر ذلك بقوله ﴿وواجب﴾ وجوب لزوم لا بدله منه ﴿عليه﴾ أي المذنب ﴿ان يتوباً﴾ بألف الاطلاق للرزق أي ان يرجع فالتوبة أصل كل مقام ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له ولا حال وهو لغة الرجوع من شيء الى آخر وقال الامام النووي أصل التوبة لغة الرجوع يقال تاب وتاب بالمشيئة وآب وانا بارجع والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنب انتهى فهي الرجوع عن الذنب بأن يقام عنه ويندم عليه ويعزم على ان لا يعود اليه ويرضي الاذي عن غلامته ان تعلقته وقال بعضهم التوبة الواجبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع من ترك واجب أو فعل محرم الى ما هو محمود في الشرع قال النووي أركانها ثلاثة (١) الاقلاع والندم على فعل تلك المعصية والعزم على ان لا يعود اليها أبداً وان لا يفرغ انتهى فان كانت المعصية لأذي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق

(١) نظم أركان التوبة الشيخ عثمان بن قائد الحنبلي رحمه الله تعالى في ثلاثة

آيات وسماها شروطاً وهي

شروط توبتهم ان شئت عدتها	ثلاثة عرفت فاحفظ على مهل
اقلاعه ندم وعزمه أبداً	ان لا يعود لما منه جرى وقل
ان كان توبته من ظلم صاحبه	لا بد من رده الحق علي عجل

وأصلها الندم وهو ركنها الاعظم وقد فسرت الصحابة رضي الله عنهم كأبي ميري المؤمن عمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود وقد روي ذلك مرفوعاً من وجه فيه ضعف لكن لا يعلم مخالف من الصحابة في هذا وكذلك التابعون ومن بعدهم كعمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما وفي قوله ﴿من كل ما﴾ أي شيء، والذبي ﴿جر﴾ أي قاد وجذب ﴿عليه﴾ أي المذنب ﴿حوباً﴾ أي اثماً وفي القاموس الحوب الأثم يقال حاب بكذا ثم حوباً ويضم والحوب الحزن والوحشة ويضم فيهما وفي القاموس أيضاً الحوب بالضم الهلاك والبلاء والتحوب التوجع وترك الحوب كالتأثم ومراد الناظم من ذلك من كل ما جر عليه الهلاك والبلاء اشعار بوجوب التوبة من كل ذنب كبير أو صغير وهذا مما اتفق عليه العلماء فانهم اتفقوا على ان التوبة من كل معصية واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة وانها من مهمات الاسلام وقواعد الدين المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل وظاهر النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والآثار السلفية على ان من تاب لله توبة نصوحاً واجتمعت شروط التوبة في حقه أنه يقطع بقبول توبته كرمائه وفضلاً وعرفنا قبولها بالشرع والاجماع خلافاً للمعتزلة اما في حق قبول توبة الكافر بالاسلام فهذا بالاجماع كما نقله غير واحد قال النووي في شرح مسلم وغيره توبة الكافر من كفره قبولها مقطوع به وفي كلام ابن عقيل من أئمة علمائنا ما يخالف ذلك فانه قال انه لا يجب ويجوز ردها انتهى واما قبول توبة المذنب النصوح بشروطها فقول الجمهور وكلام الامام ابن عبد البر يدل على انه اجماع ومن الناس من قال لا يقطع بقبول التوبة بل يرجح وصاحبها تحت المشيئة منهم امام الحرمين قال القرطبي من استقرأ الشريعة علم ان الله يقبل توبة الصادقين قطعاً نقله في الفتح واقره والى قبول التوبة فضلاً وكرماً أشار بقوله ﴿ويقبل المولى﴾ الذي هو رب العالمين وخالق الخلق وباسط الرزق ذو الكرم الواسع والفضل العظيم ﴿بمحض﴾ أي خالص ﴿الفضل﴾ والكرم من غير وجوب عليه تعالى ولا الزام ﴿من﴾ كل عبسذ مذنب تاب الى الله توبة نصوحاً بشروطها المذكورة من الندم والاقلاع والعزم ان لا يعود وان يرد ما أمكن من

الظالم من حقوق الآدميين أو يستحلهم مما أمكن فاذا اجتمعت الشروط قبلت التوبة فضلا من الله تعالى ولا بد ان تكون من شخص مسلم ﴿غير عبد كافر﴾ بالله ورسوله ﴿منفصل﴾ عن الدين اما بردة أو كان كافرا أصليا فلا تقبل توبته من الذنوب ﴿مالم يتب﴾ أي يرجع ﴿من كفره﴾ فيسلم ويقر لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويقر ويدعن بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن بالكتاب وبما جاء به الكتاب فيتصف من بعد رجوعه عن الكفر ﴿بضده﴾ من الاسلام فان كان مرتدا بانكار ما علم من الدين بالضرورة ايجابا وتحرما فيرجع عن انكاره ذلك ويقر ويدعن حسبما جاء به النبي الكريم وكلام الله القديم وان كان مشركا أو معتقدا ان لله شريكا يستقل بالنعف والضرر وعلم الغيب مما استأثر الله بعلمه ﴿فلا يقبل منه مالم﴾ يرتجع عن شركه ﴿الذي كان متصفا به﴾ وصدده ﴿أي اعراضه عن الدين واتباع سيد العالمين بأن يدعن وينقاد لشريعة خير العباد مسلما خاضعا مقبلا بقلبه وقالبه خالعا ما كان عليه من ترهاته ومطالبه فهذا يقبل اسلامه اجماعا وأما المذنب فزعم بعض الناس انه لا يقطع بقبول توبته مع استيفاء الشروط متعللا بقوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجعل كل الذنوب تحت المشيئة وربما تعلقوا بمثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) ويقولوا (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ويقولوا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) ويقولوا (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم) والظاهر ان هذا في حق التائب لان الاعتراف يقتضي الندم وفي حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه» والصحيح قول الجمهور وهذه الآيات لا تدل على عدم القطع فان الكرم اذا اطعم لم يقطع من رجائه المطعم ومن هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان عسى من الله واجبة نقله عنه علي ابن ابي طلحة وقد ورد جزاء الايمان والعمل الصالح بلفظ عسى ايضا فلم يدل ذلك على انه غير مقطوع به كافي قوله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم

الآخر) لا يه وأما قوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فإن اتائب ممن يشاء ان يغفرله كما اخبر بذلك في مواضع كثيرة من كتابه

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلف الناس هل تكفر الاعمال الصالحة الكبار والصغائر ام لا تكفر سوى الصغائر فروي عن عطاء وغيره من السلف في الوضوء انه يكفر الصغائر وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه الوضوء يكفر الجراحات الصغائر والمشي الى المساجد يكفر أكبر من ذلك والصلاة تكفر أكبر من ذلك خرج محمد بن نصر المروزي وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة لان الله أمر العباد بها وجعل من لم يتب ظالما فقال (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وانفتحت الامة على ان التوبة فرض والغرض لا تؤدي الا بنية وقصد ولو وقعت الكبائر مكفرة بالوضوء والصلاة أو اداء بقية اركان الاسلام لم يحتاج الى التوبة وهذا باطل بالاجماع وأيضا فلو كفرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لاحد ذنب يدخل به النار اذا أتى بالفرائض قال الحافظ ابن رجب وهذا يشبه قول المرجئة وهو باطل وكذا ذكره ابن عبد البر في التمهيد وحكى اجماع المسلمين على ذلك واستدل عليه بأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد حكى ابن عطية في تفسيره قولين في معنى هذا الحديث أحدهما عن جمهور أهل السنة ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرائض للصغائر فان لم يجتنب لم تكفر هذه الفرائض شيئا بالكيفية والثاني انها تكفر الصغائر مطلقا ولا تكفر الكبائر وان وجدت لكن بشرط عدم الاصرار عليها مراده انه اذا أصر عليها صارت كبيرة فلم تكفرها الاعمال وفي صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من امرئ مسلم يحضر صلاة مكتوبة فيحسن وضوءه واخشوعها الا كانت كفارة اقبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدمير كله» وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة قال الحافظ ابن رجب وقد ذهب قوم من أهل الحديث الى أن هذه الاعمال تكفر الكبائر منهم الامام أبو محمد علي بن حزم الظاهري واية عن الامام ابن عبد البر في كتاب

التهديد بالرد عليه وقال قد كنت أرغب بنفسي عن الكلام في هذا الباب لولا قول ذلك القائل وخشيت ان يغتر به جاهل فينبهك في الموبقات اتكالا على انها تكفرها الفرائض من الصلوات ونحوها دون الندم والاستغفار والتوبة والله نسأله المعصمة والتوفيق قال الحافظ ابن رجب وقد وقع مثل هذا في كلام طائفة من اهل الحديث في الوضوء ونحوه ووقع مثله في كلام ابن المنذر في قيام ليلة القدر قال رجلي ان قامها ان يغفر له جميع ذنوبه كبيرها وصغيرها قال فان كازم ادهم ان من أتى بفرائض الاسلام وهو مصر على الكبائر انما تغفر له قطعاً فهذا باطل قطعاً يعلم بالضرورة من الدين بطلانه وقد قال صلى الله عليه وسلم «من أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخرة» يعني بعمله في الجاهلية والاسلام قال وهذا أظهر من ان يحتاج الى بيان قال وان أراد هذا القائل ان من ترك الاصرار على الكبائر وحافظ على الفرائض من غير توبة ولا ندم على ما سلف منه كفرت ذنوبه كلها بذلك واستدل بظاهر قوله تعالى (ان تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) تشمل الكبائر والصغائر (١) فكما ان الصغائر تكفر باجتباب الكبائر من غير قصد ولا نية فكذلك الكبائر وقد يستدل لذلك بان الله وعد المؤمنين والمنتقين بالمغفرة وتكفير السيئات وهذا مذكور في غير موضع من القرآن وقد صار مثل هذا من المنتقين فانه فعل الفرائض واجتباب الكبائر واجتباب الكبائر لا يحتاج الى نية وقصد فهذا القول (٢) يمكن ان يقال في الجملة والصحيح قول الجمهور ان الكبائر لا تكفر بدون التوبة لانها فرض لازم على العباد وأما النصوص المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير السيئات للمنتقين فانه سبحانه لم يبين في الآيات خصال التقوى ولا العمل الصالح فان من جملة ذلك التوبة بالنصوص واما من لم يتب فهو ظالم غير متق ومما يبين ان الكبائر لا تكفر بدون التوبة منها أو العقوبة عليها حدث عبادة بن الصامت المار وهو في الصحيحين فمن «وفي فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فسره الله عليه فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له» وفي لفظ مسلم «من أتى

(١) يقول مصحح الطبع ربنا كان في الكلام حذاف هنا (٢) هذا جواب الشرط

في قوله «فان أراد هذا القائل»

منكم حداً فأقيم عليه فهو كفارته» قال الحافظ ابن رجب قوله فعوقب به يعنى العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة أو غير المقدرة كالتعزيرات ويشمل العقوبات القدريّة كالمصائب والاسقام والآلام فإنه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يصيب المسلم نصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحد كفارة لمن أقيم عليه وذكر ابن جرير الطبري في هذه المسئلة اختلافاً بين الناس ورجح أن إقامة الحد بمجرد كفارة ووهن القول بخلاف ذلك جداً قال الحافظ ابن رجب وقد روي عن سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم أن إقامة الحد ليس بكفارة ولا بد معه من التوبة ورجحه طائفة من المتأخرين منهم البغوي وأبو عبد الله ابن تيمية في تفسيريهما وهو قول أبي محمد بن حزم والأول قول مجاهد وزيد بن أسلم والثوري والامام أحمد وأما حديث أبي هريرة المرفوع «لا أدري الحدود تطهارة لأهلها أم لا» فقد خرجه الحاكم وغيره وعلاه البخاري وقال لا يثبت وإنما هو من مراسيل الزهري وهي ضعيفة وغلط عبد الرزاق فوصله وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الحد كفارة وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال أصبت حلاً فأقمه علي فتركه حتى صلى ثم قال «إن الله قد غفر لك حدك» فليس صريحاً في أن المراد به شيء من الكبائر لأن حدود الله محارمه كما قال تعالى (وإنك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) فكل من أصاب شيئاً من محارم الله فقد أصاب حدوده وارتكبها وتعداها وعلى فرض كونه كبيرة فهذا الرجل جاء نادماً تائباً وأسلم نفسه إلى إقامة الحد عليه والنسب توبة والتوبة تكفر الكبائر بغير تردد ثم قال الحافظ ابن رجب والظاهر والله أعلم في هذه المسئلة يعني مسئلة تكفير الكبائر بالأعمال أنه أن أريد أن الكبائر تسمى بمجرد الأتيان بالفرائض وتقع مكفرة بذلك كالصغائر باجتناب الكبائر فهذا باطل وإن أريد أنه قد يوازن يوم القيمة بين الكبائر وبين بعض الأعمال فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ضرب عبداً له فاعنته وقال ليس لي فيه من الأجر



مثل هذا وأخذ عوداً من الأرض أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من لطم مملوكه أو ضربه فان كفارته ان يتقه» فجعل ابن عمر رضي الله عنهما ان عتقه كفارة لذنبه وليس له فيه من الأجر شيء حيث كان كفارة لذنبه ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الاعمال مكفراً للكبائر وقد قال قوم من السلف ان السيئة تمحى ويسقط نظيرها حسنة من الحسنات التي هي ثواب العمل فاذا كان هذا في الصغائر فكيف بالكبائر فان بعض الكبائر قد تحبط من الاعمال المنافية لها كما يبطل المن الصدقة وتبطل العاملة بالربا ثواب الجهاد كما قالت عائشة رضي الله عنها لام ولد زيد بن أرقم انه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتوب وقال حذيفة رضي الله عنه: قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة: وروى عنه مرفوعاً أخرجه البزار وكما يبطل ترك صلاة العصر العمل فلا يستنكر ان يبطل ثواب العمل الذي يكفر الكبائر وقد أخرجه البزار في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يؤتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة فيقص أو يقضى بعضها من بعض فان بقيت له حسنة وسع له بها في الجنة» وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشيء القليل اذا أعطوه فيستقلون ان يعطوا المسكين نمرة أو كسرة أو جوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء انما نؤجر على مانعطي ونحن نحبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير كالنكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما أوعده الله النار على الكبائر فرغبهم الله في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكسر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكبر فتزلت والذر اصغر النمل (خيراً يره) يعني في كتابه وبسره ذلك قال يكتب اسكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمن أيضاً بكل واحدة عشر افيمححو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة فظاهر هذا انه يقع المقاصة بين الحسنات والسيئات ثم تسقط الحسنات

المقابلة للسيئات وينظر الى ما يفضل منها بعد المقاصة وهذا يوافق من قال بان من رجحت حسناته على سيئاته بحسنة واحدة اثيب بتلك الحسنة خاصة وتسقط باقي حسناته في مقابلة سيئاته خلافا لمن قال يثاب بالجميع وتسقط سيئاته كأنها لم تكن وهذا في الكبائر واما الصغائر فانها قد تمحى بالاعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال صلى الله عليه وسلم «الادلکم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة» فأثبت صلى الله عليه وسلم لهذه الأعمال تكفير الخطايا ورفع الدرجات وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا آله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مائة مرة كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة وكانت له عدل عشر رقاب» فهذا يدل على ان الذكر يمحو السيئات ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا وكذلك سيئات التائب توبة نصوحا تكفر عنه وتبقى له حسناته كما قال تعالى «حتى اذا بلغ أشده وبلغ أر بعين سنة - الى قوله - واني من المسلمين» قال تعالى «أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوزون سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون» وفي هذا المعنى أخبار كثيرة والحاصل انه يوجد في بعض الاعمال كفارة للذنوب ورفع درجات وفي كلام بعض السلف انه يمحي بازاء السيئة الواحدة ضعف واحد من أضعاف ثواب الحسنة ويبقى له تسع حسنات قال الحافظ ابن رجب والظاهر ان هذا يختص بالصغائر واما في الآخرة فيوازن بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض فمن رجحت حسناته على سيئاته فقد نجا ودخل الجنة قال سواء في هذا الصغائر والكبائر وهكذا من كان له حسنات وعليه مظالم فاستوفى المظلومون حقوقهم من حسناته وبقي له حسنة دخل بها الجنة قال ابن مسعود رضي الله عنه ان كان وليا لله فضل له مثقال ذرة ضاعفها الله حتى يدخل الجنة وان كان شقيا قال الملك :رب فنيت حسناته وبقي له طالبون كثير قال «خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكالي النار» اخرجه ابن أبي حاتم وغيره قال الحافظ ابن رجب والمراد التفضيل من مثقال الذرة من الحسنات انما هو بفضل الله عز وجل لمضاعفته لحسنات المؤمن وبركته فيها

وهكذا حال من كانت له حسنات وسيئات وأراد الله رحمته فضل له من حسناته ما يدخله به الجنة وكله من فضل الله ورحمته فإنه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله ورحمته وأخرج أبو نعيم بإسناده عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل «قل لاهل طاعتي من أمتك لا يتكلموا على أعمالهم فاني لا افاض عبداً الحسنات يوم القيامة أشاء ان أعذبه الا عذبه وقل لأهل معصيتي من أمتك لا يلقوا بأيديهم فاني أغفر الذنب العظيم ولا أبالي» ومصادقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «من نوقش الحساب عذب - وفي رواية - هلك»

(تمة) روى الامام أحمد رضي الله عنه في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يفرق بني آدم، والملائكة تستأذنه ان تعاجله وتملكه والرب تعالى يقول: دعوا عبيدي فأنا أعلم به اذ أنشأته من الارض ان كان عبدكم فثأنكم به وان كان عبيدي فني الى عبيدي وعزتي وجلالي ان أناني ليلاقبته وان تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وان تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وان مشى الى هرولت اليه وان استغفرني غفرت له وان استقالني أقلته وان تاب الي تبت عليه، من أعظم مني جوداً وكرهاً وأنا الجواد الكريم عبيدي بيتون يبارزونني بالعظائم وأنا اكلوهم في مضاجعهم وأحرسهم على فرشهم من اقبل الي تلقيته من بعيد ومن ترك لاجلي أعطيته فوق الميزيد ومن تصرف بحولي وقوتي أنت له الحديد ومن أراد مرادي اردت ما يريد اهل ذكري اهل مجالستي وأهل شكري اهل زهادتي وأهل طاعتي اهل كرامتي وأهل معصيتي لا اقنطهم - وفي لفظ - لا اونسهم من رحمتي ان تابوا فأنا حبيهم فاني أحب التوابين وأحب المتطهرين وان لم يتوبوا فأنا طيبهم أبتليهم بالمصائب لا طهرهم من المعاييب» والله الموفق

### ﴿التنبيه الثاني﴾

تقدم ان الصحيح المعتمد وجوب التوبة حتى من الصغائر كالكبائر وقيل لا تجب من الصغائر توبة لأنها تقع مكفره باجتناب الكبائر لقوله تعالى «ان يجتنبوا كبائر ما أنسبوا عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً» قال الحافظ ابن رجب أوجب أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم التوبة من الصغائر كالكبائر وقد

أمر الله سبحانه عقيب ذكر الصغائر والكبائر بالتوبة في قوله تعالى «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم - وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن - إلى قوله - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون) الآية وأمر بالتوبة من الصغائر بخصوصها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم - إلى قوله - ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) قال الحافظ ومن الناس من لا يوجب التوبة من الصغائر وحكي عن طائفة من المعتزلة ومن المتأخرين من أوجب أحد أمرين إما التوبة منها أو الإتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات وحكي ابن عطية في تفسيره في تكفير الصغائر بامتنال الفرائض واجتناب الكبائر قولين أحدهما وحكاه عن جماعة من الفقهاء وأهل الحديث أنه يقطع بتكفيرها بذلك قطعا لظاهر الآية والحديث وحكي عن الأصوليين أنه لا يقطع بتكفيرها بل يحمل على غلبة الظن وقوة الرجاء وهو في مشيئة الله تعالى إذ لو قطع بتكفيرها لكانت الصغائر في حكم المباح الذي لا تبعه فيه وذلك نقض لعري الشريعة قال الحافظ لا يقطع بتكفيرها لأن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذلك في الوضوء والصلاة وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذي يوجب التكفير وعلى هذا الاختلاف ينبنى وجوب التوبة من الصغائر وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار: وروي من فوعا من وجوه ضعيفة وإذا صارت الصغائر كبائر بالمدامة عليها فلا بد للمحسنين من احتساب المدامة على الصغائر حتى يكونوا مجتنبين لكبائر الآثم والفواحش وقد قال تعالى (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الآثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فهذه الآيات تضمنت وصف المؤمنين بقيا مهم بما أوجب الله عليهم من الإيمان والتوكل وإقام الصلاة والانفاق بما رزقهم الله والاستجابة لله في جميع طاعاته ومع هذا هم مجتنبون كبائر الآثم والفواحش فهذا تحقق التقوى ووصفهم في معاملتهم للخلق بالمغفرة عند

الغضب وندبهم الى العفو والاصلاح واما قوله تعالى (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون) فليس منافيا للعفو فان الانتصار يكون باظهار القدرة على الانتقام ثم يقع العفو بعد ذلك فيكون اتم وأكمل قال النخعي في هذه الآية كانوا يكرهون ان يستدلوا فاذا قدروا عفوا وقال مجاهد كانوا يكرهون للمؤمن ان يذل نفسه فيجترى عليه الفساق فالمؤمن اذا بغى عليه يظهر القدرة على الانتقام ثم يعفو بعد ذلك وبالله التوفيق

### ﴿ الثالث ﴾

تنازع الناس في العبد هل بصير الى حال يمتنع عليه فيه قبول التوبة اذا ارادها فصوب شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ان التوبة ممكنة من كل ذنب لمن ارادها ويمكن ان الله يغفر له قال وهذا الذي عليه أهل السنة والجمهور وقد فرض بعض الناس ان من توسط أرضا مفضوبة ومن توسط جرحي فكيف ما تحرك قتل بعضهم فقيل هذا لا طريق له الى التوبة قال والصحيح ان هذا وغيره اذا تاب قبل الله توبته فان خروج من توسط أرضا مفضوبة بنية تخاية المكان وتسليمه الى مستحقه ليس بمنهي عنه ولا محرم بل الفقهاء متفقون على ان من غضب دارا وترك فيها قماشه وماله اذا أمر بتسليمها الى مستحقها فانه يؤمر بالخروج منها وبإخراج أهله وماله منها وان كان ذلك نوع تصرف فيها لكنه لاجل اخلائها وقد قال تعالى ( قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ) وأنيبوا الى ربكم واسئلوا له من قبل ان يأتكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) الآيات فهذه في حق التائبين واما آية النساء وهي قوله (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء) فلا يجوز ان تكون في حق التائبين كما يقوله من يقوله من المعتزلة فان النائب من الشرك يغفر له الشرك أيضا بنصوص القرآن واتفاق المسلمين وقد خص الله تعالى في هذه الآية الشرك بانه لا يغفره وماعده لم يجزم بمغفرته بل علقه بالمشيئة فقال ( ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة كما ان فيها ردا على المرجئة والجبورية لانه سبحانه علق

المغفرة بالمشيئة فلو كان يغفر لكل أحد بطل قوله: لمن يشاء: ولو كان لا يغفر لاحد بطل قوله: ويغفر مادون ذلك لمن يشاء: فدلّت الآية على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك لكنها لبعض الناس وحينئذ فمن غفر له لم يعذب ومن لم يغفر له عذب وهذا مذهب الصحابة وسلف الامة وسائر الائمة وهو القطع بأن من عصاة الامة من يدخل النار ومنهم من يغفر له والمقصود أن الآية الاولى فيها النهي عن القنوط من رحمة الله وان عظمت الذنوب وكثرت فليس لاحد أن يقنط من رحمة الله وان كثرت ذنوبه وعظمت ولا أن يقنط الناس من رحمة الله قال بعض السلف ويروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤس الناس من رحمة الله ولا يجرمهم على معاصي الله والقنوط بأن يعتقد ان الله لا يغفر له اما لكونه اذا تاب لا يقبل الله توبته ولا يغفر له ذنوبه وإما ان نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب والشيطان ونفسه قد اسنحوذا عليه فيأس من توبة نفسه وان علم بأنه اذا تاب غفر له وهذا يعتري كثيرا من الناس والقنوط يحصل بهذا تارة وبهذا تارة فالاول كالراهب الذي أفتى قائل لسع وتسعين نفسا ان الله لا يغفر له فقتله وكل به المائة ثم دل على عالم فسأله فافتاه بأن الله يقبل توبته والحديث في الصحيحين والثاني كالذي يرى للتوبة شروطا كثيرة أو يقال له إن للتوبة شروطا كثيرة يتعذر عليك فعلها والاتيان بها فيأس من ان يتوب وقد نبى الله عن ذلك واخبر انه يغفر الذنوب جميعا والمراد ان الله يغفر الذنوب ولم يخبر سبحانه انه يغفر لكل مذنب بل أخبر تعالى انه لا يغفر لمن مات كافرا فقال ان (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) وقال في حق المنافقين (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب بحال بل ما من ذنب الا والله يغفره في الجملة وهذه الآية عظيمة جامعة من أعظم الآيات نفعا وفيها رد على طوائف كما سنوضحه فيما يأتي إن شاء الله تعالى

#### ﴿ الرابع ﴾

تصح التوبة في المعتمد من ذنب مع الاصرار على آخر عند السلف والخلف وقالت

طائفة من متكلمي المعتزلة كأبي هاشم ابن أبي علي الجبائي لا تصح التوبة الا من الجميع وحكى القاضي وابن عقيل رواية عن الامام أحمد رضي الله عنه تدل على مثل هذا والمعروف من مذهبه هو الاول وما روي عنه محمول على انها ليست توبة تجعله تابيا مطلقا فن الذي ذكره المروزي عنه انه سئل عن تاب عن الفاحشة ولم يتب عن النظر فقال أي توبة هذه؟ وهذا لا يعطي ما قالوه عنه وإنما أراد انها ليست توبة عامة فان نصوصه المتواترة عنه خلاف ذلك فحمل كلامه على ما يوافقه أولى لاسيما اذ كان القول الآخر مبتدعا لا يعرف له سلف كما قاله شيخ الاسلام في فتاويه قال والامام أحمد رضي الله عنه من أشد الناس توصية بالسنة والاتباع وتوصية باتباع السلف وترك الابتداع قال شيخ الاسلام ومن تاب من بعض ذنوبه فالتوبة تقتضي مغفرة ما تاب منه فقط قال وما علمت فيه نزاعا الا في الكافر اذا أسلم فان اسلامه يغفر له الكفر وهل يغفر له الذنوب التي فعلها في حال كفره ولم يتب منها في الاسلام؟ على قولين معروفين الصحيح انه اذا لم يتب من الذنب بقي على حكمه ولا يغفر الا بمشيئة الله تعالى كغيره من المسلمين الذين عملوا في الاسلام انتهى واذا تاب الانسان توبة عامة فهي تتناول كل ما رآه ذنباً لان التوبة العامة تتضمن عزمها على فعل المأمور وترك المحذور وكذلك تتضمن ندمها على كل محذور والندم سواء قيل انه من باب الاعتقادات او من باب الارادات أو من باب الآلام التي تلحق النفس بسبب فعل ما يضرها فاذا استشعر القلب انه فعل ما يضره حصل له معرفة بالذي فعله كان من السيئات وهذا من باب الاعتقادات وكراهة لما كان فعله هو من جنس الارادات وحصل له أذى وغم لما كان فعله وهذا من باب الآلام كالغصوم والاحزان وعلى كل فن تاب توبة عامة كانت مقتضية لغفران الذنوب كلها وان لم يستحضر أعيان الذنوب الا أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه لقوة ارادته أو لاعتقاده انه حسن فلا يدخل في التوبة وقال الامام النووي انها تصح من ذلك الذنب عند اهل الحق وهو الذي ذكره القرطبي انه خلاف قول المعتزلة يعني صحة التوبة من بعض الذنوب دون بعض قال العلامة ابن مفلح في الآداب اما صحة التوبة عن بعض الذنوب فهي اصل السنة وإنما يمنع صحتها المعتزلة القائلون

بالاحباط وانه لا تنفع طاعة مع معصية فاما من صحح الطاعة مع المعاصي صحح التوبة من بعض المعاصي وقال ابن عقيل في الفنون قال بعض الاصوليين لا تصح التوبة من ذنب مع الاصرار على غيره فان الانسان لو قتل لا انسان ولدا وأحرق له ييدرا ثم اعتذر عن احراق البيدر دون قتل الولد لم يعد اعتذارا وهذا أحد الروايتين عن الامام أحمد رضي الله عنه والمعتمد الصحة والله التوفيق

### ﴿الخامس﴾

من اغتاب انسانا أو قذفه ونحوه هل يشترط لصحة توبته اعلامه بذلك واستحلاله من ذلك أما المال وما يجوز ان يعناض عنه بمثله أو قيمته فلا بد من الرد ان قدر قل في الهداية مظالم العباد تصح التوبة منها على الصحيح في المذهب وهو قول ابن عباس ومن مات نادما عليها كان الله عز وجل المجازي للملوم عنه يعني حيث لم يقدر على رد المظلمة وفي الخبر « لا يدخل النار تائب من ذنوبه » وفي الرعاية يردها أثم به وتاب بسببه يبذله الى مستحقه وينوي ذاك اذا أمكنه أو تعذر رده في الحال فالمشهور عند الجمهور لا يجب الاعلام ولا الاستحلال قال شيخ الاسلام ابن تيمية انه قول الاكثرين وانه ان تاب من قذف انسان أو غيبته قبل علمه به لا يشترط لتوبته اعلامه والتحلل منه واختاره القاضي لما روى أبو محمد الحلال باسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا « من اغتاب رجلا ثم استغفر له بعد غفر له غيبته » وباسناده أيضا عن أنس مرفوعا « كفارة من اغتصب ان يستغفر له » ولان في اعلامه ادخال غم عليه قال الشيخ عبد القادر قدس الله سره في الفنية ان كفارة الاغتيا ب ما روى أنس رضي الله عنه وذكره وخبر أنس المدكور ذكره الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وفيه عنبة ابن عبد الرحمن مبروك وذكره من حديث سهل بن سعد وفيه سلمان ابن عمرو كذاب ومن حديث جابر وفيه حفص بن عمر الايلي مبروك وذكر ابن الجوزي أيضا حديث أنس في كتابه الحدائق وقال انه لا يذكر فيها الا الحديث الصحيح قلت وقد ذكر في مختصر الموضوعات ان حديث أنس ذكره البيهقي في الدعوات وقال في هذا الاسناد ضعيف وله شاهد عن الامام عبد الله بن المبارك من قوله أخرجه



البيهقي في الشعب وأورد له شاهدا حديث حذيفة : كان في اساني ذرب على أهلي فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أين أنت من الاستغفار» ثم أوله على ان الامر بالاستغفار رجاء ان يرضى عنه خصمه يوم القيمة ببركة استغفاره وذكر الامام ابن القيم في كتابه الكلم الطيب والعمل الصالح ما لفظه يذكرك عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبتة تقول اللهم اغفر لنا وله وذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس قال حذيفة رضي الله عنه كفارة من اغتبتة ان تستغفر له وقال عبد الله بن المبارك لسفيان بن عيينة التوبة من الغيبة ان تستغفر لمن اغتبتة قال سفيان بل تستغفره مما قلت فيه فقال ابن المبارك لا تؤذ مرتين ومثل قول ابن المبارك اختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن الصلاح الشافعي قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه بعد ان ذكر الروايتين في المسئلة فكل مظلمة في العرض من اغتياب صادق وبهت كاذب فهو في معنى القذف اذ القذف قد يكون صادقا فيكون غيبة وقد يكون كاذبا فيكون بهتا قال واختار أصحابنا انه لا يعلمه بل يدعوه دعا يكون احسانا اليه في مقابلة مظلمته فان تضرر الانسان بما علمه من شتمه ابلغ من تضرره بما لا يعلم ثم قد يكون الاعلام سبب العدوان على الظالم أولا اذ النفوس لا تقف غالباً عند العدل والانصاف وأيضا فيه زوال ما كان بينهما من كمال الالفة والمحبة أو تجدد القطيعة والبغضة والله تعالى أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة فعلى هذا لو سأل المقذوف والمسبوب قاذفه هل فعل ذلك أم لا لم يجب عليه الاعتراف على الصحيح من الروايتين اذ توبته صحت في حق الله تعالى بالندم وفي حق العبد بالاحسان اليه بالاستغفار ونحوه وهل يجوز الاعتراف أو يستحب أو يكره أو يحرم الاشبه ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال وعلى هذا لو استحلف على ذلك جاز له ان يحلف ويعرض لانه مظلوم بالاستحلاف فاذا كان تاب وصحت توبته لم يبق لذلك عليه حق فلا تجب التمين عليه قال شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله سره قد سئلت عن نظير هذه المسئلة وهو رجل تعرض لامرأة غيره فزنا بها ثم تاب من ذلك وسأله زوجها عن ذلك فأنكر فطلب استحلافه فان حلف على نفي الفعل كانت يمينة غموسا وان لم يحلف

قويت التهمة وان أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم قال فأفتيته أن يضم الى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الاحسان الى الزوج بالدعاء والاستغفار أو الصدقة عنه ونحو ذلك مما يكون بازاء ايدائه له في أهله فان الزنا بها تعلق به حق الله تعالى وحق زوجها من جنس حقه في عرضه وليس هو مما يجبر بالمثل كالدماء والاموال بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه فشكون توبة هذا كتوبة القاذف وتعريضه كتعريضه وحلفه على التعريض كحلفه وأما لو ظلمه في دم أو مال فلا بد من ايفاء الحق فان له بدلا وقد نص الامام أحمد رضي الله عنه على الفرق بين توبة القاتل وتوبة القاذف قال العلامة ابن مفلح وفي هذا خلاص عظيم وتفريج كربات النفوس من آثار المعاصي والمظالم فان الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عزوجل ولا يجرتهم على معاصيه وجميع النفوس لا بد ان تذنّب فتعريف النفوس ما يخلصها من الذنوب من التوبة والحسنات الماحيات كالكفارات والعقوبات من أعظم فوائد الشريعة والله التوفيق

﴿ومن﴾ أي أي امري مذنب ﴿بعت﴾ أي يدركه الموت وهو مصر على ذنوبه ومنهمك في شهوته ﴿ولم يتب من الخطأ﴾ الذي ارتكبه والاثم الذي اكتسبه لم نحكم عليه بالكفر كما زعمت الخوارج ولم نقل انه خرج من الاسلام بارتكابه كبائر الآثام ولم يدخل في الكفر بل هو في منزلة بين منزلي الكفر والاسلام كما زعمت المعتزلة ولا نحكم عليه بالخلود في النار بل ولا بدخولها بل نقول في من مات مصرا على كبائر الذنوب والخطايا ﴿فأمره﴾ الذي يؤل إليه ﴿مفوض﴾ أي موكل ومردود ﴿لذي﴾ أي صاحب ﴿العطا﴾ الواسع والكرم والجود والنعم والعطا ويمد النوال وفي الاسماء الحسنی المعطي أن يعطي من يريد ما يريد ومن ثم قال ﴿فان يشأ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يعفو﴾ أي يتجاوز عن من مات مرتكبا للذنوب ولم يتب منها والعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو وذهاب الاثر وفي الاسماء الحسنی العفو هو فقول من العفو الذي هو التجاوز ﴿وان شاء انتقم﴾ منه فان عامله بالفضل عفا وانعم وان عامله بالعدل انتقم وآلم والانتقام ان يبلغ في العقوبة حدها وفي الاسماء الحسنی المنتقم وهو المبالغ في العقوبة لمن يشاء وهو متعل من تقم يتقم اذا بانث به الكراهة حد السخط ﴿وان

يشأ أعطى ﴿ النوال الدهل ﴾ وأجزل ﴿ اي أكثر وأعظم لهم ﴾ النعم ﴿ بكسر النون المشددة وفتح العين المهملة جمع نعمة بكسر النون وسكون العين المهملة والاسم بالفتح قال في القاموس النعمة بالكسر المسرة واليد البيضاء الصالحة كالنعاء بالضم والنعاء بالفتح ممدودة والجمع أنعم ونعم ونعمات بكسرتين وفتح العين ونعم الله عطيته قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الجيوش الاسلامية النعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الاسلام وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى ان نسأله في صلاتنا ان يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فهو لاء الاصناف الاربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة وهم المعيون بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) واذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح والنعمة الثانية هي النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة وأمثال ذلك فهذه مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر واذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق فلا يصح اطلاق السلب ولا الايجاب الا على وجه واحد وهو ان النعم المقيدة لما كانت استدراجاً للكافر وما لها الا العذاب والشقاء فكأنها لم تكن نعمة وانما كانت بلية كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك فقال (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه) الآيتين ولهذا قال (كلاً) أي ليس كل من أكرمه في الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه وانما ذلك ابتلاء مني واختبار ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من غير فضلة اكون قد أهنته بل أبتلي عبدي بالنعمة كما أبتليه بالمصائب

والحاصل ان مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة ان من مات مذنباً ولو مصراً على كسائر الذنوب ولم يتب منها لعالم الغيوب لم تقطع له بخروج من الدين بل ثبت انه من المؤمنين ولم تقطع له بدخول النار بل نفوض أمره الى الخليم الغفار فان شاء عذبه غير انه لا يخلده في النار وان شاء عفا عنه ابتداءً

أما شفاعة مقبولة أو بدعوة صالح أو بمصيبة من تشديد عند الموت أو غيره من مصائب البرزخ والصدقة عنه بعد الموت والاعمال الصالحة التي يهديها غيره له أو برحمته أرحم الراحمين ونحو ذلك وإن شاء رفع عنه العذاب وأجزل له الثواب ورفع له الدرجات وبدل الله سيئاته حسنات

### ﴿ تنبيهان ﴾

هذه المسئلة يترجمها بعض القوم بمسئلة وعيد الفساق وبعضهم بمسئلة عقوبته العصاة وبعضهم بمسئلة انقطاع عذاب أهل الكبائر وضابطها ان يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفرة بلا استحلال ويموت بلا توبه وقد اختلف الناس في حكمه كما تقدم فأهل السنة لا يقطعون له بالعقوبة ولا بالعفو بل هو في مشيئة الله تعالى وإنما يقطعون بعدم الخلود في النار بمقتضى ما سبق من وعده وثبت بالدليل خلافا للمعتزلة في قولهم تقطع له بالعذاب الدائم والبقاء المحل في النار لكنه عندهم يعذب عذاب الفساق لا عذاب الكفار وأما الخوارج فعندهم انه يعذب عذاب الكفار لكفره عندهم والدليل لمذهب أهل الحق الآيات والاحاديث الدالة على ان المؤمنين يدخلون الجنة فان كان بعد العذاب ودخول النار فهي مسئلة انقطاع العذاب وان كان قبل ذلك فهي مسئلة العفو التام قال تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره \* - ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ) وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله الا الله دخل الجنة - وقال - من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنى وان سرق » وكقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار قوم بعد ما امتحشوا وصاروا حما وغما فيفرون على انهار الجنة ويرش عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فيحيون ويعودون لحالمهم الاولى وأحسن » وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان » وسيأتي تمام هذا بعد ان شاء الله تعالى

### ﴿ الثاني ﴾

ذكر بعض المحققين انعقاد الاجماع على انه لا بد سماعا من نفوذ الوعيد في

طائفة من العصاة أو طائفة من كل صنف منهم كالزناة وشربة الخمر وقتلة النفس وأكلة الربا وأهل السرقة والغصب إذا ماتوا على غير توبة فلا بد من نفوذ الوعيد في كل طائفة من كل صنف لا لفرد معين لجواز العفو وأقل ما يصدق عليه نفوذ الوعيد واحد من كل صنف والادلة قاضية بتصر العصاة على عصاة الموحدين وقد رتب بعض الناس على ذلك امتناع سؤال العنوب لجمع المسلمين لما فاته لذلك وهذا ساقط الا اذا قصد العفو ابتداء لكل فرد من أفراد الامة على ان العفو يصدق بما بعد العذاب والتعذيب فمن قال بمنع المنع فهو المصيب والله التوفيق

﴿ فصل في ذكر من قيل بعدم قبول اسلامه من طوائف ﴾

أهل العناد والزندقة والالحاد ﴿

اعلم وفقني الله واياك ان علماءنا ذكروا نَحْم قتل جماعة من الزنادقة وأهل الالحاد لعدم قبول اسلامهم بحسب الظاهر كالزندق ومن تكررت رده أو كفر بسحره أو سب الله أو رسوله أو تنصه وأما حكمهم في الآخرة فان صدقوا قبل بلا خلاف وعن الامام أحمد رضي الله عنه رواية ثانية ان توبتهم تقبل كغيرهم وهذا الذي نختاره ولهذا قال

﴿ وتيل في الدروز والزنادقة وسائر الطوائف المنافقة ﴾

﴿ وكل داع لا بداع يقتل كمن تكرر نكثه لا يقبل ﴾

﴿ لانه لم ييسد من ايمانه الا الذي أذاع من لسانه ﴾

﴿ ككاحد وساحر وساحره وهم على نياتهم في الآخرة ﴾

﴿ قلت وان دلت دلائل الهدى كما جرى للميلبوني اهتدى ﴾

﴿ فانه أذاع من أسرارهم ما كان فيه الهتك عن استارهم ﴾

﴿ وكان للدين القويم ناصرا فصار منا باطنا وظاهرا ﴾

﴿ فكل زنديق وكل مارق وجاحد وملحد منافق ﴾

﴿ اذا استبان نصحه للدين فانه يقبل عن يقين ﴾

﴿ وقيل ﴾ وهو المذهب فقها ﴿ في ﴾ طوائف ﴿ الدروز ﴾ من الحمزاوية اتباع حمزة المدعو عندهم بهادي المستجيبين والبرذعي والدرزي وغيرهم من الحاكيمين القائلين بالهسية الحاكم العبيدي وكان أخصهم بالحاكم وأعجبهم اليه حمزة المدعو بهادي المستجيبين وهو حمزة اللباد وكان أعجيبا من الزوري فظهر الدعاء الى عبادة الحاكم وزعم ان الاله حل فيه واجتمع اليه جماعة من غلاة الاسماعيلية وكثر جمعه ومن دخل في دعوته وشاع ذلك فظهر وكان الحاكم اذا ركب الى تلك الجهة التي هو بها فانه كان مقيا في المسجد الذي عند سقاية زيدان بظاهر باب النصر من مصر خرج اليه من المسجد وانفرد به ويقف الحاكم له راكبا فيحادثه ويفاوضه وارتفع شأن هذا الملعون واتخذ لنفسه خواصا لقبهم بألقاب منهم رجل لقبه بسفير القدرة وجملة رسولا فكان يرسله لاختد البيعة على ما يعتقد الحاكم ثم نبغ شاب من موالي الاتراك اسمه أبوشكين البخاري ويعرف بالدرزي فسلك طريق الزوري فكثرتبته والمتابون اليه واليه تنسب طائفة الدروز وكان أيضا يقف للحاكم ويخلو به ويقرر معه ما يفعله وسمى نفسه سيد الهادين وحياة المستجيبين وهو لا أتباعهم ومن نحا نحوهم هم الطائفة الموسومة بالاسماعيلية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الاسماعيلية كانوا ملوك مصر القاهرة وكانوا يزعمون انهم خلفاء علي بن فاطميون وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح وقال فيهم الامام أبو حامد الغزالي في كتابه الذي صنغه عليهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض: وقد جزم شيخ الاسلام بكفر الاسماعيلية في محلات متعددة من مصنفاة وانهم من القرامطة النصيرية وانهم أشد كفرا من الغالية الذين يقولون بالهسية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبنوه وعبيد الله هو المنقب بالمهدي أول العبيديين والمحققون ينكرون دعواه في نسبه لآل البيت ويقولون ان اسمه سعيد ولقبه عبد الله وزوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن ميمون القداح وسعي قداحا لانه كان كحالا يقده العين التي ينزل فيها الماء  
وسموا بالاسماعيلية نسبة الى عبيد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر وهو  
أبو طاهر المنصور بن القائم بن المهدي صاحب افريقية وهم أهل هذه البدعة ويقال  
ان جدهم كان يهوديا ولا مزيد على ما هم عليه من الكفر والاحاد والزندقة  
والعناد وقد فشت نحلتهم وانتشرت بدعتهم وكثرت وعظم ضررها واستغل  
كفرها وشررها ولا سيما في شوفان بن معن ونواحي كسروان وفي الكرمل ونواحي  
عكا وتلك البلدان والله المستعان

﴿ والزنادقة ﴾ جمع زنديق قال في المطلع الزنديق فارسي معرب وجمعه  
زنادقة قال سيبويه الهاء في زنادقة بدل من زناديق قال الجوهري وقد تزندق  
والاسم الزندقة قال ثعلب ايس زنديق ولا قرزين من كلام العرب انما يقولون  
زندق وزندي اذا كان شديد البخل وفي القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية  
أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر  
ويظهر الايمان أو معرب زندين أي دين المرأة قال والجمع زنادقة أو زناديق  
انتهى قال الامام الموفق في المغني الزنديق هو الذي يظهر الاسلام ويخفي  
الكفر كان يسمى منافقا ويسمى اليوم زنديقا ومن ثم قال ﴿ وسائر ﴾ أي بقية  
﴿ الطوائف ﴾ جمع طائفة وهي القطعة أو الواحد فصاعدا أو الى الالف أو أقلها  
رجلان أو رجل فيكون بمعنى النفس كله من القاموس وقال في النهاية الطائفة  
الجماعة من الناس ويقع على الواحد كأنه أراد نفسا طائفة قال وسئل اسحق بن  
راهويه عنه فقال الطائفة دون الالف ﴿ المنافقة ﴾ من النفاق وهو ابطان الكفر  
واظهار الايمان قال في النهاية قد تكرر في الاحاديث ذكر النفاق وما تصرف  
منه اسما وفعلا قال وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو  
الذي يستر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله في اللغة معروفا يقال نافق  
ينافق منافقة ونفاقا وهو مأخوذ من النافقاء أحد اجخرة البروع اذا طلب من  
واحد هرب الى الآخر وخرج منه وقيل هو من النفق وهو السرب الذي يستتر  
فيه لستره كفره قال الامام أبو حامد الغزالي في كتابه التفرقة بين الايمان والزندقة

فأما يتعلق بهذا الجنس يعني التأويلات البعيدة بأصول العقائد المهمة قال وأصول  
الايان ثلاثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع فيجب تكفير  
من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون  
وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعاً ويجب تكفير من  
قال منهم ان الله عز وجل لا يعلم الا نفسه أولاً يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية  
المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً  
وليس من قبيل الدرجات التي يسوغ فيها التأويل اذ أدلة القرآن والاخبار على تفهيم  
حشر الاجساد وتفهم علم الله تعالى لكل ما يجري على الانسان مجاوزة حدا لا يقبل  
التأويل وهم معترفون بان هذا ليس من التأويل قالوا ولكن لما كان صلاح الخلق  
في أن يعتقدوا حشر الاجساد لتصور عقولهم عرفهم المعاد العقلي وكان صلاحهم  
في ان يعتقدوا ان الله عالم بما يجري عليهم ورويب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة  
في قلوبهم جز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يفهمهم ذلك قالوا وليس بكاذب  
من أصلح غيره فتمال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله قال الغزالي وهذا القول  
باطل قطعاً لانه تصریح بالتكذيب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة  
ففي الصديق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب قال وهذه أول درجات  
الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة تقرب مناهجهم  
من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلي لا يجوز الكذب على  
الرسول صلى الله عليه وسلم بمثل هذا بل يؤول الظاهر مما ظهر له بالبرهان خلافه  
والفلسفي لا يقتصر مجاوزته للظواهر على ما يقبل التأويل على قرب أو بعد قال وأما  
الزندقة المطلقة فهو ان ينكر أصل المعاد عقلياً أو حسيماً وينكر الصانع للعالم أصلاً ورأساً  
قال وأما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع  
مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء  
وظاهر ظني قال والعلم عند الله تعالى ان هؤلاء المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم  
«ستفرق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة» قال وهذا  
لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة



من أمته اذ قال ستفترق أمي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم يزل كذلك موجودا لنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذا لامعنى لزندقة هذه الامة الا ما ذكرناه انتهى أقول أما هذا الحديث الذي ذكره فلا أصل له وتقدم الكلام عليه في صدر الكتاب وقول شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله مشواه بأنه موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمسائيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال «ستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» وروي عنه انه قال «هي الجماعة» وفي حديث آخر «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وتقدم الحديث والكلام عليه مستوفى عند قوله

بان ذي الامة سوف تفترق بضعا وسبعين اعتقادا والمحق

الايات . قال شيخ الاسلام ابن تيمية وأيضا لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام وقد تكلم به السلف والائمة في توبة الزنديق ونحو ذلك قال والزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر المراد به عندهم المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر وان كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو للنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا باجماع المسلمين وقد قل تعالى ( ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيماً ) قال ومثل هؤلاء المنافقين كفار في الباطن باتفاق المسلمين وان كانوا مظهرين للشهادتين والاقرار بما جاء به الرسول ومؤيدين للواجبات الظاهرة فان ذلك لا ينفعهم في الآخرة

( ش ١ عقيدة الدماريني - ٤٣ )

إذا لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم باتفاق المسلمين قال شيخ الاسلام وبهذا يظهر ضعف ما ذكره الغزالي من انه لا معنى لزندقية هذه الامة الا ما ذكره من الزندقية المقيدة التي هي مذهب الفلاسفة المشائين فان الزندقية في هذه الامة وغيرها باتفاق أئمة المسلمين أعم من هذا كما ذكره الفقهاء كلهم في باب توبة الزنديق وسائر أحكامه وان لم يكن لفظ الزنديق وارداً في الكتاب والسنة بل معناه عندهم المنافق وجميع من بلغته دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أصناف مؤمن وكافر ومنافق والمنافق كافر في الباطن مسلم في الظاهر وقد أنزل الله تعالى وصف الاصناف الثلاثة في أول سورة البقرة فانزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في الكافرين وبعث عشرة آيات في المنافقين قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وعامة ما يوجد النفاق في أهل البدع فان الذي ابتدع الرفض كان منافقاً زنديقاً وكذلك يقال عن الذي ابتدع التجهم وكذلك رؤوس القرامطة وأمثالهم لا ريب أنهم من أعظم المنافقين وهوؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم ولهذا قال

﴿وكل داع لا يتحالى بداع﴾ مكفر من بدع الضلال ذكر القاضي وأصحابه من علماء المذهب رواية عن الامام أحمد رضي الله عنه لا تقبل توبة داعية الى بدعة مضلة واختارها أبو اسحق بن شاقلا وفي الرعاية من كفر ببدعة قبلت توبته على الاصح وقيل ان اعترف بها وقيل لا تقبل من داعية والمذهب تقبل توبة من كفر ببدعة ولو داعية خلافاً لابن حمدان والبلباني في عقيدتهما قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه قديين الله تعالى انه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع قال شيخ مشايخنا بدر الدين البلباني في مختصر عقيدة ابن حمدان ولا تقبل يعني التوبة ظاهراً من داعية الى بدعته المضلة ولا من ساحر وزنديق وهو المنافق ولا ممن تكررت رذته ولذا قال ﴿يقتل﴾ الداعية لبدعته المضلة لعدم قبول توبته ظاهراً كالدرزي والزنديق وسائر طوائف المنافقين ﴿ممن﴾ أي مكلف ﴿تكرر نكثه﴾ أي نقضه للاسلام بان تكررت رذته وانجبه العلامة الشيخ مرعي في غايته ان اقل التكرار ثلاث قال في النهاية النكث نقض العهد والاسم النكث بالكسر ﴿لا يقبل﴾ منه بعد تكرر رذته منه الاسلام على ظاهر المذهب لظاهر قوله

تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) وقوله (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفروا لن تقبل توبتهم) والازدياد يقتضي كفرا متجددا أو لا بد من تقديم ايمان عليه ولما روى الاثرم باسناده عن ظبيان بن عماره ان ابن مسعود رضي الله عنه أتى برجل فقال له انه قد أتى بك مرة فرزعت انك تبت وأراك قد عدت فقتله ولان تكرار الردة منه يدل على فساد عقيدته وقلة مبالاة بالدين والسبب في عدم قبول توبته نحو المنافق **(لانه لم يبد)** للعيان ظاهرا **(من ايمانه)** الذي زعم انه أتى به ودخل به الى الاسلام والدين القويم **(الا الذي اذاع)** أي اظهر ونشر قبل توبته **(من لسانه)** مع عدم اعتقاده للاسلام فلم يزد على ما كان يقوله ويأتي به ويذيعه في حال كفره وكتمانه للعقيدة الفاسدة والنحلة الباطلة والكفر المستور شيئا وقد قال تعالى (الا الذين تابوا وأصلحوا وينوا) وهو لاء لا يظهر منهم على ما يتبين به رجوعهم فلا يظهر منهم بالتوبة خلاف ما كانوا عليه فانهم كانوا ينفون عنهم الكفر قبل ذلك وقلوبهم لا يطلع عليها فلا يكون لما قاله حكم لان الظاهر من حال هؤلاء انهم انما يستدفعون عنهم القتل باظهار التوبة اذ ابدوا منهم ما يؤخذون به **(ك)** ما لا يقبل ايمان **(ملحد)** مأخوذ من الاحاد وهو الميل والعدول عن الشيء ومنه حديث ظهفة **(لا يلطط في الزكاة ولا يلحد في الحياة)** أي لا يجري منكم ميل عن الحق مادتم أحياء قال في النهاية ورواه القتيبي لا تلطط ولا تلحد على النهي للواحد قال ولا وجه له لانه خطاب للجماعة وذكره الزمخشري لا تلطط ولا تلحد بالنون قال والوجه بالياء التحتية مبني للملم يسم فاعله واللط المنع وفي حديث انشأت تلتها أي تمنعها حقها وفي كلام الاعشى الحرمازي في شأن امرأته اخلفت الوعد ولطت بالذنب اراد منعه بضعها من لطت الناقة بذنبها اذا سدت فرجها به اذا ارادها الفحل قال في كنز الاسرار الملاحدة والزنادقة هم الذين يسبون الله عز وجل أو واحدا من انبيائه وكذلك من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو شبهه بشيء على طريق التشويه أو الإلزاء عليه أو التصغير لشأنه قال في الفروع ويقتل من سب الله أو رسوله نقل حنبل عن

الامام أحمد رضي الله عنه أو تنقصه ولو تعريضا وقال من عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل مسلما كان أو كافرا قال وهو مذهب أهل المدينة وسأله ابن منصور ما الشريعة التي يقتل بها قال نحن نرى في التعريض الحد وفي فصول ابن عقيل عن الاصحاب لا تقبل توبته ان سب النبي صلى الله عليه وسلم لانه حق آدمي لم يعلم اسقاطه واما ان سب الله فتقبل توبته لانه يقبل التوبة في خالص حقه

﴿و﴾ ك﴿ساحر وساحرة﴾ ممن يكفر بسحرة من ذكر أو أنثى لما روي جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حد الساحر ضر به بالسيف» رواه الترمذي والدارقطني وعن بجالة بن عبيد قال كنت كاتباً لجز بن معاوية عم الاحنف بن قيس فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة ان اقتلوا كل ساحر وساحرة وفرقوا بين كل ذي رحم محرم من الجوس وان هوهم عن الزمزمة فقتلنا ثلاث سواحر وجعلنا نفرق بين الرجل وحرمة رواه الامام أحمد وأبو داود والبخاري منه التفريق بين ذي المحارم وروى الامام مالك في الموطأ عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة انه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قتلت جارية لها سحرتها وكانت قد دبرتها فأمرت بها فقتلت وكل من قلنا ان اسلامه لا يقبل بل حكمه ان يقتل يعني بحسب الظاهر في الدنيا ﴿وهم﴾ يعني الزنادقة والدروز والمناطقة ونحوهم يبعثون ﴿على نياتهم في﴾ الدار ﴿الآخرة﴾ فمن صدق منهم في توبته قبلت باطنا ونفعه ذلك بلا خلاف كما ذكره الامام ابن عقيل وموفق الدين ابن قدامة وغيرها وقيل يقبل الاسلام والتوبة من كل من ذكر حتى في الدنيا قال الامام ابن عقيل التوبة من سائر الذنوب مقبولة خلافا لاحدى الروايتين عن الامام أحمد رضي الله عنه لا تقبل توبة الزنديق قال ابن عقيل اذا أظهرنا الزنديق التوبة والرجوع عن زندقته يجب ان نحكم بإيمانه ظاهراً وان جاز ان يكون عند الله عز وجل كافراً قال ولان الزندقة نوع كفر فجاز ان تجب التوبة كسائر الكفر من الوثن والتمجس والتهود والتنصر اذ ليس علينا معرفة الباطن جملة وانما المأخوذ علينا حكم الظاهر فاذا بان لنا في الظاهر حسن طريقته وتوبته وجب قبولها ولم يجز ردها لما بينا وان جميع الاحكام تتعلق بها قال ولم أجد لهم يعني القائلين بعدم القبول

شبهة أو ردها الا أنهم حكوا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قتل زنديقا ولا أمتع من ذلك وان الامام اذا رأى قتله لانه ساع في الارض بالفساد ساع له ذلك وأما ان تكون توبته لا تقبل بدلالة ان قطاع الطريق لا يسقط الحد عنهم بعد القدرة ويحكم بصحتها عند الله عز وجل في غير اسقاط الحد عنهم فليس من حيث لم يسقط القتل لا تصح التوبة ولعل الامام أحمد رضي الله عنه عنى بقوله لا تقبل في اسقاط القتل فيكون ما قبله هو مذهبه رواية واحدة قال وكان قال لا تقبل توبة المبتدع فان لا يمنع ان يكون مطالباً بمظالم الآدميين ولكن لا يمنع هذا صحة التوبة كالتوبة من السرقة وقتل النفس وغصب الاموال صحيحة مقبولة والاموال والحقوق للأدعي لا تسقط ويكون الوعيد راجعا الى ذلك ويكون نفي القبول عائداً الى القبول الكامل وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه أراد القول من قال الداعية الى البدعة لا يغفر له ولا تقبل توبته قال ويحتجون بحديث الاسرائيلي وفيه انه قيل له فكيف بمن أضلت وهذا قوله طائفة ممن تنسب الى السنة والحديث وليسوا من العلماء بذلك كأبي علي الاهوازي وامثاله ممن لا يميزون بين الاحاديث الصحيحة والموضوعة وما يحتج به بل يرون كل ما في الباب محتجج به وقد حكى هذا طائفة قولاً في مذهب الامام أحمد ورواية عنه وظاهر مذهبه مع سائر مذاهب أئمة المسلمين انه تقبل توبة الداعية الى الكفر وتوبة من فتن الناس عن دينهم وقد تاب قادة الاحزاب مثل أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم بعد ان قتل على الكفر بدعاتهم وحضهم عليه من قتل وكانوا من أحسن الناس اسلاماً وغفر الله لهم كما قال تعالى (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وكذلك عمرو بن العاص كان من أعظم الدعاة الى الكفر والايذاء للمسلمين وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم «يا عمرو أما علمت ان الاسلام يجب ما قبله» فالداعي الى الكفر والبدعة وان كان أضل غيره فذلك الغير يعاقب على ذنبه لكونه قبل من هذا وتبعه وهذا عليه وزره ووزر من تبعه الى يوم القيامة مع بقاء أوزار اولئك عليهم فاذا تاب هذا من ذنبه غفر له ذنبه فلم يبق عليه وزره ولا وزر من تبعه ولا

ما عمله هو لأجل اضلالهم وأما هم فسواء تاب من أضلهم أو لم يتب حالهم واحد ولكن توبته قبل هذا محتاج الى ضد ما كان هو عليه من الضلال الى الهدي كما تاب كثير من الكفار وأهل البدع وصاروا دعاة الى الاسلام والسنة وسحرة فرعون كانوا أئمة في الكفر وتعليم السحر وتعلموا ثم أسلموا وختم لهم بخير وكذا قاتل النفس والجهمور على ان توبته مقبولة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل وعن الامام احمد في ذلك روايتان وحديث قاتل المائة في الصحيحين يرد ذلك فهو دليل على قبول توبته وآية (ان الله يغفر الذنوب جميعا) تدل على ذلك وآية النساء انما فيها وعيد قاتل النفس اذا لم يتب كسائر وعيد القرآن قال وكل وعيد في القرآن فهو مشروط بعدم التوبة باتفاق الناس فبأي وجه يكون وعيد القاتل لاحقا به وان تاب هذا في غاية الضعف ولكن قد يقال لا تقبل توبته بمعنى لا تسقط حق المظلوم بالقتل وانما التوبة تسقط حق الله والمقتول له مطالبة بحقه فهذا صحيح في جميع حقوق الأدميين حتى الدين وفي الصحيحين «الشهيد يغفر له كل شيء الا الدين» وحق الأدي يعطاه من حسنات من ظلمه فمن تمام التوبة ان يستكثر العبد من الحسنات ليوفي غرماءه وتبقى له بقية يدخل بها الجنة قال ولعل ابن عباس رضي الله عنهما رأى ان القتل أعظم الذنوب بعد الكفر فلا يكون لصاحبه حسنات تعادل حق المقتول فلا بد ان يبقى له سيئات يعذب بها وهذا الذي رآه يقع من بعض الناس فيبقى الكلام في من تاب وأصلح وعجز عن حسنات تعادل حق المظلوم هل يجعل عليه من سيئات المظلوم ما يعذب به هذا موضع دقيق على مثله يحمل حديث ابن عباس لكن هذا كله لا ينافي موجب قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) الآيات فهي تدل على ان الله تعالى يغفر كل ذنب من الشرك وغيره من حيث الجملة فهي عامة في الافعال مطلقة في الاشخاص مختصة بالتائبين بدليل قوله تعالى (وأنبؤا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتصرون) فاخبر انه تعالى يغفر جميع الذنوب ولم يخبر انه يغفر لسكل مذنب بل قد اخبر في غير موضع انه لا يغفر لمن مات كافرا فمن تاب من الكفر حيث كانت التوبة قبل مجيء العذاب

وقبل الغرغرة وبالله التوفيق

والحاصل ان شيخ الاسلام ومن نحا منحاه لم يمنع قبول توبة تائب من زنديق ومنافق وساحر وداعية بدعة ضلالة وقاتل نفس ولا من تكررت رده فانه قال في قوله تعالى (ثم ازدادوا كفرا) أي ثبتوا عليه حتى ماتوا وذلك لان النائب راجع عن الكفر وغيره ومن لم يتب فانه مستمر يزداد كفرا بعد كفر فقله ثم ازدادوا كفرا بمنزلة قوله القائل ثم أصروا على الكفر واستمر واعليه فهم كفروا بعد اسلامهم ثم ازدادوا كفرا أي ازداد كفرهم فهو لاء لا تقبل توبتهم يعني عند الموت واما من تاب قبل حضور الموت فقد تاب من قريب ورجع عن كفره فلم يزدد كفرا بل نقص بخلاف المصر على الكفر والمعاصي الى حين المعايضة فانه في ازدياد من ذلك وما بقي له زمان مخفف لبعض كفره فضلا عن هدمه والله أعلم

وقد سئل سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه عن ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل احتجز التوبة عن صاحب بدعة وحجز التوبة أي شيء معناه فقال لا يوفق ولا يبسر صاحب بدعة لتوبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) فقال صلى الله عليه وسلم هم أهل البدع والاهواء ليست لهم توبة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه لان اعتقاد المبتدع الفاسد يدعوه الى ان لا ينظر نظرا تاما الى دليل خلافه فلا يعرف الحق ولهذا قال السلف ان البدعة أحب الى ابليس من المعصية وقال أنوب السختياني وغيره ان المبتدع لا يرجع وقال شيخ الاسلام أيضا التوبة من الاعتقاد الذي كثر ملازمة صاحبه له ومعرفة بحججه تحتاج الى ما يقابل ذلك من المعرفة والعلم والادلة ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم «اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شبابهم» قال الامام أحمد وغيره لان الشيخ قد عسى في الكفر فاسلامه بعيد بخلاف الشاب فان قلبه لين فهو قريب الى الاسلام والله أعلم والحاصل ان الشيخ وغيره من المحققين بل وجهور الامة وأكثر الأئمة جزموا بقبول توبة كل زنديق ومنافق وما حدد ومارق ظاهراً ووكلاو سر برته الى الله تعالى والمشهور فقها عدم توبتهم كما مر وقد توسطت في المسئلة في ما أشير اليه بقوله

﴿قلت وإن دلت﴾ من الشخص التائب والمسلم الآيب ﴿دلائل الهدى﴾  
 وقرائن الاحوال ﴿كاجرى ا﴾ لمرجل الصالح الفاضل حسن ا ﴿عيلبوني﴾ نسبة  
 الى بلدة عيلبون وهي بلدة ما بين قرية حطين ودير حنا كانت لطائفة من  
 الدرور ومسكنها لهم من أعمال صفد وكان هو درزيا من جماتهم فتاب ورجع عن  
 كفره وإلحاده وزندقته وعناده وحسن حاله وصلحت أعماله وأقبل بقلبه  
 وقالبه على دين الاسلام ورفض ما كان عليه من الكفر والضلال والاهام  
 فمن ظهرت منه قرائن الاحوال أو اتباع الهدى ورفض الضلال والاضلال كما  
 جرى لهذا الرجل الصالح فقد ﴿اهتدى﴾ وأنقذه الله من الضلال والردى  
 ﴿فانه﴾ أي العيلبوني ﴿أذاع﴾ أي نشر وأظهر ﴿من أسرارهم﴾ أي من  
 أسرار طائفة الدرور وما هم عليه من الكفر الذي لا مزيد عليه وانتحالهم ما لا  
 يجوز عند أحد من سائر أهل الملل من الوقوع على المحارم من البنات والاخوات  
 وأكلهم الخنزير ورفضهم العبادات وانكارهم الشرائع وارتكابهم الضلالات  
 ﴿ما﴾ أي شيئاً كثيراً ﴿كان فيه﴾ أي ذلك المذاع ﴿الهنك﴾ أي الكشف  
 والظهور والابانة ﴿عن استارهم﴾ التي كانوا يكتنونها ويستترون باظهارهم الاسلام  
 تقية مع عكوفهم على الكفر الصراح واعتقادهم ان كل ما حرمة الشريعة فهو مباح  
 ولهم من الاصطلاحات التي يريدون لها معان فيما بينهم غير ظواهرها ما هو  
 معروف عند كل من اطلع على عقائدهم وأظهره العيلبوني من مقاصدهم فيجعلون  
 الصلاة معرفة اسرارهم ويريدون بالصوم كتمان اسرارهم وبالحج قصدهم عقابهم ومن  
 نحو هذا الهذيان ما يخالفون به جميع الأديان فمن ظهرت قرائن اسلامه ودلائل  
 صدقه والتزامه فانه يقبل منه الاسلام عند الخاص والعام ﴿وكان﴾ العيلبوني ومن  
 نحا منحاه ﴿للدن القويم﴾ والهدى المستقيم ﴿ناصر﴾ باتباعه والعكوف عليه وذم  
 من خلفه وكشف فضائحهم واطهار قبائحهم ﴿فصار منا﴾ معشر المسلمين أهل  
 السنة والجماعة والفرقة الناجية من أهل الايمان والطاعة ﴿باطنا﴾ أي في الباطن  
 ﴿وظاهرا﴾ فهو مسلم مقبول الاسلام في الظاهر والباطن وكان حسن العيلبوني شاعراً  
 لبيبا فائقا وكان حسن المطارحة طيب العشرة ارتحل الى مصر وأخذ بها عن



الشمس الباطني والشيخ سلطان والنور الشبراملسي وغيرهم ودخل دمشق الشام وجاور بها في الخانقاة الشميصائية وله شعر كثير منه القصيدة النونية التي هجأها الدرروز وهي طويلة تبلغ ثلاثمائة بيت يذكر فيها مذاهبهم الفاسدة وضلالاتهم الباردة وله غير ذلك قاله أمين حلبي في تاريخه خلاصة الاثر في أعيان المائة الحادية عشر قال وأجود ماظفرت له من شعره قوله

حكى دخانا على ما فوق وجنته من قدمص غليونه اذهره الطرب (١)

غيم على بدر تم قد تقطع من أيدي النسيم فولى وهو ينسحب

فقلت والنار في قلبي لها هب لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

قال المحبي في التاريخ المذكور ثم ارتحل العيلبوني من دمشق الى عكا الحلبي فأقام بها مدة وبها توفي سنة خمس وثمانين وألف رحمه الله وعفاهه

فالذي نختاره وندين الله به ما أشرنا اليه ﴿ فكل زنديق ﴾ لا يندين بدين ﴿ وكل مارق ﴾ من أهل البدع والضلالات واتحال الهواء وارتكاب المحالات ﴿ و ﴾ كل ﴿ جاحد ﴾ من درزي ودهري وفيلسوفي وبرهمي ومعطل وعابد وثن وشمس ونار وغيرها ﴿ و ﴾ كل ﴿ ملحد ﴾ في آيات الله ومنكر لشرائع الله وكافر برسول الله وهو مع ذلك ﴿ منافق ﴾ أي ذي نفاق يبطن الكفر الذي منطو (٢) عليه ويظهر الاسلام الذي لا يكون له اليه ﴿ اذا ﴾ تاب مما هو عليه من الكفر والاحاد والضلال والعناد و ﴿ استبان ﴾ أي امتحن حاله وطلب بيانه فظهر صحة ايمانه و ﴿ نصحه للدين ﴾ القويم وصدق ايقانه ﴿ فانه ﴾ أي هذا التائب الناصح والراجع الصالح ﴿ يقبل ﴾ منه ذلك الرجوع والتوبة عن تلك الترهات وهو مقبول لدى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴿ عن يقين ﴾ وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع وانما كان كذلك لقوله تعالى ( الا الذين تابوا وأصلحوا وينبوا فأولئك أنوب عليهم) الآية

(١) كذا في الاصل وبمحذف (قد) يستقيم الوزن (٢) كذا ولعل الاصل ينطوي

أو « هو منطو » اه مصححه

﴿ تنبيه ﴾

دخل في عموم ما ذكرنا الحلولية والاباحية ومن يفضل متبوعه على الانبياء  
ومن يزعم أنه اذا حصلت له المعرفة والتحقيق سقط عند الامر والنهي ومن يزعم  
ان العارف المحقق يجوز له التسدين بدين اليهود والنصارى وبأي دين شاء وانه  
لا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة وأمثال هؤلاء الطوائف المارقين فمن  
صدقت نوبته وصلحت سريره ومدحت سيرته ودلت قرائن الاحوال على  
رجوعه عما كان مرتكبه من الافك والضلال فمقبول عند ذي المنه والافضال  
وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾

﴿ في الكلام على الإيمان واختلاف الناس فيه ﴾

﴿ وتحقيق مذهب السلف في ذلك ﴾

اعلم وفقك الله تعالى ان الناس اختلفوا في حقيقة الإيمان لغة واصطلاحاً  
والمشهور ان الإيمان لغة التصديق واصطلاحاً تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم  
فيما جاء به عن ربه وهذا القدر متفق عليه ثم وقع الاختلاف هل يشترط مع ذلك  
مزيد أمر من جهة ابداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في القلب اذا التصديق  
من أفعال القلوب أو من جهة العمل بما صدق به من ذلك كفعل المأمورات  
وترك المحظورات وهذا هو الذي اشتهر من مذهب السلف ولذا قال

﴿ إيماننا قول وقصد وعمل تزيد التقوى وينقص بالزلل ﴾

﴿ إيماننا ﴾ معشر الاثرية من أهل السلف ما يأتي ذكره وهو فيما قيل مشتق  
من الامن وفيه نظر لتباين مدلولي الامن والتصديق الا ان لوحظ معنى مجازي  
فيقال آمنه اذا صدقه أي آمنه التكذيب وفي الآية الكريمة (وما أنت بمؤمن لنا)  
أي بمصدق لنا وقد اعترض على ذلك جماعة فقالوا بل الإيمان في اللغة الاقرار

وعند محققى السلف ان الإيمان وان قلنا هو التصديق الا انه تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها وهذا ليس نقلا للفظ عن أصل اللغة ولا تغييرا له فان الله لم يأمرنا بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصفه وبينه وهو تصديق تام قائم بالقلب مستلزم لما وجب من الاعمال القلبية وأعمال الجوارح فان هذه لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ولهذا قال ﴿قول﴾ باللسان فمن لم يقر ويصدق بلسانه مع القدرة لا يسعى مصدقا فليس بمؤمن كما اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان ﴿وقصد﴾ أي عقد بالجنان فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه فهو منافق وليس بمؤمن خلافا للكرامية الزاعمين بأن الإيمان هو القول الظاهر واذا كان مصدقا بقلبه غير ناطق بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن عند سلف الامة خلافا للجهمية ومن وافقهم من المتكلمة قال الله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) فنفى الله الإيمان عن المنافقين وهذا يرد مذهب الكرامية فان المنافق ليس بمؤمن وقد ضل من سماه مؤمنا وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول وما جاء به ويعاديه كاليهود وغيرهم من سماه الله كافر ولم يسمهم مؤمنين قط ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان فهم كفار خلافا للجهمية في زعمهم انهم اذا كان العلم في قلوبهم فهم مؤمنون كاملوا الإيمان حتى قالوا ان إيمانهم كإيمان النبيين والصدّيقين وفي الآيات القرآنية مما يرد هذا ما لا يحصى الا بكلفة كقوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ولما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴿وعمل﴾ بالاركان وهذا هو اللفظ الوارد عن السلف قال البخاري في صحيحه الإيمان قول وعمل قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وهو اللفظ الوارد عن السلف الذين أطلقوا ذلك وقد روي مرفوعا باسناد ضعيف قال والمراد بالقول النطق بالشهادتين واما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه انما هو بالنظر الى ما عند الله فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالاركان وأرادوا بذلك ان الاعمال شرط في كماله ومن هنا

نشأ لهم القول بزيادة الايمان ونقصه كما سيأتي والمرجئة قالوا هو اعتقاد ونطق فقط والكرامية قالوا هو نطق فقط والمعتزلة قالوا هو العمل والنطق والاعتقاد والفرق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الاعمال شرطا في صحته والسلف جعلوها شرطا في كماله وهذا بالنظر الى ما عند الله تعالى أما بالنظر الى ما عندنا فالايان هو الاقرار فقط فمن أقر أجريت عليه الاحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر الا ان اقتصرن باقراره فعل يدل على كفره كالسجود للصنم فان كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن اطلق عليه الايمان فبالنظر الى اقراره ومن نفي عنه الايمان فبالنظر الى كماله ومن اطلق عليه الكفر فبالنظر الى انه فعل فعل الكافر ومن نفاه عنه فبالنظر الى حقيقته وأثبتت المعتزلة الواسطة كإمام فقوالوا الفاسق لا مؤمن ولا كافر انتهى وقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين وغيره المشهور عن السلف وأهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلية في مسمى الايمان وحكى الشافعي رضي الله عنه اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك قال الحافظ ابن رجب أنكر السلف على من أخرج الاعمال عن الايمان انكارا شديدا ومن أنكر ذلك على قائلته وجعله قولاً مجرداً سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السخيتاني والنخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم وقال الثوري هو رأي محمد بن أدركنة الناس على غيره وقال الأوزاعي كان من مضى من السلف لا يفرقون بين الايمان والعمل فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ذكره الامام البخاري في صحيحه وقد دل على دخول الاعمال في الايمان قوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقبلون الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو فد عبد القيس «أمركم بأربع الايمان بالله وهل تدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس» وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم «قال الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان» ولفظه لمسلم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الايمان والاسلام قال أبو القاسم الانصاري شيخ الشهرستاني في شرح الارشاد لابن المعالي بعد ان ذكر قول أصحابه الاشاعرة من أنه مجرد التصديق وذهب أهل الاثر الى ان الايمان جميع الطاعات فرضها ونفلها وعبروا عنه بأنه اتيان ما أمر الله فرضا ونفلا والانتهاه عما نهى عنه تحريما وأدبا قال وبهذا كان يقول أبو علي الثقفني من متقدمي أصحابنا وأبو العباس القلانسي وقد مال الى هذا المذهب أبو عبدالله ابن مجاهد وهذا قول مالك بن أنس امام دار الهجرة ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين فكانوا يقولون الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وبعض السلف من أهل السنة زاد واتباع السنة لان ذلك لا يكون محبوبا لله تعالى الا بتابع السنة ومنهم من اقتصر على أنه قول وعمل وأراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن زاد الاعتقاد أي المعرفة والتصديق رأى ان لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال منهم أنه قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان واما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ومن قال منهم أنه قول وعمل لم يرد كل قول وعمل انما أراد ما كان مشروعا من الاقوال والاعمال قال شيخ الاسلام ابن تيمية كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لان الايمان ان كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلانية فهو نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه: الايمان الذي أصله في القلب لا بد فيه من شيئين تصديق القلب واققراره ومعرفة ويقال لهذا قول القلب قال الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب فلا بد فيه من عمل القلب وقوله ثم قول البدن وعمله لا بد فيه عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وبحب

ما يحبه الله ورسوله وخالص العمل لله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة وارادة سرى ذلك الى البدن بالضرورة لا يمكن ان يتخلف البدن عما يريد القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد الا وهي القلب » وقال أبو هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده قال شيخ الاسلام قدس الله روحه قول أبي هريرة تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانا فان الملك وان كان صالحا فان الجند لهم اختيار قديمصون به ملكهم وبالعكس فقد يكون عنهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب فان الجسد تابع له لا يخرج عن ارادته قط قال فلا بد في ايمان القلب من حب الله ورسوله وان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواها قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) أي من المشركين وفي الآية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين لله والذين آمنوا أشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب فان المشركين لا يحبون الا ندادا مثل محبة المؤمنين لله والمحبة تستلزم ارادة والارادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع ان يكون الانسان محبا لله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فاذا لم يتكلم بالايمان مع قدرته دل على انه ليس في قلبه الايمان الواجب الذي فرضه الله عليه ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا ان الايمان مجرد تصديق القلب وعمله ثم جعلوا ايمان القلب من الايمان وظنوا انه قديكون الانسان مؤمنا كامل الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعاديه أولياء الله ويوالي اعداء الله ويقتل الانبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف يكرم الكفار ويهين المؤمنين قالوا وهذه كلها معاصي لا تنافي الايمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وانما ثبت له في الدنيا أحكام الكافر لان هذه الاقوال والافعال امارة على الكفر فيحكم بالظاهر كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان الباطن قديكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد الشهود به فاذا أورد عليهم الكتاب والسنة والاجماع على ان الواحد

من هؤلاء كافر في نفس الامر معذب في الآخرة قالوا فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه والكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والايمان شيء واحد وهو العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فانهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو قال شيخ الاسلام وهذا القول مع انه أفسد قول قيل في الايمان فقد ذهب اليه كثير من أهل الكلام وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح والامام أحمد وأبي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا فابليس كافر بنص القرآن وانما كفره باستكباره وامتناعه من السجود لآدم لالكونه كذب خبيرا وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مشورا) فموسى هو الصادق المصدوق يقول لقد علمت ما أنزل هؤلاء يعني الآيات البينات الارب السموات والارض بصائر فدل على ان فرعون كان عالما بان الله تعالى أنزل هذه الآيات وهو من أكثر خلق الله عنادا وبغيا لفساد ارادته وقصده لالعدم علمه وقال تعالى في أهل الكتاب (الذين أتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله تعالى فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

قال شيخ الاسلام فهو هؤلاء غلطوا في أصلين (أحدهما) انهم ظنوا ان الايمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة و ارادة ومحبة وخشية في القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا فان اعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات ومنازل السائرين الى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الايمان الواجب وكل ما فيها مما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الايمان المستحب فالاول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار أصحاب اليمين والثاني للمقربين (والأصل الثاني) الذي غلطوا فيه ظنهم ان كل من حكم الشارع بانه كافر مخلد في النار فانما ذاك لانه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا فيه الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجواهر النظار فان الانسان قد يعرف الحق مع

غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده اياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس وبجمله ذلك الهوى على ان يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم ان الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا ان الحق معهم وانهم صادقون لكن الحسد واردة العلو والرياسة وحبهم لما هم عليه وإلفهم لما ارتكبوا أو جب لهم التكذيب والمعادة لهم وجميع من كذب الرسل لم يأت بحجة صحيحة تقدر في صدقهم وانما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح عليه السلام (انؤمن لك واتبعك الارذلون) وقول فرعون (انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وقوله لموسى (ألن ربك فينا وليدا) الآيتين وقول مشركي العرب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) قال الله تعالى رادا عليهم (أولم يمكن لهم حرما آمنا يجيى اليه ثمرات كل شيء) بل أبوطالب وغيره كانوا مع محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبتهم لعلو كلمته من عدم حسدهم له وعلمهم بصدقه وحلمهم ألفهم لدين قومهم وكرهتهم لفراقه وذم قريش لهم على عدم اتباعه على دينه القويم وهدية المستقيم فلم يتركوا الايمان لعدم العلم بل لهوى النفس فكيف يقال مع هذا ان كل كافر انما كفر لعدم علمه بالله

فان قيل اذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله فمتى ذهب بعض ذلك بطل الايمان فيلزم تكفير أهل الذنوب كما تقول الخوارج أو تخليد هم في النار وسلبهم اسم الايمان بالكفاية كما تقول المعتزلة وكل هذين القولين شر من قول المرجئة فان من المرجئة جماعة من العباد والعلماء المذكورين عند الامة بخير وأما الخوارج والمعتزلة فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف طبقت على ذمهم (فالجواب) أولا مما ينبغي ان يعرف ان القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار فان هذا القول من البدع المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وانفقوا أيضا على ان نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع في من يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته كما يأتي في ذكر الشفاعة ان شاء الله تعالى ومن بدع الخوارج الخارجة تكفيرهم للمسلم بالذنب وسلب المعتزلة له اسم الايمان فهو عندهم



ليس بمسلم ولا كافر كما تقدم وكل هذه بدع قبيحة مخالفة للصحابة والتابعين ولائمة السلف من أهل السنة والجماعة والحق ما عند أهل الحق أنه مؤمن ناقص الايمان فهو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق من الايمان ولا يساب مطلق الاسم وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان القاتل لا توبة له وأنه يخلد في النار فغلط فإنه لم يقل أحد من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشنع لاهل الكبائر ولا قال أنهم يخلدون في النار ولكن ابن عباس في احدى الروايتين عنه قال ان القاتل لا توبة له والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليل لما يتعلق بالقتل من حق الآدمي وتقدم الجواب عنه في الفصل الذي قبل هذا واما قول القاتل ان الايمان اذا ذهب بعضه ذهب كله فمنوع وهذا هو الاصل الذي تفرعت منه البدع في الايمان فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله ثم قالت الخوارج والمعتزلة الايمان هو مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق كما قاله أهل الحديث قالوا فاذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الايمان شيء فيخلد في النار وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم كما يأتي لا يذهب من الايمان بالكبائر ويترك الواجبات الظاهرة شيء منه اذ لو ذهب منه شيء لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر

ومذهب أهل الحق من السلف ومن وافقهم أن الايمان يتفاضل فيزيد وينقص ولهذا قال ﴿ تزيد ﴾ أي الايمان المطلق عند الاثرية من السلف ﴿ التقوى ﴾ هي لغة الحاجز بين الشئين والتاء فيه مبدلة من الواو لان أصلها من الوقاية واصطلاحاً التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتنال أمره واجتناب نهيه وقوله تعالى (هو أهل التقوى) أي أهل ان ينقي عقابه ﴿ وينقص ﴾ الايمان ﴿ ارتكاب ﴾ الزلل ﴿ وتعاطيه بفتح الزاي المشددة واللام من زلت نزل زلا وزليلاً ومزلة بكسر الزاي وزلولا وأزله غيرد واستزله والمزلة موضعه والاسم الزلة وهي الخبطة والسقطة والحاصل ان الايمان عند السلف ومن وافقهم من أئمة أهل السنة والعرفان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الايمان والاسلام مذهب أهل السنة والحديث على ان الايمان يتفاضل وجمهورهم يقولون (ش ١ عقيدة السفاريني - ٤٥)

يزيد وينقص ومنهم من يقول يزيد ولا يقول ينقص كما يروى عن الامام مالك في احدى الروايتين ومنهم من يقول يتفاضل كالامام عبد الله بن المبارك قال شيخ الاسلام وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف منهم فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان يزيد وينقص قيل له وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا الله ووجدناه وسبحناه فلك زيادته واذا غفلنا ونسيناها فذلك نقصانه وروى اسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال الايمان يزيد وينقص وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان قال سمعت أشياخنا وبعض اشياخنا ان أبا الدرداء قال ان من فقه العبد أن يعاها ايمانه وما نقص منه ومن فقه العبد ان يعلم ان يزداد ايمانه ام ينقص وان من فقه الرجل ان يعلم نزغات الشيطان أنى يأتيه وروى اسمعيل بن عياش عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال الايمان يزيد وينقص وروى الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لاصحابه هلموا نزيد ايماناً فيذكرون الله عز وجل وقال أبو عبيد في الغريب في حديث علي رضي الله عنه ان الايمان يبدوا لمظة في القلب كلما ازداد ايماناً ازدادت المظة قال الاصمعي المظة مثل النكتة وأنحوها وفي نهاية ابن الاثير في حديث علي الايمان يبدوا في القلوب لمظة المظة بالضم مثل النكتة من البياض ومنه فرس ألمظ اذا كان بجحفلته بياض يسير والجحئلة بتقديم الجيم على الحاء بمنزلة الشفة للخيل والبعال والحخير وروى الامام أحمد عن عبد الله بن عكيم قال سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم زدنا ايماناً و يقيناً وفقهاً و صح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه قال ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان انصاف من نفسه والاتفاق من الاقتار و بدل السلام للعالم ذكره البخاري في صحيحه وقال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فزدنا ايماناً وقال شيخ الاسلام والآثار في هذا كثيرة جداً رواها المصنفون في هذا الباب لا تار الصحابة والتابعين في كتب كثيرة

والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ وهذا امر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان مالم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر مالم يكن فيزداد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو لم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدنا بان لا يخافوا الخلق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول انكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عبادة المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجملا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل ما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك مالم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم

مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمناً بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً فإن ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لأن كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وأنه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

### ﴿ الثاني ﴾

الاجال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفاً من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهراً فكل ما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملاً أو عرف بعضها وكلما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكمل

### ﴿ الثالث ﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

## ﴿الرابع﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخرة عمله لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف المزموم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الا لوح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بصدق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور الخبر به وان كان مصدقا به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

## ﴿الخامس﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا ظاهرا

## ﴿السادس﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضا من الايمان والناس يتفاضلون فيها

## ﴿السابع﴾

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلا عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تنقصه وكال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذ ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضعنا فتلك نقصانه

## ﴿ الثامن ﴾

قد يكون الانسان مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا وان أشبه الجمل والمفصل لكن صاحب الجمل قد يكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجل الائمة ان الايمان قول وعمل ونية يريد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال ولايمان عندهم يريد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قال وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان

وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي الايمان من أجل ذنوبهم وإنما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر الأتري لى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة واتحلوا دعوة المسلمين من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال . ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفئيا في الامصار وهذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموارثة وبحديث عبادة بن الصامت « من أصاب من ذلك شيئاً فموجب به في الدنيا فهو كفارة » وقال الايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا) أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث « أكمل المؤمنين ايمانا » ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أتمقص وقوله « أوثق عرى الايمان الحب في الله » وقوله « لا ايمان لمن لا أمانة له » يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضى الله عنه ذكر قوله في الايمان أنه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقوله الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي أنه اجماع من الصحابة والتابعين ومن اقيه استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو ان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره

سهل فانه يسلم له ان الهيئته الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من اصبع أو يد أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وإنما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددًا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا للاحقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره ولاجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا في ما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولًا مخالفًا للنص والاجماع القديم حقيقته ويكون معتقداً انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالثبوت يثبته على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان قلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فثبتت لهذه المسميات وجودًا مطلقًا مجردًا عن جميع القيود والصفات وهذا للاحقيقة له في الخارج وإنما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر



موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الازدهان لاني الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الاما تصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي هي والاشترك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فاي ايمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفي التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المعينة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبداً وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا اعداد مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبمدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهو لا كلهم اشتبه عليهم ما في الازدهان بما في الاعيان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتبره الشبهة وقال ويزيده ان كل واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا

وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعمّر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة وبروي بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأظن ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الائمة وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (يزداد الذين آمنوا ايمانا) الآية انتهى وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة ويضعف بالمعصيان وقد ذكرنا من ذلك ما لعله يحصل به المقصود والله ولي الاحسان

### ﴿تنبيهات﴾

(الاول) قال جمهور الاشاعرة والماتريديّة ان الايمان هو التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبكل ما علم بحبيته به من الدين بالضرورة أي الاذعان والقبول مع الرضى والتسليم وطمأنينة النفس لذلك تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا قالوا ولا يخط الايمان الاجمالي عن التفصيلي من حيث الخروج عن عهدة التكليف به وان كان التفصيلي أكمل من الاجمالي وهذا قاله بعض متأخري الاشاعرة

والافتقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في التمهيد الايمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب قال فان قيل فما الدليل على ما قلتم قلنا اجماع أهل اللغة قاطبة على ان الايمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك و يدل على ذلك قوله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا فوجب ان الايمان في الشريعة هو الايمان في اللغة لان الله ما غير اللسان ولا قلبه وتقدم انه نوقش فيما قاله قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا حقيقة قول جهم في مسألة الايمان وقد نصر أبو الحسن الاشعري هذا القول مع انه نصر المشهور عن السلف من انه يستثنى في الايمان وكذلك مشى على هذا أكثر أصحابه واما أبو العباس القلانسي وأبو علي الثقيفي وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ القاضي أبي بكر الباقلاني صاحب أبي الحسن فانهم نصروا مذهب السلف وقال عبد الله بن سعيد بن كلاب نفسه وهو متأخر في زمن محنة الامام أحمد رضي الله عنه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان ومن اتبعه وقد أنكروا على ابن كلاب ومن وافقه علماء السنة وعلماء البدعة جميعا وبدعوة فكيف بمن قال بالتصديق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فانه لا يعلق به شيء من أحكام الايمان لاني الدنيا ولا في الآخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله (يا أيها الذين آمنوا) والحاصل ان الايمان عند المرجئة التصديق والقول وعند الجهمية مجرد التصديق وعند الكرامية انه مجرد قول اللسان فقط وهم يقولون المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لانه آمن ظاهرا لا باطنا وانما يدخل الجنة من آمن باطنا وظاهرا قالوا والدليل على شمول الايمان له انه يدخل في الاحكام الدنيوية المعلقة باسم الايمان وهذا القول وان كان من أقبح البدع وافظعها ولم يسبقهم اليه أحد فقول الجهمية أبطل منه وأبعد من الاستدلال باللغة والقرآن والعقل والكرامية توافق المرجئة والجهمية في (أن) الايمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الايمان بل يقولون هو مؤمن حقا لمن أظهر الايمان واذا كان منافقا فهو يخلد في النار عندهم فانه لا يدخل الجنة الا من آمن باطنا وظاهرا ومن حكى عنهم أنهم يقولون المنافق

يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مؤمن لان الايمان هو القول الظاهر عندهم كما يسميه غيرهم مسلما اذ الاسلام هو الاستسلام الظاهر كما حكاه شيخ الاسلام ثم قال ولا ريب ان قول الجهمية أفسد من قولهم من وجوه متعددة شرعا ولغة وعقلا واذا قيل قول الكرامية قول خارج عن اجماع المسلمين قيل له بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الايمان وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر ففي القرآن والسنة من نفي الايمان عن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة كما فيها من نفي الايمان عن المنافقين واما الايمان بقلبه مع المعادة والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمنا وعند الجهمية اذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الايمان ايما به كايان الصديقين ولا يتصور عندهم ان ينتفى عنه الايمان الا اذا زال ذلك العلم من قلبه واما المرجئة المتكلمون منهم والفقهاء يقولون ان الاعمال قد تسمى ايما ناجزا لان العمل ثمرة الايمان ومقتضاه ولانها دليل عليه ويقولون قوله صلى الله عليه وسلم «الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق» مجاز قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (الايمان والاسلام) المرجئة ثلاثة أصناف الذين يقولون الايمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم ومنهم من لا يدخلها كالجهم بن صفوان ومن اتبعه كالصنابحي وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه (الثاني) من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لاحد قبل الكرامية (الثالث) تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم قال شيخ الاسلام وهوؤلاء غلطوا من وجوه (أحدها) ظنهم ان الايمان الذي فرضه الله على العباد مماثل في حق العباد وان ماوجب على شخص يجب مثله على كل شخص وليس الأمر كذلك بل ذلك يتفاوت ويتفاضل أشد تفاوت وتفاضل كما نبهنا على ذلك فيما مر فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئا واحدا في حق جميع الناس (الثاني) من غلط المرجئة ظنهم ان ما في القلب من الايمان ليس الا التصديق فقط

دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة (الثالث) ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الاعمال ولهذا يعملون الاعمال نعمة الايمان ومقتضاها بمنزلة السبب مع المسبب ولا يعملونها لازمة له والتحقيق ان الايمان التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع ان يقوم بالقلب ايمان تام بدون عمل ظاهر قال شيخ الاسلام ابن تيمية ولهذا صاروا يقدرون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن والقلب مثل قولهم رجل في قلبه من الايمان مثل ما في قلب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ويؤتي بأمه وأخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقول هذا مؤمن تام الايمان فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الانكار قال سيدنا الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ثنا خلف بن حيان ثنا معقل بن عبيد الله العبسي قال قدم سالم الافطس الارجاء فنفر منه أصحابنا نفورا شديدا منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فإنه عاهد الله ان لا يأويه وإياه سقف بيت المسجد قال معقل فحججت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابي وهو يقرأ (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قلت ان لنا حاجة فادخل لنا فنعمل فأخبره بالارجاء وان ناسا أتوا به وان الصلاة والزكاة ليستا من الدين فقال أو ليس الله تعالى يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فالصلاة والزكاة من الدين وذكر من أقوالهم وزعموا أنهم انتحلوك تبرأ منهم وكذلك نافع تبرأ منهم وكذلك الزهري فقال سبحان الله قد أخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» والجميع تبرأوا منهم وقالوا ليس ايمان من أطاع الله كايمن من عصاه قال شيخ الاسلام المرجئة كلهم يقولون الصلاة والزكاة ليستا من الايمان واما من الدين فحكي عن بعضهم أنه يقول ليستا من الدين ولا نفرق بين الايمان والدين قال شيخ الاسلام هذا المعروف من أقوالهم ولم أرفي كتاب أحد منهم انه قال ان الاعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك حكى أبو عبيد عن ناظره منهم فان أبا عبيد

وغيره يحتجون بان الاعمال من الدين فذكر قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أنها نزلت في حجة الوداع قال أبو عبيد فاخبر تعالى انه أكمل الدين في آخر الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال وزعم هؤلاء انه كان كاملا قبل ذلك بعشرين سنة من أول ما أنزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس الى الاقرار قال حتى لقد اضطر بعضهم حين أدخلت عليه الحجة الى أن قال ان الايمان ليس بجميع الدين ولكن الدين ثلاثة أجزاء فالايان جزء والفرائض جزء والنوافل جزء قال شيخ الاسلام قدس الله روحه هذا الذي قاله هو مذهب القوم قال أبو عبيد وهذا غير ما نطق به الكتاب ألا تسمع إلى قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام - ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه - ورضيت لكم الاسلام ديناً) فاخبر ان الاسلام هو الدين برمته وهو لا يزعمون انه ثلث الدين وسيأتي تحرير ذلك ان شاء الله تعالى

ولما كان الامام أحمد وكذا أبو ثور وغيرهما من الائمة قد عرفوا قول المرجئة وهوان الايمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون ذاعدا اثنين أو ثلاثة فانه اذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه بل لا يكون الا شيئاً واحداً قال لهم الامام أحمد من زعم أن الايمان الاقرار فما يقول في المعرفة هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج ان يكون مصدقا بما عرف فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار فقد زعم انه من شيئين وان زعم انه يحتاج ان يكون مقرا ومصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً قال ولا أحسب أحداً يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الاشياء انتهى قال شيخ الاسلام قالت الجهمية الايمان شيء واحد في القلب وقالت الكرامية هو شيء واحد على اللسان كل ذلك فراراً من تبعض الايمان وتعدده فاحتج أبو ثور عليهم بما اجتمع عليه فقهاء المرجئة من انه تصديق وعمل ولم يكن بلغه قول متكلميهم وجهميتهم أولم يعد خلافتهم خلافاً ولهذا دخل في ارجاء الفقهاء جماعة هم عند الأئمة أهل علم ودين ولم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الاقوال والافعال

لامن بدع العقائد فان كثيرا من النزاع فيها لفظي نعم اللفظ المطابق للكتاب  
والسنة هو الصواب فليس لأحدان يقول بخلافه ولا سيما وقد صار ذلك ذريعة  
الى بدع أهل الكلام من أهل الارزاء وغيرهم الى ظهور الفسوق فصار ذلك  
الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والاعمال فلهذا اعظم القول في  
ذم الارزاء حتى قال ابراهيم النخعي لفتنتهم يعني المرجئة أخوف على هذه الامة  
من فتنة الأزارقة يعني الخوارج وقال الزهري ما ابتدع في الاسلام بدعة أضمر  
على أهلها من الارزاء وقال الاوزاعي كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان ليس  
شيء من الاهواء أخوف عندهم على الامة من الارزاء وقال شريك القاضي  
المرجئة أخبت قوم حسبك بالرافضة خبثا ولكن المرجئة يكذبون على الله وقال  
سفيان الثوري تركت المرجئة الاسلام أرق من ثوب سايري وقال وكيع المرجئة  
الذين يقولون الاقرار يجزي عن العمل ومن قال هذا فقد هلك ومن قال النية  
يجزي عن العمل فهو كفر وهو قول جهم وكذا قال الامام أحمد رضي الله عنه  
انه كفر وقال قتادة انما حدث الارزاء بعد فرقة ابن الاشعث وقال أيوب  
السختياني أول من تكلم في الارزاء رجل من أهل المدينة من بني هاشم يقال له  
الحسن وقال زاذان مر بنا الحسن بن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت  
وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة فقال لي يا أبا عمر لو ددت اني كنت مت  
قبل ان أخرج هذا الكتاب أواضع هذا الكتاب فان الخطأ في اسم الايمان  
ليس كالخطأ في اسم محدث ولا كالخطأ في غيره من الاسماء اذ كانت أحكام  
الدنيا والآخرة متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق وحاصل قول  
غلاة المرجئة انه كما لا ينفع مع الكفر طاعة ولا يضر مع الايمان معصية وهذا شر  
قول قيل في الاسلام والله تعالى الموفق

وحاصل ذلك قوله ان للناس في الايمان أقوالا خمسة منها ثلاثة بسيطة واثنان  
مركب فاما البسيطة فالتصديق وحده أو القول وحده أو العمل وحده الأول  
مذهب جهم ومن وافقه من الاشاعرة وغيرهم والثاني قول الكرامية والثالث عزاه  
الكرماني في شرح البخاري للمعتزلة واعلمه لبعضهم واما المركب فقسمان ثاني وهو

قول الحنفية ومن وافقهم فأنهم قالوا انه مركب من التصديق والقول وثلاثي التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان وهذا مذهب سلف الأمة .

### ﴿ التنبيه الثاني ﴾

الثاني الكلام على الايمان والاسلام هل هما شيء واحد أو شيطان. قد ثبت في القرآن اسلام بلا ايمان في قوله تعالى ( قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ) وثبت في الصحيحين من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال اعطى النبي صلى الله عليه وسلم رهطاً وفي رواية قسم قسماً وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم اليه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لاراه مؤمناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أومسماً» أقولها ثلاثاً ويردها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره أحب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار فهذا الاسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الايمان في قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه أم من جنس اسلام المنافقين؟ فيه قولان مشهوران للسلف والخلف (أحدهما) انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا يروى عن الحسن البصري وابن سيرين وابراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد والامام أحمد بن حنبل وسهل بن عبدالله التسنري وأبي طالب المكي وكثير من أهل الحديث والسنن والحقائق (الثاني) ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين قالوا وهو لا، كمنار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو كافر وهذا اختيار الامام البخاري ومحمد بن نصر المروزي قال شيخ الاسلام والسلف مختلفون في ذلك وحقيقة الامر ان من لم يكن من المؤمنين يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه من الخلود في النار وهذا متفق عليه بين أهل السنة لكن هل يطلق عليه اسم الايمان؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال انه مسلم ولا يقال مؤمن وقيل بل يقال مؤمن قال والتحقيق انه يقال مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسبق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم قال وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه ثلاث طوائف المؤمن



حقا والمنافق في أحكامه الظاهرة وان كان المنافق في الآخرة في الدرك الاسفل من النار وهو في الباطن ينفي عنه الاسلام والايان وفي الظاهر يثبتان له ظاهرا ويدخل فيه الذين أسلموا ولم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء منه واسلام يثابون عليه ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبار ما يعاقبون على ترك المفروضات وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم فأنهم قالوا آمنا من غير قيام منهم بما أمروا به باطنا وظاهرا فلا دخلت حقيقة الايمان الى قلوبهم ولا جاهدوا وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وقد يكونون من أهل الكبار وهؤلاء لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بين السلف فيهم نزاع لفظي هل يقال أنهم مؤمنون؟ قال الشاذلي سألته الامام أحمد عن الايمان والاسلام فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار به قال أبو خيثمة وقال ابن أبي شيبة لا يكون اسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام قال شيخ الاسلام قدس الله روحه: الامام أحمد رضي الله عنه لم يرد عنه قط انه سلب من يقال انه مسلم يعني من زنى وسرق وشرب الخمر ونحوهم جميع الايمان فلم يبق معه شيء كما تقوله الخوارج والمعتزلة فان الامام أحمد قد صرح في غير موضع بان أهل الكبار معهم ايمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان» وليس هذا يعني سلبهم اسم الايمان جميعه قوله ولا قول أحد من أئمة السنة بل كلهم متفقون على ان الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الايمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار المنافقين لكن اذا كان معه بعض الايمان لم يلزم ان يدخل في الاسلام المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفي الاسم عن هؤلاء فقال «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» والمعتزلة ينفون عنه اسم الايمان والاسلام بالكلية ويقولون يخلد في النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها وهذا هو الذي انكر عليهم وكل أهل السنة متفقة انه قد سلب كمال الايمان الواجب فزال بعض ايمانه الواجب وانما ينازع في ذلك من يقول الايمان لا يتبع بعض كالجهمية والمرجئة فيقولون عن مثل هذا انه كامل الايمان اسكنه من أهل الوعيد قال شيخ الاسلام

وحقيقة الفرق بين الاسلام والايان والدين ان الاسلام دين والدين مصدر دان  
 يدين دنبا اذا خضع وذل ودين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسوله هو  
 الاستسلام لله وحده فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون  
 سواه فمن عبده وعبد معه إياها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبد به استكبر عن عبادته  
 لم يكن مسلما والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال  
 رحمه الله وعزاه لاهل اللغة فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح  
 وأما الايمان فأصله تصديق وقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل  
 القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم  
 الايمان بايمان مخصوص وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسر الاسلام  
 باسلام مخصوص وهو المباني الخمس وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم قال  
 شيخ الاسلام قدس الله روحه ومما يستل عنه انه اذا كان مما أوجبه الله من الاعمال  
 الظاهرة أكثر من هذه الخمس فلماذا قال الاسلام هذه الخمس وقد أجاب بعض  
 الناس بان هذه اظهر شرائع الاسلام واعظها وبقيا بهما يتم استسلامه وتركها يشعر  
 بانحلال قيد اتقياده قال والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي  
 هو استسلام العبد لربه مطلقا الذي يجب لله عبادة محضة على الاعيان فيجب على  
 كل من كان قادرا عليه ليعبد الله بها مخلصا له الدين وهذه هي الخمس وما سوى  
 ذلك فانما يجب بأسباب المصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما ان تكون  
 فرضا على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك  
 من امارة وحكم وفتيا واقراء وتحديث وغير ذلك وأما ان يجب بسبب حق للادميين  
 يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه وكذلك ما يجب من صلة الارحام  
 وحقوق الزوجية والاولاد والعيران والشركا والفقراء وكذا قضاء الديون ورد  
 الغصب والمواريث والودائع والانصاف من المظالم من الدماء والاموال والأعراض  
 انها هي حقوق الأدميين واذا أبروا منها سقطت وتجب على شخص دون شخص  
 في حال دون حال لم تجب عبادة محضة لله تعالى على كل عبد قادر ولهذا يشترك  
 في أكثرها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخدمة والزكاة وان كانت حقا ماليا

فهي واجبة لله والاصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النية ولم يجز ان يفعلها الغير عنه بلا اذنه ولم تطلب من الكفار وحقوق العباد لا يشترط لها نية ولو أداها عنه غيره ولو بغير اذنه برئت ذمته ويطلب بها الكفار وفي كتاب الايمان والاسلام للامام شيخ الاسلام ابن تيمية قال أبو طالب المكي مثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احدهما من الاخرى في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة الوجدانية فهما شيان في الاعيان واحدهما مرتبطة بالآخرى في المعنى والحكم كشيء واحد كذلك الايمان والاسلام أحدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصحح اسلامه ولا يخلو المؤمن من اسلام به يحقق ايمانه ثم قال وقد أجمع اهل القبلة على أن كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وكتبه وقال الحافظ ابن رجب اذا أفرد كل من الاسلام والايمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما أن الايمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته والاسلام هو الاستسلام لله والخضوع والالتقياده وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمي الله تعالى في كتابه الاسلام ديناً وفي حديث جبريل سمي النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان ديناً فالايان والاسلام كلسم الفقير والمسكين اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا فاذا أفرد احدهما دخل فيه الآخر واذا قرن بينهما احتاج كل واحد منهما الى تعريف يخصصه فاذا قرن بين الايمان والاسلام فالمراد بالايمان جنس تصديق القلب والاسلام جنس العمل واعلم ان مسائل الاسلام والايمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا فان الله تعالى علق بهذه الاسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الامة وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الاسلام بالكيفية وأدخلوهم في دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمرتلة بين المنزلتين ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم ان الفاسق مؤمن كامل الايمان وقد أكثر الأئمة من التصنيف في هذا الباب وحاصل ذلك ان الدين

وأهله كما أخبر خاتم النبيين وامام المرسلين ثلاث طبقات أولها الاسلام وأوسطها الايمان وأعلاها الاحسان فمن وصل الى العليا فقد وصل الى التي تليها فالمحسن مؤمن والمؤمن مسلم وأما المسلم فلا يجب ان يكون مؤمنا وهكذا جاء القرآن فجعل الامة على هذه الاصناف الثلاثة قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فالسالم الذي لم يتم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد الذي أدى الواجب وترك المحرم هو المؤمن المطلق والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه وقد ذكر الله تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وبالله التوفيق

### ﴿ الثالث ﴾

هل قبول الايمان للزيادة والنقص مختص بقول السلف ومن تبعهم من ان الايمان تدخل فيه الاعمال وذهب اليه جماعة من محققي الاشاعرة كالقلانسي وغيره وهو مذهب الفقهاء والمحدثين ونقل الشافعي على ذلك الاجماع وقال البخاري لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص كما تقدم وقد قدمنا من الاحتجاج لذلك من العقل والنقل ما لعله يشفي ويكفي لمن لم تتحكم به علة التقييد ونزع من عنقه ربة التقليد اذ لو لم تتفاوت حقيقة الايمان وتفاضل لكان ايمان آحاد الأمة المنهكين في الفسق والمعاصي مساويا لايمان الانبياء والصدقيين والملائكة المقربين وتصوير هذا المذهب ولو ازمه يعني عن اقامة البرهان على رده مع ما في الآيات الصريحة والآحاديث الصحيحة من التفاضل والتفاوت فدع عنك هذا التماذي والتهافت أو يعم القول بان الايمان التصديق أيضا؛ الحق كما قاله الامام النووي وجماعة محققون من علماء الكلام ان الزيادة والنقصان تدخل الايمان ولو قلنا انه التصديق والاذعان لان التصديق القلبي يزيد وينقص أيضا بكثرة النظر ووضوح الادلة وعدم ذلك كما تقدم في كلام شيخ الاسلام وما اعترض عليه به من أنه متى قبل ذلك كان شكاً فمدفوع بأن مراتب اليقين متفاوتة إلى علم اليقين وعين اليقين

وحق اليقين مع أنها لاشك معها وفي القرآن العظيم ما حكى عن ابراهيم خليله بقوله (ولكن ليطمئن قلبي) وتقدمت قصة موسى لما رأى قومه عاكفين على عبادة العجل مع ما كان أخبر الله تعالى بذلك أولا وقال الامام أبو حنيفة وأصحابه ومن تبعهم من المتكلمين الايمان لا يزيد ولا ينقص محتجين بأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والاذعان والمعلوم من النقل والعقل خلافة وبالله التوفيق

﴿ ونحن في ايماننا تستثني من غير شك فاستمع واستبين ﴾

﴿ ونحن ﴾ معشر الأثرية ومن وافقنا من الاشعرية وغيرهم ﴿ في ايماننا ﴾ الذي تقدم تعريفه ﴿ نستثني ﴾ فيقول أحدنا أنا مؤمن ان شاء الله ﴿ من غير شك ﴾ منا في ذلك والشك التردد بين طرفين لا مزيه لاحدهما على الآخر والمراد هنا ما يرمي الظن وكل ما ليس بحزم موافقة للسلف الصالح في ذلك ﴿ فاستمع ﴾ أي اطلب سماع ذلك واستقباله ﴿ واستبين ﴾ أي طالب بيانه واظهاره بأدلتها العقلية والعقلية تظهر لك فيه الحقيقة واعلم ان الناس في ذلك على ثلاثة أقوال منهم من يوجبهم ومنهم من يجرمه ومنهم من يجوز الامرين باعتبارين وهذا الاخير أصح الاقوال فالذين يجرمونه هم المرجئة والجهمية ومن وافقهم ممن يجعل الايمان شيئاً واحداً يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم أنا أعلم اني مؤمن كما أعلم اني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم اني قرأت الفاتحة وكما أعلم اني أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى أبغض اليهود والنصارى فقولى أنا مؤمن كقولى أنا مسلم ونحو ذلك من الأمور الحاضرة اتى أنا أعلمها وأقطع بها وكأنه لا يجوز ان يقال أنا قرأت الفاتحة ان شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن ان شاء الله لكن اذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته ان شاء الله قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك فيه وسموهم الشاكة والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان أحدهما ان الايمان هو ما مات عليه الانسان والانسان انما يكون عند الله مؤمناً وكافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله انه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به قالوا والايمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بايمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب

فصاحب هذا هو عند الله كافر بعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر وهذا  
 المأخذ لكثير من المتأخرين من الكلائية وغيرهم من يريدان ينصر أهل الحديث  
 في قولهم أنا مؤمن ان شاء الله ويريد مع ذلك ان يجعل الايمان لا يتفاضل  
 والانسان لا يشك في الموجود منه وانما يشك في المستقبل وبهذا قال كثير من  
 المتكلمين ومن أتباع المذاهب من الخنابلة والشافعية والمالكية وغيرهم قالوا يجب  
 في ازله من كان كافرا اذا علم انه يموت مؤمنا ما زالوا محبوبين لله وان كانوا قد  
 عبدوا الاصنام مدة من الدهر وابلس مازال يبغضه وان كان لم يكفر بعد يعني  
 مازال الله يريدان يثيب هؤلاء بعد ايمانهم ويعاقب ابلس بعد كفره وهذا معنى  
 صحيح فان الله يريد ان يخلق كل ما علم ان سيخلقه وعند هؤلاء لا يرضى عن  
 أحد بعد ان كان ساخطا عليه فمن علم انه يموت كافرا لم يرل مريدا لعقوبته  
 والايمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه واذا علم انه  
 يموت مؤمنا مسلما لم يرل مريدا لاثابته والكفر الذي فعله وجوده كعدمه  
 فلم يكن هذا كافرا عندهم أصلا فهو هؤلاء يستنون في الايمان بناء على المأخذ  
 وكذلك بعض محققهم يستنون في الكفر مثل أبي منصور الماتريدي كما نقله  
 عن شيخ الاسلام نعم جماهير الائمة لا يستثنى في الكفر والاستثناء فيه بدعة لم  
 يعرف عن أحد من السلف ولكن هؤلاء لازم لهم والذين فرقوا من هؤلاء  
 قالوا يستثنى في الايمان رغبة الى الله في أن يثبتنا عليه الى الموت والكفر  
 لا يرغب فيه أحد قال شيخ الاسلام وعند هؤلاء لا يعلم أحد أحدا مؤمنا الا  
 اذا علم أنه يموت عليه وهذا القول قاله كثير من أهل الكلام وواقفهم على ذلك  
 كثير من أتباع الائمة قال لكن ليس هذا قول أحد من السلف لا الائمة الاربعة  
 ولا غيرهم ولا كان أحد من السلف الذين يستنون في الايمان يعللون بهذا  
 لا الامام أحمد ولا من كان قبله قال ومأخذ هذا القول طرد طائفة ممن كانوا في  
 الاصل يستنون في الايمان اتباعا للسلف وكانوا قد أخذوا الاستثناء عن السلف  
 وكان أهل الشام شديدين على المرجئة وكان محمد بن يوسف الفريابي صاحب  
 الثوري مرابطا بعسقلان لما كانت عامرة وكانت من خيار ثغور المسلمين وكانوا

يستنون اتباعا للسلف واستنوا أيضا في الاعمال الصالحة كقول الرجل صليت ان شاء الله ونحو ذلك يعني القبول لما في ذلك من الآثار عن السلف ثم صار كثير من هؤلاء يستنون في كل شيء فيقول هذا ثوبي إن شاء الله وهذا جبل ان شاء الله فاذا قيل لاحدهم هذا لاشك فيه قال نعم لاشك فيه لكن اذا شاء الله أن يغيره غيره فغير يدون بقولهم ان شاء الله جواز تغييره في المستقبل وان كان في الحال لاشك فيه كأن الحقيقة عندهم التي لا يستثنى فيها ما لم تبدل كما يقوله أولئك في الايمان أن الايمان ما علم الله أنه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه قال وهذا القول قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهؤلاء الذين يستنون في كل شيء تلقوا ذلك عن بعض أتباع شيخهم وشيخهم الذي ينتسبون اليه يقال له أبو عمرو بن عثمان بن مرزوق لم يكن ممن يرى هذا الاستثناء بل كان في الاستثناء على طريقة من قبله ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه وكان شيخهم منتسبا الى الامام أحمد رضي الله عنه وهو من اتباع عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج المقدسي وأبو الفرج من تلامذة القاضي أبي يعلى (قلت) وهو الذي نشر مذهب أحمد في تواجي جبل نابلس وهو الامام أبو الفرج الشيرازي قدس الله روحه اسمه عبد الواحد الفقيه الزاهد الانصاري السعدي العبادي الخزرجي شيخ الشام في وقته وهذا البيت يعرف ببيت الخنبلي وكان أبو الفرج اماما عالما بالفقه والاصول شديدا في السنة زاهدا عارفا عابدا متأهلا ذا احوال وكرامات ظاهرة وكان قد صحب القاضي أبا يعلى سنة نيف وأربعين وأربعمائة وتردد الى مجلسه سنين عدة وعلق عنه أشياء في الاصول والفروع ثم قدم الشام وحصل له الاتباع والتلاميذ والغلمان وكان ناصرًا لمذهبهنا مجردا لنشره وله تصانيف في الفقه والوعظ والاصول توفي يوم الاحد ثامن عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير والى جنبه الخافظ بن رجب وقد زرتهما كثيرا رحمهما الله ورضي عنها وهؤلاء الذين يستنون في كل شيء كلهم وان كانوا منتسبين الى الامام أحمد رضي الله عنه فهم يوافقون ابن كلاب على أصله الذي كان الامام أحمد ينكره عليه وعلى سائر اتباعه الكلاية وأمر بهجر الامام الحارث المحاسبي

صاحب الرعاية من أجله كما يوافق على أصله طائفة من أصحاب الامامين مالك والشافعي رضي الله عنهما بل وأصحاب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه كابي المعالي الجويني الشافعي وأبي الوليد الباجي المالكي وأبي منصور الماتريدي الحنفي وغيرهم وهذه الطائفة المتأخرة تنكران يقال «قطعاً» في شيء من الاشياء مع غلوهم في الاستثناء حتى صار هذا اللفظ يعني قطعاً منكراً عندهم وإن جزموا بالمعنى فيجزمون بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبيهم وأن الله ربهم ولا يقولون قطعاً قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه شرح الايمان والاسلام وقد اجتمع بي طائفة منهم فأنكرت عليهم ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعاً وأحضروا لي كتاباً فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقول الرجل قطعاً وهي أحاديث موضوعة مختلفة قد اقتراها بعض المتأخرين

وهو لا واضرابهم ظنوا أن ما هم عليه هو قول السلف وليس كذلك مع ان هذا لم يقله أحد من السلف وإنما حكاه هؤلاء عنهم بحسب ظنهم والذين قالوا بالموافاة جعلوا الثبات على الايمان الى العاقبة والوفاء به في المآل شرطاً في الايمان شرعاً لا لغة ولا عقلاً حتى ان الامام محمد بن اسحق بن خزيمة كان يغلو في هذا ويقول من قال أنا مؤمن حقاً فهو مبتدع قال شيخ الاسلام ومذهب أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء البصرة والامام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يستنون في الايمان وهذا متواتر عنهم لكن ليس في هؤلاء من قال انما استثنى لاجل الموافاة وان الايمان انما هو اسم لما يوافق به بل صرح أئمة هؤلاء بان الاستثناء انما هو لان الايمان يتضمن فعل جميع الواجبات فلا يشهدون لانفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فان ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لانفسهم بلا علم قال شيخ الاسلام واما الموافاة فلا علمت أحداً من السلف علل بها الاستثناء نعم كثير من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب الامام أحمد والشافعي ومالك وغيرهم رضي الله عنهم قال شيخ الاسلام وأكثر الناس يقولون بل هو اذا كان كافراً فهو عدو



الله ثم اذا آمن و اتقى صار ولياً لله فأخذ سلف الامة في الاستثناء ان الايمان المطلق فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات فاذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الابرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به وترك كل ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله تعالى وهذا تزكية الانسان لنفسه وشهادته لها بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لساغ ان يشهد لنفسه بالجنة ان مات على هذه الحال ولا أحد يسوغ له بذلك فهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستنون وان جوزوا ترك الاستثناء قال الخلال في كتاب السنة ثنا سليمان بن الأشعث يعني الامام الحافظ أبا داود صاحب السنن قال سمعت أبا عبد الله يعني الامام أحمد رضي الله عنه قال له رجل قيل لي مؤمن أنت قلت نعم هل عليّ في ذلك شيء هل الناس الا مؤمن أو كافر فغضب الامام أحمد وقال هذا كلام الإرجاء قال الله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله) من هؤلاء؟ ثم قال الامام أحمد اليس الايمان قولاً وعملاً قال له الرجل بلى قال فجننا بالقول قال نعم قال فجننا بالعمل قال لا قال فكيف تعيب ان يقول ان شاء الله ويستثني قال أبو داود أخبرني أحمد بن شريح ان الامام أحمد رضي الله عنه كتب اليه في هذه المسئلة ان الايمان قول وعمل فجننا بالقول ولم يجبي بالعمل ونحن نستثني في العمل وكان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندرى يقبل منا أم لا قال شيخ الاسلام والقبول متعلق بفعله كما أمر فمن فعل كما أمر فقد تقبل منه لكن هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل كما قال الله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف قال «لا يا بنت الصديق بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه» وقال الامام أحمد اذهب الى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الايمان لان الايمان قول وعمل والعمل الفاعل فقد جننا بالقول ونخشى ان نكون فرطنا في العمل فيعجبني ان يستثني في الايمان يقول أنا مؤمن ان شاء الله وقال في رواية الميموني أقول مؤمن ان شاء الله ومؤمن أرجو لانه لا يدري كيف البراءة للأعمال على ما افترض عليه

أم لا ومثل هذا كثير في كلام الامام أحمد رضي الله عنه وفي كلام أمثاله من أئمة السلف وهذا مطابق لما تقدم من ان المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات على ذلك وان المفراط بترك المأمور أو فعل المحظور لا يطلق عليه أنه مؤمن مطلق وان المؤمن المطلق هو البر التقي ولي الله فاذا قال أنا مؤمن قطعاً كان كقوله أنا برّ تقيّ ولي الله قطعاً وقد كان الامام أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أن شاء الله ويكرهون الجواب لان هذه بدعة أحدثتها المرجئة ولهذا كان الصحيح انه يجوز ان يقول أنا مؤمن بلا استثناء اذا أراد ذلك لكن ينبغي ان يقرن كلامه بما يبين انه لم يرد الايمان المطلق الكامل ولهذا كان الامام أحمد رضي الله عنه يكره ان يجيب عن المطلق بلا استثناء تقدمه وقال المروزي قبل لأبي عبد الله تقول نحن المؤمنون فقال تقول نحن المسلمون ومع هذا فلم يكن ينكر على من ترك الاستثناء اذالم يكن قصده فعل المرجئة ان الايمان مجرد القول بل يتركه لما يعلم ان في قلبه ايمانا وان كان لا يجزم بكل ايمانه وقال الخلال أخبرني أحمد بن اصرم المزني ان أبا عبد الله قيل له اذا سألتني الرجل فقال أمؤمن أنت قال قل له سوألك اياي بدعة ولاشك في ايماني أو قال لانك في ايماننا قال المزني وحفظني ان أبا عبد الله قال أقول كما قال طاووس آمنت بالله وملائكته ورسله فقد أخبر الامام أحمد انه قال لانك في ايماننا وان السائل لايشك في ايمان المسئول وهذا أبلغ وهو انما يجزم بانه مقرر مصدق بما جاء به الرسول لانه قائم بالواجب فعلم ان الامام أحمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولايشكون في وجود ما في القلوب من الايمان في هذه الحال ويجعلون الاستثناء عائدا الى الايمان المطلق المتضمن فعل المأمور ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء في الملائكة وفيه وهذا مأخذ ثان وان كنا لانك في ما في قلوبنا من الايمان فلاستثناء في ما يعلم وجوده مما قد جاءت به السنة مما فيه من الحكمة قال تعالى ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ) وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه « اني لارجو ان أكون اتقاكم لله » وقال في الميت « وعليه يبعث ان شاء الله » وقال صلى الله عليه وسلم لما وقف على المقابر « وانا ان شاء الله بكم لاحقون » وقوله « اني اختبأت

دعوتي وهي نائلة ان شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً» وهذا كثير وفي الصحيحين ان سليمان بن داود عليها السلام قال والله لا طوفن الليلة على مائة امرأة كل منهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم يحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا جمعون» فاذا قال ان شاء الله لم يشك في طلبه وارادته بل لتحقيق الله ذلك له اذا الامور لا تحصل الا بمشيئة الله فاذا تأتى العبد على الله من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده فانه من يتألى على الله يكذبه ولهذا يروى «لا آتمت لمقدر أمراً» وقيل لبعضهم بما عرفت ربك قال بفسخ العزائم وتقض الهمم وقد قال تعالى (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله) وفي شرح مختصر التحرير يجوز الاستثناء في الايمان بان يقول أنا مؤمن ان شاء الله نص على ذلك الامام أحمد والامام الشافعي وحكي عن ابن مسعود رضي الله عنهم وقال ابن عقيل يستحب ولا يقطع لنفسه ومنع ذلك الامام أبو حنيفة وأصحابه والاكثر والله أعلم

﴿ تبيينه ﴾

هل الاسلام مثل الايمان يدخله الزيادة والنقصان ويدخله الاستثناء أم لا ؟ فيه خلاف مشهور قال في شرح مختصر التحرير واما الاسلام فلا يجوز الاستثناء فيه بان يقول انما سلم ان شاء الله بل يجزم به قاله ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقيل يجوز ان شرطنا فيه العمل انتهى واعلم ان الناس في الاسلام والايمان على ثلاثة أقوال فالمرجئة يقولون الاسلام أفضل من الايمان قالوا فانه يدخل فيه الايمان وآخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة بل حكاه محمد بن نصر عن جمهورهم والقول الثالث ان الايمان أكمل وافضل وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان كما في شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام وقال الصحيح ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة كلها قال والامام أحمد رضي الله عنه انما منع الاستثناء فيه على قول الزهري هو الكلمة هكذا نقل الأثر

والميموني وغيرهما عنه وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال الاسلام الكلمة فيسئني في الاسلام كما بسئني في الايمان فان الانسان لا يجزم بانه قد فعل كل ما أمر به من الاسلام واذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وبنى الاسلام على خمس فجزمه بأنه فعل الخمس بلا نقص كما أمر كجزمه بايمانه فقد قال تعالى ( ادخلوا في السلم كافة) أي في الاسلام كافة أي في جميع شرائع الاسلام قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وتعليل الامام أحمد وغيره من السلف في اسم الايمان يجيء في اسم الاسلام فاذا أريد بالاسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه الامام أحمد وغيره واذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة فلا استثناء فيه كالاستثناء في الايمان قال شيخ الاسلام والكان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الاسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه قلت والزيادة والنقصان يترتبان على ذلك وبالله التوفيق وقد علمت ما عليه السلف وأئمة الدين وهو اعتقاد الطائفة الاثرية من أهل الفرقة الناجية بلامين ولهذا قال

- ﴿ تتابع الاخير من أهل الأثر ﴾      وفتني الآثار لأهل الأثر ﴿  
 ﴿ ولا تقل ايماننا مخلوق ﴾      ولا قديم هكذا مطلق ﴿  
 ﴿ فبانه يشمل للصلاة ﴾      ونحوها من سائر الطاعات ﴿  
 ﴿ ففعلنا نحو الرجوع محدث ﴾      وكل قرآن قديم فابحوا ﴿

﴿ تتابع ﴾ في اعتقادنا الجازم وسيرنا الحازم ﴿ الاخير من ﴾ الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة ﴿ أهل الأثر ﴾ على نهج سيد ولد عدنان على مقتضى محكم القرآن ﴿ وفتني ﴾ أي تتبع يقال قفوته قفواً اتبعته كفتفته كافي القاموس وفي النهاية يقال قفوته وقفته اذ تتبعته واقتديت به ﴿ الآثار ﴾ الماثورة عن الكتاب المنزل والنبي المرسل والصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل التحقيق والعرفان بالنقل الصحيح والمعنى الصريح فهم أهل الدراية والرواية وأحق الناس بالاصابة والهداية ففعلنا مجاهدنا في النظر والتحريم

لا يكون الادون ما سلكوه من التحقيق والتنقيب ﴿ لا ﴾ نابع ونقدي ونحو في  
شبرنا ﴿ أهل الاشر ﴾ بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة فر (١) الفرح والمرح من  
كل متحذلق ومتشدد ومتعمق ومتودق من فروخ الجهمية وشيوخ المرجئة واتباع  
الكرامية فهم في طرف ونحن في طرف فيبيننا ويزنهم من البون كما بين الحركة والسكون  
ولما انتهى الكلام على الايمان وما يتعلق به وذكر خلاف الناس في  
حقيقته وما يترتب عليه من الزيادة والنقصان والاستثناء ختم الكلام عليه بذكر  
مسئلة عظيمة فقال ﴿ ولا تقل ﴾ أيها الاثري من الحنابلة ومن وافقهم ﴿ ايماننا ﴾  
الذي هو قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان ﴿ مخلوق ﴾ لدخول الاعمال فيه  
التي من جملتها الصلاة المشتملة على فاتحة الكتاب القديم ولدخول الاقوال التي  
من جملتها لا اله الا الله كلمة الاخلاص التي هي من كلام الله تعالى (فاعلم انه  
لا اله الا الله) ﴿ ولا ﴾ تقل أيها الاثري ايماننا ﴿ قديم هكذا مطلق ﴾ عن القيود  
لدخول أفعالنا فيه من الركوع والسجود والقيام والقعود وأعمال القلوب ونحو ذلك  
﴿ فانه ﴾ أي الايمان ﴿ يشمل للصلاة ﴾ المشروعة فرضا كانت أو نفلا ﴿ و ﴾  
يشمل ﴿ نحوها ﴾ أي نحو الصلاة ﴿ من سائر ﴾ أي بقية ﴿ الطاعات ﴾ التي  
يتقرب العبد بها الى ربه وسائر العبادات التي يأتي بها لغفران ذنبه وانارة قلبه  
والطاعات جمع طاعة مأخوذة من طاع يطوع اذا اتقاد وهي في اصطلاح الفقهاء  
عبادة غير واجبة والمراد هنا كل عبادة والعبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد  
عرفي ولا اقتضاء عقلي وحينئذ يجب التفصيل وهو ما أشير اليه بقوله ﴿ ففعلنا ﴾  
معرض الخلق ﴿ نحو الركوع ﴾ والسجود في الصلاة من القيام والقعود وسائر  
أفعال الخلق ﴿ محدث ﴾ لانه مسند اليه ومنسوب ومضاف الى فعله والله خالق  
لافعال العباد وللعباد فعل ينسب اليه كما تقدم ﴿ وكل ﴾ ما كان من ﴿ قرآن ﴾ فهو  
﴿ قديم ﴾ غير مخلوق لان كلام الله قديم كما مر البحث فيه في محله مستوفيا وقوله  
﴿ فابحثوا ﴾ أتى به لتتمة البيت والبحث التفتيش والطلب والتنقيب والتفصي عن

(١) كذا في الاصل ولعله قد سقط ههنا شيء والاشر بالتحريك البطر وهو

المراد هنا فضبطه بسكون الشين سهواه مصححه

دقائق المعاني فكل من ادخل الاعمال في الايمان فلا يسوغ له اطلاق اسم  
الحدوث ولا التقدم على الايمان بل لا بد من هذا التفصيل وامان لم يدخل الاعمال  
فيه كالا شعرة فيقولون الايمان عندهم مخلوق وهذا لا يتمشى على اصولنا قال  
سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه من قال الايمان مخلوق كفر ومن قال غير مخلوق  
ابتدع فقيل بالوقف مطلقا وقيل أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة قال ابن حمدان  
في نهاية المبتدئين وهو أصح ونقله عن ابن أبي موسى وغيره ونقل الامام الحافظ  
ابن رجب في طبقات الاصحاح في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي قدس الله  
روحه ما لفظه قال روي عن امامنا أحمد رضي الله عنه انه قال من قال الايمان مخلوق  
فهو كافر ومن قال قديم فهو مبتدع قال الحافظ عبد الغني وانما كفر من قال  
بخلقه لان الصلاة من الايمان وهي تشمل على قراءة وتسيح وذكرك الله عز وجل  
ومن قال بخلق ذلك كفر وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم  
ذلك ابتدع انتهى بحروفه والله تعالى الموفق

\*\*

﴿ تممة ﴾ ألحق علماؤنا في آخر هذا الباب ذكر الملكين الموكبين بالعبد  
يكتبان أفعاله وكأنهم نظروا لمناسبة ذلك للاحكام وكونه مما يجب الايمان به  
والا فكان الانسب ذكر ذلك في الباب الآتي في السمعيات لانه منها فلهذا قال  
﴿ ووكّل الله من الكرام اثنين حافظين للأنام ﴾  
﴿ فيكتبان كل أفعال الوري كما أتى في النص من غير امترا ﴾

﴿ ووكّل الله ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ من ﴾ الملائكة ﴿ الكرام ﴾ وصفهم بالكرم  
لما جاء في الكتاب والسنة كما سيأتي والحق ان الملائكة عليهم السلام ذوات  
قائمة بأنفسها قادرة على التشكل بالقدرة الآلهية كما ثبت في الاحاديث الصحيحة  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين وتعبير  
صور الملائكة والجن والشياطين الى الله تعالى لا اليهم وقد حكى غير واحد من  
محققي العلماء الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون  
الليل والنهار لا يفترون ﴿ اثنين ﴾ مفعول وكل ﴿ حافظين للأنام ﴾ كسحاب وبالمد

والانيم كأمر الخالق من الجن والانس وجميع ما على وجه الارض والمراد هنا من  
الانس ﴿ فيكتبان ﴾ يعني الملكتين الحافظتين ﴿ كل أفعال الوري ﴾ كسقى الخالق  
كما أتى في النص ﴿ القرآني ﴾ كما في قوله تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين  
يعلمون ما تفعلون) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه  
رقيب عتيد) ﴿ من غير امرا ﴾ أي من غير شك وهو مشتق من الممارسة والمربة  
بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه ممارسة ومرأ وامترى فيه وتمارى شك  
كما في القاموس وامتراه حقه جمده وفي نهاية ابن الاثير في الحديث «لاتاروا في  
القرآن فان مرأ فيه كفر» قال المرء الجدال والتمازي والممارسة المجادلة على مذهب  
الشك والريبة ويقال للمناظرة ممارسة لان كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه  
وبتريه كما يتري الحالب اللبن من الضرع قال أبو عبيد في توجيه الحديث المذكور  
ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل ولكنه على الاختلاف في  
اللفظ وهو ان يقول الرجل على حرف فيقول الرجل ليس هو كذا ولكنه على خلافه  
وكلاهما منزل مقروء فيهما فاذا جحد كل منهما قراءة صاحبه لم يؤمن ان يكون ذلك  
بخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا أنزله الله على نبيه والتسكير في المرأ في الحديث  
ايدانا بان شيئا منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما أراد الجدال والمرأ في الآيات  
التي فيها ذكر القدر ونحوه من المعاني على مذاهب أهل الكلام وأصحاب  
الاهواء والآراء دون ما تضمنته من الاحكام وأبواب الحلال والحرام فان ذلك قد  
جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلماء وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه  
ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز والله أعلم

قال علماء ونامتهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين الرقيب والعتيد ما كان موكلان بالعبد  
يجبان تؤمن بهما ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله كما قال تعالى (عن اليمين وعن الشمال  
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقوله (وان عليكم لحافظين كراما  
كاتبين يعلمون ما تفعلون) ولا يفارقان العبد بحال وقيل بل عند الحلاء وقال الحسن ان  
الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائظه وعند جماعه ومفارقتهما للمكاف حينئذ  
لا يمنع من كتبهما ما يصدر منه في تلك الحال كالا اعتقاد ان قلبي يجعل الله لها إمارة

على ذلك قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه للعبد ملائكة يحفظونه بأمر الله تعالى يشير الى قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) قال العلامة الشيخ عبد الرحمن العليمي العمري الحنبلي في تفسيره القرآن العظيم المسعى بفتح الرحمن في تفسير القرآن التعقيب العود بعد البداء وانما ذكر بلفظ التأنيث لان المراد الجماعات التي يعقب بعضها بعضا وقوله يحفظونه من أمر الله من المضار و يراقبون أحواله من أجل أمر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه وقال البيضاوي يحفظونه من أمر الله من بأسه منى اذنب بالامهال والاستغفار أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرى به وقيل «من» بمعنى الباء وقال في قوله معقبات التاء للمبالغة ولان المراد بالمعقبات جماعات وقرى معاقب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من أحد القافين انتهى وفي صحيح البخاري معقبات ملائكة حفظة تعقب الاولى منها الاخرى ومنه قيل المعقب أي عقيب في أثره قال أبو عبيدة أي ملائكة تعقب بعد ملائكة حفظة بالليل تعقب بعد حفظة النهار وحفظة النهار تعقب بعد حفظة الليل وروى الطبري باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (من أمر الله) أي باذن الله فالمعقبات هن من أمر الله وهي الملائكة ومن طريق سعيد بن جبير عنه قال حفظهم اياه بأمر الله ومن طريق ابراهيم النخعي قال يحفظونه من الجن ومن طريق كعب الأخبار قال لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذرون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتم وأخرج الطبراني من طريق كنانة العدوي أن عثمان سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلة بالآدمي فقال لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان على جنبه وآخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر بحرسه من الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وجاء في تأويل ذلك قول آخر رجحه ابن جرير



فاخرج باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (له معقبات) قال ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس ومن دونه حرس ومن طريق عكرمة في قوله له معقبات قال المواكب وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «بتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وفي بعض التفاسير في قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذوبون عنه ما لم يقدر عليه للبصر من ذلك سبعة أملاك يذوبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لا تحفظته الشياطين وذكره في كنز الاسرار من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مر فوعا قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته واما الملائكة الكاتبون فقبل أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وقيل خمسة واحد لا يفارق في ليل ولا نهار انتهى والمشهور انهما اثنان لكل واحد قال الضحاك مجلس الملكين تحت الشعر على الخنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنقته وعنه عليه السلام «معدد ملكيك على شفقتك ولسانك قلمها وريقك مداهما وأنت تجري فيما لا يعينك ولا تستحي من الله ولا منهما» وعنه عليه الصلاة والسلام «كاتب الحسنات عن يمين الرجل - يعني الشخص - وكاتب السيئات عن يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل الشخص حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» ونقل الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين النووية عن شويش العدوي وكان من قدماء التابعين أن صاحب اليمين أمير أو قال أمين على صاحب الشمال فاذا عمل ابن آدم سيئة فأراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين لا تعجل لعله يعمل حسنة فان عمل حسنة التي واحدة بواحدة وكتب له تسع حسنات فيقول الشيطان يا ويله من يدرك تضعيف ابن آدم. وقال غير واحد وهو المشهور أن أحد الملكين على عاتق الانسان اليمين وهو كاتب الحسنات والآخر على عاتقه الايسر وان كاتب الحسنات له أمانة على كاتب السيئات فلا يمكنه من كتبها الا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف أو استغفار أو فعل مكفر لها مع مبادرته بكتب الحسنات فوراً والذي رواه البغوي

من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاتب الحسنات على يعين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات دعه سبع ساعات لعله يسبح لله أو يستغفر الله (١)

﴿ فوائد ﴾

اختلف فيما يكتب الملكان فقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه او يوزر عليه انتهى وظاهر النص انهما يكتبان أفعال العباد من خير أو شر أو غيرهما قولاً كان أو عملاً أو اعتقاداً هماً كانت أو عزماً أو تقريراً فلا يهملان من أفعال العباد شيئاً في كل حال وعلى كل حال ولهذا قال مجاهد يكتبان عليه حتى أيننه في مرضه بقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه) أي عنده (رقيب) أي حافظ يقرب أعماله ويحفظها (عتيد) أي حاضر معه أين ما كان قال الامام مالك يكتبان على العبد كل شيء حتى أيننه في مرضه كقول مجاهد محتجاً بقوله تعالى (ما يلفظ من قول) فافادة العموم بطريق وقوع النكرة في سياق النفي وحينئذ يدخل في العبد الكافر لانه تضبط عليه أعماله وانفاسه قال الامام النووي الصواب الذي عليه المحققون بل نقل فيه بعضهم الاجماع أن الكافر اذا فعل أفعالاً جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الاسلام أن ثواب ذلك يكتب له وودعوى كونه مخالفاً للقواعد غير مسلم انتهى قال بعضهم وضابط ذلك الطاعات التي لا تتوقف صحتها على نية وقد سلم ذلك له ابن حجر وابن المنير وابن بطال وغيرهم ومن نص على ان للكافر حفظة بعض المالكية قال بعضهم وهو الذي لا يصح غيره وهو الجاري على القول بتكليفهم بفروع الشريعة وهو معتمد الثلاثة خلافاً لابن حنيفة والصحيح من مذهبنا كالمالكية كتب حسنات الصبي قال علماءنا يكتب له ولا يكتب عليه فيكون عليه حفظة بخلاف الجنون لانه لا يكتب له ولا عليه والصحيح كتبهم الصغائر المغفورة وان غفرت باجتناب الكبائر قال الحافظ ابن رجب رحمه الله لا يحصى الذنوب من صحائف الاعمال بتوبة ولا غيرها بل لا بد ان يوقف عليها صاحبها ويقرأها يوم القيامة واستدل بقوله تعالى ( ووضعت

(١) الحديث هنا ناقص وذكر في ص ٣٨٥ غير مسند . وقد اتفق ان مزقت هنا ورقة الاصل وهذا المسند رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من فروعاً بنحو ما تقدم

الكتاب فترى المحرمين مشفقين مما فيه) الآية وبقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) وقد ذكر بعض المفسرين ان هذا القول هو الصحيح عند المحققين وقد روي هذا القول عن الحسن البصري وبلال بن سعد الدمشقي قال الحسن في العبد يذنب ثم يتوب ويستغفر يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون ان يقفه عليه ثم يسأله عنه ثم بكى الحسن بكاء شديدا وقال لولم نبك الالحياء من ذلك المقام لكان ينبغي لنا ان نبكي وقال بلال بن سعد ان الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحاه من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وان تاب

(الثانية) جاء في حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ما من حافظين يرفعان الى الله تعالى ما حفظا فيرى الله تعالى في أول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا الا قال للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» أخرجه الطبراني وغيره قال الحافظ ابن رجب وهو موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي وفي حديث آخر مرفوع «ابن آدم اذ كرمي من أول النهار ساعة ومن آخر النهار ساعة أغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر أوتوب منها» وقال ابن المبارك من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكر كما يشير الى ان الاعمال بالخواتيم قال الحافظ ابن رجب فاذا كان البداية والختام ذكر فبها أولى ان يكون حكم الذكـر شاملا للجميع انتهى (الثالث) قوله في الخبر حتى أنينه في مرضه بما أشعر بأنه مما يكتبه كاتب السيئات لانه يكتب كل ما أهمله كاتب الحسنات ويدل له قول علمائنا يكره الانين قال في الفروع على الاصح قالوا لانه يترجم عن الشكوى ما لم يغلبه مع انه جاء في حديث «المريض أنينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة وثقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله» لكن قال الحافظ ابن حجر انه ليس بثابت وقد روى الامام أحمد في الزهد عن طاوس انه قال أنين المريض شكوى قال ابن حجر في شرح البخاري وقد جزم أبو الطيب بن الصباغ وجماعة من الشافعية ان أنين المريض وتأثره مكره وتعقبه الامام الثوري فقال هذا باطل فان الضعيف ما ثبت فيه غير مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك قالوا أرادوا بالكراهة خلاف

الاولى فانه لاشك ان اشتغاله بالذكر اولى انتهى قال الخافظ ابن حجر واولهم  
أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين ويشعر بالتسخط  
للقضاء ويورث شامة الاعداء انتهى

(الرابعة) جاء في الاحاديث ان الخافضين يقمان على قبر المؤمن يسبحان  
الله تعالى ويهللانه ويكبرانه ويكتب ثوابه للميت الى يوم القيامة وانهما يلغنان  
الكافر ففي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً « اذا قبض العبد  
المؤمن سعد ملكاه الى السماء فقال الله لها وهو أعلم ماجاء بكما فيقولان رب  
قبضت عبدك فيقول لها ارجعا الى قبره فسبحاني واحمداني وهلايني الى يوم القيامة  
فاني قد جعلت مثل اجر نسيحكما وتحميدكما وتهليلكما له ثوابا مني فاذا كان  
العبد كافرا فمات سعد ملكاه الى السماء فيقول الله لها ما جاء بكما فيقولان  
رب قبضت عبدك هو جثناك فيقول لهما ارجعا الى قبره فالعنناه الى يوم القيامة  
فانه كذبي وجحدني واني جعلت لعنتكما عذابا أعذبه به يوم القيامة» وروى أيضا  
من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً وفيه « فأذن لنا أن نسكن  
السماء فيقول سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون فيقولان أئذن لنا نسكن الارض  
فيقول ارضي مملوءة من خلقي يسبحوني ولكن قوما على قبره فسبحاني واحمداني  
وهلايني واكتباه لعبدى الى يوم القيامة» وروى أيضاً من حديث أنس رضي  
الله عنه كلفظ حديث أبي سعيد وقد أورده الخافظ ابن الجوزي في كتابه  
الموضوعات بطرقه الثلاثة وحكم عليه بالوضع وتعبه جلال الدين السيوطي بما  
حاصله ان الحديث قد أخرجه البيهقي في كتابه شعب الايمان وقال في ابن مطر  
ليس بالقوي ثم انه لم ينفرد به فقد تابعه عن ثابت البناني حماد وأخرجه أيضاً  
البيهقي والمهيم بن حماد وأخرجه ابن أبي الدنيا وذكر الموت قال الخافظ البيهقي  
وله شاهد آخر عن أنس ثم روى باسنادين عنه مرفوعاً وقال الشيخ ولي الدين  
العراقي في فتاويه المكية في حديث أبي سعيد: ابن عطية العوفي ضعيف لكن ليس  
بكذاب وقد رواه عنه مسعر وهو امام جليل فان وجد له شاهد قوي عنده انتهى  
وقد ذكرت ما فيه في مختصر الموضوعات وبالله التوفيق

# كتاب

﴿لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية﴾

شرح

﴿الدرة المضية في عقدالفرقة المرضية﴾

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البرهان الجلي

الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الاثري الحنبلي

رحمه الله تعالى

## الجزء الثاني

طبع عن نسخة يظهر انها كتبت عن نسخة المؤلف في عصره وعلى

هوامشها تصحيح لبعض العلماء وقد ذهب وورقات من آخرها

فاكملت حديثاً بخط جديد

— الطبعة الاولى —

﴿بمطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢٤ هجرية﴾

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الباب الرابع

﴿ في ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ والقبور ﴾

واشراط الساعة والحشر والنشور ﴿

اعلم ان المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال ويقابله ما يثبت بالعقل وان وافق النقل فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والنظريات ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن النظائر وقد أشار الى ذكر المقصود من ذلك بقوله

﴿ وكل ما صح من الاخبار أو جاء في التنزيل والآثار ﴾

﴿ من فتنة البرزخ والقبور وما أتى في ذم الامور ﴾

﴿ وكل ما ﴾ أي حكم من الاحكام أو خبر عن خير الانام صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ﴿ صح من الاخبار ﴾ أي ثبت من الاخبار النبوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولثلاثين ظان ان ما لم يثبت في التنزيل ليس عليه مزيد تعويل ﴿ أو جاء في التنزيل ﴾ أي القرآن المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ﴿ وكل ما صح في ﴾ الآثار ﴿ السلفية عن الصحابة الكرام مما ليس للعقل فيه مرام فانه يشعر بأنهم انما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من فتنة ﴾ الفتنة الامتحان والاختبار قال في القاموس الفتنة بالكسر الخبرة والفنانان الدرهم والدينار ومنكر ونكير والفتان الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وفتان من اذنية المبالغة من الفتنة وفي حديث الكسوف: وانكم تفتنون في القبور: ير يد مسألة

منكر ونكبر وقد كثرت لاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنه القبر وفتنة الدجال وفتنة الحيا والمات وغير ذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « في تفتنون وعني تسألون » أي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرف ايمانكم بنبوتي ﴿ البرزخ ﴾ قال في القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين من وقت الموت الى القيامة من مات دخله وفي النهاية البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز ومنه حديث عبد الله وسئل عن الرجل يجرد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان يريد ما بين أوله وآخره فأولها الايمان بالله ورسوله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وقيل أراد ما بين اليقين والشك. والبرازخ جمع برزخ وفي الآية السكرمة (بينهما برزخ لا يفيان) أي حاجز يمنعهما من ان يختلط أحدهما بالآخر ووجه تسمية ما هنا برزخا لسكونه يحجز بين الدنيا والآخرة ﴿ و ﴾ فتنة ﴿ القبور ﴾ جمعه قبر وهو من عطف الخاص على العام لان أحوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر جمع كثيرة وجمع أقبر في القلة ويقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر

اسكل اناس مقبر في فناءهم فهم ينقصون والقبور تزيد

والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح قال القرطبي اختلف في أول من سن التبر فقيل الغراب لما قتل قاييل هاييل وقيل إن قاييل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفا فإبه فبعث الله الغراب ليجث في الارض يعني التراب على هاييل ليدفنه كذا في التذكرة فقال عند ذلك (يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين) حيث رأى كرامة الله لهاييل بأن قيض الله الغراب حتى وراه ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة وقيل انه لما قتله قعد يبكي على رأسه فاقبل غرابان فقتلا فقتل أحدهما الاخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قاييل باخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة في بني آدم وسيفي التنزيل (ثم أماته فاقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقي على وجه الارض تأكله الطير والعواقي وقوله ﴿ وما ﴾ أي وفي الذي أو الاشياء

أي والهول الذي ﴿أتى﴾ عن الصادق المصدوق ﴿في ذا﴾ اسم إشارة يرجع الى ما تقدم من فئنة البرزخ والقبور ﴿من الامور﴾ المهولة العجيبة والاشياء الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد

(منها) سؤال المالكين منكر ونكير فالإيمان بذلك واجب شرعا لثبوتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) نزلت في عذاب القبر زاد مسلم «يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد» فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وفي رواية للبخاري «إذا أقعد المؤمن في قبره أوتي ثم شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله» الآية وفي الطبراني عن البراء أيضاً مرفوعاً «يقال للكافر من ربك فيقول لأدري فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة (١) لو ضرب بها جبل لصار تراباً» الحديث وعند أبي داود «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة ويفسح له فيه مد بصره» وقال في الكافر ياتيهم ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري الى أن قال فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فأفرشوه من النار

(١) جاء في هامش الاصل مانصه : في النهاية مانصه في حديث أبي جهل فاذا رجل اسود يضر به بمرزبة فيغيب في الارض المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التي للحداد ومنه حديث الملك ويده مرزبة ويقال لها أيضا الأرزبة بالهمز والتشديد انتهى وفي القاموس والأرزبة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصبية من حديد انتهى



وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى  
 تختلف فيه اضلاعه وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان اعبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه  
 ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل  
 لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له  
 انظر الى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدا من الجنة قال فيراها جميعا يعني  
 المقعدين قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره واما المنافق والكافر فيقال له  
 ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لأأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال  
 لأدرى ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من  
 بليه من غير الثقلين زاد أبو داود ان المؤمن يقال له ما كنت تعبد فان هداه الله  
 تعالى قال كنت أعبد الله فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله  
 ورسوله قال فما يسئل عن شي غير هذا وزاد أيضا فيقول دعوني حتى أبشر أهلي  
 فيقال له اسكن وذكرك الكافر انه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل وفي  
 الصحيحين أيضا عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال في خطبة يوم كسفت الشمس «ولقد أوحى الي انكم تفتنون في قبوركم  
 مثال قريب من فئنة الدجال يوثى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فاما  
 المؤمن أو الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا  
 واتبعنا فيقال له ثم صالحا فقد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق والمرتاب فيقول  
 لأأدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» وأخرجه الامام أحمد بلفظ «ولقد رأيتمكم  
 تفتنون في قبوركم يسئل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد» نحو ما سبق وقد  
 روي أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي وابن حبان في  
 صحيحه وأخرجه أيضا الامام أحمد وابن ماجه وأخرجه الطبراني أيضا وفيه «أتاه  
 منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وانباهما مثل صياصي البقر - أي قرونها -  
 وأصواتهما مثل الرعد القاصف» وروي أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي  
 الله عنهما أخرجه الامام أحمد ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه

الامام أحمد أيضا ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « كيف أنت يا عمر اذا كنت من الارض في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منسكرا ونكيرا » قلت يا رسول الله وما منسكرو ونكبر قال « فتانا القبر يبحثان الارض بأنيابهما ويطآن في أشعارهما أضواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعهما هي أيسر عليهما من عصاي هذه » قلت يا رسول الله وأنا على حالي هذه قال نعم فقلت اذا أ كفيكما وفي رواية « فامتحنك فان التويت ضربك بها ضربت رمادا » وأخرجه الامام عيسى بن علي من وجه آخر وروي أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وفيه قال عمر اترد علينا عقولنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « نعم كياتكم اليوم فقال » عمر رضي الله عنه بفيه الحجر ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه رواه الامام أحمد وغير هؤلاء وروي عن مجاهد ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام وقد ذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة في علوم الآخرة ما لعله يشفي ويكفي

### ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد قال القرطبي لا تعارض في ذلك بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا فبسأله لانه معا عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول أنه بهم وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان يأتي اثنان ويكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاتيان فتحتمل رواية الواحد على هذا وصوبه الحافظ السيوطي في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة منسكرو ونكبر وناكور ورومان وقد أشار الجلال السيوطي الى هذا في أرجوزته التثبيت في التبييت بقوله

وقد أتى في مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة اني  
 أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا ناكور مع رومان  
 وقد أشار الى ان الخبر به علتان الضعف والارسال

### ﴿ الثاني ﴾

الممكن اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه قال الحكيم  
 الترمذي وانما سميا فتاني القبر لاذ في سؤالهما اتهارا وفي خلقهما صوبة قال وسميا  
 منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبهه خالق الآدميين ولا خالق الملائكة ولا خالق  
 البهائم ولا خالق الهوام بل هما خالق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين اليهما  
 جعلها الله تعالى تكرامة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكاً لسر المناق في البرزخ من  
 قبل ان يبعث قال الجلال السيوطي وهذا يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف  
 وهو المجزوم به في القاموس قلت وكذا في نهاية ابن الاثير قال ومنكر ونكير اسما  
 الملكين مفعول وفعل وذكرا بن يونس من الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر  
 وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور وانى به فان الاحاديث ليس فيها سوى  
 منكر ونكير وقد أشار الى ذلك السيوطي في أرجوزته بقوله

وضبط منكر بفتح الكاف فلست أدري فيه من خلاف

وذكر ابن يونس من صحبتنا ان الذين يأتیان المؤمنا

اسمهما البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قال كثير من المعتزلة لا يجوز  
 تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وانما المنكر ما يبدو من تلججه اذا سئل والنكير  
 قرع الملكين له وقال الامام أحمد رضي الله عنه نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير  
 وروجع في منكر ونكير فقال هكذا هو يعني اسمها منكر ونكير

### ﴿ الثالث ﴾

قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال والجواب عن ذلك انه  
 يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض عتاداته ومنهم من يسئل

عن كلها ويحتمل ان يكون الاقتصار على بعضها من بعض الرواة وأتى به غيره تاماً وصوره السيوطي لاتفاق أكثر الاحاديث عليه نعم يؤخذ منها - خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس المارة فما يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه فما يسئل عن شيء غيرها انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرخ به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة ما هو قال يسئلون عن الايمان بمحمد وأمر التوحيد وقد ذكر الجلال السيوطي انه ورد في رواية عن أنس رضي الله عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات و باقي الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص وعن طاوس ان الموتي يسئلون سبعة أيام قلت وتقدم عن مجاهد أن لموتى يقتنون في قبورهم سبعا وانهم كانوا يستجيبون أن يلطم عنهم تلك الايام روه الامام أحمد في الزهد وكذا أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا أنه مرسل وروي من وجه متصل أيضاً وحكاه الرفع لانه ليس للراي فيه مجال وقد روى كل ذلك الامام الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وذ كر عن مجاهد أيضاً أن الارواح تمكث في قبورها سبعة أيام وقد روي عن عبيد ابن عمير فيما أخرجه عنه ابن جرير ان الموتي يقفن سبعة أيام والمنافق يقفن أربعين يوماً

#### ﴿الرابع﴾

من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر قال الامام المحقق في كتاب الروح ما ينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبراً لم يقبر فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رماداً أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل الى روحه و بدنه من العذاب ما يصل من المقبور

#### ﴿الخامس﴾

قال ابن عبد البر لا يكون السؤال الملوثة من أو منافق كان منسوبة الى دين

الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور وقال  
الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح القرآن والسنة تدل على خلاف  
هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول  
الثابت وقد ثبت) في الصحيحين وغيرهما أنها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فان  
في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول  
الكافر قطعاً ومنه قوله تعالى (كلان كتاب الفجار لفي سجين) ونحو هذا في كتاب  
العاقبة للحافظ عبد الحق الاشبيلي وصو به القرطبي في التذكرة واتصر الجلال  
السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر ومثل هذا ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ  
عبد الحق الاشبيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بمخاص بهذه الامة بل غيرها  
تساويها في ذلك وجزم به أيضاً القرطبي في التذكرة وقال الحكيم الترمذي انه  
خاص بهذه الامة وتوقف ابن عبد البر واتصر السيوطي في هذا للحكيم الترمذي  
قال الامام المحقق ابن القيم في الروح بعد ذكره الاقوال الثلاثة والظاهر والله أعلم  
ان كل نبي مع امته كذلك يعني يستل عنه كدبينا صلى الله عليه وسلم مع امته وانهم  
يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجّة عليهم كما يعذبون في الآخرة  
بعد السؤال واقامة الحجّة واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الامم  
قبل هذه الامة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبو كفت الرسل واعتزلوهم  
وعوجلوا بالعذاب قال فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم  
العذاب واعطي السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهاية السيف ثم  
برسخ الايمان في قلبه فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان  
وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتاني القبر ليستخرج أمرهم  
بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب وفيما قاله مقال من عدة أوجه نبهت على  
بعضها في البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في  
كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان المعروف عند أهل العلم انه بعد  
نزول التوراة لم يهلك تعالى مكذبي الأمم بعذاب سماوي يعمهم كما أهلك قوم نوح  
وعاد وحمود وقوم لوط وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما أمر بني اسرائيل

على لسان موسى بقتال الجبابرة وقتال يوشع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان وغيرهم من الانبياء صلوات وسلامه عليهم أجمعين

### ﴿ السادس ﴾

ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي أنه وقع في فتاوى شيخه علم الدين البلقيني ان الميت يجيب السؤال باللغة السريانية قال ولم أفد لذلك على مستند انتهى قال في التذكرة ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الاماكن المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب ان عظم خلقهما يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى وقال السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظة ونحوه وقاله الحلبي من الشافية ولا يخفى ما في هذا (١) والله التوفيق

(تتمة) ورد في صحيح الاخبار ان بعض الناس من الموتى لاتناهم فتنة القبر ولا يأتهم الفتانان وذلك على ثلاثة أنحاء مضاف الى عمل ومضاف الى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف الى زمان كالشهداء ومن لقي العدفصبر حتى يقتل أو يغلب والمرابطين في سبيل الله والمراد ان من مات مرابطا لم يقفن في قبره وروى أن سورة تبارك كل ليلة من قرأها عصم من فتنة القبر ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كفي فتنة القبر وأخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يقفن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بكفها حتى تجبزه الصراط الى الجنة» ومن لا يسئل الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما الجن فالادلة تعهم ويسئلون لانهم مكافون في الجملة كما نص عليه علماءنا وغيرهم وبالله التوفيق

(١) قوله ولا يخفى ما فيه أي في كلام الحلبي وبعده الجلال من النظر لان هذه أمور لا تثبت الا بصحيح السنة والتسزيل وليس في ذلك للاحتمال مجال وكنت سئلت عن ذلك فنقلت ما نقله الجلال عن الحلبيين في ذلك الجواب وتعقبته من غير وقوف على ما هنا فالحمد لله اه ع ب اه من هامش الاصل

﴿ومنها﴾ الامور التي يجب الايمان بها وأنه حق لا ترد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور» قد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة اماكن كما بينته في الاكليل في أسرار التنزيل انتهى قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور في قوله تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم - الى قوله - ان هذا هو الحق اليقين) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات قال «اذا كان عند الموت قيل له هذا فان كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب لقاء الله وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره لقاء الله» وأخرج الامام أحمدان النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه» فأكب القوم فيكون قال «ما يبكيكم؟» قالوا انا نكره الموت قال «ليس ذلك ولكنه اذا حضر فأما ان كان من المقرين فروح ويربحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقاءه أحب وأما ان كان من المكذبين فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقاءه أكره» وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قول السائل ما الحكمة في ان عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى فأجاب عن ذلك بوجهين مجمل ومفضل أما المجمل فان الله تعالى أنزل على رسوله وحيين فأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بهما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى (وأنزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (هو الذي يمشي في الاميين رسولا منهم - الى قوله - ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذ كرن مايتلى في بيوتكن) الآية والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر به الرب على لسان رسوله فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اني أوتيت الكتاب ومثله معه» قال المحقق واما الجواب المفصل فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في مواضع (منها) قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يحجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله

غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون وقوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا الى قوله - يعرضون عليها غدوا وعشيا) الآية فذكر عذاب الدارين صريحا لا يحتمل غيره ومنها قوله تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) انتهى كلامه واخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر » وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه انه قال مازلنا في شك من عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) وقال ابن مسعود اذا مات الكافر اجلس في قبره فيقال له من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيضيق عليه قبره ثم قرأ ابن مسعود (فان له معيشة ضنكا) قال المعيشة الضنك هي عذاب القبر وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما في قوله تعالى (عذابا دون ذلك) قال عذاب القبر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) وكذا قال قتادة والربيع بن أنس في قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) أحدهما في الدنيا والاخرى عذاب القبر قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر ففي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال « نعم عذاب القبر حق » وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن اللهم « اني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والمات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال » وأخرج أيضا مسلم وابن أبي شيبه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت أن تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال « من يعرف أصحاب هذه الاقبر ؟ » فقال رجل أنا فقال « متى مات هؤلاء » فقال ماتوا في الاشرار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان هذه الامة تبلى في قبورها فلولا ان لاتدافنوا



للدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم أقبل علينا بوجه فقال «تعوذوا بالله من عذاب القبر» الحديث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهل القبور يعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الامام أحمد وأبو يعلى والآجري وعن أبي هريرة رضي الله عنه رواه أبو يعلى والآجري وعن أنس رضي الله عنه رواه مسلم وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه رواه الشيخان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجاه وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رواه ابن ماجه وفيه أيضا عن ابن عمر وعبد الرحمن ابن حسنة وأبي امامة وميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعلى ابن سبايه وبعلى ابن قسرة وأم بشير وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

ماورد في ضغطة القبر وظلمته لكل واحد أخرجه الامام أحمد في المسند والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن حذيفة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال «يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله» قال في النهاية الحمائل هنا عروق الاثنيين قال ويحتمل ان يكون يراد هنا موضع حمائل السيف أي عواققه واضلاعه وصدره وأخرج الامام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان للقبر ضغطة لو كان أحدا منها ناجيا نجا منها سعد بن معاذ» رضي الله عنه وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ثم قالوا يا رسول الله لم سبحت قال «لقد تضايق عن هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه» وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال «لو نجا من ظلمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضمه ضمة ثم اروح عنه» رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي

وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» يعني سعد بن معاذ قال الحسن البصري تحرك له العرش فرحاً بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق أبي اسحاق حدثني ابن أمية وابن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك قال «كان يقصر في بعض الطهور من البول» والاحاديث في هذا كثيرة مشهورة قال ابن أبي مليكة ما اجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها وقال مجاهد أشد حديث سمعناه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ماعني أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» فقيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك قال «ولا ابراهيم» وكان أصغرهما قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح والمراد غير من استثناه النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك لأنها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذي فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وقال «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها» وكانت وفاتها في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام وعليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الازقي قال أبو القاسم السعدي والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله الى قبره ثم يعود الانفساح له فيه قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت قال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة انه ما من أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وان كان صالحاً جعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ رضي الله عنه قال واما الانبياء فلا نعلم ان لهم في القبور ضمة ولا سواها لعصمتهم أي لان السؤال عن الانبياء وما جاءوا به

فكيف يسئلون عن أنفسهم وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في مناقب سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه انه رآه المروزي رحمه الله بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فذكر ان الملكين سألاه وقالاه من ربك فقال سبحان الله أو مشلي يسئل عن ربه تقاللا لا تؤاخذنا بدأ أمرنا ثم انصرفا فكيف بانبياء الله وهم المحبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في انقاذ عباده من عقابه وغضبه الى مرضاه باذنه قال محمد التيمي ضمة القبر انما أصلها ان الارض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كانت مطيعة ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا لربها عليه وقد أخرج البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال « يا عائشة ان أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين كأمم في العين وان وضغطة القبر على المؤمن كالام الشقيقة يشكو اليها ابنها الصداق فتغمر رأسه غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكرين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة »

﴿ فوائد ﴾

﴿ الاولى ﴾ ذكر الديلمي في الفردوس عن علي رضي الله عنه رفعه « أول عدل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضع » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله أرحم ما يكون لعبده اذا دخل قبره وتفرق عنه الناس وأهله وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته » وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الخطبي يرفعه « ان أول ما يتحف به المؤمن في قبره يقال له ابشر فقد غفر لمن تبع جنازتك » وأخرجه البزار وعبيد في مسندهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يجازى به المؤمن بعد موته ان يغفر لجميع من تبعه » وفي الباب عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن أبي الدنيا وسلمان الفارسي أخرجه أبو الشيخ في الثواب وأبي هريرة أخرجه الحاكم في

التاريخ واليهيقي في الشعب والديلمي وأنس أخرجه الحكيم الترمذي  
 ﴿الثانية﴾ قال بعضهم من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بأحد عشرة أسباب ان  
 يتوب فيتاب عليه أو يستغفر فيغفرله أو يعمل حسنات فتمحوها فان الحسنات يذهبن  
 السيئات أو يبتلى في الدنيا بمصائب فيكفر عنه أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر  
 عنه أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعة نبيه صلى الله عليه  
 وسلم أو رحمة به تبارك وتعالى وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا والله التوفيق  
 ﴿الثالثة﴾ الاسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين مجمل ومفصل  
 أما المجمل فانهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لامره وارتكابهم معاصيه فلا  
 يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتنبت منهيه ولا بدنا كانت فيه  
 أبدا فان عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب الله وسخطه على عبده فمن  
 اغضب الله واسخطه في هذه الدار بارتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان  
 له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فسمتل ومستكثر ومصداق  
 ومكذب واما المفصل فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين  
 اللذين رأهما يعذبان في قبورهما أن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس والآخر  
 كان لا يستتر من البول والحديث في الصحيحين وغيرهما ولغظه مر النبي صلى الله  
 عليه وسلم بقبرين فقال «أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر  
 من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين  
 ثم غرز على كل قبر منهما واحدة قالوا لم فعلت هذا يا رسول الله قال لعله يخفف  
 عنهما ما لم يببسا قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وقد روي عن هذا  
 عن النبي صلى الله عليه بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبي بكر وعائشة  
 وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين  
 قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع  
 للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفيه تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة  
 بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما ان في ترك الاستبراء من البول نذيبها على  
 ان من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا وفي شعبة

أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتاب وذلك تمام وفي صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق وفي حديث ابن مسعود في الذي ضرب في قبره سوطاً امتلاً القبر عليه نارا لكونه صلى صلاة واحدة بغير ظهور ومضى على مظلوم فلم ينصره وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وتعذيب الزناة والزواني وتعذيب آكل الربا كما شاهدتم النبي صلى عليه وسلم في البرزخ وحديث أبي هريرة وفيه رضح رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة والذين يأكلون الزقوم والضريع لتركهم الزكاة والذين يأكلون اللحم المتن الخبيث لزنائهم والذين تقرض شفاهم بمقاريض من حديد لقيامهم في القفن بالكلام والخطب.

ومن الذين يعذبون في قبورهم وأخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون والمرءون والهزازون واللاهزون والطعانون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجيين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه ويعيو بهم عن عيبه فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتلها وصغرها وكبرها ولما كان أكثر الناس كذلك كان أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حشرات وعذاب فنسأل الله تعالى العافية والرحمة والعفو والغفران وبالله الاعانة والعون

(الرابعة) الاسباب المنجية من عذاب القبر على قسمين أيضاً مجمل ومفصل أما المجمل فهو بحسب تلك الاسباب التي تنتضي العذاب ومن أنفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ماخسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود الى الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير الاجل وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به

خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله واما المفصل فمنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان» وفي سنن الترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل ميت يختم علي عمله الا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فانه يجري عليه عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» قال الترمذي حديث حسن صحيح وتقدم ذكر الشهداء والذي يقرأ تبارك الملك فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر أنا لا أحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» قال الترمذي حديث حسن غريب قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح رأينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل ألا أتخفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) احفظها وعلّمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاضم يوم القيامة عند ربها لغارها وتطلب له الى ربها أن ينجيه من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو ددت انها في قلب كل انسان من أمي» قال أبو عمر بن عبد البر وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له - تبارك الذي بيده الملك»

### ﴿تنبيهات﴾

الاول أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانكروا جلوس الميت في قبره قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زيقاً فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم يجدوا فيه ملائكة

يضربون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيرانا واجنبوا  
 وأجلبوا . من مثل هذه الوسوس والترهات وقال اخوانهم من أهل البدع والضلال  
 كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئه ناقله قالوا ونحن نرى المصلوب  
 على الخشبة المدة الطويلة لا يستل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً قالوا  
 ومن افترسته السباع ومهشته الطير وتفرقت أجزاؤه في حواصل الطيور واجواف  
 السباع وبطن الحيتان ومدارج الرياح كيف يستل وكيف يصير القبر على مثل  
 هذا روضة أو حفرة وكيف يتسع قبره أو يضيق وأكثروا من هذا الهديان  
 وأجاب عن ذلك أئمة الحق من علماء السنة وأمناء الأمة بما يقع المقترين ويقلع  
 عن الشاكين . منهم الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح فانه أجاب عن ذلك بعدة  
 أجوبة (منها) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يخبر بما تحيله العقول بل أخبرهم  
 قسماً أحدهما ما يشهد العقل والفطرة السليمة به والثاني مالا تدركه العقول  
 بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب  
 والعقاب فلا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً والحاصل ان الانبياء لا تأتي بمحالات  
 العقول بل بمحاراتها فكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من احد أمرين  
 اما خطأ في النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها انها أمر عقلي  
 صريح والحال انه خيال وهمي غير صحيح قال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم  
 الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) واما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزيدون  
 الا رجساً على رجسهم (ومنها) ان يضم الى خبر الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير  
 ولا يحمل كلامه على مالا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعمما قصده من الهدى  
 والبيان وباهمال ذلك حصل ما حصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب  
 (ومنها) ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل  
 لكل دار أحكاماً يختص بها وركب هذا الانسان من بدون ونفس وجعل أحكام  
 الدنيا على الأبدان والارواح تتبع لها ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر  
 من حركات الانسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلفه فالعقوبات الدنيوية  
 تقع على البدن الظاهر وتتألم الروح بالتعبية وجعل أحكام البرزخ على الارواح

والابدان تبع لها فكما تبعت الارواح الابدان في أحكام الدنيا فتألت بألها  
والشدت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لاسباب النعيم والعذاب فكذلك  
تبعت الابدان الارواح في نعيمها وعذابها وكان العذاب والنعيم على الروح ولها  
بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا فاذا كان يوم حشر الاجساد  
وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما  
على الارواح والاجساد باديا ظاهرا أصلا وما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم  
من عذاب القبر ونيمه من هذا القبيل فاذا ظهر للذوق السليم طابق العقل  
المستقيم (ومنها) ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبا  
عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز الذين آمنوا بالغيب  
من غيرهم فأول ذلك الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدون  
عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون معهم الاكفان  
والحنوط إمامن الجنة وامامن النار . ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد  
يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام تارة بلفظه وتارة بإشارة وتارة بقلبه اذا  
لم يتمكن من النطق والاشارة وقد سمع بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا  
ومرحبا بهذه الوجوه ومن ذلك حكايات كثيرة وقد شاهدنا من ذلك ما لم يختر  
بالبال ولا يتصوره الخيال (ومنها) ان النار التي في القبر ليست من نار الدنيا  
فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وانما هي من نار الآخرة فهي وان كانت أشد  
من نار الدنيا الا ان شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا  
بل ربما دفن الرجلان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونييم والآخر في  
حفرة وعذاب اليم وقدره الرب أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرون  
لا يشعرون (ومنها) أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من  
ذلك فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويشتمل  
له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه  
وكذلك غيره من الانبياء وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب  
رقبهم وتضيق بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه



وتعالى حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث الله في الارض وهو بينهم فهذا جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والحاضرون لا يسمعونه وكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعا من أن يثبت المشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن أشهده الله ذلك ضعف ونحشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات وسر المسئلة أن توسعة القبر وضيقه واضاءته وخضرته وناره ليس من جنس اليهود في هذا العالم والله سبحانه انما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها واما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبيل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاتته نتيجة الايمان بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب قلت وحاصل ذلك ان ما اخبر به الصادق المصدوق وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم نحله العقول وحيث كان ممكنا فمعارضه صحيح الاخبار الحاد وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروزي قال أبو عبد الله الامام أحمد رضي الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الاضال مضل وقال حنبل قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نو من بها وتقر بها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقرنا به اذا لم تقر بما جاء به الرسول ودفعناه وردناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قلت وعذاب القبر حق قل حق يعذبون في القبور قال وسمعت أبا عبد الله يقول نو من بعذاب القبر وبمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحانه الله نعم تقر بذلك قلت هذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا أو تقول ملكين قال منكر ونكير قلت يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني أمهما منكر ونكير. قال الامام ابن القيم في كتابه الروح واما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل وبشر المريسي من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين الفختين قالا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت قال ابن القيم واثبت الجبائي وابنه والبخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين واثبتوه

لاصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم و بالله التوفيق

﴿ التنبيه الثاني ﴾

الحق عند أهل السنة ان عذاب القبر على النفس والبدن قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة وأهل الكلام قال شيخ الاسلام وفي المسئلة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث أحدها قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب قال وهذا تقوله الفلاسفة المذكورين لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ويقولون كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة والمعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة قال وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقر عذاب القبر ويقصر بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال على الروح فقط عليها وعلى البدن بواسطتها على البدن فقط وهل يضم الى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة (فبالقول الثاني) الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالفاضل أبي بكر الباقلاقي وغيره ويذكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب

والسنة واتفاق الامة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة. قال  
والفلاسفة الالهية يقررون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهو لا يقررون معاد  
الابدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان وكلا القولين  
خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الاسلام وإن وافقهم عليه  
من يعتقد أنه يتمسك بدين الاسلام بل يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف  
والكلام ( القول الثالث ) من الشواذ قول من يقول أن البرزخ ليس فيه  
نعيم ولا عذاب بل يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض  
المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن  
وإن البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ إلا  
أنهم خير من الفلاسفة لأنهم مقررون بالقيامة الكبرى انتهى فإذا علمت هذه  
الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سلف الامة وأئمتها أن الانسان إذا  
مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وإن الروح تبقى بعد  
مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم  
والعذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا  
من قبورهم الى رب المعاد قال ابن القيم والذين قالوا إن عذاب القبر يجري على الميت  
من غير رد الارواح الى الاجساد وإن الميت يجوز أن يألم ويحس بالألم ويعلم بلا  
روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم وقال جماعة من المعتزلة أن الله سبحانه  
يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فاذا حشرنا ووجدوا  
تلك الآلام وأحسوا بها قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى  
عليه لو ضربوه لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل أحسوا بألم الضرب وأنكر  
جماعة منهم عذاب القبر رأسا مثل ابن عمر ويحيى بن كامل وهو قول المرهبي فهذه  
أقوال أهل الحيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الامة وأعيان الامة  
والله أعلم

## ﴿ الثالث ﴾

تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب

ناله نصيبه منه قبراً ولم يقبر وفي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في ذكر منام النبي صلى الله عليه وسلم الطويل ورويته للمعدين وكيف يعذب فانه نص في عذاب البرزخ ورويا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر وباللغة التوفيق

### الرابع

زعم أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له أن من ظن الميت يحيى في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ قال لان الآيات تمنع من ذلك يعني قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال ولو كان الميت يحيى في قبره لكان الله تعالى قد أمتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً قال وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها ومن خصه نص وكذلك قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال فصح بنص القرآن ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى اجسادهم الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وذكر من مثل هذه الخيالات وهى آيات محكمات حملها على غير محاملها ثم قال ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك عنه لقلنا نال وانما تفرد بهذه من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال ابن عمرو بن بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الأئمة ماجازت المنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ما قد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذي قال وهو الذي صح أيضاً عن الصحابة وذكر آثاراً يزعم انها تدل على ما قال قال الامام المحقق ابن القيم ان أراد ابن حزم بقوله من ظن أن الميت يحيى في قبره خطأ الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان أراد به حياة

أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح إليه إعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ليستل و يمتحن في قبره فهذا حق وفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله «فتعاد روحه في جسده» في حديث البراء بن عازب رضي الله عنها قال كنا في جنازة في بقيع الغر قد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو يلحذ فقال «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات ثم قال «ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس جلسوا منه مد البصر ثم يحيي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفه عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الخنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها الحديث وفيه فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فأني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فأمت به وصدقت الحديث وكذلك في حق الكافر وفيه فتعاد روحه جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه الحديث رواه الامام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه وأوله ورواه أبو عوانة الاسفرائيني قال ابن القيم ان قوله «ثم تعاد روحه في جسده» لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلى وتمزق وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم حينما (الثاني) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجهه ومفارقة من وجهه (الرابع) تعلقها به في البرزخ فانها وإن فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها اليه التفتات البتة وقد ذكرنا من الاحاديث ما يدل على ردها اليه وكذلك ثبت

انها ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل تعلقاتها بالبدن ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه فوتاً ولا نوماً ولا فساداً وقول ابن حزم في المنهال ما قال تحامل منه بارد فالمنهال بن عمرو أحد الثقات العدول قال الامام يحيى بن معين المنهال ثقة وقال العجلي كوفي ثقة وأعظم ما قيل فيه انه سمع من يئته صوت غناء وهذا لا يوجب القسح في روايته وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده وقد استدرك عليه زعمه تفرده بها الامام المحقق ابن القيم وبين انه لم ينفرد بها بل رواها غيره وقد روي ما هو ابلغ منها ونظيرها كقوله فترد اليه روحه وقوله فيستوي جالسا وقوله فيجلسانه وقوله فيجلس في قبره وكلها أحاديث صحاح لا مغمز فيها والا حاديث الصحيحة صريحة بخلاف ما زعم ابن حزم وأطال ابن القيم في ذلك بما يشفي ويكفي وبالله التوفيق

### ﴿ فصل ﴾

في ذكر الروح والكلام عليها وقد أشار الى قطرة من بحر لحي من متعلقاتها فقال ﴿ وان ارواح لورى لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم ﴾ ﴿ وما ينبغي العلم به ﴾ ان ارواح ﴿ بني آدم جمع روح قد اختلف في حقيقتها وهل هي النفس أو غيرها وهل هي جزء من البدن أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطأهم ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية وهدى الله أتباع الرسول وساف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . قال الامام ابن القيم بعد ما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء

ويسري فيها سر يان الماء في الورد وسر يان الدهن في الزيتون والنار في الفحم  
فدامت هذه الاعضاء سالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف  
بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحسن  
والحركة والارادة واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة  
عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح  
قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الآقوال  
سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة وذ كر لهامائة  
دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم ومثالهما ونحوهما

## ﴿فائدة﴾

ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساکر  
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «أما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط  
يسقي العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق» وهذا حديث مرسل وقال الحافظ  
ابن حجر في الاصابة فيه غريب كثير واسانيده ضعيفة جداً والله أعلم واما اختلاف  
الناس في الروح وهل هي النفس أو غيرها فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد  
وهذا قول الجمهور وقيل بل هما متغايران قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح  
النفس تطلق على أمور (أحدها) الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه  
قال أبو خراش

نجا سالما والنفس منه بشدقه ولم ينج الاجفن سيف ومعز  
أي بجفن سيف ومعز والنفس الدم يقول سالت نفسه وفي الحديث «مالا نفس  
له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه» والنفس الجسد قال الشاعر  
نبئت ان بني تميم ادخلوا أنيابهم تامور نفس المنذر  
والتامور الدم والنفس العين يقال اصابته فلانا نفس أي عين قاوم ابن القيم  
ليس كما قال فالنفس هاهنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توسع لانها تكون  
بواسطة النظر والذي أصابه إنما هو نفس العائن وتطلق النفس على الذات كقوله  
تعالى (فسلموا على أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها -

كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (بأيتها النفس المطمئنة - وأخرجوا أنفسكم - ونهى النفس عن الهوى) وقوله (ان النفس لا مارة بالسوء - ولا أقسم بالنفس اللوامة) واما الروح فلا تطلق على البدن لا بافراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) وعلى الوحي كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (وينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا آله الا أنا فاتقون) وانما سمي ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان الحياة بدونها لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة وسميت الروح روحا لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحا لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات الواو ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر

إذا هبت الأرواح من نحو أرضكم وجدت لسراها على كبدي بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لفناستها وشرفها واما من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا ومن النفس بالتحريك فان العبد كل ما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كلياً فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث عادت اليه أي رجعت له قال الامام ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لان خروجه الذي يكون مع الموت يلزم خروج النفس وأن الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فهذا المعنى قال السموئيل

نسيل على حد الظلمات نفوسنا وليست على غير الظلمات نسيل

وبقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال أفاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا دفع قهراً أو قسراً فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي وقالت فرقة من أهل الحديث والمقته والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للانسان حيات وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج في كبل



ممد له شعاع فيرى الروبا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه ينقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح اسرع من طرفة عين فاذا أراد الله تعالى أن يميت في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت وقال أيضا اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الروبا رجعت فاخبرت ونجبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قدر رأى كيت وكيت وقال أبو عبد الله بن منده من علمائنا ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينة نارية والروح نورية روحانية وزعم بعضهم أن الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتلي . وقال طائفة من أهل الاثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم منها فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو الى الآخرة وتوثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمددهما بالهامه وتوفيقه وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله وقالت طائفة للمؤمن ثلاث أرواح ولا كافر والمنافق روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصديقين خمسة أرواح وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فان صفت رجعت الى الملكوت ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح التي تتوفى ونفيض روح واحد وهي النفس وأما ما يؤيد الله به اوليائه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى ( أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيديهم بروح منه ) وكذا التي أيد بها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى ( اذ كررنا عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس ) وكذلك الروح التي بلقيها على من يشاء من عباده وهي غير الروح التي في البدن وأما القوى التي في البدن وان أطلق عليها أرواحا (١) كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهي قوى مودعة

(١) قوله وان أطلق عليها أرواحا الخ الذي في كتاب الروح « فانها تسمى أيضا أرواحا » الخ ولا يخلو كثير نقله من مثل هذا التصرف ولا تعرض له

في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى قال ونطلق لروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والاناة اليه ومحبه وانبعث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يويد بها أهل ولايته ولهذا يقال فلان فيه روح وفلان ما فيه روح وللحجة روح وللاناة روح وللتوكل والصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا والله المستعان ﴿الورى﴾ محل حجر بالاضافة الى الارواح أي أرواح الورى قال في القاموس والورى كفتى الخلق والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيا يظن لان التكليف والمعاد والحساب يشملهم ﴿لم نعدم﴾ بموت الابدان التي كانت فيها أولا تموت هي ولا تغنى وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائفة الموت قالوا ودلت الادلة على انه لا يبقى الا الله تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها ﴿مع كونها﴾ أي الارواح ﴿مخلوقة﴾ لله تعالى ومحدثة ومربوبة واجدها ببدان لم تكن ﴿فاستفهم﴾ أي طلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكانه يقال فهم كفرح فهما ويحرك وهي أفصح وفهامه وفهامية علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم ككتف سريع الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فأفهمته وفهمته فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لا كنسب الآراء والذكاؤة تلك القوة والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس فقال الذهن بالكسر الفهم والعقل وحفظ القلب والفظنة وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها وإنما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك تلك المدارك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولانه منزلة أقدم ومظنة أو هام وحاصل ذلك انه ذكر مشكلتين عظيمتين الاولى ان الروح مخلوقة محدثة والثانية ان العدم لا يدركها والفناء لا يلحقها ولندكر أدلة كل مسألة

وحكمها وما فيها من الخطأ والصواب على حدتها ولنقدم أولاً ما آخره في النظم نظراً للواقع فنقول

اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من نبي آدم وهدى الله اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل وصلوات الله وسلامه عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مبروبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدودها وانما مخلوقة حتى نبغت نابغة (١) ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج لذلك انها من أمر الله وأمر الله غير مخلوق وان الله اضافها اليه كما اضاف اليه عمله وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده وتوقف آخرون فقالوا لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة

وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان أبو عبد الله بن مندة من أعيان علمائنا فقال اما بعد فان سائلاً يسأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم وذكر أقواماً تكلموا في الروح وزعموا انها غير مخلوقة وخص بعضهم منها أرواح القدس وانها من ذات الله قال وانا اذكر أقاويل متقدميهم وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والآنر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم وأوضح به خطأ المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهنم بن صفوان وأصحابه فذكر ان الناس اختلفوا في معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة قال وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم «الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وروي أيضاً من حديث سليمان الفارسي وعبد الله بن عباس

(١) لعل الاصل نبئت نابغة اه مصححه

وأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين والجنود المجندة لا تكون الامخلوقة . وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفي الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجت بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره - وتأم الحديث - فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ما تأولته النصارى في روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدست اسماؤه فصارت في المؤمن فبعد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح من الله فصارت في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله (ونفخت فيه من روحي) وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحي) فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي الى ان صار في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم في ابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم في كل وصي وامام فيه يعلم الامام كل شي لا يحتاج ان يتعلم من أحد قال ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم وبنيه عيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وانشأها وكونها واخبر عنها ثم أضافها الى نفسه كما أضاف اليه سائر خلقه قال تعالى (وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه: روح الآدمي مخلوقة مبتدعة باتفاق الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد بن قتيبة وقال الامام أبو اسحق بن شاقلا من أئمة علمائنا وهذا يعني كون الروح مخلوقة مما لا يشك فيه من وفق

للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشايع وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري والقاضي أبو يعلى وقد نص على ذلك الأئمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه في ما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية قال ثم ان الجهمي ادعى أمرا فقال انا اجد آية في كتاب الله مما يدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق: قلنا له ان الله منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجري عليه أفاض لا تجري على القرآن لاناسميه مولودا وطفلا وصيبا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقول في عيسى الى ان قال والكلمة التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكان من الله قولا وليس كن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته والكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقه من هذا الثوب قلنا نعم ان عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله تعالى وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) منه يقول من أمره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله كما يقال عبد الله وسماه الله وأرض الله فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد أضاف الله اليه روح الذي أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك

فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله

ومما ينبغي ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهذه اضافة صفة الى الموصوف بها فالعلم والقدرة الخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخيرية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها في مذهب السلف كما مر (والثاني) اضافة أعيان منفصلة كبيت الله وناقة الله وعبد الله ورسول الله وكذلك روح الله فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنها تقتضي تخصيصاً أو تشريهاً يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت كل البيوت لله ملكاً له وكذلك ناقة الله والذوق كلها ملكه وخالقه ولكن هذه اضافة الى الهية تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده فالاضافة العامة تقتضي الخلق والإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار (والله يخلق ما يشاء ويختار) فاضافة الروح اليه تعالى من هذه الاضافة الخاصة لامن العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذا الموضوع فانه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس كما أوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح وقال ان الروح يوصف بالوفاة والقبض والامسك والارسال وهذا من شأن المحدث المربوب وأطال في الاحتجاج ودفع مقالات أهل البدع واللجاج وثمرة ذلك كون الروح مخلوقة بالاجماع والله تعالى الموفق

### المسألة الثانية

مما ذكر في أصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد مفارقتها لابدانها الى أن يرجعها الله تعالى اليها ولو ماتت الارواح لا تقطع عنها النعم والعذاب وقد قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) مع القطع بأن أرواحهم

قد فارقت أجسادهم وتسد ذائق الموت قال المحقق ابن القيم الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهي ذائفة الموت وان أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فإنها لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقتها في نعيم أو عذاب وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله

تمازج الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلق في الشجب  
فقليل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

الشجب بالشين المعجمة والجيم فوحدة محركا الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال كما في القاموس فان قيل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا فالجواب قد قال الله تعالى ( ونفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الارض الا من شاء الله ) فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقليل هم الشهداء وهذا قول أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير رحمه الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهو قول مقاتل وغيره وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها قال الامام أبو اسحق بن شاقلا من أصحابنا وقد نص امامنا الامام أحمد رضي الله عنه على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ في الصور وقد أخبرنا سبحانه ان أهل الجنة ( لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ) وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موثتان واما قول أهل النار ( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) فتفسر هذه الآية الآية التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى ( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ) فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم المشور وليس في ذلك اماتة أرواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موثات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح « ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى أخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق

قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور» فهذا صعق في موقف القيامة اذ جاء الله لفصل القضاء وأشرق الأرض بنوره فخينئذ يصعق الخلائق كلهم قال تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة أخرى قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لاصعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والأرض قال فتنشق الاحاديث والآثار ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلتقي موسى آخذاً بقائمة العرش قال وهذا إنما هو عند نفخة الفزع قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمرو والذي يزيح هذا الاشكال ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الأرض لا تأكل أجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصاً بموسى عليه وعليهم السلام وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من جلته القطع بأن موت الانبياء إنما هو راجع الى أنهم غيبوا عنابحيث لا ندرتهم وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم احياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر أنهم احياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات والأرض الا من شاء الله فاذا صعق غير الانبياء موت واما صعق الانبياء



فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه أفاق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته «فأكون أول من يفيق» فبينما صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الاموسى فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام على نبينا مطلقا لان الشيء الجزئي لا يوجب أمرا كلياً انتهى قال أبو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وان حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذلك يوم القيامة مراداً به أوائله فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم تردد هل أفاق موسى قبله أو لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق وقد قال في الحديث فأكون أول من يفيق وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يموت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لاصعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان الارواح تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ واما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت مودة ثانية والله أعلم

﴿ تمة ﴾

﴿ في مسائل مما نحن بصدده من أمر الروح ﴾

(الاولى) اختلف في خلق الارواح هل كان قبل الاجساد أو تأخر عنها فللناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما ومن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر

المروزي وأبو محمد بن حزم بل حكاه ابن حزم اجساعا واحتج من قال بذلك  
 بحجج منها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم  
 فسجدوا) وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة ان خلقنا مقدم على أمر  
 الله للملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعا ان أبداننا حادثة بعد ذلك فلم  
 انها الارواح قالوا ويدل عليه قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم  
 ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وهذا الاستنطاق والشهاد  
 انما كان لارواحنا اذ لم تكن الابدان حينئذ موجودة ففي موطأ الامام مالك ان  
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك  
 من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل  
 عنها فقال «خاق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء  
 للنار وبعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون»  
 فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله اذا خلق  
 الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة  
 فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل  
 من أعمال أهل النار فيدخله به النار» قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم وروى  
 الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره  
 كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين غني كل انسان  
 منهم وبيضا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب فقال هؤلاء  
 ذريتك فرأى رجلا منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا فقال  
 هذا ابنك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة  
 قال يارب زده من عمري أربعين سنة فقال الله اذا يكتب فيختم فلا يبدل  
 فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة فقال  
 أولم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته وخطي  
 فخطت ذريته» قال الحاكم هذا شرط مسلم ورواه الترمذي وقال هذا حديث  
 حسن صحيح ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما

نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول من جحد آدم عليه السلام» وزاد ابن سعد ثم أكمل الله لآدم ألف سنة ولد داود مائة سنة وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم الآية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة فجملهم أرواحهم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألت بر بكم قالوا بلى شهدنا إن نفولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فلا تشر كوا بي شيئا فإني أرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقى وانزل عيكم كتبي فقالوا نأشهد أنك ربنا والآهنا لأرب لنا غيرك ورفع لهم أبوم آدم فرأى فيهم الغي والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فنال رب لوسويت بين عبادك فقال إني أحب أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج وخصوصا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الأولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) قال وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين ابتذت من أهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها وهذا اسناد صحيح وأخرجه اسحق ابن راهويه ورواه محمد بن نصر المروزي من حديث عبد الله بن سلام وقدروي ذلك من وجوه متعددة عن جماعة من الصحابة متعددة وفيه أنه أخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ بيضا وروى اسحق ثنا روح بن عبادة ثنا موسى بن عبيدة الزبيدي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه الآية اقروا له بالآيمان والمعرفة الأرواح قبل أن تخلق أجسادها قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء في هذه الآية قال أخرجوا من صلب آدم حين أخذ الميثاق ثم ردوا في صلبه وأخرج عن الضحاك قال إن الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون إلى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر فقال ألت بر بكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا إن

يقولوا يوم اقيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة يمينه فقال هولاء في الجنة وقبض اخرى وقال هولاء في النار واحتجوا أيضاً بما أخرجه الامام عبد الله بن منده من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه مرفوعاً ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بما حجج منها قوله تعالى ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل ان جمته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً ) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق أصله وأيضاً فخلق أبي البشر وأصلهم كان هكذا فان الله أرسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طيناً ثم صورته ثم نفخ فيه الروح بعد ان صورته فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقاً ففي تفسير أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سمو الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازناً فوقع في حذره وقال ما اعطاني الله هذا الالمزية لي وفي لفظ الالمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وذكروا الاثر الى ان قال فبعث جبريل الى الارض لياتيه بطين منها فقالت الارض اني أعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع ولم يأخذ وقال رب انما عاذت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فأعذت منه فأعادها فبعث ملك الموت فأعذت منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخالط ولم يأخذ من مكان واحد فأخذ من تراب حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل الرب حتى عاد طيناً لازباً واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة ( اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين) فخلق الله يده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلق بشرًا فكان جسدا من طين أر بعين سنة فمرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه وكان أشدهم فرزا منه ابليس فكان يمر به فيضرب به فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمرا ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذنفخت فيه الروح فاسجدوا فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله برحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل أن يبلغ الروح رجليه فنهض عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خلق الإنسان من عجل) وذكر باقي الحديث فالقرآن والحديث والآثار تدل على أنه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجزت الملائكة من خلقه ولا تعجبت من خلق النار في حديث ابن زيد «أن الله لما خلق النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولأى شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله خلق يومئذ إلا الملائكة والأرض ليس فيها خلق إنما خلق آدم بعد» الحديث فلو كانت الأرواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة من خلق النار وقالت لأى شيء خلقتها وهي ترى أرواح بني آدم فيهمس المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «أن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أر بعين يوما نظفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل إليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لانه تعالى أرسل إليه الروح التي كانت موجودة

قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك وتأمل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه الروح واختار ان خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره وحاصل ما ذكر ان الذي استدلوا به من أخذ الله الميثاق على ذرية آدم والعهد والاشهاد لا يدل على تقدم خلق الأرواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وإنما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وأماهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى أصلهم ان صح الخبر بذلك والذي صح انما هو القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد واما استدلال أبي محمد بن حزم بقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فلائق هذا الاستدلال بظاهريته لترتب الأمر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم عليه السلام ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وقال مجاهد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهر آدم وإنما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضرب بناكم وإنما ضربت سيدهم قال واما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فلا يصح اسناده فان فيه عتبه بن السكن قال الدارقطني متروك وفيه أيضا ارطاه ابن المنذر بعض أحاديثه غلط والحاصل ان الذي ذهب اليه ابن القيم تبعاً لشيخه وجموع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الارواح وذهب محمد بن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم والامام اسحق بن راهويه الى تقدم خلق الارواح و بالله التوفيق

﴿ فائدتان ﴾

(الاولى) روى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم نمان - يعني عرقه - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا» قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف

الاماكن هذا الحديث يدل على ان ذلك المكان اول وطن والنفس ابدا تنازع الى الوطن الاول

(الثانية) ذكر الامام أبو الفرج ابن الجوزي في الكتاب المذكور ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق كتب كتابا على الذرية فألقمه هذا الحجر يعني الحجر الاسود فهو يشهد للمؤمن بالوفاء وعلى الكافر بالجحود قال وهذا مروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال العلماء ولهذا العلة يقول لامسه: ايماننا بك ووفاء بهدك: انتهى

### ﴿ المسئلة الثانية ﴾

من مسائل متعلقات الروح أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل في السماء أم في الارض وهل هي في الجنة والنار أم لا وهل تردع في أجساد أم تكون مجردة فهذه من المسائل العظام قد تكلم فيها الناس واختلفوا في ذلك وهي انما تتلقى من السمع فقط ومع ذلك فقد اختلفت فيها أقوال العلماء وتباينت في محالها آراء الفضلاء فقال قوم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولادين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ومن نحا نحوهم وقالت طائفة هم ببناء الجنة على بابها بأيتهم من روحها ونعيمها ورزقها وقالت طائفة الارواح على أفنية قبورها وقال الامام مالك بلغني ان الروح مرسله تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة وقال أبو عبد الله بن منده قالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك قال وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجافية وأرواح الكفار بيئر برهوت بمحضرموت وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لانفس المؤمنين مجتمع فقال ان الارض التي يقول الله ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكوان الارض يرثها عبادي الصالحون) قال هي الارض التي تجتمع اليها أرواح المؤمنين حين يكون البعث وقالوا هي الارض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا وقال

كعب أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سبعين في الارض السابعة تحت خدا بلنس وقالت طائفة أرواح المؤمنين بشر زمزم وأرواح الكفار بيشر برهوت وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وهذا مثل قول الامام مالك بل هو مستند له وقالت طائفة أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله وقال ابن حزم ومن وافقه مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها بناء على مذهبه الذي اختاره وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وتقدم ما فيه قال الامام المحقق ابن القيم جمهور الناس على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك والحاصل ان مدار حججهم على أخبار غير صحيحة أو نصوص صحيحة ولكن دلالتها على ما زعموه غير صريحة وقوله مستقرها بعد مفارقة أبدانها في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق أجسادها مبني على ما ذكر من اعتقاده وان أرواح السعداء عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الأشقياء عن يساره وزعمه ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الاسلام والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق ابن حزم الجمهور على أن أرواح الشهداء في الجنة ومعلوم ان الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الأدنى تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا فوق العناصر وفوق السموات. واما زعم أبي محمد بن حزم ان الامام اسحق ابن راهويه ذكر ما قاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع أهل الاسلام باطل فان اسحق لم يقل ان مستقر الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمد بن نصر المروزي في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية وقد ذكر الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم أخذ الميثاق



عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الذر وانه قسمهم اذ ذاك الى شقي وسعيد وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم الآية ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل هذا نص كلامه وهو كآثرى لا يدل على ان مستقر الارواح اذ كراين حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على أنه سبحانه أخرجهما حينئذ فخطبها ثم ردها الى صلب آدم وهذا وان كان قد قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذي صححه ابن القيم والجمهور خلافه ولو سلم ان خلق الارواح قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على ان مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقراً هأولا

وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض وهذا أيضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من أعراض البدن وهو الحياة وبه قال ابن الباقلاني ومن وافقه وكذا قال أبو الهذيل العلاف المعتزلي النفس عرض من الاعراض ولم يعينه انه الحياة كما عينه ابن الباقلاني بل قال الروح عرض كسائر أعراض الجسم وهو لاء عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة وقال بعض أرباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب قال الامام ابن القيم وهذا قول يرده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقول والفطر قال وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله أعلم

وقالت طائفة أخرى مستقر الارواح بعد الموت ابدان أخر غير هذه الابدان فهذا فيه حق و باطل فحتمه ما أخبر به الصادق المصدوق عن ارواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأوي الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كلالا وكار للطائر وقد صرح بذلك في قوله جعل ارواحهم في أجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح

كالبدن لها ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء ويحتمل ان تكون الروح صورة طائر وهذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر قال ابن حزم معنى ذلك ان نسمة المؤمن طائر يعاق يعني انها تطير في الجنة لانها تمسخ في صورة الطير قال ابن حزم واما الزيادة التي فيها انها في حواصل طير خضر كأنها صفة تلك القناديل التي تأويها قال والحديثان معا حديث واحد قال المحقق ابن القيم وهذا الذي قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة» غير حديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر والذي ذكره محتمل في الاول واما الثاني فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وسلم اخبر ان ارواحهم في حواصل طير وفي لفظ آخر في أجواف طير خضر وفي لفظ بيض وان تلك الطير تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من انهارها ثم تأوي الى قناديل تحت العرش هي لها كالاوكر للطائر وقوله ان حواصل تلك الطير هي صفة تلك القناديل التي تأوي اليها خطأ قطعاً بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير فهنا ثلاثة أمور شرح بها الحديث أرواح وطير هي في أجوافها وقناديل مأوى لتلك الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطير تسرح وتذهب وتجيء والارواح في أجوافها فان قيل يحتمل ان تجعل نفسها في صورة طير لانها تتركب في بدن طير كما قال تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) ويدل عليه قوله في اللفظ الآخر أرواحهم كطير خضر كما رواه ابن أبي شيبة قال أبو عمر بن عبد البر الاشبه عندي والله أعلم ان يكون القول قول من قال كطير أو صورة طير لمطابقته لحديث نسمة المؤمن وقد أجاب المحقق بأن هذا الحديث قد روي بهذين اللفظين والذي في صحيح مسلم من حديث الاعمش عن مسروق «أرواحهم في جوف طير خضر» وقد رواه ابن عباس وكعب بن مالك فلم يختلف حديثهما في انها في أجواف طير خضر قال المحقق ولا محذور في هذا ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصاً من كتاب الله ولا سنة عن رسول الله بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها الله تعالى ابداناً أخر خيرا عنها تكون سبباً لارواحهم ليحصل بها كمال نعمهم فاذا كان يوم القيامة رد أرواحهم الى تلك الابدان التي كانت

فيها في الدنيا فان قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في ابدان غير ابدانها التي كانت فيها فالجواب هذا معنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمي له تناسخا لنظائره مما دل عليه النقل ولم يخله العقل من صفات الله تعالى وحقائق اسمائه الحسنی حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتقسما قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا تنزل عن الله عز وجل صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين فان هذا شأن أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم باللقاب التي ينفرون عنها الجهال ويسمونهم حشوا وتركيبا وتقسما ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزاً وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفي استوائه وعلوه على خلقه وكما تسمى الرافضة موالاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصيباً وأمثال ذلك والمقصود ان مادلت عليه السنة الصريحة من جعل ارواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى

واما ما شتمل عليه من الباطل فالتناسخ الباطل الذي يقوله اعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويزعمون ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى اجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتسا كلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى ابدان تلك الحيوانات فتتم فيها وتعذب ثم تغرقها وتخل في ابدان آخر تناسب اعمالها واخلاقها وهلم جرا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معادها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما انفق عليه الرسل والانبياء من اولهم الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر فهذه الطائفة تقول ان مستقر الارواح بعد مفارقة ابدانها الاصلية ابدان الحيوان التي تناسبها وهو ابطال قول واخبثه

ويليه قول من يزعم ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم يقع على اجزاء الجسد اوعلى جزء منه اما عجب الذنب وغيره فيخلق الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض ارباب هذا القول أو بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهو لا عندهم لا عذاب في البرزخ الاعلى الاجساد

ويقابله من يقول ان الروح لا تعود الى الجسد بوجه ولا تنصل به والعذاب والنعم على الروح فقط والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء فالسنة الصحيحة المتواترة تبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين تجتمع بيتر زمزم فلا دليل على هذا من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابي يجب ان يوثق به واما قول من قال ان ارواح المؤمنين بالجاية واوراح الكفار بيتر برهوت بحضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة قال الامام المحقق وليس كما قال بل قاله جماعة من أهل السنة قال الحافظ أبو عبد الله ابن منده روي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجاية ثم روي بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ارواح المؤمنين تجتمع بالجاية وان ارواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت ثم روي بسنده عن شهر بن حوشب أن كعبا رأى عبد الله بن عمرو وقد تكلم الناس عليه يسألونه فقال له رجل سله أين ارواح المؤمنين وأرواح الكفار فسأله فقال ارواح المؤمنين بالجاية وأرواح الكفار ببرهوت قال ابن منده ورواه أبو داود وغيره ثم ساق بسنده عن أبي الطفيل عن علي قال خير بئر في الارض زمزم وشر بئر في الارض برهوت بئر في حضرموت وخير واد في الارض وادي مكة والوادي الذي أهبط فيه آدم في الهند منه طيبكم وشر وادي في الارض الاحقاف وهو في حضرموت ترده ارواح الكفار وروي عن ابن عباس عن علي رضي الله عنهم قال أبغض بقعة في الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه ارواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار اسود كأنه قيح تأوي اليه الهوام ثم ساق ابن منده من طريق ابن اسحق القاضي حدثنا علي ابن عبد الله ثنا سفيان ثنا أبان بن ثعلب قال قال رجل بت فيه يعني وادي برهوت فكأما حسرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومه يادومه قال أبان فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومه هو الملك الذي على ارواح الكفار قال سفيان وسألنا الحضرميين فقالوا لا يستطيع أحد يبيت فيه بالليل

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح فنهذه جملة ما علمته في هذا القول فان أراد عبد الله بن عمرو بالجاية التمثيل والتشبيه وأنها تجتمع في مكان فسيح يشبه الجاية

لسعته وطيب هواه فهذا قريب وان اراد نفس الجايبة دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعلمه من تلقاه عن بعض أهل الكتاب وبالله التوفيق  
 وأما قول من قال انها تجتمع في الارض التي قال الله فيها (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) فهذا ان كان قوله تفسير الآية فليس هو تفسيرها لها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة في الآية الكريمة فقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي أرض الجنة وهذا قول أكثر المفسرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قول آخر انها الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمي ما زوي لي منها» وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك في الآية أرض بيت المقدس وهي من الارض التي أورشها عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها وأما قول سلمان الفارسي رضي الله عنه ومن وافقه ان ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد انها في أرض الدنيا والآخرة مرسله هناك حيث شاءت قال المحقق هذا قول قوي فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما فهي في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأما ارواح الكفار ففي برزخ ضيق فيسه الغم والعذاب قال الله تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)  
 وأما من قال ارواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة واوراح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته «اللهم الرفيق الأعلى» وحاصل هذا ان ارواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم واوراح الكفار في سجين بحسب منازلهم وما تؤول اليه  
 وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام واوراح الكفار عن يساره قال المحقق ابن القيم هذا قول يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسرى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث «فاذا رجع قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره

اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسف بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار» قال القسطلاني في المواهب الاسودة بوزن أزمنة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحين جمع نسمة وهي الروح قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمة في سماء الدنيا فأجاب بأنه يحتمل انها تعرض على آدم أحيانا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على كون ارواح الكفار في النار في أوقات دون أوقات قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) واعترض بأن ارواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما أبداه احتمالا ان الجنة كانت من جهة يمين آدم والنار في جهة شماله فكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها قال وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار «فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن» قال الحافظ ابن حجر وهذا لو صح لكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف انتهى وقال المحقق ابن القيم في الروح لا تدل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفلى والسجن وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ذلك عقد منقطع العناصر قال هذا يدل على أنها عنده تحت السماء حيث تقطع العناصر وهي الماء والهواء والتراب والنار قال ابن القيم وهو يعني ابن حزم دائما يشفع على من قال قولاً لا دليل عليه فأي دليل له على هذا القول من كتاب أو سنة

قال المحقق اذا كانت ارواح أهل السعادة عن يمين آدم في سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب عن ذلك من وجوه (أحدها) أنه لا يتمتع كونها عن

يمينه في جهة العلو كما ان ارواح الاشقياء عن يساره في جهة السفلى (الثاني) انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك (الثالث) لم يخبر انه رأى ارواح السعداء جميعاً هناك بل قال فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعاً ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك وارواح السعداء بعضها اعلا من بعض بحسب منازلهم كما ان ارواح الاشقياء بعضهم اسفل من بعض بحسب منازلهم والله اعلم

قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم اقوال الناس في مستقر الارواح وماخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى يمتقد فأجاب بان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ اعظم تفاوت (فمنها) ارواح في عليين في الملاء الاعلى وهي ارواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء (ومنها) ارواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم ارواح بعض الشهداء لاجميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه او غيره كما في مسند الامام احمد عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالي ان قتلت في سبيل الله قال الجنة: فلما ولى قال «الا الدين سارني به جبريل آنفاً» (ومنهم) من يكون محبوباً على باب الجنة كما في حديث آخر رأيت صاحبكم محبوباً على باب الجنة (ومنهم) من يكون محبوباً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره» (ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما «الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه الامام أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (ومنهم) من يكون محبوباً في الارض لم تعمل روحه الى الملاء الاعلى فانها كانت روحاً سفلية أرضية فان النفس

الأرضية لا تتجمع الانفس السماوية كما لا تتجمعها في الدنيا والنفس التي لم تكنسب في الدنيا معرفة ربها ومحبهه وذكروه والانسان به واتقرب اليه بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى وذكروه واتقرب اليه والانسان به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يروح النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما في حديث ويجعل روجه يعني المؤمن مع الذسم الطيب أي الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها واخوانها وأصحاب عملها تكون معهم هناك (ومنها) أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلتم الحجارة فليس للارواح شقيها وسعيدها مستقر واحد بل روح في أعلا عليين وروح أرضية سفلية لانصعد من الارض

ومن تأمل السنن والآثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حق وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شي حركته وانتقالا وصعودا وهبوطا وتنقسم الى مرسله ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم ودم وعذاب أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهناك الحبس والالم والعذاب والمريض والحسرة وهناك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق (ثم قال المحقق ابن القيم) وما أشبه حالها بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فهذه الانفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها (الدار الاولى) بطن أمه وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات اثلاث (الدار الثانية) هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب السعادة والشقاوة فيها (الدار الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى (الدار الرابعة) دار القرار وهي الجنة أو النار



فلا دار بعدها والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها  
الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل  
الموصل اليها ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله  
فاطرها ومنشؤها ومميتها ومساعدتها ومشقيها وبالله التوفيق

### ﴿ المسألة الثالثة ﴾

من المسائل المتعلقة بالروح هل تتلاقى ارواح الموتى وتزاور وتثدا كروتلاقى  
أرواح الاحياء والأموات أيضا وهذا يعلم مما مر من حيث الجملة لان الارواح قسمان  
معدبة ومنعمة فالمعدبة في شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى  
واما الارواح المنعمة المرسله غير المحبوسة فهذه تتلاقى وتزاور وتثدا كراما كان منها  
في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح رفيقها الذي على مثل عملها وروح  
نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلا قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك  
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك  
رفيقا) قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء  
والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة وقد تواترت المرأي بتلاقى الارواح بعضها  
مع بعض قال الامام عبد الله بن المبارك رأيت سفيران الثوري في النوم فقامت  
ما فعل الله بك قال لقيت محمدا وحزبه وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقى الارواح  
وتعارفها فروى بن أبي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه  
أم بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة  
فهل يتعارف الموتى فارسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر »  
فكان لا يهلك هالك من بني سلمة الا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام  
فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام: وذكر ابن أبي الدنيا أيضا من حديث  
سفيران عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال أهل القبور يتوكلون الاخبار  
فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول صالح فلان يقول صالح ما فعل  
فلان فيقول ألم يأتكم أما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون

سلك به غير سبيلنا وقال عبيد بن عمير أيضا اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الركب ما فعل فلان ما فعل فلان فاذا قال توفي ولم يأتهم قالوا ذهب به الى أمه الهاوية وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال عبيد بن عمير لو اني آيس من لقاء من مات من أهلي لالفاني قد مت كذا وكذا معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة ان أباهم السلمي حدثه ان أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقول أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كل في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سأله عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المرية» ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط وقال ان أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتم نعمتك عليه وأتمه عليها ويعرض عليهم عمل المسي فيقولون اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به وتقر به اليك وأخرج ابن ماجه عن محمد بن المنكدر قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان روعي المؤمنين لثلاثين على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه» قط وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثنا يحيى بن بسطام (١) ثنا مسمع ثنا رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصم الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصيحتها الي أبي بكر (٢) بن عبد الله المزني فتلقى أخباركم قال

(١) الصواب «بسطام الأصغر» كما في ص ٥ من كتاب الروح (٢) الصواب

«بكر» كما في كتاب الروح أيضا اه مصححه

قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات بليت الاجسام وانما تلاقى الارواح والمرائي وان لم تصاح بمجرد لاثبات أحكام فضلا عن اثبات اعتقاد لكتنها على كثرتها وانها لا يحصيها الا الله تعالى وتواطئها مما يستأنس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم «أرى رؤياكم قد تواطئت على انها - يعني ليلة القدر - في العشر الاخير» فلما تواطأت رؤيا المؤمنين على تلاقي الارواح وتعارفها كان ذلك مما يستأنس به ويصلح للاستشهاد به على انا لم تثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الاخبار عن النبي المختار من تلاقي أرواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقي أرواح الاحياء لارواح الموتى أيضا ثم ان الحس والواقع من أعدل الشهود وقد قال تعالى (الله يتوفى النفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) روى أبو عبد الله بن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال بلغني أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فينساؤون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وكذا أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال يتوفاها في منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فرجع روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتجسب وهذا أحد القولين في تفسير الآية وهو ان المسكاة من توفيت وفاة الموت أولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثاني في الآية ان المسكاة والمرسلة كلاهما توفي وفاة النوم فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها الى جسدها لتستكمله وهو الذي اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية ومال تلميذه المحقق الى ترجيح الاول ثم قال والتحقيق أن الآية تتناول النوعين فانه تعالى ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسل الاخرى ومعلوم انه تعالى يمسك نفس كل ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يمت وقد قال سعيد بن المسيب التقي

عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما اقال احدهما للآخران مت قبلي  
فالتفتي فاخبرني ما لقيت من ربك وان انا مت قبلك لقيتك فخيرتك فقال لا آخر  
وهل يلتقي الاموات والاحياء قال نعم ارواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قال  
فمات فلان فلقية في المنام فقال له توكل وأبشر فلم ار مثل التوكل قط وقال العباس  
بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت اشتبهى أن أرى عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه في المنام فما رأيته الا عند قريب الحول فرأيت به يمسح العرق عن جبينه وهو  
يقول هذا وان فراغي ان كان عرشي ليهد لولا أنني لقيت رؤفا رحيا. ولما حضرت  
شارح (١) بن عابد الباني الوفاة دخل عليه عصف (٢) بن الحارث وهو يوجد بنفسه  
فقال له يا أبا الحجاج ان قدرت على أن تأتي بعد الموت فتخبرني بما ترى فافعل قال  
وكانت كلمته مقبولة في أهل الفقه فكثرت زمانا لا يراه ثم رآه في منامه فقال له أليس  
قدمت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا الا خواص  
قلت وما الخواص (٣) قال الذين يشار إليهم بالأصابع (٤) وقال قبيصة بن عتبة رأيت  
سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد  
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة محزون وقلب عميد  
فدونك فاخترأي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد

وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير  
معصومة فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فاخبره بأمر لا يعلمه الا  
صاحب الرويا أو أخبره بما لدفنه هو أو غيره أو حذره من أمر يقع أو بشره بأمر

(١) قوله «شارح» الذي في كتاب الروح «شريح» (٢) عصف ضبطه  
في كتاب الروح غضيف بالمعجمتين وهو الصواب وضطه بعضهم بالطاء وقد  
اخذوا في كونه صحابيا أو تابعيا وقيل هما اثنان ولا محل لتحقيق ذلك هنا (٣)  
قوله «الخواص الخ والعبارة في كتاب الروح هكذا «فلم يهلك منا الا الأخراس  
قلت وما الأخراس» والخرض من أسماء الجبل فلعله استعارة للشهرة (٤) قوله  
بالأصابع تمته في كتاب الروح «في الشيء» اهـ صححة

يوجد فوجد كما قال أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع كما أخبر أو أخبره بنحسب أو عدو أو نازلة أو مرض له فوقع كما أخبر والواقع من ذلك لا يحميه إلا الله تعالى والناس مشركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب وبه يعلم بطلان قول من زعم أن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم فهذا عين الباطل والمحال فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت ولا خطر بيائها ولا عندها علامة عاينها ولا أمانة بوجه ما كما قاله الإمام المحقق ابن القيم في الروح

قال ونحن لانسخر ان الامر قد يقع كذلك وان من الرويا ما يكون من حديث النفس وصور الاعتقاد بل أكثر مراني الناس انما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرويا على ثلاثة أنواع رويها من الله ورويها من الشيطان ورويها من حديث النفس والرويا الصحيحة أقسام (منها) إلهام يلقىه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه وغيره (ومنها) مثل يضربه له ملك الرويا الموكل بها (ومنها) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا (ومنها) خروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له (ومنها) دخول روحه إلى الجنة ومشاهدها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء بأرواح الموتى نوع من أنواع الرويا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قائل ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يججب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأيت منها بحسب استعدادها وانما كان تجردها بالموت اكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل قال المحقق ابن القيم في كتاب الروح وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطالع على علم الله الذي بعث فيه رسوله ولا على تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم

الا بالوحي ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنعمه في الشواغل البدنية ومن قال من الناس ان هذه المرآة علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فعلى نهج قول منكر الاسباب والحكم والقوى قال المحقق وهو قول يخالف للشرع والعقل والفطرة ومن قال (١) ان الرويا أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده وألفه على يد ملك الرويا فمرة يكون مثلامضروبا ومرة يكون نفس مارآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه وهذا أقرب من القولين قبله ولكن الرويا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخر كما تقدم من ملاقاته الارواح وإخبار بعضها بعضا ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروح ومن روية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله بن منده في كتابه (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث أسألك عنهن فهل عندك منهن علم فقال علي بن أبي طالب وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فتعارف منها ائتلف وماتنا كرمها اختلف» فقال عمر «واحدة» قال عمر والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فينما هو ومن نسيه (٢) اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما في القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر يضيء اذ تخلته» (٣) سحابة فأظلم اذ انجلت (٤) فأضاء وبيننا القلب يتحدث اذ تخلته سحابة فنسي اذ انجلت عنه فيذكر» قال عمر «اثنان» قال والرجل يرى الرويا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مامن عبد يتام يمتلىء نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فنلك الرويا التي تصدق والذي يستيقظ دون

(١) كذا في الاصل والصواب « ومن قائل » (٢) العبارة في كتاب الروح هكذا « فينما هو وما نسية » (٣) في كتاب الروح « تجلته » (٤) في كتاب الروح « تجلت » في الموضوعين ومعناها واحد

العرش نهي التي تكذب» فقال عمر رضي الله عنه: ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت: وروى أن عمر بن الخطاب قال عجبت لرويا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كماخذ بيده ويرى الشيء فلا يكون شيئا فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين يقول الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق فاذا ردت الى أجسادها تلتقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فيما رأت من ذلك فهو الباطل قال فجعل عمر رضي الله عنه يتعجب من قول علي رضي الله عنه قال الحافظ ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروى عن أبي الدرداء وروى ابن منده عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال «إن الارواح جنود مجنودة تتلاقى فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» قال الامام ابن القيم ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذري أظلم نهارى مستهما وتلتقي مع الليل روحي في المنام وروحها

فإن قيل فالنائم يرى غيره من الاحياء يحذثه وبخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرء يقظان وروحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما فالجواب عن هذا إما ان يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرويا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه قال حبيب بن أوس

سقيا لطيفك من زور اناك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود أن ارواح الاحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى ارواح الاحياء والاموات قال بعض السلف أن الارواح تتلاقى في الهواء فتتعرف وتنتذاكر فيأتيها ملك الرويا بما هو لاقيا من خير أو شر قل وقد وكل الله تعالى بالرويا الصادقة ملكا علمه وأهله معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشبه عليه منها شيء ولا يفلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير أو شر في دينه ودنياه ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عاداته فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وينذره

من معصية ارتكبها أو هم بها ويحذره من مكروه انعمت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله تعالى في الرزق نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم من كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام رآه أو روي له وكم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفينا عن منام وهذا عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم دل في المنام على زمزم وأصاب المكنت الذي كان هناك وفي مثل ذلك حكايات كثيرة والله التوفيق

﴿ فكل ما عن سيد الخلق ورد من أمر هذا الباب حتى لا يرد ﴾

﴿ فكل ما ﴾ أي شيء أو الذي ﴿ عن سيد الخلق ﴾ ورسول الحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال في المطلع السيد الذي يفوق في الخير قومه قال الزجاج وقيل التقي وقيل الحليم وقيل الذي لا يغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا صلى الله عليه وسلم وقال في القاموس سيد القوم أجلهم وهو صلى الله عليه وسلم أجل خلق الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله وأكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الحقيق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اختلف الناس في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن الامام مالك واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم لما قيل له ياسيدنا قال « إنما السيد الله » وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا انصار « قوموا الى سيدكم » وهذا أصلح من الحديث الاول قلت وكذا حديث « ان ابني هذا - يعني الحسن - سيد » وحديث « اناسيد ولد آدم ولا خمر » وغير ذلك مما لا يحصى الا بكلفة قال في البدائع السيد أحد ما يضاف اليه فلا يقال التميمي انه سيد كندة ولا يقال الملك انه سيد البشر قيل وعلى هذا لا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم قال في البدائع وفي هذا نظر فان السيد اذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق ﴿ ورد ﴾ بالاسانيد المقبولة ودونه أهل العلم في الكتب المنقولة المشهورة ﴿ من أمر ﴾ أي من أمور ﴿ هذا الباب ﴾ الذي مناطه السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك ﴿ حق ﴾ يجب اعتقاده ولا يمان به لانه صحته بالنقول ولم ترده العقول وان عجزت العقول عن ادراكه



فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها والفرق بينهما بين لا يخفى على ذي تبصر **لا يرد** من ذلك شيء لثبوته عن المعصوم وصحته عن رسول الحلي القيوم فمن تصدى لرد شيء من هذا الباب فقد اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من أهل البدع والارتياب فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جعلهم الله وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعهم بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر أيام الله في اوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله تعالى على عباده والامثال التي ضربها لهم والاصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه ويكرهه والاصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة: على هذه الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمرضى الذي يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب بعدم الطبيب موت الابدان واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا وشقي شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح الا باتباع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما ورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه حق لا يرد اشراف الساعة وعلاماتها ولهذا قال

## فصل في

في اشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال تعالى (اقتربت الساعة) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها) أي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط قال الامام البغوي وكان النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة قال تعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات في ذلك كثيرة واما الأحاديث فلا تكاد تحصى فان قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قدمي قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عاما فالجواب أن الاجل اذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقتراب أجل ولا ريب أن الاجل الدنيا قدمي أكثره وبقي أقله ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذي بعد يومك فقال (ولنتنظر نفس ما قدمت لغد) وقال تعالى (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعا «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل أحدهما على الاخرى وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام «بعثت والساعة كهاتين» وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر الى مغرب الشمس - وفي لفظ - انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس»

ولما كان أمر الساعة شديدا وهو لها مزي يدا وأمرها بعيدا كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان اشراطها واماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبيه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة

ثم اعلم ان وقت مجيئ الساعة ما انفرد الله بملئه وانما أخفاه تعالى لانه أصلح للعباد لئلا ينباطوا عن التأهب والاستعداد كما ان اخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا بأحاديث

غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريرا أنها تقوم على رأس الخمسة بعد الألف أو أزيد قال الشيخ العلامة مرعي في (مهبجة الناظرين وهذا أيضاً مردود لان كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان ثم أعلم ان اشراط الساعة وأمارتها تنقسم الى ثلاثة أقسام قسم ظهر واقتضى وهي الامارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينتقض بل لا يزال في زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وانها تتابع كنظام خرزات انتطع سلكها (فالأولى) أعني التي ظهرت ومضت واقتضت (منها) بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اوموته وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما قتلة عظيمة دعواهما وأحداه (ومنها) واقعة النهروان فأخرج بن جرير عن محمد بن سلمة قال أينما أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه فقلت يا أبا أيوب قانتا المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين فقال ان رسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قانتا الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل ان شاء الله المارقين وفي رواية عنه عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقاتل مع علي الناكثين فقد قانتناهم يعني في وقعة الجمل وذلك لان طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه وعهد الينا ان تقاتل معه القاسطين يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لأنهم ظلموا علياً ونازعوه أمراً هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل وعهد الينا ان تقاتل معه المارقين وأراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين وفي الخوارج أحاديث كثيرة جداً في الصحيحين وغيرها (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الامام أبي محمد الحسن بن علي وأخى الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان انبي هذا سيد وسيصالح الله به بين فئتين عظيمتين

من المسلمين» الحديث شهد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) ملك نبي أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذى كقتل الحسين بعد ماسم الحسن وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق (ومنها) ملك نبي العباس وما جرى في أيامهم من المحن والباس (ومنها) نار الحجاز التي أضأت منها اعناق الابل ببصرى (ومنها) ظهور الرضى واستبداد الرافضة بالملك واطهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقد أخرج الامام أحمد أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاذا رأيتهم فاقتلوهم فانهم مشركون» ولفظ الطبراني باسناد حسن عنه كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيكون من أمي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نيز يسمون الرافضة فاقتلوهم فانهم مشركون» (ومنها) خروج كذا بين دجالين كل منهم يدعي انه نبي (ومنها) زوال ملك العرب رواه الترمذي ومنها كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخر والقذف وغير ذلك مما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم انه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى

### ﴿ الثانية ﴾

الامارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايدت وتكثر وهي كثيرة جدا (منها) قوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدينا لكع ابن لكع» رواه الامام أحمد والترمذي والضياء المقدسي من حديث حذيفة رضي الله عنه واللحى العبد والأحق والثيم والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللثام والحقى ونحوهم رؤساء الناس (ومن الامارات) قوله صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الحجر» رواه الترمذي عن أنس وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة - وفي لفظ - فساق - رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ومنها) أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال لليلتين لا تتفاخه وكبره روى معناه الطبراني عن ابن مسعود وفي لفظ «من أشرط الساعة انتفاخ الأهلة» بالخاء المعجمة أي عظمها وروى بالجيم (ومنها) اتخذ المساجد طرقاً (ومنها) ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «من اقترب الساعة اثنان وسبعون خصلة إذا رأيتهم الناس اماتوا الصلاة واضاعوا الامانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفروا بالدماء واستعملوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحكم ضعفاً والكذب صدقاً والحريز لباساً وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة وأتمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظاً والولد غيضاً وفاض اللثام فيضا وفاض السكرام غيضاً وكان الأمراء والوزراء والأمناء خونه والعرفاء ظلمة والقراء فسقة إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم انين من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها يهاوكون اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقبل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشرب الخمر وعطلت الحدود وولدت الامة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا - وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه اذا أخص الاغنياء وأرباب المناصب بأموال التي ومنعوا مستحقيها كما في النهاية - والامانة مغنا والزكاة مغرما وكان زعيم القوم اردلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمر في الطرق واتخذ الظلم فخراً وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفاً - أي بأن تجعل على السروج كما يفعله امرء زماننا - ولعن آخر هذه الأمة أهلها فليرتقبوا عند ذلك رجماً حراً وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات» (ومنها) مارواه الامام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم

عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعاً «إذا ظهر القول وخزن العمل واتلفت الالسن واختلفت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» (ومنها) ما أخرجه الامام أحمد أيضاً والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «إذا كانت الفاحشة في كباركم وانملك في صغاركم والعلم في مرداكم والمداهنة في خياركم» يعني فتقرب اقامة الساعة وأخبار من هذه كثيرة جداً ذكرت منها طرفاً صالحاً في كتابي البحور الزاخرة في علوم الآخرة (منها) ما في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث وقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه: قال ابن السائل عن الساعة؟ فقال ها انا يا رسول الله قال «فاذا ضيقت الامانة فانتظر الساعة» قال كيف اضاعتها قال «اذوسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة» والله أعلم

### ﴿الاشراط والامارات﴾

(الثالثة) العلامات العظام والاشراط الجسام التي تعقبها الساعة وهي المقصودة في

النظم والتي تكلم عليها أهل العلم واليهما الاشارة بقوله

﴿وما أتى في النص من اشراط فكله حق بلا شطاط﴾

﴿وما﴾ أي وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ

رده الذي ﴿أتى﴾ أي وزد وجاء ﴿في النص﴾ القرآني أو الحديث النبوي ﴿من اشراط﴾

الساعة باقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيامة وسببت

الساعة لقربها أو لانها تأتي بغتة في ساعة أولان بعث المولى من قبورهم يكون في أسرع من اللمحة أولان فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة وبروى عن علي رضي الله عنه انه سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة وتقدم ان الاشراف جمع شرط وانها أماراتها وعلاماتها ﴿فكله﴾ أي الذي أتى في النص من اشراف الساعة وفي نسخة كلها أي الاشراف ﴿حق﴾ واقع ويقين ليس له مدافع ﴿بلا شطاط﴾ كسحاب وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شاط بين الشطاط والشطاطة والشطاط وهو البعيد ما بين الطرفين وقرى (ولا تشطط) ولا تشاطط أي لا تبعد عن الحق والمعنى ان الذي جاء في النص من اشراف الساعة حق كله لا بعد فيه ولا عقل ينافيه ثم أخذ في تعداد تلك الاشراف فقال

﴿منها الامام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح﴾

﴿منها﴾ أي من اشراف الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت في مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها ان يظهر ﴿الامام﴾ المتقدم بأقواله وأفعاله ﴿الخاتم﴾ للائمة فلا امام بعده كما أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده ﴿الفصيح﴾ اللسان لانه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعميد مع فصاحة مفرداته والفصاحة في المفرد خلوصه عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر معها على التعبير المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقتها لمتقضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وقوله ﴿محمد المهدي﴾ هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبدالله فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «بواطلي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال «لولا يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي بطاطلي اسمه اسمي واسم

أبيه اسم أبي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا» وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضا لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما أخرجه الطبراني في معجمه الصغير وأخرجه الترمذي ولفظه حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي وقال حديث حسن صحيح وكذلك أخرجه أبو داود في سننه وروى ابن مسعود أيضا رضي الله عنه رفعه اسم المهدي محمد وفي مرفوع حذيفة محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله ومن أسمائه أيضا أحمد بن عبد الله كما في بعض الروايات

وأما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري فهذهان فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن قلت هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ومحمد بن الحسن العسكري هذا ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ويعرف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والشيعة تزعم أنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين وقيل غير ذلك وكل ذلك ضرب من الجنون والهذيان وأما ذلك فقد مات رضوان الله عليه وعلى آبائه

وأما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة أخبار وعن كعب الاحبار قال إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي وسيخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها نطاكية أخرجه أبو نعيم في كتاب الفتن وفي بعض رواياته عن كعب قال إنما سمي مهديا لأنه يهدي إلى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة وذكر الامام أبو عمرو الداهي قال إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار



التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم وأما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب  
أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم  
وأما كنيته فابو عبد الله وأما نسبه فانه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثم ان الروايات الكثيرة والاختبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة  
النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين وجاء في  
بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصبح قال ابن حجر في كتابه القول  
المختصر وأما ما روي «ان المهدي من ولد العباس عمي» فقال الدارقطني حديث  
غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن  
عباس رضي الله عنهما مرفوعا «الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن  
عزتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى ويظني نيران الضلالة  
ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم» وخبر هشيم بن كلب وابن عساكر  
عن ابن عباس ورجاله ثقة «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا يا عم أما علمت  
ان المهدي من ولدك موققا راضيا» وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي  
الله عنه «الا ابشرك بأب الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم»  
وخبر الديلمي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم انه قال «ان تزال الخلافة في ولد عمي وصنوابي حتى يسلموها الى الدجال» وخبر  
الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضي الله عنهم «يا عباس أنت عمي  
وصنوابي وخير من أخلف بعدي من أهلي اذا كانت خمس وثلاثون ومائة فهي  
لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي» وخبر الخطيب وابن عساكر  
عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس يا عم «الا أخبرك ان الله  
افتتح هذا الامر بي ويختمه بولدك» فهذه الاخبار كلها لاتنافي ان المهدي من ذرية  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التي ان المهدي  
من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الأئمة ان كون المهدي  
من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات  
الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم ولعباس

فيه ولادة من جهة ان في أمهاته عباسية والحاصل ان للحسن في المهدي الولادة العظمى لان أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضا وللعباس فيه ولادة أيضا ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق

### ﴿ فوائد ﴾

(منها) في حليته وصفته قال ابن عباس رضي الله عنهما المهدي اسمه محمد بن عبدالله وهو رجل ربعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الامة كل كرب ويصرف بعدله كل جور وعن حذيفة ابن اليمان رضي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي اللون لون عربي والجسم جسم اسراييلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضي في خلافته أهل الارض وأهل السماء والطير في الجوى يملك عشرين سنة» أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدي والطبراني في معجمه وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدي مني أجلى الجبهة أقرى الأنف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين» وأخرج أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليبعثن الله في عترتي رجلا أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الارض عدلا ويفيض المال فيضاً» وفي مرفوع عمران بن حصين أنه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه قال «هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني اسراييل عليه عباءتان قطوانيتان كان في وجهه الكوكب الدرّي في اللون في خده الايمن خال اسود ابن أربعين سنة» أخرجه الامام أبو عمرو الداني في سننه وأخرج أبو نعيم من حديث أبي امامة رضي الله عنه مرفوعاً «المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كان وجهه كوكب دري في خده الايمن خال اسود عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني اسراييل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك» وفي حديث أبي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر الى الحسن وقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج على

حين غفلة من الناس وامامة الحق واظهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها وهو رجل أجلى الجبين أقى الأنف ضخم البطن أزبل الفخذين يفضذه الايمن شامة أفواج الثنايا بملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن أبي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي قال هو شاب مربع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره وحليته ورأسه وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه ان المهدي ككث اللحية أ كحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقى أجلى في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات المهدي أزج أبلج أعين يجي من الحجاز حتى يستوي على مسجد دمشق أخرجه أبو نعيم وفي رواية لابن نعيم بكتفه اليمنى خال وفي حديث علي مرفوعا انه ككث اللحية أ كحل العينين براق الثنايا في وجهه خال وفي كتفه علامة وقال كعب الاحبار اني لأجد المهدي مكتوب (١) في أسفار الانبياء ما في حكمه ولا عيب أخرجه أبو عمرو المقرئ في سننه ونعيم بن حماد واخرج أبو نعيم عن طاووس قال علامة المهدي انه يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيا بالمساكين . ورأيتني قد وصفته في كتابي البحور الزاهرة بأنه آدم أي أسمر ضرب من الرجال أي خفيف اللحم مشوق مستدق ربة أي لا بالطويل ولا بالقصير أجلى الجبهة أي خفيف شعرع الزرعين عن الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته أقى الأنف أي طويله مع دقة أرنبته اسم أي رفيع العينين أزج أي حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أو امتداده أبلج أعين أ كحل العينين واسع العين (٢) والكحل يفتحون سواد في أجفان العين خلقة من غير ا كتحال براق الثنايا أي لثناياه بريق ولمعان أفرقها أي ليست متلاصقة أزبل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما وفي رواية في لسانه ثقل واذا أبطأ عليه ضرب فخذة الايسر بيده اليمنى ابن أربعين سنة وفي رواية مابين ثلاثين الى أربعين خاشع لله خشوع النسر بجناحية عليه عباء تان قطوا نينان قال في النهاية هي عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة

(١) كذا في الاصل (٢) اعمل الصواب واسع الفم أو الجبهة والاقال واسعهما

## ﴿الفائدة الثانية في سيرته﴾

قل أهل العلم يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائمًا ويقاقل  
 على السنة لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان  
 كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم أوله بتلك الدنيا كلها كما ملك ذوالقرنين  
 وسليمان بن داود عليهما السلام يكسر الصليب ويتل الخنزير ويرد إلى المسلمين  
 الفقه ونعمتهم بملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلماً وجورًا يحثو المال حثوا  
 ولا يعده عدا يقسم المال صحاحًا بالسوية يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض  
 والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر بملأ قلوب أمة محمد صلى الله  
 عليه وسلم غنى حتى أنه يأمر مناديا ينادي بالامن له حاجة في المال؟ فلا يأتيه إلا  
 رجل واحد فيقول انا فيقول انت السادن أي الخازن فقل له المهدي يأمرك ان  
 تعطيني مالا فيقول له احث حتى اذا جعله في حجره وابرزه ندم فيقول كنت اجشع  
 أي أحرص أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعجز غني ماوسعهم قال فيرده فلا يقبل منه  
 فقال له انالنا أخذ شيئًا أعطيناها الأمة. تنعم أمة محمد برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا  
 بمثام قط وترسل السماء عليهم مدرار الا تدخر شيئًا من قطرها وتوتي الأرض أكلها الا تدخر  
 عنهم شيئًا من بذرها تجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين  
 الخافقين يوتي اليه ملوك الهند مغلبيين وتجعل خزائهم لبيت المقدس حليًا، يأوي  
 اليه الناس كما يأوي النحل إلى يسعوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول  
 يمدد الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبرل على مقدمته  
 وميكائيل على ساقته ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد وتلعب الصبيان  
 بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئًا ويزرع لانسان مدا فيخرج له سبعة امد ويرفع  
 الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الاعمار وتؤدي الامانة وتهلك الاشرار ولا يبقى  
 من يبغيض آل محمد صلى الله عليه وسلم، محبوب يعني المهدي في الخلاق يظني الله  
 به الفتنة العمياء وتامن الأرض حتى أن امرأة تخرج في خمس نسوة مامعين رجل  
 ولا يخنن شيئًا إلا الله مكتوب في شعائر الانبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب

## ﴿ الثالثة في علامات ظهوره ﴾

قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه ( فوائد الفكري في المهدي المنتظر ) اعلم ان لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الأحاديث والأخبار فمن علامات ظهوره على ما ورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذوي القعدة وظهور الحسف والفنن معه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدي مكتوب على رأسها «البيعة لله» كذا في الأشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجي المدني ويغرس قضيبا يابسا في أرض يابسة فيخضر ويورق ويطلب منه آية فيومي الى طير في الهواء بيده فيستقط على يده وينادي مناد من السماء: أيها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين واشياعهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالحقوه بمكة فإنه المهدي واسمه محمد بن عبد الله وتخرج الأرض أفلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب ويخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه ويستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه بيت المقدس فاذا نظر اليه يهود اسلموا الا قليلا منهم وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه البيعة وتنشف الفراء فيفسح عن جبل من ذهب وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف ونظر في هذا الشيخ مرعي بان العادة انكساف القمر ليالي الابدار والشمس أيام الاسرار ولكن من الممكن ان يكون ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة وروى أبو نعيم في الفنن قال شريك بلقي ان القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان وذكر الكسائي عن كعب الاحبار ان القمر ينكسف ثلاث ليال متواليات وروى عن كعب الاحبار يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيء كما يضيء القمر ينعطف حتى ياتي طرفاه أو يكاد وفي الديلمي مرفوعا تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفرع اليقظان ومن وجه آخر يكون صوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا بمعنى مثلها

ويخرس مثلها ويصم مثلها وينفتق من الابكار مثلها ومن علامات المهدي أيضا  
خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرسا كما في الاشاعة وغيرها

### ﴿ الرابعة ﴾

« في الاشارة الى بعض الفن الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قبل ذلك »  
(منها) ما ذكره في الاشاعة انه يحسر الفراءة عن جبل من ذهب كما تقدم فاذا  
سمع به الناس ساروا اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتلون عنده ثم لا يصبر  
الى أحد منهم فيقول لكل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن  
بكله فيقتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة  
اعشارهم وفي رواية من كل تسعة سبعة فيقول لكل رجل اعلي اكون انا نجو وقد  
قال صلى الله عليه وسلم « من حضر فلا يأخذ منه شيئا » وعن عبد الله بن عمر رضي  
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي  
من ولدي ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذابا كلهم يقول انا نبي » وعن أبي  
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون  
كذابون قريامن ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله » رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري  
بمعناه وتام الحديث في مسلم « وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان  
وتظهر الفتن ويكثر الهرج » وهو القتل الحديث وهو في صحيح البخاري الا ان قوله  
وتكثر الزلازل في البخاري دون مسلم وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله  
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان بين يدي الساعة كذابين »  
زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر  
المهدي الا على خوف شديد من الناس وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس والطاعون  
قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشات في دينهم  
وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمني الموت صباحا ومساء من عظيم ما يرى من  
كلب الناس وأكل بعضهم بعضا فحينئذ يخرج ايطون لمن أدركه وكان من انصاره  
والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وقال محمد بن الصامت قلت للحسين  
بن علي رضي الله عنهما أما من علامة بين يدي هذا الامر يعني ظهور المهدي

قال بلى قلت وما هي قال هلاك نبي العباس وخروج السفياني والحسف بالبيداء قلت جعلت فداك أخاف ان يطول هذا الامر فقال انما هو كنظام يتبع بعضه بعضا وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال تكون في الشام رجفة يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فاذا كان كذلك فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الاكبر والموت الاحمر فاذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرسنا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الاكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فاذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي

ومن أقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياني والابقع والاصهب والاعرج والكندي

أما السفياني فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عنبه قال العلامة الشيخ مرعي في فوائد الفكر وفي عقد الدر ان السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ملعون في السماء والارض وهو أكثر خاق الله ظلما قال علي رضي الله عنه السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخيم الهامة بوجهه أثر جدري بعينه نكته يياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يقر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياني فيبعث اليه جندا من جنده فيهمهم فيسير اليه السفياني بمن معه حتى اذا جاز بيده من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المنجبر عنهم أخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه

والأبقع يخرج من مصر والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج الجرهمي من الشام قال كعب الاحبار أول من يخرج ويغلب على البلاد الأصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام ويخرج القحطاني من بلاد اليمن قال كعب فبينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم واذا قد خرج السفياني من دمشق من واد يقال له وادي اليابس يوتى في منامه فيقال

له قم فأخرج فيقوم فلا يجد أحدا ثم يوتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر الى باب دارك فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة أنفار أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك ومع رجل منهم لواء معقود لا يرى ذلك اللواء أحد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقاتله فاذا نظر الى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثلثمائة وستين راكبا وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم اخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا ويسقط جانب مسجدها الغربي ثم يخرج الأبقع والاصهب فيخرج السفياي من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يقلب السفياي على الابقع والاصهب ويسير صاحب الغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس الى السفياي فيظهر السفياي عليه ويحوز ما جمعوا من الاموال ويظهر على الرايات اثلاث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره وهذا الرجل يحتمل ان يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر ويحتمل ان يكون غيره . ويثور أهل خراسان بمسار السفياي فتكون بينهم وقعتا فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بني هاشم بكفه النبي خال سهل الله أمره وطريقه هو أخوه المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بأخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعها الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني نعيم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب ابن صالح التميمي يخرج اليه في خمسة آلاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهداها يهد الارض للمهدي فيلتي الهاشمي بخيل السفياي فيقتل منهم مقالة عظيمة بيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء الى ارساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله انصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي ويأبىه وبالله التوفيق



﴿الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك﴾

أخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقرئ في معجمه يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة

وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء وإذا هاجر المهدي من المدينة إلى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتبصر مأوى للوحوش وقد ورد عمران بيت المقدس خراب يثرب وفي حديث قتادة يخرج المهدي من المدينة إلى مكة وفي حديث ابن عباس سستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا وفي خبر أبي جعفر يظهر المهدي بمكة عند العشاء وفي الخبر يبعث السفيناني جيشا إلى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون وينفرون هاربا إلى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي بمكة فإذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم إليه بمكة ويأتي سبعة علماء من أفق ٧ شتي على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبعضة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه : ولم نقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتبع ولعلمهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الأشاعة فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون أنت فلان فيقول بل أنا رجل من الأنصار فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيبونه بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون أئمتنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمديدك نبايعك وقد أقبل عسكر السفيناني في طلبنا فيجلاس بين الركن والمقام فيمديده فيبايع له فيلتي الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرج

أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يبعث المهدي بعد أياس حتى يقول الناس لامهدي وأنصاره من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً عدد أصحاب بدر يسرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبأ يبعوه كرها فيصلي بهم ركعتين عند المقام وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يبائع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائماً ولا يهرق دماً والله أعلم وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي وقد ذكر العلماء أن أول ظهوره يكون شاباً ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر إلى مكة مختفياً ثم يرجع إلى مكة فيرونه بالمطاف عند الركن فيقهرونه على المبايعة بالامامة ثم يتوجه إلى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسرون إلى جهة الكوفة ثم يعود منهزماً من جيش السفيناني فيخرج الله على السفيناني من أهل المشرق وزير المهدي فيهزم السفيناني إلى الشام فيقصد المهدي فيذبجه عند عتبة بيت المقدس كما تذبج الشاة ويغتمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب ولا أكثر من تلك الغنيمة وفي رواية أنه يخرج رجل من كلب يقال له كنانة يعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري يعني السفيناني فيبعث إليه المهدي راية وأعظم راية في زمانه مائة رجل فتصف كلب خيلها ورجلها وابلها وغنمها فإذا تسامت الخيلان ولت كلب أدارها فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيراً إلى المهدي فيذبج على الصخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي يبطن الوادي على درج طور زيتا المقنطرة التي على الوادي كما تذبج الشاة وفي رواية ثم يؤخذ عروة السفيناني على أعلا شجرة على بحيرة طبرية قال صلى الله عليه وسلم « والخائب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبير أو بصيحة والخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال » فقال حذيفة يارسول الله كيف يحل قتلهم وتغنم أموالهم وهم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم « يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا » وفي الحديث لا تحشر أمي حتى يخرج المهدي يمدد الله بثلاثة آلاف من الملائكة ويخرج إليه الأبدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب أهل المشرق حتى يأتوا مكة فيبائع له بين الركن والمقام ثم يتوجه إلى الشام وجبريل على مقدمته

وميكائيل على يساره و معه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الأنهار وتضعف الأرض أكلها فيقدم إلى الشام فيأخذ السفيناني فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفيناني أنه يذبح تحت الشجرة هو أو وزيره والذي يذبح على العتبة هو نفسه إن كان المذبوح تحت الشجرة وزيره أو وزيره إن كان هو المذبوح ثم تمهد الأرض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلهم ويبعث بعثا إلى الهند فتفتح ويوتى بملوك الهند إليه مقفليين وتنقل خزائنها إلى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمسا و سبعا وأستا بالترديد وفي بعضها تسعة عشر سنة وأشهر وفي بعضها عشرين وفي بعضها ثلاثين وفي بعضها أربعين منها تسع سنين بهادن الروم فيها ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة والأقل على غاية الظهور والأوسط على الأوسط قال في الأشاعة وهذا الذي تقتضيه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمهدي وإن الله تعالى يعوضهم عن الظلم والجور قسطا وعدلا واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفن والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات ويبنى المساجد والبلدان ويحلي بيت المقدس وهذا يقتضي مدة طويلة مع ماوردان الأعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولا سيما مهادته للروم تسع سنين ثم فتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرها وهذا يقتضي طول مدته وبالله التوفيق

﴿ تنبيه ﴾

قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لامهدي الاعيسى والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك

بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكافي بسند مرضي (١) الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر» وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر الاسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب» أخرجه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وأخرج نحوه أبو عمرو المقرئ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعاً وفيه «ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» رواه أبو نعيم في فوائده وأخرجه الطبراني في معجمه ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم ومن حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزي في تاريخه ومن حديث علي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في سننهم وقد روى عن ذكر من الصحابة وغير ما ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعته العلم القطعي فالإيمان بمخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة أيضاً لكنهم زعموا أنه محمد بن الحسن العسكري كما تقدم وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان يجريان بماء وعسل فزعموا أنه دخل اليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر قالوا وهم أحياء برزقون ويقولون أنه يعود بعد الغيبة ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً قالوا وإنما عوقب بهذا الخبس لخروجه الى عبد الملك بن مروان وقيل الى يزيد بن معاوية والى هذا الاعتقاد أشار كثير عزة بقوله

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل بقدمها اللوا.

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل

(١) إذا كان هذا السند مرضياً للمصنف فهو لم يكن مرضياً لائمة الحديث قبله

الاقل للامام فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

وجبل رضوى بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسرى و  
 جبل جبينة في عمل ينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة على سبع مراحل  
 ميامنه طريق المدينة ومياسره طريق البرلمن كان مصعبا الى مكة وهو على ليلتين  
 الى البحر وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي الخبيث المشهور يدعو الى امامه محمد بن  
 الحنفية رضي الله عنه وعن أبيه علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا  
 هو المهدي قال الجوهري في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور واقتصر عليه في  
 القاموس أيضا وقال غيرهما كيسان مولى علي رضوان الله عليه وقيل ان كيسان  
 تلميذ علي وهؤلاء الكيسانية أحد فرق الضلال كما مر في تعداد الفرق فعلى عقولهم  
 الدمار وعلى أفهامهم البوار ما أضل علوهم وأبلد فهمهم وبالله التوفيق

(تمة) جاء عن ابن سيرين ان المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كاد يفضل الانبياء  
 وجاء عنه أيضا لا يفضل عليه أبو بكر وعمر وهو وان كان أخف من الاول فليس  
 بصحيح فان الامة مجتمعة على أفضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة  
 خذلهم الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي  
 ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الامر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام  
 ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي  
 على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الامر اليه ثم يموت المهدي  
 ويصلي عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس بمقتضى ما امر يعلم قدرسته  
 لأنه يخرج ويباع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين سنة وتقدم الخلاف في  
 مدة ملكه والله تعالى أعلم

(خاتمة) أخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث قوما  
 فقال المهديون ثلاثة مهدي الى الخير عمر بن عبد العزيز ومهدي الدم وهو الذي  
 يسكن على يديه الدماء ومهدي الدين عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج  
 أيضا عن كعب قال مهدي الخير بعد السفيناني وأخرج أيضا عن ارطاة قال بلغني  
 أن المهدي يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مشقوب

الاذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتلاً بالسلاح ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مهدي حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى بن مريم وتقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد بن الحسين انه قال قد تواترت الاحاديث واستفاضت بكثرة رواها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وانه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً وانه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال بباب لد بارض فلسطين وانه يوم هذه الامة وعيسى يصلى خلفه يعني صلاة واحدة وهي الفجر كما مر وبالله التوفيق

### ﴿ العلامة الثانية خروج الدجال وما يتعلق به ﴾

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال ونبوع الفتن والاورجال قد أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها ونعمته بالنعوت الظاهرة ووصفته بالواصف الباهرة وحذر منه المصطفى وانذر ونعمته لأمته نعوتاً لا تخفى على ذي بصر وقد قيل انه صافي ابن صياد او صائد وان مولده المدينة كما في الحديث الوارد وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجزائر أو انه من أولاد شق الكاهن أو هو شق نفسه وان أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها اياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس بصائب وقال كعب الاحبار الدجال تله أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً « يتبع الدجال من يهود أصهبان سبعون ألفاً عليهم الطياسة » وفي مستدرک الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً « يخرج الدجال من يهودية أصهبان ثم يخلق له عين والآخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوي في الشمس سمكاو يتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعا أهل المشرق والمغرب » ومن حديثه انه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم أحر وفي رواية أبيض أمهق وفي رواية آدم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري يمكن

أن تكون أدمته صافية وقد يوصف ذلك بالحمرة لأن كثيرا من الآدم قد نحمر وجنتاه جمعد الرأس قشط أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية وفي رواية أعور العين اليسرى وجاء في رواية انه أعور العين مطموسة وليست حجرا وهذا معنى طافئة مهورزة قال في فتح الباري نقلاً عن القاضي عياض الذي روينا عن الأكثر وصححه الجمهور وحزم به الاخفش طافية بغير همز ومعناه انها ناتئة تنوء العنبه قال وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة وانكره بعضهم قال ولا وجه لانكاره ثم جمع القاضي بين الروايات بان عينه اليمنى طافية بغير همزة وممسوحة أي ذهب ضوءها وهو معنى حديث أبي داود مطموس العين، ليست بناتئة ولا حجراً أي ليست بعالية ولا عميقة كما في الرواية الأخرى عنه وهي الملاحظة التي كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط وهي الخضراء كما جاء ذلك في الأحاديث قال وعلى هذا فهو أعور العينين معا فكل واحدة من عينيه عوراء وذلك ان العور العيب والأعور من كل شيء العيب وكنا عيني الدجال معيبة أحدهما بذهاب نورها والأخرى بنتوها وخضرتها قال الامام النووي وهذا في غاية الحسن انتهى وقد ورد ان على عينيه طفرة غليظة وهي لحمه تنبت عند الماق وقيل لحمه تخرج في العين في الجانب الذي على الانف وهما متقاربان قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد ورد في كنا عينيه أن عليهما طفرة وفي بعض الروايات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الامام أحمد جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري وفي حديث أبي رضي الله عنه عند الامام أحمد أيضاً والطبراني أحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء قال والذي يتحصل من مجموع الاخبار ان الصواب في طافية بغير همزة وصرح في حديث عبد الله بن معقل وسمرة وأبي بكر رضي الله عنهم بأن عينه اليسرى ممسوحة والطافية غير الممسوحة واما الطفرة فجوزان يكون في كل من عينيه لانه لا ينافي الطمس ولا التتو أو تكون التي ذهب ضوءها هي المطموسة يعني اليسرى والمعيبة مع بقاء حدقتها هي البارزة انتهى ومن أوصاف الدجال انه قصير أفحج كما في سنن أبي داود وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان «المسيح الدجال قصير أفحج جمعد أعور مطموس العين أي متباعدا بين

الساقين وقيل هو التذاتي ما بين صدور القدمين مع تباعدهما وقيل هو الذي في  
 رجليه اعوجاج، جفال الشعر بضم الجيم وتخفيف الفاء أي كثيره هجان بكسر اوله  
 وتخفيف الجيم أبيض أقر أي شديد البياض ضخم فيلاني بفتح الناء وسكون  
 التحتية أي عظيم الجثة قال ابن الاثير في نهايته في صفة الدجال أقر فيل وفي رواية فيلانيا  
 الفيل العظيم الجثة والفيل الامر العظيم والياء زائدة والفيلاني منسوب اليه بزيادة  
 الألف والنون للمبالغة انتهى، كأن رأسه أغصان شجرة أي شعر رأسه كثير متفرق  
 قائم وفي رواية ان رأسه من ورائه حبك أي شعر منكس من الجعود كلما الساكن  
 والرمل اذا هبت عليها الريح قال في النهاية وهذا معنى ما مر انه جمع ققط مكتوب  
 بين عينيه ك ف ر حر وفا مقطعة يقرأها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرأها  
 الكافر لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تنبئة أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة  
 وسبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذوسيف محلي ومن صفاته  
 أيضاً انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة  
 فراضية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين وقال في النهاية وفي حديث الدجال وان  
 أمه كانت فراضية أي ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فراضخ وامرأة فراضخة  
 والياء للمبالغة له أي الدجال حمار اهلبل وهو المشعر الغليظ يعني كثير الشعر ما بين أذنيه  
 أربعون ذراعاً يضع خطوه عند منتهى طرفه وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضي الله  
 عنهم يخرج الدجال على حمار رحس رواه ابن أبي شيبه وقال علي رضي الله عنه يخرج  
 الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحماكة زعم بعضهم ان الحماكة اسم موضع على مقدمته  
 أشعراي رجل كثير الشعر يقول بدو بدو وهذا لفظ فارسي معناه أسرع أسرع وفي  
 مسند أبي بكر بن أبي شيبه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدجال عريض المنخر فيه  
 رفاء أي انحناء وفي صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر  
 من الدجال » وفي رواية أمر أكبر من الدجال

واعلم ان العلما قد اختلفوا في الدجال فقيل انه ليس بانسان وإنما هو شيطان موثق  
 بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو



غيره فاذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة واذا أبرزته اتان عرض ما بين اذنيها  
أربعون ذراعاً فيضع على ظهرها منبراً من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون  
اليه بخزائن الارض وأول خروجه يدعي الايمان والصلاح ويدعو الى الدين  
فيتبع و يظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويحب على  
ذلك ثم يدعي الالهية فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع اذناه ويكتب بين عينيه  
كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من  
الايمان هكذا رواه الطبراني وقال كعب الاحبار يتوجه الدجال فينزل عند باب  
دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه  
التي عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدري أين توجه ثم يظهر بالشرق فيعطى الخلافة  
ثم يظهر السحر ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه يعني المسلمين فيأتي النهر  
فيأمره ان يسيل فيسيل ثم يأمره ان يرجع فيرجع ثم يأمره ان يبس فيبس الحديث رواه  
نعيم بن حماد ويبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تر يد فيقول  
لهم نعم اذهبوا للناس فتولوا انار بهم فيبشهم في الآفاق ويدعي الالهية ويخرج  
من أرض المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها وقيل انه  
يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم وقيل من كوثا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود  
والنساء والاعراب وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن  
أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يتبع الدجال من يهود أصبهان  
سبعون ألفاً عليهم الطيالة » وفي الطبراني يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق  
معه قومه وجوهمهم كالحجبان فيفتن الناس به فتنة عظيمة ففي الحديث ما كانت  
ولان تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال وما من نبي الا وحذر قومه  
الدجال الحديث رواه الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً وفي الحديث ان قبل  
خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والسنة  
الثانية تمسك ثلثي قطرها والارض ثلث نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها  
ويهلك كل ذي ضرر وظائف ويسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار  
وماء وأحدهما فيه دخان فيقول هذه الجنة وهذه النار رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً

وعن حذيفة ان معه جنة ونارا ورجالا يقتلهم ثم يحببهم ومعه جبل ثر يدنوهر ماء  
وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار»  
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران  
يخرجان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تاجح فأما ان  
أدرك ذلك أحد منكم فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم يبطأ في رأسه فيشرب  
فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين عليها طفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر  
يقروه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
في الدجال ان معه ماء ونارا فناره ماء بارد ومأوه نار فلا تهلكوا قال أبو مسعود  
وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل هذه الروايات في صحيح  
مسلم واتفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونارا فأما  
الذي يراه الناس ماء فإر تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن  
أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب قال أبو مسعود  
وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله  
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً  
ما حدته نبي قومه إنه أعور وأنه يحيي معه مثل الجنة والنار فإني يقول أنها الجنة  
هي النار وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه» وأخرج مسلم من حديث النواس  
بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال  
ذات غداة فحفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك  
فينا فقال ما شأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فحفضت فيه ورفعته حتى  
ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخو قتي عليكم إن يخرج وأنا فيكم فإنا  
حجبيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجبيج نفسه والله خليفتي على  
كل مسلم انه شاب قشط عينه طاوية كاني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه  
منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف انه خارج خلعة - أي انه يخرج قصداً وطريقاً

والتخلل الدخول في الشبيء - بين الشام والعراق فعاش يمينا وعاش شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله فما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهرا ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفيننا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراره في الارض قال كما فيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتعطر والارض فتنبت ففروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا واصبغه ضروعا وأمدته خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرج كنوزك فتنبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلا شابا (١) فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل يتהלل وجهه يضحك فيبناها هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجرد ريع نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه الحديث

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخييل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبه في الصحيحين وغيرها انه قال كنت أكر من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لي وما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز قال «هو أهون من ذلك» قال فعنا انه أهون على الله من ان يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العين أبيض الحديث وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده وحملوا قوله هو أهون الخ أي من أن يخاف منه أو ان يضل الله به من يحبه قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعي والتحقيق الاول ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم «فن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه انها نار فانه

(١) كذافي الاصل والصواب ممتلا شابا

عذب بارد» وبما في روايته فالنار روضة خضراء وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال « يأتي وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحبيته أتشكون في الامر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحببه فيقول الرجل حين يحببه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه» وأخرج مسلم عنه أيضا في هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه المسالِح المسالِح الدجال - أي وهو جمع مسلحة قوم معهم سلاح والمسلحة كالثغر والمرقب وهو الذي يكون فيه قوم يرقبون العدو ليلا يهجم عليهم - فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد الى هذا الرجل الذي خرج قال فيقولون له أو مات أو من بر بنا فيقول ما بر بنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول أما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما وفي رواية قم حيا باذني فيعود حيا قال فيقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبجه فيجعل ما بين رقبته الى رقبته نحاس فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انه قذفه الى النار وإنما أتى في الجنة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين قال القرطبي في تذكرته يقال ان هذا الخضر عليه السلام قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت ان الدجال لا يسلط على أحد

بالقتل الاعلى رجل واحد يخرج اليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أتو من بي  
و بألوهيتي فيقول له انك للعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي  
الدجال بجواره بين الشقين ويقول له قم حيا باذني فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك  
أتو من بي فيقول ما ازددت فيك الا يقينا انك للعين قال ابراهيم بن محمد بن  
سفيان يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وقد توهم القرطبي فرعم ان  
القائل ذلك ابراهيم أبو اسحق السبيعي وليس كذلك وقال بعضهم ان الرجل  
المذكور من أصحاب الكهف وقد مر انهم يكونون من أصحاب المهدي

فان قلت كيف يقال انه لا يسلط الاعلى واحد مع ماورد عن حذيفة رضي  
الله عنه ان مع الدجال رجالا يقتلهم ثم يحييهم فالجواب ان هؤلاء الرجال انما هم  
شياطين وقتله اياهم واحياؤه لهم انما هو في رأي العين لاعلى الحقيقة واما قتل  
ذلك الرجل فعلى الحقيقة

(فائدة) ورد انه لم يبق من الناس بلافتنة من الدجال الا اثنا عشر ألف رجل  
وسبعة آلاف امرأة والله المستعان واخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن  
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال فيأتي  
فيملك أربعين لادري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله  
عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه » الحديث

(و) منها أي من علامات الساعة العظيمة العلامة الثالثة ان ينزل من السماء السيد  
(المسيح) عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما  
الكتاب فقوله (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أي ليؤمنن بعيسى  
قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة  
ملة ابراهيم حنيفا مسلما ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وان الضمير  
في قوله قبل موته ليهود ويؤيده قراءة أبي رضي الله عنه قبل موتهم. واما السنة ففي  
الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم «والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر

الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية» الحديث وفي مسلم عنه «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب» بنحوه واخرج مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي يقفون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم يقال صل بنا فيقول إلا أن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة مما لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشرية مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه واتباعه كسائر أصحاب المهدي حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي كما مر وتقدم أن عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم إليه تابوت بني إسرائيل وكل ما معه من آلات الأمر

### ﴿ فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام ﴾

(الأولى) في حليته وسيرته أما حليته فمئند البخاري من حديث عقيل بن خالد أنه أحمر أجعد عريض الصدر وفي روايته آدم كاحسن ما أنت راء من آدم الرجال سبط ينظف بكسر الطاء المهملة أي يقطر زاد في روايته له لمسة أي بكسر اللام وتشديد الميم أحسن ما أنت راء من اللهم قد رجليها بتشديد الجيم أي سرحها وفي رواية لفته بين منكيه رجل الشعر يتطر رأسه ماءً وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مر فوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مر بوع الخلق إلى الحجرة والبياض سبط الرأس زاد في حديث أبي هريرة بنحوه كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ولا منافاة بين الحجرة والأدمة لجواز أن تكون أدمة صافية كما مر لا يجد ربح نفسه كافرًا لآيات

وأما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل القرد ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ويرفع الشحنا والتباغض وينزع

الله سم كل ذى سم حتى تلعب الأ ولاد بالحيات والمعقارب فلا تضرهم ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها ويملا الأرض سلماً وينعدم القتال وتنتب الأرض نبتها كهسد آدم حتى يجتمع الفسر على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لان الأرض ترحث كلها ويكون مقرراً لشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه رسول لهذه الأمة كما مرو ويكون قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل ان ينزل وزعم بعض العلماء ان بنزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يرفع التكليف وهذا مردود للاخبار الواردة انه يكون مقرراً لأحكام هذه الشريعة ومجددا لها اذ هي آخر الشرائع ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والدنيا لا تبقى بلا تكليف فان بقاء الدنيا انما يكون بمقتضى التكليف الى ان لا يقال في الأرض الله الله ذكره القرطبي في تذكرته وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم وتسلب قريش ملكها قال الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان» قال البرزنجي في الاشاعة وبدل لهذا حديث جابر عند مسلم «فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لان بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» وعلى هذا فلا منافاة ان يكون المهدي أميراً حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتمين به

فإن قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قريش مع مشاهدتنا انفصال قريش عن الملك منذ أزمان فالجواب استحقاها لهذا الامر وان ظلمها ظالم واما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وربما ان يكون بقاء الامر في قريش ولو مراجعة ولا شك ان قريش ايراجعون على ان ملوك زماننا يزعمون أنهم انما يتملكون بالنيابة عن قريش ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبني هاشم استقلالاً بالامر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها.

ثم انه لا يخفى انه لا يحسن ان يقال ان الامر في أيام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولا من أولي العزم معصوما والمهدي رجل مجتهد نعم يكون المهدي

من خواص السيد عيسى بل وزيره واقرب لديه يراجمه في الامور وتصدر عنه الشورى وبالله التوفيق

### ﴿ القائده الثانية ﴾

في وقت نزوله من السماء ومحلّه وما يجري على يديه من الملاحم  
 اما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا كفيه على أجنحة  
 ملكين ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمرعان رضي الله عنه أنه صلى  
 الله عليه وسلم قال « فيبينا هو أي الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه  
 السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على  
 أجنحة ملكين اذا طأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كالؤلؤ فلا يحل لكافر  
 يحد ريمه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه » قوله مهرودتين قال في جامع الاصول  
 رويت هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال للثوب اذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء لونه  
 مثل زهرة الحوزانة فذلك الثوب مهرود وقيل أراد بالمهرود الثوب المصبوغ بالهرود وهو  
 صبغ أصفر قيل انه الكرم وقيل أراد في شقتين من الهرود وهو القطن انتهى  
 وقال في النهاية في حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهرودتين أي في شقتين أو  
 حلتين وقيل الثوب المهرود الثوب الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجى لونه  
 مثل لون زهرة الحوزانه قال القتيبي هو خطأ من النقلة وأراه مهرودتين أي صفراوين  
 يقال هربت العمامة اذ لبستها صفراء وكان فعلت منه هروت فان كان محفوظا بالبدال  
 فهو من الهرود الشق وخطى ابن قتيبة في استدرাকে واشتقاقه قل ابن الانباري  
 القول عندنا في الحديث بين مهرودتين يروى بالبدال والذال أي بين ممصرتين على  
 ما جاء في الحديث ولم نسمعه الا فيه وكذلك أشياء لم نسمع الا في الحديث والممصرة  
 من الثياب التي فيها صفر خفيفة وقيل المهرود الثوب الذي يصبغ بالورق  
 والورق يقال لها الهرود وفي حديث ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهرودة  
 جاء تفسيره في الحديث انها العدسة انتهى والجمان حب الفضة

ويكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام است ساعات مضت من النهار



حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقى شي لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقرعون فلا يخرج الاسهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنتهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتي بيان ذلك

### ﴿ الفائدة الثانية في مقدار مدته ووفاته ﴾

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساکر انه صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » وعند الامام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه انه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفونوه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن عساکر وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة اماما عادلا حكيما مقسطا » وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسالاسات » وفي المنتظم للامام الحافظ ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج ويولد له » ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وان أمهما من اليزيد قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر » وعلى هذا روايات أربعين وردت بإلغاء الكسر وورد في روايه انه انما يمكث سبع سنين وجمع بعضهم ان سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وينزل سبعا ف هذه أربعون سنة وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الامام أحمد وغيره « فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة » وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بان ابن مريم

يمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين قال واستمرت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الامام الحافظ البيهقي اعتمد ان مكثه في الارض أربعين سنة معتمدا ما أفاده الامام أحمد في روايته بلفظ ثم يمكث ابن مريم في الارض بعد قتل الدجال أربعين سنة وهذا هو المرجح لان زيادة الثقة يحتاج بها ولائهم يأخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم ولانه مثبت والمثبت مقدم انتهى والى قتل سيدنا عيسى بن مريم للدجال أشار بقوله

﴿ وانه يقتل للدجال بياب لدخول عن جدال ﴾

﴿ وانه ﴾ أي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ﴿ يقتل ﴾ بأمر الله له ومعونته وتأيدته ﴿ للدجال ﴾ أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمي دجالا لانه يقطع الارض ويسير في أكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك وقيل سمي به لتمويهه على الناس وتليسه يقال دجل اذا لبس وموه وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكان الرجل يغطي الحق ويستره

﴿ تنبيه ﴾

انما سمي الدجال مسيحا لان أحد عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا كما في جامع الاصول واما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقول مسيح زكريا عليه السلام اياه وقيل لانه كان يمسخ ذا المعاهة فيبرأ وقيل لانه كان يمسخ الارض أي يقطعها في سياحته وقيل المسيح الصديق فسيدنا عيسى مسيح الهدى واما الدجال فمسيح الضلالة وضبطه فيها بفتح الميم وكسر السين مخففه وبالحاء المهملة وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الازهري فرقا بينه وبين عيسى فيشدد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى قال الغنيمي الشافعي في رسالته « الاجوبة المفيدة على الاستئلة العديدة » ما لفظه قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن ابي عمر ان موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالحاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نطق به

بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الرازي إذا المسيح قتل المسيحاه يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال انتهى وقال في المطلع المسيح اثنان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وإنما اختلف في معناه فقيل سمي مسيحا لمسحه الارض فعيل بمعنى فاعل وذكر نحو ما تقدم وزاد قيل انما سمي مسيحا لانه كان ممسوح القدمين لاختصاصه له وقيل لان الله تعالى مسحه أي خلقه خلقا حسنا وهذا تقدم والمسحة الجمال والحسن وقيل لانه خرج ممسوحا بالدهن قال وأما الدجال فهو مثل عيسى في اللفظ عند عامة أهل المعرفة والرواية وعن أبي مروان بن سراج وغيره كسر الميم وتشديد السين وأنكره الهروي وجعله تصحيفا وقال بعضهم كسرت الميم للتفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام وقال الحاربي بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها في عيسى وكل سواء قال أبو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيح بالحاء المعجمة مسحه الله اذ خلقه خلقا حسنا ومسح الدجال اذ خلقه ملعونا وقال أبو عبيد المسيح الممسوح العين وبه سمي الدجال وقيل المسيح الاعور وبه سمي الدجال وقيل أصله مشيح فيهما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون انتهى وذكر نحوه في النهاية ثم قال في الدجال وقيل إنه الذي مسخ خلقه أي شوه وليس بشيء انتهى

تقدم ان سيدنا عيسى عليه السلام يصلي بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج بمن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والارض تقبض له وما أدرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك حيث ما أدرك بصره حتى يدرك بصره حصونهم وقرىاتهم الى أن يأتي بيت المقدس فيجده مغلقا قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح وفي رواية عند الامام أحمد من حديث جابر مرفوعا فيفر المسلمون يعني من الدجال الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ثم ان الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانيا كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس فاذا صعد عقبة فيق رفع ظلة على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقوامهم من برك حتى اذا طال الحصار قال رجل الى متى هذا الحصار أخرجوا الى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة واما

الفتح فهل أنتم الا بين احدى الحسينين فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله امها  
الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد  
وان قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه  
فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم و بين أظهرهم رجل عليه لامة  
فيقولون من أنت فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اختاروا احدى ثلاث ان يبعث  
الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما أو يخسف بهم الارض أو يرسل عليهم  
سلاحم ويكف سلاحهم فيقولون هذا يارسول الله اشفي لصدورنا فيومئذ ترى  
اليهودي العظيم الطويل الاكول الشراب لا تقبل يده سيفه من الرعب فينزلون  
اليهم فيسلطون عليهم هكذا في هذه الرواية وفي رواية أخرى فيبين امامهم أي  
المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم عليه  
السلام للصبح فيرجع المهدي قهقري ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس  
ويقال له ياروح الله تقدم أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة أذن فيقول  
عليه السلام ليتقدم امامكم فيصلي لكم و يضع عيسى عليه السلام يده بين كفتي  
المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى  
افتح فيفتح ووراء أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم يذوي  
سيف محلي وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا  
فيقول عليه السلام ان لي فيك ضربة لن تسبقي بها فيدركه عند باب لد ولذا  
قال ﴿باب﴾ متعلق بقتل الدجال أي يقتله يباب ﴿لد﴾ بضم اللام فدل مهملة بوزن مد  
بلد مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ الى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها  
فيقتله هناك وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول  
يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى الكذاب الخبيث ويسمعون النداء جاءكم الفوئث  
فيقولون هذا كلام رجل شعبان وتشرق الارض بنور ربها وينزل عيسى بن مريم  
فيقول يا معشر المسلمين احمدا ربكم وسبحوه أي فان التحميد والتسبيح قوتهم  
كما مر فيفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الارض فاذا أتوا  
باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا

الصلاة خوفا منه أي من عيسى و يقول يا نبي الله قد أقيمت الصلاة فيقول عيسى يا عدو الله زعمت انك رب العالمين فلمن تصلي فيضربه بمقرعته وفي رواية بحرבתه التي نزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين ولا منافاة في ذلك اذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام فيقتله رواه الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ولفظه ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر يا أيها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فاذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فاذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب ينبأ كما ينبأ الملح في الماء فيمشي اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا تتركن ممن كان تبعه أحدا الا قتله

وحاصل وجه الجمع بين الروايات ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولا بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتي الى بيت المقدس غوثا للمسلمين ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج اليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة فيقهقر ويقال لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تقهقر فيضع عيسى يده على كتف المهدي ان تقدم ويقول للقائل امامكم فيجيب المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم اذا أصبحوا شرده أصحاب الدجال فتضيق عليهم الارض فيدرهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل الدجال الى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف عدم التخلص ذاب خوفا منه كما يذوب الملح بالماء فادركه قتله أو أن الدجال ينشي صلاة في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهاته بالله كما في الاشاعة ثم قال وهنا وجه آخر وهو اقرب الى التحقيق وهو ان الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل ان يصادف التقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا اشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر

ولي على هذا الجمع استشكل ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله ان الروايات ثابتة ان

نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتعمهم ضيابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضاء والناس ير يدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر فهذا كالصريح ان عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار وفيه أيضاً أن الناس لم يكونوا أحرماً بالفجر بعد بل ير يدون ذلك وأيضاً المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام انما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر فأول صلاة عيسى بالناس الظهر . وربما يجاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتي الظهر والعصر تأخيراً لاشتغاله في طلب الدجال فالأولى التسليم لما ورد على ما ورد والاذعان للاخبار الثابتة فلا تقابل بالمعارضة والرد ولهذا قال ﴿خل﴾ أي أترك وتنج وتفرغ ﴿عن جدال﴾ في ذلك فإنه أمر سمعي أخبر به المعصوم والعقل لا يجيله فوجب اعتقاده والتسليم والانقياد والاذعان لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم

والجدل لغة الألد في الخصومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو جدل ككتف ومجدل ككبر ومجدال كحراب وجدات الحبل أجده جدلاً مثل فتلته أفتله فتلاً أي فتلته فتلاً محكماً والجدلة الأرض يقال طعنه فجدله أي رماه على الأرض ومنه حديث «كنت نبياً وآدم مجندل في طينته» والجدال في اصطلاح النظار والفقهاء قتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وإبطال قول غيره وهو وان كان مأموراً به على وجه الانصاف وإظهار الحق لأنه لا يستغنى عنه لأن به تبين صحة الدليل من فسادة تحريراً وتقريراً وتوضح الأسئلة الواردة من الردودة اجمالاً وتفصيلاً الا ان الغالب فيه انما يكون على وجه الغلبة والخصومة والغضب والمرء وهو يعني المرء استخراج غضب المجادل عن طريق الحق واليه ينصرف النهي عن قيل وقال . قال البر بهاري من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنة ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا يتبع فيها الأهواء بل هي التصديق بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف فلا يقال لم ولا كيف قال الكلام والخصومة

والجدال والمراء يحدث يقدح الشك في القلب وان أصاب صاحبه السنة والحق انتهى مختصراً وروى الامام أحمد والترمذي وصححه عن أبي امامة مرفوعاً «ماض قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل - ثم تلا - ماض بوهلك الاجدلا» وللإمام أحمد عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك المراء وان كان محققاً» والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «لا تمار أخاك» ولأبي داود باسناد حسن عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعاً «انازعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محققاً» وعند ابن ماجه والترمذي وحسنه عن أنس مرفوعاً «من ترك المراء وهو محق بني له بيت في وسط الجنة» وروى أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجدال وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها» والله الموفق

### ﴿تنبيهات﴾

(الاول) اذا قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيء لاشجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة الا قال يا عبد الله هذا يهودي وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله الا العرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبي اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله الا العرقد فانه شجر اليهود» وفي صحيح البخاري نحوه

### ﴿الثاني في قدر لبته في الارض وكيفية النجاة منه﴾

اما قدر لبته في الارض فتقدم في خبر النواس بن سماعيل عن مسلم والترمذي انه يمكن أن يعين يوماً يوماً كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة وسائر أيامه كما يأمركم وفي رواية عند الامام

أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه وفي حديث أبي امامة رضي الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء «ان أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشجرة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الاخر حتى يمسي» وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضي النهار فيكون مضي النهار عندهم كضي الساعة والشهر كالיום والسنة كالشهر ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند الامام أحمد والترمذي في اشراف الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضربة بالنار (١) وذكر بعض العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام أيضاً على قياس ما مر واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث النواس بن سميان رواه الامام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه فهو أقوى لانه أصح وان كان الثاني أيضاً صحيحاً فيقدم عليه ومنهم من مال الى الجمع وطريقه ان أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياماً كما يقال أيام ابن الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وأيام بني أمية ثم ان أول أيام السنة الأولى كسنة وثانيها كسنة وثالثها كجمعة وباقي أيامه كما يمانا ثم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى أن تكون السنة كسنة والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامه بحيث يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الاخر حتى يمسي (٢) فتكون

(١) يقول مصحح الكتاب : يحتمل ان يكون المراد بتقارب الزمان ما حدث في هذا العصر من مراكب البخار والكهرباء في البحر والبر فيكون هذا من اعلام النبوة التي ظهر صدقها (٢) يحتمل أن المراد بهذا أن المدينة تكبر وتتسع حتى يكون مسافة ما بين البابين من الصباح الى المساء ويؤيد هذا أحاديث أخرى وردت في عمران المدينة



السنة الأولى مشتملة على مقدار سنين من سنيننا وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنيننا ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أنه يقول يعني الدجال انارب العالمين وهذه الشمس تجري بأذني افتر يدون ان أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر وكالجمعة ويقول أتر يدون ان أسيرها فيجعل اليوم كالساعة الحديث (١)

وأما كيفية النجاة منه فمعلوم أنه مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم أنه لحسته وعجزه أعور وهو جسم مرى وهذه كلها لا تجوز على الباري وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً وورد عن أبي امامة مرفوعاً من لقيه منكم فليقتل في وجهه رواه الطبراني وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً « من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنه الدجال » قال الترمذي حديث حسن صحيح ومما ينبغي للمؤمن ان يكثر من ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتكبير فإنه قوته

### ﴿ الثالث ﴾

مما ينبغي لكل عالم ان يث أحاديث الدجال بين الاولاد والنساء والرجال وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول سمعت المحاربي يقول ينبغي ان يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب وقد ورد ان من علامات خروجه نسيان ذكره على الناير وقد أخرج الامام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً يخرج الدجال في خفة من الدين وادبار من العلم فينبغي لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذي اشربت فيه القتن وكثرت فيه المحن واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

## ﴿الرابع﴾

اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديما وحديثا في الدجال هل هو صافي  
ابن صياد أو غيره قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري مما يدل على  
ان ابن صياد هو الدجال ما أخرج مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكدر قال  
رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن صياد الدجال فقلت له أتخلف على ذلك  
قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي  
صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه وفي تذكرة القرطبي عن نافع قال  
كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول والله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد  
أخرجه أبو داود واسناده صحيح وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة الا انها  
ليست صريحة ولا نافية ان ابن صياد هو الدجال وقد أخرج الامام أحمد بسند  
صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا يخرج الدجال من يهودية أصبهان  
قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وأما سميت اليهودية لانها  
كانت تختص بسكنى اليهود ولم تنزل كذلك الى زمن أيوب بن زياد أمير مصر  
في زمن المهدي بن منصور العباسي فسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة  
وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد وواقفه في  
الاشاعة وان واقفه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وانه ساكن في يهودية  
أصبهان ففي خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة  
الاولى ثم قال لقيته لقيه أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت مني فعمت عينك ما  
أرى قال لا أدري قال قلت لاندري وهي في رأسك قال ان شاء الله خلقها في عصاك  
هذه قال فنخر كأشد نخر حمار سمعت فزعم بعض أصحابي اني ضربته بعصا كانت  
معي حتى تكسرت وأما أنا فوالله ما شعرت قال وجاء ابن عمر ودخل على أم  
المؤمنين حفصة رضي الله عنها فجدتها فقلت ما تريد اليه اما انه قد قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم «ان أول ما يبعثه على الناس غضب يفضبه» وقد كان أمير  
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرني  
يا رسول الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان

لم يكن هو فلا خير لك في قتله ذكرك في التذكرة وغيره وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما فتحت أصبهان كان بين عسكرينا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكنا نأتيها ونمتار منها فأتيناها يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقا لي منهم فقال ملكنا الذي نستمتع به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فضليت فلما طلعت الشمس اذا الوهيج من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعني اليهودية فلم يهد حتى الساعة قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته و باقي سنده ثقات: وقد أخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وأخرج الترمذي من حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعا «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لها ولد ثم يولد لها أعور أضر شيئا وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه» قال أبو بكر ثم نعت له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو به فقال «أبوه طوال ضرب اللحم كأن انفه منقار وأمه امرأة طويلة اليد» قال أبو بكر فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبيه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيئا وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندها فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله جمجمة فكشفت عن رأسه فقال ما قلنا قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيني ولا ينام قلبي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة وخرجه أبو داود الطيالسي

والحاصل ان كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل بعيد وحديث أبي داود الذي رواه عن جابر ان ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند وراه غيره بسند حسن فهو يضعف خبر انه مات بالمدينة وانهم صلوا عليه لانه أسلم وانهم كشفوا عن وجهه ولا يلتزم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار لان فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة وحاصل كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير

بن نغير وشريح بن عبيد وعمر و الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن كما تقدم قال الحافظ بن حجر وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد وأما ما أخرجه أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال شهد جابر ان الدجال هو ابن صياد قلت فانه قد مات قال وان مات قلت فانه قد أسلم قال وان أسلم قلت فانه قد دخل المدينة قال وان دخل المدينة فان صح ذلك فمهي شهادة على حسب ظنه وما قر في صدره من اعتقاده انه ابن صياد . وأما ما ذكره سيف بن عمر في كتاب الفتوح والردة من انه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا بها وناشبوها القتال أشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون فقالوا يامعشر العرب ان مما عهد الينا علماءنا وأولياؤنا انه لا يفتح السوس الا الدجال أو قوم فيه الدجال فان كان الدجال فيكم ففتحونها والا فلا تعنوا بالحصار قال وصافي ابن صياد يومئذ مع النعمان بن بشير رضي الله عنه في جنده فأتى صافي ابن صياد باب السوس ففتح فذبحه وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وفتحت الابواب ودخل المسلمون فالمصحح خلافة قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وخبر الجساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن صياد أن الدجال هو الذي رآه تميم موثقا بعينه وان ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال تلك المدة التي قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم

### ﴿ الخامس ﴾

في ذكر قصة تميم الداري وحديثه الذي رواه عنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى وعائشة رضي الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس عند الشعبي قال الشعبي ثم لقيت القاسم بن محمد فقال أشهد على عائشة حدثني كما حدثت فاطمة بنت قيس وروي أيضا من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح وأما حديث فاطمة الذي هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح

ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضي الله عنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: الصلاة جامعة: فخرجت الى المسجد فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال «ليلزم كل انسان مصلاه - ثم قال - اتدرون لم جمعتمكم؟» قالوا الله ورسوله اعلم قال «اني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتمكم لان تيمما الداري كان رجلا نصرانيا فجاها وباع وأسلم وانه حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لحم وجماد فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفوا (أي بفتح الهمزة وسكون الراء) فهمزة مضمومة أي لجوا) الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة (وهي بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرهما سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج) قال - فدخلوا الجزيرة فلتيتهم دابة أهلب (أي كثير الشعر غليظه وعند أبي داود) فاذا أنا بامرأة تجر شعرها - وفي رواية مسلم - دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة (وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجس الاخيار وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان هذه هي دابة الارض التي تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتي) قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال فلما سميت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبته الى كعبه بالحد يد قلنا وبلك ما أنت قال قدرتم على خبري فاخبروني ما أنتم قالوا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (أي هاج واضطربت أمواجه) فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لاندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت انا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفرغنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانة



نافية والمراد اثبات أنه من قبل المشرق وفي بعض طرق الحديث عند البيهقي أنه شيخ وسنده صحيح قال البيهقي فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد وإن كان ابن صياد واحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم

### ﴿ السادس ﴾

اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود قالوا يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار قالوا وهو آية من آيات الله قال ويرد الملك إلينا وقد كذبوا في زعمهم بل هو مسيح الضلالة الدجال الكذاب وأما مسيح الهدى فميسى بن مريم عليه السلام والله أعلم

### ﴿ التنبيه السابع ﴾

اعلم ان سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله للدجال يذهب الى المدينة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحج البيت الحرام ويتوفى بالمدينة المنورة فيدفن هناك فقد أخرج الامام أحمد وابن جرير وابن عساكر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويحج الصليب ويجمع الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجتمعهما » وعند مسلم في صحيحه وابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً « ليهلن عيسى بن مريم بفتح الروحاء بالحج أو العمرة أولئنيهما جميعا » قوله بفتح أي طريق والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة قال ابن قراول في المطالع والروحاء من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلا من المدينة وفي مسلم ستة وثلاثين وابن أبي شيبة على ثلاثين واخرج الحاكم وصححه وابن عساكر من حديث أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه « ليهبطن ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا ويسلكن فجاء حاجا أو معتمرا وليأتين قبري حتى يسلم علي ولا ردن عليه » قال أبو هريرة رضي الله عنه أي بني أخي إذا رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام واخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أدرك عيسى منكم فليقرنه مني السلام»  
 وخرج البخاري في تاريخه والطبراني يرفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله  
 وسلم عليها وصاحبه رضي الله عنها فيكون قبره رابعا ويسمى المواهب اللدنية  
 للقسطلاني رحمه الله بقي من البيت موضع قبر يرفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام  
 ويكون قبره الرابع ومر حديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المنتظم قال العلامة  
 الشيخ مرعي في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافي قوله صلى الله  
 عليه وسلم في الحديث المار معي في قبري فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة  
 التقرب اذ هو لقبره كأنه معه أو بتقدير مضاف أي في جانب قبري لينطبق  
 الكلام وينتسق فدل مجموع ما ذكرنا ان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يموت  
 بالمدينة المنورة قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارته النبي صلى الله عليه وسلم  
 واعلم ان الكلام على المهدي والدجال وعيسى بن مريم عليه السلام طويل شهير  
 أفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة واذ كرنا في كتابنا البحور الزاخرة من  
 ذلك طرفا صالحا يعني من أحصاه علما عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله  
 أعلم بالصواب

### ﴿ العلامة الرابعة ﴾

خروج يأجوج وماجوج واليها أشار بقوله

﴿ وأمر يأجوج وماجوج اثبت فانه حق كهدم الكعبة ﴾

﴿ وأمر يأجوج وماجوج ﴾ يهزان ولا يهزان لغتان وقرى بهما فن هزهما  
 جعلها من أجبج النار وهو ضوءها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدهم وقيل  
 من الاجاج وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان اعجميان غير مشتقين قال مقاتل هم  
 من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقال الضحاك هم من الترك وقال كعب احتلم آدم  
 عليه السلام فاختلف ماؤه بالتراب فأسف خلقوا من ذلك وفيه نظر لان الانبياء  
 لا يحتلمون على ان ائمة الزائم لا يتوقف على الحلم الذي يقتضي أن يترأى له في منامه  
 ما يكون سببا لنزاله كما لا يخفى وقد روي الطبراني من حديث حذيفة رضي الله



عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يأجوج أمة لها أربعائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده» قال أهل التار يخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والمعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال الكسائي في العرائس ان يافث سار الى المشرق فولد له هناك جوهر ونبرش وشار واسقويل ومياشع وهي اسماء أعجمية فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم ومن مياشع جميع أصناف المعجم ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم قال ابن عباس رضي الله عنهما عشرة اجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا وأخسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف باحدى أذنيه ويفرش الاخرى وقال علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة فلهذا قال **﴿أثبت﴾** أي اعتقد ثبوته

أما الكتاب فقوله تعالى ( حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ) وأما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله تعالى يوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فخرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ومحصرن عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار» الحديث وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن ابن ٧» الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد قلت وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسد

الفغاري في لفظه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال «انها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ورواه من وجه آخر وكفى حذيفة بأبي سريحة وقال فيه ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وفي خبر علي رضي الله عنه لهم مخالب وأنياب السباع وتداعي الحمام ونسافد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام أحداها وبرة يشتون فيها والآخرة جلدة يصيفون فيها

سئل الامام النووي هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وم ثبت انه يعيش كل واحد منهم فأجاب هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل أنهم من آدم دون حواء قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عند جماهير العلماء قال النووي فيكونون اخوتنا من الأب قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن كعب الاحبار وورده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعاً والا فآين كانوا حين الطوفان ولم يثبت في قدر اعمارهم شيء انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال «جزت ليلة اسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» فلانص القرآني والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكرنا وما لم نذكر قال **﴿فانه﴾** أي أمر يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس **﴿حق﴾** ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحمله عقل فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الأباداود من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعاً مجرماً وجهه يقول «لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الابهام والتي تليها قالت قلت يا رسول الله انهلك وفينا

الصالحون؟ قال «نعم اذا كثرت الخبث» اشارة بذلك الى ان الذي فتحوا من السد قليلا وهم مع ذلك لم يلبثهم الله تعالى ان يقولوا عند نقبه وحفره غدا نفتحها ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا وقد روى عبد الرزاق عن أبي قتادة قال يأجوج وماجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الترك فبقوا دون السد وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من أثر قوي: الترك سرية من سرايا يأجوج وماجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا عنه وسئل علي رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سياره ليس لهم أصل هم من يأجوج وماجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سياره في الارض رواه ابن المنذر وأخرج الامام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا «انكم لتقولون لا عدو وانكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج وماجوج عرض الوجوه صفار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة» قوله صهب الشعور اي شعرهم بين الحمار والسواد وقال الزهري يأجوج وماجوج ثلاث أم منسك وتاويل وتأريس وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد ابن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن يأجوج وماجوج من ذرية آدم ورواه ثلاث أم تاويل وتأريس ومنسك وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه وفي حديث حذيفة لا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه وذكر بعضهم في صفتهم ان فيهم من له قرن وذنب وانياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه ان يأجوج وماجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية وعند النسائي من رواية عمر بن أوس عن أبيه رضي الله عنه رفعه ان يأجوج وماجوج يجامعون ماشاوا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه أن يأجوج وماجوج لهم نساء يجامعون ماشاوا وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو انه قال الحن والانس عشرة اجزاء قسمت اجزاء. يأجوج وماجوج وجزء سائر الناس وقل مكحول الارض

مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج وهي أمتان كل أمة اربعمائة ألف أمة  
لا تشبه الامة الاخرى وعند أبي الشيخ عن أبي امامة الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج  
ومأجوج ستة والباقي أقليم واحد وقال خالد الاشج ان بني آدم وبني ابليس ثلاثة  
اثلاث فثلاثان بنو ابليس وثلاث بنو آدم وثلاث آدم ثلاثة اثلاث ثلاث ثلثان يأجوج  
ومأجوج وثلاث سائر الناس والناس بمذلك ثلاثة اثلاث ثلاث الاندلس وثلاث الحبشة  
وثلاث سائر الناس العرب والعجم وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر  
رضي الله عنهما ان الله تعالى جزأ الملائكة والجن والانس عشرة اجزاء تسعة منهم  
الكرويون والذين يسبحون الليل والنهار لا يفكرون وجزء الانس والجن عشرة  
اجزاء فتسعة من الجن لا يولد من الانس ولد الا ولد من الجن تسعة وجزء الانس  
عشرة فتسعة منه يأجوج ومأجوج الحديث

﴿تمت في سبب خروجهم وفسادهم واهلاكهم﴾

اعلم أولا ان الاسكندر بنى الردم الذي سد به على يأجوج ومأجوج كما  
ذكر الله تعالى ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه (قالوا يا اذا القرنين ان يأجوج  
ومأجوج وفسدون في الارض) بالقتل والتخويف واهلاك الزرع وفصل الخبيث  
(فهل نجعل لك خرجا) أي جعلنا نخرجه لك من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي وخلف  
(خرجا) بفتح الراء وألف بعدها وهو المال المضروب على الارض يؤدي في كل  
عام (على ان نجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون البنا (قال) ذو القرنين  
(مامكني فيهربي) من القوة والعلم وطلب ثوابه والمال وتفوذ المقال (خير) أي أفضل  
ما تعطونني أنتم (فأعينوني بقوة) أي آلة اتقوى بها وفعل منكم (اجعل بينكم وبينهم  
ردما) هو أكبر وأعظم من السد فجاءوه بذلك فحفر ما بين الصدفين يعني الناحيتين  
من الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان حتى بلغوا الماء ثم قال (آتوني زبر الحديد)  
أي القطع التي أعدها لذلك فجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان  
من زبر الحديد بعضها فوق بعض وجعل بينهما الحطب والفحم (حتى اذا ساوى بين  
الصدفين قال انفخوا) فنفخوا النار (حتى اذا جعله) أي الحديد (نارا) أي كالنار (قال  
آتوني أفرغ عليه قطرا) أي أصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب

وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد والنحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطول الجبلين اللذين بني بينهما مائة فرسخ (فما استطاعوا ان يظهروه) أي يعلوه من فوقه لملاسته ورفعته (وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال (هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا. وكان وعد ربي حقا) وقد روى البزار من حديث يوسف بن مریم الخنفي قال بينا أنا قاعد مع أبي بكرة رضي الله عنه اذ جاء رجل فسلم عليه فقال أما تعرفني فقال له أبو بكرة أنت هو قال نعم فقال اجلس حدثنا فقال انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بينا فاستلقيت على ظهري وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم اسمع مثله فرعبت فقال لي رب البيت لا تدعرن فان هذا لا يضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك ان تراه قلت نعم قال فغدوت فاذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة واذا كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر الى رجل قد أتى الردم فلينظر الى هذا» قال أبو بكرة صدقت وذكر أهل التاريخ ان الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبلان متقابلان املسان كالحائظ يزلق عنهما كل شيء لا يرتقى فيهما لعلوهما وملاستهما فأمر الاسكندر الصناع فضربوا بين الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها شبر وقد ذكر سلام الترمذاني قال بعثني الواثق العباسي الى السد وضم الي خمسة رجلا وأعطانا مالا فإماز لنا نتقل في البلاد وتبعث الملوك معنا الادلة الى ان صرنا الى أرض سوداء منتنة الريح فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا الى معدن خراب فسرنا فيها سبعا وعشرين يوما وهي التي كانت يأجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا الى حصون بالتراب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن فسألونا من أين أقبانهم قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا ماسمعنا بهذا قط ثم صرنا الى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصرعان مفلقان عرض كل مصرع خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين في ثخن خمسة أذرع وقامتاهما في دواراة على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع

القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وقفيز وعلى العلق مفتاح معاق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيضربون القفل بتلك المزربات مرات ليس هو الصوت فيعلموا ان هناك حفظة

وقد أخرج الامام أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا فيعيد الله أشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس» قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح قال ابن العربي في هذا الحديث ثلاث آيات الاولى ان الله تعالى منعهم ان يوالوا الحفر ليلا ونهارا الثانية منعهم ان يخالوا الرقي على السد بنحو السلم والآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد ان لهم أشجارا وزروعاً الثالثة ان صدم ان يقولوا ان شاء الله حتى محيى الوقت المحدود. قلت وأخل بالآية الرابعة وهي أعظامها وهي عود السد بعد الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى أشد ما كان الى ان يبلغ الكتاب أجله وقد يقال ان فيهم من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته ومشيئته ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالي من غير ان يعرف معناها فيحصل المقصود به كتبها ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبي هريرة وفيه فاذا جاء الامر ألقى الله على بعض ألسنتهم نأى غدا ان شاء الله فيفرغ منه وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه يغدون فيحيثون عليه فيفتح الحديث وسنده ضعيف والحاصل انه يحتمل ان تلقى كلمة المشيئة على لسان أحدهم وهو أقوى ويحتمل ان يسلم واحد منهم بالهام من الله فيقول ان شاء الله تعالى

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سيمان رضي الله عنه مرفوعا بعد ذكر  
الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتيه يعني عيسى قوم وقد عصمهم الله من  
الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فينما هم كذلك اذ أوحى  
الله الى عيسى ان قد أخرجت عباداً لي لا يدان لآحد بقنا لهم فخرز عبادي الى  
الطور ويعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم  
ثم يسبرون حتى ينتهوا الى جبل الحجر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من  
في الارض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم  
نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى  
فيرسل الله تعالى عليهم النغف بفتح النون والقين المعجمة ففاء وفي رواية دودا  
كالنغف في أعناقهم وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم الواحدة نغفة عن  
الاصمعي وعن أبي عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك من  
الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحوت في بطن  
الارض فيصبحون موتى كموت نفس واحدة معناه قتلى لا يسمع لهم حس فيقول  
المسلمون الارجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا  
نفسه قد وطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي  
يا معشر المسلمين الا بشر وان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مداينهم  
وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى الا لحومهم فتشكرهم بفتح الكاف  
أي تسمن أحسن ما شكرت عن شيء وحتى ان دواب البحر تسمن وتشكر شكرام لحومهم  
ودمائهم ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الارض فلا يجدون في  
الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم وتنهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس  
بنشهم أشد من حياتهم فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحا بمانية غرباء فصير على  
الناس غما ودخانا ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت  
الارض جيفهم في البحر ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى  
الله فيرسل الله تعالى طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم  
يرسل الله مطرا لا يكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة

ثم يقال للارض أنتبي ثمرك ورددي بركتك فيومئذ تأكل العصاة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرّسل يعنى اللبن حتى ان الفحة من الابل لتكفي الغنم من الناس أي الجماعة منهم والفحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس والفحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس الحديث وفي رواية فيرسل طيرا كاعناق البخت فتحملهم فترميهم الى البحر وفي رواية في النار ووقد المسلمون من قسي بأجوج ومأجوج ونشابههم وأرستهم سبع سنين . قوله في الحديث كالزلفه يروى بالفاء وبالقاف قال القاضي عياض في مشارق الأنوار ضبطناه بالوجهين عن متقي شيوخنا وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرأة وقاله ثعلب وأبو زيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الخضراء وقيل الصحفة وتفسير ابن عباس رضي الله عنها أظهر وبالله التوفيق قال النواس بن سميان رضي الله عنه كما في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فينما عم يعني عيسى بن مريم وأصحابه كذلك أي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتبص روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهارج الحمر فعليهم نقوم الساعة والله أعلم

### ﴿ العلامة الخامسة ﴾

من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة والقبلة المعظمة واليهما أشار بقوله ﴿ك﴾ ما ان أمر بأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع ﴿هدم الكعبة﴾ المعظمة والقبلة المكربة وسلب حليها واخراج كنزها لما اخرج البخاري ومسلم والذسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفي لفظ ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله» وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وزاد «ويسلبها حليها وبجردها من كسوتها فلنكأني انظر اليه أصبغ أفيدع بضرب عليها بمسحاته أو معوله» وأخرج الازرقعي عنه «يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي الى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده اني لكأني انظر الى صفته في كتاب الله تعالى افحيح أصبغ أفيدع قائما يهدمها بمسحاته



أومعوله» وفي الصحيحين كأنه به أسود أفحج بهدمها حجرا حجرا أي وبتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعا «كأنني انظر الى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفضس الانف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر» الحديث قوله ذو السويقتين أي صاحبهما وهما تصغير ساقين أي دقيق الساقين وقوله أصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والافيدع تصغير أفدع وهو من في يده اعوجاج وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشي على ظهر القدم أو ارتفاع أخص القدم حتى لو وطئ الأفدع عصفورا ما آذاه أو هو عوج في المفاصل لأنها قد زالت عن موضعها وأكثر ما يكون في الارساع خلقة وجاء في بعض روايات الحديث أصعل أي صغير الرأس وفي بعضها أصمع أي صغير الاذنين وقيل كبير الاذن والافيحج تصغير أفحج المتباعد الفخذين وأخرج الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يبايع الرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت الا أهله فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم نجى الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزهم رواه بهذا اللفظ أيضا الأزرق في تاريخ مكة والحاكم وصححه

فان قلت قد وردتقدم ان المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وفي هذا الحديث ان ذا السويقتين هو الذي يخرج كنزها ولعمري انه لسؤال وارد واستشكل مضاف ولم أر من تقدمني من تقب عن هذا السؤال وفيه خاض ولا من أجاب هذا السؤال ولا من تعرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب أن المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع في خزانة الكعبة في مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى الى ان يخر بها ذو السويقتين مال كثير سجا مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدي كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزه وترك باقيه وأتمه أعلم

فان قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم ينافي قوله تعالى

(أولم يروا أنا جملنا حرمنا آمنة) الآية (ومن رد فيه بالحاد بظلم الآية وقد سماه سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يساط عليه الحبشة وهو قبله المسلمين وهم جيرانه (فالجواب) ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو ان يقال قد أشار النبي صلى الله عليه وسلم للجواب في الحديث بقوله وان يستحل هذا البيت الا أهله ففي زمن الفيل ما كانوا قد استحلوه فمنعه منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه الا بعد استحلال أهله له مرارا وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى وقلعوا الحجر وقتلوه بللادهم فلما وقع استحلاله من أهله مرارا مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على أنه ليس في الآية استمرار الا من المذكور فيه انتهى ملخصا (قلت) والذي يظهر لي ان هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالامن ورد باضمحلال هذا العالم ودماره فاشعر ان الا من مفيا الى غاية أشار الشارع اليها فوجب تصديق الامر بن كل واحد زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبأنه التوفيق

فان قلت هل هدم الكعبة من ذي السويقتين المذكور زمن سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام او بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى في الارض أحد يقول الله (فالجواب) ان هذا مما اختلف فيه العلماء فمن كذب الاحبار انه زمن عيسى عليه السلام وقيل زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج فيخرج الناس ويعتصرون كما ثبت ذلك وان عيسى عليه السلام يخرج أو يعتصم أو يجمع بينهما كما تقدم فالظاهر ان هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من ايمان وذكر الحافظ ابن حجر انه وجد في كتاب التيجان لابن هشام ان عمر بن عامر كان ملكا منوجا وكان كاهنا معمرا وانه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزقيما لما حضرته الوفاة ان بلادكم ستخرب وان لله في أهل اليمن سخطين ورحمتين فالسخطة الاولى هدم سد مارب وخراب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة على اليمن والرحمة الاولى بعثة نبي من نهماء اسمه محمد يرسل بالرحمة ويقلب أهل الشرك والثانية اذا خرب بيت الله يعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه

ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا ايمان الا بأرض اليمن قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه واعترضه البرزنجي في الاشاعة بأن ليس فيما ذكر ما يقتضي ان ذلك هو القحطاني ولم لا يجوز ان يكون شعيب بن صالح هو التميمي القادم بالرايات السود الى المهدي وانه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريخ ويؤيده كونه لقبه المنصور وبتقدير ان يكون هو إياه فجاز ان يكون قبل خلافته ويكون في من أرسله عيسى عليه السلام أميراً عليهم فانه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة ما بين الثمانية الى التسعة فيكون هو أميرهم وليس في كونه رحمة لاهل اليمن ما يقتضي انه منهم ويكفي من كونه رحمة لهم انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى ايمان الا في أرض اليمن ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة يمانية ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الايمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ولا يتافي ما ذكر حديث « آخر ما يوجد الايمان في المدينة » لانها من اليمن والله أعلم

وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الارض من يقول الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله والذي تقتضيه الحكمة فان البيت قبلة الاسلام والحج اليه أحد اركان الدين ومبانيه فالحكمة تقتضي بقاءه بقاء الدين فاذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرفع القرآن قال العلامة الشيخ مرعي في بيجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ماشاء الله تعالى في الحصب والدعة بعد هلاك أجوج وه أجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قل ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لانعمر بعدها أبدا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعبائة . فبين ان هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله أعلم

## ﴿ فوائد ﴾

(احداها) تقدم ان عمران بيت المقدس خراب يثرب رواه أبو داود من حديث معاذ مرفوعا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال «سبيلك البناء سلعا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الاثر» وأخرج الامام أحمد نحوه باسناد حسن وفي الصحيحين «لتتركن المدينة على خير ما كانت مذلة ثمارها لا يغشاها الا العواقي الطير والسباع» الحديث وسبب خرابها والله أعلم ان خيار أهلها يخرجون مع المهدي الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمنافقيها وترميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخلصون فيها جرون الى بيت المقدس عند امامهم وقد ورد ستسكون هجرة وخيار الناس يومئذ أزمهم مهاجر ابراهيم ومن بقي منهم تقبض روحه الريح الطيبة وقد روى المجاني في أخبار المدينة عن جابر مرفوعا «ليعودن هذا الأمر الى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون ايمان الابها» وأخرج النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعا «آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة» ورواه الترمذي نحوه وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بلفظ «آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة» وصح «ان الدين ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى حجرها» فظاهر هذه الاخبار التعارض ووجه الجمع ان الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحشر ويدخل الى المدينة حينئذ لانهم المؤمنون السكاملون التابعون للخليفة الحق ثم انها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون لانهم انما يؤمنون بعسد نزول عيسى عليه السلام وكذلك مكة تقذف بمنافقيها الى الدجال أيضا وقد قيل ان الريح الطيبة تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل ان تصل المدينة أو من اليمن فكذلك أو من كليهما كما جمع به والامر ظاهر فيصدق انه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة فبمجرد موتهم تخرب المدينة لانه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار اليه في الاشاعة وهو حسن وبالله التوفيق

﴿ الثانية ﴾

(في ذكر خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وهو لا بعد موت المهدي)  
 أخرج أبو الشيخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «ينزل عيسى بن  
 مريم عليه السلام فيقتل الدجال ويموت فيستخلفون يعني بعد وفاة سيدنا عيسى  
 عليه السلام بأمره رجلاً من بني تميم يقال له المقعد فإذا مات المقعد لم يأت على  
 الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ويبدأ النقص ليوافق  
 ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام» والظاهر والله أعلم  
 أن هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد الأمراء والوزراء للمهدي  
 بل هو أحد المهديين والظاهر أنه بقي أميراً في نواحي الشرق ثم استدعيه عيسى  
 عليه السلام بعد وفاة المهدي عند خروج ذي السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم  
 ويسببهم حتى يباع الحبشي بالعبادة ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصي له بالامر لما يرى  
 فيه من الكفاءة لذلك والقيام بأعباء الدين ولم أر هذا التحرير لغيري فإن لم يكن هو  
 شعيب بن صالح والافوه أحد الأمراء الذين كان يلقي عليهم أعباء الامر والذي  
 يلي إمارة الشرق من بعد شعيب ان كان هو قد مات ويكون هذا يلقب بالمقعد  
 وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا تذهب الايام  
 والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه» وأخرج البخاري ومسلم وغيرها  
 عنه مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الاسباب بعصاه» وأخرج  
 الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساکر عن قيس ابن جابر  
 عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ستكون من بعدي خلفاء ومن  
 بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج من أهل بيتي المهدي  
 يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يومر القحطاني فولاذي بعثني بالحق ما هو  
 دونه» وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغني ان المهدي يملك أربعة  
 عشر سنة بيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور  
 يعني القحطاني يملك بيت المقدس احدى وعشرين سنة قلت هذا الايلتم ان يكون هو  
 شعيب بن صالح التميمي لان بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وان واقفه

في تلقيه بالمنصور ثم يقتل هذا القمحاقي ثم يملك المولى يعني الجاهل ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وهذا المهدي غير الأول وكأنه لقب بذلك لحسن سيرته وصفاء سريرته والحاصل ان الواجب اعتقاده من ذلك ما دللت عليه الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم في زمنه ويصلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي واما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء والذين من بعده فأمرأ صالحون لكن ليسوا مثله فهو آخرهم في الوجود وامامهم وخيرهم وافضلهم في الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فإنه رسول كريم من أولى العزم وهو آية وعلامة وحده فيجب الايمان بزوله ويجب الايمان أيضا بخروج الدجال الامين وان سيدنا عيسى عليه السلام يقبله بياب لد عند بئر الزئبق ويجب الايمان أيضا بخروج يأجوج ومأجوج و بان الكعبة يهدمها ذو السوء يقين في آخر الزمان والله تعالى المستعان

### ﴿ الثالثة ﴾

جاء في الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم قال «حجوا قبل ان لا تحجوا فالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالامس» وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا «حجوا قبل ان لا تحجوا فكأنني أنظر الى حبشي أصمع أفدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا» قوله أفدع هو بقاء ودال مهملة بوزن أفعل بمشي على ظهور قدميه وتقدم ان الاصع بالصاد المهملة صغير الأذن وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «حجوا قبل ان لا تحجوا تقعد اعرابها على أذنان أوديتها فلا يصل الى الحج أحد» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» رواه البزار والطبراني في الكبير وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح الاسناد قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة وروي

أبو القاسم الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «تعجلوا الى الحج - يعني  
الغريضة - فان أحدكم لا يدري ما يعرض له» والله تعالى اعلم

### ﴿العلامة السادسة﴾

من علامات الساعة واشراطها العظمى ما اشار اليه بقوله

### ﴿وان منها آية الدخان﴾

﴿وان منها﴾ أي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق بحجب الايمان به  
﴿آية﴾ أي علامة وأصلها أوبة بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة اليه أووي وقيل  
أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفاً ولوجاءت تامة لكانت اية ومعنى الآي  
من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم  
لم يدعوا وراءهم شيئاً واما في غيره فهي العلامة أي من اشراط الساعة علامة  
﴿الدخان﴾ كرمان وغراب لغتان والجمع أدخنة وداخن ودواخين قال العلماء آية  
الدخان ثابتة بالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى (فارتقب يوم تأتي  
السماء بدخان مبين) قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وزيد بن  
علي رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في اسماع الكفار والمنافقين  
ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد  
وهو آت واما السنة فآخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضي الله عنه قال  
طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننذا كر فقال «مانذا كرون» قالوا الساعة  
يا رسول الله قال «انها ان تقوم حتى تزوا قبلها عشر آيات» فدكر منها الدخان  
ورواه الترمذي وابن ماجه وانه يمكث في الارض أربعين يوماً وفي حديث حذيفة  
بن اليان رضي الله عنه ان من اشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب  
يمكث في الارض أربعين يوماً فاما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام واما الكافر فيكون  
بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره رواه  
الطبراني ورواه البغوي ولفظه قال حذيفة بن اليان رضي الله عنه سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول «أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار

تخرج من قعر عدن أين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا «قال حذيفة  
يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم (تأتي السماء بدخان ميين) يملاً ما بين  
المشرق والمغرب الحديث وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالاعمال ستة طلوع الشمس من  
مغربها والدخان والدجال والدابة أو خاصة أحدكم (١) أو امر العامة» وفي رواية وأمر  
العامة وخو بصة أحدكم

وقيل ان الدخان مر وانه الجوع الذي كان حال ابن أبصار قریش وبين  
السماء ففي الصحيحين والترمذي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن  
مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند  
أبواب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار وتأخذ  
المؤمن منها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان بأبيها الناس اتقوا الله  
من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم فانه أعلم لاحدكم ان  
يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لأسألكم  
عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من  
الناس ادبارا قال «اللهم سبع كسبع يوسف» وفي رواية لما دعا قریشا كذبوه  
واستعصوا عليه فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت  
كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وبنظر أهدرهم الى السماء فبرى  
كهيئة الدخان فاتاه أبوسفیان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم  
وان قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي  
السماء بدخان ميين) الى قوله (انكم عائدون) قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة  
(يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال قال عبد  
الله انما كان هذا لأن قریشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين  
كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء  
فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأزل الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي

(١) قوله أو خاصة أحدكم أي مونه كما في المطالع اه مؤلف



السماء بدخان مبین ۛ يفشى الناس هذا عذاب أليم) قال فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل يارسول الله استسق لمضر فأنها قد هلكت قال لمضر انك لجرى واستسقى لهم فسقوا فنزلت (انكم عائدون) فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يعنى يوم بدر وفي رواية فقبل له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبین) الى قوله (انا منتقمون) وفي رواية الترمذي كقوله ربنا اكشف عنا العذاب فقبل يكشف عذاب الآخرة قد مضى البطشة والزام والدخان والزام يوم بدر وفي البخاري ومسلم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خمس قدمضين الدخان والزام والروم والبطشة والقمر قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر الزيام وفسر بأنه يوم بدر انتهى وكذا البطشة يوم بدر والروم اشارة الى قوله غلبت الروم والقمر اشارة الى قوله اقربت الساعة وانشق القمر قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته كغيره كلام ابن مسعود رضي الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها لما ذهب الجمهور وانما دليهم السنة وكان ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضي الله عنه حين أنكر ذلك مع انه ورد عنه أيضا انه كان يقول هما دخانان مضى واحد والذي بقي بملأ ما بين السماء والارض ولا يجد المؤمن منه الا كالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس والذي أنكره ابن مسعود. وقد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاخرج عبد الزقاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفذ وقد أخرج الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ان ربكم انذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة الحديث وورد ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتضافر هذه الأحاديث يدل على ان لذلك أصلا وقد قبل ان القاصي الذي أنكره ابن مسعود هو حذيفة بن

اليان رضي الله عنه وهذا ليس بشيء فلا ينظر اليه ولا يعول عليه و بالله التوفيق

﴿ العلامة السابعة ﴾

من علامات الساعة واشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور  
ومن السطور واليه الاشارة بقوله

﴿ وانه يذهب بالقرآن ﴾

﴿ وانه ﴾ أي الشأن والأمر ﴿ يذهب ﴾ بضم التحتية مبني لما لم يسم فاعله أي يذهب الله تعالى ﴿ بالقرآن ﴾ العظيم وكلام الله المنزل على النبي الكريم من المصاحف والصدور وهي من أشد معضلات الأمور فاخرج الديلمي من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعا « يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الانسخت » قال في البهجة قرر الائمة انه يرفع أولا من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لاعتجل زمن حتى لا يكون شيء منه محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت احفظ شيئا نسيته لأدري ما هو وفي الحديث « أكتروا من الطواف بالبيت قبل ان يرفع وينسى الناس مكانه وأكتروا تلاوة القرآن من قبل ان يرفع » قيل وكيف يرفع ما في صدور الرجال قال « يسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله الا الله » وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاءه دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يعمل بي. وتقدم في مسألة الكلام على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن السلف من أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وإن معنى واليه يعود ماجاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا يدرس الاسلام حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نكاح ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية الحديث وأخرج السجزي عن

ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن واقرآن وأخرج ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقي والضياع عن حذيفة رضي الله عنه قال يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والمعجوز يقولون أدر كنا أبانا على هذه الكلمة لا إله الا الله فنحن نقولها والله أعلم

﴿ العلامة الثامنة ﴾

من علامات الساعة واشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار اليها بقوله

﴿ طلوع شمس الافق من دبور ﴾

ومنها ﴿ طلوع الشمس الافق ﴾ قال الله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقال (وجعل الشمس سراجا) وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكتب في وجهها اني أنا الله لا إله الا أنا رضائي كلام وغضبي كلام ورحمتي كلام وعذابي كلام وخلق القمر من نور حجابها الذي يليه وكتب في وجهه اني أنا الله لا إله الا أنا صنعت القمر وخلقت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى أي أضل من شئت وأهدي من شئت وكتب في بطنه اني أنا الله لا إله الا خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي ابتلي بهما من شئت من خلقي وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث والقمر على قدر الدنيا وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا في الموضعين وزعم أهل الهندسة ان الشمس أضعاف الارض مائة وستون مرة أو مائتين والافق بالضم وبضمين الناحية والجمع آفاق والافق أيضا مظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله ﴿ من دبور ﴾ فتح الدال المهملة وضم الواو مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لانها تدابر باب الكعبة وتسمى الربيع

التي مهبها من جهة المغرب دبوراً قال النبي صلى الله عليه وسلم «نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور» رواه الامام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفي القاموس الريح تحولت دبوراً وهو ريح يقابل الصبا قال الامام النووي الصبا بفتح الصاد الممثلة مقصوراً هي الريح الشرقية قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) الآية اجمع المفسرون أو جمهورهم على انها طلوع الشمس من مغربها وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة ولبط ولم يهتد لمقصودها الذي عليه المحط وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة ان من لم يكن إيمانه متحققاً اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعه فعل بر من جميع الاعمال لانه فقد الايمان الذي هو الاساس لماعاده من تلك الاعمال فلا ينفعه إيمانه الحادث حينئذ ولا ماصد منه قبل ذلك من الاحسان وعمل البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من مكارم الأخلاق لانها على غير أساس قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) الآية والايمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولاً حتى يكون من باب أسلم على ما سلف من الخير فهو لا ينفعهم لا بانضمام الافعال اللاحقة ولا بانضمام أعمالهم السابقة فقد الاساس الذي هو الايمان وامامنا نحقق اتصافه بالايمان الشرعي من قبل ذلك الوقت واستمر إيمانه الى طلوع الشمس من مغربها فهو لا يخلو إيماناً يكون مؤمناً متجاً على المعاصي لم يكسب في إيمانه خيراً أو مؤمناً مخطئاً أو مؤمناً ثاباً عن المعاصي كاسباً في إيمانه خيراً ما استطاع (فالأول) ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يخلد في النار وان دخلها بدنو به فالإيمان السابق ينفعه وينفعه الايمان يومئذ أيضاً لانه نور على نور ولكن لا تنفعه التوبة عن المعاصي ولا يقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك (والثاني) ينفعه إيمانه السابق لاصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجاته وينفعه إيمان يومئذ أيضاً لما لم يكن ولكن لا تنفعه توبة حينئذ من التخليط ولا حسنة يعملها بعد ذلك ما لم يكن

عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر كان يعملها (والثالث) ينفعه إيمانه السابق لأجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه إيمانه ذلك اليوم أيضا وينفعه ما يعمل به بعد ذلك من الحسنات التي سبق منها أمثالها وهذا التفصيل مما دلت عليه الآية الكريمة وبينته الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) من ذلك ما أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها» الآية وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال «باعباد الله توبوا إلى الله - مرات - فانكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الإيمان» الحديث وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) يقول كسبت في تصديقها عملا هو لأهل القبلة وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وإن عملت قبل الآية خيرا قبل منها ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق مالك بن بخامر السكسكي عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الهجرة خصلتان أحدهما أن تهجر السيئات والآخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ولا تقطع الهجرة ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل» وأخرج الإمام أحمد وعبد الرحمن بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الأرض وخويصة أحدكم وأمر العامة» قال قتادة خويصة أحدكم الموت وأمر العامة الساعة وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من فوجا «خلق الله بابا للتوبة - وفيه - فذلك الباب مفتوح منذ

خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما - الى ان قال -  
 فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك  
 الا ما كانت قبل ذلك فانه تجري لهم وتليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك  
 فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك - الى قوله خيرا -) الحديث بطوله وهذا  
 الحديث وان كان سنده واهيا كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث  
 الصحاح ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام في معني اللبيب عن ابن عطية  
 وابن الحاجب ان الآية من حذف المعطوف أي لا ينفع نفسا إيمانها وكسبها  
 لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا والآية من التثنية والنشر ومفهومه  
 انها اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق وهو المطلوب

فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة وما في معناها مما هو مسطر في الدر المنثور  
 للحافظ جلال الدين السيوطي ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث في  
 ذلك اليوم ممن كان كافرا أو مشركا ولا التوبة المحدثه فيه لمن كان مخلطا وأعمال البر  
 المحدثه فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم واما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنا فان الايمان  
 المجرى عن الاعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لاجل نجاته وإيمانه المتجدد  
 يومئذ ينفعه أيضا لانه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيئاته وان الايمان السابق مع  
 التخليط ينفعه مع ما تقدم له من الاعمال الصالحة التي كان يعملها واما الممنوع بقول توبته  
 عن تخليطه وقبول ما لم يكن متصعبا به من الايمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم والضابط  
 ان كل بر محدث يكون السبب في احداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع  
 سواء كان من الاصول أو الفروع وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملا به  
 قبل رؤية الآية ينفع وهذا التحقيق نبه على مثله الامام المحقق العلامة ابن مفلح  
 في الآداب الكبرى قال في قوله صلى الله عليه وسلم «اذا طلعت الشمس من مغربها  
 طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل» ليس المراد بهذا الخبر  
 ترك ما كان يعمل من الفرائض أي وكذا من النوافل قبل طلوع الشمس من  
 المغرب فيجب الاتيان بما كان يعمل من الفرائض قبل ذلك وينفعه ما يأتي به  
 من الايمان الذي كان يأتي به قبل ذلك وقوله وكفى الناس العمل أي عملا لم

يكونوا يفعلونه قال وقد ذكر ابن حامد ان المذهب لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة وحكى ابن الجوزي عن انضحاك ان من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية قال ابن مفلح فالعمل الصالح الذي سببه ظهور الآية لا ينفع لان الآية اضطرته اليه واما ما كان يعمل فظهور الآية لا تأثير لها فيه فبقي الحكم كما قبل الآية ونبه على مثله السيد محمد البرزنجي في كتابه الاشاعة في اشراط الساعة وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومه الشيخ محمد المقدسي القشاشي وأشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعول عليه دون ما زعمه بعض المتحذلقين وبالله التوفيق

اذ فهمت ذلك فاعلم انه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة احاديث منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروج طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريبا منها وفيه أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون في يومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ورواه البخاري أيضا وفيه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها الحديث وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الفقاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما «أتدرون اين تذهب هذه الشمس» قالوا الله ورسوله أعلم «قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها - فقال عليه السلام - أتدرون متى ذلكم؟ حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل» الآية وأخرج الامام أحمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمذي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت  
 ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفس إيمانها ثم قرأ الآية وتقدم  
 قريشا وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال «طول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين»  
 وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قدر ثلاث ليال وعند البيهقي  
 من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا «قدر ليلتين أو ثلاث  
 فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم  
 مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينتص فيضطجعون  
 حتى اذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتناول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا  
 ان يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فيفزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا  
 ما هذا فيفزعون الى المساجد فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فيبئس  
 ينظرون طلوعها من المشرق اذ هي طالعة عليهم من مغربها فيضج الناس ضجة  
 واحدة حتى اذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها» وأخرج ابن  
 مردويه وغيره من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا «صبيحة تطلع الشمس من  
 مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير تطوى الدواوين وتحف الاقلام لا يزداد  
 في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت  
 في إيمانها خيرا» وعند البيهقي «فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل  
 منهم ويقال لو كان بالأمس» وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي  
 الله عنهما مرفوعا «لا تزال الشمس تجري من مشرقها الى مغربها حتى يأتي  
 الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أن تطلع ويستأذن  
 القمر من أن يطالع فلا يؤذن لهما فيحسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين  
 للقمر فلا يعرف مقدار حبسها الا قليل من الناس وهم بقية أهل الارض وحلة  
 القرآن يقرء كل رجل منهم ورده في تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا ليلته  
 على حالها فيعود ويقرأ ورده فاذا فرغ نظر فاذا ليلته على حالها فلا يعرف ذلك  
 الا حلة القرآن فينادي بعضهم بعضا فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء



والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول ان الرب تعالى يأمر كما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطهرا من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون الى الله والعاقلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر طلعا من مغاربهما فظفر الناس فاذا بهما اسودان كالعكبن لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) «قوله كالعكبن تثنية عم بالكسر وهو الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرثر على الجملة العكام وفي حديث أم زرع «عكوما رداح» يعني غرثرها التي تكون فيها الامتعة وغيرها فبرفعان أسية الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب لهم عبادة واما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر سررة السماء وهو منتصفها جاءها جبريل فأخذ بقرونها فردها الى المغرب فلا يغير بهما في مغاربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغير بهما في مغاربهما اللذين في باب التوبة فان الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكلان بالدر والحوهر ما بين المصراع الى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله فيغير بهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصبران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجري لها قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية فقال أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس

والدنيا قل ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطالعان على الناس ويفر بان  
كما كانا قبل ذلك وأما الناس فأنهم حيث رأوا ماراً أو من تلك الآيه وعظما يلحون على  
الدنيا فيعمرونها ويحجرون فيها الأ نهار ويفرسون فيها الأشجار ويننون فيها البنيان  
وأما الدنيا فلو أنتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس  
من مغربها الى يوم ينفخ في الصور وقد ذكر نحو ذلك القرطبي في تذكرته عن الثعلبي  
وغيره من المفسرين عن أبي هريرة

### ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما يمكث الناس بعد طلوع الشمس  
من مغربها عشرين ومائة سنة وروى عبد بن حميد عنه يبق شرار الناس بعد  
طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وأخرج نعيم عن ابن عمر ولا تقوم  
الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى  
بن مريم وبعد الدجال وروى عبد بن حميد من حديث أبي هريرة رضي الله  
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيطان  
الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها  
وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه الآيات كلها  
في ثمانية أشهر وعن أبي العالية في ستة أشهر ومر لو ان رجلاً نتج مهراً لم يركبه حتى  
ينفخ في الصور وجمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتبعه السخاوي في القناعة  
والبرزنجي في الاشاعة بما حاصله ان المدة كما في الروايات الاولى عشرون ومائة  
سنة لكنها تمر مرة سريعاً كقدر عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي  
هريرة مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر» الحديث وفيه اليوم كالساعة  
وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتقاصر الايام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع  
بركة الارض وطول الايام الى حالها ثم تناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام  
الى أن تصير في آخر الزمان الى ما ذكر قلت واحسن من هذا ما ذكره الطيبي أن الآيات  
على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها وان من الاول  
الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والخسوف ومن الثاني

الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الاول والقصيرة باعتبار الثاني لكن يعكز عليه بأن الخبر ناطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكوراني الى الاول أو ان خبر عشرين ومائة سنة غير صحيح واستدل لعدم صحة ذلك مع ما مر بقول السخاوي ثبت أن الآيات العظام مثل السلك اذا انقطع تناثر الحرز سرعة وفي مرسل لابي العافية ان بين أول الآيات وأخرها ستة أشهر يتابعن كتنابح الحرزات في النظام وتقدم قرىبا ويشهد تنوابعها خرزات منظومات في سلك اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا وفي روايه بين يدي الساعة عشرين آيات كالنظم في الخيط اذا سقط منها واحدة توالى

### ﴿ الثاني ﴾

في حديث مسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وقد استشكل بانه لو كان كذلك لم ينفع الكفار ايمانهم بعد نزول عيسى عليه السلام ولا الفساق توبتهم لانفلاق باب التوبة وقد جاء النص بانه يفهم ذلك جزما والامصار الدين واحدا ولا كان في نزوله كبير فائدة وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك والجمع بين الأحاديث وحاصل ذلك انه أجيب بجوابين أحدهما للحافظ البيهقي قال ان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس سابق احتمل ان يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها فاذا انقضوا وتناول الزمن وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف الايمان بالغيب قال وان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل ان يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمر وآيات أخر غير الدجال ونزول عيسى يعني وخروج المهدي قال العلامة الشيخ مرعي عن الاخير هو اعتمد لما مر من ان باب التوبة يعلق من حين طلوع الشمس من مغربها الى يوم القيامة الجواب الثاني ان خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال العامة في معظم الارض وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم المملوي

وينتهى ذلك بقيام الساعة واما خروج الدابة فانه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب قال الحاكم أبو عبد الله الذي يظهر ان طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه والحكمة في ذلك ان عند طلوع الشمس من المغرب يعلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة قال العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال لا مردوان الله بأني بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وان السحرة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليري المنكرين عظم قدرته وباهر حكمته وان الشمس في ملكه ان شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولا ولا وقال الحلبي من الشافعية أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها (قلت) والذي يظهر والله أعلم ان أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها ويحتمل ان طلوع الشمس متقدما على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها وهذا هو النسق الذي مشى عليه واختارناه والله أعلم واما خروج السفينائي فانه وان كان قبيل خروج المهدي الا انه لم يعد خروجه آية وانما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم

### ﴿التنبيه الثالث﴾

قد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره ان الدواوين تطوى والاقلام تجف ولا يزاود في حسنة ولا ينقص من سيئة وفي كلام بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فاجسأهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت أول الآيات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت الحافظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فيناديهم

مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة وجفت الاقلام وطويت الصحف. وروى من طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة وتومر الملائكة ان لا يكتبوا عملا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الآية التي تنظم الاعمال بها طلوع الشمس من مغربها. فهذه آثار يشد بعضها بعضها منفقة على انه اذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد الى يوم القيامة خلافا لمن زعم من العلماء انه انما يتمتع قبول الايمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أي في تلك الحالة قالوا واما من تاب بعد ذلك أو اسلم قبل ذلك منه قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ماملخصه: الذي دللت عليه الاحاديث الثابتة الصحاح والحسان ان قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها انها بعد ذلك لا تقبل بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الامام أحمد والطبري والطبراني عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ورفعوه لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل وقد مر من الاخبار والآثار ما يفيد ذلك افادة صريحة لا تحتمل التأويل ويؤيد ذلك ما يأتي من أن ابليس يخر ساجدا وان الدابة تقتله فانه لا يموت الا عند الفراغ من العمل وبالله التوفيق

### ﴿ العلامة التاسعة ﴾

خروج دابة الارض واليها أشار بقوله

### ﴿ كذات أجياد على المشهور ﴾

﴿ كذات ﴾ أي صاحبة ﴿ أجياد ﴾ وأجياد كما في القاموس اسم أرض بمكة أو جبل بها قال سمي بذلك لكونه موضع خيل تبع انتهى قلت وفيه نظر فان تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففي تفسير القرطبي ورواه الحسين الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت

( ٢ عقيدة السفاريني - ١٨ )

قال الله تبارك اسمه أني معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الى اسماعيل ان اخرج الى أجساد فادع يأتك الكنز فخرج الى أجساد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله الدعاء فلم يبق على وجه الارض فرس الا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها له وفي حياة الحيوان للدميري أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام ولذلك سميت العرب وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل اني معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله عز وجل الى اسماعيل الحديث وفيه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم «اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل» قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمجيء الخيل الجياد اليه محببة سيدنا اسماعيل عليه السلام ويقال له جياد أيضا بغير ألف قبل الجيم وقوله ﴿على﴾ القول ﴿المشهور﴾ من اضافته الى اجياد لكونها تخرج منه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مر فوعا «تخرج دابة الارض من أجساد فيبلغ صدرها الركن البائي ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا انه أراه النبي صلى الله عليه وسلم المكان الذي تخرج منه الدابة وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بئس الشعب شعب أجساد» قالها مرتين أو ثلاثا قالوا وما ذلك يارسول الله؟ قال «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين» رواه الطبراني في الاوسط وفي حديث بريدة رضي الله عنه قال ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا بأرض يابسة حولها رمل فقال صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة من هذا الموضع» والحاصل ان في المحل الذي تخرج منه الدابة أقوالا من أشهرها أجساد كما أشرنا اليه قل الحافظ السخاوي في القناعة وخروجها في آخر الزمان من مكة امام من صدع الصفاويه جزم غير واحد ومن المزوة أو من شعب أجساد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط انتهى وقيل بل أول خروجها من أقصى اليمن وهذا أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي الطفيل عن أبي سرعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منشرا ذكرها بالبادية ولا

يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله - يعني المسجد الحرام - لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد من الركن الاسود وباب نبي مخزوم فيرفض الناس عنها وتثبت عصابة من المسلمين عرفوا انهم لن يعجزوا الله فتنفض عن رأسها التراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدررية الحديث

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها انها من أقصى البادية وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها انها من وراء مكة وانها من اليمن لان الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية والمررة الثالثة تخرج من مكة وهي من كبرها وعظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة واجياد فانها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها انها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد ومن البادية التي بقرب مكة كما في حديث بريدة. وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو انها تخرج من جميع تلك الاماكن في آن واحد خرقا للعادة في صور متباينة على انه وود في رواية كافي حياة الحيوان انه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الارض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس وذكر الكوراني انه حيث ورد في المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات ومن المذكور في الاصول ان العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الاصول والتخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خرجة من محل فيصح خروجها من كل محل ذكره وكذلك الاختلاف في طولها وغيره فان الاقل لا ينافي الاكثر بناء على ان العدد لا مفهوم له انتهى وورد ان خروجها ليلة جمع والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه وقيل تخرج من الحجر وقيل من أرض الطائف ومعها عصي موسى وخاتم سليمان عليها السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب

اذا علمت ذلك فخرج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة اما الكتاب

فقوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا  
بآياتنا لا يوقنون) وأما السنة فكثيرة منها ما في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يقومها  
هارب» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج دابة الأرض من اجساد فيبلغ  
صدرها الركن الباني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم» وفي حديث حذيفة  
يرفعه «أول ما يبدو منها رأسها مع لمة ذات وبر وريش» وقال أمير المؤمنين علي رضي الله  
عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الاثلثا وروي فلا يخرج الا رأسها  
فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون  
وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق  
الطير وقال ابن جرير رأسها رأس الثور وعينها عين خنزير واذنها أذن فيل  
وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها  
خاصرة هر وذنبها ذنب تيس وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثني عشر ذراعاً  
بذراع آدم عليه السلام وقال كعب صوتها صوت حمار وأخرج الامام أحمد والترمذي  
وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجלו وجه المؤمن بالعصى وتخطم  
أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا  
ياكافر» وأخرج الامام أحمد أيضاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج  
الدابة تقسم الناس على خراطيمهم ثم يعمررون فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول ممن  
اشتريت فيقول من الرجل المخطم» وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن لها عنقاً مشرفاً أي  
طوبلاً يراها من المشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه الانسان ومنتقار  
كمنتقار الطير ذات وبر وزغب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها ذات زغب  
وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة وسياها من هذه  
الامة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين وتكلمهم بكلامهم (قوله) ذات زغب  
أي عليها زغب وهو صفار الريش أول ما يطلع كما في النهاية والايال بفتح الهمزة  
وكسر التحتية مشددة وبضم وفتح الوعل بفتح العين وهو تيس الجبل والسيمة العلامة



وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قيل له ان ناسا يزعمون انك دابة الارض فقال والله ان لدابة الارض ريشا وزغبا ومالي ريش ولا زغب وان لها حافرا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها وفي الميزان للحافظ الذهبي عن جابر الجعفي انه كان يقول دابة الارض علي بن ابي طالب قال الذهبي وكان جابر الجعفي شيعيا يرى الرحمة أي ان عليا يرجع الى الدنيا قال الامام أبو حنيفة ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفي ولا افضل من عطاء بن رباح وقال الشافعي أخبرني سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فزلنا خوفا ان يقع علينا السقف ومع ذلك روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه ومات سنة ست وستين ومائة عن الله عنه وقال ابن الاثير في جامع الاصول جابر بن يزيد الجعفي ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور وكان من اصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول ان علي بن أبي طالب يرجع الى الدنيا وذكر ما قاله أبو حنيفة رضي الله عنه فيه قال ومات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال الحافظ المنذري في آخر كتابه الترغيب والترهيب جابر بن يزيد الجعفي الكوفي عالم الشيعة ترك يحيى القطان حديثه وقال النسائي وغيره متروك ووثقه شعبة وسفيان الثوري وقال وكيع ما شككتم في شيء فلا تشكوا جابراً الجعفي ثقة والله أعلم

قال العلماء رحمهم الله تعالى كافي الاحاديث ان مع الدابة عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادي بأعلاصوتها أن الناس كانوا يا ياتنا لا يوقنون وتسم الناس المؤمن والكافر فأما للمؤمن فبصرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنتكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر فلا يبقى مؤمن الا نككت في مسجده بعضى موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نككت في وجهه نكتة سوداء بنخام سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وفي رواية فتلقى المؤمن فتسهم في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصى ونخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقولون لهذا يامؤمن ولهذا ياكافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي

فيقبل عليها قسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المؤمن الكافر والعكس حتى ان المؤمن ليقول للكافر يا كافر اقض حقي وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها ثم المغرب واليمن كذلك وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا يلبثون يعني الناس بعد بأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الاقلام وطويت الصحف ولا يقبل لاحد تو به ويخر ابليس ساجدا ينادي آلهي مرني اسجد لمن شئت وتجمع اليه الشياطين تقول يا سيدنا الى من نفرع فيقول انما سألت ربي ان ينظرني الى يوم البعث فانظرني الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة في الارض حتى يقول الرجل هذا قرني الذي كان يغوي بني فالحمد لله الذي أخزاه ولا يزال ابليس ساجدا باكيأخى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد . قال العلماء في سؤال ابليس ان ينظر ليوم البعث مكر منه وخداع وجهل برب العالمين فانه انما حاول ان لا يذوق الموت لان يوم البعث ليس بيوم موت وانما هو يوم بعث ونشور واحياء وبعثرة لمن في القبور فاذا كان الامر كذلك فكيف يقبض اذذاك ابليس أو غيره وانما ذلك يوم الجزاء فأجابه العليم الحكيم بانه منظر الى يوم الوقت المعلوم وهذا أصح من قول كهب الاجبار بان ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكسائي في العرائس والله التوفيق

### ﴿ فائدة ﴾

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان الدابة هي الجساسة المذكورة في قصة تميم الداري رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفته العقاب حين ارادت قريش بناء البيت الحرام وان الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون وفي التمهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار انه رمى بها في اجياد فالتقمها الارض فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا . وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انها أي الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال وهي بمجزة

بمقر القلم والله أعلم

## ﴿العلامة العاشرة﴾

خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واليها أشار بقوله

﴿وآخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الاخبار﴾

﴿وآخر الآيات﴾ العظام والعلامات الجسام ﴿حشر النار﴾ للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو أرض الشام ﴿كما أتى﴾ ذلك مصرحاً به ﴿في محكم الاخبار﴾ وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك فان قلت في قولك وآخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بني آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما أول اشراط الساعة فانه تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب» الحديث قلت تقدم في حديث حذيفة بن اسيد الغفاري انه صلى الله عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والداية وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف بالخسوف بالمشرق وخسوف بالمغرب وخسوف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي لفظ ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات فعددها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال شعبة وأحسبه قال تنزل معهم اذا نزلوا وتقبل معهم حيث قالوا رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق ورواه الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن أخريه (١) خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليها (١) بأنها من أول الآيات التي لاشيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً بل يقع بانتهاؤها التفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى بعد كل آية منها أشياء

(١) كذا في الاصل في الموضعين ولو أردنا تصحيح مثله لتصرفنا فيه تصرفاً غير قليل

من أمور الدنيا ذكره الحافظ السخاوي وذكر غيره من العلماء بان النار ناران  
إحدهما تحشر الناس من المشرق الى المغرب والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس  
الى المحشر الذي هو أرض الشام فلعل احدى النارين في أول الآيات والأخرى  
في آخرها وحينئذ فلا حاجة الى الجمع الذي ذكره الحافظ السخاوي وان لم يكن في  
علم الله الانار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج  
قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس  
الى المحشر وحديث نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب فبان يقال ان الشام الذي هو  
المحشر مغرب بالنسبة الى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فاذا خرجت  
انتشرت الى المشرق فتحشر أهله الى المغرب الذي هو الشام وهو المحشر ولفظة آيين  
بوزن أحمر اسم الملك الذي بناها وفي نهاية ابن الاثير عدن آيين مدينة معروفة  
باليمن أضيفت الى آيين بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي اقام انتهى  
وفي القاموس عدن آيين محركة جزيرة باليمن اقام بها وعدن لاعة قريبة بقربه وأخرج  
الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل  
الأرض الزمهم مهاجر ابراهيم عليه السلام ويبقى في الارض شرار أهلها تلفظهم  
أرضوم ونقدرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والحنازير تبيت معهم اذا باتوا  
وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل من تخلف ورواه أبو داود والحاكم وأبو نعيم (قوله)  
نقدرهم نفس الله هو من المتشابهة والايمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر  
وأخرج الامام أحمد أيضا والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر أيضا رضي  
الله عنهما مرفوعا ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة  
تحشر الناس قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام يعني وهو المراد بمهاجر  
ابراهيم وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعا  
لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشي الناس فيها عذاب  
أليم تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب  
حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والارض دوي كدوي الرعد  
الفاصف هي من رءوس الخلائق أدنى من العرش قيل يا رسول الله أسليمة يومئذ

على المؤمنين والمؤمنات قال واين المؤمنون والمؤمنات يومئذ شر من الحجر يتسافدون كما تسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه وأخرج البغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان يوشك ان تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل تسير بالنهار وتقيم بالليل تغدو وتروح يقال غدت النار ايها الناس فاغدوا قالت ايها الناس فقلوا راحت النار ايها الناس فروحوا من أدركته أكلته

فاذا قيل ماوجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل فالجواب انها تخرج أولا من برهوت ويقال له وادي النار وهو في قعر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات ماؤها واحد وتمر بحبس سيل أيضا والخطاب لاهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل فان قيل ماوجه الجمع بين كونها تظهر طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام وبين كونها تسير سير بطيئة الابل فالجواب ان لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا وان ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكل والله أعلم

(ثمة) ثبت بالسنة الصحيحة ان أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الارض أحدا في قلبه مثقال ذرة من ايمان إلا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فينقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فان قلت أليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس فالجواب انه ليس في الحديث ان الذي يظهر لهم ابليس بل يجوز ان يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته وأخرج الامام أحمد ومسلم أيضا والترمذي من حديث النواس بن سمعان فينبأهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم

ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحجر أي يتسافدون تسافد الحجر جمع حمار فعليهم  
تقوم الساعة وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عند الحاكم ان الله يبعث ريحا من  
اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان الا قبضته وقد  
جاءت رواية بان الريح تأتي من قبل الشام وهنا انها من قبل اليمن والجواب  
انها ريحان شامية وبمانية وأخرج الامام أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله  
عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض لا اله الا الله ورواه مسلم بلفظ  
حتى لا يقال في الارض الله الله فان قيل كيف هذا مع ما صح عنه صلى الله عليه  
وسلم من قوله «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة حتى يأتي  
أمر الله» (فالجواب) هذا غير مصادم للحديث لان معناه انهم لا يزالون على الحق  
حتى تأتيهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر اشراطها فاطلق فيه بقاوم  
الى قيام الساعة مريدا اشراطها وذنوها المنتاهي في القرب ومثله قول بعضهم أمر  
الله هو هبوب تلك الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي بعضها (١) قيام الساعة  
ولا يتخلف عنها الا شيئا يسيرا وليس فيهم يعني من يبقى بعد هبوب الريح مؤمن (٢)  
وعليهم تقوم الساعة وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك  
الريح كافي القناعة للحافظ السخاوي وفي المستدرک بسند صحيح عن عائشة رضي  
الله عنها مرفوعا لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحا  
طلية فتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لا خير فيه  
فيرجعون على دين آبائهم وفي مرفوع ابن عمر رضي الله عنهما لا تقوم الساعة حتى  
يبعث الله ريحا لا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من خير الا قبضته ويلحق كل  
قوم بما كان بعد آبائهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرن بمعروف  
ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على  
أهل الارض فأقام الساعة وفي مستدرک الحاكم من مرفوع أبي هريرة وحتى تؤخذ  
المرأة جهارا نهارا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد وفي لفظ حتى ينكح أحدكم  
أمه فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لوتنجيتها عن الطريق قليلا فذلك فيهم مثل

(١) لعل الصواب «بعقبها» (٢) كذا في الاصل

أبي بكر وعمر فيكم قال القرطبي في تذكرته عن بعض العلماء إذا أراد الله انقراض الدنيا وتام لياليها وقربت انفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقبل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذي روح ثم ذكر النفخة

﴿ فكلها صحت بها الاخبار وسطرت آثارها الاخير ﴾

﴿ فكلها ﴾ أي اشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة ﴿ صحت بها الاخبار ﴾ عن النبي المختار وأصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار ﴿ و ﴾ كلها قد ﴿ سطرت ﴾ أي كتبت واصل السطر الصف من الشيء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضا على الخط والكتابة ويحرك في الكل كما في القاموس ﴿ آثارها ﴾ مفعول سطرت أي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها في أوقاتها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها ﴿ الاخير ﴾ فاعل سطرت وإنما أنت الفعل لان الجمع موث في المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخير ككيس والمؤثثة خيرة ويجمع خير أيضا على خيار من غير ألف قبل الحاء المعجمة وقيل ان التحفة مختصة بما في الجمال والميسم والمشددة في الدين والصلاح والخير ضد الشر والاخبار ضد الاشرار والمراد بهم هنا علماء الامة من التابعين وتابعيهم وأئمة السلف ومقلديهم وقد روى أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والقضاعي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال خيار أمسي علماؤها وخيار علماتها رحاؤها ألا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وان العالم الرحيم يحيى يوم القيامة وان نوره قد أضاء بمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدرري واستاده ضعيف وقد عزونا كل قول لقائلة وكل حديث لناقله غالبا لنخرج من تبعته وليعلم من أنعم النظر وأمعن الفكر في ما حررته انه زبدة ما خضه المتقدمون وثمره ما غرسه المحررون وبالله التوفيق

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) ذكر القرطبي في تذكرته ان المحشر أربع حشران في الدنيا وحشران

في الآخرة فاللذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر وهو حشر اليهود الى الشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب والحشر الثاني المذكور في اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم عند الحاكم مرفوعا تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ويكون لها ماسقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق الى المغرب لان ابتداء خروجها من عدن فاذا خرجت انتشرت في الارض كلها والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو انها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق قال القرطبي واما اللذان في الآخرة فحشر الاموات من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وحشرهم الى الجنة والنار قال الحافظ ابن حجر عن الاول المذكور في أول سورة الحشر ليس حشرا مستقلا لانه إنما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبني أمية حين أخرجهم عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما من المدينة الى جهة الشام والجواب عن ذلك بأن المراد ماسمي حشرا على لسان الشارع وقد سمي الله ذلك حشرا

### ﴿ الثاني ﴾

اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق الى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض ان هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة واما الحشر من القبور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا كما في الصحيحين وغيرهما انكم تحشرون حفاة عراة غرلا وقال الحكيم الترمذي وأبو حامد الفزالي هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما مرفوعا يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثة وعشرة على بعير وتحشر بقتيم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث



أمسوا قال أهل هذا القول ان هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال الحافظ ابن حجر ويؤيده حديث أبي ذر عند الامام أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين وفوج تسخيمهم الملائكة الحديث وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يابن حديث أبي ذر (والجمع) ان الحشر يعبر به عن النشر أيضا لاتصاله به وهو أي النشر اخراج الناس من قبورهم كما يأتي فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون الى الموقف للحساب ثم يحشر المتقون ركباناً على الابل والمجرمون على وجوههم وقال بعضهم يخرجون من القبور على ما في حديث أبي هريرة وان الحشر اذا أطلق يراد به شرعا الحشر من القبور مالم يخصه دليل (وأيضاً) التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر الى أرض الشام لان المهاجر لا بد ان يكون راغباً أو راهباً أو جامعا بين الصفتين (وأيضاً) حشر بقية الناس والجماع النار لهم الى تلك الجهة وملازمتها حتى لاتفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا ان نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف (وأيضاً) الحديث ينسر بعضه بعضا وقد وقع في طريق الحديث أبي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا ينسلون على أقدامهم وثلثا على وجوههم قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة (وكنتم أزواجا ثلاثة) فقوله في الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملا صالحا وآخر سيئا وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير الخ يريد السابقين وهم أفضل المؤمنين ركباناً وقوله وتحشر بقيم النار يريد أصحاب المشأمة ويحتمل ان البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لان ذلك يكون من بديع قدرة الله تعالى فيقوى على ما يقوى عليه عشرة أبعرة من بعيران الدنيا ويحتمل أن يتعاقبوه انتهى ملخصا وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة ثقيل معهم وتبيت وتصبح وتسي يريدان المحشر في الدنيا الى الشام لأن هذه الاوصاف مختصة بالدنيا وقوله اثنان على بعير الى عشرة يريد أنهم يعقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض وذلك لقلة الظهر كما في بعض الأحاديث انتهى ملخصا ورجح هذا الطيبي وتعقب

ذلك البعض وأجاب عما استدل به بما يطول (ثم قال الطيبي) بعد ما انتصر للخطابي والقرطبي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله ثم رأيت في صحيح البخاري في باب الحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق فعلت من ذلك ان الذي ذهب اليه التور بشي من ان ذلك في الآخرة هو الحق الذي لا محيد عنه انتهى قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد نقله ما تقدم عن الطيبي قلت لم أقف في شي من طرق الحديث الذي خرجه البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا في غيره وكذا هو عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة ثم اختار هو انه يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه ان الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة وان الرجل يشنري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة فان ذلك ظاهر جدا في انه من أحوال الدنيا قال في الاشاعة ثبت ان الحق ان النار قبل يوم القيامة قلت وهو كما قال والله التوفيق

### ﴿فصل في أمر المعاد﴾

اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الايمان به والتصديق بموجبه لانه جاء في السماع الصحيح المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول وهو ان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح اليها تقوله تعالى (قل يحييها الذي انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم) إلى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والأحاديث الساطعة النبوية وقد أنكره الطبائعيون والدهرية والملاحدة وفيه تكذيب للنقل الصريح والعقل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه ووافق المعتزلة أهل الحق على المعاد الجسماني بناء منهم على ان المعدوم عندهم شيء فلو لم يقولوا به لأحالوه لان المعدوم قبل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك اذا انعدم بعد الوجود وعند أهل السنة المعدوم نفي محض وهم مع ذلك قائلون بجواز إعادته وللمتكلمين في جواز إعادة الاعراض قولان جواز إعادتها وهو الحق لانه تعالى على كل شيء قدير والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة كلني الحسن

البصري والحوارزمي والكرامية قال

﴿ واجزم بأمر البعث والنشور والحشر جزما بعد نفخ الصور ﴾  
 ﴿ واجزم ﴾ جزم ايقان واذعان واعتقادا وعرفان ﴿ بأمر البعث ﴾ بعد الموت  
 ﴿ والنشور ﴾ من القبور ﴿ والحشر ﴾ لاجل الجزاء وفصل القضاء ﴿ جزما ﴾ مصدر  
 مؤكدا لقوله واجزم وذلك كله واقع ﴿ بعد نفخ الصور ﴾ المراد نفخة البعث  
 وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء البعث والنشور والحشر والنفخ في  
 الصور اما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذي  
 يجب اعتقاده ويكفر منكره قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح كشيخه  
 وغيرها معاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال الجلال  
 الدواني هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل  
 كقوله تعالى ( أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ) وضرب  
 لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم \* قل يحييها الذي أنشأها أول  
 مرة وهو بكل خلق عليم ) وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلي  
 في معجمه والحافظ الضياف في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن  
 عباس رضي الله عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد يحيي الله هذا بعد ما أرم قال « نعم يبعث الله هذا  
 ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم » فنزلت الآيات من آخريس ( أولم ير  
 الانسان ) الى آخر السورة وهذا نص صريح في الحشر الجسماني يقلع عرق التأويل  
 بالكلية ولهذا قال الامام الرازي الانصاف أنه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء  
 به النبي صلى الله عليه وسلم وبين نفي الحشر الجسماني فإنه قد ورد في عدة مواضع  
 من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصلا انتهى وكذلك لا يمكن الجمع  
 بين القول بقدم العالم على ما يقول الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لان النفوس الناطقة على  
 هذا التقدير غير متناهية فتستدعي جميعا أبدانا غير متناهية وأمكنة غير متناهية وقد  
 ثبت تناهي الابدان بالبرهان وباعترافهم والله تعالى أعلم و « ثم » في الحديث في قوله  
 صلى الله عليه وسلم « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك » للترتيب الاخباري لا للترتيب

الحكمي كقولهم بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي أخبرك ان ما صنعته أمس أعجب

واما النشور فهو يرادف البعث في المعنى يقال نشر الميت ينشر نشور اذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه ومنه قولهم يوم البعث والنشور واما الحشر فهو في اللغة الجمع نقول حشرت الناس اذا جمعتهم والمراد به جمع اجزاء الانسان بعد التفرقة ثم إحياء الابدان بعد موتها

واعلم انه يجب الجزم شرعاً ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع اجزائهم الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل القضاء فان هذا حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق والاصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الامكان كما يقوله الحكماء والمتكلمون من ان كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الامكان ما لم يردك عنه قائم البرهان فمن زعم عدم اعادة المعدم الزم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل هو عينه أو أيسر كما لا يخفى وتقدم ان الانبياء تأتي بما تدركه العقول أو تتحير فيه ولا تأتي بما تخيله العقول أبدا فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول وامكان المعاد لانه اما إيجاد ما انعدم أو جمع ما تفرق أو حيي بعد ما أميت وهذه كلها ممكنة لا احالة في شيء من ذلك أصلا مع ما توارى من أخبار الانبياء والكتب السماوية ولا سيما في القرآن العظيم والذكر الحكيم ما لا مزيد عليه مثل (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت - قل بلى وربى لتبعثن - ثم انكم يوم القيامة تبعثون - فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون \* فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطرهم أول مرة - أيحسب الانسان ان لن نجتمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه \* يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسره - كما بدأكم تعودون - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم - ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) والآيات في ذلك كثيرة جدا وأما الاحاديث فكثيرة جدا ففي البخاري ومسلم وغيرها عن ابن عباس رضي الله

عنها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول «انكم ملاقوا الله حفاة عراة غرلا» زاد في رواية - مشاة - وفي رواية فيهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال «يا أيها الناس انكم محشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين» الحديث الغرل بضم الغين المعجمة واسكان الراء جمع اغرل وهو الاقلف ومثله في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر «أشد من أن يهمهم ذلك» وروي نحوه من حديث أم سلمة أخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وفيه فقالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله واسواته ينظر بعضنا الى بعض فقال: شغل الناس: قلت ما شغلهم قال «نشر الصحائف فيها مناقيل الذر ومناقيل الخردل» وروي من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها أيضا ولفظه «يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان» قالت فقلت يبصر بعضنا بعضا فقال: شغل الناس (لكل امرء منهم يومئذ شأن يفنيه) رواه الطبراني ورواه ثقة

### ﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق أو ايجاد معدوم قال عكرمة رحمه الله ان الذين يفرقون في البحر وتقتسم لحومهم الخيتان ولا يبقى منهم شيء الا العظام فتلقبها الامواج الى الساحل فتتكث حينئذ تصير نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البحر فيوقدونه ثم تخدم تلك النار فتجىء الريح فتلقى ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى قال العلماء ان الله تعالى يجمع ما تفرق من اجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء ووطن الارض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أباته الشمس وذره الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون والحاصل ان اعادة الاجسام

حق يجب الايمان به ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض أو التفريق المحض  
والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه إيجاد بعد عدم ونص عليه علماء السنة وكذا  
المعتزلة وهو مذهب المحققين وبالله التوفيق

### ﴿ الثاني ﴾

اختلف في اعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجسام في الدنيا فذهب  
الاكثرين انها تعاد بأشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه ميل أبي  
الحسن الاشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء نوعها كالبياض  
وبين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدوراً للعبد كالضرب اولاً كالعلم والجهل  
لان نسبتها الى قدرته تعالى كنسبة الاعيان وقد قام الدليل على اعادتها فكذا  
اعراضها وما قيل يلزم عليه قيام العرض يعني الاعادة بالعرض المعاد وهو محل  
قباطل لا يمكن تعلق الاعادة بالاعيان اولاً وبالذات وبالاعراض ثانياً وبالعرض  
هذا كله ان لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض فكيف ونحن بمنزل عن ذلك  
وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض بالمحسوس وغيره كليل حالك وحركة بطيئة  
واحرقان وغير ذلك وقيل تمنع اعادة الاعراض مطلقاً كما ذهب اليه بعض  
الاشاعرة وذهب أكثر المعتزلة الى امتناع اعادة الاعراض التي لا تبقى كالاصوات  
والارادات لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا الباقية الى ما يكون مقدوراً للعبد  
فنعوا اعادتها والى ما لا يكون مقدوراً للعبد فجاوزوا اعادتها وقد قال ابن العربي  
في سراج المريدين والقرطبي في تذكرته الذي عند أهل السنة ان تلك الاجساد  
الدنياوية تعاد بأعيانها وباعراضها بلا خلاف بينهم مع ان الخلاف منقول عند  
متكلمي الاشعرية كالسعد والبيضاوي وغيرهما قلت وقد نقل الاجماع غير  
واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعي وغيره عن أهل السنة ان الاجساد  
الدنياوية تعاد بأعيانها واعراضها والله أعلم

واما النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور واعلم ان النفخ في  
الصور ثلاث نفخات نفخة المنزع وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهي المشار

اليها في قوله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق) أي من رجوع ومراد  
وقوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله)  
فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة  
وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل غير ذلك وانما يحصل الفزع  
لشدة ما يقع من هول تلك النفخة فقد اخرج ابن جرير في تفسيره والطبراني في  
المطولات وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في البعث وأبو موسى المدني في المطولات  
وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان وعبد بن حميد وأبو الشيخ في كتاب  
العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله  
لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على  
فيه شاخصا يبصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت» يا رسول الله وما الصور قال  
القرن قلت أي شيء هو قال «عظيم ان عظم دارة فيه كمرض السماء والارض  
فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة  
القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع  
فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله فيأمره فيمدها ويطيلها  
ولا يقتر وهي التي يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق)  
فيسير الله الجبال فتمرر السحاب فتكون سرايا وترتج الارض بأهلها رجا  
فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج وكالقسديل المعلق بالعرش  
ترجعه الأرواح وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) فتميل  
الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير  
الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتلتقاها الملائكة فتضرب وجوهها  
فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى (يوم  
التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) فينبأهم على ذلك اذ تصدعت  
الارض فانصدعت من قطر الى قطر فأروا أمرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي  
كالمهل ثم انشقت فانثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم - والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلت يا رسول الله بمن

استثنى الله تعالى في قوله (الامن شاء الله) قال أولئك الشهداء وانما يتصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وامنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله (يا ايها الناس اتقوا ربكم ان ذللة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فيمكنون في ذلك ماشاء الله الحديث وفي البغوي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ ثارت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا الوحوش حشرت) اختلطت (واذا العشار عطلت) أهملت (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس رضي الله عنهما أوقدت فصار ناراً تضرع قال أبي قالت الجن للانسان نحن نأتاكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هونار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتهم انتهى

(النفخة الثانية) نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله) وقد فسر الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذي رواه ابن جرير وما عطف عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الامن شاء الله فيقول ملك الموت قدماء أهل السموات والارض الامن شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقي فيقول أي رب بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأتي ملك الموت الى الجبال فيقول قدماء جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتون وبأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت



ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم  
 فمن بقى فيقول بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول أنت  
 خلق من خلقتي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار  
 طوى السماء والارض كطي السجل للكتب وقال «أنا الجبار لمن الملك اليوم» ثلاث  
 مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه «الله الواحد القهار» وتبدل الارض غير الارض  
 والسموات فيسطها ويسطحها ويمدها مدام لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» الحديث  
 وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال هو لاء الاربعة أملاك جبرائيل وميكائيل  
 واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من  
 يحييهم هم المدبرات أمراً والمقسمات أمراً

قال أبو عبد الله القرطبي والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق وقال مجاهد  
 كالبرق ذكره البخاري وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما  
 جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور «قال قرن ينفخ فيه» قال الترمذي  
 حديث حسن وأخرج الترمذي أيضا وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال «كيف أنعم وصاحب الصور قد اتقم القرن واستمع  
 الاذن متى يؤمر بالنفخ» فكان ذلك ثقل على رسول أصحاب الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال لهم «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وأخرج الامام عبد الله بن المبارك وموئل بن  
 اسمعيل وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديثا مرفوعا فيه «ثم يقوم  
 ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات  
 والارض الامات الا من شاء ربك» الحديث وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة  
 رضي الله عنه مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه ثم يقول  
 انا الملك أين الملوك» وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده  
 اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارض بشماله  
 ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» وسيأتي ان من لم يخلق للفناء لم يقن  
 كالجنة وما فيها من الحور العين والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب

والخزان والله أعلم

( النفخة الثالثة ) نفخة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير إليها كقوله تعالى ( ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ) وقوله ( ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ) قال السكبي وغيره هي نفخة البعث والناقور فاعول من النقر وقوله تعالى ( واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ) الآية قال المفسرون المنادي هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والاورصال المتقطعة واللحوم المتشقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل وينادي جبريل والمكان القريب صخرة بيت المقدس قاله جماعة من المفسرين وبين النفختين أربعون عاما قال بعض العلماء اتفقت الروايات على ذلك وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون عاما قال أبيت الحديث وقول أبي هريرة رضي الله عنه أبيت فيه ثلاث تأويلات أولها امتنعت من بيان ذلك لكم وقيل أبيت اسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقيل نسيت وقيل ان سر ذلك لا يعلمه الا الله تعالى لانه من أسرار الربوبية وفي حديث ان بين النفختين أربعين عاما وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة الزمر مرفوعا « ان الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد ان تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الارواح فيوثق بها تتوهج ارواح المؤمنين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلتقيها في الصور ثم يأمره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح من الحياشيم

ثم تمشي مشي السم في اللدغ ثم تشقق الارض عنهم سراعا فانا أول من ننشق عنه الارض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون» وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين الفمختين أربعون سنة قال أربعون يوما أبو هريرة أربعون شهرا قال أربعون سنة قال أربعون نيزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم ان في الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة قالوا أي عظم هو يارسول الله قال عجب الذنب ورواه الامام مالك وأبو داود والنسائي باختصار قال كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب قال الحافظ المنذري كثيره عجب الذنب بفتح العين المهملة واسكن الجيم بعدها باء موحدة أو ميم وهو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب وأصل الذنب من ذرات الأربع وقد روى الامام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا كل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه» قيل وما هو يارسول الله قال «مثل حبة خردل منه تنبتون» وفي الثعلبي في تفسير سورة الاعراف وتفسير ابن عطية عن أبي هريرة رضي الله عنهم اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى يعني نفخة الصعق أمطر عليهم أربعين عاما كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجد النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يتولون يا ويلنا من بعثنا من مردنا وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع - وفي صحيح البخاري - أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدري كذلك كان ام بعد النفخة - وفي بعض ألفاظ البخاري - فاذا أنا بموسى أخذ بقائمة من

قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطوروه» أخرج الحكيم  
 والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه على  
 أبي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث  
 أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله قال الله تعالى ( الذين يحشرون على  
 وجوههم إلى جهنم ) يحشرون الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه: وقال قتادة  
 حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى النسائي والترمذي وحسنه عن عمرو بن شعيب عن  
 أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشرون يوم القيامة أمثال  
 الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال  
 له بولس نعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال وروى البزار  
 من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر  
 يطوهم الناس بأقدامهم فيقال ماهولاء في صور الذر فيقال هولاء المتكبرون في  
 الدنيا وروى الامام أحمد في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « يجاء  
 بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر تطوهم الناس من هوأتهم على  
 الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار» قيل يا رسول الله وما نار  
 الأنيار « قال عصارة أهل النار » وروى عن أبي سعيد رضي الله عنه انه لما حضره  
 الموت دعا بئيب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
 « الميت يبعث في ثيابه التي بموت فيها » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وفي  
 استناده يحيى بن أيوب وهو الغافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما  
 وله مناكير قال أبو حاتم لا يحتج به وقال الامام أحمد سيء الحفظ وقال النسائي  
 ليس بالقوي وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة ان المراد في ثيابه  
 التي قبض فيها أي في أعماله قال الهروي وهذا كحديثه الآخر يبعث العبد على  
 ما مات عليه قال وليس قول من ذهب إلى الاكفان بشيء لان الميت إنما يكفن  
 بعد الموت انتهى قال الحافظ المنذري وفعلى أبي سعيد راوي الحديث يدل على اجرائه  
 على ظاهره وان الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها ان الناس

يعمثون عراة فالله أعلم وحمل كثير من العلماء الحديث على الشهداء الذين أمر ان يدفنوا في ثيابهم التي قتلوا فيها وان أبا سعيد سمع الحديث في الشهداء فعمله على العموم قال البيهقي بجمع بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها ثم تنثر عندهم عند ابتداء الحشر وقد روى محمد بن نصر الروزي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة وفسره بعضهم بقبض شماله يمينه والأخفاء هكذا وبإسناده عن أبي صالح السمان قال يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذكر والانكسار والله أعلم

﴿ كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب ﴾

﴿ كذا ﴾ أي كما يجب الجزم بالبعث والنشور والحشر بعد الفسخ في الصور يجب ان تجزم جزما باتا بأمر ﴿ وقوف الخلق ﴾ من الانس والجن والدواب والطير وغيرهم قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا - وقال - ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه - وقال - يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) أي زمرا زمرا قال أبو هريرة رضي الله عنه ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطاقر وانسان وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ( واذا الوحوش حشرت ) يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر والحاصل ان الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام وفي تفسير مكِّي يحشر الناس يوم القيمة على أرض قدمدها الله تعالى مد الاديم العكاظي فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما قال وأكثر الاقدام يومئذ بعضها على بعض وقد ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال اذا قامت الساعة صرخت الحجاره صراخ النساء وقطرت العصاة دما

واعلم ان ليوم الوقوف أهوالا عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الالكباد وتذهل المراضع وتثيب الاولاد وهو حق ثابت ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه الاجماع وهو يوم القيامة وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم القيامة قبل

لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى ( يوم يخرجون من الاجداث سراعا )  
 وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه وقيل لقيام الناس لرب العالمين  
 كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ( يوم يقوم الناس لرب  
 العالمين ) قال يقوم الناس أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر رضي الله  
 عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب بن يقطين ثلاثمائة سنة وروى أبو يعلى  
 باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال « ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) مقدار نصف يوم من خمسين  
 ألف فيون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى ان تغرب » وروى الامام  
 أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أنس بن سفيان الخدري رضي الله عنه عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال ( يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ) فقيل ما أطول  
 هذا اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن  
 حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة » وروى ابن أبي الدنيا والطبراني من  
 طرق أحدها صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبد الله بن مسعود رضي  
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الاولين والآخريين لميقات يوم  
 معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضا » الحديث وعن  
 أبي هريرة يقومون سبعين سنة وقيل مقداره ألف سنة رواه الطبراني من حديث  
 ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ولفظ « امام مقام الناس بين يدي رب العالمين فألف  
 سنة لا يؤذونهم » وأخرج البيهقي عنه يمشون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يتكلمون  
 وقيل انما سمي يوم القيامة لقيام الملائكة والروح فيه صفا قال تعالى ( يوم يقوم  
 الروح والملائكة صفا ) قال القرطبي القيامة قيامتان صغرى وكبرى فالصغرى  
 ما تقوم على كل انسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله  
 والكبرى هي التي تم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على ان كل من مات  
 قامت قيامته قول النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من الاعراب سألوه عن الساعة  
 فنظر الى أحدث انسان منهم فقال ان يش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم  
 ساعتكم رواه مسلم وغيره وقال الشاعر

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أتى الحاملون جنازتي  
وعجل أهلي حفر قبري وصبروا خروجي وتعجيلي اليه كرامتي  
﴿ لطيفة ﴾ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم  
من الآخرة قال صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة

وقد أخرج الامام أحمد عن محمد بن أبي عميرة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم  
والطبراني عن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا لوان رجلا يخر على وجهه من يوم ولد  
الى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيمة وأخرج ابن المبارك عن كعب قال  
لوان رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لحشي أن لا ينجون ذلك اليوم واخرج الشيخان  
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « يعرق اداس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في  
الارض سبعين ذراعا و يلجمهم حتى يلع آذانهم » وفي بعض ألفاظ الصحيح « سبعين  
بأعا » وأخرج مسلم عن المنذر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول « اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين  
قال - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبيه  
ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه إجماما » وفي رواية له تدنى الشمس يوم القيامة  
من الخلق حتى تكون كقدر ميل قال سليم بن عامر ما أدري ما يعني بالميل مسافة  
الارض أو الميل الذي تكحل به العين قال « فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق  
فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم  
من يلجمه العرق إجماما » وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه وأخرج الامام  
أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عتبة بن عامر رضي  
الله عنه مرفوعا نحوه وزاد بعد قوله « ومنهم من يبلغ وسط فيه » وأشار بيده إجماعها  
فاه وقال أ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا ومنهم من يغطيه عرقه  
وضرب بيده وأشار ومريده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحته  
يمينا وشمالا وقال ابن مسعود رضي الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة والجنة  
من ورائها كواعبها وأكوابها والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى  
يسبخ في الارض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وماسه الحساب قالوا م ذلك

بأبأ عبد الرحمن قال مما يرى الناس رواه الطبراني باسناد جيد قوي وروى الطبراني أيضاً باسناد جيد عن ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه مرفوعاً «ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول يا رب أرخني ولو إلى النار» ورواه أبو يعلى وابن حبان بلفظ أن الكافر ليلجمه العرق الحديث وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ان العرق ليزن المرء في الموقف حتى يقول يا رب أرسلك بي إلى النار أهون علي مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب

(قائدة) قال الحفاظ قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام فيكونون قد سلموا من تلك الأهوال ونجوا من ذلك التنكيل والوبال ففي مسند الامام أحمد عن اسامة بن زأيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء الا أن أصحاب الجدد أي الحظ والثروة والمال محبوبسون. لان أهل النار فقد أمر بهم إلى النار» الحديث متفق عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً» وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسةائة عام»

وحاصل ذلك ان الخلق يتفنون المقدر الذي مر وتدنو الشمس من رؤس الخلائق مقدار ميل ويصيدهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس يومئذ أمر عظيم قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحرقت الارض واذابت الجوامد ونشفت الأنهار

وهذا الوقوف مع ما مر (للحساب) اثبات السنة والكتاب واجماع أهل الحق بلا رتباب قال تعالى (فور بك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقال في حق أعدائه (أولئك لهم سوء الحساب) قالوا يا ويلتنا لهذا الكتاب لا ية ادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ر بك أحداً فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال الشعبي الحساب تعرف الله عز وجل الخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك يدل على هذا قوله تعالى (يوم



يعشهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) وقال بعضهم معنى كونه محاسبا خلقه أنه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم. والحساب مصدر حاسب وحسب الشيء يحسبه بالضم إذا عده ساءا وهو معنى قول من قال الحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا بالوزن الا من استثنى منهم وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عباده على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه يعلمهم ما لهم وعليهم كما تقدم قال بعض العلماء بأن يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب (الثاني) ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويوزن بينهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعتكم (الثالث) ان يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب وفي هذا من صحيح الاخبار وصريح الآثار ما يقلع شروش من في قلبه نوع اختلاج أصل كل شبهة وبدعة فقد أخرج الترمذي من حديث أبي برزة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تزول قدماء عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما ابلاه» قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه البزار والطبراني باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ولفظه «ان تزول قدماء عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه» وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» فقلت أليس يقول الله (واما من أتى كتابه يمينه فسوف يمحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) فقال «انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك ورواه أبو داود والترمذي وغيرها ورواه البزار والطبراني في الكبير باسناد صحيح من حديث ابن الزبير رضي الله عنهما ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب هلك وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لتؤدن»

الْحَتُّوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنََاءُ وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَلفظه «يقتصم الخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القمراء وحتى للذرة من الذرة» ورواه رواية الصحيح الجلاء والجماء التي لا قرن لها وأخرج الإمام أحمد أيضا عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليختصن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيم انتطحا» واسناده حسن ورواه الإمام أحمد أيضا وأبو يعلى من حديث أبي سعيد وفي حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «يحشر الله العباد يوم القيامة - أو قال - الناس عراة غرلا بهما - قال قلنا وما بهما؟ قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الذي أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة» قال قلنا كيف وإنما نأني عراة غرلا بهما قال «الحسنات والنسيئات» رواه الإمام أحمد بإسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المقدس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وأني وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» وفي هذا أحاديث كثيرة وباللغة التوفيق

### ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) إنما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على أخذ الصحف مع أنه موخر عن أخذ الصحف في الوقوع لأن الحساب من المقاص وأخذ الصحف من الوسائل فقدمت المقاصد على الوسائل مع مراعاة قافية النظم والله أعلم

### ﴿ الثاني ﴾

كيفية الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه العسير ومنه اليسير ومنه العدل

والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيك ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك  
أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين

﴿ الثالث ﴾

أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الاموال والسعة وأول ما يحاسب  
عليه العبد الصلاة كما أخرج الامام عبدالله بن المبارك وأبو داود والترمذي وحسنه  
والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة يقول الله  
تعالى للملائكة انظروا لصلاة عبدي أيها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان  
نقص منها شيئاً قال الله انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أممو العبد  
فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذلك » وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله  
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب عليه العبد صلاته وأول ما يقضي  
بين الناس في الدماء فن قيل قد ورد في التنزيل ان الناس لا يستلون قال تعالى  
(فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان) فالجواب انه معارض بقوله تعالى (فوربك  
لنساءلهم أجمعين عما كانوا يعملون) وبجواب عن الآية الكريمة بأنهم لا يستلون  
سؤال استفهام لانه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يستلون سؤال تقرير فيقال لهم  
فعلم كذا قال في البهجة كغيره قال الحسن وقتادة لا يستلون عن ذنوبهم لان  
الله تعالى حفظها عليهم وكتبها للملائكة وقيل يستلون في موطن دون موطن  
رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ونظير هذا قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون  
ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وفي الآية الاخرى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم  
مختصمون) فلناس يوم اقيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن  
ثم قال الامام أحمد في أجوبته القرآنية أول ما تبعث الخلاق على مقدار سنتين  
سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام  
فيتكلمون فذلك قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً) الآية فاذا  
أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة  
عند ربكم مختصمون) عند الحساب واعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك

(لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد) يعني في الدنيا فان العذاب مع هذا القول كائن انتهى

### ﴿الرابع﴾

اختلف عن المستول عنه والمستول فقال ابن عباس رضي الله عنهما عن لا آله الا الله وقال الضحاك عن خطاياهم وقال القرطبي عن جميع أقوالهم وأفعالهم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً - فوريك لنساءلهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال الفخر الرازي ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والايان بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل والضمير في قوله تعالى لنساءلهم عائد على جميع المكلفين الانبياء وغيرهم ويدل على سؤا لهم صريحاً قوله تعالى (فلنستلن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فهذه الآية تدل على انه يحاسب كل عباده لانهم لا يخرجون عن ان يكونوا مرسلين أو مرسلات اليهم ويبطل قول من زعم انه لا حساب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار انتهى والجواب انه لا حساب على الانبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والتقرع قول النسفي في بحر الكلام الانبياء لا حساب عليهم وكذلك أطفال المؤمنين وكذلك العشرة المبشرون بالجنة هذا حساب المناقشة وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب ولذا قل علماءنا في عتادهم ويحاسب المسلمون المكفون الا من شاء الله ان يدخل الجنة بغير حساب وكل مكف مستول يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل قال شيخ مشايخنا البدر البلباني في عقيدته فالكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف أعمالهم لا توزن وان فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم رجونا له ان يخفف عنه العذاب انتهى وامل مراده غير عذاب الكفر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية يحاسب الله تعالى الخلق ويخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة قال وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانهم لا حسنات لهم ولكن تفسد أعمالهم وتحصي فيوقفون عليها ويقررون بها انتهى وعن عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه ما من عبد يخطو خطوة الا ويستل عنها ما اراد بها وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « ان اول ما يستل عنه يوم القيامة ان يقال له ألم اصحح جسمك وأرويك الماء البارد والذي نفسي بيده من النعيم الذي تستلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد » أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم والبعثي وأخرج الامام أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن الحسن مرفوعا « ثلاث لا يحاسبهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى به عورته » وأخرج البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حلالا الصائم والمتسحر والمرابط في سبيل الله » وأخرج البزار أيضا وأبو نعيم بسند حسن عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما فوق الازار وجف الخبز وظل الحائط وجزا ماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة أو يستل عنه » وأخرج الامام أحمد عن جده عن أبي عسيب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار ومعه أبو بكر وعمر فجاء صاحب الحائط بعنق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال « تستلن عن هذا يوم القيامة » فقيل يا رسول الله انا لمستلون عن هذا يوم القيامة قال « نعم الامن ثلاث خرقه يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته وجحر يدخل فيه من الحر والقر » وأخرج الطبراني والبزار والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي قال - تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك » وفي ترغيب الأصبهاني عن أنس مرفوعا « ان استطعت ان تسمي وتصيح وليس في قلبك غش لاحد فافعل فانه أهون عليك في الحساب » وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال اعرابي يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة قال الله قال نجونا ورب الكعبة قال وكيف يا اعرابي قال لان الكريم اذا قدر عفا وما أحسن ما قيل من الحكيم المدونة الكريم اذا قدر غفروا اذا زلت معه ستر ومنها ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام

﴿ فائدة ﴾

ذكر القرطبي كفته ان الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان اكراما لهم ولا يكلم الكافرين بل يحاسبهم الملائكة اهانة لهم وتمييزا لأهل الكرامة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيمهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ورجل بايع اماما ما يبايعه الا لدنيا فان أعطاه ما يريد وفي له والا لم يف له ورجل يبايع رجلا بعد العصر فحلف بالله لقد اعطيت كذا وكذا فصدقه ولم يعط بها »

﴿ الخامس ﴾

ثبت في عدة أخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما كر الليل على النهار ان طائفة من هذه الأمة بلا ارياب يدخلون الجنة بغير حساب فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين وأخذ الصحف بالشمال واليمين فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « عرضت عليّ الأمّ يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون أمتي فقبل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقبل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك أصحابه فقالوا امان نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنّا بالله ورسوله هؤلاء أبناؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم الذين لا يسترقون ولا يكتبون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال أنا منهم وفي لفظ ادع الله ان أكون منهم يا رسول الله قال نعم ثم قام آخر فقال أنا منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (الداء والدواء) قوله صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عكاشة: لم يرد ان عكاشة وحده أحق بذلك ممن

عداه من الصحابة ولكن لودعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساك أولى وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي» ويروي حنفات بالفتح وهو الغرف ملء اليدين وقبل الحثية باليد والحفنة باليدين وأخرج الامام أحمد والطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال «إن ربي خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيثة عنده لأمي» فقال له بعض أصحابه أينبأ ذلك ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال «ان ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيثة عنده» فقيل يا أبا أيوب وما نظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا ما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو أيوب دعوه أخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول رب من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسول مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة الخبيثة بخاء معجمة فموحدة وهمزة بوزن خطيئة وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا «سألت ربي فوعدني ان يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر فاستزده فزادني مع كل ألف سبعين ألفا فقلت أي رب أرأيت ان لم يكن هؤلاء مهاجري أمي قال اذا أكلمهم لك من الاعراب» وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه قال نفيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال «لم يحدث الاخيرا ان ربي وعدني ان يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يا رب وتبلغ أمي هذا

قال أكمل لك العدد من الاعراب» (١) وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد واستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفا» قال أبو بكر فرأيت ان ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حافات البوادي وأخرج الامام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي أعطاني سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدت قال «قد استزدت فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفا» قال عمر فهلا استزدت قال «قد استزدت فاعطاني هكذا وفرج بين يديه وبسط باعیه وحثا» قال هشام هذا من الله ما يدري ما عدده وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب» فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا فقال عمر يا أبا بكر ان شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة وأخرج الامام أحمد بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت يارب هم خلفك وعبادك فقال لا تخزيك في أمتك واخبرني ان أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب» وأخرج هذا عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد ينادي ابن الذين كانوا يمدون الله على السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ابن الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون» ورواه ابن أبي الدنيا وغيره وذكره الخافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف فقال قد روي ان المتجهدين يدخلون الجنة بغير حساب

(١) هكذا أورد الحديث المصنف وفيه ما ترى مما لا يوافق القواعد وهو لا يصح



وذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم فذكر الحديث قال الحافظ ابن رجب ويروي أيضا عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله ويروي نحوه من حديث ابن اسحق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ويروي نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وريعة الجرشية والحسن وكعب من قولهم قال الحافظ قال بعض السلف قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة قال وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب والله أعلم

ولما تمهينا الكلام على الحساب بحسب ما يليق بهذا الكتاب ثنينا العطف على شرح الصحف والميزان المشار إلى ذلك في قوله ﴿و﴾ كذا وقوف الخلف لاخذ ﴿الصحف﴾ جمع صحيفة وهي الكتب كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية وقيل هي صحف تكتبها العباد في قبورها قال تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الثعلبي أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب وإنما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعاً للجدل والعدا وقال تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا) قال العلماء معنى طائره عمله وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه لا يفارقه وهو معنى الاول وقال تعالى (وإما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) وفي الآية الاخرى (فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا) والقتيل هو القشر الذي في شق النواة وهذا يضرب مثالا للشيء الحقيقير وذكر مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالقتيل الوسخ الذي يظهر بقتل الإنسان إبهامه بسببته قال العلامة الشيخ مرعي وإنما خص القراءة بمن أوتي كتابه يمينه دون من أوتيته بشماله لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيتولى الخوف والدهش

على قلوبهم ويثقل لسانهم فيعجزون عن القراءة الكاملة بخلاف أصحاب اليمين فانهم إذا طالوا صحف حسانهم وجدوها على السكال فيقرءون كتابهم على أحسن الاحوال وأتمها ثم لم يقنع أحد بقراءته حتى يقول لأهل المحشر: هاؤم اقروا كتابيه: كما قاله الفخر وغيره وقال تعالى (وأما من أوتي كتابه يمينه فسوف يخاصب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا)

والخاصل ان نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الايمان به وعقد القلب بانه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاجماع فقد أخرج العميلي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحا فتطيرها بالايمن والشمال» أول خط فيها (اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا) قال قتادة سيقرا يومئذ من لم يكن قارنا في الدنيا وأخرج الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه» وقال ابن مسعود رضي الله عنه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله» ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ولفظه: واما الثالثة فتطير الصحف في الايدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله: وأخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه: واما العرضة الثالثة فتطير الكتب في الايمان والشمال: قال الحكيم الترمذي الجدال للاعداء يجادلون لانهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم اذا جادلوه نجوا أو قامت حجته والمعاذير لله يعتذر الى آدم والى أنبيائه ويقم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يدوق وبال الحياء والحجل ثم يغفر لهم ويرضى عنهم وأخرج ابن المبارك عن أبي عثمان النهدي قال ان المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيآته فيتغير لونه ثم يقرأ حسناته فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيآته قد بدلت حسنات

فعد ذلك يقول هاؤم اقروا كتابيه وأخرج مكّي في تفسيره عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت يا رسول الله كيف يحاسب حسابا يسيرا قال «بوتي العبد كتابه يمينه فيقرأ سيّانه ويقرئ الناس حسناته ثم يحل الصحيفة فيحول الله حسناته فيقرأها الناس فيقولون ما كان لهذا العبد من سيّته» فهذا تفسير قوله تعالى (واما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) أهله هم أهل الجنة كفي البهجة وأخرج الترمذي وحسنه وابن حبان والبيهقي والبخاري وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه مر فوعا في قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) قال يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه ويمدله في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأأ فينطاق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم أتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أشيروا فن لكل واحد منكم مثل هذا واما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابه فيقولون اللهم انا نعوذ بك من هذا اللهم لا تأتنا بهذا فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدهم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال «اما عند ثلاث فلا عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف وعند تطاير الكتب فيما ان يعطى بيمينه أو بشماله وحين يخرج عنق من النار» الحديث

## ﴿ فوائد ﴾

(الاولى) قال سعيد بن المسيب الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه وقيل تززع من صدره الى خلف ظهره وقال مجاهد في قوله تعالى (واما من أوتي كتابه وراء ظهره) قول يجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (الثانية) يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع أو يدخلها من صدره أو تلوى ويمطى المؤمن المعاصي كتابه بشماله من أمامه ويمطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه وقد جزم الماوردي بأن المشهور ان الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولاً بالوقف قال ولا قائل بأنه يأخذه

بشاله وقال يوسف بن عمر من المالكية اختلف في عصاة الموحدين فقتيل يأخذون كتبهم بأيمانهم وقيل بشانهم وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل يأخذونها قبل الدخول في النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها والله أعلم

(الثالثة) ورد أن أول من يأخذ كتابه يمينه أبو سلمة ابن عبد الأسد واسمه عبد الله وهو أول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وهو أول من هاجر من مكة الى المدينة وقال بعض علماء المالكية أول من يعطى كتابه يمينه وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده أبو سلمة انتهى وروي أن أول من يأخذ كتابه بشاله اخو أبي سلمة بن عبد الأسد الاسودروي انه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشاله من وراء ظهره وذلك لانه كان خلع يد سلمة لما أراد ان يهاجر ففزع بنو المغيرة أم سلمة أن تشير مع أبي سلمة ونزعوا خطام البعير من يده فأخذوها منه فغضب رهط أبي سلمة وهم بنو عبد الأسد فاجتذبوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث أخذها رهطها ولم يدعوها تسير مع أبي سلمة فخلعوا يد الغلام القصة فجوزي الاسود بخلع يده فالجزء من جنس العمل قال القرطبي في تذكرته اذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤمر بعد البعث حوسبوا بها وأخرج ابن المبارك عن رجل من بني أسد قال قال عمر رضي الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة قال نعم يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق الا وهو ينظر الى عمله ثم يوثق بالصحف التي فيها أعمال العباد فتشتر حول العرش ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه يمينه فينظر فيه

﴿و﴾ كذا وقوف الخلق لاجل ﴿الميزان﴾ اعلم ان مراتب المعاد البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان ﴿للتواب﴾ أي ثواب الاعمال الصالحة وعن السيئات الفاضحة قال علماءنا كغيرهم تؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال قال ابن عباس رضي الله عنهما توزن

الحسنات في أحسن صورة والسيئات في أقبح صورة قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته الصحيح ان المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم وقال القرطبي في تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ؕ وأما من خفت موازينه فأماه هاوية ؕ وما أدرىك ماهية ؕ نارحامية)

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فالكتاب ما ذكرناه وقوله تعالى (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الى غير ذلك من الآيات وروي ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه فلما أفاق قال الهسي من ذا الذي يقدر يملأ كفة حسنائه فقال اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة ذكره الرازي والثعلبي وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه ان ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احدهما لوسعتهن وجبريل أخذ بعموده ينظر الى لسانه قال في البهجة في هذا ان أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الانس وهو كذلك ارتضاه الائمة قال القرطبي في تذكرته المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة وصفائهم في الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصفات وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترفع وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الحالية قال واما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة وان كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الاخرى فلا تقاومها اظهاراً لفضل المتقين وذل الكافرين والحق ان الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ومن قال توزن أعمالهم لو روده في ظواهر عموم الآيات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته

والحق ان موثني الجن كالانس في الوزن وكافرهم ككافرهم وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعن فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وأخرجه الامام عبد الله بن المبارك في الزهد والآجري في الشريعة عن سلمان موقوفاً وأخرج البزار والبيهقي في البعث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يوتي باين آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » وذ كر الثعلبي وغيره وابن جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه انه قال صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام وأخرج أبو الشيخ بن حبان في تفسيره من طريق الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الميزان له لسان وكفتان فقد دلت الآثار على انه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن البصري وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر وانفقد اجماع أهل الحق من المسلمين عليه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار قال وان الميزان تخف بمقال حبة وترجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط وأخرج الامام أحمد في الزهد من طريق رباح بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال « من هذا قال فلان قال جبريل انا انازن أعمال بني آدم كلها الا البكاء فان الله يطفىء بالدمعة بحورا من نيران جهنم » وأخرج البيهقي عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما غرورقت

عين بماثها الاحرم الله ذلك الجسد على النار ولا سالت قطرة على خدها فيهرق ذلك الوجه قبر ولا ذلة ولو ان با كيا بكى في أمة من الامم لرحموا وما من شيء الا له مقدار وميزان الا الدمعة فانها يطفأ بها بحار من انار» وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال «انا فاعل ان شاء الله» قلت أين أطلبك قال «أول ما تطلبني على الصراط» قلت فان لم ألقك على الصراط قال «فاطلبني عند الميزان» قلت فان لم ألقك عند الميزان قال «فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطي هذه الثلاث مواطن» ورواه البيهقي في البعث وغيره

### ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر فالاشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفته كاطباق السموات والارض كإمر وقيل انه لكل أمة ميزان وقال الحسن البصري لكل واحد من المكافين ميزان قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى (ونضع الموازين) وقوله فمن نقلت موازينه قال وعلى هذا فلا يعد ان يكون لأفعال القلوب ميزان ولا أفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان أورد هذا ابن عطية وقال الناس على خلافه وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد وقال بعضهم إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم وهو حسن

### ﴿ الثاني ﴾

اختلف في الموزون قيل يوزن العبد مع عمله وقيل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله سبحانه كما جاء به الحديث فامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لا يخفى وقيل ان الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الاعمال من غير

قلب لها والحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما وصوبه الشيخ مرعي في بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال «الصحف» ذكره الفخر الرازي وغيره وحكاه ابن عطية عن ابن أبي المعالي ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم على شرط مسلم عن عبدالله بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتتك من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتني الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر أو حسنة فيقول لا يارب فيقول الله بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فإنك لا تظلم وتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء» قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت بهذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال وهو الحق فان قيل قد اخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان فان أبواب ان هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذي يفتر ببعض الاجسام وهو كناية عن عدم كثرات الله بالاجسام فان الله لا ينظر للمصور وانما ينظر للاعمال والقلوب فكم من جسم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم فهذا محل الحديث الصحيح والله أعلم

### ﴿ الثالث ﴾

قال النسفي في بحر الكلام ان الايمان لا يوزن لانه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الاخرى لان ضده الكفر والايمان والكفر لا يكونان في الانسان الواحد قلت يرد هذا وزن كلمة الاخلاص وهي أس الايمان وانتصر القرطبي



للسفي كالحكيم الترمذي وأجاب عن كلمة الاخلاص بأها انما تكون ايمانا أول مرة وبعد ذلك تكون من حسناته قال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: بلى ان لك عندنا حسنة: ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا اله الا الله من الحسنات هي فقال من أعظم الحسنات رواه البيهقي وغيره قلت وفيه نظر لا يخفى (فإن قيل) ما الحكمة في الوزن مع ان الله عالم بكل شيء فيعلم خائفة الاعين وما تخفى الصدور (أجاب) الثعلبي بان الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر وقال العلامة الشيخ مرعي بل الحكمة فيه اظهار العدل وبيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر (وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لده اجرا عظيما)

#### ﴿الرابع﴾

ظواهر الآثار وأقوال العلماء ان كيفية الوزن في الآخرة خفة وثقلا مثل كيفيته في الدنيا مائقل نزل الى أسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش الى أعلا ثم نزل الى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبي وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذا رجح سعد وسفلت سيئاته والكافر تسفل كفته لخلو الاخرى عن الحسنات ثم تلا قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) وذ كر بعضهم في صفة الوزن ان تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات في كفة النور وهي عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل أحد وبالله التوفيق

وما انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتطاير الصحف والميزان للثواب أعقب ذلك بذكر الصراط فقال

﴿ كذا الصراط ثم حوض المصطفى نياهننا لمن به نال الشفا ﴾

﴿ كذا ﴾ اجزم بثبوت ﴿ الصراط ﴾ فإنه حق ثابت بلا شك ساطع وهو في اللغة

الطريق الواضح ومنه قول جرير

أمير المؤمنين على صراط إذا عوج الموارد مستقيم

وقول الآخر

« فصد عن نهج الطريق الواضع » والصراط بالصاد والسين المهملتين وبالزاي على نزاع في اخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاي من سرطت الشيء بكسر الراء اذا ابتلغته لانه يتلغ المارة كما أن الطريق كذلك أي يغييبهم وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأ ولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم قال القرطبي في تذكرته اعلم رحمك الله تعالى ان في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقيابهم وخفيفهم الامن دخل الجنة بغير حساب والامن ياتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولا يخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستغند حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقته ذنوبه وزاد على الحساب جرمه وعبوبه فقد أخرج البخاري والاسماعيلي في مشيخته واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) قال يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا قال قتادة كان يقال ما يشبه بهم الا أهل الجمعة انصرفوا من جمعهم قال القرطبي هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين اما من دخلها ثم أخرج فأنهم لا يحسبون بل اذا خرجوا بشوا على انهار الجنة وقال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار أي ينجون من السقوط فيها بمجاورة الصراط فيها قال واختلف في القنطرة المذكورة فقيل انها من تمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل انها صراط آخر وبه

جزم القرطبي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في علوم الآخرة والاول يعني انه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو المختار الذي دلت عليه احاديث القناطر والحساب على الصراط انتهى

قال العلماء الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحى من الحجر فقد أخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة أي مزلفة أي لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبتته الله تعالى عليه كالاليب من نار تخطف أهلها فتمسك بهواديها ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذي لا ينشب ان ينجو ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل وتمن فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه وأخرج ابن ميسع في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصراط كحد السيف دحض منزلة ذا حسك ٧ وكلايب وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لجهنم جسر ادق من الشعر وأحد من السيف عليه كلابيب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم فاج سلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه » وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال بلغني ان الجسر ارق من الشعر واحد من السيف وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك السعدان ثم يستجيز الناس فجاج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومجتبس به ومنكوس فيها » وأخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كالجد الخيل والرابعة كالجود البهائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان

جبريل لاخذ بحجزتي واني لاقول يارب سلم سلم فالزاون والزالات يومئذ كثير  
 وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال بلغنا ان الصراط مسيرة  
 خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى  
 أدق من الشعرة وأحد من السيف على من جهنم لايجوز عليه الاضامر موزول  
 من خشية الله تعالى وفي بعض الآثار ان طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة  
 ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استواء وفي بعض الروايات ان جبريل  
 في أوله وميكائيل في وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابههم في  
 ما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به وفي بعض الآثار ان فيه سبع قناطر يسئل كل  
 عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف (قلت) وقد ذكر القرطبي في تذكرته  
 عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل على سبع قناطر فأما  
 القنطرة الأولى فيسئل عن الايمان بالله وهي شهادة لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا  
 والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها  
 تامة جاز ثم يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل في  
 الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان  
 جاء بها تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بها  
 تامين جاز الى السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسئل فيها عن ظلمات الناس  
 وتبعات الخلق وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرف الصراط  
 نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل  
 عاص منكم وظالم وأخرج الحاكم وصححه الطبراني عن أم الدرداء قالت قلت  
 لابي الدرداء ألا تبتغي لاضيا فكما تبتغي الرجال لاضيا فهم فقال سمعت رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم يقول «ان امامكم عقبه كودا لايجوزها المثلون فأحب أن تخفف لتلك  
 العقبة» قوله كود هي بفتح الكاف وهمزة مضمومة الصعبة وأخرج البزار بلفظ  
 «ان بين أيديكم عقبه كودا لاينجو منها الا كل مخف» وأخرج الطبراني عن أنس  
 رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان بين أيدينا عقبه كودا لا يصعدھا  
 الا الخفون» فقال رجل يا رسول الله أمن الخفين أنا أم من المثقلين قال «عندك

طعام يوم - قال نعم - وطعام غد - قال لا - قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم عهد الي ان دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان تأتي عليه وفي احوالنا اقتدار واصطبار أخرى ان تنجو من ان تأتي عليه ونحن مواقير

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اتفقت الكرامة على اثبات الصراط في الجملة لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من اتباعه زعما منهم أنه لا يمكن عبوره وان أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وانا المراد طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى ( سيهديهم ويصلح بالهم) وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى ( فاهدوهم الى صراط الجحيم) ومنهم من حمله على الادلة الواضحة والمباحات والاعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها وكل هذا باطل وخرافات لوجود رد النصوص على حقائقها وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة سالحة لذلك وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام والحق أن الصراط وردت به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جواره متفاوتون وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف هذا ان ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للاحاديث الاخر من قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلايب والحسك فيه واعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه قال القرافي والصحيح انه عريض وقيل طريقان يعني ويسرى

فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى (وان منكم الاواردها) على أحد الأقوال ثم قال القراني تبعا للحافظ البيهقي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف لم أجده في الروايات الصحيحة وانما يروى عن بعض الصحابة فيقول بأن أمره أدق من الشعر فان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الحفي وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله واجازة الناس عليه ورد هذا الامام القرطبي وغيره من أئمة الآثار وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن ابن سعيد بلاغا وليست مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة وقد مر من الاخبار ما يوجب الايمان بذلك ثم ان القادر على امساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجره ويمشيه على أنه أخرج الامام عبدالله بن المبارك وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة

(الثاني) تقدم ان الصراط مخلوق الآن ونقل في كثر الاسرار عن بعض أهل العلم انه يجوز ان يخلقه الله تعالى حين يضرب على من جهنم ويجوز ان يكون خلقه حين خلق جهنم ونحوه في كلام القاضي عياض قال الحلبي من الشافعية لم يثبت انه يبقى الى خروج عصاة الموحدين من النار فيجوزونها عليه الى الجنة ويحتمل انه يزال ثم يعاد لهم أولا يعاد أو تصعد به الملائكة الى السور الذي في الاعراف قال البدر الزركشي ومن الحكمة في الصراط ورفعها ان يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى العجاة من النار وتصير الجنة أسر لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور

(الثالث) من الحرافات الباردة زعم من زعم ان ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار فهو كلام تنبوعه المسامع ويكذبه كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا ينبغي ان يلتفت اليه ولا يعول عليه والله تعالى أعلم

﴿ ثم ﴾ اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بثبوت ﴿حوض﴾ النبي ﴿المصطفى﴾ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع أهل الحق وقال تعالى ( انا أعطيناك الكوثر ) قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحداً واحداً والله أعلم

قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى أن الحوض بعد الصراط قال والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالي ذهب بعض السلف الى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء قال «أى والذي نفسي بيده ان فيه ماء وان أولياء الله ليردون الى حياض الانبياء عليهم السلام» ورجح القاضي عياض ان الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار وقال ابن حمدان في عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط. انتهى وقال الحافظ ابن حجر ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر فيه قال واماما أورد عليه من ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان يروه ويذهب بهم الى النار فجوابه أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون ٧ في دفعون في النار قبل ان يخلصوا من بقية الصراط وقال القرطبي في التذكرة ن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة

وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلام العرب الخير الكثير قال الجلال السيوطي وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراط فان قيل اذا اخلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا الى الشراب منه فالجواب بل يحتاجون الى ذلك لانهم محبوبون هناك لاجل المظالم فكان الشرب في موقف القصاص ويحتسب الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لاخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار حتى يهذبوا منها على الصراط ولعل هذا اقوي انتهى قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته وهذا في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق انتهى قال القرطبي في التذكرة ولا يخظر ببالك أو يذهب وهمك الى ان هذا الحوض يكون على وجه هذه الارض وإنما يكون وجوده على الارض المبدلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الارض وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط. أخرج الشيخان وغيرها من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حوضي مسيره شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظلم أبدا» وفي رواية «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق» وهي عندهما أيضا وأخرج الامام أحمد بسند صحيح وابن حبان في صحيحه واللفظ للامام أحمد عن أبي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله وعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بغير حساب» فقال يزيد بن الاخنس والله ما أولئك في أمتك الا كالذباب الاصب في الذباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا وزادني ثلاث حثيات» قال فما سعة حوضك يا رسول الله قال «كما بين حدثن الى عمان واوسع واوسع» يشبر بيده قال فيه مشعبان بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة هومسيل الماء من ذهب وفضة قال فمأء حوضك يا نبي الله قال «أشد يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا» ومن ثم قال ﴿فيا هنانا﴾ قال في القاموس الهناء



والمهنا ما أتاك بلا مشقة وقدهني وهنوا هنا وهنأني ولي الطعام مهنا ومهني ومهنوا  
هنأ وهنأ وهنأ وهنأ تيه العافية وهو هني سائغ كأنه يقول أيها الشراب السائغ  
الهني الآتي بلا مشقة أقبل لمن أي على شخص من ذكر أو أنثى به أي  
بسبب الشرب منه نال أي أعطي يقال ناله ينوله إذا أعطاه قال في القاموس النوال  
والنائل العطاء ونلت له وبه أنوله وبه نلته وأنلته إياه ونولته ونولت عليه وله أعطيته فيه  
متعلق بنال والشفاء من ظأ ذلك اليوم والشفاء هو الدواء واجمع أشفيه وجمع الجمع  
أشاف يقال شفاه يشفيه براه وطلب له الشفاء كأشفاه كما في القاموس ففي حديث أبي  
ابن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ما الحوض قال «والذي  
نفسى بيده إن شربه أبيض من اللبن وأحلا من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا  
من المسك وآيته أكثر عددا من النجوم لا يشرب منه إنسان فيظأ أبدا ولا يصرف  
عنه إنسان فيروى أبدا» رواه ابن أبي عاصم وغيره ففي هذا الحديث إن من لم يشرب  
من حوضه صلى الله عليه وسلم من أمته لا يزال متصفا بداء الظأ أبدا وروى نحوه  
البيزار والطبراني من حديث أنس مرفوعا وفيه من شرب منه شربة لم يظأ أبدا  
ومن لم يشرب منه لم يروأ أبدا وأخرج الطبراني أيضا نحوه في الأوسط من حديث  
أبي سعيد الخدري مرفوعا وفي ذلك عدة أحاديث

﴿عنه يذاود المفترى كما ورد ومن نحاسيل السلامه لم يرد﴾

﴿عنه﴾ أي عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم وعن الشرب منه ﴿يذاود﴾ بضم التحتية  
وفتح الذال المعجمة فدل مهملة قبلها ألف مبني لما لم يسم فاعله أي يطرد ويساق ويدفع  
دفاعا عنيفا قال في القاموس الذود السوق والطرود والدفع كالذيادة ﴿المفترى﴾ نائب الفاعل  
من الفرية بكسر الفاء الكذب يقال فرى فرى فريا وافرى يفرى افرأ إذا كذب وهو  
افتعال منه ومنه (ولا يأتين بيهتان يفرينه) وفي الحديث «من أفرى الفرى إن يري  
الرجل عينيه ما لم يريا» فالفرى جمع فرية وهي الكذبة وافرى أفعل منه للفضيل أي  
أ كذب الكذبات إن يقول رأيت في النوم كذا ولم يكن رأى شيئا لأنه كذب  
على الله لأنه هو الذي يرسل ملك الرويا ليريه المنام والحاصل أن من الذين  
يذاودون عن الحوض جنس المفترين على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

من المحدثين في الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبدع  
المضلة وكذلك المسرفون من الظلمة المفرطون في الظلم والجور وطمس الحق كذلك  
المتهتكون في ارتكاب المناهي والمعلنون في اقتراف المعاصي فقد أخرج مسلم في  
صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفائة  
ثم رفع رأسه متبسماً فقال «أنزلت عليّ آتفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم  
انا اعطيناك الكوثر) حتى ختمها قال «هل تدررون مال الكوثر - قالوا الله ورسوله أعلم  
قال - هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير نرد عليه أمي يوم القيامة آتته عدد  
الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمي فيقال انك لا تدري ما أحدث  
بعدك» وأخرج الطبراني عنه مرفوعاً أعطيت الكوثر قلت يا رسول الله وما الكوثر  
قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظأ  
ولا يتوضأ منه أحد فيشعث لا يشرب به من اخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي» وأخرج  
مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال «ليردون عليّ الحوض أقوام فيختلجون دوني فأقول رب أصحابي رب  
أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن  
ريحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين الحسن بن علي رضوان الله عليهما أنه  
قال لما واية أنت السباب لعلي اما والله لتردن عليه الحوض وما أراك ترده فتجده  
مشمر الأزار على ساق يندود عنه لا يأتي المنافقون ذود غريبة الأبل قول الصادق  
المصدوق وقد خاب من افتري وأخرج الطبراني وابن حبان والحاكم وصححه عن  
خباب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «سيكون امرأ من بعدي  
فلا تصدقهم بكذبهم ولا تعينوهم على ظلمهم فمن فعل لن يرد علي الحوض» وأخرج  
البخاري ومسلم وغيرهما من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي  
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انا فرطكم على الحوض  
من ورد شرب ومن شرب لم يظأ أبدا وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال  
بيني وبينهم» قال أبو حازم فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدث هذا الحديث  
فقال هكذا سمعت سهلاً يقول قلت نعم فقال وأنا أشهد علي أبي سعيد الخدري

سمعت يزيدي «إنهم مني فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن بدل  
بعدي» وأخرج الامام أحمد والطبراني والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح ويحيا  
بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب فيقال ما زالوا بعدك مرتدين على أعقابهم»  
وأخرج الحكيم في نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه عن النبي  
صلى الله عليه وسلم انه قال «يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي فمات  
قبل ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة» وأخرج الترمذي  
والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج  
عليهم وقال «انه سيكون بعدي امرء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم  
على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يوارى علي الحوض ومن لم يدخل عليهم  
ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض»  
وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال «ليرفعن لي رجال من أصحابي اذا رأيتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقال  
انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فهذا معنى قوله ﴿ كما ورد ﴾ ذلك في الاحاديث  
النبوية مما ذكرنا وما لم نذكر وقد أخرج البخاري ومسلم حديث ابن مسعود  
رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا فرطكم على الحوض ويرفعن  
الي رجال منكم اذا هويت اليهم لانا ولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي  
فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفيها من حديث أنس رضي الله عنه ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا  
رفعوا الي اختلجوا دوني فلا قولن أي رب أصحابي فليقالن لي انك  
لا تدري ما أحدثوا فأقول سحقا لمن بدل بعدي» وفي الصحيحين من حديث أبي  
هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «يرد علي يوم القيمة رهط من أصحابي  
أو قال من أمتي فيحلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول انه لا علم لك  
بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أديبارهم القهقري» وفي رواية فيجلون قال في جامع  
الاصول اختلجوا اذا استلبوا وأخذوا بسرعة وقوله فيجلون يعني مبنيا للمجهول أي

يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده اذا كان بالخاء المهملة ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النبي عن الوطن وهو راجع الى الطرد وفي رواية عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بيننا أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم أخرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت الى أين فقال الى النار والله فقلت ماشأهم فقال أنهم قد ارتدوا على أديبارهم القهقري ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت الى أين قال الى النار والله فقلت ماشأهم قال أنهم ارتدوا على أديبارهم فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم» وفي رواية لمسلم «وليصدقني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك» وعند مسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال «فوالله ليتقطعن دوني رجال فلا قولن أي رب مني ومن أمي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم» وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أني على الحوض انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يارب مني ومن أمي - وفي روايته - فأقول أصحابي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك فوالله ما برحوا يرجعون على أعقابهم» وفي ذلك أحاديث كثيرة جدا قال القرطبي قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله وأحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والرافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق واذلال أهله والعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيف والبدع ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة ان كان التبديل في الاعمال ولم يكن في العقائد قال وقد يقال ان أهل الكبائر يردون ويشربون واذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش انتهى فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومرودون عن الشرب منه ﴿ومن﴾ أي وأي شخص من هذه الامة من ذكر واتى ﴿نحاً﴾ أي قصد يقال نحاه ينحوه وينحاه قصده كالتحاه ﴿سبل﴾ بضم السين المهملة ككتب جمع سبيل وهو الطريق وما وضع

منه وجمعه مع أن الطريق الحق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منه إليها ﴿السلامة﴾ من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة قال في القاموس السلامة البراءة من العيوب يعني أن من نهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبائر الذنوب فإنه يرد على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب منه و﴿لم يرد﴾ عن الشرب منه ولم يطرد عن الورد عليه كما يفهم من الأحاديث المارة وبالله التوفيق

### ﴿تنبهات﴾

(الاول) اختلفت الروايات في تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياه سواء وفي رواية عند الامام أحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وفي رواية في الصحيحين ما بين صنعاء والمدينة وفي رواية لها أيضا ما بين المدينة وعمان وفي رواية ما بين أيلة ومكة وعند ابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وفي رواية ما بين جرباء وأذرح وفي رواية ما بين أيلة وصنعاء اليمن وهو في الصحيحين قال في جامع الاصول عن كون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح رواه البخاري ومسلم وأبو داود وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وفي لفظ ثلاثة أيام قال في القاموس وجرباء قرية بجانب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواية الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح انتهى وفي مسلم والترمذي مثل ما بين عدن الى عمان البلقاء قال بعض العلماء وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف في الرواية لان ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة وقد سمعوه في مواطن متعددة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم المتكلم ويفهم السائل وبحسب ما يسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة ويحدد الحوض بحسب ما يفهم الحاضرون من الإشارة قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد

تارة على ثلاثين يوما وينقص الى ثلاثة أيام لا يصلح أن يكون من ضرب المثل في التقدير لأنه إنما يكون بما يتقارب. ورد عليه بأن روايه ثلاثة أيام اعترف هو نفسه بأنها غلط فلا يتوجه الاعتراض بها وقال النووي ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلما معارضة وقال بعضهم يحمل القصير على العرض والطويل على الطول قلت ويرد هذا زواياه سواء وأوضح من هذا ما في رواية طوله وعرضه سواء وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعه السير وعدمها فقد عهد في الناس من يقطع مسافة عشرة أيام في ثلاثة أيام وعكسه وأكثر من ذلك وأقل والله أعلم

(الثاني) خالفت المعتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف في اثباته فهو مبتدع وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح وأما قوله تعالى (انا اعطيناك الكوثر) ففيه اختلاف هل هو الحوض أو الخير الكثير أو النهر الذي في الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فنكره زائغ عن الصواب مستحق للطرد والعذاب ويكفيه من الحزبي والنكالي أنه يذاد عنه ويطرد ويمنع من الشرب منه ويرد وقد أخرج أبو داود عن أبي طالوت قال شهدت أبا برزة رضي الله عنه دخل على عبد الله بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه قال أن محمد يكلم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب اني أبقي في قوم يعيرونني بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عبيد الله أن صحبة محمد لكم زين غير شين ثم قال إنما بعثت اليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا قال أبو برزة رضي الله عنه لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاء الله منه ثم خرج مفضيا

(الثالث) جاء في الاخبار أن لكل نبي حوضا فأخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا ترده أمته وانهم يتباهون أيهم أكثر وارده واني أرجو أن اكون أكثرهم وارده» وورد في بعض الاخبار أن لكل نبي حوضا الا صالحا عليه السلام فان حوضه

ضرع ناقته والله أعلم

﴿فكن مطيعا واقف أهل الطاعة في الحوض والكوثر والشفاعة﴾  
 ﴿فكن﴾ أيها الناظر لنظامي السامع لكلامي ﴿مطيعا﴾ لما جاءت به الاخبار  
 وصحت بمقتضاه الآثار من صريح المنقول وصحيح المعقول ﴿واقف﴾ أمر من  
 قفوته قفوا وقفوا تبعته كتنقيته واقتنيته أي اتبع في اعتقادك واقتصد في نهجك  
 وارتياك ﴿أهل الطاعة﴾ من فرقة أهل السنة والجماعة فانها الفرقة الناجية  
 والعصابة التي لكل فوز راجية والطاعة اسم من أطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له  
 بطوع ويطيع فهو طائع أي اذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا اتقاد  
 وأطاع اذا اتبع الامر ولم يخالفه ﴿في﴾ اعتقاد اثبات ﴿الحوض﴾ الذي تقدم  
 ذكره بالاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وتقدم دعاء الصحابي على من  
 كذب به ان الله لا يسقيه منه ومرفى الاحاديث ان من أحدث في هذا الدين  
 لا يسقى منه وكفى بانكار السنة الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة ﴿واقف أهل  
 السنة والجماعة في اثبات الكوثر﴾ وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه  
 الخير الكثير قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما الكوثر «ذاك نهر أعطانيه الله  
 عز وجل - يعني في الجنة - أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل فيه طير أعناقها كاعتناق  
 الجزر» قال عمر رضي الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكلتها  
 أنعم منها» رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي صحيح البخاري عن أنس رضي  
 الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بيننا انا أسير في الجنة اذا بنهر حافظه  
 قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك  
 قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر» وفي صحيح مسلم من حديث المختار  
 ابن فلفل عن أنس أيضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكوثر  
 نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل» وفي الترمذي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر في الجنة حافظه من ذهب  
 ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلا من العسل وأبيض  
 من الثلج» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال الامام المحقق ابن القيم في

كتابه (حادي الارواح الى منازل الافراح) عن مجاهد في قوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الخير الكثير قال وقال أنس بن مالك رضي الله عنه نهر في الجنة وقالت عائشة رضي الله عنها نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر قال الامام ابن القيم وهذا معناه والله أعلم ان خرير ذلك النهر شبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه انتهى وجاء في التفسير ان الكوثر القرآن والنبوة والكوثر في غير هذا الرجل الكثير العطاء كما في النهاية

﴿ و ﴾ اقف أهل الطاعة واتبع أهل السنة والجماعة في ﴿ الشفاعة ﴾ وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم والحق انها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر فكان الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين المهملة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته

واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم شفاعات (الاولى) الشفاعة العظمى التي يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد ان يتدافعها الانبياء أصحاب الشرائع آدم الى نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهي المقام المحمود وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وأنس وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وسلمان الفارسي هؤلاء ورد أمر الشفاعة في أحاديثهم مطولا وورد مختصرا من حديث أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضي الله عنهم فأخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك اليوم فيقولون لو استشفعنا ربنا حتى يربحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده واسجدلك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يربحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحي ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته سؤاله ربه مايس له به علم فيستحي ربه من ذلك ولكن



اثنوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هنا كم ولكن اثنوا موسى عبدا  
كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هنا كم ويدكر لهم النفس  
الذي قتل بغير حق فيستحي ربه من ذلك ولكن اثنوا عيسى عبد الله ورسوله  
وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن اثنوا محمدا عبدا غفر الله له  
ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقوم فامشي بين سباطين من المؤمنين حتى  
استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال  
ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه  
ثم أشفع» الحديث وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال «أني لقائم انتظر متى يعبر الصراط اذ جاءني عيسى  
فقال هذه الانبياء قد جاءتك يا محمد يسألونك ويدعون الله ان يفرق بين جميع  
الامم الى حيث يشاء الله الى غير ما هم فيه فالخاق ملجمون بالعرق فأما المؤمن  
فهو عليه كالزكوة وأما الكافر فيعشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب  
نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقي مالم يلق ملك مصطفى ولا نبي  
مرسل فأوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك تسل تعطه  
واشفع تشفع» الحديث وأخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا  
وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أسوا لواء الكرم بيدي  
ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف على  
أنف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون» وروى الامام أحمد والبخاري وابن حبان  
في صحيحه من حديث الصديق الاعظم رضي الله عنه نحو حديث أنس في  
مراجعتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال اسحق بن ابراهيم يعني الامام ابن  
راهويه هذا أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه  
وسلم وعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله  
عليه وسلم قال «اناسيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين  
والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر وتدنون منهم الشمس فيبلغ

الناس من النعم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وفتح عليك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيحبلهم على إبراهيم وإبراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى يقول اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فأنتلق فأني تحت العرش فأقع ساجدا لرببي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول آمي يارب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من فوعا نحوه وفيه أنهم يأتون عيسى بعد آدم ونوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام فيقولون لعيسى عليه السلام اشفع لنا إلى ربك فليقبض بيننا فيقول اني لست هناك اني اتخذت الها من دون الله واني لا يهمني اليوم الا نفسي ولكن ان كل متاع في وعاء محتوم عليه أكان بقدر على ما في جوفه حتى يفيض الخاتم فيقولون لا فيقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قد حضر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون يا محمد اشفع لنا إلى ربك فليقبض بيننا فيقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله ان يصدع بين خلقه نادى مناد أين أحمد وأمته فنحن الآخرون الاولون ونحن آخر الامم وأول من يحاسب فتفرج لنا الامم عن طريقنا فمضي غرا محجلين من أثر الطهور فنقول الامم كادت

هذه الامه ان تكون أنبياء كلها فنأتي باب الجنة فأخذ بملقمة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فيقول أنا محمد الحديث وفيه يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل بسمع واشفع تشفع وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا

## ﴿ فوائد ﴾

(الاولى) هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء هي المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهذه الشفاعة لاهل الموقف انما هي لاجل حسابهم ويراحوا من الموقف كما قاله القرطبي في تذكرته قال وقوله في حديث أبي هريرة يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن يدل على انه شفيع فيما طلب من تعجيل حساب اهل الموقف فانه لما أمر بادخال من لا حساب عليه من أمة فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط ثم يلهمون. وذكر ابن بركان في الارشاد ان الذي يدلهم على ذلك رسول المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل قال الحافظ السيوطي وحديث لكل نبي دعوة الخ متواتر ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان ومن حديث أنس وجابر رضي الله عنهما أخرجهما مسلم وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أخرجهما الامام أحمد وعبد الرحمن بن أبي عقيل رضي الله عنه أخرجه البيهقي وحكمة إلهام الناس التردد الى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المحيي اليه من أول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم واما ما ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة ان بين انيان اهل الموقف آدم وانيانهم نوحا ألف سنة وكذا بين كل نبي ونبي فقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري لم أقف لذلك على أصل قال وقد أكثر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لأصل لها فلا يغتر بشيء منها انتهى

( الثانية ) شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر اذ هي للراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار

( الثالثة ) سئل القاضي جلال الدين البلقيني عن حكم سجود النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت ويحتمل وهو الاصح بأن أمور الآخرة ليست كاحكام الدنيا اذ الآخرة ليست بدار تكليف فلا يتوقف السجود فيها على وضوء والله أعلم

﴿ فانها ثابتة للمصطفى كغيره من كل أرباب الوفا ﴾

﴿ من عالم كالرسل والابرار سوى التي خصت بذ الانوار ﴾

﴿ فانها ﴾ أي الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتي ذكرها ﴿ ثابتة ﴾ بالنقل الصحيح بل المتواتر ﴿ ا ﴾ لنبي ﴿ لمصطفى ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ك ﴾ ما أنها ثابتة ا ﴿ غيره ﴾ أي غير نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ من كل أرباب ﴾ أي أصحاب ﴿ الوفا ﴾ بامثال الاوامر والانتها عن الزواجر ثم أخذ في بيان ما أجمل من أرباب الوفا بقوله ﴿ من عالم ﴾ عامل بعلمه معلم لغيره وهم الربانيون وهؤلاء ورثة الانبياء فهؤلاء كما نفعوا الناس في الدنيا بالدلالة والتعليم كذلك ينفعونهم بالشفاعة لهم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعاتهم ويعلى درجاتهم ﴿ كالرسل ﴾ جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع من نبي آدم وأمر بتبليغه وكذا الانبياء وهم يعني الرسل والانبياء خواص الخلق من نبي آدم ﴿ والابرار ﴾ جمع بار وهم الاتقياء الاخيار

والحاصل انه يجب ان يعتقد ان غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون بقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون ثبوت الاخبار

بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال صلى الله عليه وسلم «أنا أول شافع وأول مشفع» روى هذا اللفظ أبو هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه البيهقي وعبد الله بن سلام رضي الله عنه أخرجه البيهقي أيضا وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البيهقي قال يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء قال البخاري كذا قال أبو الزعراء عن ابن مسعود ولا يتابع عليه والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أول شافع وكذا قال غير البخاري من أئمة الحفاظ والله أعلم

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وأخرجه البزار وفي آخره ثم المؤذنون وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي من حديث حذيفة بن حموه وأخرج الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف» وأخرج ابن أبي عاصم والاصميهاني عن أبي امامة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس» وأخرج البيهقي من حديث جابر مثله وزاد في آخره بما أحسنت أدهم وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته» وأخرج الامام أحمد والطبراني مثله من حديث عبادة بن الصامت والترمذي وابن ماجه مثله من حديث مقدم بن معدي كرب وأخرج البزار والبيهقي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان الرجل «ليشفع في الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة» وأخرج الترمذي والحاكم وصحاحه والبيهقي عن عبد الله بن أبي الجعداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليدخلن الجنة بشفاعته رجل من أمي أكثر من بني تميم» قالوا سواك يا رسول الله قال سواي قال الفريري يقال انه عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرج البيهقي عن الحسن مرفوعا «ليدخلن الجنة بشفاعته رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر» والحاكم وصحاحه والبيهقي عن الحارث بن قيس مرفوعا «ان من أمي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر وان من أمي من سيعظم للنار حتى يكون أحد زواياها» وأخرج الامام أحمد مثله من حديث أبي برزة وهناد مثله من حديث أبي هريرة وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن أبي امامة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ليدخلن الجنة بشفاعته رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر» وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من أمي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته» وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «لا تزال الشفاعات بالناس وهم يخرجون من النار حتى ان ابليس الابليس ليتناول لها رجاء ان تصيبه» وأخرج البزار عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته»

والحاصل ان للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لاهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الأسود يشفع لمسئله ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبالله التوفيق ﴿سوى﴾ الشفاعات ﴿التي خصت بنبي﴾ أي بصاحب ﴿الانوار﴾ نبينا المختار صلى الله عليه وسلم ما دارت الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولا شهيد لانها مختصة بخباها الرفيع وقدره المجيد والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة (أولها) وهي

أعظمها وأعمها شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الوري بعد التردد الى الانبياء وتدافعها بين أخيار الملأ الى ان تصل لصاحب الحوض المورد وهي المقام المحمود وقد عم العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الاكباد وينسي الاولاد وهذه مجمع عليهم ينكرها أحد (ثانيها) يشفع عنده به في ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فان هذه خاصة به أيضا صلى الله عليه وسلم كما قاله القاضي عياض والامام النووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فان الاختصاص انما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي في أممोज اللبيب (ثالثها) شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوله استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووي في ذلك قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه وجزم في الأممोज بأنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم (رابعها) في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا تنكرها المعتزلة كالأولى الا أن النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب الانتقاد له باختصاصها به قال في الأممोज جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت الأحاديث في التي قبل وصرح به القاضي عياض وابن دحية (خامسها) الشفاعة في اخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى

﴿ تنبيهات ﴾

(الأول) الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتجدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها وفيمن دخلها منهم ان يخرج منها فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت أدلتها وتضافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه فأخرج البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال «انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالرجال ويكذبون بطلوع

الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا» وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد عن أنس رضي الله عنه قال « من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب » وأخرج البيهقي عنه انه قيل له ان قوما يكذبون بالشفاعة قال لا تجالسوا أولئك وأخرج أيضا عنه قال يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء وأخرج أيضا عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل يا أبا نعيم انكم لتحدثوننا أحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران وقال للرجل اقرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت صلاة العشاء أربعا وصلاة المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والظهر أربعا والعصر أربعا قال لا قال فعمن أخذتم هذا أستم عنا أخذتموه وأخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي كل أربعين درهما درهم وفي كل كذا شاة وفي كل كذا بعير أوجدتم في القرآن هذا قال لا قال ووجدتم في القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم هذا في القرآن عن أخذتموه أستم أخذتموه عنا وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال أوجدتم في القرآن لاجلب ولا جنب ولا شغافري الاسلام قالوا لا قال فان الله تعالى قال في كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وانا قد أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم (رب انهن اضلن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وقول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال أمي أمي ثم بكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سترضيك في أمك ولا نسوك : وأخرج البرار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم بسند حسن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشفع لامتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى أرضيت يا محمد فأقول أي يارب رضيت » وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه



وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي خبيرني بين ان يدخل نصف أمي الجنة - وفي لفظ - بين ان يدخل ثلثي أمي بغير حساب ولا عذاب و بين الشفاعة لأمي فاخترت الشفاعة قال وهي لكل مسلم» وروى نحوه الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند جيد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيأ وأخرج الطبراني مثله عن أنس وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خبرت بين الشفاعة و بين ان يدخل نصف أمي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم واكفي آرونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي والطبراني في الاوسط عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني أشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من شجر ومدر» وأخرجه الطبراني في الاوسط عن انيس الانصاري ولفظه اكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر واخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمعون الجهنميين واخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة» وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي وصححه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعةي لاهل الكبائر من أمي» وأخرج الطبراني عن عبد بن بسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعةي في أمي المذنبين المثقلين» وأخرج الطبراني أيضا وأبو نعيم عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «نعم الرجل انا لشرار أمي» قيل كيف يا رسول الله قال «أما شرار أمي فيدخلهم الله الجنة بشفاعةي وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم» وأخرج أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعةي لاهل الكبائر من أمي» قال ابن عباس السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل

للجنة بركة الله والظالم لنفسه وأهل الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي أوسط الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «اني ادخرت شفاعتي لاهل الكباثر من أمي» وفي الكبير عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعلمي ولا تنكلي فإن شفاعتي للهاكين من أمي» وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لاهل الكباثر من أمي» قال جابر رضي الله عنه من زادت حسنة على سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسنة وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره وأخرج عن أنس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله لمن تشفع قال «لاهل الكباثر من أمي وأهل العظام وأهل الدماء» وأخرج عن كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعاً «شفاعتي لأهل الكباثر من أمي» وأخرج طاووس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكباثر من أمي» قال البيهقي هذا مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «مازلت أشفع الى ربي ويشفعني واشفع ويشفعني حتى أقول أي رب شفعي فيمن قال لا إله الا الله فيقول : هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد هذا لي، وعزتي وجلالي ورحمتي لأدع في النار أحدا يقول لا إله الا الله :»

( الثاني ) في ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال «ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله الا الله خالصاً من قبل نفسه» وأخرج أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» وأخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمرو وفي سنن سعيد بن منصور من طريق أبي

السختياني عن فقيه من فقهاء الكوفة قال ما من مسلم يسمع النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المفترضة أعط محمدًا سؤلَه يوم القيامة الا أدخله الله في شفاعته وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجدبها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة» وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم والطبراني من حديث زيد بن ثابت وأبي أيوب والبخاري من حديث عمر وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها» وأخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين» وأخرج الطبراني بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى عليّ حين يصبح وعشرا وحين يمسي عشرا أدر كته شفاعتي يوم القيامة» والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة» وابن أبي عاصم في السنة والبخاري والطبراني بسند حسن عن ربيعة بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى عليّ محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن زياد بن أبي زياد مولى نبي مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم أنك حاجة حتى كان ذات يوم قال يا رسول الله حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال فأعنيّ بكثرة السجود وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وأخرجه الطبراني لفظ «من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا عليّ ان أكون له شفيعا يوم القيامة» والبيهقي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا «من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة»

(الثالث) في من لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لا تصافهم

بالبدع وسوء البضاعة فأخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صنفان من أمتي لا تناهيا شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية» وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي قال في النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء قام بالبادية أو المدن انتهى والمراد بهم هنا بنو اسماعيل وأخرج البيهقي والطبراني بسند جيد عن معقل ابن يسار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رجلان لا تناهيا شفاعتي يوم القيامة امام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال في دين الله مارق منه» وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قالوا قال رسول صلى الله عليه وسلم «ذروا المرء فان الماري لا شفيع له يوم القيامة»

(الرابع) مما احتجت المعتزلة لمذهبهم في نفي الشفاعة بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة - وقوله - مالم الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وزعموا ان من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة هذا رأيهم ومن وافقهم وهو رأي فاسد ومذهب باطل ترده الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة واجماع اهل الحق ايدهم الله تعالى وأجابوا عن الآية الكريمة أن المراد بقوله تعالى (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) الكفار للآيات الواردة الثانية في الشفاعة قال القاضي البيضاوي تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر وأجيب بانها مخصوصة بالكفار ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان أباهم تشفع لهم انتهى وعن قوله تعالى (مالم الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر وقالت المعتزلة في قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد أخرجته) ولا يشفعون الا لمن ارضى - وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن أخزاه الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا ينجز به قال تعالى (يوم لا ينجزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بيمينهم) الآية والجواب عن الآية الاولى ما قال سيدنا أنس بن

مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى (من تدخل النار) من  
تخلد وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد ولا تقول كما قالت أهل حروراء يعني  
الخوارج فعلى هذا قوله (قد أخزيت) على بابه من الهلاك أي أهلكته وأبعدته ومقته  
ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله  
قوله في آخر الآية (وما للظالمين من انصار) أي الكفار وان سلم أن الآية في عصاة  
الموحدين فالمراد بالخرزي الحياء يقال خرزي يخزي خزاية إذا استحي فهو زيان وامرأة  
خرز ياخرزي المؤمنون يومئذ استحيوا وهم من دخول النار ودار البوار مع أهل الشرك  
والكفار ثم يخرجون بشفاعته النبي الكريم ورحمة الرؤف الرحيم ونفي النصرة  
لا يستلزم نفي الشفاعة لانها طلب مع خضوع وانصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة  
والاستعلاء على انا تقول لا يسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي مطلقا بل هو  
مرضي من جهة الايمان والعمل الصالح وان كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان  
وارتكاب القبائح بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضي مطلقا لعدم الاساس الذي تبنى عليه  
الحسنات والاعتداد بالكلمات وهو الايمان. والحاصل أن الايمان بالشفاعة واجب وقد  
قدمنا من النصوص ما لعله يقلع شروش الاختلاج من خواطر من أذعن لها وخلع  
من عنقه بقية تقليد أهل الزيغ والاعوجاج كيف والنصوص متواترة والآثار  
متوافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والنقل الصريح ناطق بما هناك فدفع  
عك نحلة فلانة وفلان وأعد قلبك على ما صح عن سيد ولد عدنان وأصحابه  
والتابعين لهم باحسان فإنه الحق الذي لا عقل يحيله ولا نقل يزيله والله  
تعالى الموفق

### ﴿ فصل في الكلام على الجنة والنار ﴾

ولما انتهى الكلام على الشفاعة وأقسامها وتفصيلها وأحكامها بحسب ما يليق  
بالمقام أعقب ذلك بذكر العظيمتين دار القرار للاختيار ودار البوار للكفار وهما  
الجنة والنار فقال

﴿ وكل انسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة ﴾

(٢ شريعة بدء السفر النبي - ٢٧)

﴿هما﴾ صير الخالق من كل الوري فالنار دار من تعدى وافتري ﴿

﴿ومن عصى بذنبه لم يخلد وان دخلها يابوار المعتدي ﴿

﴿وكل انسان﴾ من نبي آدم فالانس والانسان من البشر والواحد أنس  
وأنسي والجمع اناسي والمرأة انسان وبالهاء عامية كما في القاموس قال وسمع في  
شعر كأنه مولد

لقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل انسنة فتانة

بدر الدجا منها خجل اذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

﴿وكل جنة﴾ بكسر الجيم وتشديد النون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم

للجن أي كل واحد من الثقلين الذين هما الانس والجن لا بد ان يكون ﴿في﴾ احدى

الدارين اما في ﴿دار نار﴾ وهي دار البوار ومقر الكفار وهي جسم لطيف محرق

يطلب العلو تذكر وتوث وألفها منقلبة عن واو بدليل تصغيره على نورة وتجمع

جمع قلة على نيرة وأنور وجمع كثرة على نيران ونور والنور ضوءها وضوء كل نير

وهو ضد الظلمة والنار سبع طباق أعلاها جهنم فظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر

ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء

كما قاله ابن عطية وغيره ﴿أو﴾ في دار ﴿نعيم﴾ مقيم في ﴿جنة﴾ المولى الكريم

الروف الرحيم فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابتة بالكتاب والسنة واجماع

الامة وكل ما هو كذلك فالايان به واجب واعتقاد وجوده حق لا زب

والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب ﴿هما﴾ أي الجنة والنار ﴿مصير

الخالق﴾ من الانس والجن أي لا بد لكل واحد ﴿من كل الوري﴾ كفتى الخالق

من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون في الجنة كما يأتي ان يصير اما

الى الجنة واما الى النار واما أهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما يأتي ﴿فالنار﴾

التي هي دار الهوان والبوار فهي ﴿دار من﴾ أي كل شخص من أنس وجن ﴿تعدى﴾

طوره وخالف مولاه فكفر به أو بأحد من رسله أو بكتاب من كتبه أو شرع شرعه

على لسان نبي بعثه ولم ينسخه ﴿وافترى﴾ فيما عبد واجترى بما قصد فلم يقف عند

الحدود ولم يف باعهدالمهود فكل من حكم الشرع بكفره من كافر اصلي من أهل الشرك وعبدة الاوثان والكواكب والنيران وأهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبديل من أهل التوراة والانجيل فهم خالدون مخلدون في النار ودار الخزي والبوار ﴿ومن﴾ أي وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره ﴿عصى﴾ بمخالفة قربه وتعدي حدوده ﴿بذنبه﴾ ولو كان ذنبه من أكبر الكبائر كالقتل والزنا وأكل الربا ومات على الايمان ولو لم يتب ﴿لم يخلد﴾ في النار ﴿وان دخلها﴾ ليتطهر من الاوزار فإنه يخرج منها اما بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين كما تقدم ﴿يا بوار﴾ أي يا هلاكك ﴿المعتدي﴾ اشارة الى تقبيح ما ذهب اليه المعتزلة من زعمهم ان من دخل النار فهو خالد فيها لانه ما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة اذ المعصوم والثائب وصاحب الصغيرة اذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار على ما سبق من أصولهم والكافر يخلد بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية وان مرتكب الكبيرة اذا مات ولم يتب في مشيئة الله ان شاء عفا عنه ولم يعذبه وان شاء عذبه ثم يخرج وأما خلود المؤمن المصير فهو مذهب الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على خلافه وهو الحق الذي لامر به فيه والله تعالى أعلم

## ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قال الجوهري الجن أبو الجن قال الامام أبو الوفاء ابن عقيل انما سمي الجن جناً لاجتنانهم واستتارهم عن العيون قال والشياطين عصاة الجن وهم من ولد ابليس والمردة أعتامهم وأغواهم وقال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصا قالوا جني فان أرادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح فان خبث وتعرض قالوا شيطان فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه لم يخالف أحدا من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لأن وجودهم تواترت به أخبار الأنبيا تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامّة قال ولم ينكر الجن الا شذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم وقال القاضي أبو بكر الباقلاني كثير من القدريّة يثبتون وجود الجن قديما وينفون

وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويؤمن أنهم لا يرون لرقعة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ومنهم من زعم أنهم لا يرون لأنهم لا ألوان لهم وقد ذكر اسحق بن بشر في المبدأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خلق الجن قبل آدم بألفي سنة وقال اسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله تعالى سوماً أبو الجن ٧ وهو الذي خلق من مارج من نار قال له تعالى تمن قال أتمنى ان نرى ولا نرى وان نغيب في الثرى وبصير كهلنا شابا فاعطي ذلك فهم يرون ولا يرون واذا ماتوا غيبوا في الثرى ولا يموت كهلهم حتى يعود شابا يعني مثل الصبي يرد الى أرذل العمر وأخرج مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وأخرج الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد في قوله (وخلق الجن من مارج من نار) قال اللهم الاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق الجن والشياطين من نار الشمس انتهى

وقال أبو الوفا بن عقيل في الفنون سأل سائل عن الجن فقال أخبر الله عنهم أنهم من نار وأخبر ان الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار قال والجواب ان الله تعالى أضاف الشياطين والجان الى النار حسبا أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار والمراد به في حق الانسان ان أصله الطين وليس الآدمي طينا حقيقة ولكنه كان طينا كذلك الجان كان نارافي الاصل قال القاضي عبد الجبار المعزلي الدليل على ان أصل الجن النار السمع دون العقل وقال الامام القاضي أبو يعلى بن الفراء الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافا للمعتزلة في قولهم أنهم أجسام رقيقة ولرقتها لانراها قال القاضي أبو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله كلمات ضربا من ضرب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله وفعله نقله الله عن صورة الى



صورة أخرى لجري العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك والذي روي ان ابليس تصور في صورة سراقه وان جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ما ذكرنا وهو انه قدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة اخرى

قال القاضي الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الانس وظاهر العمومات ان جميع الجن كذلك وهو رأي قوم ثم اختلفوا فزعم بعضهم ان أكلهم وشربهم تشتم واسترواح لا مضغ وبلع وهذا لا دليل عليه وقال الاكثرون انهم يأكلون بمضغ وبلع وزعم قوم ان جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا ساقط وقيل ان صنفاً منهم يأكلون ويشربون وصنف لا يأكلون ولا يشربون وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون وهل يموتون ويتناكحون فقال هم أجناس فاما خالص الجن فهم ربح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون ويموتون قال وهي هذه التي منها السعالي والغول وأشباه ذلك أخرجه ابن جرير وحديث علقمة عن ابن مسعود عند الامام أحمد ومسلم والترمذي ما أتى النبي صلى الله عليه وسلم داع من الجنة فذهب معه فقرأ عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على انهم كانوا كالانس في الجملة وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لكم كل عظم ذكركم اسم الله عليه ولفظ الترمذي لم يذكركم اسم الله عليه يقع في أيديكم أو فرما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن» وقد جمع بعض العلماء بين رواية الترمذي لم يذكركم اسم الله عليه وبين رواية الامام أحمد ومسلم بان ما في المسند وصحيح مسلم في حق المسلم من الجن وما في رواية الترمذي في حق غير المؤمنين منهم وصححه السهيلي وقال هذا يعضد الاحاديث وقد استدلوا على مناهجهم بقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) وبقوله

تعالى (لم يطمئن انس قبلهم ولا جان) وهذا يدل على انه يتأتى منهم الجماع وفي الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة

(الثاني) في ذكر تكليف الجن ولو اُحِق ذلك قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع الجن مكلفون في الجملة اجماعا يدخل كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لما لك والشافعي رضي الله عنهما لا أنهم يصيرون ترابا كالبهائم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لابي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما قال وظاهر الاول يعني قول الامام أحمد ومالك والشافعي رضي الله عنهم أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كجهاد وانهم في رضى أي حول الجنة كعمر بن عبد العزيز وقال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات انتهى كلام الفروع وقال ابن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى (يامعشر الجن والانس) وكقوله (فبأي آلاء بكما تكذبان) قال الفخر الرازي أطبق الكل على ان الجن كلهم مكلفون قال القاضي عبد الجبار المعتزلي لانعلم خلافا بين أهل النظر ان الجن مكلفون

(الثالث) قال ابن مفلح في فروعه ولم يبعث اليهم بعني الجن نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال وليس منهم رسول ذكره القاضي أبو يعلى وابن عقيل وغيرهما وأجابوا عن قوله تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) أنها كقوله تعالى (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من أحدهما (١) وكقوله (وجعل القمر فيهن نورا) وإنما هو في سماء واحدة قال وللمفسرين قولان والقول بأن منهم رسلا قول الضحاك وغيره قال الامام الحافظ ابن الجوزي وهو ظاهر الكلام وقال الحافظ السيوطي في (لقط المرجان) جمهور العلماء سلفا وخلقنا على انه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والكسبي

(١) هذا زعم المفسرين الذين أخرجوا القرآن عن ظاهره لجهلهم بأن اللؤلؤ والمرجان

يخرجان من الانهار وهو ثابت لا ريب فيه اه محمد رشيد

وأبي عبيد وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) قال ليس في الجن رسل إنما الرسل في الانس والنسذارة في الجن وقرأ (فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رسل منكم قال رسل الرسل وقرأ الآية قال ابن جريج وأما الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بأن الله أخبر ان من الجن رسلاً أرسلوا اليهم وقالوا لو جاز ان يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز ان يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن وفي فساد هذا المعنى ما يدل على ان الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره وقال أبو محمد بن حزم لم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة» قال وباليقين ندرى أنهم قد أُنذروا وأفصح أنهم كان لهم أنبياء منهم في قوله (ألم يأتكم رسل منكم) انتهى وتناول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولا يخفى ان ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك والاكترون على خلافه وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فائدة فيه لعدم ترتب شيء عليه غير انا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعالى (اناسمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) وظاهر هذا أنهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام والظاهر ان الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا يأتون في الشرائع بقوله وهو كان من أنبياء بني اسرائيل وهل كان على شرع مستقل أو على شرع لموسى قالت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح وغيره انه كان على شرع موسى لان شريعة التوراة استمرت من عهد موسى الى ان بعث عيسى فنسخ بعضها وأمر باتباع بعض وهذا ظاهر في انه كان على شريعة موسى بل صريح والله أعلم

(الرابع) قال في الفروع قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساوياً لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركوهم في جنس التكليف

بالامر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع أعلمه بين العلماء فقد يدل ذلك على منا كحتهم وغيرها قال في الفروع وقد يقتضيه اطلاق أصحابنا وفي المغني وغيره ان الوصية لاتصح لجنى لانه لا يملك بالنمليك كالهبة قال في الفروع فيتوجه من انتفاء التمليك منا منع الوطء لانه في مقابلة مال قال الله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا و قال) (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) قال وقد جعل أصحابنا هذا المعنى في شروط الكفاءة فهنا أولى قال ومنع منه غير واحد من متأخري الحنفية وبعض الشافعية وجوزه منهم أبو يونس في شرح الوجيز قال في مسائل حرب: باب من كحة الجن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم واسحق كراهتها وروى من رواية ابن لهيعة عن يونس عن الزهري نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن وعن زيد العمى اللهم ارزقني جنية أتزوجها تصاحبني حيث ما كنت قال في الفروع ولم يذكر حرب عن الامام أحمد شيئا وعن مالك لا بأس به في الدين ولكنني أكره اذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك قالت من الجن فيكثر الفساد انتهى وذكر الحافظ السيوطي آثارا وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الجن والانس وقد حدثني بوقوعه جماعة معهم أنفسهم فالله أعلم بصحة ذلك وان ظهر مخاييل ثبوته فأنا على شك منه والله الموفق

### ﴿ وجنة النعيم للابرار مصونة عن سائر الكفار ﴾

﴿ وجنة النعيم ﴾ اعلم ان للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسامها واحدا باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار فالاسم العام الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقررة العين وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتارهم عن العيون والجن لستره ووقايته الوجه والجنون لاستتار عقله وتواريه والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة ومنه تسمية البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم

الاموضع كثير الشجر مختلف الانوع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره  
ومنه قوله تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة) يترسون بها من انكار المؤمنين عليهم ومن  
الجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله تعالى (من الجنة والناس)  
وذهبت طائفة من المفسرين الى ان الملائكة يسمون جنة واحننوا بقوله تعالى (وجعلوا  
بينه وبين الجنة نسباً) وقالوا هذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوه بوجهين  
أحدهما ان النسب الذي جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه  
الثاني قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي علمت الملائكة ان الذين  
قالوا هذا القول محضرون العذاب قال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه  
(حادي الارواح الى منازل الافراح) والصحيح ان الجنة هم الجن أنفسهم كما قال  
تعالى (من الجنة والناس) وعلى هذا في الآية الكريمة قولان أحدهما قول مجاهد  
قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه  
فن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقال الكلبى تزوج من الجن فخرج من بينهما  
الملائكة وقال قتادة قالوا صاهر الجن والقول الثاني قول الحسن قالوا اشركوا  
الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قال ابن القيم والصحيح قول  
مجاهد واما قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فالضمير يرجع الى الجنة أي  
قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أي لو كان بينه وبينهم نسب  
لم يحضروهم الحساب كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحبواؤه  
قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلا  
لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير في الآية ابلغ في ابطال قولهم من التقدير الاول  
انتهى ومن أسماء الجنة جنات النعيم قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
لهم جنات النعيم) قال في حادي الارواح وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما  
تضمنته من الانواع التي يتنعم بها من الماء كحل والمشروب والملبوس والصور  
والرائحة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن  
وقوله في النظم (الابرار) اشارة الى ان هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق  
فلا يدخلها ويسكنها غيرهم والابرار جمع بار وهو كثير البر والبر اسم جامع للخير  
(٢ ش. عبدة السفار بني - ٢٨)

وقيل في قوله تعالى (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أن البر الجنة وفي القاموس البر الصلة والحسنة والخير والصدق والطاعة كالتبرر وضد العقوق كالمبرة والبر بالفتح من أسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر ويجمع البار أيضا على بررة وقد ذكر الله في كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الايمان والتقوى كقوله تعالى في الجنة (أعدت للمتقين) وقال تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وقال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير - ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) وهذا في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد ايمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة فأهل هذه الثلاثة هم الأبرار وهم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه الثلاثة أشياء ٧٠ دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجمع في أصلين اخلاص في طاعة الله واحسان الى خلقه وترجع الى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تعالى في محابته ولا يترك الى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها الى تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به ايجابا واستحبابا واجتناب ما نهى عنه تحريما وكرهية وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا ان شئتم) فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)» رواه البخاري ومسلم وفي غيرهما وفي حديث أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» أخرجه البخاري ومسلم ورواية لمسلم حفت بدل حجبت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم والترمذي وقد ثبت أن مفتاح الجنة

كلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقد أخرج الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً «مفتاح الجنة شهادة لا اله الا الله» قال الحافظ ابن رجب في كتابه التوحيد في سنده انقطاع وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه انه قيل له أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الاوله أسنان فان أتيت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجيب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها يفتقها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس . ورواه الترمذي عنه بلفظ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي وميكائيل عند رجلي فذكر نحو ما تقدم وفيه قاله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة وأكل مما فيها ﴿مصون﴾ أي جنة النعيم محفوظة ومحمية ﴿عن سائر﴾ أي جميع ﴿الكفار﴾ سواء كان كفروهم بالشرك أو الجحود أو انكار النبوات أو انكار احد من الانبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو جحود ما علم بحجبي النبي صلى الله عليه وسلم به بالضرورة أو انكار المعاد الجسماني أو جحود الكتاب المنزل أو شيئاً منه أو ملكاً من الملائكة أو اتقاص ملك أو نبي ونحو ذلك فالجنة لا تدخلها الا نفس مؤمنة باجماع اهل الحق وأما اهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم كل مامر عليهم زمن أولاد لهم الخلود فلا يفتقر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان يكا احدهم واستغاث ينتفع فعذابهم متواصل في دار الهوان بما كانوا يكفرون كما قال تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) وقال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال

(لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) والآيات في مثل هذا كثيرة وسأل الحسن البصري أبا برزة عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) فقال «هلك القوم بما صيهم الله عز وجل» أخرجه ابن أبي حاتم وفيه ضعف وكذا البيهقي وقال لم أعرفه وفي القرآن العظيم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الى قوله تعالى - فذلك هو الفوز العظيم) فاشعرت الآية الكريمة بخطر النفس الانسانية وعظم مقدارها عند ربها فان السلعة اذا خفي عليك قدرها فانظر المشتري لها من هو وانظر الى الثمن المبذول فيها ما هو وانظر الى من جرى على يده عقد التبائع فالسلعة النفس والله تعالى المشتري لها والثمن جنات النعيم والسفر في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة» قال الترمذي حديث حسن غريب وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وفي مسلم عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما واذكر الحديث وفيه «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون» وفي البخاري معناه وفي كتاب صفة الجنة لابي نعيم من حديث أبان عن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ثمن الجنة قال لا آله الا الله قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (حادي الارواح) وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال «عبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه فلما ولي قال صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا» وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال أنى النعمان بن قوقل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت



إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحلت الحلال ادخل الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق» وفي الصحيحين أيضا عن عتبان بن مالك الانصاري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وفي هذا عدة أحاديث تزيد على حد التواتر

﴿ واجزم بأن النار كالجنة في وجودها وانها لم تطفئ ﴾

﴿ واجزم ﴾ جزم إيقان وعرفان وتصديق واذعان ﴿ بأن النار ﴾ وما فيها من أنواع العذاب والهوان واليوار والزبانية والاغلال والعقارب كالبغال ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن ﴿ ك ﴾ ما ان ﴿ الجنة ﴾ وما فيها من الولدان والحدود والنعيم والحبور والحلل والتهيجان والغواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن فالنار ﴿ في وجودها ﴾ الآن كالجنة فهما موجودتان قال الامام المحقق في كتابه (حادي الارواح) لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم به ضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فانهم دعوا الامم اليها وأخبروا بها الى ان نبتت نابعة من القدريّة والمعتزلة فانكرت ان تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله ينشئها يوم المعاد وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له ان يفعل كذا ولا ينبغي له ان يفعل كذا

وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث فأنهما يصيران معطلتين مددا متطاولة ليس فيهما ساكنهما قالوا ومن المعلوم ان ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها الألوان والأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن مافعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا الى الاعتراض عليه فحجروا على الرب تعالى بمقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ماخالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها وحرّفوها عن مواضعها وضيعوها وضلوا كل من خالف بدعتهم هذه القبيحة وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هذه الفضيحة والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوم يذكرون في عقائدهم ان الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات ان هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها منهم الامام أبو الحسن الأشعري امام كل أشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) وفيه وان الجنة والنار مخلوقتان وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كافي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في صفة الاسراء وفي آخره ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان ما أدري ماهي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وفي الصحيحين أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول عنقودا من عنبها ورأى النار فلم ير منظرا افضل من ذلك وهذا في الصحيحين أيضا وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة ذلك وفيه «لقد أدنيت الجنة (مني) حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت اتقيها خشية ان تغشاكم» الحديث وفي صحيح مسلم من حديث

أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «لورأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قالوا وما رأيت يا رسول الله قال «رأيت الجنة والنار» وفي مسند الامام أحمد وصحيح مسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فوجد عذرتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فأمر بالجنحة فحفت بالمكاره فقال فارجع فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعذرتك لقد خشيت ان لا يدخلها أحد ثم أرسله الى النار فنظر اليها يركب بعضها بعضها فقال لا يدخلها أحد فلما حفت بالشهوات قال وعذرتك لقد خشيت ان لا ينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذي حديث حسن صحيح ودخوله صلى الله عليه وسلم ورويته نهر الكوثر وقصور الجنة وحورها وثمارها ودرها وقصة آدم وخروجه منها واضعاف أضعاف ما ذكرناه من الأدلة القطعية التي يفوت عدها ويتعسر حدها ويعد المنصف ان المدول عن مضمونها مكابرة ورد للاخبار المتواترة والله تعالى أعلم ﴿و﴾ اجزم أيضا ﴿انها﴾ أي النار ﴿لم تلتف﴾ أي لم تهلك وتبيد قل في القاموس تلف كفرح هلك وتلفه افناه والمتلف كالتفهد المهلك يعني ان النار لا تنفئ ولا يقنى ما فيها كالجنة وما فيها قال الامام المحقق في حادي الأرواح اما بديعية الجنة وأنها لا تنفئ ولا تبيد فما يعلم بالاضطرار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر به قال الله تعالى (واما الذين سمعوا في الجنة خالدن فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجدوذ) اي غير مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله (الاماشاء ربك) نعم اختلاف السلف في هذا الاستثناء فقال الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون في الجنة مادامت السموات والارض الامدة مكثهم في النار (وقالت فرقة) العزيمة وقعت لهم من الله بالخلود الدائم الا ان يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله وهذا كما قال لنييه ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله ينحتم على قلبك) وقوله (قل لو شاء الله ما تلونه عليكم) ونظائر ذلك مما ينجز به عباده ان الامور كلها بمشيئته ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن

(وقالت فرقة أخرى) المراد مدة دوام السموات والارض في هذا العالم فأخبر سبحانه  
أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والارض الا ماشاء الله أن يزيدهم عليه  
وكان هذا قول من قال أن الا بمعنى سوى وهذا قول ابن قتبية فإنه قال المعنى  
خالدین فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى ان يزيدهم من الخلود على مدة العالم  
(وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والارض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبدا  
وقيل غير ذلك وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة  
والنار ثم يقال بأهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين  
فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ويقال  
يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها ثم قرأ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم (وأندرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)  
وأشار بيده الى الدنيا وفي لفظ للبخاري وهم في غفلة وهو لا في غفلة أهل الدنيا  
وهم لا يؤمنون أخرجه في التفسير وفي الصحيحين في هذا الحديث فاذا قيل لهم هل  
تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيومر بذبجه فيذبح  
قوله فيشرئبون هو بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الراء بعدها تحية  
مهموزة ثم موحدة مشددة أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤسهم للنظر وفي  
الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل  
أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت ويا أهل  
أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه - رواية عنه عندهما - فيزداد أهل الجنة فرحا  
الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم» وفي هذا عدة أحاديث عن أبي  
هريرة عند الحاكم وابن ماجه وعن أنس عند أبي يعلى والبرز والطبراني وفيه  
فيذبح كما تذيب الشاة فيأمن هو لا ويتقطع رجاء هو لا، فثبت بما ذكرنا من  
الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كل بما  
هو فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا اجماع أهل السنة والجماعة فاجمعوا أن  
عذاب الكفار لا ينقطع كما ان نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب

والسنة وزعمت الجهمية ان الجنة والنار يفنيان وقال هذا امامهم جهم بن صفوان امام المعتزلة وليس له في ذلك سلف قط لامن الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين

وحاصل ذلك كله سبعة أقوال (أحدها) قول الخوارج والمعتزلة إن من دخل النار لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها يخلد فيها أبدا الآباد (والثاني) قول من يقول ان أهلها يعذبون مدة فيها ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول ابن عربي الطائي في كتاب فصوص الحكم وغيره من كتبه (الثالث) قول من يقول ان أهل النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فاكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى أيضا في قوله (وقالوا ان نمسنا النار الاياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا أم تقولون على الله مالا تعلمون به بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذا القول إنما هو قول اعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابهم وناقيلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض أهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول (الخامس) قول من يقول تفتى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد ان لم تكن وما ثبت حدوده استحاله بقاؤه وأبدية وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفتى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول ان الله تعالى يفنيها لانها خالقتها لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها امدا تنتهي اليه ثم تفتى ويزول عذابها قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين وشيخ

الاسلام وتمييزه الامام المحقق ميل الى هذا القول وذ كر على تأييده بضعا وعشرين  
وجها ثم قال وما ذكرناه في هذه المسئلة من صواب فن الله وهو المان به وما كان  
من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه والله عند اسان كل قائل  
وقصده والله أعلم انتهى وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرعي الحنبلي رسالة سماها  
توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين

﴿ تنبيه ﴾

ذهب جمع الى أن الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب أجساما بل زعم  
بعضهم ان الموت عدم محض و به قال الزمخشري وأجابوا عن قوله تعالى (خلق  
الموت والحياة) بأن الخلق في هذه الآية التدبير فان قيل فعلى هذا كيف يأتي الموت  
في صورة كبش فيذبح فاجواب تقبل الحكيم الترمذي ان مذهب السلف في  
هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه فنؤمن به ونكل تلمه لى الله وأجاب  
بعض أهل العلم ان لعل هذا الكبش صورة ملك من الملائكة الذين يقبضون  
أرواح الخلائق ولا فالموت في نفسه عدم محض راجع الى سلب الحياة أو هو  
استعارة وكتابة عن الخلود الدائم فضرب المثل بالموت ولا موت هناك حقيقة  
انتهى وذهب جماعة الى ان الموت جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش والحياة  
في صورة فرس قل الامام أبو حسن الاشعري الموت أمر وجودي لقوله تعالى  
(خلق الموت والحياة) والعدم لا يخلق كل هذا ما يخص من كلام اشيع مرعي ٢٠٠  
الله تعالى وقل النووي في شرح مسلم تناول الحديث على ان الله تعالى يخلق  
هذا الجسم ثم يذبح مثالا لان الموت لا يطرأ على أهل الآخرة قلت وهذا غير  
مرضي ولا معمول عليه والدليل على ان الموت جسم في صورة كبش ما أخرج ابن  
أبي حاتم في تفسيره عن قيادة في قوله تعالى (خلق الموت والحياة) قال الحياة فرس  
جبهر بل والموت كبش أملح وقال مقاتل والكلبي خلق الموت في صورة كبش  
لا يمر على أحد الامات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شي الا حيي  
وأخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله  
الموت كشفا أملح مستترا سواد وبياض له أربعة أجنحة جناح تحت المرش

وجناح في الثري وجناح في المغرب وجناح في المشرق قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز لعزرائيل قلت الذي نذهب اليه ان الموت امر وجودي وانه جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش أملح وأن الحياة في صورة فرس كما صحت بذلك الاخبار عن النبي المختار ونقلها الائمة الايرار ودونها الجهابذة الاخبار على أن كثيرا من العلماء أشار الى أن جميع المعاني المعقولة عندنا صورة عند الله تعالى بصور الاجسام ومشخصة بهيئة الاشخاص وان كنا لأنحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة له فانه قدورد عدة أخبار أن الاعمال تعرض في صورة أشخاص الاسلام والصلاة والصيام والمعروف وانذ كر فهذا كله يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق .

( نائدة ) ذكر في البدور السافرة ان عند اسماعيل بن زياد الشامي في تفسيره أن الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

(تمة في ذكر مكان الجنة والنار وأين هما على مقتضى الآثار)

اعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال جل شأه في محكم القرآن (واقعد آة نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة لأوى) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لانها ينتهي اليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وقال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قال ابن أبي نجيب عن مجاهد هو الجنة وتلقاه الناس عنه وذكر ابن المنذر في تفسيره عن مجاهد قال هو الجنة والنار وقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قال أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن الجنة في السماء وروى أبو نعيم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الارض السابعة وروى ابن منده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الجنة في السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الارض السابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء وقال مجاهد قلت لابن عباس رضي الله عنهما أين الجنة قال فوق السموات قلت فأين

النار قال تحت سبعة أبحر مطبقة رواه ابن منده وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع وفي لفظ لهذا الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما في السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله» وشيخ الإسلام ابن تيمية رجع هذا اللفظ وهو لا ينبغي أن تكون درج الجنة أكثر من ذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم «أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» أي من جملة أسمائه هذا العدد فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة يتألفها آحاد أمتة بالجهاد وقال في (حادي الأرواح) والجنة مقبية أعلاها أو سعتها ووسطها وهو الفردوس وسقفه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» قال في حادي الأرواح قال شيخنا أبو الحجاج المزني الحافظ والصواب رواية من رواه فوقه بضم القاف على أنه اسم الظرف أي وسقفه عرش الرحمن فإن قيل فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه فالجواب لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنان بحيث لاجنة فوقه دون العرش كان سقفه دون ماتحته من الجنان لعظم سعة اجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدنى إلى أعلى بالتدرج شيئا فشيئا درجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن يكون عند آخر تلاوته لمخوفه والله اعلم

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن جهم محيطة بالديان والجنة وراءها فلها كان الصراط على جهنم طريقا إلى الجنة وأخرج جهم في تفسيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يجاء بجهنم يوم القيامة قال «يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام معلق كل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلي إلى أهلي



فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي» وأخرج الامام أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات عن يعلى بن أمية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «البحر هو جهنم» وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن سعيد بن أبي الحسين قال البحر طبق جهنم وأخرج أبو الشيخ في العظمة والبيهقي من طريق سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما رأيت يهوديا أصدق من فلان زعم ان نار الله الكبرى هي البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله في الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرتة وأخرج أبو الشيخ عن كعب في قوله تعالى (والبحر المدجور) قال البحر يسجر فيصهر جهنم وأخرج البيهقي في شعب اليمان عن وهب انه قال اذا قامت القيامة أمر بالعلق فيكشف عن سقر وهو غطاءؤها فيخرج منه انفاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة العين وهو حاجز بين جهنم والارضين السبع فاذا نشف اشتعلت في الارضين السبع فتدعها جرة واحدة وقيل ان النار في السماء كالجنة لما روى الامام أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أتيت بالبراق فلم تر ابل (ه) مطرفة عين انا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت النار أبواب السماء ورأيت الجنة والنار» أخرج أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء فتمرات هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فكأنني لم أفرأها» وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز ان يراها في الارض وهو في السماء وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الارض وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآها وهو في صلاة الكسوف وهو في الارض قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة ان ثبت وفيه أنه رأى الجنة والنار في السماء فالسما ظرف للرؤية لاله. في وفي حديث ضعيف جدا انه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والبار فوق السموات فلو صح حمل على ما ذكرنا. والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وان النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد والله التوزيق

(ه) كذا في الاصل وفي كنز العمال «فلان زابل ظهره أنا وجبريل» - مصححه

ولما انتهى الكلام على الجنة والدار وصحح وجودها الآن وبقاؤها أبداً بلا نهاية  
ولاحسان وبرهن على ذلك وعلى مكانهما اعقب ذلك بقوله

﴿ ذَسَّالِ اللّٰهَ النَّعِيْمِ وَالنَّظَرَ لِرَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا شِئْنَ غَيْرِ ﴾

﴿ ذَسَّالِ اللّٰهَ ﴾ العظيم رب العرش العظيم ﴿ النعم ﴾ المقيم في جنات النعيم بأنواع  
ملاذها ونعيمها مع كواعبها وحورها في خيامها وقصورها وعرصاتها ودورها وبما  
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ و ﴾ نسئل الله العظيم الخليم  
الجواد الكريم ﴿ النظر ﴾ وجه ﴿ ربنا ﴾ وخالفنا وهادينا الكريم مع أهل الطاعة  
والاستقامة والفوز والنجاة يوم القيامة ﴿ من غير ﴾ زائدة ازيد النبي أي من غير  
﴿ شين ﴾ أي عذاب ومناقشة حساب وتوبيخ وعتاب والشين ضد الزين فن من  
جعل له شيء ما ذكر يذهب زينه ويخلفه شينه والمشايين المعاييب ﴿ غير ﴾ بفتح الغين  
المعجمة والياء الموحدة أي ذهب والمراد سبق يعني من غير سابق عذاب  
ومناقشة حساب يقال غير غيراً مكث وذهب ضد وفي الحديث انه صلى الله عليه  
وسلم كان يحذر فيما غير من السورة أي يسرع في قراءتها قال في النهاية قال  
الازهري يحتمل الغابر ههنا الوجهين يعني الماضي والباقي فانه من الاضداد قال  
وقل غير واحد من الأئمة انه يكون بمعنى الماضي والحاصل انه سأل الله تعالى ان  
يمن عليه بالنعيم والتنعيم بالنظر الى وجهه لكرههم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة  
حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر النعيم المقيم وأما النظر الى مولانا  
الكريم فهو من أصول أهل الحق خلافاً لأهل الضلال والحق ومن ثم قال

﴿ فانه ينظر بالابصار كما أتى في النص والاخبار ﴾

﴿ فانه ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ ينظر بالابصار ﴾ في دار المقامة والقرار باتفاق أئمة  
الدين الابرار وسلف الأئمة الاخيار ﴿ كما أتى ﴾ أي جاء ﴿ في النص ﴾ القرآني  
والنزيل الرحماني أصل النص أقصى الشيء وغايته وفي حديث كعب يقول  
العجبار احذروني فاني لا اناص عبداً الاغذبه أي لا استقصي عليه في  
السؤال والحساب وروى الخطابي عن عوف بن عبد الله مثله ومنه قول الفقهاء

نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام وفي كلام عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند ﴿ و ﴾ كما أنى في ﴿ الاخبار ﴾ النبوية والآثار السلفية وأجمع عليه أهل الحق وسلف الامة وأهل الصدق وأعلام الائمة ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدرا وأعلاه وأعلاه خطرا وأمرا زهي الغاية القصوى والنهاية العظمى التي شمر اليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وائمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا انكار وانما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى في محكم الذكر ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ وقال ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وقال في حق أهل الكفر وانما جردا كلاً أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿ وقال تعالى ﴾ ﴿ ولدينا مزيد ﴾ وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى ترى يدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم ﴾ ثم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ يعني أنه يرفع الموانع عن الادراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب انما هو حق الخالق لا الخالق كذا قال الزرطبي في تذكرته وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ان الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم يا أهل الجنة ان الله وعدكم الحسنى وزيادة الجنة الحسنى والزيادة انظر الى وجه الرحمن ﴾ وأخرج ابن جرير وابن مردويه أيضاً واللالكائي في السنة عن كعب بن عجرة مرفوعاً مثله وأخرجوا أيضاً وابن أبي حاتم مثله عنه مرفوعاً وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً الحسنى الجنة والزيادة انظر الى وجه الله وابن مردويه أيضاً وأبو الشيخ واللالكائي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً الحسنى والزيادة كالذي قبله سواء ومن حديث ابي هريرة كذلك رواه أبو الشيخ وعن الصديق رضي الله عنه موقوفاً مثله رواه ابن جرير وابن مردويه وابن

المنذر وأبو الشيخ واللالكائي والاجرّي وابن مردويه عن علي رضي الله عنه رواه  
 ابن مردويه وعن حذيفة رضي الله عنه رواه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ  
 واللالكائي والاجرّي وكذا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومثله عن ابن  
 عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومثله عن سعيد بن المسيّب  
 والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعيد البجلي وأبي اسحق  
 السبيعي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقنادة وغيرهم من التابعين قال  
 الامام الحافظ البيهقي في كتاب الرواية هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين  
 الصحابة والتابعين ومثله لا يقال الا بترقيف وفسروا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة  
 الى ربها ناظرة) قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنها (١) الى ربها ناظرة قال نظرت  
 الى الخالق وقال عكرمة ناضرة من النعم الى ربها ناظرة قال تنظر الى الله نظراً  
 وقال الحسن النضرة الحسن الى ربها ناظرة نظرت الى ربها فنضرت بنوره وقال  
 كعب القرظي نضر الله تلك الوجوه وحسناها للنظر اليه ومثله عن مجاهد وأخرج  
 ابن أبي حاتم واللالكائي عن الحسن في قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)  
 قال اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق وبجباب كنفار فلا يرونه  
 وروى اللالكائي عن أشهب قال سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم  
 القيامة فقال مالك لولم يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعاقب الكفار بالحجاب  
 فقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل فان قوما يزعمون أن الله لا يرى فقال  
 مالك السيف السيف وأخرج اللالكائي عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في  
 قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دلالة على أن أولياء الله يرون  
 ربهم يوم القيامة وتقل ذلك عن الامام الشافعي رضي الله عنه من عدة وجوه وقال الطبراني  
 قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما في قوله تعالى (لهم ما يشاؤون فيه  
 ولدنّاماً) هذا هو النظر الى وجه الله عز وجل وقوله من التابعين زبد بن وهب وغيره كما

(١) لعله حسنه لانه تفسيراً بضرورة وهذا الذي قاله المصنف رواه البخاري  
 عن الحسن الا انه قال حسنة بدل حسنها كما صححنا، وتنظر الى الخالق عز وجل  
 بدل نظرت الى الخالق، ورواه عنه ابن جرير ولم يذكر عن ابن عباس شيئاً فيها

في حادي الارواح فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين باغت مبلغ التواتر عند أئمة الحديث

واما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الرؤيا فأخرج اللالكائي في السنة من طريق مفضل بن عسال قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثا في الرؤيا كلها صحاح وقد ورد ذلك من حديث الصديق وأنس وجابر وجري البجلي وحذيفة بن اليان وزيد بن ثابت وصهيب وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وأبي بن رزين وعلي بن أبي طالب وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وبريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنهم أجمعين ففي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تضارون في رؤيا القمر ليلة البدر» قالوا لا يا رسول الله قال «تضارون في رؤيا الشمس ليس دونها حجاب» قالوا لا قال «فإنكم ترونه كذلك» الحديث وفي الصحيحين وغيرهما عن جرير البجلي قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربعة عشر فقال «إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد عدد في حادي الارواح رواية من روى رؤيا الباري عز وجل فزادوا عن الحد قال العلماء كأن التشبيه للرؤيا وهو فعل الرائي لا المرئي والمعنى ترون ربكم رؤيا ينزاح معها الشك وتنتفي معها الريبة كرويتكم القمر لا ترقابون ولا تمترون وفي لفظ لا تضامون وروي بتخفيف الميم وضم أوله من الضيم أي لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا مشقة وتشديدها والفتح على حذف إحدى التائين والاصل لا تضامون أي لا يضام بعضهم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل ادراكه فيتزاحمون عند ذلك ينظرون الى جهة يضام بعضهم بعضا يريد انكم ترونه وكل واحد في مكانه وفي الصحيحين وغيرهما أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
«نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظاهرة صحوا ليس معها سحب وهل تضارون  
في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون  
في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدها» الحديث  
وأخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أباهريرة فقال أبو هريرة أسأل  
الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة قال سعيد افيها سوق قال نعم أخبرني  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم  
ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه  
ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فنوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر  
من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أذانهم وما  
فيهم من ذني على كئيبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل  
منهم مجلسا قلت يا رسول الله هل نرى ربنا قال «نعم هل تضارون في رؤية الشمس  
والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تضارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك  
المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان  
أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض عذراته في الدنيا فيقول يارب أفلم  
تغفر لي فيقول بلى بسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه» الحديث والاحاديث في ذلك  
كثيرة جدا في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما  
من دخل الجنة يرى الله عز وجل قال نعم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه بحشر الناس يوم  
القيامة في صعيد واحد فينادى أين المتقون فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب الله  
منهم ولا يستتر قليل له من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله  
العبادة فيمرون الى الجنة ولهذا الاخبار اشار بقوله

﴿لانه سبحانه لم يحجب الاعن الكافر والمكذب﴾

﴿لانه﴾ أي الرب ﴿سبحانه﴾ وتعالى ﴿لم يحجب﴾ بضم التحتية وسكون الحاء المهمة  
وفتح الجيم مبنيا للم اسم فاعله أي لم يتمتع سبحانه من أن يمكن عباده من رؤيته في دار  
القرار ﴿الاعن الكافر﴾ بالله تعالى وبكل مكفر اتصف به فكل من حكم الشرع بكفره

فهو محبوب عن روية ربه قال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن روية الله تعالى فقال ما حجب الله عز وجل أحدا عنه الا عذبه ثم قرأ ( كلا أنهم عن ربهم يومئذ محبوبون ) ثم أنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال الروية فقلت له يا أبا عبد الله ان عندنا قوم من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث ان الله ينزل الى سماء الدنيا وان أهل الجنة يرون ربهم فحدثني بنحو عشرة احاديث في هذا وقال اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عن من أخذوا وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم وما فنزل الينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب وقال حدثنا سفيان ابن سعيد ومنذر الثوري وزهير ابن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي وهو لاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى ان يهوديا صباغا يزعم ان الله لا يرى يعني بشر المريسي وقال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون لم يزل يلمي لهم يعني المبتدعة من الجهمية أو اضراهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه الكريم ونصرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجعلن رويته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينصر بها وجوههم دون المجرمين وبفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ محبوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم ولذا قلنا ﴿ و ﴾ يجب أيضا عن ﴿ المكذب ﴾ برويته وبتكليمه لعباده المتقين وكما أشار اليه الامام عبد الله بن المبارك في قوله تعالى ( كلا أنهم عن ربهم يومئذ محبوبون ) ثم أنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال بالروية كما ذكره بن أبي الدنيا وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه من لم يقل بالروية فهو جهمي وقال وقد بلغه عن رجل قال ان الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدا وقال من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر او فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كأننا من كان من الناس أليس

يقول الله عز وجل ( وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ) وقال - ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) وقال أبو داود سمعت الامام أحمد يقول من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر وقال أبو بكر المروزي قيل لابي عبد الله رضي الله عنه تعرف عن يزيد بن هرون عن أبي العطف عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان استقر الجبل فسوف تراني وان لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة فغضب أبو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين في وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال اخزي الله هذا لا ينبغي ان يكتب عن هذا ودفع عن يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمي كافر مخالف لما قال الله عز وجل ( وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ) وقال ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) يخزي الله هذا المحدث وقال الامام أحمد أيضا من كذب بالرؤية فهو زنديق قال رضي الله عنه تؤمن بها أي الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى ربنا يوم القيامة لأنشك فيه ولا نرتاب وقال من زعم ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فان تاب والاقبل وقال في رواية حنبل وسأله عن أحاديث الرؤية فقال هذه أحاديث صحاح تؤمن بها ونقر بها وكل ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقرنا به وقال أبو عبد الله اذ لم نقر بما (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )

### ﴿ فوائد ﴾

( الأولى ) قال العلامة بن حمدان في كتابه نهاية المبتدئين كسائر علماء السنة ونجزم بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيها ولا يراه الكفار ولا يكلمهم قال ومن أنكر الرؤية كفر نص عليه الامام أحمد انتهى وفي حادي الارواح الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قوله تعالى ( لا تدركه

(١) كتب الناسخ في هامش نسختنا أن نسخة المصنف هكذا وعلل المحذوف « جاء »



الابصار وهو يدرك الابصار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تدركه الابصار ولا تحيط به الابصار وقال قتادة هو أعظم من ان تدركه الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فقلوا ممنون يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذا كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه فقوله تعالى (لا تدركه الابصار) من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته يتعالى عن أن تدركه الابصار ولا تحيط به واللطفه وخبرته يدرك الابصار فلا يخفى عليه شيء فهو عظيم في لطفه اللطيف في عظمته العالي في قر به القر يب في علوه الذي (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير - لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) انتهى ملخصا

(الثانية) ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن كثير الى ان النساء يرين الله تبارك وتعالى في الآخرة وذهب جماعة أيضاً منهم العز بن عبد السلام وتبعه صاحب آكام المرجان وابن جماعة الى أن الملائكة لا يرون الله أيضاً تبارك وتعالى في الجنة وهذا خلاف التحقق فان النص الصريح والخبر الصحيح يرد هذا ويبعده ويبطله ويدحضه ويطرده فعند الدارقطني مرفوعاً «اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهداً بالنظر اليه في كل جمعة قال ويراها المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى» أي في مثل يوم الفطر ويوم الاضحى وعموم الاحاديث الصحيحة شاملة للنساء من غير توقف وأخرج الآجري عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى قال نعم وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (رب أرني انظر اليك) قال يا موسى انه لن يراني أحد الامات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم وبظاهر حديث الدارقطني أخذ ابن كثير فاختر ان النساء يرين ربهن في الاعياد دون الجمع وبه جزم الحافظ السيوطي

لكنه يحتاج الى دليل خاص أقوى من حديث الدارقطني واستثنى الحافظ السيوطي زوجات الانبياء عليهم السلام وبناتهم في غير الاعياد كما ان أبا بكر وعمر يريانه تعالى أزيد من غيرهما من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام قلت ومريم ابنة عمر ان وامرأة فرعون ينبغي أن تكونا من المستثنيات وكذا نحوها كأم موسى وأخته والله أعلم وفي آخر البدور السافرة للحافظ السيوطي وقع في كلام بعض الأئمة ان روية الله تعالى خاصة بمؤمني البشر وان الملائكة لا يرونه واحتج له بقوله تعالى (لا تدرکه الابصار) فانه عام خص منه بالآية والاحاديث في المؤمنين فيبقى على عمومه في الملائكة قال السيوطي وقد نص البيهقي على خلافه فقال في كتاب الروية ذكر ماجاء في روية الملائكة ربهم فأخرج عن عبد الله بن العاص رضي الله عنهما قال خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا وان منهم الملائكة قياما صافين من يوم خلقهم الى يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلي لهم تبارك وتعالى فاذا نظروا الى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ثم أخرج من وجه آخر عن عدي بن ارطاه عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما عندهم ملك ما تقطر دمة من عينه الا وقعت ملكا يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلي لهم ربهم فينظرون اليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك انتهى والحق الذي لا مرية فيه انهم يرونه تعالى بل ومؤمنو الجن يرونه اما في الموقف فجزمهم سائر المؤمنين وأما في الجنة ففي بعض الأوقات على ما يظهر بل الظاهر انهم يرونه الا انهم دون مؤمني الانس في الروية في كل جمعة

والحاصل ان روية الرب جل جلاله في الموقف حاصلة حتى للانبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف في غيرهم وقد جزم الحافظ ابن رجب في اللطائف بأن كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فينظرون اليه

أعظام شيناهو أحب اليهم من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ويوم الجمعة في الجنة يدعى يوم المزيد (١) ويوما الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيهما قال الحافظ ابن رجب في اللطائف روى أنه يشارك النساء الرجال فيها كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة قال فهذا لعموم أهل الجنة فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد بزورون فيه ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا لان الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعيادا فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعيادا قال الحسن رحمه الله تعالى كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد فالיום الذي

(١) قال الفاسي في شرح دلائل الخيرات ويوم المزيد هو اسم يوم الجمعة في الجنة وفيه تقع الرويا حسبا في الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم الا انه يؤذن بثبوت الايام في الجنة وهي لاليل فيها اذ لا ظلام فيها فلعلمهم تخلق لهم تفرقة أخرى بين الايام بغير الظلام والله أعلم ولعلها بنور يزداد عند تمام اليوم ثم اما ان يقع للتفرقة وينقطع ثم يأتي اليوم بعده على النور المعتاد واما ان يبقى الى تمام اليوم فيكون هو مبدء اليوم ثم يأتي اليوم الذي بعده أنور منه وهكذا كل يوم أنور من الذي قبله فيكون نور الجنة في الترقى على الدوام وذلك الترقى هو الايام ومبدء كل ترقى هو مبدء كل يوم وهذا هو المناسب لحال الجنة كما انهم في جمال صورهم وحسن ثيابهم في الترقى على الدوام حسبا في الحديث والله أعلم ثم وجدت في البدور السافرة مما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) انهم يؤتون رزقهم في الآخرة على مقدار ما يؤتون به في الدنيا من الليل والنهار وأخرج ابن المنذر عن بعض السلف سماه أنه سئل عن الآية فقال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخاء الحجب وأخرج الحكيم الترمذي في النوادر عن الحسن وأبي قلابة قالا قال رجل يارسول الله هل في الجنة من ليل فان الله يقول في كتابه (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال ليس هناك هو ضوء ونور برد الغد وعلى الرواح والرواح على الغدو ويأتهم طرف الهدا بالمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة انتهى بحروفه— من هامش الاصل

يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكركه وشكره فهو له عيد انتهى ملخصا وفي التذكرة للقرطبي ان الناس يرون ربههم في الموقف ثم يحبون الى أن لا يبقى في النار من يدخل الجنة أحد فيؤذن لهم فيه وفي الجنة ثم لا يحبون بعد ذلك أصلا ولا في حال تمتعهم وقد قيل الكفار كالمناققين يرونه تعالى ثم يحبون عنه فتكون الحجة حسرة عليهم وخص النووي الخلاف بالمناقق واما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى أعلم

(الثالثة) اختلف العلماء في روية خاتم الانبياء لربه ليلة المعراج التي هي في حقه صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر واسمى فائتها جبر الامة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ورجحه النووي وقال والحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والربيع بن سليمان وجماعة من المفسرين قال القرطبي قد ثبت ذلك يعني روية الباري جل شأنه سمعا بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقيين بالنسبة الى الموتى كذا قال وقال القاضي عياض روية الله تعالى جائزة عقلا وثبت الاخبار الصحيحة المشهورة وقوعها للمؤمنين في الآخرة واما في الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كان في الآخرة رزقوا ابصارا باقية فأروا الباقي بالباقي قال القاضي عياض وليس في الكلام استحالة الروية الامن حيث القدرة فاذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه (واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) وأخرجه ابن خزيمة من حديث أبي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فان جازت الروية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كذا في الفتح قال وقد اختلف السلف في روية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه وجزم ابن خزيمة عن عروة بن الزبير باثباتها وكان يشتد عليه اذا ذكر له انكار عائشة وبه قال سائر

أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما وحزم به كعب الأخبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه وعن الامام أحمد رضي الله عنه كالثقوبين قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبار مطلقة وأخرى مقيدة قال فيجب حمل مطلقة على مقيدة فمن ذلك ما أخرجه النسائي بسند صحيح وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما اتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد وأخرجه ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة الحديث وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة ان ابن عمر أرسل ابن عباس رضي الله عنهم هل رأى محمد ربه فأرسل اليه ان نعم ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ما كذب الفواد ما رأى) ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رآه بآله وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطية عن ابن عباس أيضا قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه أنما رآه بقلبه وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس رضي الله عنه قال رأى محمد ربه وعند مسلم من حديث أبي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «نوراني» أراه وللإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «رأيت نورا» ولا بن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراد أبي ذر رضي الله عنه بذكر النور أي ان النور حال بين رؤيته له يبصره

والحاصل ان في هذه المسئلة ثلاثة أقوال أحدها ثبوت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه وهو قول ابن عباس وأتباعه وهو ظاهر ما ذهب اليه الامام أحمد رضي الله عنه فقد روى الخلال في كتاب السنن عن أبي بكر المروزي قول لآحمد أنهم يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ربي» قول النبي صلى الله عليه وسلم كبر من قولها وجمع ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطب في الاستدلال له بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله انه انما رآه بقلبه على ان الرؤيا وقعت

مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه

(الثاني) منع ذلك في الدنيا وهو قول عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله  
 عنهما قالت رضي الله عنهما من زعم ان محمدا رأى ربه بعين رأسه فقد أعظم الفرية على الله  
 وروى الترمذي عن الشعبي قال لقي ابن عباس رضي الله عنهما كبا يعرفه فسأله عن شيء  
 فكبر حتى جاو بته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم وزاد عبد الرزاق نقول  
 ان محمدا رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه زاد عبد الرزاق بين  
 موسى ومحمد فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين قال مسروق فدخلت على  
 عائشة فقلت هل رأى محمدا ربه قالت لقد قف شعري أي قام من الفزع لما حصل  
 عندها من هيبة الله واعتقده من تنزيهه تعالى واستحالة وقوع ذلك ثم قالت له  
 أين أنت من ثلاث آيات من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وفي لفظ  
 من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قرأت (لا تدرکه الابصار-  
 وما كان ابشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ولكن رأى جبريل في  
 صورته مرتين وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي أن مسروقا قال قلت  
 لعائشة يا أمته - أصله يأم والهاء للسكت فأضيف اليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء  
 وزيدت هاء السكت بعد الألف - فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث  
 من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت  
 الآيتين ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري  
 نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم شيئا من كتاب الله فقد كذب  
 ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية ولكنه رأى جبريل  
 عليه السلام في صورته مرتين ووافق عائشة رضي الله عنها على ما ذهبت اليه من  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه جماعة من الصحابة منهم ابن  
 مسعود وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وبه قال جمع من العلماء بل نقل الدرعي  
 الحافظ اجماع الصحابة على ذلك واعترض الامام النووي وغيره على من ذهب  
 الى مذهب عائشة بأنها رضي الله عنها لم تنف وقوع الرواية بحديث مرفوع ولو  
 كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية

وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة انفاقا والمراد بنفي الادراك في الآية الكريمة نفي الاحاطة وذلك لا ينافي الرؤية انتهى كما قدمنا ذلك موضعا وجزمه بأن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فانه قال في كتاب التوحيد من صحيحه النبي لا يوجب علم قال ولم تحك عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها انه لم ير ربه وانما تأولت الآية انتهى وهذا عجيب منهما ففي الصحيحين والترمذي وغيرهما أن مسروقا قال كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بهن فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظر بيني ولا تمجليني ألم يقل الله (ولقد رآه بالأفق المبين - ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غيرها تبين المرتين رأيت من منبهط من السماء سادا أعظم خلقه ما بين السماء الى الارض ثم قالت أولم تسمع أن الله تعالى يقول (لا تدركه الابصار) وقرأت الآيتين وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى باسناد مسلم فقالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا إنما رأيت جبريل منبهطاً نعم خلف ابن عباس عائشة رضي الله عنهم باحتجاجها بالآية الكريمة فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار) قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام أحمد رضي الله عنه من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لم ربه إنما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه وقال شيخ الاسلام أيضا ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه بقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها شيء من ذلك قال ولفظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس قال وأهل السنة متفقون على أن الله تعالى لا يراه أحد بعينه

في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع أن الاحاديث المعروفة ليس في شئ منها انه رآه وانما روي ذلك باسناد موضوع باتفاق أهل الحديث انتهى

وإذا علم ما حررناه فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة رضي الله عنهم بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما خلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا بشرط لها شئ مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين وقدم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سألته صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال «نوراني آراه» ورواه الترمذي أيضاً بهذا اللفظ ورواه الامام أحمد عنه قال «رأيت نورا» ولا بن خزيمه عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه قال الحافظ ابن حجر وبهذا تبين مراد أبي ذر بذكر النور ان النور حال بين رؤيته له ببصره وقال الامام المحقق ابن الزيم في عدة مواضع من كتبه كاعلام الموقعين والجيوش وغيرها سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نوراني آراه ويدل عليه ان في بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك قال الحديث رأيت نورا قال المحقق ابن القيم وقد اعضل أمر هذا الحديث على كبر من الناس حتى صحفه بعضهم فقال نوراني آراه على انهاية النسبة والكلمة واحدة وهذا خطأ لفظاً ومعنى وانما أوجب لهم هذا الفهم أنهم لما اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه وكان قوله أنى آراه كالانكار للرؤية حاروا في الحديث وبعضهم رده باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل قال المحقق ابن القيم ويدل على ما قاله شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجاب به النور فهذا النور والله أعلم هو النور المذكور في حديث أبي ذر انتهى وذكر ابن الاثير في حل ألفاظ جامع الاصول ان الامام أحمد رضي الله عنه سئل عن حديث أبي ذر هذا فقال ما زالت منكراً لهذا الحديث وما أدري ما وجهه وقال ابن خزيمه في القلب من صحة هذا الخبر شي. وقال بعض العلماء في هذا الحديث قد أجمعنا على أنه تعالى



ليس بنور وخطأنا المجوس في قولهم هونور والانوار اجسام والباري سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث ان حجاب سبجانه النور وكذلك روي في حديث أبي موسى رضي الله عنه فالمنعنى كيف أراه وحجابه النور والله أعلم

(الثالث) الوقف عن القطع بالنفي أو الاثبات في هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم الترطبي في المنهم في شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف في هذه المسئلة أرجح وعزاه لجماعة من المحتتمين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدلل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وايمست المسئلة من العمليات فيمكنني فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتبني فيها الا باندليل القطعي ومن استنار قلبه لاقتفاء الآثار وخلع ربة التقليد التي هي منشار التغيير في وجوه الاخبار علم ان السلامة في التسليم وفوق كل ذي علم عليم وبالله التوفيق

### الباب الخامس

(في ذكر النبوة وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل أصحابه وأمه صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم)

اعلم ان حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بال الا بذلك فهم أشد احتياجا الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه كما في مفتاح دار السعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى واحالة السنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله ولا طريق اليه الا الخبر واعلا أنواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فلعن القائل له أرسلتك الى قول كذا شيطان مثلا وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لانغناء العقل عن الرسل لان ما جاء به الرسول ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يأت به وان

كان مخالفا له قبيحا فإن احتاج اليه فعله والآخره وقالت المعتزلة بوجود ذلك على الله تعالى بالنظر الى ذاته والحق انه جائز عقلا في حقه تعالى واجب سمعا وشرعا والى ذلك أشار بقوله

﴿ ومن عظيم منة السلام ولطفه بسائر الانام ﴾

﴿ ان أرشد الخلق الى الوصول مبينا للحق بالرسول ﴾

﴿ ومن عظيم منة ﴾ الرب ﴿ السلام ﴾ المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ومن أسماء الله تعالى المنان وهو المنعم المعطي من المن وهو العطاء وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئا الامنه واعتد به على من أعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة اذا كانت من غير البارى جل وعلا والسلام من أسماءه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التسميزه وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى معنى القادر وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلي قال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) والفرق بين القدوس والسلام ان القدوس فيه اشارة الى انه بريء من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام فيه اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من ذلك في المستقبل ﴿ و ﴾ من عظيم ﴿ لطفه ﴾ تعالى أي رفته ﴿ بسائر ﴾ أي جميع ﴿ الانام ﴾ كسحاب والآ نام بالمد والأ نيم كأ مير الخلق أو الانس والجن وجميع ما على وجه الارض أي من رفته تعالى بهم في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها الى من قدرها له من خلقه يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفًا اذا رفق به واما لطف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق ومن أسماء الله تعالى اللطيف وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم وإنما عدل عن قوله منة المنان ولطفه بسائر الانس لعدم شمول نحو الجن فيسبب عموم الانام على الانسان عدل اليه لان الانسان كالانس البشر والمنة بارسال الرسل شاملة للتقابين بل لكل الخلق والله أعلم

﴿ ان ﴾ بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدري تسبك مع ما بعدها بمصدر

﴿ أرشد ﴾ أي هدى ودل ودعا سبحانه وتعالى يقال رشد كنعصر وفرح رشدًا

ورشدا ورشادا هدي واسترشد طلب الرشد والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشد من أسماء الله تعالى الهادي الى سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما قدر وان وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ والخبر قوله في البيت قبله ومن عظيم الخ والتقدير رشد الخلق الى الوصول كإن من عظيم منة السلام ﴿الخلق﴾ من الثقلين الانس والجن ﴿إلى الوصول﴾ الى معرفة الله تعالى وعبادته واقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والسعادة السرمدية والنعيم المقيم في جنات النعيم رضى الرب الرحمن الرحيم والنظر اليه في دار القرار مع الاتقياء الاخيار والأولياء الابرار حال كونه تعالى ﴿مبيناً﴾ أي مظهر وموضعا ﴿ل﴾ نهج الحق ﴿وهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل ومن أسماه تعالى الحق أومن صفاته واما الصدق فقد شاع في الاقوال ويقابله الكذب ويفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقتة الواقع ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إيراد والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع ﴿بالرسول﴾ متعلق بمبين والرسول انسان أرحى اليه بشرع وأمر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فبني فقط وتقدم في صدر الكتاب وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية وأربعة عشر والاولى عدم حصرهم في عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ فلا يؤمن من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم وأولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام

## ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) في قوله ومن عظم منة السلام الى آخر البيتين اشارة الى ان ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وإنما هو على سبيل للطف بالخلق والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم الى

محمد صلى الله عليه وسلم (وعليهم) أجمعين الى المكافين لطفاً من الله بهم ليبلغهم عنه سبحانه أمره ونبيه ووعدده ووعدده ويدينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون اليه من أمور المعاش والمعاد مما جاؤا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله تعالى في كتبه عليهم اختصاصاً كالقرآن العظيم واشتراها كالتوراة لموسى وهارون وبو شع ومن بعدهم الى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحججة عليهم بالبينات وينقطع عنهم مآثر التعللات كما قال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعدذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلولا اعذاره تعالى اليهم على السنة الرسل وإقامة الحججة عليهم يبعثه أهل خبرته من ذوي النبوة والفضل لتوهوا أن لهم حجة سائفة ومعدرة بالغة لوجود (أحدها) ان يقولوا انما خلقنا ربنا لنعبدته وما بين لنا العبادات التي يريدنا منا ما هي ولا كم هي ولا كيف هي (ثانيها) ان يقولوا قد ركبنا ربنا في هياكل وأجسام تقبل السهو والغفلة وسائط علينا الشيطان والشهوة والهوى فكان ينبغي ان يؤيدنا بما اذا سهوا نانبهنا واذ امال بنا الهوى ردنا واذ اوسوس الينا الشيطان منعنا بما يرشدنا اليه من الاذكار وغيرها (ثالثها) ان يقولوا هب انا نعلم بعقولنا حسن الايمان وقبح الكفر والعصيان لكننا لم يصل ادراك عقولنا الى أن من فعل القبح عذب مع اننا نحس ان لنا في معاطاة القبيح لذة وليس على البارئ فيه مضرة ولم نعلم ان من آمن وعمل صالحا استحق اثواب مع ادراكنا بعهولنا عدم العود بمنفعة له تعالى فلا جرم تقاضينا الشهوات وأقدمنا على ما فيه لنا اللذات فارسل الرسل ليعاضدوا العقل أمر جائز في حقه وواجب وقوعا وسمعا يزيل به هذا وضوح (التذية الثاني) ان الرسالة ضرورية للعباد لاغنى لهم عنها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأبي صلاح للعالم اذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة كلها الا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وتناهل حيايتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الاموات قال الله تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة وبنور  
الايمان وحمل له نوراً يمشي به في الناس واما في الكافر فميت القلب في الظلمات  
وسمى الله تعالى رسالته روحاً والروح اذا عدم فارقت الحياة قال تعالى (وكذلك  
أوحينا اليك روحاً من أمرنا) الآية فالروح الحياة والنور لاضاءة المزيل لظلمة الكافر  
في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان فيه حياة بهيمية لكنه عادم  
الحياة الروحانية العلوية الناشئة عن الايمان وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح  
في الدنيا والآخرة فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين  
عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم فبعثوا  
جميعاً بالدعوة الى الله تعالى وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه  
فأرشدوهم الى توحيدته تعالى واثبات صفاته واثبات القدر وذكر أيام الله تعالى في أولياته  
واعدائه وهي القصص التي قصها على العباد ولا مثال التي ضربها لهم وأرشدوهم الى العلم  
بتفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحه وبيان ما يحبه لله ويكرهه وكذلك بينوا  
لهم وجوب الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب وعلى هذه الثلاثة  
أصول مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها  
الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان  
قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة الى  
الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة  
العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب بهدم  
الطبيب موت الابدان وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه وموتنا  
لا ترجى الحياة معه أبداً وشقي شقاوة لا سعادة معها أبداً فلا فلاح الا باتباع الرسول  
فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى (فالتبين  
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) أي  
لامفلاح الامم فالهدى والفلاح دائر حول ربح الرسالة وجوداً وعدماً قال شيخ  
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في قاعدة وجوب الاعتصام بالرسالة وهذا  
كما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعثت به جميع الرسل المرسلين وقال الرسالة

ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعاده فكما أنه لاصلاح في آخرته الا باتباع الرسالة فكذلك لاصلاح له في معاشه ودينه الا باتباع الرسالة فالانسان مضطر الى الشرع فإنه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع في النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره فهو نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمناً وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العمى فان الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الافعال التي تضر فاعلمها في معاشه ومعاده والافعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كتنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والامانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الارحام وبر الوالدين والاحسان الى الجيران والمماليك واداء الحقوق واخلاص العمل والتوكل على الله والاستعانة به والرضا بمواقف اقداره والتسليم لحكمه والتوكل عليه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به وطاعتهم في كل ما أمروا به وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دينه وآخرته وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دينه وآخرته ولولا الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منه عليهم ان أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانام وشر حالاً منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالاً من الكلاب والخنزير وأحق من كل حقير فالحمد لله الذي أرسل الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وان كنا من قبل لفي ضلال مبين ولا بقاء لاهل الارض الا مادامت آثار الرسالة موجودة فيهم فاذا درست آثار الرسل من الارض وانمحت معالم هدهم أخرج الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة وليست حاجة أهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوءها والجسم الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في امره ونهيهم

السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين يقول يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة وقال تعالى في حقه (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب وقال شيخ الاسلام في قاعدة وجوب الاعتصام بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسول فرجع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحجة للعالمين وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتميزه والقيام باداء حقوقه وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه وأخذ العهود والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فحتم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالاته أعينا عميا واذنأصما وقلوبا غلغا فاشرقت برسالاته الارض بعدظلماتها وتألقت بها القلوب بعدشتاتها فأقام به الملة العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصفار على من خالف أمره أرسله صلى الله عليه وسلم على حين فرة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم الى ظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم العاسدة وأهواهم النادة فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق وأخرج الناس به من الظلمات الى النور وميز به بين نهج أهل الفلاح وأهل الفجور فمن اهتدى بهديه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى فصلى الله وسلم عليه وسائر الرسل والانبياء مالا يحصى وبدا وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

### التنبيه الثالث

اعلم أن الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفي الله أنبي البشر آدم عليه السلام الى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين

وتصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما أمروا به ونهوا عنه ولهذا أوجب سبحانه الإيمان بكل ما أتوا به ولم يوجب بما أنى به غيرهم قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أدتي موسى وعيسى وما أدتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فاتفق علماء الملة على كفر من كذب نبيا معلوم النسوة وكذا من سب نبيا أو انتقصه وبجب قتله لان الإيمان واجب بجميع الانبياء وان لا نفرق بين أحد منهم وتصديقهم فيما أخبروا به واتباعهم على جميع ما جاؤا به فهو حق وصدق قال الله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حتما واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وتقدم أن جميع الانبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فذكر حديثا طويلا وفيه قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جا غفيرا قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم عليه السلام قلت يا رسول الله أنبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده وفتح فيه من روجه وكلمه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على اخنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزيور والفرقان الحديث وقد تكلم عليه الولي العراقي ورد على ابن حبان جماعة من الحفاظ لادخاله هذا الحديث في الصحيح وفي كتاب شرح الإيمان والاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روجه في قول الامام



أحمد رضي الله عنه في الرسل وعددهم وأنه يجب الايمان بهم ويصح الاقرار بهم في الجملة مع الكف عن عددهم وكذلك ذكر محمد بن نصر المروزي وغيرهما من أئمة السلف قال وهذا يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وان حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم انتهى والامام أحمد رضي الله عنه ذكر ذلك الزاماً لمن لم يقل بزيادة الايمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته وانها غير محدودة فقال ما تقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله هل تقولون بهم في الجملة وتزعمون أنه من الايمان فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تحذونهم وتعرفون عددهم أميس انما تصبرون في ذلك الى الاقرار بهم في الجملة ثم تكفون عن عددهم وهذا ظاهر في عدم معرفة عدد الانبياء والرسل والكتب وقد ذكر أهل العقائد في عقائدهم هذا العدد معتمدين على حديث أبي ذر على ما فيه وقد روي أن الانبياء ألف ومائة ألف والمشهور في الكتب أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وتقدم ان الواجب الايمان بهم جملة لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فالواجب الايمان بجميعهم اجمالاً وتفصيلاً فيمن ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان بني اسرائيل كانوا أكثر الامم أنبياء بعث اليهم موسى بن عمران عليه السلام بشريعة التوراة وبعث اليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل أنهم ألف نبي كلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يفترون منها شيئاً الى أن جاء المسيح بعهد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بأمر الله عز وجل

﴿ وشرط من اكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة ﴾

﴿ وشرط ﴾ مبتدأ ﴿ من ﴾ أي كل انسان ﴿ اكرم ﴾ بضم الهمزة مبنياً لما لم يسم فاعله أي أكرمه الله تعالى ﴿ بالنبوة ﴾ بضم النون والياء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه يقال نباؤنا وأنبياء فان قيل روى النسائي ان رجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تنبئ باسمي فانما أنا نبي الله فالجواب ما حكاه الجوهرى انه يقل نبات على القوم اذا طلعت عليهم ونبات من أرض الى أرض اذا خرجت من هذه الى هذه وهذا المعنى أراد

الاعرابي بقوله يانبي الله لانه خرج من مكة الى المدينة فأنكر عليه الهمز لانه ليس من لغة قريش . والحاصل ان النبي اما مشتق من النبا أي الخبر لانه ينبي عن الله تعالى أي يخبر قال سيديبه ايس أحد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلة بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والحبية الا أهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك واما مشتق من النبوة وهي الشيء المرتفع لان النبي مرتفع الرتبة على سائر الخلق قال في القاموس والنبي المخبر عن الله ورك الهمز المختار والجمع أنبياء وأنباء والنبيون والاسم النبوة ذكره في باب الهمزة وقال في باب المعتل والنبوة ما ارتفع من الارض كالنبوة والنبي انتهى

﴿ حرية ﴾ خبر المبتدا الذي هو شرط من أكرم النخ وذلك لان الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة والنبي يكون داعيا للناس آناء الليل وأطراف النهار والريق لا يتيسر له ذلك وأيضا الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وقدوة وهي أثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك وشرط من أكرمه الله بالنبوة أيضا ﴿ ذكرورة ﴾ أي ان يتصف بالذكورية لقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) فأثبت الرسالة للرجال الموحى اليهم وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم فلا تكون أنثى نبية خلافا لاهل التوراة الزاعمين بنبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام وقد خالف في اشتراط الذكورية أبو الحسن الأشعري ثم القرطبي وتبعهما على ذلك أناس من العلماء والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة والانوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع وقد حكى العلامة ابن الملقن في شرحه على عمدة الاحكام خلافا في نبوة مريم وآسية وصاره وهاجر وأم موسى عليه السلام واسمها يخابذ بنت لاوي بن يعقوب كما قاله شيخ السنة البغدادي والحافظ ابن الجوزي في تبصرته قال الحافظ برهان الدين الناجي قيد هذا الاسم على شيوخنا الحافظ ابن ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه بمشاة تحتية مضمومة فواو ساكنة فخاء معجمة مفتوحة فألف مقصورة فباء

موحدة مفتوحة فذال معجمة وهو غير مصروف للمعجمة والتأنيث أي مع العلمية قلت في كتب أهل الكتاب ورأيت في التوراة يوكابد بكاف بدل الحاء وبديل مهملة بدل المعجمة والطلق بالكاف مفخما ومعناه بالعريسة جليلة ورأيت الحافظ جلال الدين السيوطي ضبطه بحاء مهملة بدل الحاء المعجمة وبزوت بدل الباء الموحدة كما هو في تاريخ الانبياء له وكتوبله ﴿كقوة﴾ أي كما يعتبر فيمن أكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا بأعباء ما حمل من ثقل النبوة والقوة والطاقة والجمع قوي بالضم وبالكسر قال في انقاموس القوة بالضم ضد الضعف يقال قوي كرضي فهو قوي والقوى بالضم العقل وطاقت الخبل ذاعقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء مفزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن والهبو واللغو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مبرءون من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ولهذا لم يبعث الله نبيا الا في أشرف منسب أمته فلم يبعث نبيا من ذي نسب مبذول كما لم يبعث نبيا عبدا ولا ثيبا ولا امرأ ذلعلو مرة الذكورة على الانوثة مع طلب عدم الاشتهار من النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة للنساء في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن والحاصل اختصاص النبوة بأشرف افراد النوع الانساني من كمال العقل والذكاء والفظنة وقوة الرأي ولو في الصبي كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل ما فر عن الانبياء كدناءة الآباء وعهر الامهات والنفقة وانفظة والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام والامور المحملة بالمرورة كالاكل على الطريق والحرف الدنية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة العثة ونحو ذلك والله التوفيق

ولما ذكر ما أشعر بانفراد كل النوع الانساني بالنبوة واختصاص المذكور الاحرار المنزهين عن النقائص بها خشي ان يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك بالرياضة والتهذيب والجد والاجتهاد والتأديب فنفى ذلك بقوله

﴿ولا تنال رتبة النوه بالكسب والتهذيب والتوهم﴾

﴿ لكنها فضل من المولى الاجل لمن يشا من خلقه الى الاجل ﴾

﴿ ولا تنال ﴾ بضم التاء المثناة فوق مبنيا لما لم يسم فاعله أي لم تعط ﴿ رتبة ﴾ بالرفع نائب الفاعل يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال في القاموس النوال والنائل العطاء ونلت له وبه أنوله وأنلته اياه ونولته أعطيته والرتبة بالضم والمرتبة المنزلة ﴿ النبوة ﴾ بالجر لاضافتها الى الرتبة وهي عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الله من عباده وأحكامه التي يكلفهم بها انكشافا يناسب انكشاف النار للدهن بروية الدخان وانكشاف رائحة المسك بمجذب النفس الى الانف والمراد بها هنا ما يعبر عنه الرسالة كما لا يخفى ﴿ بالكسب ﴾ متعلق بـ لا تنال ﴿ و ﴾ لانتال رتبة النبوة ودرجة الرسالة أيضاً ﴿ التهذيب ﴾ أي تنقية البدن وتنصيف الاخلاق وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتنقية الاوصاف الجميلة والنهوت الجارية ﴿ و ﴾ لا تنال رتبة النبوة أيضاً ﴿ الفتوة ﴾ أي كرم النفس وتخليصها من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المدحوة قال في القاموس الفتوة الكرم وقد تفتى وتفتى يعني تعاطى اوصاف الفتوة وتخلق بها وأراض نفسه حتى صار من ذويها وفتوتهم اذا غلبتهم فيها فذهب أهل الحق ان النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكليف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات وتدأب في تهذيب نفسه وتنقية خوارطه وتطهير أخلاقه ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك ﴿ لكنها ﴾ أي النبوة والرسالة ﴿ فضل من المولى الاجل ﴾ سبحانه وتعالى يؤتبه من يشاء بمن سبق علمه وارادته الازليان باصطفائه لها فالله أعلم حيث يجعل رسالته وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم ان من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال والحلال نفسه من الشوائب العائنة عن المشاهدة بعد كل ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرأة باطنه وفتحت بصيرة له وهياً لما لا يتهماله غيره من التحلي بالنبوة لان النبوة عندم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الانسان احداها الاطلاع علي المغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقه كسب ولا تعلم ولا تعليم (الثانية) ظهور خوارق العادات بحيث تطيعه الهيولى العنصرية القابلة للصور المغارة

إلى بدن (الثالثة) مشاهدة الملائكة على صور متخيلة ويسمع كلام الله تعالى هذا  
 محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكهم الباطل فيجعلون كلام الله ما يفيض على  
 نفس النبي من غير أن يثبتوا لله كلاما خارجا عما في نفس النبي وعند التحقيق فلا  
 فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس إلا من جهة كونها أصفى  
 وأكمل وعندهم أن القرآن كلام النبي وهذا من أعظم الكفر قال شيخ الإسلام  
 ابن تيمية وهو لا عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون  
 أن يصيروا أنبياء والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى  
 يمن بها سبحانه ويعطيها ﴿ لمن يشاء ﴾ أن يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا  
 يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء ﴿ من خلقه ﴾  
 ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن  
 لا تنقطع وهو مخالف للنص القرآني والأحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه  
 وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال ﴿ إلى الأجل ﴾ يعني أن النبوة فضل من  
 الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء ويريد إكرامه بها  
 وكان ذلك ممتدا من عهد الأب الأول الصفي آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن  
 بعث الخاتم النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال

﴿ ولم تزل فيما مضى الأبناء من فضله تأتي لمن يشاء ﴾

﴿ حتى أتى بالخاتم الذي ختم به وأعلنا على كل الأمم ﴾

﴿ ولم تزل فيما ﴾ أي في الزمن الذي ﴿ مضى ﴾ أي في سائر الأزمان الماضية

﴿ الأبناء ﴾ جمع نبي كالأبناء والنبيين ﴿ من فضله ﴾ أي من فضل الله سبحانه وتعالى  
 ورأفته ولطفه لا من حيث أنه واجب عليه تعالى كما تقدم بيانه ﴿ تأتي ﴾ بأبلاغ الشرائع  
 وبيان الحق وإيضاح السبيل ﴿ لمن ﴾ أي لكل أهل زمن من الأمم الماضية والقرون  
 الخالية ﴿ يشاء ﴾ الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما يشاء على السنة من شاء من أنبيائه  
 لمن شاء من مكلفي عباده فلم تخل الأرض من داع يدعو إلى الله تعالى من لدن  
 آدم عليه السلام إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الإيمان بجميع الأنبياء

والرسل وانهم صادقون في ما أخبروا به عن الله تعالى اجمالا في من لم يعينوا كدلال  
على ذلك قوله تعالى ( آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله  
وملائكته وكتبه ورسله ) فدلّت الآية الكريمة على الاكتفاء بذلك في الايمان  
بهم من غير تفصيل الا من تثبت تسميته فيجب الايمان به على التعمين وكل  
مجى الرسل والانبيا في القرون الماضية والازمان الخالية معروفا مستمرا من لدن  
الاب الاول الصفي عليه السلام ﴿ حتى ﴾ أي الى ان ﴿ أتى ﴾ النبي ﴿ الخاتم ﴾  
والرسول القائم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أي الى ان أرسله بخير كتاب وآم  
شريعة وأفضل ملة وأكمل دين ﴿ الذي ختم ﴾ الله ﴿ به ﴾ النبيين والمرسلين  
وأكمل بدينه كل دين قال الله تعالى في محكم الذكر المبين ( ما كان محمدا بأحد  
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) أي الذي ختمهم وختموا به فلا نبي  
بعده وأخرج الامام أحمد من حديث العرابض بن سارية السلمى رضي الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وان  
آدم لم تجدل في طينته » الحديث وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى معناه  
من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه أخر مرسله وفي الصحيحين  
وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
« مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل  
الناس يدخلون ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة - زاد مسلم - فجئت  
فختمت الانبياء » وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه معناه وفيه:  
فجعل الناس بطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وفي  
صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما  
كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل  
ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلمه فقال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين  
كتفيه علامة لها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى  
أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي لنا ابنك فأخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك  
الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال ذهب والله

النبوة من نبي اسرائيل وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بمخاتم النبوة بين كتفيه وخاتم النبوة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها وقد روي ان هرقل ملك الروم من النصرارى أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر له خاتم النبوة وفي نبوة شعيا ان سلطانه يعني النبي صلى الله عليه وسلم على كتفه يريد علامة نبوته وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه مانصه قال أشعيا النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة: ولد لنا غلام يكون عجبا وبشرا والشامة على كتفه أركون السلام وسلطانه سلطان السلام يجلس على كرسي داود: فالأركون هو المعظم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون فشهد أشعيا بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهي شامته فلعمرى لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ووصفه بأنه يجلس على كرسي داود يعني انه سيرث من بني اسرائيل نبوتهم وملكهم وبيوتهم رياستهم . قال العلماء رحمهم الله في حكمة وجود الخاتم بين كتفيه أو على كتفه الايسر هو على جهة الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم لما ملي قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيتها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو دراقلم مجده نفسه ولا عدوه سيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشيء المخبوم محروس كما بين لما انا اذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك واقطع الخصام فيما بين الاميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب التي النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كيبضة الحجلة كما أشار اليه أبو انقاسم السهيلي رحمه الله تعالى

وقوله ﴿واعلانا﴾ معشراة هذا النبي الكريم والرسول الرؤف الرحيم الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم ﴿على كل الامم﴾ الماضية والمثل الحالية بشاهد قوله تعالى ﴿كنتم خيرا امة اخرجت للناس﴾ وكذلك جعلناكم امة وسطا ﴿وزوى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله ﴿كنتم خيرا امة اخرجت للناس﴾ قال خير الناس للناس يا آتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وفي الصحيحين وغيرها من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«لا يزال أناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وروى هذا من حديث سعد رواه مسلم ومن حديث معاوية رواه البخاري ومسلم ومن حديث عمران بن حصين رواه أبو داود ومن حديث غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وروى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله» وقال حديث حسن غريب وروى النسائي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عصابتان من أمتي أحرزها الله من النار عصابة نفزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام» وأخرج أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الفتن والزلازل والقتل» ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک والبيهقي في الشعب وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم - وفي رواية لمسلم - نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة - وفي رواية في الصحيحين نحن الآخرون السابقون بيدهم أي غيرهم - أنهم أتوا الكتاب من قبلنا» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه شهد الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرتم قل أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرتم ثم قال أني لا أرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشرة بيضاء في ثور أسود أو كشرة سوداء في ثور أبيض» هذا لفظ مسلم وعند البخاري وكشرة سوداء بغير ألف يعني قبل الواو وروى الامام أحمد والترمذي بإسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن



الحصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا» ورواه الطبراني في معجمه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبراني وروى عبدالله بن الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبراني تفرد برفعه عبدالله بن المبارك عن الثوري وروى أيضا من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا رواه خيشمة بن سلمان القرشي قال المحقق ابن القيم وهذه الاحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا أولا ان يكونوا شطرا أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجا ه وزاده عليه شيئا آخر وقد أخرج الامام أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أرجوان يكونان من تبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال فكبرنا قال فارجوان يكونوا الشطر واسناده على شرط مسلم وروى الدارقطني من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أن الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الى أعلا مكان في الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمته وأول من يدخل الجنة من هذه الامة من بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق كما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وروى الامام أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أنكم تمونون» وفي لفظ -

انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى» وأخرج الترمذي من حديث أبي امامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله فضلي على الانبياء أو قال أمي على الامم وأحل لنا الغنائم» وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه رفعه «يجي يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى» وقد روى معنى هذا الحديث عن أبي موسى أيضا الطبراني والحاكم وصححه وكذا ابن ماجه والطبراني وروي أيضا من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه والنسفي وأخرجه مسلم عن أبي موسى من وجه آخر بلفظ «إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فدائك من النار» قال العلامة القرطبي قال علماءنا هذه الاحاديث ليست على عمومها انما هي في أناس مذنبين تفضل الله عليهم برحمته فاعطى كل واحد منهم فكاكا من النار وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى انه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك لانه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد كما قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وله تعالى ان يضاعف على من يشاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم ارادته ومشيته ويقال في الرواية الاخرى وهي قوله لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه يهوديا أو نصرانيا النار معناه ان المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا في النار بسبب ذنوبه وعنى الله عنه بمنه ورحمته بقي مكانه خاليا منه أضاف ذلك المكان الى يهودية أو نصرانية ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره وقد جاءت أحاديث دالة على ان لكل مسلم من هذه الامة مذنبا كان أولا منزلا في الجنة ومنزلا في النار وكذا الكافر وذلك معنى قوله تعالى (أولئك هم الجاثمون) أي يرث المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين في النار الا ان هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وقال الامام البيهقي يحتمل ان يكون الفداء في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم أو في من أخرج من النار يقال لهم ذلك بعد الخروج وقال بعضهم بل يحتمل ان

يكون الفداء مجازا عن روية المنزلة التي تقدمت الاشارة اليها ورجحه النووي وغيره وقيل المراد بالذنوب التي توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بأن سنها فلما غفرت سيئات المؤمنين بقيت سيئات الذي سن تلك البدعة السيئة باقية على اربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فيكون الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذي لحق الكافر بما سنه من عمله السيء الذي عمل به المؤمن وقواه الحافظ ابن حجر والله التوفيق

وقد روي ان لكل واحد من مؤمني هذه الامة نورين كالانبياء السالفة روى أبو نعيم وابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الأخبار رحمه الله تعالى أنه سمع رجلا يقول رأيت في المنام كان الناس جمعوا للحساب فدعي الانبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأى لكل نبي نورين ولكل ممن اتبعه نورا يمشي به فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما فقال كعب وهو لا يشعر انها رؤيا من حدثك هذا قال انا والله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في المنام فقال بالله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في منامك قال نعم قال والذي نفس كعب بيده أو قال والذي نفس محمد بيده انها الصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمه وصفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمها في كتاب الله كأنما قرأه من التوراة وروى الحافظ أبو نعيم والحافظ ابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الاخبار أيضا أنه رأى حبرا من اخبار اليهوديين فقال له ما يبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجدني كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور والجال قال فقال موسى رب اجعلهم امتي قل لهم أمة أحمد يا موسى قال الخبر نعم الحديث وفيه فقال موسى عليه السلام ليتني من أمته أو من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) الحديث وروى ابن حجر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون المشفوع لهم فاجعلها أمي قال تلك أمة أحمد الحديث وفيه قال يارب فاجعلني من أمة أحمد فاعطي عند ذلك خصلتين فقال (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين) قال رضيت يارب وذكركه الامام المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام وذكر الحافظ ابن الجوزي في تبصرته في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) في كنتم قولان أحدهما كان وصفكم في البشارة قبل وجودكم قال الحسن الثاني كنتم في سابق علم الله تعالى وحكمه أوفي اللوح المحفوظ وقوله ابن الانباري أي ما زلتهم وقيل ان معنى كنتم أي أنتم مثل قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما قال ابن قتيبة قدياتي الفعل على بنية الماضي وهو ذاهب أو مستقبل كقوله كنتم ومعناه أنتم ومثله واذا قال الله أي واذا يقول الله ومثله أي أمر الله ونظائره والله أعلم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى

واعلم أن فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق لها اياها الا أنه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوه فكذلك جعل لتقديم هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس فاعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق في شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الهاتم مال كثير منهم الى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوراة حتى تنق عليهم الجبل ولما اختار موسى سبعين منهم وقع في نفوسهم ما أوجب تزلزل الجبل بهم ولهذا لما صعد نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا في جماعة من أصحابه تزلزل فقال اسكن فما عليك الانبي اوصديق أو شهيد فكانه أشار الى انه ليس عليك من يشك كقوم موسى ومن تأمل حال بني اسرائيل رآهم قد أمروا بقول حطة فقالوا حنطة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوه زحقا وآذوا نبيهم فقالوا آدر ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من أعظم التفهيم لانت الجسم مؤلف ولا بد

لأموات من موافق ومن غفلة النصارى اعترافهم ان الله تعالى جوهر والجواهر  
تتائل ولا مثل للخالق ثم مقالهم في عيسى وتاليهم ودعواهم فيه الالهية وانه  
ابن الله تعالى تقشع منه الابدان وتنفر منه النفوس ونحوه المقول وليس لتقوم  
فهوم ولهذا قال بعض فضلاء أمتنا انهم عار على بني آدم من بين سائر الامم . هذا  
قد علم يقين هذه الامة وبذلهم أنفسهم في الحروب وطاعة الرسول صلى الله  
عليه وسلم وحفظهم لكتاب الله فلهذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمة خيرا  
وأكرمها على الله تعالى وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله  
عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم

### فصل في

﴿ في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شأنه  
على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار الى اولها بقوله ﴾

﴿ وخصه بذلك كالمقام وبعمه لسائر الأنام ﴾

﴿ ومعجز القرآن والمعراج حقا بلامين ولا اعوجاج ﴾

﴿ وخصه ﴾ أي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون  
سائر الانبياء ﴿ بذلك ﴾ أي بكونه ختم به النبوة والرسالة فلانبي بعده لقوله تعالى  
(وخاتم النبيين) ذلك يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص  
بلا عكس ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبدأ نبوة ولا  
تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا  
بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انما تبع بشرية  
نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعتة المتقدمة لانها منسوخة فلا يتعد الا بهذه  
الشريعة أصولا وفروعا فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكما من احكام  
ملته بين أمته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله وبظنره في كتاب الله الذي

هو القرآن وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي الى استنباط ما يحتاج اليه أيام مكثه في الارض من الاحكام وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعتنا لا يقال هذا نسخ لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مغني الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم «نزل عيسى بن مريم حكما عدلا» فنزوله غاية لا قرار الكفار يبذل تلك الاموال ثم لا يقبل الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدمنا ذلك قريبا (والثانية) ما أشار اليه بقوله ﴿ك﴾ ما خصه الله سبحانه وتعالى ﴿المقام﴾ محمود وهو الشفاعة العظمى كما تقدم الكلام على ذلك وروى النسائي باسناد صحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه قال يجمع الناس في صعيد واحد فأزل مدعو محمد فيقول ليبيك وسعديك والخير في بديك والشر ليس اليك المهدي من هديت عبدك وابن عبدك وبك واليك ولا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت فهذا قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وصححه الحاكم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي في صحيح البخاري ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تدع نبيا يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا وأخرج البخاري أيضا عنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فينماهم كذلك استعانوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضي الله بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلته باب الجنة فومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم» وذلك لان ما رواه النسائي من حديث حذيفة رضي الله عنه كان مقدمة الشفاعة قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي هلال انه باغه ان المقام للمحمود الذي ذكره الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه

ذلك أهل الجمع ورجاله ثقة لكنه مرسل قال الحافظ ابن حجر في شرح تفسير سورة الاسراء من صحيح البخاري وقيل المراد بانقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة وقيل اعطاه لواء الحمد وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد وقيل شفاعته رابع أربعة انتهى وتقدم في الشفاعة ما فيه كفاية والله تعالى أعلم

﴿و﴾ الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بـ ﴿بسمه﴾ نبيا ورسولا ﴿لسائر﴾ أي جميع ﴿الانام﴾ كسحاب الخاق من الانس والجن بالاجماع واختلف في ارساله الى الملائكة على قولين أحدهما انه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جمع محققون وهو ظاهر كلام علمائنا قال ابن حمدان في نهاية المتدين ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة قال القاضي أبو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وأفضلهم نص عليه الامام أحمد انتهى ونقل الاجماع على ذلك غير واحد والقول الثاني بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضا ورجحه الجلال السيوطي في الخصائص والسبكي قبله وزاد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البازي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضا بذلك قال الحافظ السيوطي وأزيد الى ذلك انه مرسل الى نفسه وتقدم كلام صاحب الفروع وغيره في التنبيهات الملحمة تحت قوله

وكل انسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة  
فعاوده فان قلت قد علم بتينا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومها أمر اتفاقي إذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه في السفينة فالعموم صار ثانيا وبالعرض على انه لم يبعث للجن والحاصل ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة لجميع الاكوان والنفات لزعم بعض ملخدي أهل الكتاب

من خصوص رسالته للعرب لان هذا مكابرة باطلة ومغالطة عاطلة لوجوه بديهية  
البرهان منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد أنزل عليه في محكم القرآن  
قل (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما أرسلناك الا كافة للناس) ثم مقائلته  
لاهل الكتاب وسبي ذراريهم واستباحة دماهم وضرب الجزية عليهم أمر معلوم  
بالتواتر والضرورة فالمتعلق بهذا هذا والله تعالى الموفق

﴿ و ﴾ الرابعة المشار اليها بقوله وخصه : ﴿ معجز القرآن ﴾ الذي اذعن لاعجازه  
الثقلان وأحجم عن معارضته مصابيح الانس والجان واعترف بالعجز عن الاثبات  
بأقصر سورة من مثله أهل الفصاحة والبلاغة من سائر الاديان كما تقدم الكلام  
على ذلك مستوفيا في مبحث القرآن من الباب الاول فراجعه تظنر بمقصودك  
والله أعلم

( الخامسة ) من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما أشار اليها بقوله ﴿ ك ﴾ ما  
اختصه الله سبحانه وتعالى : ﴿ المعراج ﴾ الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى  
مستوى سمع فيه صريف الاقلام فكان كقتاب قوسين أو أدنى قال الواقدي  
عن رجاله كان المسرى والمعراج في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان  
في السنة اثنانية عشرة من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا وروى أيضا عن  
أشياخ له قالوا اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع  
الاول قبل الهجرة بسنة وادعى أبو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن عباس  
وعائشة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن الجوزي في الوفي سمعت شيخنا أبا الفضل  
يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقال آخرون كان الاسراء قبل  
الهجرة بثمانية أشهر وقال آخرون بستة أشهر فمن قال بسنة فيكون ذلك في ربيع  
الاول ومن قال بثمانية أشهر فيكون ذلك في رجب ومن قال بستة أشهر فيكون  
ذلك في رمضان قال ابن الجوزي وقد قيل انه ليلة سبعة وعشرين من شهر  
رجب قلت واختر هذا القول الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي وعليه عمل  
الناس وكان المعراج الى السماء بجسده الشريف وروحه المقدسة كالاسراء من  
مكة المشرفة الى المسجد الاقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء حتى



هذا ﴿حنا﴾ ثابتا وأجزم به جرما بانا ﴿بلا مين﴾ أي بلا امتراء ولا كذب ولا ريب يقال مان مين كذب فهو مائن وميون وميان ﴿ولا اعوجاج﴾ يقال اعوج اعوجا اذا كان غير مستقيم قال في النهاية قد تكرر ذكر العوج في الحديث اسما وفعلا ومصدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين المهمة مختص بكل شخص مرئي كالاجسام وبالكسر فيما ليس مرئي كالرأي والقول وقيل الكسر فيهما معا والاول أكثر ومنه الحديث حتى يقيم به الملة العوجاء يعني ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها

واعلم ان الاسرى لاخلاف فيه اذ هونص القرآن العظيم على سبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضي الله عنهم اجمعين وأما ليلة المعراج فختلف فيها فقيل ليلة الجمعة وقيل السبت كما تقدم عن الواقدي وقال ابن دحية تسفر تلك الليلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى لتوافق المولد والمبعث والمجرة والوفاة فانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين وقد أخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه أن مالك بن صعصعة رضي الله عنه حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة لاسراء قال «بينما أنا نائم في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجع اذا أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلاثة قل فأتاني فقد وقال مرة فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني فقل من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته قل فاستخرج قلبي فأثيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة ففسل قلبي ثم حشي وفي لفظ فافرغ في صدره وملاه علما وحلما وقينا واسلاما ثم أطبقه ثم أعيد ثم أثيت بداية دون البغل وفرق الحار أبيض قال قتال الجارود هو الهراق يا أبا حمزة قال نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحمت عليه ولما أراد صلى الله عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام أوتي بالمعراج التي تخرج عليه أرواح الاتقياء من نبي آدم فلم تر الخلائق أحسن

منه له مرقة فضة ومرقاة من ذهب وهو من حجة الفردوس منضدبا للؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فارثي عليه هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة قل بعض أهل العلم انه لم يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزي في الوفي ان البراق ترقى به أي النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ثم أتيت بدابة دون الغل وفوق الحمار يقع خطره عند أقصى طرفه قال حُملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح الحديث بطوله وهو في الصحيحين وغيرها وقال بعضهم قد صحت الاحاديث بأنه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فأرتقى فيه وظاهره انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس وجمع بعضهم بأن الراوي اختصر فلم يذكر بيت المقدس وبعضهم انه لما وصل في العروج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدرة المنتهى ثم بعدسوا له صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعت له في التخفيف عن أمته حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسماح النداء من العلي الاعلى قد أمضيت فريضتي وشفعت نبي وخففت عن عبادي هن خمس صلوات كل يوم ولاية وهن خمسون في الاجر لان الحسنة بعشر امثالها وسمع قوله (ما يبدل القول لدي) ولا ينسخ كتابي وكانت المراجعة ما بين الحق جل جلاله وبين الكليم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فانه الذي حث النبي الكريم على مراجعة الرب الرحيم سوا له التخفيف عن هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في موسى عليه الصلاة والسلام ونعم الصاحب كان لكم أي معشر الامة ثم قل له موسى عليه السلام اهبط باسم الله ولما دنا المصطفى من العلي الاعلا وحل في مستوى سمع فيه صريف الاقلام وكلمة الجليل جل جلاله فقال له يا محمد قل لييك يارب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وأنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يري الآكامه

والابرس ويحيي الموتى باذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن  
للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالى وقد اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو  
مكتوب في التوراة حبيب الله وأرسلت لك لاس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك  
صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا أذكر الا نذكركمعي وجعلت أمك  
خير أمة أخرجت لاس وجعلت أمك أمة وسطا وجعلت أمك هم الأولون والآخرون  
وجعلت أمك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من أمك  
أقواما قلوبهم اناجياهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأول من يقضى له وأعطينك  
سبعامن المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطينك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش  
لم أعطها نبيا قبلك وأعطينك الكوثر وأعطينك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد  
والصدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأني يوم  
خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة - كل هذا  
الخطاب في حال قربه من رب العالمين ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل  
من خمسين الى خمس وأتى لهم ثواب الحسين تفضلا منه تعالى وتكرما على نبيه  
المصطفى وعلى أمته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل الى سدرة المنتهى  
غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى  
وصل لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فدنا من الحضرة الآسية حتى كان  
كقرب قوسين أو أدنى أي أو أقرب أي بل أقرب من ذلك ثم انجلت عنه  
السحابة فأخذ جبريل بيده فانصرف سريعا فرعى ابراهيم فلم يقل شيئا ثم أتى  
على موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان اسك فقال ما صنعت  
يا محمد ما فرض عليك ربك وعلى أمك قال النبي صلى الله عليه وسلم فرض علي  
وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم وليمة قل ارجع الى ربك فانه التخفيف لك  
وعن أمك فان أمك لا تطيق ذلك فاني خبرت الناس قبلك وبلوت بني  
اسرائيل وعاجلتهم أشد المعاجلة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمنك أضعف  
أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا واسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل  
يستشيريه فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فرجع سريعا حتى انتهى الى اشجرة

ففسدته السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف عن أمي فانها أضعف الامم قلت وضعت عنكم خمسا وهكذا الى أن بقيت الخمس وهذا في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه انه تعالى حط عنه عشرة ثم عاد فخط عنه عشرة ثم عاد فخط عنه عشرة وكذلك هو في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه وقال الامام الحافظ ابن الجوزي في الوفاء وهذا أصح لانفاق البخاري ومسلم عليه من حديث أنس عن مالك ومن حديث أنس نفسه أيضا وذكر المراجعة خمس مرات وقال عن رواية انه حط خمسا خمسا غلط من الراوي انتهى وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري كون الخط كان خمسا خمسا أصح ولفظه: قد حققت رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها انتهى قلت ولما قشته وجه وجهه من أمور أحدها ان كون التخفيف عشرة عشرة أليق بكرم الكريم الثاني اتفاق الصحيحين عليه من حديث أنس ومن حديث مالك بن صعصعة واما كونه خمسا خمسا فمن افراد مسلم وما انفق عليه الصحيحان أصح الثالث كونه عشرة عشرة أقل مراجعة الرابع ان حديث أنس من كونه كان خمسا صادق بأن الخط في الخامسة خمس فيصدق عليه بأن الخط كان خمسا في الجملة والحاصل ان كون الخط كان عشرة عشرة أصح وبالله التوفيق

### ﴿ تنبيهات ﴾

( الاول ) تقدم الكلام على روية النبي صلى الله عليه وسلم لذي العزة والعجروت والانعام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك وما ينبغي ان يعلم ان الخلاف المذكور انما هو في وقوعها لاني امكنها وجوازها لذهي جائزة عقلا ونقلها أما العقل فواضح وأما النقل فما كان كلام الرحمن ان يسأل المستحيل هذا مما لا يفتنه من عرف منصب النبوة فضلا عن الرسول فضلا عن أحد أولي العزم من الرسل ليت شعري من جهل الواجب والاجائز والمستحيل على الله تعالى ما علم هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسوله يرى الحق ويتبعه أبدا ثم ان روية الباري جل شأنه واقعة للمؤمنين في الآخرة قطعا كما مر واما من ادعاها في الدنيا بقطعة

لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف فهو ضال بل قال الكواشي في تفسيره في سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعني في الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فزندق فلو قال اني أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدي المقتس أنه كفر مدعى الرؤية هنا وقد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للأولياء في الدنيا قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة انه لا يصدق مدعى الرؤية في الدنيا يقظة فان شيئاً منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف في حصوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامها مما لا يتوقف فيه انه لا يحصل لأحد الناس وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناما والحق جوازها وبالله التوفيق

( الثاني ) اختلف في المراد من قوله تعالى ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) أي حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال أبو عبيدة قاب قوسين أي دار قوسين أو أدنى أو أقرب والقاب ما بين القبضة والسية من القوس قال الواحدي هذا قول الجمهور من المفسرين ان المراد بالقوس التي يرمي بها قال وقبل المراد بها الذراع لانه يقاس بها الشيء قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وينبغي ان يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين (١) ويؤيده انه لو كان المراد به القوس التي يرمي بها لم يمثل بذلك ليحتاج الى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل انه على القلب والمراد فكان قابي قوسين (٢) لان القاب ما بين المقبض الى السية فلكل قوس قابان بالنسبة الى حالته وقوامه أو أدنى أي أقرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما الفوا والمعني فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا تردد عنده وقيل أو بمعنى بل وتقدير بل هو أقرب من القدر المذكور وسية القوس هي الغرزة التي يوضع فيها الوتر والمراد به جبريل عليه السلام قال الحافظ ابن كثير هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم وقد روى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها ( ثم ذني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى )

(١) كذا في الاصل والظاهر الرفع (٢) كذا في الاصل والصواب قابي قوس

قالت ذلك جبريل قال المحقق ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرۃ المنتهى) هكذا فسرہ النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذلك جبريل لم أراه في صورته التي خلق عليها الامر تبين رواه مسلم قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق سبعة وجوه دالة على ذلك قال واماما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس ودي الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكرفيه أموراً منكراً لكن قال المحقق ان الدنو والتدلي اللذين في حديث شريك غير هذا وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك غير اللذين في الآية ولذا قال الرازي في تفسيره فكان قاب قوسين أي فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدوا خرجا بقوسيهما فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه يكف صاحبه فيمدان باعيهما كذلك فسمي مبائة انتهى وقوله أو أدنى قال المحقق ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة فانها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى ( وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) تحقيقاً لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحداً ونظيره قوله تعالى ( ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل أوفي هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرازي ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمل انتهى

(الثالث سدرۃ المنتهى) السدر شجر النبق واحده سدرۃ وانا قيل لها سدرۃ

المنتهى لأنه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهي ما يخرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل غير ذلك قال ابن دحية واختبرت السدرۃ دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم

لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية وقد وقع عند مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان السدرۃ في السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضي الله عنه انها في السابعة قال القرطبي وهو تعارض لاشك فيه وحديث أنس قول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ويترجح حديث أنس أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض انها في السماء السادسة مادلت عليه الأخبار أنه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان أصلها في السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الاصل سابقا قال ابن حجر والظاهر ان سدرۃ المنتهى مفروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الاعلى ما يفهم والباطن لا بد ان يكون سر يانه تحت شيء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض دل الحديث على أن أصل شجرة المنتهى في الأرض لكونه قال ان النيل والفرات يجريان من أصلها وهما بالمشاهدة يجريان من الأرض فيلزم منه ان يكون أصل السدرۃ في الأرض وتعبه النووي بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض والحاصل أن أصلها من الجنة وهما يخرجان أولا من أصل السدرۃ ثم يسيران الى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان وفي أصل القصة فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ابن أبي جمرة هذا يدل على ان النيل والفرات ليسا من الجنة وسدرۃ المنتهى ليست في الجنة حتى يقال انها يخرجان منها بعد نبعهما من السدرۃ وهذا معارض لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع بينهما والله أعلم ان الفرات والنيل منبعهما من السدرۃ واذا أنزل الى الأرض يسلكان أولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الأرض انتهى قلت اذا قلنا سدرۃ المنتهى في السابعة تعين أنها في الجنة لان الجنة ليس سقفها سوى عرش الرحمن والله أعلم

(الرابع) المستوى الذي سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام هو المصعد وقيل المسكان المستوي وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وهو جريانها على المكتوب فيه من الاقضية الآهية والوحي وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما أراده تعالى من أوامره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام الذي هو تعالى يعلم جنسها وكيفيةها على ما جاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة فكل ما جاء من ذلك فهو حق يبقى على ظاهره نعم كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه الله تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والمرسلين وما يتأول هذا أو يحيله الاضعيف الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو الغني الخيد والله تعالى أعلم

(الخامس) الصحيح المعتمد ان الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة هذا الذي اعتمده أكثر أهل العلم وقيل كان الاسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة أخرى والاول هو الذي ذهب اليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وانهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعا لافي المنام من مكة الى المسجد الاقصى الذي هو في بيت المقدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله العلي الاعلا قال أهل الحق وهذا هو الحق من غير امتراء وعليه يدل القرآن نصوص صحيح الاخبار الى السموات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغته ولا يعدل عن الظاهر في الأخبار الواردة في ذلك ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الازهان من ألفاظها الى التأويل الا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته وليس ثم استحالة تؤذن بالتأويل فلا جرم وجب اعتقاده على ظاهره مع تفويض علم مآدق الحق والله التوفيق

(السادس) زعم بعض الصوفية ان المعراج وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة وقال بعضهم أربعة وثلاثين مرة واحدة منها بحسبه الشريف والباقي بروحه ورد المحقق تعدد ذلك مع تعدد فرض الصلاة والمراجعة في الحط والتخفيف قال



الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وما أظن أحدا ممن قال بالتعدد يلتزم إعادة مثل ذلك والله تعالى أعلم

﴿ فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخوله ﴾

﴿ فكم حباه ربه ﴾ سبحانه وتعالى بمكرمة ﴿ و ﴾ كم ﴿ فضله ﴾ على غيره بمزية من المزايا التي لا تخصى والمكرمات التي لا تستقصى فإن كم هذه خبرية بمعنى كثير فهي تفيد كثرة ما حباه ربه به من المكرمات والمزايا والحباء بمعنى الاعطاء يقال حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من أوعام والاسم الحباب ككتاب كما في القاموس ﴿ و ﴾ كم ﴿ خصه ﴾ الله ﴿ سبحانه ﴾ وتعالى بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيص ويمد وخصه ونخصه فضله والخاص والخاصة ضد العامة ﴿ وخوله ﴾ بمعنى أعطاه قال في القاموس خوله الله المال أعطاه إياه مفضلا والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جلية غير ما ذكرنا حتى ان ابن سعد ذكر في كتابه شرف المصطفى أوصل الخصائص التي اخص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى ستين وبعض متأخري الحفاظ أوصلها الى ثلاث مائة وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير انه لم يتعرض في النظم الالبعض المهم منها على انها افردت بالتأليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

## فصل في تعريف المعجزة

﴿ في التنبيه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدا ﴾

وتعريف المعجزة هي اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة وفي القاموس معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين المعجزة هي ما خرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنهما وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقارنهما وقال الفخر الرازي المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال العلامة التفتازاني انما قال أمر ليتناول الفعل

كأنجار الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ويتناول عدمه أي عدم الفعل كعدم احراق النار ابراهيم عليه السلام واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات الارهافية التي تتقدم البعثة النبوية وعن ان يتخذ المكاذب معجزة من مضى من الانبياء أو ماتت له في السنين الماضية حجة لنفسه وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعوذة وقول ابن حمدان وطابقها ليجرح ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فنطق بأنه كذاب مقتر وكما تغل مسيلة في بئر فغار ماؤها ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك اذا عرفت هذا فقد أشار الى التنبيه على ان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله

﴿ ومعجزات خاتم الانبياء كثيرة تجل عن احصائي ﴾

﴿ ومعجزات ﴾ جمع معجزة وتقدم تعرفها آنفا ﴿ خاتم الانبياء ﴾ يعني نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم والانبياء جمع نبي وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ كثيرة ﴾ جدا ﴿ تجل ﴾ أي تعظم وتكبر ﴿ عن احصائي ﴾ أي عن عدي وحفظي لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التي ماسبقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته وأيضا لما كان نبينا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وترادف الآيات الينيات والمعجزات الباهرات قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح: الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الانبياء قال ويسمى بها النظر معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك قال وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب ولا في السنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأهل الكلام لا يسمي

معجزا الا ما كان للانبياء فقط واما ما اثبت للاولياء من خرق عادة يسمونها كرامة قال والسلف كالامام احمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الانبياء بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه وربما سموا الكرامات آيات لسكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع ان يكون لغير النبي وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه اولانها تعجز عنهم وهي آية على صحة طريقهم انتهى قال بعض العلماء معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن فان فيه ستين او سبعين ألف معجزة تقريبا ولهذا قال

﴿ منها كلام الله معجز الوري كذا انشقاق البدر في غير امترأ ﴾

﴿ منها ﴾ أي من معجزات نبينا خاتم النبيين والمرسلين بل أعظمها وأجلها ﴿ كلام الله ﴾ المنزل على النبي المرسل ﴿ معجز الوري ﴾ كفتى الخلق جميعهم انهم وجنهم وأولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس في وسع البشر الاتيان بسورة من مثله كما تقدم ذلك موضعا و ﴿ كذا ﴾ من غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴿ انشقاق البدر ﴾ أي القمر قال في القاموس والبدر القمر الممتلئ انتهى وهو أحد الكواكب السيارة التي هي الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل فانشقاق القمر تصفين ثابت ﴿ من غير امترأ ﴾ أي من غير شك ولا جدل مأخوذ من المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه ممرارة ومرأه وامترى فيه وتمارى شك كما في القاموس وفي النهاية المرأ الجدال والتمازي والمارة المجادلة على مذهب الشك والريبة انتهى وانما قال من غير امترأ لثبوت ذلك وظهوره لكل أحد ظهورا تاما وثبوتا جازما وقصة ذلك كفاي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يربهم آية فأراه القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيان عن قتادة فأراه انشقاق

القمر مرتين وفي حديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم وغيرها قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة وقال مجاهد انشق القمر فبقيت فرقة من وراء الجبل وقال ابن زيد لما انشق القمر كان يري بجبل قعيقعان النصف وأبي قبيس النصف الآخر قال في النهاية قعيقعان جبل بمكة قيل سمي بذلك لان جرهما لما تحاربوا كثرت قعقة السلاح هناك وجبل أبي قبيس مشهور معلوم بمكة وروى الامام أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة علي هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد وقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم فاسألوا السفار فان شهدوا بما أبصرتهم فهو حق وليس هو سحرا فاسألوا من كان مسافرا عن مكة من أهلها ومن غيرهم فاخبروهم أنهم رأوا ذلك فنادوا في كفرهم وعذوهم ولم يؤمنوا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السفار يقدمون عليكم فان كان مثل ما رأيتم فقد صدق والا فهو سحر فقدم السفار فاسألوهم فقالوا نعم قد رأينا قد انشق القمر وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم وبالسنن الصحيحة الصريحة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك مبلغ التواتر وأجمع على ذلك أهل الحق وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لاحد سواه وهو

من أمهات معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع مافي هذا العالم المركب من الطبائع فهو آية ومعجزة جسيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لان فيهما كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى ودلائل نبوته لا تستقصى

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قد روي انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم رضي الله عنهم  
(الثاني) الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وأما ما قيل أن القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كفه فلا أصل له

(الثالث) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح آياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع (منها) ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسه التامة ومعراجه الى السماء قل وانما جعل الآيه في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه أقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون اجزاء الفلك لانه جسم مستنير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لا بتمارى فيه واذ قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك قال وفيه حكمتان عظيمتان احدهما كونه من آيات النبوة والثانية أن فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافاً للفلاسفة في زعمهم أن الفلك لا يقبل الحرق والالتئام والله أعلم (ومنها) ما هو في العوالم السفلى واستصعاباته صلى الله عليه وسلم وطاعه السحاب في حصوله وذهابه (ومنها) تصرفه في الحيوانات الانس والجن والبهائم (ومنها) تصرفه في الاشجار والحشب والاحجار (ومنها) تأييده بملائكته السماء (ومنها) كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس (ومنها) اجابة دعائه

صلى الله عليه وسلم (ومنها) اعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلية (ومنها) تأثيره في تكثير الماء والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلائل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الظاهرة وآياته الباهرة

(الرابع) أن نفس صورة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهيبته وطلعت الظاهرة وسنته ودله يدل العقلاء على صدقه ولهذا قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه فلما رأيت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك في نبوته قال الحافظ ابن الجوزي وغيره من الحفاظ وثبت في عدة أخبار انه صلى الله عليه وسلم كان في صغره يعرف بالامانة والصدق وجميل الاخلاق وقد قال هرقل في حديث أبي سفيان ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الجواب الصحيح قال نطفوه في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) هو مثل ضربه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مينة كانت بديته تأتيك بالخبر

وذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء وذكر من هذا القبيل طرفا صالحا والله التوفيق

### \*(فصل)\*

في ذكر فضيلة نبينا وأولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿وأفضل العالم من غير امترا نينا المبعوث في أم القرى﴾

﴿وأفضل العالم﴾ العلوي والسفلي من ملك وبشروجن في الدنيا والآخرة في سائر خلال الخير وخصال الكمال ونعوت المكارم والجمال ﴿من غير امترا﴾ أي من غير شك ولا ريب قال في القاموس العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك

﴿نبينا﴾ خبر المبتدا الذي هو أفضل العالم محمد ﴿المبعوث﴾ رسولا لكافة الناس بل للثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذلك ﴿في أم القرى﴾ مكة المشرفة وبكة المعظمة قال تعالى ﴿لتنذرأم القرى﴾ يعني مكة قال الحافظ الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن (في تسميتها بذلك أربعة أقوال) أحدها لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن قتيبة لانها أقدمها (الثاني) لانها قبله يومها جميع الناس (الثالث) لانها أعظم اقرى شأننا (الرابع) لان فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بان بلد الملك وبيته هو المتقدم على الاماكن سمي أمًا لأن الأم متقدمة وانما كان أفضل خلق الله تعالى لأن الله تعالى أيدته بأبهر المعجزات وأظهر الدلالات وأشهر المكرمات فمعجزاته أشهر المعجزات وأبهرها وأتمته أزكى الامم وأطهرها وشريعته أتم الشرائع وأشهرها وصفاته أكمل الصفات وأشرفها وأخلاقه أحسن الاخلاق وأعرفها وأوسعها وشيمه أعلا الشيم وأنعمها

ومن أعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان الله سبحانه وتعالى اقسم بحياته وفي شرعه انما تنعقد الايمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك قال الامام الحافظ بن الجوزي في الوفاء اقسم الحق عز وجل بحياته وانما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب قال تعالى ﴿لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وأخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما خلق الله وما ذرأ نفسه هي أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت أقسم بحياء أحد غيره فقال (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى وأعظم من قوله تعالى لموسى (واصطنعتك لنفسي) قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وبيان ذلك انه جعل اللام في قوله واصطنعتك لنفسي التي هي للملك أو الاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) المعنى اقسم بك لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلانك فيه ثم قال ابن عقيل: يا موسى اخلع نعليك

ولا تجيء الا ماشيا، يا محمدا ركب البراق ولا تجيء الا راكبا: وأخرج الطبراني وصححه وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا «أتاني جبريل فقال يقول لك ربك أندري كيف رفعت لك ذكرك قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكركت معي» وأخرجه الشافعي وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من طريق مجاهد قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر قال ولوان عبدا عبدا لله وصدقه في كل شيء ولم يشهدان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاب صلاة ولا أذان الا ينادي أشهد أن لا إله الا الله وأشهدان محمدا رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أغر عليه للنسوة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد  
 وضم الآله اسم النبي الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن أشهد  
 وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزايه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه تعالى دعاهم بأسمائهم (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة - واذ كر في الكتاب ادريس - يا نوح اهبط بسلام منا- يا ابراهيم اعرض عن هذا- يا موسى اني اصطفيتك- يا داود انا جعلناك خليفة- يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي-- يا زكريا انا نبشرك - يا يحيى خذ الكتاب) ودعانا بمحمد صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والتفخيم فقال (يا أيها النبي- يا أيها الرسول) ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل- محمدا رسول الله والذين معه- وآمنوا بما نزل على محمد- ما كان محمدا ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) ولما ذكر الخليل وسيدنا رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يجادلون أممهم عن أنفسهم كقول قوم نوح (انا لنراك في ضلالة) فقال دافعا عن نفسه (ليس بي ضلالة- وقال قوم هود انا لنراك في سفاهة فقال ليس بي سفاهة- وقال فرعون اني لا ظنك يا موسى مسحورا- فقال موسى- اني لا ظنك يا فرعون مشهورا اني مصر وفا



عن الحق مطبوعا على قلبك واما نبينا صلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا هذا شاعر قال قال تعالى (وما علمناه الشعر) ولما قالوا كاهن قال تعالى (وما هو بقول كاهن) وقالوا ضل فقال (ما ضل صاحبكم وما غوى) وقالوا بمجنون فقال (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) حتى قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال الواحدي أعلمهم الله فضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البرية في المحاطبة وأمرهم ان يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعون بعضهم بعضا بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله في لبن وتواضع وخفض وذكر ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الآيه قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبية فقالوا يا نبي الله يا رسول الله وحكى عن الحسن نحوه رواه أبو نعيم وهذا بخلاف الامم السالفة فانهم كانوا يخاطبون انبياءهم بأسمائهم وفضائله ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فهو أفضل خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أناسيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» وفي الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيئهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أسوا، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» قال ابن الانباري أراد لا أنبجح بهذه الاوصاف لكن أقولها شكرا ومنبها على انعام ربي علي وفي حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما سمعه الا ان يتبعني» فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وقال لا تخبروني على موسى وقال لا تفاضلوا بين الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى فالجواب انه صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قال ذلك قبل ان يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والآخرين فلما أعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك أخبر به واما انه قال ذلك تواضعا وتأدبا واحتراما لخلق

ابراهيم عليه السلام واما انه أراد بيرية عصر ابراهيم أو ان النهي انما هو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول أو يؤدي الى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب ورود تلك الاحاديث أو لان النهي عن التفضيل في النبوة نفسها وذلك قد لا يتصور فيها بل في خصائصها وتوابعها والحق انه ورد النص بتفضيل بعض الرسل على بعض فقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والحاصل انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الانبياء والرسل مع مراعاته لعلوم مراتبهم الباذخة وجلالة مناصبهم الشامخة ثم أعلمه الله تعالى بأنه سيد الاولين والاخرين وأفضل جميع الانبياء والمرسلين وأمر بتبليغ ذلك فبلغه كما أمر لان اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جازم مع مجانية التفضيل المؤدي الى تنقيص المفضول ومراعاة علو تلك المراتب التي لا تدرك كنه حقائقها أكثر العقول فالنبي المصطفى أفضل الخلق جميعا بلا خفاء صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿وبعده الافضل أهل العزم فالرسل ثم الانبياء بالجزم﴾

﴿وبعده﴾ أي بعد النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الافضل﴾ من سائر الخلق

﴿أهل العزم﴾ أي أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور ابراهيم الخليل

وموسى الكليم وعيسى الروح النجى فيكونون خمسة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وهم المذكورون في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم

وموسى وعيسى بن مريم) فانهم أصحاب الشرائع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له

وتكريما لشأنه وهو لاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها وصبروا

على تحمل المشاق من قومهم ومعاداة الطاغين فيها وقيل انما كانوا هم أولي العزم

لصبرهم على البلاء من الله تعالى فنوح صبر على أذى قومه فانهم كانوا يضر بوجه

حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده وقد قيل كل الرسل من أولي

العزم فمن لتبيينه لالتبعض وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى

(فصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ذوو الحرم وقال الضحاك ذوو الجدد والصبر

قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم

ورأي وكلام عقل وإنما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البرز وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس عليه السلام لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل لابي صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت) وقال قوم أولوا العزم نبياء الرسل المذكورن في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكركم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقادة نوح وابراهيم الخ وهو المشهور كما قدمنا آتفا وأخرج البغوي في تفسيره وأبو الشيخ ابن حبان عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهاها والصبر على محبوبها فلم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) واني والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله»

وقد اختلف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم والمشهور واختاره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري انه ابراهيم خليل الرحمن لما ورد ان ابراهيم عليه السلام خير البرية خص منه محمد صلى الله عليه وسلم باجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الانبياء والمرسلين قال الحافظ ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام قال بعض العلماء لعزل تقديم موسى عليه السلام لانه كلمة الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله وقال بعض المحققين الواجب اعتقاده أفضلية الافضل على طبق ما ورد الحكم به تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه الذي جعله سببا لافضليته قلنا به والا أمسكنا عنه لان التفضيل راجع لاختيار الباري سبحانه وتعالى لالعله موجبة وجدت في الفاضل وفقدت من المفضول والله تعالى ان يفضل من عبيده من يشاء بما يشاء على من يشاء منهم وان كان كل واحد منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير ان يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحقوقه وبيئته وسيادته ولا شك أن المفاضل

لا يجب ان يفضل بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضل لا يجب ان يجعل مفضولا لسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته وأن الله تعالى لا يجب ان يفاضل أحد بين احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين أن الصواب ما أشير اليه من الوقوف على المنقول بالنص القرآني والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه تفصيلا واجالا وبالله التوفيق ثم بعد أولي العزم ﴿ ف ﴾ الواجب اعتقاده ان يليهم في الافضية سائر ﴿ الرسل ﴾ المكرمين بالرسالة فهم أفضل من الانبياء عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للزم ابن عبد السلام في قوله أن نبوة النبي أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ هي الايجاه بما يتعلق بالباري جل شأنه من غير ارتباط له بالخلق أما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم ﴿ ثم ﴾ الافضل بعد الرسل الكرام ﴿ الانبياء ﴾ عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون في الفضيلة فبعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح واجالا فيما علم منهم وعلم حكمه اجالا ولهذا قال ﴿ بالجزم ﴾ السديد والقطع المفيد للحكم المذكور من غير شك ولا ترديد حسبا تقدم على النهج السديد الا قوم وعلم بما ذكر ولا سيما من قوله بالجزم رذعهم من زعم ان الولي قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامية بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة قالوا لانها تنبي عن القرب والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام قالوا الا ان الولي لا يبلغ درجة النبي بخلاف العكس لان نبوة النبي لا تكون بدون الولاية وقد شنع شيخ الاسلام ابن تيمية على من يزعم ذلك في محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى وقال في جواب المسائل الاسكندرية بعد ما ذكر شنيع مقالهم وزيف ترهاتهم ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي  
ويقولون ان ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ثم قديدي عي أحدهم  
أن ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسول  
من حيث ولايتهم هي ٧ أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم وإنما يستفيدون العلم بالله  
الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في أصل ذلك  
ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول يأخذ بواسطة ولهذا جعلوا  
ما يلقي في نفوسهم ويحملونه من باب المخاطبات الالهية والمكاشفات الربانية أعظم  
من تكليم موسى بن عمران عليه السلام قال وهي في الحقيقة ابحاث شيطانية ووساوس  
نفسانية (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) ولو هدوا لملوا أن أفضل ما عند الولي  
ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه وأن أفضل الاولياء الصديقهون وأفضلهم  
أبو بكر رضي الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت في  
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «قد كان قبلكم في الامم محدثون فان  
يكن في امتي أحد فعمره» وفي الترمذي «لولم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر» وقال «ان  
الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» ومع هذا فالصديق الذي تاتي من مشكاة  
النبوة مطلقا أفضل لان مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع  
له الصواب والخطأ ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة وقال أبو مجلز في  
قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان يسأل منازل  
الانبياء ثم تكلم على زعمهم ما زعموا في خاتم الاولياء وأن هذه كلمة لاحقيقة لفضلها  
ومزيتها وإنما تكلم أبو عبد الله الحكيم الترمذي بشيء من ذلك غلطا  
لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخره ومن بقي يكون وليس  
ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول  
صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما كما يأتي اذا الاولياء يستفيدون  
من الانبياء كما يأتي فأقربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله تعالى  
أرسله بالرسالة لم يحمله على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر في وجوب  
كونه أفضل من أفسد القياس وقال شيخ الاسلام روح الله روحه في مكان آخر

في التنكيت على من جعل ختم الاولياء افضل من الرسل والانبياء . وزعم هؤلاء  
 أن الرسل جمعهم ولا نبياء يستفيدون علم المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذي جعلوه  
 خاتم الاولياء . وجعلوه افضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به . وأنه يأخذ  
 عن الاصل من حيث أخذ الملك الذي يوحى الى خاتم الرسل . فان خاتم الرسل انما هو  
 سيد في الشفاعة فسيادته في هذا المقام الخاص لا على العموم . قال هؤلاء . وليس هذا العلم  
 الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء . وما يراه أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة  
 الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل  
 لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء . فان الرسالة والنبوة أعني نبوة اتشمع  
 ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فلرسولون من كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه  
 يعني من الحقيقة والعلم بالله . ومعرفة الامن مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم  
 من الاولياء . وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع  
 فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهب اليه هؤلاء في ما يزعمون . قلوا فانه  
 من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أعلا . وذكروا شيخا لاسلام عنهم من مثل  
 هذه الترهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وناقشهم عليها مناقشة تامة ولا يخفى  
 على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابه فالاولياء . وان  
 دخل بعضهم في بعض في الجملة والله تعالى الموفق

### فصل في

﴿ فيما يجب للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ﴾  
 قد تقدم في أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكورة والحرية  
 والقوة على اعباء . ما حملوه ونحو ذلك وذكرهنا ما يجب اعتقاده في حقهم

﴿ وان كل واحد منهم سلم من كل ما نقص ومن كفر عصم ﴾

﴿ كذلك من افك ومن خيانه لوصفهم بالصدق والامانة ﴾

﴿ وان هوان يعرف كل مسلم ﴾ (أن كل واحد منهم) أي من الانبياء الكرام والرسل

العظام ﴿سالم﴾ وتنزه ﴿من كل ما﴾ زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه ونزهوا عنه ﴿نقص﴾ يؤدى الى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الازراء والحسة كسرقة لقمة وتطيف بحجة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدى الى الازراء والدناءة لان الله تعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك وائس في شيء من فعل ما يزري ما يوجب حب الله ولا حسن اناسى والاقداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب ﴿و﴾ ان كل واحد منهم ﴿من كفر﴾ بجميع أنواعه ﴿عصم﴾ قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي ولاعتصام الامتسك بالشيء افعال منه ومنه شعر أبي طالب \* ثمال اليتامى عصمة للارامل \* أي يمنعهم من الضياع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الداس متفقون على ان الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته هذا فيه قولان قال واما ثور عن السلف يوافق القول بذلك قال واما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللاساس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومتنازعون في العصمة من الكبار والصغار أو من بعضها أو هل العصمة انما هو في الاقرار عليها لاني فعلها وقيل لا يجب القول في العصمة الا بالتبليغ فقط قال وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا قال والذي عليه الجمهور الموافق للآثار اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم يحصل منه تغير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما كان أولا وكذلك التأسى بهم انما هو فيما أقروا عليه بدليل النسخ ونحوه انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المتدئين وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليس ٧ معصومين في غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغائر في الاشهر لكن لا يقرون على ذلك وقال ابن عقيل في الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا في الافعال بل في نفس الاداء قال ولا يجوز عليهم الكذب في الاقوال

فبما يوثقه عن الله تعالى انتهى وقال الحافظ زين الدين العراقي النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجوز ذلك ولا يقول من قل من الروافض بجوازها تقيّة وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا فنهى الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني والقاضي عياض واختاره نقي الدين السبكي قال وهو الذي ندين الله به وأجازه كثير من المتكلمين قال القاضي عياض أجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات قال وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من موافقة المكروه قصدا انتهى وقال العلامة السعد التفتازاني وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في ان امتناعه بدليل السمع أو العقل واما سهوا فجزوا الا كثرون قال واما الصغيرة فيجزوا عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي وأتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطيف بحجة لكن المحتمتين شرطوا ان ينهوا عنه فينتهوا منه هذا كله بعد الوحي قال واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لانها توجب انفرة المانعة من اتباعهم فنفت مصالحة البهثة قال السعد والحق منع ما يوجب انفرة كهبر الامهات والفجور والصفار الدالة على الخسة ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة منهم قبل الوحي وبعده لكنهم جزوا اظهار الكفر تقيّة انتهى

## ﴿ تذييل ﴾

لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلما مؤمنا كما قال ابن عقيل وغيره قال في نهاية المتدئين قال ابن عقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين سوى الاسلام ولا كان على دين قومه قط بل ولد نبينا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله وعلمه من حاله انتهى وقال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف وقد استدلل الامام أحمد رضي الله عنه بحديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أني



عند الله في أم الكتاب لحاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمجدل في طينته» رواه الامام أحمد وروى معناه من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه أخر مرسله وخرج الحاكم أيضا حديث العرابض وقال صحيح الاسناد على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على التوحيد منذ نشأ ورد بذلك على من زعم غير ذلك قال الحافظ بل يستدل بذلك على أنه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فان نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق حيث استخرج من صلب آدم فكان نبيا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متأخرة عن ذلك وذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه كمن بولي ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه متأخرا الى حين مجيء الوقت قال الحافظ قال حنبل قلت لابي عبد الله يعني الامام أحمد رضي الله عنه من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل ان يبعث قال هذا قول سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة ان يحذر كلامه ولا يجالس قلت ان جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة قال قاتله الله وأي شيء أبقى اذا زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم يعبدون الاصنام قل الله تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ثم قال الامام أحمد رضي الله عنه ماذا يحدث الناس من الكلام هؤلاء اصحاب الكلام من أحب الكلام لم يفلح سبحانه الله لهذا القول واحتج الامام أحمد برويا أمه النور عند ولادته حتى أضاءت له قصور الشام قال وايس ذلك عند ما ولدت رأيت ذلك وقيل وقبل ان يبعث كان طاهرا مطهرا من الاوثان ثم قال الامام أحمد احذروا الكلام فان اصحاب الكلام لا يؤل أمرهم الى خير خرجة أبو بكر عبد العزيز في كتاب السنة قال الحافظ ابن رجب ومراد الامام أحمد بالاستدلال ٧ بتقديم البشارة بنبوته من الانبياء من قبل خروجه الى الدنيا وولادته وهذا هو الذي يدل عليه حديث العرابض انتهى كلام الحافظ ابن رجب ملخصا وقد صرح فيه بنص الامام ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد على الاسلام والله أعلم

﴿كذلك﴾ كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم ﴿من أفك﴾ أي من كذب قال في النهاية الافك في الاصل الكذب قال في التماموس افك كضرب وعلم افكا بالكسر والفتح أفوكا كاذب كافك فهو افك وأفبك وأفوك وفي حديث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يأفكه أفكا اذا صرفه عن الشيء والحاصل ان انبياء الله ورسوله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ﴿و﴾ معصومون ﴿من خيانة﴾ ولو قلت ﴿ا﴾ وجوب ﴿وصفهم﴾ عليهم الصلاة والسلام ﴿بالصدق﴾ الذي هو ضد الكذب ﴿و﴾ وجوب وصفهم بـ ﴿الامانة﴾ التي هي ضد الخيانة والظن لا يجتمعان فالصدق واجب في حتمهم عقلا وشرعا وهو مطابقة اخبارهم للواقع ايجابا وسلبا اذ لو حاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المعترلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم يكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد أجمعت الامة على ان ما كان طريقه الابلاغ فالانبياء والرسل معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومه وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذ حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى ﴿ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره وفي قصة هرقل مع أبي سفيان كفي الصحيح عند سواد هرقل عظيم الروم بأسفيان عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال هل كنتم تتهمونه بالكذب أي على الناس

قال لا وان كان يدعي فينا بالامين فقال لقد علمت انه لم يكن يدعي الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيشعر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى (انا عرضنا الامانة) أي الفرائض المفروضة والنية التي يعقدها فيما يظهره باللسان من الايمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لان الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الامانة كما في القيام وس وقول في النهاية الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان والمراد بها في حق رسل الله تعالى وانبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بنهي عنه ولونهي كراهة عند بعض العلماء أي كونهم لا يتصور ان يكونوا الا كذلك اذ لوجاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه على قول لجاز ان يكون ذلك المهني عنه من حيث انه منهي منه ما ورأيه لان الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كمنكاح ازيد من أربع فتختص بهم دون أممهم وفي الآية الكريمة (بأيتها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا فان كتمان ما أنزله الله تعالى اليه يناقض موجب الرسالة كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة قال ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما أنزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به

(تتمة) ذكر أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا ان يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز على طريق المذكرة والعلامة ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيفه وتعظيمه

وبراقب حال بيانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه عليه السلام من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيط على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه الضررة له لو أمكنته واذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يفتيح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة وتجنب لفظه الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الاماثل وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح لفظه وشناعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الامور والنواهي وموافقة بعض الصفات فهو أدب وأولى من قوله هل يجوز ان يهصي أو ان يذنب أو ان يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واعظام قدره وامامه يرده على جهة النفي والتنزيه عنه فلا حرج في شرح العبارة وتصريحها كقوله لا يجوز عليا عليه السلام الكذب جملة ولا اتيان الكبار بوجهه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتمظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا ومثله في ذلك جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد فهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما عصموا منه صلوات الله وسلامه عليهم وأشار الي الجائز في هتهم بقوله

وجائز في حق كل الرسل النوم والنكاح مثل الاكل

﴿وجائز﴾ عقلا وشرعا ﴿في حق كل﴾ الانبياء و﴿الرسول﴾ عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم فان ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن نه بما ذكره لا يوضح قدم الجائز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم ﴿النوم﴾

وهو رحمة من الله تعالى على عباده لتسريح أبدانهم عند تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع لمعرفة الاشياء لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان أبدا مستيقظا متهيئا لادراك ما يلقي اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الجلوس والمشى والبكاء والضحك وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم ﴿ والنكاح ﴾ والتسري وجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات أو مطلقا على المعتمد ونحو ذلك ﴿ مثل الاكل ﴾ والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه النفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر مما لا يقبضه فيه فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتألم ويتشكى وكان يصيبه الحر والقر والجوع والعطش والغضب والضحج والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الاتصاف به نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى أعلم

## فصل في

﴿ في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴾

اعلم انه لما كان أفضل خلق الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم بقية اولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء أفضل البشر الصحابة رضي الله عنهم ويأتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم وبين الملائكة أعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح اصحابنا ومن واقعهم وبدأ بأفضلهم الامام علي التحميق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الاعظم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال

(٢ ش عقيدة السفاريني - ٣٨)

## ﴿وليس في الامة بالتحقيق في الفضل والمعروف كالصديق﴾

﴿وليس في الامة﴾ أي أمة الاسلام وهم أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال فيها للعهد الذهني وتقدم انها أفضل الامم فيكون الصديق أفضل البشر بعد سائر الانبياء ﴿بالتحقيق﴾ اثبات المنصوص والتدقيق البات المنصوص ﴿في الفضل﴾ بجميع أنواع الفضائل ﴿و﴾ بذل ﴿المعروف﴾ من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ﴿كا﴾ بي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه با ﴿الصديق﴾ قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه عتيقا لحمال وجهه وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق فهو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأم الصديق أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم أبيه ماتت هي وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فان الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه يوم الفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ونوفي بعد موت أبي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول الناس ايمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من أهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال أبو بكر رضي الله عنه ألت أول من أسلم ألت صاحب كذا ألت صاحب كذا الحديث وقيل بل أول من آمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستنكر هذا منه وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وأن الخلاف انما هو في من بعدها وصوبه كثير واستظهره البرماوي وغيره وقيل أولهم بلال بن حمامة وقيل خباب بن الارت حكاهما المسمودي وقيل خالد بن سعيد بن العاصي ونقل الماوردي في اعلام النبوة عن ابن قتيبة أن أول من آمن به أبو بكر بن أسعد الحميري ونقل ابن سبع في الخصائص عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال كنت أولهم اسلاما وبروي عن أبي حنيفة الامام

رضي الله عنه أنه قال الاورع ان يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العميد بلال وهذا من أحسن ما قيل لجمعه الاقوال . وأسلم على يد الصديق عثمان بن عفان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب وهو أول من جمع القرآن وقام تخرجا من الشبهات وأول من سمى القرآن مصحفا وأول من سمى خليفة وأخرج الامام أحمد عن ابن أبي مليكة قال قيل لابن بكر يا خليفة الله فقال أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا راض به وأول من ولي الخلافة وأبوه حي وأول خليفة مات وأبوه حي وأول من اتخذ بيت المال ومناقبه رضي الله عنه لأنحصى ومزاياه وما أثره لاستقصى وهو أفضل الصحابة وخيرهم باجماع أهل السنة فقد أجمع أهل السنة والجماعة على ان أفضل الصحابة والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي الصحابة هكذا اجماع أهل الحق فأبو بكر الصديق أفضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك الا زانغ وقد أخرج الامام أحمد وغيره عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الحافظ الذهبي هذا متواتر عن علي رضي الله عنه فلهن الله الراضة ما أجملهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية قد نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجها خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك لابن الحنفية كما في البخاري والرافضة تكذبه فهم مع علي كالتصاري مع المسيح واليهود مع موسى عليهما السلام وأخرج الحاكم عن النزال بن ميسرة قال قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر فقال ذلك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي له ديننا فرضينا له ديننا استاده جيد وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي دحي قال لأحصي كم سمعت عليا يقول على المنبر إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقا وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال سمعت عليا يحلف بالله لا نزل الله اسم أبي بكر من السماء

الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) هو أبو بكر فأخرج البزار وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها إن الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي انتهى وقيل أنه إنما سمي صديقا لأنه أول من صدق بناء على أنه أول من آمن ولهذا قال أبو محجن الثقفي فيه

وسميت صديقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليسا في العريش المشهر

وأول ما اشتهر أبو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الأسراء فقد أخرج الحاكم في المستدرک عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنهما قالت: جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك قالوا نعم وقال لقد صدق أبي لاصدقه بابعده من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ولذلك سمي أبو بكر الصديق: أسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة عند ابن عساكر ومن حديث أم هانئ: أخرجه الطبراني وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا أبو معشر عن ابن وهب مولى أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بندي طوى قال يا جبريل إن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرجه الطبراني في الأوسط موصولا عن ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما أي الناس كان أول إسلاما قال أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان

إذ اند كرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أبقاها وأعد لها بعد النبي وأوقاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت علي أفضل أم أبو بكر وعمر قال فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال



ما كنت أظن اني أبقى الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت  
 فأبو بكر كان أول اسلاما أم علي قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه  
 وسلم زمن بحيرا الراهب حين أمر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى نكحها  
 اياه وذلك كله قبل ان يولد علي . واخرج ابن اسحق عن ميسرة ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع من يناديه يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق  
 هاربا فأسر ذلك الى أبي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن أبي  
 الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم تاركون لي  
 صاحبني اني قلت يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو  
 بكر صدقت »

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وأئمتهم صحب أبو بكر  
 رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى ان توفي لم يفارقه  
 سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج أو غزوة  
 وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى ( ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول  
 لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ) وانفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو  
 أجود الصحابة قال تعالى ( وسبجنها الاتقى الذي يوتي ماله ) الى آخر السورة قال  
 الحافظ ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه  
 وأخرج الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر الصديق » فبكى أبو بكر وقال  
 هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله  
 عنها مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير رويناها أيضا من حديث علي وابن عباس  
 وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم وأخرج الخطيب  
 عن سعيد بن المسيب مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي  
 في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وقد أخرج ابن عساکر من طرق عن  
 عائشة وعروة بن الزبير ان أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون

ألف دينار فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا الا رجل من المسلمين وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم قال عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية أنس وابن عباس رضي الله عنهما وأخرج ابن سعد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صعّد الجيلا

وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وقد أجمع المسلمون أن المراد بقوله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) أن الصحابي المذكور هو أبو بكر وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام» وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء بن عازب وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبي واقد الليثي وأبي العلاء وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم فهو من الاحاديث المتواترة وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر «أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار» وأخرج عبد الله بن الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبو بكر صاحبي ومونسني في الغار» وأخرج ابن عساکر من طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن أبيه قال كانت حلقة رسول

الله صلى الله عليه وسلم تشبك حتى نصير كالسوار وأن مجلس أبي بكر منها لفاغر ما يطعم فيه أحد من الناس فاذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى إليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي» وأخرج مثله من حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر» والأحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد أشرنا بقطرة من بحر لحي وبذرة من رمل عاجل وقد أفردت مناقبه بالتصنيف فدع المخادع والمعالج وبالله التوفيق

قال الامام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو من ذريته كان أبو بكر رضي الله عنه أبيض نحيفاً خفيف العارضين احنالا يستمسك ازاره يسترخي عن حقوقه معروف الوجه غائر العينين ناتي الجبهة عاري الاشاجع وله من الولد عبدالله وأسما وأمهما قتيلة وعبد الرحمن وعائشة وامهما أم رومان ومحمد وأمه أسما بنت عميس وأم كلثوم وأمها حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها لعائشة انما هو اخواك واختاك وتوفي الصديق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر الا عشر ليال وقيل وثلاثة أشهر وتسع ليال وغسلته زوجته أسما بنت عميس بوصية منه رضي الله عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين حديثاً منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثاً المتفق عليه منها ستة وانفرد البخاري بأحد عشر ومسلم بحديث وسبب قلته وروايته رضي الله عنه أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماها وقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة بيعة الصديق أنه لم يترك شيئاً أنزل في الانصار الا ذكره ولا شيئاً ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وابن عمرو بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس وأبو سعيد الخدري وعتبة بن عامر الجهني

وعمران بن حصين وأبو برزة الاسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة وأسماء رضي الله عنهم ومن التابعين خلائق ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم بارد فخم خمسة عشر يوماً ومات وقيل سبب موته غير ذلك

﴿وبعده الفاروق من غير اقترا﴾ وبعده عثمان فاترك المراء

﴿وبعده﴾ أي بعد أبي بكر الصديق الاعظم أي يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﴿الفاروق﴾ سماه بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم لان الله فرق به بين الحق والباطل فهو عمر بن الخطاب بن فضيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحتية فحاء مهملة بن عبد الله بن قرط بضم القاف وسكون الراء فطاء مهملة ابن رزاح بفتح الراء والزاي فحاء مهملة بعد الألف بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المسدوي وأمه حنتمة بفتح الحاء المهملة فنون ساكنة فحاء مشناة فوقية مفتوحة فيم فحاء تأنيث بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقال ابن الاثير بنت هاشم قال ويعرف هاشم بندي الرحمين قال وقال الامير ابن ماكولا ومن قال بنت هشام فقد أخطأ كذا قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب انها بنت هشام وهي أخت أبي جهل عمرو بن هشام فأبو جهل خال عمر رضي الله عنه كنيته أبو حفص كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال بني هاشم فانهم انما خرجوا مكروهين فقال أبو حذيفة والله لئن لقيت العباس لالجمته السيف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ﴿يا أبا حفص يضرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف﴾ فقال والله انه لا اول يوم كتاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص رواه ابن الجوزي وغيره والحفص في اللغة ولد الاسد وسبب تلقيبه بالفاروق ما رواه الحافظ ابن الجوزي في سيرة العبرين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سميت بالفاروق فذكر حديث اسلامه وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سألت عمر لأني شيء سميت

الفاروق قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام وسبب اسلام حمزة ان أبا جهل أسرع الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ويؤذيه فاخبر حمزة بذلك فأخذ قوسه وعمد المسجد الى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكبي على قوسه مقابل أبي جهل فنظر اليه ففرغ أبو جهل الشر في وجهه فقال مالك يا أبا عمارة فرفع القوس وضربه به فشجه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مختم في دار الارقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم قال عمر رضي الله عنه وخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان المخزومي فقلت أرغبت أنت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً قلت ومن؟ قال أختك وختنك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ماذا فمال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختي فضربته وأدميته فقامت الي أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك وقد أدميت رأسها فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت (لا يمسه الا المطهرون) فقممت واغتسلت فاخرجوا لي صحيفة فاذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) قلت اسما طيبة طاهرة وفيها (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - الى قوله تعالى - له الاسماء الحسنى) فعضمت في صدري وقلت من هذا نفرت قريش فاسلمت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند أبي يعلى والحاكم والبيهقي قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقبه رجل من بني زهرة فقال الى أين تعمد يا عمر فقال أريد ان أقفل محمداً قال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً قال ما أراك الا وقد صبوت قال أفلا أدلك على العجب ان ختنك واختك قد صبوا وتركوا دينك فمضى عمر فاتاها وعندها خباب فلما سمع بحس عمر توأرى في البيت فدخل عمر فقال ما هذه الهينمة وكانوا يقرءون طه قالوا ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال فلعلكم قد صبوتها فقال له ختنه يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبي وكان الحق في غير دينك اني أشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فقال عمر اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرأه وكان يقرأ الكتاب فقالت أخته انك رجس

وانه لا يمسه الا المطهرون فقم واغتسل أو توضأ أو توضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه) حتى انتهى الى (انتي أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج وقال أبشر يا عمر فاني أرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هيناً قال والنبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال اما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الحزبي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله وفي حديث البزار والطبراني وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل عن أسلم نحوه وفيه فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة فجئت خالي أبا جهل بن هشام وكان شرباً ففقرت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقد صبت قال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني وفي حديث ابن عباس عند أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر فقلت يا رسول الله أسنا على الحق قال بلى قلت فقيم الاختفاء فخرجنا صفيين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة رضي الله عنها من سمي عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انصف القوم اليوم منا وأنزل الله تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال مازلنا أعزة منذ أسلم عمر وأخرج ابن سعد عنه أيضاً قال كان اسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت امامته رحمة ولقد

رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر قاتلهم حتى تركوا سيبلنا وقال حذيفة لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعداً وكان اسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلاً أو أربعين أو خمسة وأربعين واحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه

وقد وردت الاحاديث الكثيرة والاخبار الشهيرة بفضائله في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما ليك الشيطان سالكا فجاً الا سلك فجاً غير فجك» وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد كان في من كان قبلكم من الامم محدثون فان يكن في أمي أحد فانه عمر» أي ملهون وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد كان يكون في الامم محدثون فان يكن في أمي أحد فعمر بن الخطاب» ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال ابن عيينة محدثون أي مفهمون وقال ابن وهب تفسير محدثون ملهون وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الانزل القرآن على نحو ما قال عمر وأخرج الترمذي أيضاً عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان بعدي نبي لكان عمر» وأخرج من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اني لا نظر الى شياطين الجن والانس فروا من عمر» وفي الصحيحين والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بيننا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم قصص فمنها ما يبلغ الشدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله - قال الدين» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا » فبكى عمر رضي الله عنه وقال عليك أغار يارسول الله وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا لشاب من قريش فظننت اني أنا هو قالوا عمر بن الخطاب » وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما على وجه الارض أحد أحب الي من عمر أخرجه ابن عساکر وقيل لابي بكر ماذا تقول لربك وقد وليت عمر قال أقول له وليت عليهم خيرهم أخرجه ابن سعد وقال علي رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فخي هلا بعمر ما كنا نعدان السكينة لانزل الا على لسان عمر أخرجه الطبراني في الاوسط وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان علم عمر وضع في كفة ووضع علم أحياء الارض في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة أعشار العلم أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم وقال حذيفة رضي الله عنه والله ما أعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم الا عمر وعلى كل حال فأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد الصديق الاعظم أفضل هذه الامة ﴿ من غير افتراء ﴾ أي من غير كذب يقال فري يفري فريا وافتري يفترى افتراء أي كذب فهو افتعال منه وفي الآية الكرمة (ولا يأتين بهتان يفترينه) وفي الحديث « من أفرى الفري ان يري الرجل عينه مالم يريا » فالفري جمع فرية وهي الكذبة وافرى افعل منه للتفضيل وتقدم الكلام على ذلك في الكلام على الحوض عند قوله « عنه يذا المقتري كما ورد » ولما كان الحكم بأفضلية أبي بكر ثم عمر الفاروق رضي الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله من غير افتراء اشارة لرد قول الخطابية الزاعمين بأن عمر رضي الله عنه أفضل الخلفاء وهذا الزعم بالنسبة للصديق زور وافتراء وكذب وضلال من زاعمه نعم بالنسبة الى من بعد الصديق حق لامرية فيه وكذلك فيه اشارة الى رد قول الراوندية في زعمهم ان أفضل الصحابة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والرد على الشيعة في زعمهم ان أفضلهم علي رضي الله عنه كما يأتي الكلام عليه قريبا وقد أخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة رضي



الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أبو بكر وعمر خير الاولين والآخرين  
 وخير أهل السموات وخير أهل الارض الا النبيين والمرسلين » وأخرج الترمذي  
 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن نبي  
 الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل  
 السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر » وأخرج  
 الامام أحمد والترمذي عن علي رضي الله عنه وابن ماجه عنه أيضا وعن ابن أبي  
 جحيفة رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن أنس والطبراني  
 في الاوسط عن جابر وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا  
 النبيين والمرسلين » يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الباب عن ابن عباس وابن  
 عمر رضي الله عنهم وهاجر عمر رضي الله عنه الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه  
 وأخذ بيده أسهما وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فظاف سبعا ثم صلى ركعتين  
 عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد ان تشكله  
 أمه وبيتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد وشدة  
 عمر وشجاعته لا تخفى حتى انه وصف في التوراة بأنه قرن من حديد شهد المشاهد  
 كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق  
 ربه في عدة أحكام مأثورة وموافقات في الآيات القرآنية محبوبة

ولي الخلافة بعده من خليفة رسول الله الصديق الاكبر أبي بكر رضي الله عنه يوم  
 توفي وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فقام بالامر  
 ثم قيام وكثرت الفتوحات في أيامه ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق بين الصلح  
 والعنوة وحمص وبعليك صلحا وأيلة عنوة وفيها جمع الناس على صلاة الترابيح وفي  
 الخامسة عشرة فتحت الاردن عنوة الأطرية فانها فتحت صلحا وفيها كانت وقعة  
 اليرموك والقادسية وفيها حاصر عمرو مصر وسعد الكوفة وفيها فرض عمر الفروض  
 ودون الدواوين واعطى العطايا وفي السادسة عشرة فتحت الاهواز والمدائن وأقام  
 بها سعد الجمعة في ابوان كسرى وهي أول جمعة جمعت بالعراق وفيها كانت وقعة

جلولا وهرمز ويزدجرد بن كسرى وتقهقر الى الراي وفيها فتحت تكريت وفيها سار بنفسه رضي الله عنه ففتح بيت المقدس صلحا وخطب بالجاية خطبته المشهورة وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب وانطاكية ومنيح صلحا وفيها كتب التاريخ في ربيع الاول من الهجرة بمشورة علي رضي الله عنه وفي السابعة عشرة زاد عمر رضي الله عنه في المسجد النبوي وفيها كان الفتح بالحجاز فسمي عام الرمادة واستسقى عمر بالعباس فأخذ عمر رضي الله عنه بيد العباس رضي الله عنه ثم رفعها فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ان تذهب عنا الخلق وان تسقينا الغيث فلم يبرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء عليهم أياما وفي الثامنة عشرة فتحت جندا ساير صلحا وحلوان عنوة وفيها وقع طاعون عمواس وفيها فتحت الرها وشمياط وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة وكذا الموصل ونواحيها وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل صلحا واسكندرية عنوة والمغرب كله عنوة وفيها فتحت تسر وفيها هلك قيصر ملك الروم وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي القرى وفي سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وفي سنة اثنتين وعشرين فتحت كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان ونواحيها وفي آخرها كانت وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك بعد رجوعه من الحج قال ابن المسيب لما نفر عمر من منى أناخ بالابطح ثم استلقى ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا وكان قال له كعب الاحباراني أجسك في الكتاب الاول تقتل شهيدا فقال وأنى لي بالشهادة في جزيرة العرب ثم قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد نبيك وكان قد قال في خطبته رأيت كأن ديكا تقرني نقرة أو تقرتين وأني لأراه حضور اجلي وان قوما يأمروني ان استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال الزهري كان عمر

رضي الله عنه لا يأذن لكافر قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن  
شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول  
ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس وانه حداد ونقاش ونجار فاذن له ان يرسله  
الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الى عمر يشتكي شدة  
الحراج فقال له ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضي الله عنه ألم  
أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال  
لا ضمن لك رحي يتحدث الناس بها فلما ولي قال لاصحابه أوعدني العبد وهو أبو  
لوثة ثم انه الخبيث اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في  
زاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر هو قبط الناس  
للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات كما أخرجه الحاكم وطعن معه اثني عشر  
رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه  
قال أبو رافع كان أبو لوثة عبدا للمغيرة يصنع الارحاء وحمل عمر رضي الله عنه  
الى أهله وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالناس  
أقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج  
ثانيا فقالوا لا بأس عليك فقال إن يكن في القتل بأس فقد قتلت فجعل الناس  
يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت اني خرجت منها كغافا  
لاعلي ولا لي وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي فأنى عليه ابن  
عباس فقال لو أن لي طلاع الارض ذهب لا فتديت به من هول المطلع وقد جعلتها  
شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأجلهم ثلاثة أيام وقال  
بشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شيء فإن أصابت الامرة سعدا  
فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وأمر صهيبا  
أن يصلي بالناس قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان أبو لوثة مجوسيا وكان  
اسمه فيروز وقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل منيبي بيد رجل لا يدعي  
الاسلام وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين  
ودفن يوم الاحد وصح ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه ثم قال

عمر رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ثلاثين الفا أو نحوها فقال ان وفي مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل في نبي عدي فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش واذهب الى ام المؤمنين عائشة وقل يستأذن عمر أن يدفن عند صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت أريده تعني المكان لنفسني والله لا وترنه اليوم على نفسي فأنى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى ثم قال رضي الله عنه أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار وأوصيه بالامصار خيرا فلما توفي رضي الله عنه صلى عليه صهيب في المسجد وخرج الناس يمشون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقالت عائشة رضي الله عنها ادخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه رضي الله عن أبي بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم . روي لا مبر المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا أخرج له في الصحيحين منها احد وثمانون انفا على ستة وعشرين وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين

## ﴿ تنبيه ﴾

اعلم ان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه مرتبة لازمة لحقيقة خلافة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وقد قام الاجماع واشارات الكتاب والسنة على حقيقة خلافة ما ثبت للاصل الذي هو الصديق من حقيقة الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في حقيقة خلافة وقد علم أهل العلم علما باتا ضروريا ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدح في ذلك من غير مزية فقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «مارأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء» وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم ان يستخلف أبو بكر فهذا صح عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم فحكى الاجماع عن الصحابة على خلافة أبي بكر ولذلك كان هو أحق بها عند جميع أهل السنة والجماعة

في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق الامة على انه أحق بهما من جميع الصحابة روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ان أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسونوه الا خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما بما بلغ التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايعة واعتذر اليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقا في الشورى حتى ان سيدنا عليا رضي الله عنه بايع أبا بكر على المنبر لازالة شبهة التخلف وفرح الناس بذلك والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة

ومن أعظم فضائل الصديق وأتم فرائده على التحقيق وأكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه أمير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام وقمع أهل الكفر وعبدة الاصنام فان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ثقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما سألتني عن أمر أنت اعلم به مني فقال أبو بكر وان كان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من وراءك ورأيك فيه أتم رأي فدعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به وقال لعلي كذلك فقال علمك في ذلك فقال للصديق علمي به ان سر يرنه خير من علانيته وانه ليس فينا مثله وشاور معهما زيدا وأسيده بن حضير وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال اللهم علمه الخير ثم دعا عثمان فكتب عهد له عمر ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت اعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرا وأقوامهم عليهم وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من

أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيديك وأصلح ولايته واجعله من خلافتك الراشدين وأصلح له رعيته وقد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة أبو بكر استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزير حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه وأخرج ابن عساکر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس أي قد عهدت عهداً أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي رضي الله عنه فقال لا أرضى إلا أن يكون عمر قال أنه عمر رضي الله عنهم أجمعين

﴿وبعد﴾ أي بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي يليه في الأفضلية أمير المؤمنين أبو عمرو وأبو عبد الله ذو النورين ﴿عثمان﴾ بن عفان بن أبي العاص واسمه الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي قال ابن الأثير يقال كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اكنى به وأمه أروى وأما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أروى أم عثمان كرز بضم الكاف وفتح الراء فزاي مصغر كرز وكرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديماً على يد الصديق الأعظم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر المهاجرين إلى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ماتت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر العظمى ولم يشهد عثمان رضي الله عنه بدرأً لتخلفه بأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمرض رقية رضي الله عنها فنجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ولما ماتت رقية زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده أيضاً سنة تسع من الهجرة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بندي النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن وصر

ان الصديق جمعه أيضا وانما تميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع وكان رضي الله عنه ذاجال مفرط روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع وأبو امامة وأبو قتادة وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وخلائق من التابعين وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان رضي الله عنه الا انه كان رجلا يهاب الحديث وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان اعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر رضي الله عنهم وأخرج ابن عساکر ان عثمان رضي الله عنه كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض مشرب بحمرة بوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس ثغرا جمته أسفل من أذنيه بخضب بالصفرة وكان قد شد اسنانه بالذهب وقال بعضهم رأيت عثمان فما رأيت قط ذكرا ولا انثى أحسن وجها منه وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان قال لها «ان بعلك أشبه الناس بمجدك ابراهيم وأبيك محمد» صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عدي أيضا وابن عساکر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا لنشبه عثمان بأبينا ابراهيم» وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال «ألا استحيي من رجل نستحيي منه الملائكة» وأخرج البخاري ان عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال أنشدكم الله ولا أنشد الا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم أستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال وبأيع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه يساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من يمين نفسه وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان قال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان احيا أمتي وأكرمها وأخرج عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا ان أشد هذه الامة بعد نبيا حيا عثمان بن عفان وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان عثمان لاول من هاجر بأهله الى الله بدملوط» وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان الله - وفي لفظ - لعل الله مقمصك - وفي لفظ - يتمصك قيصا فان أرادوك (على) خلعه فلا تخلعه حتى يخلعه وفي لفظ - فلا تخلعه حتى تلقاني وأخرج الترمذي عن أبي سهلة قال سمعت عثمان رضي الله عنه يقول يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عد اليّ عهدا فانا ممثّل له وصابر عليه ان شاء الله فصرحتي قتل رضي الله عنه شهيدا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان» وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي الاشعث الصنعاني ان خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقت وذكر الفتن تقربها ومر رجل مقنع سيفه ثوب فقال «هذا يومئذ على الهدى» فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فاقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مظلوم وانه يومئذ على الهدى واما ذكر خلافه رضي الله عنه فتقدم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعلها شوري بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبسد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد



جعلت أمري الى علي وقال سعد قد جعلت أمري الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان فقال عبد الرحمن بن عوف أنا لأأريدها نأيكما يبرأ من هذا الامر ونجمه اليه والله عليه والاسلام لينظراً فضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجملوه الي والله علي ان الوكم ٧ عن افضلكم قالوا نعم فخلا بعلي وقال له لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمت الله عليك لئن أمرت لك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن وانظيمن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل ان يتخلى عنها أحد قد خلا بعثمان فقال له فان لم نبايعك فمن تشير علي قال علي وقال لعلي ان لم نبايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا الزبير فقال ان لم نبايعك فمن تشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سعدا فقال له من تشير علي فأما أنا وأنت فلا تريدان فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن اعيان المهاجرين والانصار فرأى هوى أكرهم عثمان فبايعوه جميعاً فثبتت بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها ولهذا قال **﴿فأترك المرأ﴾** أي الجدال والشك قال في القاموس المرأة بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومرأ وامترى فيه وتمارى شك وفي الحديث «لا تماروا في القرآن فان مرأيه كفر» المرأ والجدال والتمازي والمارة المجادلة على مذهب الشك والريية كما في نهاية ابن الاثير وتقدم فان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقبم الحد بين يديه كما أخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه وخلافة عثمان فرع عن خلافة عمر النبي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين واستشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في داره سنة خمسة وثلاثين في أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى اليه ودفن في حش كوكب بالقيع وهو أول من دفن به والماش بالحاء المهملة والشين المعجمة البستان وضم الحاء أجود من كسرها وكوكب رجل من الانصار وولي الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومدة حصاره في داره الى ان قتل سبعة وأربعون يوما وقيل شهران وعشرون

يوما واستشهد وهو يومئذ صائم وهذا يؤيد كون قتله بعد أيام التشريق أو قبلها  
فقد قيل كان قتله ثمان عشرة خلت من ذي الحجة أو سبع عشرة وفيل ثمان  
خلون منه يوم التروية وقبل لليلتين بقيتا منه وقدم في جامع الاصول وفي الزهر  
البسام انه قتل في ثمانية عشر من ذي الحجة واختلف في من باشر قتله فقال  
كثير انه لا يعرف قاتله وقيل الاسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم  
من مصر أيضا وقيل سودان بن حمدان وقيل رومان الباني وقيل سواد بن رومان  
وقيل رومان بن سرحان رجل أزرق قصير وقيل قتله رجل من أهل مصر يقال  
له حمار أزرق أشقر وقيل قتله اثنان وقيل غير ذلك وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون  
سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل تسعون ويروى انه كان المصحف بين يديه يقرأ فيه  
فوقعت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)  
وأخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ما سمعت من مراتي عثمان أحسن من قول  
كعب بن مالك رضي الله عنه

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بغافل  
وقال لاهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل  
فكيف رأيت الله صب عليهم ال مداوة والبغضاء بعد التواصل  
وكيف رأيت الخبر أدبر بعده عن الناس ادبار الريح الجوافل

وأخرج الامام أحمد عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه انه دخل على عثمان رضي  
الله عنه وهو محتضر فقال انك امام العامة وقد نزل بك ما ترى واني اعرض عليك  
خصالا ثلاثا اختر احدها ان تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وانت على  
الحق وهم على الباطل واما ان تحرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتهد على  
رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وانت بها واما ان تلحق بالشام فان أهل  
الشام فيهم معاوية فقال عثمان رضي الله عنه فاما أن أخرج فاقاتل فلن أكون أول من  
خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء واما ان أخرج الى مكة  
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلحد رجل من قريش بمكة يكون  
عليه نصف عذاب العالم» فلن أكون انا واما ان ألحق بالشام فلن أفارق دار

هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور التميمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا اني لرابع أربعة في الاسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني الأخرى و اتغنيت وما تمتعت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا تكون عندي فاعتقها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زينت في جاهلية ولا اسلام ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويضم الى هذه العشرة تجهيزه جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فأنشدها في حجره صلى الله عليه وسلم «ماضر عثمان ماعل بعد اليوم» مرتين رواه الترمذي وقال حديث حسن ويضم اليها أيضا ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن جزي القشيري قال شهدت يوم الدارحين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اثنوني بصاحبكم الذين ألبأ على نبيي بهما فقال أنشدكم بالله والاسلام زاد رزين ولا أنشد الا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب الا بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويجعل دلوها فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من ماء الملح قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيد بها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنا اليوم أمنع ان أصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فتحرك الجبل حتى نساقت حجارتها بالحضيض فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيد قالوا اللهم نعم فقال الله أكبر شهدوا لي بالجنة

ورب الكعبة ثلاثا وفي رواية شهدوا لي ورب الكعبة ابي شهيد ثلاثا وفيه يقول  
حسان بن ثابت رضي الله عنه

من سره الموت صرفا لامزاج له      فليات مادونه في دار عثمانا  
ضحوا باسمط عنوان السجود به      يقطم الليل تسيحا وقرآنا  
ايسمعن وشيكا في ديارهم      الله أكبر ياثارات عثمانا  
وعلى كل حال قتل عثمان رضي الله عنه ظلما بلا محال وهو واحد العشرة  
المشهود لهم بالحننة واحد السابقين الاولين الى الاسلام واحد الخلفاء الراشدين  
واحد المهاجرين المقربين وأحد أختان سيد الاولين والآخرين ومناقبه كثيرة  
وما آثرة غزيرة واياديه شهيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع أصحاب رسول  
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم روي لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وأربعون حديثا منها في الصحيحين  
سنة عشر اتفاقا على ثلاثة وانفرد البخاري بثمانية وسلم بخمسة

﴿وبعد فالفضل حقيقا فاسمع      نظامي هذا للبعين الانزع﴾

﴿مجدل الابطال ماضي العزم      مفرج الاوجال وافي الحزم﴾

﴿وافي الندى مبدي الهدى مردي العدا

مجلي الصدى ياويل من فيه اعتدى﴾

﴿وبعد﴾ بيناتها على الضم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه أي وبعد عثمان بن  
عفان رضي الله عنه على القول الرجيع والمذهب الصحيح ﴿فالفضل﴾ الشامخ والقرب  
الراسخ والمجد الباذخ من سائر الامة وانفاق الائمة ﴿حقيقا﴾ أي في حقيقة الامر من  
غير شك ولا نكر ﴿فاسمع﴾ فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر لتقافية مني  
﴿نظامي﴾ أي منظومي ﴿هذا﴾ الذي ادرجت فيه عقيدة السلف الصالح وضمنته  
ما يقتضيه كل محقق فالج ثابت ذلك الفضل ومستقر ﴿ال﴾ لامام الهمام أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب ﴿البطين الانزع﴾ قال ابن الاثير في نهايته وفي وصفة علي

رضي الله عنه البطين الانزع أي العظيم البطن وفي حديث علي أيضا رضي الله عنه: أبيت مبطانا وحولي بطون غزئي؛ المبطان الكثير الاكل والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطينا ان باطنه عظيم لتضامه من العلوم والمعارف والمراد بالانزع المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه قال في النهاية كان الامام علي رضي الله عنه أنزع الشعر له بطن وقيل معناه الانزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان ﴿مجدل الابطال﴾ قال في القاموس جسدله فأنجدل وتجدل صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطلقا أو ذات رمل دقيق وتقدم حديث «أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وان آدم لمنجدل في طينته» أي ملقى على الجدالة وهي الارض وفي حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وقف على طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعزز عليّ أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء أي مرصيا ملقى على الارض قتيلا والابطال جمع بطل بفتح الموحدة والطاء المهملة وكشاداد بن البطالة أو البطولة الرجل الشجاع سمي بذلك لأنه يبطل جراحته فلا يكثر بها أو يبطل عنده دما الاقران كما في القاموس ولا شك ان عليا رضي الله عنه قتل من الابطال عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمرو بن عبدود يوم الخندق ومرحبا من ابطال خيبر وغيرهم وقوله ﴿ماضي العزم﴾ اشارة الى شدة قوته ووفور شدته والماضي من مضى في الامر مضاء ومضوا نفذ ومضى السبب أي قطع والمضو كالعلو التقدم والعزم الجد والصبر ومنه قوله تعالى ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقوله ﴿مفرج﴾ أي كاشف ﴿الاوجال﴾ يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والاوجال جمع وجل بفتح الواو والجم الخوف ورجل وجل كفرح ياجل ويجل ويوجل وييجل بكسر أوله وجلا وموجلا كمقعد ويجمع أيضا على وجلين والمرأة وجلة اشارة الى ما كان عليه من كشف الغموم وتفريج المهموم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله « فبات الناس يدوكون أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال ابن علي بن أبي طالب فقيل يشتكي عينيه قال فإرسلا اليه فأتني به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية الحديث وقوله ﴿ وافي الحزم ﴾ إشارة الى وفور عقله وغزارة فطنته وفضله والحزم ضبط الرجل أمره والحذر من فواته مأخوذ من قولهم حزمت الشيء إذا شدته وفي الحديث «مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لب الرجل الحازم من احدنا كن» يعني النساء أي اذهب لعقل الرجل المحترز في الامور المستظهر فيها وفي حديث آخرانه صلى الله عليه وسلم سئل ما الحزم فقال «نستشير أهل الرأي ثم تطيعهم» وفي القاموس الحزم ضبط الامر والأخذ فيه بالثقة كالحزامة والحزومة يقال حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجمع حزمة وحزماء وفي قوله ﴿ وافي ﴾ أي كثير ﴿ الندى ﴾ أي السخاء والكرم يقال فلان يندى على أصحابه أي يسخر كافي النهاية وفي القاموس تندی سخرى وأفضل كأندى فهو ندى الكف والنداء التراء والشحم والمطر والبلل وشيء يتطيب به كالبخور وفي محل آخر أندى كثير عطاياه انتهى إشارة الى غزارة كرمه وجزالة عطاياه وحرمه ﴿ مبدي ﴾ أي مظهر ﴿ الهدى ﴾ أعني العلوم الغامضة والفهوم الرائضة والهدى بضم الهاء وفتح الدال المهملة الرشاد والدلالة ﴿ مردي العدى ﴾ اسم فاعل من أرداه إذا أهلكه وكسره وأوقع أعداه في الردى والتلف والهلاك ﴿ مجلي ﴾ أي مزيل ومفرق وكاشف ﴿ الصدى ﴾ أي العطش والظما والمراد به كاشف الكرب ومجلي النوب ﴿ ياويل ﴾ هذه يراد بها الدعاء بالحزن والهلاك والمشقة ومعنى النداء فيها أي يا حزن ويا هلاك ويا عذاب احضر فهذا وقتك وأوانك ﴿ من ﴾ أي انسان مكلف من ذكر وأنثى ﴿ فيه ﴾ أي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿ اعتدى ﴾ بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشائخة ودرجته الباذخة وهضم من حقوقه الظاهرة وفضائله الطاهرة أو غلا فيه غلوا خارجا عن طوره ونسب اليه ما ليس له من نحو الوهية كغلاة أهل الرفض أونبوة أوأفضليته

علي من هو نفسه اعترف بأنه أفضل منه وقد أخرج البزار عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس به» ألا وأنه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنائني على ان يبهتني ورواه أبو يعلى والحاكم أيضاً وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي «أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضر بك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى يبيل منه هذه» يعني لحيته - وقد ورد ذلك أيضاً من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم رضي الله عنهم وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحدا منهم وقد وثق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوماً من أشقى الاولين قال الذي عقر الناقة يا رسول الله قال صدقت قال فمن أشقى الآخرين قال لا أعلم لي يا رسول الله قال الذي يضر بك على هذه وأشار صلى الله عليه وسلم الى يافوخه فكان علي رضي الله عنه يقول لاهل العراق يعني عند ضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحيته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضاً ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لعلي لا تقدم العراق فاني أخشى ان يصيبك بها ذباب السيف فقال علي وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود الدؤلي فما رأيت كالיום محارب يخبر بذنا عن نفسه

اذا علمت هذا فاعلم ان أمير المؤمنين علي الانزع البطين ابن أبي طالب واسمه عبد مناف وقيل اسمه كنيته ابن عبد المطلب واسمه شيبه الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتيبة قال ابن عبد البر ولا يصح وكنيته أبو الحارث والحارث أكبر اولاده ويكنى أيضاً أبا البطحاء واما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب أردفه حين أتى به من المدينة صغيرا فكان يقال له من هذا فيقول عبدي وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الخ النسب الشريف فعلي رضي الله تعالى عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا في الاسلام وقد أسلمت وهاجرت وأمير

المؤمنين علي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بالمواخاة وصهره علي سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأحد السابقين إلى الإسلام  
وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء  
المعروفين وأحد الخلفاء الراشدين وأحد من جمع القرآن المبين وأول خليفة من  
بني هاشم وأب السبطين السعديين أسلم علي رضي الله عنه قديما قال ابن عباس  
وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم  
انه أول من أسلم حتى نقل بعضهم الاجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة أخبار وتقدم في ذكر  
الصديق ما يجمع الاقوال على التحقيق ويدل لهذا ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما  
بلغه افتخار معاوية فقال لعلامه اكتب اليه ثم أملى عليه رضي الله عنه قوله

محمد النبي أخي وصهري	وحمة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	منوط لهما بدمي ولحمي (١)
وسبطا أحمد ابنائي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا	غلاما ما بلغت أوان حلمي

قال الامام الحافظ البيهقي ان هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي  
رضي الله عنه حفظه لتعلم مفاخره في الاسلام انتهى

واعلم ان مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيرة  
وما أثره غزيرة وفضائله شهيرة حتى قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه ما جاء  
لاحد من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله عليه وكذا قال اسماعيل القاضي  
والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الحسان  
أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه قال بعض العلماء وسبب ذلك والله أعلم ان الله  
تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع من  
الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقضى ذلك نصح الامة بأشهاره تلك الفضائل

(١) قوله منوط لهما بدمي ولحمي (١)

في ولديهما اه مصححه



لنحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من  
 سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للامة أيضا ثم لما اشتد الخطب واشتعلت طائفة  
 من بني أمية بتنقيصه وسبه حتى على المناير ووافقهم على ذلك الخوارج اشتعلت جهابذة  
 العلماء والحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق  
 وقد أخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله ابن الامام أحمد رضي الله عنهما قال  
 سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداءه وشيئا فلم  
 يجدوا نجوا إلى رجل قد حاربه وقتله ناصروه كيادا منهم له رضي الله عنه وقال شيخ  
 الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الكل مقر بأن معاوية ليس كفوا العلي رضي الله  
 عنهما في الخلافة ولا يجوز ان يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابقته  
 وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عندهم ظاهرة معروفة كفضل اخوانه  
 أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يكن بقي من أهل الشورى غيره وغير سعد لكن  
 سعدا كان قد ترك هذا الامر وكان الامر قد انحصر في علي وفي عثمان رضي الله  
 عنهما فلما توفي عثمان لم يبق لها معين الا علي رضي الله عنه وانما وقع ما وقع من الشر  
 بسبب قتل عثمان رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام ومعاوية لم يدع الخلافة ولم  
 يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضي الله عنه على انه خليفة ولا انه  
 يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يسدوا عليا بقتال بل لما رأى علي ان لهؤلاء  
 شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب وهم رأوا  
 ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتله في عسكر علي رضي الله عنه وهم  
 غالبون لهم شوكة وعلي رضي الله عنه لم يمكنه دفعهم لما لم يمكنه الدفع عن عثمان  
 فرأوا من الآراء الفاسدة ان نبايع خليفة يقدر على ان ينصفنا ويبدل لنا الانصاف  
 وكان في جهال الفرقيين من يظن بالامامين علي وعثمان رضي الله عنهما ظنونا كاذبة  
 منهم من يزعم ان عليا رضي الله عنه أمر بقتل عثمان رضي الله عنه وكان علي رضي  
 الله عنه يخلف وهو البار الصادق بلا يمين انه لم يقتله ولا رضي بقتله ولم يمالى على  
 قتله قال شيخ الاسلام وهذا معلوم بلا ريب من علي رضوان الله عليه فكان  
 اناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فحبهو يقصدون الطعن على

عثمان وانه كان يستحق القتل وان عليا أمر بقتله ومبغضوه يقصدون الطعن على علي رضي الله عنه وأنه أعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذي صبر نفسه ولم يدفع عنها ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه فكيف في طلب طاعته وأمثال هذه الامور التي تنسب الى المشنعين العثمانية والعلوية وكل من الطائفتين مقر بأن معاوية ليس بكفو لعلي رضي الله عنه ولي الخلافة ووقعت له المبايعة بها الغد من قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة فانه لما قتل عثمان جاء الناس يهرعون اليه فقالوا له نبايعك فمد يده فلا بد للناس من أمير فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مسديك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع فدعا محمد فساله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقامت عنه وأنا نائب الى الله سبحانه وتعالى والله ما قتله ولا أمسكته فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلها وذلك ان محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما دخل كما ذكر فأخذ بلحية عثمان فقال له عثمان رضي الله عنه والله لوراك أبوك لساء مكانك مني فتراخت يده ودخل عليه الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وخرجوا هارين من حيث دخلوا وخرجت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وضرب علي الحسن وصدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وكان أرسلهم يذبحون عن عثمان وقال لابنيه كيف قتل وأنا على الباب وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله فهرع الناس اليه فبايعوه جميعا وزعم بعض الناس ان طلحة والزبير انما بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وأم المؤمنين عائشة بها فأخذها وخرجها الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا

فخرج الى العراق فلقى طلحة والزبير ومن معهما وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى  
الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا  
وأقام علي رضي الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج  
عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين  
ودام القتال بها أياما فرفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من  
عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرع فينظروا في أمر  
الامة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وبلغت القتلى  
ثلاثين ألفا قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر  
وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل بل قتل في ثلاثة أيام وهي الايام البيض  
ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين ذكره  
الثقة العدل أبو اسحق ومن تلك الليالي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم الى بعض  
والهرير الصوت يشبه النباح لانهم تراموا بالنبل حتى فويت ونطاعنوا بالرمح حتى  
اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضت حتى نزل القوم يمشي بعضهم الى بعض  
وقد كسروا أجنان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع  
الاغمغم القوم والمديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فتحاثوا  
بالتراب ثم تكادموا بالافواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت  
الاولوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات لان القتال كان من بعد صلاة  
الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين كما  
في تاريخ الامام أحمد رضي الله عنه وغيره وكان عدة أهل الشام الذين مع معاوية  
مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا وكان أهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه  
عشرين أو ثلاثين ومائة ألف ذكر ذلك الزبير من بكار واستشهد في صفين أبو  
اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان مع علي رضوان الله عليه وكان عمار  
يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله الطيب المطيب فقد روى  
الترمذي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال جاء عمار بن ياسر  
يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال «انذنوا له مرحبا بالطيب المطيب» قال

الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار «تقتلك فئة باغية» وأخرجه مسلم أيضا من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار «تقتلك الفئة الباغية» وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار «أبشر تقتلك الفئة الباغية» واستسقى يوم صفين فأني بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل فلم يثن حتى قتل أخرج الترمذي المسند منه وقال حسن صحيح والباقي ذكره رزين وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل ينفذ التراب عن عمار وهم يبنون المسجد النبوي ويقول «ويح عمار يدعومهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال وجعل عمار يقول أعوذ بالله من الفتن وفي رواية «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعومهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» ولم يذكر البخاري هذه الزيادة يعني تقتله الفئة الباغية وهذه الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخاري كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ومن رضي بقتل عمار رضي الله عنه كان حكمه حكما أي حكم الفئة الباغية التي قتلته ويروى ان معاوية تأول أن الذي قتله هو الذي جاء به إلى منون مقاتله فما قتله الا الذي أخرجه فألزمه علي رضي الله عنه بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال المشركين ولا يخفى ان حجة معاوية هذه أو هي من بيت العنكبوت ومن ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ولا ريب ان قول علي رضي الله عنه هذا هو الصواب انتهى ولا يرتاب ذوو الالباب ان الحق والصواب مع أمير المؤمنين أبي السبطين وزوج سيدة نساء العالمين على ابن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين

واما معاوية رضي الله عنه فهو مجتهد مخطئ وليس له يومئذ في الخلافة حق ومن ثم قال له أبو مسلم الخولاني أنت تنازع عليا في الخلافة وأنت مثله قال لا واني لاعلم

انه أفضل ولكن ألسن تعلمون ان عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه أطلب  
بدمه فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب معاوية أهل الشام فأرسل  
الى علي أبا مسلم يطلب بدم عثمان وأنه وليه وابن عمه فقال أمير المؤمنين علي  
يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم عندي فاحكم بما أنزل الله  
فأبى معاوية حتى جرى ماجرى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان أهل الشام  
يسمون قتل عمار فتح الفتوح وفي قتله يقول الحجاج بن غزية الانصاري

قال النبي له تقتلك شرذمة سيطت لحومهم بالبغي فجار  
فاليوم يعلم أهل الشام أنهم أصحاب ذاك ومنهم شبت النار  
وقال ابن عبدون في عمار رضي الله عنه

ومارعت لابي اليقظان صحبته ولم تزوده الا الضيغ في العمر

قال في النهاية الضياح والضيغ بالفتح اللبن الخائر يصب فيه الماء ثم يخلط وهو بفتح  
الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهملة وفي القاموس اللبن الرقيق المعزج وكذا  
الضيح بفتح الضاد المعجمة ولما رفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها قال  
علي رضي الله عنه نعم نحن أحق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين  
صاروا بعد ذلك خوارج خوانا يا أمير المؤمنين ما تنظر الى هؤلاء الأعمشي عليهم  
بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم قال  
الامر الى أن كتبوا بينهم كتابا ان يوافقوا رأس الحول بأذرح كما تقدم فخرجت  
عن طاعة أمير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقالوا كفر علي وكفر معاوية فاعتزلوا  
عليا رضي الله عنه ونزلوا حرورا وهم بضعة عشر ألفا فأرسل علي اليهم ابن عباس  
رضي الله عنهم فناشدهم الله ارجعوا الى خليفتم فبم نقيم عليه أفي قسمة أو  
قضاء قالوا نخاف ان ندخل في الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة العام  
القابل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال آخرون نكون ناحية فان قبل القضية يعني  
التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين وان نقضها قاتلنا معه فساروا  
حتى قطعوا النهر وافتقت منهم فرقة يقتلون الناس فقال أصحابهم ما على هذا  
فارقنا عليا فلما بلغ أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه صنفهم وكان متعجزا لقتال أهل

الشام بعد التحكيم فان الناس اجتمعوا باذرح في شعبان من سنة ثمان وثلاثين وحضر في هذه القضية سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة رضي الله عنهم فقدم عمرو بن العاص ابا موسى الاشعري مكيدة منه فنكلم فانفق على خلع الاثني علي ومعاوية ويصير الامر شورى فمن رضىه أهل بدر من المهاجرين والانصار فهو الخليفة فتقدم أبو موسى فقال قد خلعت عليا فقام عمرو فقال إن ابا موسى قد خلع عليا واني نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمرا ويقول انك غدرت فرجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وصار علي على خلاف من أصحابه حتى صار رضي الله عنه بعض على أصبعه ويقول أعصي ويطاع معاوية وربما قال ويطاع ابن آكلة الابدان اشارة الى أكل هند بنت عتبة أم معاوية من كبد حمزة رضي الله عنه يوم أحد فلما تجهز علي رضي الله عنه لقتال أهل الشام شغله أمر الخوارج وما ارتكبوه من المفاسد فقال لاصحابه أنسيرون الى عدوكم أو ترجعون الى هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم فقالوا بل نرجع اليهم فقال رضي الله عنه اسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا في القتلى رجلا صفته كذا وكذا وذكر من نعمته ان له ثديا كثدي المرأة فطلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكره أمير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن في اصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين الى الحق» رواه مسلم في صحيحه فقتلهم علي رضي الله عنه وفرح علي بقتال الخوارج بخلاف وقعة الجمل وغيرها فانه كان يظهر منه الحزن والكتابة والاسف ومن بقايا الخوارج القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية والملاحدة واضرابهم

( غريبة عجيبة ) ذكر الجلال السيوطي في لفظ المرجان قال ذكر في كتاب نزهة المذاكرة من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حضرت مع علي بن أبي طالب رضي الله

عنه قتل الحرورية بالنهراون فالتمس علي ذا الثدية فلم يجدوه فقال اطلبوه فوجدوه  
بعد ذلك فقال علي رضي الله عنه من يعرف هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه  
هذا قوص وأمه هينا فأرسل علي الى أمه فقال لها من أبو هذا قالت ما أدري  
الا اني كنت أرعى غنما لاهلي في الجاهلية بالمدينة فغشني شيء كريمة الظلة فخلت  
منه فولدت هذا انتهى تعني ان أباه من الجن وهذا غريب جدا والله أعلم

﴿ تذييه ﴾

علم مما تقدم ان أحق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة أعني أبا بكر وعمر  
وعثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم باتفاق أهل الحل والعقد كطلحة والزبير  
وأبي موسى الأشعري وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان ومحمد  
بن مسلمة وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال بعض  
محققي علمائنا قد انفق على بيعة علي رضي الله عنه عمار ومن حضر المدينة من  
البدرين والانصار كاجتماع أهل السقيفة على بيعته أبي بكر رضي الله عنه قال  
الحسن البصري رضي الله عنه والله ما كانت بيعة علي رضي الله عنه الا كبيعة أبي  
بكر وعمر رضي الله عنهم وقال أبو عبد الله بن بطة من علمائنا كانت بيعة علي رضي الله  
عنه (بيعة) اجتمع ورحة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته  
ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو  
قدره ولقد أباهما فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه وقال سيدنا الامام أحمد رضي  
الله عنه ان عليا رضوان الله عليه لم تزنه الخلافة ولكن علي زانها وروى الشعبي  
قال دخل اعرابي على علي رضي الله عنه حين أفضت اليه الخلافة فقال والله يا أمير  
المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج اليك  
منك اليها قال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى قد أحسن الاعرابي وصدق في ما قال  
فان عليا ومن تقدمه من الخلفاء رضي الله عنهم زينوا الخلافة وجعلوا أمة محمد صلى الله  
عليه وسلم وآتموا الدين وأظهروه وأسسوا الاسلام وأشهروه وأنشد الامام الحافظ  
أبو الفرج ابن الجوزي في تبصرته في حق علي رضي الله عنه

مازانه الملك اذ حواه بل كل شيء به يران جرى فقات الملوك سبقا

فليس قدماه غيان نالت يده ذرى معال يعجز عن مثلها العيان  
وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين انعقد على بيعة علي رضي الله عنه  
الاجماع ووجه انعقاده ما انحصر الامر فيه وفي عثمان زمن الشورى على انما له  
أو لعثمان وهذا اجماع على علي رضي الله عنه لولا عثمان فلما توفي عثمان رضي الله عنه  
بقيت اهل اجماعا ومن ثم قال بعض محققي علماء الكلام لا اكثر اثبات بقول من قال  
لا اجماع على امامة علي رضي الله عنه وقد تقدم في كلام شيخ الاسلام ما ينهم  
منه هذا المقام والله ولي الانعام

ولما قتل علي رضي الله عنه الخوارج بالنهران واستأصل جمهورهم ولم ينج  
منهم الى القليل انتدب من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والحجاج بن  
عبد الله الصريحي و يمسرف بالبرك و دادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم  
فاجمعوا رأيهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وان يكون قتلهم  
في ليلة واحدة وهي ليلة سبعة عشر من رمضان أو احدى عشر وقيل ليلة  
احدى وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتعاهدهم على ذلك بمكة المشرفة  
فضمن ابن ملجم قتل علي فقتل له وكيف لك بذلك قال اغتاله وضمن البرك  
قتل معاوية وضمن دادويه قتل عمرو بن العاص وزعموا ان هذه الثلاثة قد افسدوا  
امر هذه الأمة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقه كذا زعموا لعنهم الله تعالى  
فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريحي فقدم على معاوية بدمشق  
فضر به فخر آلته وهو في الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل منه فما أجبل النساء  
بعد تلك الضربة واما دادويه بن حذافة العنبري فقدم مصر لقتل عمرو بن  
العاص فاتفق انه تلك الليلة استخلف على صلاة الفجر خارجه بن حذافة بن  
غانم بن عبد الله بن عوف بن عتبة بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب  
القرشي العدوي شهيد فتح مصر وكان أمير بع المدد الذين أمدهم أمير المؤمنين عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر وكان على شرط مصر في  
أمره عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم قال في جامع الاصول  
كان خارجه بن حذافة هذا أحد فرسان قريش فيقال انه كان يعدل بألف



فارس قاله ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده بثلاثة آلاف فارس فأمدته بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم. فرأى الخارجي دأبوه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة بن حذافة فلما قتله الخارجي أخذ وأدخل على عمرو فقال الخارجي من هذا الذي أدخلتموني عليه قالوا عمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة فقال: أردت عمرا وأراد الله خارجة: فذهبت مثلاً والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي في قصيدته الرائية التي رثى بها بني الأفضس ملوك بطليوس بقوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

واما أشقى الآخريين عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة ولقي بها من اخوانه الخوارج فسارهم بما أراد فاشترى سيفاً فبما زعموا بألف وسقاه السم حتى لفظه وكان في خلال ذلك يأتي علياً رضي الله عنه فيسأله فوقع عينه على قطام بنت عاتمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأي الخوارج وكانت جميلة رائعة في الجمال فأعجبه فخطبها فقالت آليت ان لا أتزوج لآلى مهر لا أر يدسوا فقال ما هو فقات ثلاثة آلاف وعبد وجارية وقتل علي بن أبي طالب فقال والله ما آيت الا لفتك به ولا أقدمني هذا المصر غير ذلك ولكن لما رأيتك أردت تزويجك فقالت ليس الا الذي قلت لك فقال وما يغنيني منك اذا أنا قتلت علياً اعلم اني لم أفلت فقالت ان قتله ونجوت فهو الذي أردت تبلغ شفاء نفسك ويهنيك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا فقال لمالك ما اشترطت ثم قال لعنه الله تعالى

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم

فلا مهر أغلامن علي وان غلا ولا فتك الادون فتك ابن ملجم

فقات له ورأى من يشد ظهره فبعثت الى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن شجرة الأشجعي فقال يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة فقال ما هو فقال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب فقال شكلك أمك لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر على ذلك قاله ان رجل لا حرس له

ويخرج الى المسجد منفردا فتمكن منه وقد كمن له في المسجد فنقله فان نجونا  
نجونا وان قلنا فقد سعدنا بالذكر في الدنيا والجنة في الآخرة فقال ويلك ان  
عليا ذوسابقة في الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم وماتنشرح نفسي لنتله قال  
ويلك انه حكم الرجال في دين الله وقتل اخواننا الصالحين فنقله ببعض من  
قتل فلا تشكن في دينك فأجابه وأقبل حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد  
الأعظم في قبة ضربتها لنفسها فدعت لها وأخذت سيفها وجلسا قبالة السدرة  
التي يخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخرج الى صلاة  
الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه وضربه عبدالرحمن على رأسه وقال الحكم لله يا علي  
لا لك ولا لأصحابك فقال علي رضي الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفر منكم الكلب  
وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملجم فأفرجوا له فتلناه المغيرة  
ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطاب فرمى عليه قطيفة كانت عنده واحتمله  
وضرب به الارض وقعد على صدره واما شبيب فانتزع السيف من يده رجل من  
حضر موت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليكم بصاحب السيف  
فخاف الحضرمي على نفسه فرمى بالسيف وانسل شبيب من بين الناس فأخذ ابن  
ملجم فدخل به على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال ان أعش فالامر لي  
وان أمت فالأمر لكم فالغفو أو القصاص واجتمع الاطباء عنده وكان أبصرهم  
بالطب أيبر بن عمرو السكري وكان من أطباء كسرى فأخذ رثة شاة حارة فتبع  
عرقا منها فأخرجه فأدخله في جراحة علي رضي الله عنه ثم نفخ العرق فاستخرجه  
فاذا عليه بياض دماغ واذا الضربة قد وصلت الى أم رأسه فقال يا أمير المؤمنين  
أعهد عهدك فأنت ميت وسمم ابن ملجم لعنه الله الرنة من الدار فقال له من  
حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال ابن ملجم  
فعلى من تبكي أم كلثوم أعلى تبكي اما والله لقد اشترت سبني بألف ومازات  
أعرضه فما يهيه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد  
ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم مات أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة الاحد تسع عشرة مضت من رمضان سنة

أربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وصلى عليه  
الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ثم أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط  
والبواري وقطعت يده ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير الحديد محما ثم قطع لسانه  
ثم أحرق في قوصرة وقيل انه قطعت أطرافه لعنه الله ولم يتأوه بل (كان) يتلو القرآن  
فلما أرادوا قطع لسانه امتنع من اخراجه فتمبوا في ذلك فقليل له قطعت يداك ورجلاك  
فما تمانعت فما هذا التمانع عند قطع لسانك قال لثلاثا يفوتني من تلاوة القرآن شي  
واناحي فشقوا شذقه وأخرجوا لسانه بكلاب فقطعوه وكان عمر أمير المؤمنين  
للمات ثلاثا وستين سنة كأبي بكر وعمر كهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله  
تعالى أعلم

ولما بلغ عائشة رضي الله عنها موت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي  
الله عنه قالت لتصنع العرب ماشاءت بعده فليس لها من ينهاها وكان عبد  
الرحمن بن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان من العباد  
المعدودين قبل خروجه حتى يقال ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان  
يوسع دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس الفقه والقرآن ثم كان من شيعة أمير  
المؤمنين علي رضي الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل بعد هذا ما فعل فنسأل الله  
حسن الخاتمة في عافية وعند الخوارج ان ابن ملجم أفضل الأمة وكذلك النصيرية  
يعظمونه قال أبو محمد بن حزم يقولون انه أفضل أهل الارض لانه خالص روح  
اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره وعند الروافض انه أشقى الخلق في الآخرة  
قلت ولا يخفى انه استحل قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بل عد قتله من  
أعظم القرب وهذا كفر بلا ريب حتى ان عمران بن حطان الخارجي قبحه الله تعالى  
قال يمدح ابن ملجم لعنه الله

ياضربة من تقي ما أراد بها      الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

اني لا ذكره يوما فاحسبه      أو في البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض أهل الحق بقوله

قل لابن ملجم والاقدار غالبه      هدمت ويملك للاسلام أركاننا

قلت أفضل من يمشي على قدم  
واعلم الناس بالإيمان ثم بما  
صهر النبي ومولاه وناصره  
وكان منه علي رغم الحسود له  
وكان في الحرب سيفاً ماضياً كرا  
ذكرت قتله والدمع منحدر  
اني لاحسبه ما كان من بشر  
أشقى مراد اذا عدت قبيلتها  
كهاقر الناقة الاولى التي جلبت  
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها  
فلا عفا الله عنه ما تحمله  
لقوله في شقي ظل مجتوما  
ياضربة من تقي ما أراد بها  
بل ضربة من غوي أورثته لظي  
كأنه لم يرد قصدا بضربته

وما أحسن ما قل عمارة اليميني في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم

أردت عليا وثمان بمخلبها ولم يفتها أبو بكر ولا عمر

ومن أراد التأمي في مصيبتيه فلأورى في رسول الله معتبر

واعلم ان مناقب علي رضوان الله تعالى عليه كثيرة وما أثره شهيرة ولقد قال  
فيه ابن عباس رضي الله عنهم كان لعلي ضرر س قاطع في العلم وكان له القدم في  
الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والتجدة في الحرب  
والجود في المال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس  
لها أبو حسن يعني عليا رضي الله عنه وأخرج الامام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن  
ابن الجوزي في تبصرته بسنده عن أبي صالح قال معاوية بن أبي سفيان  
لفرار بن ضمرة صف لي عليا قال أو تعفيني يا أمير المؤمنين قال بل تصفه لي

قال أو تعفني قال لا أعفك قال أما إذا بد فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فضلا وبحكم عدلا ينفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقرب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويتدثنا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعواناه ونحن والله مع تقربه لنا وقربه منا لأنكاهه هيبه ولا نبتدئه لعظمته كان إذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطعم القوي في باطله ولا يبأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابض على لحيته ينملل تملل السليم ويبكي بكاء الحزين فلما كاني اسمه وهو يقول يادنيا يادنيا أبي تعرضت أم لي تشرفت هيئات غري غيري قد بتك ثلاثا لارجعة لي فيك ولا مثوية فعمرك قصير وعيشك حزين وخطرك كبير وبرؤى أنه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ثم انشد رضي الله عنه

دنيا تخادعني كأني لست أعرف حالها مدت الي يمينها فرددتها وشمالها  
حظر الآله حرامها وأنا اجنبت حلالها وعلمتها خداعة فتركت جملتها لها  
آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكه وقد اخنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أنا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عاياه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها ولا تسكن حسرتها وأنشد الحافظ ابن الجوزي في النبصرة من نظم الامام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصف نفسه

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر  
وان برقت في محل الصواب عمياء لا يجنلها البصر  
مقنعة بغيوب الأمور وضعت عليها صحيح الفكر  
اساني كشقة الشقة الاريجي أو كلسان الحسام الذكر  
وفي الطيور يات قال قال رجل لعلي رضي الله عنه نسمةك تقول في الخطبة

اللهم أصلحنا بما أصاحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغروقت عيناه قال  
 هم آجباتي أبو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام رجلا قريش والمقتدى بهما  
 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي  
 الى الصراط المستقيم ومن عمسك بهما فهو في حرب الله

والامام علي أمير المؤمنين رضي الله عنه أول من وضع علم النحو قال أبو القاسم  
 الزجاجي في أماليه عن أبي الأسود الدؤلي قال دخلت على أمير المؤمنين فرأيتهم مفكرا  
 قلت فيم تفكر قال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت ان أضع كتابا في أصول العربية  
 فقلت ان فعلت هذا حبيتنا وبتيت فينا هذه اللغة ثم أتيت بعد ثلاث فألقى الي صحيفة  
 فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى  
 والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل: ثم قال واعلم  
 يا أبا الأسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر: ثم قال تتبعه  
 وانح نحوه وزد فيه: وهذا مشهور وما تحيط الدفاتر بالبحر الخضم والشيء الاعم  
 والسواد الاعظم فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة ماء من بحر لحي أو  
 كرملة واحدة من رمال فحي وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة  
 وسبعة وثلاثون حديثا منها في الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا منها على  
 عشرين وانفرد البخاري بتسعة وتسعين وخمسة عشر والله ولي التوفيق ثم قال في نظمه

﴿ نحبهم كحبهم حتما وحب ومن تعدى أو قلا فقد كذب ﴾

﴿ نحبهم ﴾ أي حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ كحبهم ﴾  
 أي الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق الامام  
 المبجل على التحقيق المسمى بعبد الله والملقب بعتيق فمن أحبه فهو مؤمن ومن  
 بغضه فهو زنديق وكذلك عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق وكذلك عثمان بن  
 عفان الذي بكل مكرمة مرهوق فان كنت مؤمنا فأحبهم جميعا وحنم ذلك على  
 نفسك وعلى كل أناء جنسك ﴿ حتما ﴾ أي خالصا محكم الامر ﴿ وحب ﴾ على  
 جميع الامة باتفاق الأئمة لا يزوغ عن حبهم الا هالك ولا يروغ عن وجوب ذلك  
 الا آفك ومن ثم قال ﴿ ومن ﴾ أي أي مكاف من هذه الامة المحمدية ﴿ تعدى ﴾

في حبه أرم يقر بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة ﴿أوقلا﴾ هم أو أحدا منهم أي بعضهم أو أحدا منهم يقال قلاه كرماء رفضه قلا وقلا إذا أبعثه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره وقال الامام أبو المظفر عون الدين بن هبيرة القلي بغض بعد حب ﴿فقد﴾ الذاء في جواب من وقد حرف تحقيق ﴿كذب﴾ في كل واحدة من الخصائين من تعديه في الحب أو بغضه لهم أولاً حد منهم رضي الله عنهم أجمعين

## ﴿تنبيهات﴾

(الاول) اعلم ان الواجب اعتقاده ان أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فهم الذين وليوا الخلافة التي هي النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المؤمنين من اقامة الدين وصيانة المسلمين بحيث يجب على كافة الخلق الانباع ويحرم عليهم المخالفة وقديين صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة بعده بأهاتلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضواً فكانت مدة خلافتهم فأخرج الامام أحمد من حديث سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون من بعد ذلك الملك» ورواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن رضي الله عنهم وأخرج البزار بسند حسن من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً وجبرية فثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكدامدة سيدنا الحسن رضي الله عنه وكانت سنة أشهر وأياماً والله أعلم

(الثاني) ترتيبهم في الخلافة وهذا قول عامة أهل السنة من أهل الحديث والفقهاء والكلام من الاثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم قال الامام أحمد رضي الله عنه علي رضوان الله عليه رابعهم في الخلافة والتمفضل وقال من فضل علياً على أبي بكر وعمر أو قدمه عليهما في الفضائل الامامة دون النسب فهو رافضي مبتدع

فاسق ذكره القاضي أبو يعلى قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين فإن فضله يعني عليا رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه فيكذلك يعني أنه يكون رافضيا مبتدعا فاسقا وفي رواية أخرى لا يكون رافضيا مبتدعا بتفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما وتبرأ الامام أحمد رضي الله عنه ممن ضلهم أو أهداهم ٥

(الثالث) اعلم ان الذي أطبق عليه علماء الملة وعلماء الامة وروساء الأئمة ان أفضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الصديق الاعظم أبو بكر ابن أبي قحافة ثم عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله عنهما ثم اختلفوا فلا كثرون ومنهم الامام أحمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضي الله عنهم ان الافضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان وقيل بالوقف عن التفضيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد الله الماززي عن المدونة ان مالكا سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم فقال أبو بكر ثم عمر ثم قال أوفي ذلك شك فقيل له وعلي وعثمان فقال ما أدركت أحدا ممن اقتدي به يفضل أحدهما على الآخر انتهى وقوله أوفي ذلك شك يريد ما سئره ان تفضيل أبي بكر وعمر على بقية الأمة قطعي نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك أنه رجع عن التوقف الى تفضيل عثمان قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهم الامام مالك ويحيى القطان وابن معين قال الامام يحيى بن معين ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم ومن ثم يعلم ان حكاية الاجماع على ان عثمان أفضل من علي رضي الله عنهما مدخول بل الخلاف معلوم نعم معتمد محقق أهل السنة ان الخلفاء الراشدين في ترتيب الافضلية على نسق ترتيب الخلافة وهذا منصوص الامام أحمد وغيره من أئمة الاسلام لكن التفضيل في طرف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قطعي على المعتمد وقيل ظني كما عند الباقلاني وغيره (الرابع) سئل الامام أبو زرعة الولي العراقي عن اعنقد في الخلفاء الاربعة



الافضالية على الترتيب المعلوم ولكن يحب أحدهم أكثر هل يأتيه أولا فأجاب بأن المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضالية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمنا اعتقدنا في واحد منهم انه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم ان أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بأن أفضل هذه الامة بعد نبينا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضالية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضالية أبي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيها انتهى وعلى كل حال المحبة الدينية لازمة للافضالية على حسب زيادتها ونقصها وبالله التوفيق

﴿ وبعد فالأفضل باقي العشرة فأهل بدر ثم أهل الشجرة ﴾

﴿ وبعد ﴾ أي بعد الخلفاء الراشدين ﴿ فالأفضل ﴾ من سائر الصحابة المكرمين ﴿ باقي العشرة ﴾ المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالمين وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهم الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

أحدهم أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي النيمي وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد الحضرمي أخت العلاء الحضرمي أسلمت وأسلم طلحة قديما على يد أبي بكر الصديق وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان أنفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء بدر وثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ووقاه بيده فثابت أصبعه وجرح يده بأربعة وعشرين جراحة وقيل كانت فيه خمس وسبعون بين طعة وضربة ورمية كافي

جامع الاصول وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخبير وسماه يوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعد القلط ولا بالسبط حسن الوجه دقيق العينين لا يغير شعره . قتل رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ويقال ان مروان بن الحكم قتله وقيل أصابه سهم في حلقه ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة وقيل اثنتان وستون يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وروي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة المتفق عليه منها حديثان وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة وروي عنه السائب بن يزيد وعبد الرحمن بن عثمان ابن عبيد الله التيمي وأبو عثمان النهدي وقيس ابن أبي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم

(الثاني) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الاسدي وأمه صفية بنت عبدالمطلب رضي الله عنها عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فعذبته عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى أرض الحبشة الهجرتين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وهو أول من سل سيفه في بيبل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان أبيض طويلا ويقال لم يكن بالطويل ولا بالقصير يميل الى الخفة في اللحم ويقال كان أسمر خفيف العارضين قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان وياقينا للبخاري روى عنه ابنه عبد الله وعروة وغيرهما وهو أحد الشجعان المشهورة وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الثالث) أبو اسحق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب ويقال

أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي  
 الزهري وأمه حمة بنت سفيان وقيل بنت أبي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف  
 أسلم قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال  
 كنت ثالثا في الاسلام وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قصيرا غليظا ذاهامة شثن الاصابع آدم افضس  
 أشعر الجسد وفداه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بأبويه أي قال له «ارم فذاك  
 أبي وأمي» مات رضي الله عنه في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب  
 الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة من قبل  
 معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون  
 سنة وقيل اثنان وثمانون وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة وكف بصره  
 في آخر عمره رضي الله عنه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون  
 حديثا منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا اتفاقا منها على خمسة عشر وانفرد  
 البخاري بخمسة وسلم بثمانية عشر روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة  
 وعامر ومحمد ومصعب بنوه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن المسيب وأبو  
 عثمان النهدي وقيس ابن أبي حاتم وغيرهم

(الرابع) أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وباقي  
 نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي وأمه فاطمة  
 بنت ببيعة بفتح الموحدة وسكون العين المهملة والجيم ابن أمية بن خزاعة أسلم  
 قديما قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم شهد المشاهد  
 كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فإنه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان  
 لشعير عبر قريش كما تقدم آنفا وضرب لها النبي صلى الله عليه وسلم بسهميها في  
 اللغظيمة والاجر كان آدم طويلا أشعر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها  
 وادفن بها سنة احدى وخمسين وقيل اثنان وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل  
 مات بالكوفة ودفن بها يجتمع مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي روى  
 له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثا منها في الصحيحين

ثلاثة المتفق عليه منها اثنان واثالث للبخاري

(الخامس) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة أسلمت وهاجرت وفي الزهر البسام اما صفية بنت عبد مناف بن زهرة ويقال الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء بنت عوف وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهاجر الى الحبشة المهجرتين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته كان طويلا رقيق البشرة أبيض مشر باجمرة ضخمة الكفين أقي وقيل كان ساقط الثنيتين أعرج أصيب يوم أحد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فخرج. ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة وبلقى نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة روي له عن رسول الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة أحاديث المتفق عليه منها حديثان وبقايا للبخاري روي عنه ابن عباس وابنه ابراهيم وبجالة بن عبد وغيرهم رضي الله عنهم

(السادس) أمين الامة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المغفر فيه فوقعت ثنيتاه فكان أحسن الناس هما كان رضي الله عنه طويلا معروق الوجه خفيف اللحية مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزار ويتبرك به روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا ولم يخرج له البخاري في صحيحه شيئا ولا أخرجه له مسلم الا في حديث العنبر من رواية أبي

الزبير عن جابر بن عبد الله رضي عنهم وهو قوله يعني قول أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثنا فهو لا العشرة المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» رواه الترمذي وأخرج أبو داود والترمذي عن رباح بن الحارث قال كنت قاعدا عند فلان في الكوفة في المسجد وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعدته على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس ابن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من يسب هذا الرجل فقال يسب عليا فقال لا أرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأنا لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غدا إذا لقيت «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشرة قالوا ومن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعني نفسه ثم قال يعني سعيد بن زيد رضي الله عنه: والله لشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمرو بن زاذرن ثم قال لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله تعالى أن لا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم ولفظ الترمذي: أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم أتم قال: عبد الله بن ظالم المازني قلت أي لسعيد ابن زيد رضي الله عنه من التسعة فدكرهم قلت ومن العاشر فتلكأ هنية ثم قال أنا ولترمذي في رواية أخرى عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عشرة في الجنة فعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر قال: ننشدموني بالله أبو الأعور في الجنة: أبو الأعور هو سعيد بن زيد والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويكفي ما أخرجه الترمذي عن عقبة بن علقمة

اليشكري قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول يعني بعد وقعة الجمل سمعت اذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول طلحة والزبير جار اسي في الجنة . وبعده عشرة أي الذين يلونهم في الافضلية

﴿ فاهل ﴾ غزوة ﴿ بدر ﴾ العظمى وهي البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي أعز الله بها الاسلام ووقع بها عبدة الاصنام وبدر قرية مشهورة ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية قيل نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة وقيل الى بدر بن الحارث وقيل الى بدر بن كلدة وقيل بل بدر اسم للبئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاتها فكان البدر يري فيها وقيل بل هو علم على البلد المذكورة كغيرها من أسماء البلاد قال البغوي وهو قول الاكثر وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشر خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدة المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهم ما قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن ببضعة عشر وثلاثمائة وفي حديث أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه عند ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نعتد ففعلنا فاذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدتنا فسر بذلك وحمد الله تعالى وقال عدة أصحاب طالوت وروى الامام أحمد وابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي وأبو عوانة وابن حبان من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر ولفظ مسلم تسعة عشر رجلا ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة الحديث وروى البزار بسند حسن عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كانت عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر وفي الفتح ثلاثة عشر بدل سبعة عشر وفي

الصحيح عن موسى بن عقبة عن الزهري قال جميع من شهد بدرا من قریش من ضرب له سهمه أحد وثمانون مع أن البخاري واسحق بن راهويه أخرجا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا على السنين والانصار نيفا وأربعين ومائتين قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذين الحديثين أن حديث البراء في من شهد بدرا حسا وقول الزهري في من شهدها بالعدد حكما من ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له بسهمه وأجره أو المراد بالعدد الأول الاحرار والثاني بانضمام مواليهم واتباعهم وإذا تحرر هذا فجمع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة أو ستة فقد عد ثمانية أنفس من أهل بدر ولم يشهدوها وإنما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد والحارث بن حاطب والحارث بن الصمة وخوات بن جبير وعاصم بن عدي وأبو بابة رضي الله عنهم واستشهد من المسلمين في وقعة بدر أربعة عشر نفسا سنة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله عنهم أجمعين وقتل من الكفار سبعون وامن سبعون وقد روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن الثمانية عشر الذين قتلوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فينبأهم كذلك إذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول عبادي ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقني رضي الله عنه وكان من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال كذلك من شهد بدرا من الملائكة وروى نحوه الامام أحمد من حديث رافع بن خديج قال الحافظ ابن الجوزي في جامع المسانيد كذا وقع في مسند الامام أحمد والظاهر أنه غلط من بعض الرواة وإنما هو حديث رافع بن رفاعة الزرقني لا ابن خديج ويحتمل أن يكون سمعه ابن خديج من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية

وروى ابو داود وابن ماجه والطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وروى الامام احمد عن أم الامين حفصة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني لأرجوان لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت قلت أليس الله تعالى يقول (وان منكم الا واردة) قالت فسمعته يقول (ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وأخرج مسلم والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه ان عبدا لحاطب جاء يشكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال «كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية» وفي الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة كتاب حاطب وان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - أوقال - قد وجبت لكم الجنة وفي المعنى أحاديث غير ما ذكرنا

### ﴿ تنبيه ﴾

قد استشكل جمع قوله «اعملوا ما شئتم» فان ظاهره انه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع واجيب بانه إخبار عن الماضي أي كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي ولقال فسأغفره لكم وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لانه صلى الله عليه وسلم خاطب بذلك عمر رضي الله عنه منسكرا عليه ما قال في أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على ان المراد ما سيأتي وأورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه فان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال لحاطب قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقباب وتكتب الى قريش تحذرهم دعني يا رسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك يا عمر أن الله عز وجل اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فاغرورقت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم حين سمعه



يقول في أهل بدر ما قال وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - إلى قوله - والله بما تعملون بصير) وقيل إن صيغة الأمر في قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المواقفة بما يصدر عنهم وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم اللفظة وتأهلوا لأن يغفر لهم الذنوب اللاحقة أي كلما عملتموه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور وقيل المراد أن ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة وقيل هي شهادة بعدم وقوع الذنوب منهم وفيه نظر ظاهر لما ثبت في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه متأولاً فغده عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته وكان قدامة بدرياً والذي يفهم من سياق القصة الاحتمال الثاني وافق العلماء علي أن الإشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا فيما يتعلق بأحكام الدنيا من إقامة الحدود ونحوها والله أعلم على أنه زعم أناس أن قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الآية وفيها (فأعقبهم نفاقاً) الآية نزلت في ثعلبة ابن حاطب أو ابن أبي حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف الانصاري الاوسي وقد ذكره من البدريين وقد عده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من أهل بدر ثم عده في الكتاب المذكور من جملة المنافقين ثم قال قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين قال ابن الجوزي وقد كان فيهم من شهد بدراً فتغيرت حاله كثعلبة ومعتب بن قشير نعوذ بالله من الخذلان انتهى وقال ابن السكلي ان ثعلبة البدرى قتل باحد وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمة ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الانصاري ذكره ابن اسحق في من نبى مسجد الضرار قال الحافظ ابن حجر وفي كون صاحب القصة إن صح الخبر ولا تخذه يصح هو البدرى المذكور قد تغير وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن السكلي ان البدرى استشهد باحد ويقوي ذلك أيضاً ان ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المذكورة

يعني او منعم من عاهد الله قال نزل ذلك في رجل يقال له ثعلبة بن أبي حطب من الانصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال لئن آتانا الله من فضله: الآية فذكر القصة مطولة فقال إنه ثعلبة بن أبي حاطب والبدر بن أبي حاطب بن ثعلبة بن حاطب وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية وحكى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله تعالى أعلم

﴿ ثم ﴾ بعد أهل بدر فالأفضلية ﴿ أهل ﴾ بيعة الرضوان تحت ﴿ الشجرة ﴾ المعهودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهي شجرة خضراء سمرة بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطلح وهو نوع من العضاء أو من سدر كما رواه مسلم عن جابر وما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان ناساً يذهبون الى الشجرة فيصلون تحتها ويتبركون بها فأمر رضي الله عنه بها فقطعت وأخفي مكانها خشية الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن من تعظيم أهل الجهل لها حتى ربما أفضى بهم جهلهم الى ان بها قوة نفع وضر كما هو مشاهد من شأن الناس في هذه الازمان ومد أزمان من تعظيم ما هو دونها من الشجر والبقاع ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت رحمة من الله يعني إخفاءها بعد ذلك أو كانت موضع رحمة من الله ومحل رضوانه لانزاله الرضى على المؤمنين عندها

وقيل أهل أحد المقدمه والأول أولى للنصوص المحكمه

وقوله ﴿ وقيل أهل ﴾ غزوة جبل ﴿ أحد المقدمه ﴾ أي في الزمن والأفضلية إشارة الى ان الاصح الافضل أهل بدر فأهل أحد فاهل البيعة وقوله ﴿ والأول ﴾ وهو تقديم أهل البيعة في الأفضلية على أهل غزوة أحد ﴿ أولى ﴾ وأحق وأحرى بذلك وذلك ﴿ ا ﴾ ورود ﴿ النصوص المحكمه ﴾ من الكتاب والسنة من أحاديث نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وكانت غزوة أحد في نصف شوال سنة ثلاث أول نهار السبت وفي الفتح لاحدى عشر خات منه وقيل تسع وقيل ثمان وقيل سبع وأحد بضم المهمزة والخاء والدال

المهملةين هو جبل أحمري ليس بذي شناخب بينه وبين المدينة أقل من فرسخ وهو في شمالها إلى الشرق روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه وابن أبي شبة والطبراني بسند جيد عن سويد بن عامر الأنصاري والبخاري عن أبي حميد الساعدي والبخاري عن سهل بن سعد والطبراني عن أبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له «أحدا جبل يحبنا ونحبه» وتكرمه صلى الله عليه وسلم هذا القول مرات وفي الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعاً «أحد ركن من أركان الجنة» قال ياقوت أحد اسم مرتجل لهذا الجبل وقال السهيلي سمي أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هناك أو لما وقع من أهله من نصرته التوحيد ولا أحسن من اسم مشتق من الاحدية وأهله هم الانصار نصرُوا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتا إذا عدت هذا فظاهر كلام متكلمي الأشاعرة أن أهل غزوة أحد يابون أهل بدر في الافضلية وكان عدة أهل غزوة أحد بعد انخزال ابن أبي سبهانة وكان المشركون ثلاثة آلاف وعد من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلا منهم أربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبد بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الانصار وزاد بعضهم من المهاجرين سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة وثقف بن عمرو الاسلمي حليف نبي عبد شمس وهذا يوافق ما رواه ابن حبان والحاكم عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال أصيب يوم أحد من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة والذي يظهر لي والله أعلم أنه إن أريد شهداء أحد فنعم والافيتحاج إلى توقيف فتغظن له فقد وردت الاحاديث في فضل شهداء أحد كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله والد جابر رضي الله عنهما «ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفعتموه» رواه البخاري وأخرج ابن المنذر عن أنس رضي الله عنه قال لما قتل حمزة وأصحابه يوم أحد قالوا ياليت لنا نخبرا يخبر اخواننا بالذي صرنا إليه من كرامة الله تعالى لنا فأوحى إليهم سبحانه وتعالى أنا رسولكم إلى اخوانكم فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) إلى قوله - لا يضيع أجر المؤمنين ) وأخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اأصيب اخوانكم بأحد جعل الله تعالى أر واحمهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا وفي لفظ - قالوا من يبلغ اخواننا انا أحياء في الجنة نرزق لثلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكأوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فانزل الله تعالى هؤلاء الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) الى آخر الآيات وروى نحوه عبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة والامام أحمد في المسند ومسلم في الصحيح من حديث ابن مسعود وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد فاذا بلغ فريضة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها وكذا عمر وعثمان رضي الله عنهما ولما أجرى معاوية رضي الله عنه العين فمرت على الشهداء فأخرجوهم طرايا تنثني أطرافهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر رجل فرأيت أبي في حضرته كأنه نائم والنمرة التي كفن فيها كما هي وكان ذلك بعد أحد بست وأربعين سنة وأصابته المسحاة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم فقال ابن سعيد الخدري رضي الله عنه لا ينكر بعد هذا منكم وكانوا وهم محفرون فيح عليهم من القبور ریح المسك وروى الحارث في مسنده عن سعد بن أبي وقاص والحاكم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر أصحاب أحد يقول «أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بفحص الجبل» (١) يعني شهداء أحد والاحاديث في ذلك كثيرة جدا

وأما أهل الشجرة يعني أهل البيعة وهم أصحاب الحديدية فقد وردت النصوص المحكمة في فضلهم كما سنذكر طرفا من ذلك والحديدية بجاء مضمومة فبدال مهملتين

(١) في مجمع بحار الانوار عن نهاية ابن الاثير : انه ذكر قتلى احد فقال «يا ليتني غودرت مع اصحاب فحص الجبل» هو بالضم اصل الجبل وسفحه تمني ان يكون امشهد يوم أحد

والدال مفتوحة فمؤحدة مكسورة فتحبة مفتوحة بالتخفيف واتشديد قال النحاس سألت كل من لفيت ممن أتق به من أهل العلم عن الحديبية فلم يختلفوا على قراءتها مخففة ونص في الباع على التخفيف وحكي اتشديد عن ابن سيده في المحكم قول في تهذيب اطالع ولم أره لغيره وزعم بعضهم ان التشديد لم يسمع في فصيح وقول الامام النووي هما وجهان مشهوران قال البكري قريبة من مكة أكثرها في الحرم وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه والحديبية بئر قال الخافظ ابن حجر يشير الى ان المكان المسمى بالحديبية سمي ببئر كانت هناك هذا اسمها ثم عرف المكان كنه بذلك وبينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة ومن المدينة تسع مراحل وكانت في ذي القعدة من السنة السادسة وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أربعة عشر مائة وأكثر من ذلك وامل الزائد على الالف وأربع مائة من الخدام والاتباع وأما نفس المغائلة فاربعة عشر مائة وأما قول ابن اسحق كانوا سبعائة فغلط لم يوافق عليه وكان سبب البيعة ان قريش لما صدت انبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له اذهب الى قريش وأخبرهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا وادعهم الى الاسلام ثم بلغه ان عثمان رضي الله عنه قد قتلته قريش فدعا الناس الى البيعة وقال «لا نرح حتى تناجز اقوم» روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سلمة بن الاكوع رضي الله عنه واليبقي عن عروة وابن اسحاق عن الزهري ومحمد بن عمر عن شيوخه قال سلمة رضي الله عنه بينا نحن قائلون اذا دى منا دى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله قال سلمة فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمير فبايعناه وفي صحيح مسلم عنه قال بايعته أول الناس ثم بايعته وسط الناس ثم بايعته آخر الناس والصحيح ان الذي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الناس في تلك البيعة أبو سنان الاسدي فقال ايسط يدك بايعك فقل صلى الله عليه وسلم علام تبايعني قال على ماني نفسك قل وماني نفسي قال النبي اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو اقتل فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبي سنان وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى عن عثمان بن

عفان رضي الله عنه وقال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولاك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا عشرة وذلك بعد البيعة ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا في الحديبية ألفاً واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله أيضاً رضي الله عنهما ومسلم عن ام بشر رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» وأخرج الامام أحمد أيضاً بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لاهل الحديبية «لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم» وسأل أبو الزبير جابراً كم كانوا يوم الحديبية قالوا كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمرأخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعير وقال بايعناه على ان لا نفر وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه فكانني انظر اليه يعني الى الجد بن قيس لاصفاً بابط ناوقته قد ضبا اليها وهو بفتح الضاد والموحدة مهموزاً أي اختبأ بها يستتر بها من الناس فبايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وهذا الجد بن قيس الذي لم يبايع كان يرمي بالنفاق وعده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من المناقب وقد نزل في حقه في غزوة تبوك ما يشعر بذلك وهو ابن عمه البراء بن معرور وكان سيد بني سلعة بكسر اللام في الجاهلية فسود النبي صلى الله عليه وسلم عليهم عمرو بن الجموح وقيل سود عليهم بشر بن البراء بن معرور ومال اليه ابن عبد البر وأخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر» ومن ثم قال ابن عبد البر ليس في غزوانه صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرأ أو يقرب منها الا غزوة الحديبية وقيل صاحب الجمل الاحمر غير الجد بن قيس يدل له ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي

بيده لقد غفر للركب أجمعين الأروبيكبا واحدا على جمل أحر التفت عليه رجال القوم ليس منهم» وقال صلى الله عليه وسلم «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» قال أبو سعيد رضي الله عنه فطلب في العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل والرجل من بني ضمرة من أهل سيف البحر يظن أنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لسعيد رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا فقال له سعيد ويحك اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال جابر فقلنا له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي وإذا هو قد أفضل بعيرا له فانطلق يطلب بعيره بعد أن استبرأ العسكر وطالبه فيهم فينا هوفي جبال سراوغ اذ زلقت به نعله فتردى فمات فاعلم به حتى اكنته السباع وقصة هذا قبل البيعة إذ هذا ليس من عسكر المسلمين بخلاف الجند بن قيس والله اعلم

### ﴿ تلميحات ﴾

(الاول) ظاهر كلام علماءنا ان أفضل الصحابة بعد العشرة أهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة أولا فأولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم رتب وهذا الذي قدمه ابن حمدان في نهاية المتبدئين ثم ذكر ان امة محمد خير الامم وأفضلهم القرن الذي صحبوه وشاهدوه وآمنوا به وصدقوه ونصروه وأفضل القرن الذي صحبوه اربع عشرة مائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وأفضلهم أهل بدر الذين نصروه وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه يعني السابقين الاولين وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض وأفضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذا موافق لما حررنا من تقديم أهل البيعة على أهل غزوة أحد والتحقق ان أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر في الافضية لما قدمنا من النصوص ولان الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال في أهل غزوة أحد (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استترهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلیم) وفي

الآية الاخرى (ثم صرفهم عنكم ليبتيكم ولقد عفا عنكم) فوصفهم في الموضوعين بالعرفو ووصف أهل البيعة بالرضى وهو أعلى وأسنى وأفضل من العفو وهو هذا ظاهر والله تعالى أعلم

(اشني) المراد بالسابقين الاولين الذين أنفقوا قبل الفتح وقتلوا والمراد بالفتح أمر الحديدية قال تعالى الا يستري منكم من أنفق من قبل الفتح وقتل (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية المراد بالفتح فتح الحديدية لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحت الشجرة وكان الذين بايعوه أكثر من ألف وأربع مائة وهم الذين فتحوا خيبر وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل البار أحد بايع تحت الشجرة» وسورة الفتح أنزلها الله تعالى قبل فتح مكة وكانت البيعة تحت الشجرة سنة ست من الهجرة كما تقدم وبذلك الصالح الذي كان يدينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين في الحديدية حصل الفتح والخير الكثير الذي لا يعلمه الا الله تعالى مع كونه كان قد كرهه خلق من المسلمين ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة ثم فتح الله تعالى على نبيه وعباده المسلمين مكة في شهر رمضان من العام الثامن وكان قد أنزل في سورة الفتح (لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمينين محلنين رؤسكم ومقصرين - الى قوله - فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)

(الثالث) المراد بالفضلية من حيث الجملة ولا يلزم تفضيل كل فرد مثلا من المهاجرين على كل فرد من الانصار وانما تقول الصحبة أفضل من غيرها ولا أحد من غير الصحابة يساوي أحدا من الصحابة وكذلك الهجرة وكذلك كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير هضم للمفضول من الفضائل والكمالات التي امتاز بها على غيره من غير تلك الحثية التي فضله فيها غيره كما يأتي بيان ذلك وتحريره والله أعلم

﴿وعائشه في العلم مع خديجة في السبق فافهم نكتة النتيجة﴾

﴿وعائشه﴾ الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ام عبدالله أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين عقد عليها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بستين وقيل بثلاث وبني



بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة  
وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن يصلي عليها أبوهريرة رضي الله عنه سنة ثمان  
عشرة وخمسين فهي رضي الله عنها وعن أبيها أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم ﴿في العلم﴾  
النافع والفقهاء الناصح فلها (من) الفضل في ذلك ما ليس لغيرها من سائر أزواجه صلى الله عليه  
وسلم حتى كان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم إذا  
أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها وروى عن الخلفاء بين علماء  
السلف في التفاضل بينها وبين أم المؤمنين خديجة فقدم البلاء في من متأخري علمائنا تبعاً  
لابن حمدان في نهاية المبتدئين أن عائشة أفضل النساء وقال الإمام موفق الدين أفضل  
النساء خديجة قول المحقق ابن القيم في كتابه جلال الألفاظ وقد اختلف في تفضيل خديجة  
على عائشة على ثلاثه أقوال تأييدها الموقف قال وسألت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية  
قدس روحه عنهما فقال اختص كل واحدة منهما بخاصة وإلى هذا أشرت بقولي ﴿مع  
خديجة﴾ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أم المؤمنين وأول أزواج  
رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة  
وبقيت معه إلى أن أكرم الله تعالى برسالة فأمنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير  
صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح وقيل بربع وقيل بخمس ولم  
يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل أولاده منها الذكور والاناث لا إبراهيم  
عليه السلام فإنه من سريره مارية القبطية فخديجة المذكورة أفضل نساء النبي  
صلى الله عليه وسلم ﴿في السابق﴾ إلى الإسلام وهو أزره خير الانام قال شيخ  
الإسلام في جوابه للمحقق ابن القيم خديجة كان تأثيرها في أول الإسلام وكانت  
تسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبتته وتبذل دونه ما لها فادركت غرة الإسلام  
واحتملت الأذى في الله وفي رسوله وكانت نصرته للرسول صلى الله عليه وسلم في  
أعظم الحاجة لها من النصر والبذل ما ليس لغيرها قال وعائشة رضي الله  
عنها تأثيرها في آخر أوقات الإسلام فلها من النفقة في الدين وتبليغه إلى الأمة  
وانتفاع بنبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها فلعائشة رضي الله عنها في آخر  
الإسلام من حمل الدين وتبليغه إلى الأمة وادراكها من العلم ما لم تشر كما فيه

خديجة ولا غيرها ما تميزت به عن غيرها وقال المحقق في كتابه بدائع الفوائد الخلاف في كون عائشة رضي الله عنها أفضل من فاطمة عليها السلام أو فاطمة أفضل إذا حرر محل التفضيل لا يستقيم أي الخلاف فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب نفاضل اهمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة وإن أريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للامة وأدت من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج الى علمها خواص الامة وعامة وإن أريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب ان فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الامة وإذا تبينت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ولم يوازن بينها فيبخس الحق وإن انضاف الى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم قال وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافي والى هذا التفصيل اشرنا بقولنا ﴿ فافهم ﴾ فهم تحقيق واذعان وتدقيق وايقان ﴿ نكتة النتيجة ﴾ أي اثر فائدة الخلاف فإن النكتة أثر قليل كالنقطة شبه الاثر الذي يكون في المرآة والسيف ومنه حديث الجمعة فإذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالنقطة شبه لوسخ وأصله من النكت بالحصى ونكت التراب والارض بالقضيب والنتيجة المراد بها هنا الحكم المتولد من القضيتين بالتفصيل في التفضيل وأصله من نتجت اللاقة إذا ولدت فهي منتوجة وانتجت إذا حملت فهي تتوج ولا يقال منتج ونتجت النانة انتجها إذا ولدتها والحكم الناتج مما نحن فيه أن خديجة أفضل بحسب السبق والموازرة وانفاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته وحمل المشاق بسببه ونحو ذلك وعائشة أفضل بحسب تحملها للعلوم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فإنها أحد المكثرين ونشرها سننه صلى الله عليه وسلم ونفعها للامة فإنها كانت عالمة فقيهة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عارفة بأمر العرب وأشمارها وفضائلها

ومناقبها كثيرة لا تحصى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم إياها ونفضيلها على سائر زوجاته صلى الله عليه وسلم مالا يخفى قال الامام المحقق ابن القيم في جلاء الافهام ومن خصائص خديجة رضي الله عنها ان الله سبحانه وتعالى بعث اليها السلام مع جبريل فبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربه وأمني وبشره إبييت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورواه مسلم أيضا وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها وأما عائشة رضي الله عنها فإن جبريل لم علم عليها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوما ياعائش هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت وهو يرى مالا أرى قال ابن القيم من خواص خديجة رضي الله عنها أنها لم تسوء قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه إيلاء ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة ومن خواصها أنها أول امرأة آمنت بالله من هذه الامة ومن خصائص عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بغيرها وأنها كانت ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها ولما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فخيرها وقال لها «فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبو بك فقالت أفى هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت ومن أعظم خصائصها أنها كانت أحب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك في الصحاح والمسانيد والسنن وقد قال صلى الله عليه وسلم «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه البخاري ومسلم وغيرها ومن أعظم خصائصها ان الله تعالى برأها مآرماها به أهل الافك وأنزل في برائها وحيا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم الى يوم القيامة وشهد لها بانها من الطيبات فله من حصان عظمت فضائلها وجلت مناقبها ورسخت قدمها في الدين وعظم شأنها عند سائر المسلمين واحتاج لعلمها أمة الصحابة وشهد لها أهل

التحقيق بالتقدم والاصابة فقد أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة لا وجدنا عندها منه علما قال الترمذي حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه وصححه ان رجلا نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار بن ياسر رضي الله عنه قال أغرب مقبوحاً منبوهاً أتوذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الترمذي عن عبد الله بن زياد الاسدي قال سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول هي زوجته في الدنيا والآخرة يعني عائشة رضي الله عنها وقل حديث حسن صحيح ومناقبها كثيرة وفضائلها غزيرة رضي الله عنها وعن سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

### فصل ❦

في ذكر الصحابة الكرام بطريق الاجمال و بيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والرضى والتفضيل على سائر الامة وتبيين من آذاهم وأشانهم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح عنهم وما صح فله تأويلات سائفة واذا كان لاحد منهم هتات تقع مكفرة مستهلكة في عظيم حسناتهم وجسيم مجاهداتهم ثم التاب عليهم باحسان ولهذا قل

﴿ وليس في الامة كالصحابة في الفضل والمعروف والاصابة ﴾

﴿ وليس في الامة ﴾ المحمدية المفضلة على سائر الامة بافضاية نبيها صلى الله عليه وسلم وأفضلية ما جاء به من الذكر الحكيم والدين القويم والصرط المستقيم فيكون الصحابة أفضل خلق الله تعالى بعد أنبياء الله تعالى ورسوله ﴿ كالصحابة ﴾ الكرام الذين فازوا بصحبة خير الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وتقدم في صدر الكتاب تعريف الصحابة وطريق ثبوت الصحبة وبيان عدالة الصحابة وبيان عدلتهم ودرجاتهم فعمد القول عند أئمة السنة ان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق المعتبرين بنقل الله تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس ) قيل اتفق المفسرون ان ذلك في الصحابة لكن الخلاف في التفاضل مشهور ورجح

كثير عرومها في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقيل تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات فليس في سائر الأئمة المحمدية مثل الصحابة الكرام ﴿ في المفضل ﴾ بشاهد ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وهذا وإن ورد على سبب وهو ماجرى بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد رضي الله عنهما فالعبارة بعموم اللفظ ولا ينافي ذلك كون الخطاب لاصحابه فإن المراد لا يسب غير أصحابي ولا يسب بعضهم بعضاً فالمراد الهي عن حصول السب لهم مطلقاً وقوله لو أن أحدكم بالخطاب يمكن حمله على أن المراد من جاء من غيرهم ينزل نفسه منزلة من أتى الخطاب لقوم تعريضا لغيرهم كثيرا اعتمادا على القران وهذا الموضع منه والنصيف أحد اللغات الأربعة في النصف فإنه يقال نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح النون وزيادة الياء والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك نفقة أصحابي مدا ولا نصف مد لان انفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده ففضل ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقاً وإن فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم وفي الصحيحين وغيرهما عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خبر الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فملا أدري إذ كر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السم - زاد في رواية - ويشلفون ولا يستحلفون» ورواه أبو داود ولفظه «خير أمي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم» والله أعلم إذ كر الثالث أم لا الحديث ورواه النسائي بنحوه ورواه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وفيه والله أعلم إذ كر الثالث أم لا: وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مفضل رضي

الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلبغ الخاضر الغائب الله  
الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم  
فببغضي أبغضهم ومن آذهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك  
ان يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك ان لا يفلقه» وأخرج الترمذي أيضا من حديث  
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا رأيتم الذين يسبون  
أصحابي فتولوا لعنة الله على شركم» وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت  
لعروة بن الزبير يا ابن أخي أمروا ان يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فسيبوهم وأخرج الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض الابعث لهم نورا وقائدا يوم  
القيامة» وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سألت ربي عن اخلاف أصحابي  
من بعدي فأوحى الي يا محمد ان أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها  
أقوى من بعض ولكل نور فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اخلافهم فهو عندي  
على هدى» قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصحابي كانوا نجوم أبيهم اهل  
الهدى» ذكره في جامع الاصول

﴿و﴾ ليس في الاممة كالصحابه الكرام في ﴿المعروف﴾ وهو اسم جامع  
لكل ما عرف من طاعة الله وانقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما نذب اليه  
الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر  
معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه والمعروف النصفة وحسن الصحبة  
مع الاهل وغيرهم من الناس ضد المنكر في ذلك جميعه وفي حديث «اهل المعروف  
في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة» أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه  
الله جزاء معروفه في الآخرة وقبل اراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ  
الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة وقد روي عن ابن عباس  
رضي الله عنهما في معنى ذلك قول يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيمة  
فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جامعة فيعطونها ان زادت سيئاته على حسناته

فيفغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الى الناس في الدنيا والآخرة ولا  
يرتاب أحد من ذوي الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا قبصبات  
السبق واستولوا على معالي الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسعيد من اتبع  
صراطهم المستقيم واقفى منهمهم اتقويم والتهيس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق  
بتحقيقهم فأى خطية رشده لم يستولوا عليها وأى خصلة خير لم يسبقوا اليها تالله  
لقد وردوا ينبوع الحياة عذبا صافيا زلالا واطدوا قواعد الدين والمعروف فلم  
يدعوا لاحد بعدهم مقالا فتحو القلوب بالقرآن والذكر والايمان والقرى  
بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن فللمعروف  
الاما عنهم عرف ولا برهان الا ما بعلمهم كشف ولا سبيل نجاة الا ما سلكوه  
ولا خير وسعادة الا ما حققوه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم ما تحلت المجالس  
بنشر ذكركم وما تمنت الطروس بعرف مدحهم وشكرهم

﴿ و ﴾ ليس في الامه أيضا كالصحابه رضي الله عنهم في ﴿ الاصابة ﴾  
للحكم المشروع والهدى المتبوع فهم أحق الامه باصابة الحق والصواب  
واجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ويشهد لهذا مارواه الامام أحمد وغيره عن  
ابن مسعود رضي الله عنه قال من كان مناسيا فليتنس بأصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فانهم أبر هذه الامه قلوبا واعتميا علماء وقلبا تكلموا وأقوما هديا وأحسنها  
حالا قوم اختارهم الله لصحبه نبيه واقامة دينه فعرفوا لهم فصلهم وابعدوا آثارهم  
فانهم كانوا على الهدى المستقيم: فأحق الامه باصابة الصواب أبرها قلوبا وأعمتها  
علومها وأقومها هديا من غير شك ولا ارتياب وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود  
رضي الله عنه قال ان الله نظر في قلوب العباد فنظر قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه  
برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه  
خير قلوب العباد فاخترهم لصحبه نبيه ونصرة دينه فأراه المسلمون حسا فهو  
عند الله حسن وماراه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح فخير قلوب العباد أحق  
الخلق باصابة الصواب فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم انما عرفت  
لدينا ووصلت الينا من الرعيل الاول والسرب الذي عليه المعول فهم الذين نقولوا

العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتدا وفي حديث العرابض بن سارية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له «وأنه من يمش منكم فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضواً عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو نعيم حديث جيد صحيح فدل الحديث على ان سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع سنته صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرهم من ولادة الأمور وأخرج الامام أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه قال كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوساً فقال «اني لأدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي - وأشار الى أبي بكر وعمر - وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه» وفي رواية وتمسكوا بعهد ابن أم عبد واهتدوا بهدي عمار فنص صلى الله عليه وسلم في آخر عمره على من يقتدى به من بعده والخلفاء الراشدون الذين أمر بالاقتداء بهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فإن في حديث سفينة رضي الله عنه «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً» وصححه الامام أحمد وغيره وتقدم فكل ما اجتمع عليه الصحابة مما أجمعوا عليه أو جمعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه فاجتمعوا فهو الحق لا شك فيه ولو خالف فيه بعد ذلك من خالف ومن ثم نحتاج قول الصحابي حيث لانس نبوي ان لم يخالف فيه مثله على معتمد المذهب وأخرج أبو يعلى الموصلي عن أنس رضي الله عنه « مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملاح »

وعلى كل حال لا يرتاب ذوو الالباب الافضال ان الصحابة الكرام حازوا قصبات سبق بصحبة خير الانام واستولوا على الامر فلا مطعم لاحد من الامة بعدهم في الحق ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم واقفى منهاجهم القويم والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال فذاك المنقطع انتائه في بقاء المهالك والضلال وقوله صلى الله عليه وسلم «مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام» يعني كما ان الملح صلاح الطعام فاصحابي صلاح الانام قال في



(إعلام الموقعين) كان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانعام فلو أخطأ الصحابة فيما أفتوا به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا أفتى من بعدهم بالحق كان قد أصلح خطأهم فكان ملحا لهم انتهى أي والحال أنهم هم الملح المصلح فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلاف وروى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا وإن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتهم ضلالا بعيدا: قال في أعلام الموقعين ومن المحال ان يكون الصواب في غير طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق وقال فيه أيضا من تأمل المسائل الفقهية والحوادث الفرعية وتدرّب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبلها ذللا وارتوى من موردها غللا ونهلا علم قطعاً ان كثيرا منها قد يشبه فيها وجوه الرأي بحيث لا يوقف فيها بظاهر مراد أو قياس صحيح تنشرح له الصدور وينتليج له الفؤاد بل تتعارض فيها الظواهر والاقبسة على وجه يقف المجتهد في أكثر المواضع حتى لا يبقى للظن رجحان بين لاسيما اذا اختلف الفقهاء فان عقولهم من أكمل العقول وأوفرها فاذا تددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتأخروا لم يكن ذلك وفي المسئلة طريقة واضحة ولا حجة لاثمة فاذا وجد فيها قولاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم سادات الامة وقادة الائمة وأعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم في العلم اليهم نسبتهم اليهم في الفضل والدين كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في جهتهم والحق في جانبهم من أقوى الظنون وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الاقبسة هذا مما لا يترى فيه عاقل منصف وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السديد الذي لا رأي سواه واذا كان المطلوب في الحادثة انما هو ظن راجح ولو استند الى استصحاب أو قياس علة أو دلالة أو شبه أو عموم أو خصوص أو محفوظ مطلق أو وارد على سبب فلا شك ان الظن الذي يحصل لنا بقول الصحابي الذي لم يخالف أرجح من كثير من الظنون المستندة الى هذه الأمور أو أكثرها فظهر بهذا ان الصحابة رضي الله عنهم أولى الامة بالأصابه

فما ثبت عنهم فانهم رضي الله عنهم كانوا أبرّ قلوبا وأعرق علما وأقل تكلفا وأقرب الى ان يقفوا للصواب من غيرهم لما خصهم الله به من توقد الاذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الاخذ وحسن الادراك وسرعته وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الرب فلعل ربيّة طريقتهن وسليقتهن والمعاني الصحيحة مر كرزة في فطرنهم وعقولهم ولا حاجة بهم الى النظر في الاسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا الى النظر في قواعد الاصول وأوضاع الاصوليين فقد أغنوا عن ذلك كله فليس في حقهم الا أمران أحدهما قال الله تعالى كذا وقال رسوله كذا والثاني معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الامة بهما فتواهم متوافرة بمجمعة عليهما وبالله التوفيق ولهذا نقول في النظم

- ﴿ فانهم قد شاهدوا المختارا وعانوا الاسرار والاثوار ﴾  
 ﴿ وجاهدوا في الله حتى بانا دين الهدى وقد سما الاديانا ﴾  
 ﴿ وقد أتى في محكم التنزيل من فضلمهم ما يشفي للغييل ﴾  
 ﴿ وفي الاحاديث وفي الاثار وفي كلام القوم والاشعار ﴾  
 ﴿ ما قدرنا من ان يحيط نظمي عن بعضه فاقنع وخذ عن علم ﴾

﴿ فانهم ﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان من الملك السلام ﴿ قد شاهدوا ﴾ وصحبوا ﴿ المختارا ﴾ بألف الاطلاق في المختار من سائر الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ﴿ وعانوا ﴾ في صحبتهم للنبي المختار ﴿ الاسرار ﴾ القرآنية وعلموها من الحضرة النبوية وعلموها التنزيل وأسبابه والتأويل وآدابه ﴿ وعانوا ﴾ الانوار ﴿ القرآنية والاشعة المصطفوية فهم أسعد الامة باصابة الصواب وأجدر الائمة بعلم فقه السنة والكتاب لفوزهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدة نزول لوحى ومعرفة الاسباب فلا يجاروا في علمهم ولا يباروا سيفهم فكل علم وفهم وخبر عنهم وصل وكل سعادة وسيادة وفقه من علمهم وبسببهم حصل فرضوان الله عليهم ما زين ذكرهم الدفاتر وشرف نشرهم

المبارك ﴿وجاهدوا في﴾ سبيل ﴿الله﴾ لاعلا كلمة الله وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله ﴿حتى باننا﴾ بألف الاطلاق أي ظهر ووضح واستعلن ﴿دين الهدى﴾ أي دين الاسلام الذي به الهدى والدلالة الموصلة والفوز والفلاح وأشرق نور الاهتداء وشعاع الوصول فلاح ﴿وقد سعا﴾ أي علا دين الاسلام والله الحمد ﴿الاديانا﴾ أي سائر الاديان التي كانت قبله وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحاً فسائر الاديان غير دين الاسلام الذي جاء به سيد ولد عدنان منسوخة وكل عبادة لم يأت بها فهي باطلة مسموخة كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال (ان الدين عند الله الاسلام)

﴿وقد أنى في محكم التنزيل﴾ من الكتاب العظيم والذكر الحكيم ﴿من فضلهم﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام ﴿ما﴾ أي الذي يعني من الآيات المحكمات والكلمات الباهرات ﴿يشفي﴾ من شفى يشفي أي يبري ﴿للقابل﴾ بالعين المعجمة كالمير المعش أو شدته أو حرارة الجوف كما في القاموس والمراد ما يعطي حرارة الجهل بتقاماتهم الباذخة وينفي الوهم والغفل عن أطوار علومهم الراسخة كقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وكقوله (والسابقون الاولون) لا آيات وكقوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقوله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله تعالى (يا أيها الناس آمنوا بالله وكونوا مع الصادقين) قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أئمة الصادقين وكل صادق بعدهم فيهم يأتم في صدقه بل حقيقة صدقه اتباعهم وكونه معهم وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أي أمة خياراً عدولاً فإن هذا حقيقة الوسط فهم خير الامم وأعد لها في أقوالهم وأعمالهم وأراد انهم ونياتهم وبهذا استحقوا ان يكونوا شهداء

لرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ولهذا  
نوه بهم ورفع ذكركم وأثنى عليهم وقال تعالى ( وجاهدوا في الله حق جهاده هو  
اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين  
من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ) الآية  
التي غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الرحمانية

( و ) قد أتى أيضاً ( في الأحاديث ) النبوية ( وفي الآثار ) السلفية ( و ) قد  
أتى ( في كلام القوم ) من المحدثين والمقهاء والصوفية وأهل المعارف والحقايق  
والهمم الوفية والعلوم الشرعية والأفهام الذكية ( و ) في ( الأشعار ) المرضية من  
العرب والمولدين من مدحهم والثناء عليهم ( ما ) أي شيء ( قد ربا ) أي زاد  
وعلا ونما ( من أن يحيط نظمي ) في هذه الأرجوزة ويضيق ( عن بعضه ) فضلا  
عن غالبه وكله ( فاقنع ) بما ذكرناه لك من الآيات البانية والأحاديث الثابتة  
عن سيد نبي آدم وصفوة جميع العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وخذ )  
ذلك واعتمد عليه وصره اليك واعتصم به واستند إليه فإنه ( عن علم ) ويقين  
وايضاح وتبيين ومعرفة وتمكين وقوله واقع من القنوع وهو الرضا باليسير من  
العطاء وقد قنع يقنع قنوعاً وقناعة بالكسر إذا رضي وقنع بالفتح يقنع قنوعاً  
إذا سأل ومنه حديث « القناعة كنز لا يفنى » لأن الانفاق منها لا يتقطع فكلاما  
تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي وحديث « عز من قنع وذل  
من طمع » لأن القانع لا يذله الطالب فلا يزال عزيزاً وعلى كل حال فلا مقام بعد  
مقام النبوة أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحة نبوة صلى الله عليه  
وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قل تعالى ( محمد رسول الله والذين معه  
أشداء على الكفار رحماء بينهم ) الآيات وقل ( والسابقون الأولون من المهاجرين  
والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فمن تأمل في ما ذكرنا  
حق التأمل وأعطى المقام حقه نجح من قبيل ما انتحل الرانضة ونضيب ما  
ذهبت إليه من الإلحاد في آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
الافك والمناقضة فالمذر المذر من أدنى شائبة تزري بتلك المناصب الشائخة

والعلوم الراسخة ولهذا تقول

﴿واحد من الخوض الذي قد يزرى بفضلهم مما جرى لو تدري﴾  
 ﴿فانه عن اجتهاد قد صدر فاسلم أذل الله من لهم هجر﴾

﴿واحد﴾ حذر اذعان وتسليم مع سلامة صدر وامثال أمر النبي الكريم  
 ﴿من الخوض﴾ المفضي الى التوسع والتقيب والتبجح والتأنيب ﴿الذي قد يزرى﴾  
 وينقص ويحط ﴿بفضلهم﴾ المعلوم من الكتاب والسنة عند ذوي العلوم مما  
 ذكرنا في ما تقدم شذرة صالحة منه ﴿مما﴾ أي من الاختلاف والتخاصم والتشاجر  
 الذي ﴿جرى﴾ بينهم ﴿لو﴾ كنت ﴿تدري﴾ غب ذلك الخوض المفضي  
 الى توليد الاحن وحزازات القلوب والحقد على أصحاب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وذلك من أعظم الذنوب فانهم خير القرون وهم السابقون الاولون  
 وذلك أنه جرى بين علي ومعاوية وقبيلها وبعدها من المنازعات والمقاتلات  
 ما لو صدرت من سواهم أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق فضلًا عن غيره  
 والجواب عن ذلك ما أشير اليه بقوله ﴿فانه﴾ أي التخاصم والنزاع والتقاتل  
 والدفاع الذي جرى بينهم كان ﴿عن اجتهاد قد صدر﴾ من كل واحد من  
 رأسا الفرقين ٧ ومقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين وان كان المصيب في ذلك  
 للصواب ٧ واحدا وهو علي رضوان الله عليه ومن والاه والخطي هو من نازعه وعاداه  
 غير ان المخطي في الاجتهاد أجرا وثوابا خلافا لاهل الجفا والعناد فكل ما صح  
 مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه ينفي عنهم الذنوب والآثام  
 فمقولة علي مع العباس رضي الله عنهما لا تفضي الى شين وتقاعد علي رضوان الله  
 عليه عن مبايعة الصديق الاعظم في بدء الامر كان لاحد أمرين اما لعدم مشورته  
 كما عتب عليه بذلك واما وقوفا مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتول عليها  
 السلام مما ظنت أنها لها وليس الامر كما هنالك ثم ان عليا بايع الصديق رضي الله  
 عنهما على رؤس الاشهاد فاتحدت الكلمة والله الحمد وحصل المراد وتوقف علي  
 رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية تزايد

الغمداد والطغيان وكانت عائشة وطالحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم ومن اتبعهم ما بين مجتهد ومقلد في جواز محاربة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسين الأنزع البطين رضوان الله عليه وقد اتفق أهل الحق أن المصيب في تلك الحروب والتنازع أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه من غير شك ولا تدافع والحق الذي ليس عنه نزول آهم كلهم رضوان الله عليهم عدول لانهم متأولون في تلك المحاصمات مجتهدون في هاتيك المقالات فإنه وإن كان الحق على المعتمد عند أهل الحق واحد فالخطي مع بذل الوسع وعدم التقصير مأجور لا مأزور وسبب تلك الحروب اشتباه القضايا فلشدة اشتباها اختلف اجتهدهم وصاروا ثلاثة أقسام قسم ظهر لهم باجتهاد أن الحق في هذا الطرف وإن تخلفه باع فوجب عليهم نصرته المحق وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة الامام العادل في قتال البغاة في اعتقاده وقسم عكسه سواء بسواء وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحمل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر ما يوجب ذلك وبالجملة فكلمهم معذورون ومأجورون لا مأزورون ولهذا اتفق أهل الحق ممن يمتد به في الاجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم ولهذا قل علماءنا كغيرهم من أهل السنة ومنهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة واقراء وسماعا وتسميعا ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفرا ولا نسقا بل ربما يثابون عليه لأنه اجتهاد سائغ ثم قل وقيل المصيب علي ومن قاتله فخطاؤه معفو عنه وإنما نهى عن الخوض في الظم لان الامام أحمد كان ينسب على من خاض ويسلم أحاديث الفضائل وقد تبرأ رضي الله عنه ممن ضلهم أو كفرهم وقال السكوت عما جرى بينهم وقال بعض المحققين البحث عن أحوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس هو مما ينتفع

به في الدين بل ربما أضر باليقين وإنما ذكر العالم منها تنفا في كتبهم صورة  
 للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتها ليتجنبها  
 من لا يصل إلى حقيقة علمها ولأن الخوض في ذلك إنما يصلح للتعليم وللدرد على  
 المنعصين أو لتدريس كتب تشتمل على تلك الآثار فيأول ذلك وبيئه للعوام  
 لفرط جهلهم بالتأويل مع أن غالب أوكل ما يحكيه الرافضة موضوع وأكثره باطل  
 مصنوع فلاجرم السلامة في التسليم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم  
 ولهذا قال ﴿فأسلم﴾ من الخوض في تلك البحور واحذر من العثار في ذلك الغطش  
 الديبور فزمن قارف الفتنة افتتن ومن تعرض بدينه للشبهات والشهوات اختبن  
 ثم إن الناظم دعا على طائفة الجفا والفجور وأهل الرفض والضلال ممن حاد  
 عن الأمر بالمأور فقال ﴿اذل الله﴾ سبحانه وتعالى وقد فعل ﴿من﴾ كل مبتدع  
 من الرافضة ومن وافقهم ﴿لهم﴾ أي للصحابة الكرام أولبعضهم ﴿هجر﴾ وعادى  
 ولم يوال ويحب وقد روى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه «إذا أراد الله  
 تعالى برجل من أمي خيرا أتى حب أصحابي في قلبه» وأخرج الترمذي من  
 حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه مرفوعا «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا  
 بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن  
 آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» والذي أجمع عليه أهل  
 السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم  
 والكف عن الطعن فيهم وإثاء عليهم فقد اتى الله سبحانه عليهم في عدة آيات من  
 كتابه العزيز على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لا وجبت الحال  
 التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل  
 الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين والقطع (١) بتعديلهم  
 والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم هذا مذهب كافة الأمة  
 ومن عليه المنول من الأئمة وأما من شذ من أهل الزبغ والابتداع ممن ضل وأضل

(١) انظر أين مفعول (لا وجبت) وما عطف عليه كلمة (القطع) ولعله سقط قبلها  
 (حبهم) أي لا وجبت الحال التي كانوا عليها من كذا وكذا حبهم والقطع بتعديلهم

فلا التفات إليهم ولا معول عليهم ولهذا قال الامام أبو زرعة العراقي من أجل شيوخ مسلم اذا رأيت الرجل بتمتص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى اليه ذلك كله الا الصحابة فمن جرحهم انما أراد! بطل الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (إن الذين سبقتم مننا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة والحاصل أنه لا يهجر الصحابة ويعاديهم الا عدو لله مبعود ٧ من رحمة الله خيث زنديق والله ولي التحقيق قال العلامة ابن حنبل في نهاية المبتدئين من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر وان لم يستحل فسق وعنه يكفر مطلقا وان فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر والله تعالى أعلم ولما أنهى الكلام على الصحابة الكرام حسبا يقتضيه المقام وان كان ما ذكر في جنب ما سكت عنه كقطرة من بحر طام وذاتة من نور عام ذكر التابعين لهم باحسان ثم تابعيهم كما قاله خير الانام فقال

﴿وبعدهم فالتابعون أخرى بالفضل ثم تابعوهم طرا﴾

﴿وبعدهم﴾ أي بعد الصحابة المخصوصين بالفضل والعدالة العامة والاصابة ﴿فالتابعون﴾ لهم باحسان ﴿أخرى﴾ أي أحق وأجدر ﴿بالفضل﴾ والاتقان والتقديم على غيرهم من سائر أهل الايمان وتعريف التابعي هو كل من صحب الصحابي ومطلنه مخصوص بالتابعي باحسان ويقال للواحد تابع وتابعي ولا بد في التابعي من زيادة على ما تعتبر به الصحبة في الصحابي كما تقدم لان الصحبة خصوصية كما بيناه ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة أو ثلاثة من الصحابة وبالعالم والزهد وغير ذلك وقد اختلف في أفضل التابعين قال سيدنا الامام أحمد وغيره من أهل العلم أفضل التابعين سعيد بن المسيب وقال قوم أفضل التابعين أويس بن عامر ويقال عمرو وكنيته أبو عمرو وهو القرني واستدلوا له بمحدث «خبر التابعين أويس» رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى



الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم «ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والده وكان به بياض (١) فمروه فليستغفر لكم» قال النووي هو أويس بن عامر كذا رواه مسلم وهو المشهور وقال ابن ما كولا ويقال أويس بن عمرو وهو القرني بفتح القاف والواو هو بطن من مراد وهو قرن بن رديان وغلطوا من نسبة الى قرن المنازل الجبل المعروف ميقات أهل نجد في الاحرام وفيه طلب الداء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم فان قيل كيف استجاز الامام أحمد ومن نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الصريح بالنقل الصحيح في تفضيل أويس القرني فالجواب ان مراد سيدنا الامام أحمد واضرا به أفضلية سعيد في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونفع الامة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فانه الامام الحافظ الثقة المأمون حتى قيل فيه أعلم أمة محمد بدين محمد بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي الله عنه والدليل على أفضلية التابعين قول النبي صلى الله عليه وسلم «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة— ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السم» زاد في رواية ويخلفون ولا يستحلفون رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ورواه أبو داود ولفظه «خير امتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ورواه مسلم من حديث أبي هريرة وفيه والله أعلم أذكر الثالث أم لا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لانمس النار مسلما رأيي أو رأي من رأيي رواه الترمذي من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله تعالى قال الامام المحقق بن القيم في أول كتابه اعلام الموقعين ألقى الصحابة الكرام الى التابعين

(١) سقط من الحديث شيء وأصله «وله والده هو بها بر لو أقسم الله على

الله لأبره وكان به بياض فبري» الخ اه مصححه

ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم  
 عن جبريل عن رب العالمين سندا صحيحا غاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا وقد  
 عهدناه اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم فجرى  
 التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا  
 قال ﴿ ثم ﴾ الافضل بعد التابعين ﴿ تابعوهم ﴾ أي اتباع التابعين لما تقدم من  
 صحيح الاخبار وصريح الآثار ﴿ طرا ﴾ أي جميعا وهو منصوب على المصدر أو  
 الحال لانهم سلكوا مسلكهم الرشيد (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط  
 الحميد) وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال اصدق القائلين (ثُلَّةٌ مِنَ الْاَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ  
 مِنَ الْاٰخِرِينَ) ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل في احدى الروايتين كما ثبت في  
 الصحيح من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضي  
 الله عنهم أجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني الحديث والقرن  
 أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الامور انقصودة والاصح انه  
 لا يضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى آخر  
 من مات من أصحابه وهو أبو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من نحو  
 مائة الى سبعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفي  
 هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة أسنمتها وأظهرت الجهمية  
 نحلتهما ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحننت أئمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن  
 وكان المقصود الاعظم منهم امامنا الامام أحمد فقام بأمر السنة أنهم قيام وعاضده  
 عليها ائمة اعلام وحفاظ الدين فخام شكر الله سبحانه وتعالى بهم أمين وظهر  
 مصداق قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ثم يفسو الكذب قال في النهاية خير الناس  
 قرني يعني الصحابة ثم التابعين والقرن أهل كل زمان وهو مقدار النوسط في أعمارهم  
 زمان مأخوذ من الاقران فكلمه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم  
 وأوامهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر  
 قرن يقرن قرنا قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المشور القرن أهل كل  
 زمان وهو المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم

﴿ فصل ﴾

في ذكر كرامات الاولياء واثباتها

وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها واهمالها ولهذا قال  
 ﴿ وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح ﴾  
 ﴿ فإنها من الكرامات التي بها نقول فاقف للدلالة ﴾  
 ﴿ ومن نفاها من ذوي الضلال ففسد أتى في ذلك بالحال ﴾  
 ﴿ فإنها شهيرة ولم تزل في كل عصر ياشقأ أهل الزلل ﴾

﴿ وكل خارق ﴾ معادة من الخوارق وهي سنة انواع (الاول) المعجزة وتقدم الكلام عليها الثاني الارهاص وكل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها قبلها كقصة أصحاب الفيل ( الثالث ) الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهرا الصالح ملتزم لمتابعة نبي كلف شرعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم به ذلك العبد الصالح لم يعلم ( الرابع ) الاستدراج والمكر ( الخامس ) المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصا لهم من المحن والمكاره ( السادس ) الاهانة والاحتقار كما فعل مسيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ومن نقله في برعذبة ليزداد ماؤها حلالة فصار ملحا أجاجا ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعبذة ونحوها

والحاصل ان الكرامة لا بد أن تكون أمرًا خارقًا للعادة ﴿ أتى ﴾ ذلك الخارق ﴿ عن ﴾ أمرى ﴿ صالح ﴾ وهو الولي العارف بالله وصعابه حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر ورائي ولا بد أن يكون صدور ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من ﴾ اسان ﴿ تابع لشرعنا ﴾ معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواه قد نسخت وان يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة فلا يكون مقرونا الايمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة

كما تقدم آنفا ولا اعتبار كون من صدرت عنه الخوارق عارفاً مطيعاً ظاهر الصلاح  
 متابعاً لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أشار بقوله ﴿ وناصح ﴾ لله ولرسوله ولكتابه  
 ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخاصتهم  
 عامتهم فإن الدين النصيحة فما يصدر من الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين  
 ونزوات المقتربين من قبيل المكر والاستدراج والمحن والاعوجاج وأما إذا صدرت  
 عن ذكر من الصالح الناصح المتابع لشرعنا القويم وديننا المستقيم ﴿ فأنها ﴾ تكون  
 ﴿ من الكرامات التي بها ﴾ أي بجوازها ووقوعها ﴿ نقول ﴾ معشر أهل السنة من  
 السلف والخلف قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وكرامة الأولياء حق وانكر الامام  
 أحمد رضي الله عنه على من أنكرها وضالاه قال وتوجد في زمن النبوة واشراط  
 الساعة وغيرها ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى  
 ولا على ولايته لجواز سلبها وان تكون استدراجاً له يعني ان مجرد الخارق لا يدل  
 على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا  
 طلبه تشرىفاً له ظاهراً ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي الله تعالى غالباً  
 بذلك وقيل بل لا يلزم من صحة الكرامات وجودها صدق من يدعيها بدون  
 بينة أو قرائن حاله تفيد الجزم بذلك وان مشى على الماء وفي الهواء أو سخرت  
 له الجن والسباع حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الامر والنهي وان وجد  
 الخارق من نحو جاهل فهو مخرقة ومكر من ابليس واغواء واضلال ولا شيء  
 على من ظن الخير ممن يراه منه وان كان في الباطن شيطاناً وحسن الظن بأهل  
 الدين والصلاح حسن ﴿ فاقف ﴾ في اعتقادك الصالح ونهيك الناجح أي انبم  
 ﴿ للدلالة ﴾ الشرعية والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية فان كرامات الاولياء  
 ثابتة بالعيان والبرهان أما أولاً فان وجودها جائز عقلاً واقع عياناً وشرعاً فان  
 حمل مريم بلا ذكر ووجود الرزق عندها بلا سبب من فاكهة الصيف في الشتاء  
 وفاكهة الشتاء في الصيف من الخوارق وليدنا بتمجزيين لعدم شرط المعجزة وهو  
 دعوى النبوة والتحدي فتعين كون ذلك كرامة لها وأيضاً قصة آصف بن برخيا  
 فان احضاره عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر خارق للعادة حتماً وأيضاً قصة

أصحاب الكهف فان بناءهم ثلاثمائة سنين بلا آفة من أعظم الخوارق وثانياماتواتر معناه وان كانت تفاصيله آحادا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم والى وقتنا هذا مما ذاع وشاع وملا الآفاق والاسماء وضاعت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الا كابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند ومكابر فلا جرم فهو الحق الصراح الرادع لاهل الانكار والكفاح وهو مع كونه كرامة ان ظهرت على يديه غالباً فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على يديه وحقيقة دينه واستقامته منهجه ومن ثم قلنا ﴿ ومن ﴾ أي أي انسان كاننا من كان ﴿ نفاها ﴾ أي كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلا عن وقوعها ﴿ من ذوي ﴾ أي أصحاب ﴿ الصلال ﴾ والزيغ عن نهج أهل السنة والاعتزال وكذا من نحا نحوهم من أهل السنة كالاستاذ أبي اسحق الاسفرايني وعبد الله الحلبي من الاشاعرة ﴿ فقد أتى في ذلك ﴾ النفي وعدم التجوز لها ﴿ بالمحال ﴾ المابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن فمع هذه الأدلة المتواترة والوقائع المتكاثرة فلا إنكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معول عليه وزعمهم ان الخوارق لو جز ظهورها من الاولياء لا تنبس النبي بغيره اذ الفرق ما بينها انما هو بالمعجزة و بانها لو ظهرت لكثرت الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والغرض كونها خارقا فاذا خرجت عن كونها خارقا لكثرتها نافيت المقصود وخالفته ولانها لو ظهرت لا لغرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز أن يكون ما يظهر من النبي لغرض آخر غير التصديق و بان مشاركة الاولياء للانبياء في ظهور الخوارق بمحل بعظيم قدر الانبياء ووقوعهم في النفوس باطل اماخذ غير صالح لتمسك به والتعويل عليه والالتفات له والمصير اليه حتى ولو لم تكن الأدلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية ومشاهدات العيانة أكثر من ان نحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى ولهذا قال معلالما ارتكبه في نفيها من المحال ﴿ لانها ﴾ أي كرامات الاولياء كثيرة ﴿ شهيرة ﴾ العيان ثابتة بالبرهان ﴿ ولم تزل ﴾ تظهر على يد الاولياء الصالحين وأهل التحقيق العارفين ﴿ في كل عصر ﴾ من الاعصار الماضية والى الآن والعصر مثلثة

وبضمتين الدهر ويجمع على اعصار وعصور وأعصر وعصر و يطلق العصر على اليوم والليلة والعشي الى احمرار الشمس وذلك كما تقدم من حكاية قصة مرهم وعرش بلنيس وقصة أصحاب الكهف والمشي على الماء كما نقل عن كثير من الاولياء من الصحابة وغيرهم كما في قصة العلاء بن الحضرمي من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فإنه لما ذهب الى البحر بن سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل فصلى ركعتين ثم قال يا حلیم يا علیم يا علي يا عظیم اسقنا فجاءت سحابة فأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خلبج من البحر ماخيز قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفنا فصلى ركعتين ثم قال يا حلیم يا علیم يا علي يا عظیم اجزنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قل جوزيا باسم الله قل أبو هريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قزم ولا خوف ولا حافروا كالجيش اربعة آلاف - والطيران في الهواء كما في قصة جعفر بن ابي طالب ذي الجناحين رضي الله عنه وكقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويته لجيش سارية وهو على المبر بالمدينة بدهاوند فنادى وهو على المنبر لامير الجيش سارية فقال : يا سارية الجبل تحذيرا له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل وسماح سارية مع بعد المسافة وكشرب خالد بن الوليد رضي الله عنه السم من غير أن يحصل له تضرر به وكجربان الليل بكباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وامثال ذلك من كرامات الصحابة رضي الله عنهم مما لا يحصى الا بكلفة وكذلك كرامات السابقين ومن بعدهم ما هو طافح مشهور لا يمكن رده وانكاره لانه في غاية البيان والظهور ولذا قال لمن انتحل المحال ﴿ يا شقا أهل الزلل ﴾ بما ارتكبوا ويا خسارتهم لما اتحلوا من رد المحسوس وتكذيبهم للبرهان بوساوس النفوس ومكابرتهم لافكار العيان بمجرد الوهم والهوس وقد قال علماءنا ان كرامة الولي وظهور الخارق على يده من كونه من آحاد الامة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لانه يظهر بذلك الكرامة انه ولي ولن يكون وليا الا وان يكون محققا في ديانته وديانته هي الاثر بالقلب والاسنان والاقبياد بالجوارح والاركان لمساخا به نبيه المتبوع ورسوله الذي عليه المعول والى ما جاء به الرجوع والطاعة لاوامره والاذن بها عن زواجره

في السر والاعلان حتى لو ادعى هذا الذي ظهرت على يده الكرامة الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر الخارق على يده ولو فرض ظهوره فهو حينئذ من قبيل الاستدراج والحاصل ان الامر الخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله فالنبي لا بد من علمه بكونه نبيا ومن قصده اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات وأما الولي فلا يلزم ان يعلم بولايته ويسر كرامته ويسرها ويجتهد على اخفاء أمره كما تقدمت الاشارة الى ذلك كله ۞

### ﴿ تبيينات ﴾

(الاول) وافق أبو حنين البصري المعتزلي ومن نحا منحاه أهل السنة في جواز كرامات الاولياء ووقوعها (الثاني) يجوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ولو كقلب العصاحية وكوجود ولد من غير أب لا يمثل ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو أعظم المعجزات وأخص الآيات وقال قوم الكرامات تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه قال الامام النووي وهذا غلط من قائله وانكار للحسن بل الصواب جريانها حتى في قلب الاعيان ( الثالث ) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي مادام عاقلا بالغنا الى مرتبة سقوط التكليف عنه بالاوامر والنواهي ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ومن الزندقة ما زعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا منحوم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلا وقد من هذا الكلام في تزييف هذا المقام بما يحصل به المرام والله ولي الانعام (الرابع) قال بعض المحققين للولي أربعة شروط (أحدها) أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمتنبي ( الثاني ) أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفي عن ذلك في اصول التوحيد فلو أذهب الله تعالى علماء أهل الارض لوجد عنده ما كان عندهم ولأقام قواعد الاسلام من أولها الى آخرها ( قلت ) وهذا غير معبر ولا مشترط في مطلق الولي من غير تردد نعم يعتبر هذا في المجتهد المحدود دون مطلق الولي والله أعلم ( الثالث ) ان يتخلق بالاخلاق المحمودة

التي دل عليها الشرع والعقل من الورع عن المحرمات بل والمكروهات وامتنال  
 المأمورات واخلاص العمل وحسن المتابعة والافتداء (الرام) أن يلازمه الخوف  
 أبدا واحتقار النفس سرمدان وان ينظر الى الخلق بعين الرحمة والنصيحة وأن يبذل  
 جهده في مراقبة محاسن الشريعة ومطاعة عيوب النفس وآفاتهما والخوف بملاحظة  
 السابقة والخاتمة ويجمع ذلك كله ويزيد عليه قوله تعالى (ألا أن أولياء الله لا خوف  
 عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون علمهم البشري في الحياة الدنيا وفي  
 الآخرة لا يتبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم والله تعالى أعلم

## ﴿نصل﴾

في المفاصلة بين البشر والملائكة وهي مسئلة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف  
 وشعبت فيها الاقوال وعظمت فيها المحن والجدال ولكثرة الخلاف فيها وتباين  
 أقوال الأئمة من المتكلمين وغيرهم في تفاصيلها قلنا في النظم

﴿وعندنا تفضيل أعيان البشر على ملاك ربنا كما اشتهر﴾

﴿قال ومن قال سوى هذا افتري وقد تعدى في المثال واجتري﴾

﴿وعندنا﴾ معشر أهل السنة خصوصا أهل الاثر وسلف الامة وكبار الائمة فانهم يقولون  
 ويعتقدون (تفضيل أعيان البشر) محرمة الانسان ذكر أو أنثى ويطلق البشر على  
 الواحد والجمع وقد بنى ويجمع ابشارا والمراد بأعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
 والاولياء فالانبياء أفضل من الاولياء وهما أفضل من الملائكة وقيل كل صالح  
 وأفضل من الملائكة قال الامام أبو انوفا بن عقيل الصحيح تفضيل الانبياء  
 الصالحين على الملائكة والملائكة أفضل من الفسقة وقال تارة الانبياء أفضل  
 من الملائكة وجبريل واسرافيل وميكائيل أفضل من الاولياء وقال سيدنا  
 الامام أحمد رضي الله عنه بنو آدم أفضل من الملائكة وانذا قلنا ﴿على ملاك  
 ربنا﴾ تبارك وتعالى ﴿كما اشتهر﴾ ذلك من نصوص امامنا الامام أحمد رضي  
 الله عنه والملاك هو الملك وجمعه ملائكة وحذفت همزة ملاك لكثرة الاستعمال  
 وأصل وزنه مفعل فزيل ملاك وقد تحذف الهاء من الجمع فيقال ملائك وأصله  
 ما لك بتقديم الهمزة من اللوكة وهي الرسالة ثم قدمت اللام على الهمزة في الجمع



كما في النهاية وغيرها ﴿ قال ﴾ امامنا الامام أحمد رضي الله عنه ﴿ ومن ﴾ أي انسان ﴿ قال ﴾ بلسانه أو اعتقد بجنانه ﴿ سوى هذا ﴾ أي غير القول بتفضيل بني آدم على الملائكة ﴿ اقبرى ﴾ أي أنى بكلام خطأ يشعر بالافتراء ﴿ وقد تعدى ﴾ أي تجاوز الحد المنقول والثابت عن الرسول والسلف الفحول ﴿ في المقال ﴾ الذي اعتمده ﴿ واجترى ﴾ أي افتات على الشارع بالاعتقاد الذي اعتمده وانظر النص يخطئ من فضل الملائكة وقيل كل مؤمن أفضل من الملائكة قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقل الامام العلامة أبو بكر عبدالعزيز ابن جعفر المشهور بفلام الحلال رحمه الله تعالى من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه هذا محصل قول جل أصحابنا وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد سئل شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه عن صالحى بني آدم والملائكة أيهما أفضل فأجاب بأن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الاعلا منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقين في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الاحوال الآن أكمل من احوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحى البشر أكمل من حال الملائكة قال وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفرقين وبصالح كل منهم على حقه قال ابن القيم فعلى المتكلم في هذا الباب يعني باب التفاضل بين الاشياء ان يعرف أسباب الفضل أولا ثم درجاتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها ثانيا ثم نسبتها الى من قامت به ثالثا كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد لشجاعته وحرابه وكمال ابن عباس بعلمه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا قال فهذه أربع مقامات يضطر اليها المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد من الهوى والغرض انتهى ملخصا

تنبيهات

(الاول) قد علمت ان هنا ثلاث صور (الاولى) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفي هذه ثلاثة أقوال (أحدها) الانبياء أفضل وعليه جمهور أهل الحق من أهل السنة وهو الصواب (الثاني) الملائكة أفضل وهو قول المعتزلة واختاره من الأشاعرة أبو اسحق الاسفرائيني وأبو بكر الباقلاني والحاكم والخليلي وفخر الدين في المعالم وأبو شامة واختار فخر الدين (الاول) في الاربعين وفي المحصل (الثالث) اوقف عن القول بالتفضيل لاحد النوعين على الآخر ومحل الخلاف على هذا القول في غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمهوا فافضل الخلق بلا خلاف لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد ممن حكى الخلاف كالسيوطي في الحبانك والنج السبكي في منع الموانع والسراج البلقيني في منهج الاصلين وبدر الدين الزركشي ونقل فخر الدين الرازي لاجماع على ذلك وكأنه أراد اجماع أهل السنة

(الصورة الثانية) التفاضل بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الانبياء وهذه الصورة زعم بعضهم في الخلاف بان خواص الملائكة أفضل ونزل السموات لتمتازاني في شرح عقائد الذمفي الاجماع على ان خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والانبياء وهذا مردود مدخول فقد قدمنا ان معتمد القول عند علمائنا ومن وافقهم ان الاولياء أفضل من خواص الملائكة نعم ابن عقيل خالفهم في ذلك فقال خواص الملائكة من جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت أفضل من الاولياء وقال في القول بخلاف هذا شناعة عظيمة على قائله كذا قال مع أنه هو نفسه صرح بان الانبياء والاولياء أفضل من الملائكة وصحح ذلك (الصورة الثالثة) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص الملائكة وفي هذه قولان (أحدهما) تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر وجزم به ابن السبكي في جمع الجوامع وذكر البلقيني في منهجه أنه قول أكثر العلماء والثاني تفضيل اولياء البشر على الملائكة وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم ومال البلقيني الى بعضه وهو أنه قد يوجد من اولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة وقال قوم من أهل السنة

ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من انبيسرا افضل من الاولياء من الملائكة وذهب آخرون الى ان الملائكة افضل من سكان الارض وفصل جماعة من محبتي الما ريدية ومن وافقهم فقالو رسل البشر كموسى عليه افضل الصلاة والسلام افضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ورسل الملائكة كاسرافيل عليه السلام افضل من عامة البشر وهم اولياؤهم غير الانبياء كابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة البشر كاولياؤهم غير الانبياء افضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحاملة العرش والكروبيين وهذا نحو ما حكينا عن ابن عقيل واحتج أهل هذا التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه الضرورة واحتجوا على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوه سنذكرها ونقل البلقيني في منبهج الاصلين ان الخار عدا نية ان خواص البشر وهم الرسل افضل من جملة الملائكة والملائكة الخواص افضل من الانبياء غير المرسلين والانبياء افضل من غير الخواص من الملائكة قول ومنهم من وقف في التفضيل بين صالحى البشر والملائكة كذا قال والحق المعتمد عندهم ان خواص البشر كالانبياء افضل من خواص الملائكة كرسلمهم وخواص الملائكة كرسلمهم افضل من عوام البشر كالاولياء وعوام البشر افضل من عوام الملائكة وهم غير الرسل منهم والله اعلم

(النذية الثاني) فى بعض أدلة مذهب أهل الحق من تفضيل صالحى البشر على الملائكة خلافا لعمدة ملة والفلاسفة ومن نحو نحوهم منها قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فالسجود له افضل من السجود فان قيل لم لا يجوز ان يكون السجود لله تعالى وآدم كلقبة فالجواب انه لو لم يكن السجود دالا على منصب المسجود على الساجد لما قال ابليس (أرايتك هذا الذي كرمت علي) اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد (ومنها) ان آدم عليه السلام كان اعلم من الملائكة والاعلم افضل لقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها الى قوله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) (ومنها) ان طاعة البشر اشق

والاشق أفضل فان البشر محبوبون على الشهوة والحرص والغضب والهوى ونحوها وهذه من أكبر الموانع وهي مفعودة في الملك (ومنها) قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) والعالم عبارة عما سوى الله تعالى والآل يراد به الرجل نفسه ويراد باقاربه الاذنون ويراد به اتباعه فان قيل يشكل هذا في قوله تعالى في بني اسرائيل (واني فضلتكم على العالمين) إذ يلزم على ظاهر هذا تفضيل انبياء بني اسرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب أولا الآية تحتل اختصاص وثانيا من شرط العالم انفصل عليه أن يكون موجودا (١) حال وجود انبياء بني اسرائيل اما الملائكة فهم موجودون حال وجود محمد صلى الله عليه وسلم (ومنها) ان الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل ولا آدمي له عقل وشهوة ثم ان الآدمي ان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهائم كما قال تعالى ( أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٢) ) واذا رجح عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة فمن يطع الله وأمره وطيبته معجونة بالشهوة والهوى ويقمع شهوته ويخالف هواه تكون عبادته أفضل ألا ترى من ابتلى من الملائكة بالشهوة كيف وقع في المعصية على ما قيل وذكري نحو هذا البيهقي وقال كما وقع لهاروت وماروت وساقها من ثلاثة طارق ثم أخرج البيهقي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال ان أكرم خليفة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قيل رحمتك الله وأين الملائكة قال الملائكة خلق كخلاق الارض وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق وان أكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وأخرج البيهقي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا على أهل السماء وعلى الانبياء قال وما فضله على أهل السماء قال ان الله قال لأهل السماء (ومن يقل منهم اني له ان دونه فذلك تجزيه جهنم) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك

(١) لعل هنا حذفاً هو «ولم يكن محمد (ص) موجوداً» اهـ مصححه

(٢) قوله تعالى (سبيلا) ليس من هذه الآية بل تمتها «أولئك هم الغافلون» وفي آية أخرى «انهم الاكلاً لعام بل هم أضل سبيلا» اهـ مصححه

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما شيء أكرم على الله من بني آدم قيل يارسول الله ولا الملائكة قال الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر» قال البيهقي تفرد به عبيد الله بن غانم السلمي عن خالد الحذاء وعبيد الله قال البخاري عنده عجائب قال ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا على ابن عمرو وهو الصحيح قال البيهقي ومن قال بالقول الآخر هو تفضيل الملائكة على سكان الأرض أشبه ان يقول اذا كان التوفيق لطاعة من الله تعالى وجب ان يكون الافضل من يكون توفيقه له وعصمته اياه أكثر ووجدنا الطاعة التي وجودها بتوفيقه وعصمته من الملائكة أكثر فوجب ان يكونوا بذلك أفضل وأخرج البيهقي أيضا حديث «ما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة رب خلقتهم يا كاون و يشر بون و ينكحون و يركبون فاجعل لهم الدنيا و لنا الآخرة فقال الله تبارك و تعالى لا اجعل من خلقته بيدي و ففخت فيسه من روحي كمن قلت له كن فكان» قال وفي ثبوته نظر انتهى وقال العز بن عبد السلام في اثنا كلام له في انواع التفاضل بين الحوادث من الجواهر و الاجسام لا يفضل الملائكة على الانبياء الا هجم بنى التفضيل على خيالات توهمها و أوهام فاسدة تمعدها و لم ينفوا الخيالات و التوهيمات في امور يعلم انه خلافها انتهى و قال الامام بن عقيل من ثماننا في كتابه الارشاد مؤمنو اولاد آدم من الاولياء و الزهاد و الانبياء من طريق الاولى اشرف من الملائكة على قول أصحابنا قال و عندي ان فيه تفضيلا و ذلك ان في الملائكة من لا يجوز ان يفضل عليه الاولياء مثل جبريل و ميكائيل و ملك الموت و المقرين و لكني افضل عليهم الانبياء و منهم من يفضل عليه اولياء بني آدم و هم من عدا المقرين من الملائكة السياحة و غير ذلك قل و الدلالة على ان خواص الملائكة المرسلين و المقرين خير من الاولياء خلافا لاصحابنا ان هؤلاء ساوهم في العبادة و فضلوا بالقرب و الرسالة و سماع الكلام من الله تعالى الذي شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره و هذه الرتبة عظيمة لمن عقلمها و فارق الانبياء لانهم فضلوم بالرسالة و النبوة و معاناة الامم و التعليم و جعل الملائكة خدما لهم و لان في قولنا بان صالحا من بني

آدم خير من جبريل شناعه عظمة علينا من حيث سويتنا بينه وبين رتبة الانبياء  
 مع جلالة جبريل وعظمته وشرفه عند الله فان جبريل سفير الرحمن وحامل وحيه  
 الى الانبياء ثم قال واستدل من قال بالعموم بما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال  
 خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال « اوسعوا لمن خلفكم فقلنا ولمن توسع  
 يارسول الله قال للملائكة انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من  
 خلفكم وانما يكونون عن ايمانكم وشمالككم » قالوا امن فضلنا عليهم أو من فضلهم علينا  
 قل « انتم افضل منهم » وأبصا عن النبي صلى الله عليه وسلم « مؤمن أكرم على الله من  
 الملائكة الذين عنده » وأبصا اللفظ المشهور « ان الله ته الى يباهي ملائكته بأهل عرفات  
 ولا يباهي الا بالافضل وأبصا فان جبريل فتخر بأن يسمى من أهل البيت وسأل  
 النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء وكان تحته فاطمة والحسن والحسين  
 انتهى والجواب عن هذا اما حديث أبي هريرة الاول فموضوع لانه يحمل روايته فضلا  
 عن الاحتجاج به ومن حكم بوضعه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية وأورده  
 الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله قالوا من فضلنا عليهم  
 الخ وحكم بوضعه وأما حديث « المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده »  
 فالمعروف من نغز الحديث « المؤمن اكرم على الله من بعض ملائكته » كذا رواه ابن  
 ماجه وهذا اللفظ لا يدل على تفضيل الاوليا على جميع الملائكة بل على بعضهم  
 وحديث المباهاة لا يدل على الافضية وأما حديث ان جبريل عليه السلام افتخر  
 بأن يسمى من أهل البيت وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء  
 فلا أصل له قال الحافظ السهوتي لم أقف له على أصل في شيء من كتب الحديث  
 وكيف يحسب أحد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل واسرافيل  
 وعزرائيل مع ما في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال أدركت ثلاثين من أصحاب  
 النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان  
 جبريل وميكائيل وقال سراج الدين البلنبي الا اكثر من الاشاعة على تفضيل  
 الانبياء على الملائكة وذعب القاضي أبو بكر الباقلاني والخلعي الى ان الملائكة  
 العلوية أفضل وينبغي أن يكون محل الخلاف في غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو

أفضل خلق الله أجمعين قال وأما الصالحون من البشر غير الانبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم وعندنا ان من كان منهم تقيا نقيًا موافيا الموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار المشقات في عباداته مع ما فيه من الدواعي الى الشهوة وغيرها لاسيما من كان خليفة سيد الاولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والسلام وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع أما تفضيل الانبياء على الملائكة فهو عقيدة الاشعري وجهور أصحابه وهو آخر أقوال أبي حنيفة فبما ذكره شمس الأئمة لاجتماع المعصية مع التركيب المعرض للنوائب التي يجب الصبر عليها والشهوات التي يجب الصبر عنها ومن أحسن الأدلة قوله تعالى بعد ذكره جماعة من الانبياء (وكلا فضلنا على العالمين) والملائكة من العالمين فدل على أهمهم أفضل منهم وقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) وأراد بني آدم لان الملائكة لا يجازون بل هم خدم أهل الجنة ولان الانبياء قامت حجة الله على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) ولان آدم سجده للملائكة والمسجود له أفضل من الساجد كما تقدم ثم في الانبياء من هو أفضل من آدم ولان الناس في الموقف انما يتشفعون بالانبياء لا بالملائكة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لاشك ان للبشر طاعات لم يثبت مثلها (للملائكة) كالجهاد والغزو ومخالفة الهوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلايا والمحن والرزيا وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويبشرونهم باحلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة وقال بعض المحققين انفقوا على ان العصاة من المؤمنين دون الانبياء والملائكة فاما المطيعون فاختلغوا في المفاضلة بينهم وبين الملائكة على قوانين وقال ابن يونس من الشافعية في مختصره في الاصول بعد ذكر القوانين وقال الاكثر من مسا المؤمن الطائع أفضل من الملائكة وقال ابن المنير مذهب أهل السنة ان الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسالة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجرد ما أفضل من الملائكة ومعاذ الله والله أعلم

(التنبيه الثالث) قد أشرنا فيما تقدم ان المعتزلة ذهبت الى تفضيل الملائكة

على البشر حتى على الرسل والأنبياء واختاره من الأشاعرة القاضي أبو بكر  
البلاقلاني وأبو اسحق الأسفرايني والحافظ أبو عبد الله الحاكم والمبهي والمفخر  
الرازسي في المعالم دون الأربعة وأبو شامة ومن نحنا نحوم واحتجوا بحجج  
منها قوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) قالوا  
فهذا يقتضي كون الملائكة أفضل من المسيح ألا ترى أنه يقال ان فلاناً لا  
يستنكف الوزر من خدمته ولا السلطان ولا يقال إنه لا يستنكف السلطان من  
خدمته ولا الوزير فلما ذكر المسيح أولاً والملائكة ثانياً علمنا ان الملائكة أفضل  
من المسيح والجواب عنه من وجوه (الاول) ان محمداً صلى الله عليه وسلم وكذا ابراهيم  
الخليل أفضل من المسيح عليه السلام فلا يلزم من كون الملائكة أنزل من المسيح كونهم  
أفضل من محمد ولا من ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (الثاني) ان قوله ولا الملائكة  
المقربون صيغة أجمع فتساو الكل فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من  
المسيح فلم قلتم أنه يقتضي كون كل واحد من الملائكة أفضل من المسيح (الثالث)  
ان الواو في قوله ولا الملائكة المقربون حرف عطف وهو انما يفيد الجمع المطلق  
لان الترتيب والمثال الذي ذكرتموه ليس بحجة لان الحكم الكللي لا يثبت بالمثال  
الجزئي ثم أنه معارض بنحو قولك ما أعاني على هذا الامر لاعمر ولا زيد  
فهذا لا يفيد كون المتأخر في الذكر أفضل من المتقدم ومنه قوله تعالى (ولا الهدي  
القلائد ولا آمين البيت) ولما اختلفت الامة امتنع التعويل عليها ثم في التحقيق في  
المسئلة أنه اذا قيل هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزر ولا السلطان فنحن  
نعلم بقولنا ان السلطان أعظم درجة من الوزر فعرفنا ان الغرض من ذكر الثاني  
هو المبالغة فهذه المبالغة انما عرفناها بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب في الذكر فلا  
يمكن ان نعرف ان المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان المبالغة الا اذا  
عرفنا قبل ذلك ان الملائكة المقربين أفضل من المسيح وحينئذ يتوقف صحة  
الدليل على صحة المطلوب وذلك دور (الرابع) هب ان الآية الكريمة دالة على  
ان منصب الملك أعلى وأزيد من منصب المسيح لكن لا تدل على الزيادة من  
جميع الوجوه فالملك أزيد من جهة القوة والقدرة والبطش فان جبريل عليه السلام



قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدر أن على مثل ذلك فلم قلتم ان الملك أفضل من البشر في كثرة الثواب الحاصل بسبب مزيد الخشوع والعبودية وتام التحقيق ان الفضل المختلف فيه في هذه المسئلة هو كثرة الثواب ثم ان كثرة الثواب لا تحصل الا بنهاية التواضع والخضوع وكون العبد موصوفا بنهاية التواضع لله تعالى لا يلائم صبرورته مستنكفا من عبودية الله تعالى بل يناقضها وينافيها فامتنع ان يكون المراد من الآية هذا المعنى وأما اتصاف الشخص بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فإنه مناسب للتمرد وترك العبودية فالصارى لما شاهدوا من المسيح إحياء الموتى وإبراء الأكمه والابريص أخرجه بسبب هذا القسر من القدرة عن عبودية الله تعالى فقال تعالى ان عيسى لا يستنكف بسبب هذا القدر عن عبوديتي ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه في القدرة والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين وعلى هذا الوجه تنتظم دلالة الآية على ان الملك أفضل من البشر في الشدة والقوة والبطش اكنها لا تدل البتة على ان الملك أفضل من البشر في كثرة الثواب ويقال أيضا انما دعوت الصارى إلهية عيسى لانه وجد لامن أب فقيل لهم الملك حصل ووجد لامن أب ولا من أم فكيف يستنكف المسيح عن العبودية لكونه وجد من أم لا من أب والملك الذي وجد لامن أب ولا من أم لا يستنكف عنها فالملائكة أعجب في هذا من المسيح في هذا الباب مع أنهم لا يستنكفون عن عبودية الله تعالى

ودنها قوله تعالى (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته) والاستدلال هذه الآية الكريمة من وجهين (الاول) أنه تعالى احتج بعدم استكبار الملائكة عن عبادته على ان البشر يجب ان لا يستكبر عنها ولو كان البشر أفضل من الملائكة لما تم هذا الاستدلال فان السلطان اذا أراد ان يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فإنه يقول الملوكة لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين وبالجملة فظاهر ان هذا الاستدلال لا يتم الا بالاقوى على الاضعف (الثاني) أنه قال ومن عنده وهذه عندية الفضيلة والقربة والجواب عن هذا فهم مما قبله وهو ان الملائكة مع تمام قوتهم وشدة بطشهم لا يتمردون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون فما بال البشر يتمردون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم وهذا

يوجب كون الملك أقوى من البشر لا كونه أفضل منه بمعنى كثرة الثواب  
ويجاب عن الثاني أنه معارض بقوله تعالى في صفة البشر ( في مقعد صدق عند  
ملك مقتدر ) وقوله عليه السلام - كناية عن الله تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم »  
وهذا أفضل لأنه قال في الملائكة أنهم عند ربهم وقال في وصف المنكسرة قلوبهم  
ان ربهم عندهم

ومنها ان عبادات الملائكة أدوم وأشق فوجب ان تكون أفضل يشاهد  
قوله تعالى ( يسبحون الليل والنهار لا يفترون ) ونلي هذا التقدير لو كانت أعمارهم  
مساوية لأعمار البشر لكن طاعتهم أدوم وأكثر فكيف ولا نسبة لعدد كل  
البشر الى عمر الملائكة وانما فضل الادوم لأنه أشق فكان أفضل وفي الحديث  
« خيركم من طال عمره وحسن عمله » والجواب عن هذه بأن لا حجة لهم في  
شيء من ذلك أما كون عبادتهم أشق بل عبادة للبشر أشق لما فيهم من  
دواعي التخلف والتقاعد والفتور وانما يدل جمع ذلك على قوة الملائكة وهذا  
مسلم ولا حجة لهم أيضا في الحديث لأنه خطاب لبشر خاصة ولا يلزم من تفضل  
أحد الانواع بشيء التفاضل به في غيره كما لا يخفى وأنت اذا تأملت ما تعلقوا به  
حق التأمل وجدته غير دال على مطلوبهم وقد قامت الأدلة من الطرف الآخر  
على تفضيل الانبياء وكذلك من ألقناهم بهم في التفضيل في الجملة ولا يذهب  
عليك أنه لا خلاف في فضيلة الملائكة وانما الخلاف في أفضليتهم على خواص بني آدم  
هذا وقد قل بعض العلماء مسألة تفضيل البشر على الملك أو الملك على البشر ليست  
مما يقصر اعتقاده ويضر الجهل به ولو اتى العبد ربه ساذجا من المسئلة بالكلية  
لم يكن عليه ثم فما هي مما كلف الناس بمعرفته

وقال القاضي تاج الدين السبكي اناس ثلاثة رجل عرف ان الانبياء أفضل من  
الملائكة واعتقده بالدليل وأخرجهم هذه المسئلة ولم يشتغل بها بالكلية وهذا لا ضرر  
عليهما قول وثالث قضى بأن الملك أفضل وهذا على خطر وهل يقال ان من قضى بتفضيل  
الانبياء على خطر فيكون الساذج أسلم منه أو أنه ناج لاصابة الحق من الخطر هذا موضع  
نظر نال والذي أفهمه عن الوالد السلامة في السكوت عن هذه المسئلة وان الدخول في

التفضيل بين هذين الصنفين الكريهين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلا للحكم فيه وقد جاءت أحاديث تحسم بأشارتها مادة الدخول في ذلك فان قوله صلى الله عليه وسلم «لا تفضلوني على يونس بن متى» ونحوه ونحن على قطع بانه صلى الله عليه وسلم أفضل من يونس عليه السلام ولم يختلف في ذلك أحد لانه اشارة الى أنكم لا تدخلون في أمر لا يعينكم وما للسوقة والدخول بين الملوك وأعني بالسوقة في هذا المثلثا وبالملوك الانبياء والملائكة عليهم السلام وقد علمت مذاهب الناس مما أسألنا والله أعلم

(التنبية الرابع) اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام وعدمه قال العلامة شمس الدين بن مفلح في كتابه الفروع ما نصه قال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات قال ومذاهب العلماء اخراج الملائكة من التكليف والوعود والوعيد انتهى وتقدم من الكلام على الجن وكذا قال في الفروع قبيل باب الامامة في كلام أبي المعالي ان كشف العورة خاليا هي مسألة سترها عن الملائكة والجن قال وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم يجب عن الجن لا هم مكلفون ايجابا وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لان الآدمي مكلف وقد أمر الشارع في خبر مهن بن حكيم بحفظها عن كل أحد الا من زوجه وأمه وهذا مع العلم بحضورهم انتهى ملخصا ولعل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والافهم مكلفون قطعاً قال ابن جماعة في شرح بره لا مالي المسكرون على ثلاثة أقسام قسم كف من أول الفطرة وهم أولاد آدم وقسم فيهم نزاع والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن انتهى قلت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة ذفيه لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرن - ومن يزعم منهم عن أمرنا نذقه من عذاب الهمير - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - يخافون ربهم من فوقهم - رقل (وهم من خشيته مشفقون - اذ اوحيت الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وهذا كله تكليف وناشي عن التكليف والاحاديث طائفة بمعنى ذلك والله أعلم

(الخامس) في ذكر بعض التفضيل بين المعلومات قال العز بن عبد السلام الجواهر

والاجسام كلها متساوية من جهة ذواتها وانما يفضل بعضها على بعض بصفاتها واعراضها  
وانتسابها الى الاوصاف الشريفة في التفاضل النفيسة وأوصلها تلميذه القراني في كتابه  
أنوار الفروق الى عشرين قاعدة أولها تفضيل المعلوم على غيره بذاته دون سبب يعرض  
له يوجب التفضيل له على غيره وله مثل أحدها الواجب لذاته المستغني في وجوده  
عن غيره كذات الله تعالى وصفاته الثاني العلم حسن لذاته وهو أفضل من الظن للقطع  
بعدم الجهل معه ونحوه الثالث الجاهل مع الظن وذلك لذات العلم لا لصفة قامت به كما ان الجهل  
تقيصة لذاته لا لصفة قامت به أوجبت قصه بخلاف الجاهل والعالم نقص الجاهل  
لصفة قامت به وهي الجهل وفضل العالم بصفة قامت به وهي العلم الثالث الحياة  
أفضل من الموت لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تتأني معها  
العلوم والقدر والارادات وغير ذلك من التصرفات وصفات الكمال كالتبوة  
والرسالة والولاية وغيرها وتعذر جميع ذلك مع الموت يعني ابتداء ذلك وان لم تنقطع  
هذه الاشياء بالموت ولا نفني ولا تضحل بل تدوم وتسنم ونلك الحياة لذاتها  
لا لمعنى أوجب لها ذلك الثانية التفضيل بالصفات الحقيقية القائمة بالمفضل كتفضيل  
العالم على الجاهل والفاعل المختار على الموجب بالذات بسبب الارادة والاختيار  
القائم به وتفضيل القادر على العاجز بسبب القدرة الوجود به القائمة به فهذا كله  
تفضيل بالصفات القائمة بالمفضل لذاته وبه خالف القاعدة الاولى اثنائية التفضيل  
بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر وتفضيل أهل الكتاب على عبدة  
الاوثان فأحل تعالى ذبايحهم وأباح تزويجنا من نسائهم دون عبدة الاوثان فانه  
جعل ما ذبحوه كالميتة وتصرفهم فيه بالذكاة كتصرف الحيوان البهيم من السباع  
والكواسر في الانعام لا أثر لذلك وجعل نساءهم كائاث الخيل والحخير محرقات  
الوطء كل ذلك اهتضام لهم لجحدم الرسالة والرسول كتفضيل الولي على آحاد  
المؤمنين المقصرين في الطاعة وقيل لاقتصارهم على أصل الدين الواجب وكثرة  
طاعة الولي وبذلك سمي وليا أي تولى الله بطاعته وقيل لان الله تعالى تولاها بلفظه  
ولذلك أيضا تفاضل الاولياء بينهم بكثرة الطاعة فمن كان أكثر تقربا الى الله  
تعالى كانت رتبته في الولاية أعظم كتفضيل الشهيد على غيره من حيث الجملة

لأنه أطاع الله تعالى ببذل نفسه وماله في نصرته ودينه وأعظم بذلك طاعة وكتفضيل العلماء على الشهداء كما جاء في الحديث «ما جمع الاعمال في الجهاد الا كنتقة في بحر وما الجهاد وجميع الاعمال في طلب العلم الا كنتقة في بحر» وفي حديث آخر «لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح (١) بسبب طاعة العلماء لله تعالى بضبط شرائعهم وتعظيم شعائره التي من جعلها الجهاد وهداية العباد الى الملك الجواد وتوصل معالم الاديان الى يوم الدين ولولا سعيهم في ذلك من فضل الله تعالى لا قطع الجهاد وغيره ولم يبق على وجه الارض من يقول الله وكل ذلك من نعم الله عليهم قلت هذا انتصار للقول بأفضلية العلم على الجهاد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما فعندهما العلم تعلمه وتعليمه أفضل من الجهاد وهي رواية عن الامام أحمد أيضا لان العلم هو الدليل المرشد وقد قال الامام أبو الوفاء بن عقيل ومما انعم الله علي ان حجب الي العلم فهو أسنى الاعمال وأشرفها قال ابن مفلح في فروعه واختاره أي القول بأن العلم أفضل الاعمال غيره من علمائنا ولفظ الرواية العلم أفضل الاعمال لمن صحت زيادة قيل فأبي شي تصحيح النية قال ينوي ٧ يتواضع فيه وينفي عنه الجهل نقله منها

الرابعة التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله ثلاث منها الايمان أفضل من جميع الاعمال بكثرة ثوابه فان ثوابه الخلود في الجنان والخلوص من النيران ومن غضب الديان ومنها صلاة الجماعة فانها أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين صلاة ومنها الصلاة في أحد المساجد الثلاثة ومنها صلاة القصر أفضل للمسافر من الاتمام وان كان الاتمام أكثر عملا

الخامسة التفضيل لشرف الموصوف منها صفات الله تعالى من علمه وكلامه وقدرته وارادته وسائر الصفات المنسوبة الى الله تعالى أفضل من غيرها لوجوه منها شرف الموصوف ومنها صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه

(١) لعله سقط من الاصل شي ولفظ المروي «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء» ذكره في الاحياء وقال العراقي أخرجه ابن عبد البر بسند ضعيف وذكر له شارح الاحياء تخارج أخرج في أخرى ضعيفة وفيها زيادة «في جميع مداد العلماء على دم الشهداء» اه مصححه

وجميع ما هو صفة لنفسه الكريمة له الشرف والفضل على صفاتنا من وجوه أحدها شرف الموصوف

السادسة التفضيل بشرف المدلول وله أمثلة منها تفضيل الاذكار الدالة على ذات الباري وصفاته العلى وأسمائه الحسنى ومنها تفضيل الآيات المتعلقة بالله كقل هو الله أحد على الآيات المتعلقة في أي لُحْب كثبت يدا أبي لُحْب ومنها الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الاباحة والكراهة والندب لاشتمالها على الحث على أعلا رتب المصالح والزجر عن أعظم المفاسد

السابعة التفضيل بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على الاوصاف الدالة على كلام الله تعالى فان ذلك أوجب شرفها على جميع الحروف لهذه الدلالة وأمر الشرع بتعظيمها فلا تمسك الا على طهارة ويكفر من أهانها بالقاذورات وله وقع عظيم في الدين فلا يجوز اخراجها عن بلاد المسلمين الى بلاد الكافرين خشية ان نألها أيديهم قلت وهذا على حسب اعتقاده من أنها مخلوقة وليست هي من كلام رب العالمين والحق ان ما بين دفتي المصحف كلام رب العالمين وحبله المتين والله أعلم

الثامنة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل العلم على الحياة فان الحياة لا تتعلق بشيء بل لها موصوف فقط والعلم له موصوف ومتعلق فله من يه شرف بذلك وكذلك القدرة والارادة والسمع بالاصوات والبصر بجميع الموجودات المبصرات التاسعة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل المتعلق بذات الله وصفاته على غيره من العلوم وكتفضيل الفقه على الطب لتعلقه بأحكام الله تعالى وهذا القسم عين المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل متعلق مدلول لان الدلالة والمدلول من باب الالفاظ والحقائق الدالة كالصنعة على الصانع فانها تدل عليه وأما العلم ونحوه فلا يقال له دال بل هو مدلول في نفسه وليس بدليل على غيره بل له متعلق خاصة وهو معلومه وكذلك الارادة المتعلقة بالخبر أفضل من الارادة المتعلقة بالشرور والنية في الصلاة أفضل من النية في الطهارة لأنها متعلقة بالمقاصد والثاني بالوسائل والمقاصد أفضل من الوسائل والمتعلق بالافضل أفضل

العاشرة التفضيل بكثرة التعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته و ارادته و سماعه و بصره لتعلقه بجميع الواجبات و الممكنات و المستحيلات و اختصاص الارادة بالممكنات وجوداً و عدماً و القدرة بوجود الممكنات خاصة و اختصاص السمع بالمسموعات على ما تقدم

الحادية عشر ٧ التفضيل بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود

الثانية عشر التفضيل بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على جميع بقاع الارض و حكاية القاضي عياض اجمالاً و المراد و الاعضاء الشريفة فيه و في بدائع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألت سائلاً أيما أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة فقلت ان أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش و حملته ولا جنة عدن ولا الافلاك الدائرة لان بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح انتهى

الثالثة عشر التفضيل بسبب الاضافة كقوله تعالى (أولئك حزب الله) أضافهم اليه تعالى ليشرفهم بالاضافة اليه و اضافة البيت اليه تعالى و كذلك الناقه و نحوها

الرابعة عشر التفضيل بالانساب و الاسباب كتفضيل ذريته عليه السلام على جميع الذراري بسبب نسبهم المنصل برسول الله صلى الله عليه وسلم و كتفضيل نسائه على جميع النساء و ان تفاوتت في ذلك

الخامسة عشر التفضيل بالثمرة و الجدوى كتفضيل العالم على العابد لان العلم يثمر صلاح الخلق و هدايتهم الى الحق بالتعليم و الارشاد و أما العبادة فقاصرة على محلها و من هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة

السادسة عشر التفضيل باكثرية الثمرة بأن تكون الحقيقتان لكل واحد منهما ثمرة لكن ثمرة أحدهما (٧) أعظم و جدواها أكثر كثمرة علم الفقه و علم الهندسة فإن كلاهما مثمر أحكاماً شرعية لان الهندسة يستعان بهافي الحساب و المساحات و الحساب يدخل في المواريث و غيرها و المساحات تدخل في الاجارات و نحوها من نوادر المسائل الفقهية الا أنها بالنسبة الى مسائل الفقه قليلة فثمرة الفقه أعظم و علم النحو نفع من علم المنطق و علم الاصول أنفع من علم النحو و كل علم بحسب ثمرة و الله أعلم

السابعة عشر التفضيل بالتأثير كقدرة الله تعالى على العلم والكلام بالنسبة للتأثير فانها مؤثرة في تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع فمن حيث سعة المتعلق والعموم فالعلم أفضل ومن حيث التأثير فالقدرة والله أعلم وكذلك الارادة بالنسبة الى الحياة فان الارادة مؤثرة للتخصيص في الممكنات بزمانها وصفاتها الجائزة عليها والحياة لا تؤثر ايجادا ولا تخصيصا وليس في صفات الله السبعة التي تثبتها الصفائية الا القدرة والارادة فقط .

الثامنة عشر التفضيل بجودة البنية والترتيب كتفضيل الملائكة الكرام عليهم السلام على الجن بسبب جودة أبنيتهم وحسن تركيبهم فانهم خلقوا من نور فجبريل يسير من العرش الى العرش مسيرة سبعة آلاف سنة لحظة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط الخمسة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شيء بل يقتاعها من تحتها ويصعد بها الى الجور ثم يقبلها وهذا عظيم والملك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجن ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه ان يولي على الجن الملائكة ففعل له ذلك فهم الزاجرون لهم عند العزائم وغيرها التي تعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الاقسام التي تعظمها الملائكة فتفعل في الجن ما يريد المقسم عليهم بتلك الاسماء العظيمة كذا زعم القرافي (١) قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام يخاطبون الناس في الاسواق ويمشون بهم عبثا شديدا فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وسأله من ربه انحازوا الى الفلوات والخراب من الارض فقلت أذيتهم والملائكة عليهم السلام تراقبهم في ذلك فمن عبث منهم وعثا ردوه أو قتلوه كما يفعل ولاة بني آدم مع سفهائهم قال وما سبب اقتدار الملائكة على الجن إلا فضل أبنيتهم ووفور قوتهم فهم مفضلون على الجن من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه ومن هذه الحيشة فضلت الملائكة على البشر قال القرافي فان الصحيح أن البشر أفضل على تفصيل فيه فاذا ورد نص في تفضيل الملك حمل ذلك التفضيل والثناء على الابنية

(١) أشار المؤلف الى البراءة من هذا القول وله الحق فهو من الخرافات والقول

في عالم الغيب بغير برهان ومثله عامة ما قاله القرافي في هذا الباب اه مصححه



وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتندفع أكثر الاسئلة والنقوض عن المستدل على افضلية الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا نزاع أن الملائكة في أبنيتهم ٧ وأبنية بني آدم ضعيفة بالنسبة الى أبنية الملائكة فتحمل نصوص التفضيل على ذلك وكذلك تفضيل الجن في الابنية وجودة التركيب على بني آدم ومن ثم الجن يعيشون الآلاف من السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام التي تعرض لبني آدم بسبب ان أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الاغذية فلا يحصل لهم التعفن والآفات الناشئة عن الرطوبات ومن حيث جودة العنصر وحسن التركيب فضل الذهب على الفضة

التاسعة عشر التفضيل باختيار الله تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء على ما يشاء فيفضل أحد المتساويين على الآخر من كل وجه كفضل شاة الزكاة على شاة التطوع وكفضل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على الفاتحة خارج الصلاة وقال ابن عبد السلام الفضائل ضربان أحدهما فضل الجمادات كفضل الجوهر على الذهب وفضل الذهب على الفضة وفضل الفضة على الحديد وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاف على غير الشفاف وفضل اللطيف على الكثيف والذير على المظالم والحسن على القبيح والضرب الثاني فضائل الحيوان وهي اقسام أحدها حسن الصور (الثاني) قوة الاجسام كالقوى الجاذبة والممسكة والدافعة والفاذية والقوى على الجهاد والقتال وحمل الاعباء والاثقال (والثالث) الصفات الداعية الى الخير والوازعة عن الشر كالغيرة والنخوة والحياء والشجاعة والسخاء والحكم (الرابع) العقول (الخامس) الحواس (السادس) العلوم المكتسبة وهي اقسام كمعرفة وجود الاله وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ومعرفة ارسال الرسل وانزال الكتب وتنبية الانبياء ومعرفة ما شرع الله من الاحكام الخمسة وأسبابها وشر وطها وموانعها ومعرفة الأحوال الناشئة مما ذكر من المعارف كالحروف والرجاء والمحبة والتوكل والتعظيم والاجلال والقيام بطاعة الله تعالى في كل ما أمر به ونهى عنه ومارتبه الله تعالى على هذه المعارف والأحوال والطاعات من لذات الآخرة وافراحها بالنعيم الجماني والروحاني كلذة الامن من عذاب

الله والانس بقر به وجواره وسماع كلامه وسلامه مصحوبة بالرضا الدائم والنعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم فلهذه فضائل بعضها أفضل من بعض فمن اتصف بافضلها كان أفضل البرية ولا شك ان معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ولذات رضاه والنظر الى وجهه الكريم أفضل مما عداهن وأفضل الملائكة من قام به أفضل هذه الصفات فان تساوى اثنان من الملائكة في ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر وكذا ان تساوى الملك والبشر في ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر فان فضل الملك على البشر بشيء من ذلك كان أفضل منه وان فضل البشر على الملك بشيء من ذلك كان أفضل منه والفضل منحصر في أوصاف الكمال والكمال إما بالمعارف والطاعات والاحوال وإما بالافراح والذات فاذا أحسن الله تعالى الى أجساد الانبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأحسن الى أرواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال المتواليه وأذا قم لذة النظر اليه وسرور رضاه عنهم وكرامة تسليمه عليهم فابن للملك مثل هذا واعلم ان الاجساد مساكن الارواح وللساكن والمسكن أحوال أحدها ان يكون الساكن أشرف من المسكن الثانية ان يكون المسكن أشرف من الساكن الثالثة ان يستويا في الشرف فلا يفضل أحدهما على الآخر فاذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخساسة المسكن واذا كان الشرف للمسكن فلا يتشرف به الساكن والاجساد مساكن الارواح ثم ذكر اختلاف الناس في التفضيل الواقع بين البشر والملك فقال ان فاضل بينهما من جهة تفاوت الاجساد التي هي مساكن الارواح فاجساد الملائكة أشرف وأفضل من أجساد البشر المركبة من الاخلاط وان فاضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة مع قطع النظر عن الاجساد التي هي مساكن الارواح فارواح الانبياء أفضل من أرواح الملائكة لانهم فضلو عليهم بالارسال ورسل الملائكة قليل لأن رسول الملائكة يأتي الى نبي واحد ورسول البشر يأتي الى الامم والى أمة واحدة فيهديهم الله تعالى على يديه فيكون له أجر تبليغه ومثل أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا للملائكة وبالجهاد في سبيل الله وبالصبر على مصائب الدنيا ومحنتها والله تعالى يحب الصابرين ولا عبرة بفضل أجساد الملائكة على أجساد الانبياء لان الاجساد

مساكن ولا شرف بالمساكن وإنما الشرف بالأوصاف القائمة بالساكن فالاعتبار  
 بالساكنين دون المساكن فإن الأنبياء قد سكنوا في بطون أمهاتهم مع القطع بأنهم  
 أفضل من أمهاتهم فروح المسيح أفضل من جسد مريم وكذلك روح إبراهيم  
 أفضل من جسد أمه وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جسد أمه  
 فإذا تقرر هذا في أسباب التفضيل فاعلم أن هذه الأسباب الموجبة للتفضيل قد تتعارض  
 فيكون الأفضل من حاز أكثرها وأفضلها وقد يختص المفضول ببعض الصفات  
 الفاضلة ولا يقدح ذلك في التفضيل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي  
 وأقربكم زيد وأقربكم أبي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأزهدكم أبو  
 ذر رضي الله عنهم مع أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من الجميع وكذلك  
 الأنبياء فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالانذار المبين من السنين ٧ وآدم أبا  
 البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين فلولا جواز تخصيص المفضول  
 بما ليس للفاضل للزم التناقض فلا جرم علمنا أن التفاضل ما بين الملائكة والأنبياء  
 عليهم السلام انما هو بالطاعات وكثرة المثوبات والأحوال السنية وشرف النبوات  
 والرسالات والدرجات العليات فكل من كان فيها أتم فهو أفضل وفيما ذكر  
 من تعداد أسباب التفضيل الرد على المأمون بن هرون الرشيد الخليفة في زعمه أن  
 أسباب التفضيل أربعة وكلها في علي رضي الله عنه أكمل منها في غيره فزعم أنه أفضل  
 الصحابة وهي العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب وأخذ يرد على الصحابة  
 رضوان الله عليهم أجمعين ويرد على أهل السنة فيبطل بما ذكر دعوى هذا الحصر  
 وكان المأمون هذا رافضيا معتزليا قدريا ومسائل التفضيل كثيرة بين الأنبياء  
 والصحابة والملائكة والله تعالى أعلم وقد بسطنا العبارة وذكرنا ما له يفيد المطلوب  
 غير أن الأعراض عن كثير مما ذكر كان أليق بشرح هذه الأرجوزة وبالله التوفيق

## الكتاب السادس

### ﴿ في ذكر الامامة ومتعلقاتها ﴾

- ﴿ ولا غنى لامة الاسلام في كل عصر كان عن امام ﴾  
 ﴿ يذب عنها كل ذي جحود ويعتني بالفتو والحدود ﴾  
 ﴿ وفعل معروف وترك نكر ونصر مظلوم وقمع كفر ﴾  
 ﴿ وأخذ مال الفبي والخراج ونحوه والصرف في منهاج ﴾

قال علماؤنا كغيرهم نصب الامام الاعظم فرض كفاية لان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ان نصبه واجب بعد انقراض زمن النبوة بل جعلوه أم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في تعيينه لا يقدح في الاجماع المذكور ولتلك الاهمية لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فلا بد لهذا الامر من يقوم به فانظروا وهاأنا آراءكم قالوا صدقت نظر فيه فلماذا قلنا ﴿ ولا غنى ﴾ ولا مندوحة ولا بد ﴿ لامة ﴾ دين ﴿ الاسلام ﴾ وهي بالضم الجماعة أرسل اليهم رسول والجيل من كل حي ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان والرجل الجامع للخير وفي نسخة مللة بدل أمة وهي بكسر الميم الشريعة أو الدين ﴿ في كل عصر ﴾ من الاعصار وزمن من الازمان ﴿ كان ﴾ أي وجد وحصل واستمر ﴿ عن امام ﴾ متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم وواجب جازم ووجوبه عند أهل السنة وأكثر المعتزلة بالسمع يعني التواتر والاجماع وزعم جمهور المعتزلة أن وجوبه بالعقل ووجه وجوبه شرعا ليس الحاجة اليه فانه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحماية البيضة والذب عن الحوزة ولذا قال ﴿ يذب ﴾ بفتح المثناة التحنية وضم الذال المعجمة وتشديد الموحدة أي يدفع ويمنع ﴿ عنها ﴾ أي عن الاسلام وبيضة الدين ﴿ كل ﴾ ملك جبار وماحد مفوار ومعد مهذار

وظلم كفار ﴿ذي﴾ اي صاحب ﴿جحود﴾ اي انكار يقال جحدته حقه وبحقه كمنعه جحدا وجحود انكره مع علمه والمراد به هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرا به ﴿ويعتني﴾ ذلك الامام المنصوب يقال عنه الامر يعنيه ويعنوه عنائة وعناية وعنايته واعنى به اهم ﴿بالغزو﴾ اسيه غزوا الكفار وقهر اهل البغي وانفجار يقال غزاه غزوا اراده وطلبه وقصده كاستزاه وغزا العدو سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاة فهو غاز فيقاتل من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة ﴿و﴾ يعنى الامام المنصوب ايضا باقامة ﴿الحدود﴾ جمع حد وهو لغة المنع والفصل بين شيئين وحدود الله تعالى محارمه كقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها) وحدود الله ايضا ما حده وقدره والحدود العقوبات المقدره سميت بذلك لانها تمنع من الوقوع في مثل الذنب الذي رتب تلك العقوبة عليه أو لكونها زواجر عن أي المحارم التي حرمها الله تعالى فيقيم الحدود لتصون محارم الله تعالى عن الاتهك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك ﴿و﴾ يعنى أيضا بالامر بـ ﴿فعل معروف﴾ وقد تكررت كره في الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه ﴿وترك نكر﴾ معطوف على ما قبله أي ويعنى أيضا بالنهي عن كل منكر وهو ضد معروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ﴿و﴾ يعنى المنصوب بـ ﴿نصر مظلوم﴾ من ظلمه بتخليصه من نحو سجنه ورد ظلامته عليه من ظلمه وأخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك ﴿وقع﴾ أهل ﴿كفر﴾ أي قهرهم وذلمهم يقال وقع كمنعه واقعه والمقوم المقهور لان ذلك من أجل المقاصد الشرعية والمصالح الاسلامية ﴿و﴾ يعنى أيضا بـ ﴿أخذ مال ألفي﴾ اصل ألفي مصدر فاء بفي فيه اذا رجع ثم أطلق على المال الحاصل من جهاته المذكورة في كتب الفقه سمي فيثا لانه راجع منها الى أهل الاسلام كأنه في الاصل لهم ثم رجع اليهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في السياسة الشرعية سمي فيثا لان الله

تعالى أفاءه على المسلمين أي رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى أعما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى انما خلق الخلق لعبادته فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها وأمواهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه فأفاه اليهم ما يستحقونه كما يعاد على الرجل ماغصب من ميراثه وإن لم يكن قبضه قبل ذلك وهو ماأخذ من مال كافر بحق الكفر بلاقتال كالجزية ﴿والخراج﴾ وزكاة تغلبي وعشر مال تجارة حربي ونصفه من ذمي ﴿ونحوه﴾ أي نحو ما ذكر كالمال الذي تركه الكفار فرعا وهر بوا وبذلوله فرعا منافي الهندنة وغيرها وخمس الخمس من الغنمة ومال من مات من الكفار ولا وارث له ومال المرتد اذا مات على رده بقتل أو غيره أو لحق بدار حرب ﴿و﴾ يعني أيضا ﴿الصرف﴾ لذلك المال المذكور ﴿في منهاج﴾ أي طريق وجهة مصرفه المعينة له شرعاً فيصرف في مصالح أهل الاسلام ويبدأ من ذلك بالامم فالامم من المصالح العامة لاهل الدار التي بها حفظ المسلمين من وظائف جند الاسلام وعمارة الثغور وكفاية أهلها وما يحتاج اليه من يدفع عن المسلمين من السلاح والكرع وسد البشوق وكري الأنهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد وارزاق القضاة والأئمة والمؤذنين والفقهاء ومن يحتاج اليه المسلمون وكما يعود نفعه على المسلمين فان فضل منه شيء قسم بين المسلمين غنيهم وفقيرهم نعم لايفرد العبد بالعباءة بل يزاد سيده واختار شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه لاحظ لرافضة فيه ذكره المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد عن الامامين مالك وأحمد رضي الله عنهما وكل ما ذكر من اقامة الحدود وسد الثغور وحفظ بيضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فلهدا قلنا ولاغنا لمة الاسلام عن اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ في نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المنافع ودفع المضار المترتبة على نصب الامام تكاد تلحق بالضرورات بل بالمشاهدات بشهادة ماتراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد بمجرد موت الامام وان لم يكن على ما ينبغي من الصلاح والسداد فاقامة الامام فرض كفاية عند أهل السنة ومن وافقهم بالاجماع

وعند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كابي الحسن والجاحظ والحياط والكمي  
 فبالضرورة وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم  
 كسائر المبتدعة غير قادح في الاجماع ولا يخل بما يفيد من القطع بالحكم المجمع  
 عليه ودعوى ان في نصبه ضررا من حيث ان الزام من هو مثله بامثال أو أمره  
 فيه اضرار به فيؤدي الى الفتنة ومن حيث انه غير معصوم من نحو الكفر والفسق  
 فان لم يعزل اضر بالناس وان عزل أدى الى محاربة وفيها ضرر أي ضرر باطلة لا ينظر  
 اليها لان الاضرار الملازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لانسبة بينهما واذ اجتمع  
 ضرران دفع أعظمهما باخفهما وجوبا وفرض انتظام الناس بدون امام محال عادة  
 كما هو مشاهد

- ﴿ ونصبه بالنص والاجماع ﴾ وقهره فحل عن الخداع ﴿
- ﴿ وشرطه الاسلام والحرية ﴾ عدالة سمع مع الدراية ﴿
- ﴿ وان يكون من قريش علما ﴾ مكلفا ذا خبرة وحاكما ﴿

﴿ و ﴾ يثبت ﴿ نصبه ﴾ أي الامام الاعظم ﴿ بالنص ﴾ من الامام على  
 استخلاف واحد من أهلها بان يعهد الامام بالامامة الى انسان ينص عليه بعده ولا  
 يحتاج في ذلك الى موافقة أهل الحل والعقد (١) كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة  
 الى عمر الفاروق رضي الله عنهما ﴿ و ﴾ يثبت نصبه أيضا ﴿ بالاجماع ﴾ من أهل  
 الحل والعقد من المسلمين كإمامة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وخليفة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس  
 الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيره اثبتت امامته وكذا يجعل الامر شورى  
 في عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم فانفقوا على واحد منهم صار اماما  
 كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جعل أمر الامامة بين ستة أنفار  
 حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم أجمعين ﴿ و ﴾ يثبت  
 نصبه أيضا ﴿ قهره ﴾ الناس بسيفه حتى يدعوا له ويدعوه اماما فثبت له الامامة

(١) ان أهل الحل والعقد رضوا بعمير فقوله هذا لا دليل عليه

قال الامام أحمد رضي الله عنه في رواية عبدوس بن مالك العطار ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله بيت ولا يراه اماما برا كان أو فاجرا انتهى لان عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه اماما ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين واراقة دماهم وذهاب أموالهم ولهذا قال ﴿ فحل ﴾ أمر ارشاد أي ابعد وزل ومنه (لا يفتون عنهم احوالا) ﴿ عن الخداع ﴾ متعلق بحل من خدعه كما نعه خدعا وليكسر ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة يعني اترك مخادعة أهل البدع وتزويق ما يظهرون من جواز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم عدم وجوب نصبه فانهم ضالون ومن واقفهم صار منهم ثم أخذ في ذكر شروط الامام المنصوب وما يعتبر ان يكون فيه ومتصفا به على سبيل الوجوب ﴿ وشرطه ﴾ أي بشرط فيه ﴿ الاسلام ﴾ لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل ﴿ والحرية ﴾ لان الرقيق بجميع أنواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامة المسلمين وخاصتهم وأما حديث «اسمعوا له وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد اسود كان رأسه زبيبة» محمول على نحو أمير سرية . وشرطه أي يشترط فيه أيضا ﴿ عدالة ﴾ لاشترط ذلك في ولاية القضاء وهي دون الامامة العظمى نعم ان قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدم نص الامام أحمد رضي الله عنه في مثل ذلك . ويعتبر فيه أيضا ﴿ سمع ﴾ أي ان يكون سميعا بصيرا ناطقا لان غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق ﴿ مع الدرية ﴾ بفتح الدال المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية فناء تأنيث من الدراية وهي العلم والخبرة يقال دريت الشيء ودريت به دريا ودريانا بالكسر ودريا كحبل علمته أو بضرب من الحيلة كما في القاموس وأريد به اعتبار كونه عالما بالاحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذا بصيرة قد علم بأحوال الناس ومكرهم وختلهم وخبر أحوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف المغفل فلا يصلح للامامة العظمى ﴿ و ﴾ يعتبر أيضا ﴿ أن يكون ﴾ الامام ﴿ من قرشي ﴾ وهو من كان من نسل فهر بكسر الفاء وسكون



الهاء بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمه بن مدركة واسمه عمرو بن الياس واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ففهر جماع قریش في قول السكابي وغيره من العلماء في أنساب العرب وسموا قریشا لانهم كانوا يقرشون عن خلة الناس بفتح الحاء المعجمة أي حاجتهم وقرهم ومعناه ينقبون عنها ويستعلمونها ليغنوهم ويسدوا خلتهم وكان ذلك من قولهم تقارشت الرماح اذا تداخلت في الحرب لان المستعلم المستخبر يداخل أحوال الذي يطلب علمه حاله ليحصل له مقصوده وقيل أنه مأخوذ من القرش وهو التمييز لانهم كانوا يعيشون الحاج فيطعمون الجائع ويكسون العاري ويحملون المنقطع قال الجوهري القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش بالكسر قال الفراء وبه سميت قریش وقيل سموا بدابة عظيمة تأكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك وانما اشترط كونه من قریش لقوله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قریش» رواه الامام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ولفظه «الملك في قریش» وسنده صحيح وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال «الخلافة في قریش» ورواه الطبراني أيضا وروى البزار من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الامراء من قریش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها» وفي الحديث «قدموا قریشا ولا تقدموها» وقول الصديق والمهاجر بن الانصار ان العرب لاندين الا لهذا الحلي من قریش ورووا لهم في ذلك الاخبارو يعتبران يكون ﴿ عالما ﴾ بالاحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها في أمره ونهيه وان يكون ﴿ مكلفا ﴾ أي بالغا عاقلا لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن يبلي أمره فلا يكون واليا على أمر المسلمين وان يكون ﴿ ذا خبرة ﴾ بتدبير الامور المذكورة في البلاد والعباد ﴿ و ﴾ ان يكون ﴿ حاكما ﴾ أي قادرا على ايصال الحق الى مستحقه وكف ظلم المعتدي وقمع أهل الافتراء والاعتداء وقادرا على اقامة الحدود وقمع أهل الضلال والجحود لا تأخذه رافة في اقامة الحدود والذب عن الإمة فان عقدت لا كثير من واحد فهي للاول فان فسق الامام بعد العدالة

المقارنة للعدل لم يعزل على الاصح الاشهر ولا تشترط عصمته في حال من الاحوال ولا كونه افضل الامة ولا كونه هاشميا او اظهار معجزة على يده يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم وجهالاتهم ومن جهالاتهم أيضا زعمهم ان غير المعصوم يسمى ظالما فيتناوله قوله تعالى (لا ينال عهدى الظالمين) اذ الظالم لغة من يضع الشيء في غير محله وشرعا العاصي ولا يلزم من كونه غير معصوم ان يكون عاصيا ولا ظالما لجواز كونه محفوظا فلا يصدر عنه ذنب أو اذا صدر عنه ذنب تاب منه توبة نصوحا

﴿وكن مطيعا أمره فيما أمر مالم يكن بمنكر فيحترز﴾

﴿و﴾ اذ عقدت له الامامة فصار اماما للمسلمين ﴿كن مطيعا﴾ أنت وسائر رعيته ﴿أمره﴾ فيما ﴿أمر﴾ في الشيء الذي ﴿أمر﴾ به ان كان طاعة والحاصل ان طاعته تجب في الطاعة وتسب في المسنون وتكره في المكروه فاذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره ﴿مالم يكن﴾ أمره ﴿شيء﴾ ﴿منكر﴾ ضد المعروف ﴿لا يطاع في ذلك بل﴾ ﴿يتعذر﴾ ويحجب فلا تجب طاعته في المعصية بل تحرم اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال شيخ الاسلام ابن تيمية في صدر كتابه السياسة الشرعية ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه قال «ان الله يرضى ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تمتصوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوها من ولاة أمركم» قال وآية الامراء في كتاب الله تعالى هي قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعماء يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلها) قال نزلت الآية الاولى في ولاة الامور عليهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم أن يطيعوا أولي الامر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا أن يأمروا بمعصية الله تعالى فاذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء فردوه الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله

عليه وسلم وان لم يفعل ولا الامور ذلك أطيعوا في ما يأمرون به من طاعة الله لان ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم اليهم كما أمر الله ورسوله وأعينوا على البر والتقوى ولا يعاونون على الاثم والعدوان فعلى ولي الامران يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم في صحيحه وفي رواية «من قلد رجلا عملا على عصاة وهو يجد في تلك العصاة من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أقرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين : والله تعالى الموفق

### ﴿ فصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

ولما كان صلاح العباد في المعاش والمعاد لا يتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم حال الا بذلك قال

- ﴿ واعلم بأن الامر والنهي معا      فرضا كفاية على من قدوعا ﴾  
 ﴿ وإن يكن ذاواحدنا تعينا      عليه لـكن شرطه ان يأمننا ﴾  
 ﴿ فاصبر وزل باليسد واللسان      لمنكر واحذر من النقصان ﴾

﴿ واعلم ﴾ أيها المتبحر في علم أصول الدين المحرر لدعائم الدين وقواعد الحق المبين ﴿ بأن الامر ﴾ أي بالمعروف وتقدم انه اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس كما تقدم قريبا ﴿ والنهي ﴾ عن المنكر وهو ضد المعروف ﴿ معا ﴾ أي كل واحد منهما منفردا وكلاهما ﴿ فرضا كفاية ﴾ على جماعة المسلمين يخاطب به الجميع ويسقط بمن يقوم به بخلاف فرض العين فانه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره ﴿ على من ﴾ أي انسان أو الذي ﴿ قدوعا ﴾ أي حفظ حكمه وعلمه وذلك لان اصلاح المعاش والمعاد انما هو بطاعة الله ورسوله وامثال أوامره والانتها عن زواجره ولا يتم ذلك الا

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صارت هذه الامة خير امة اخرجت للناس  
قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)  
وقال تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن  
المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض  
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال عن نبي اسرائيل (كانوا لا يتناهون عن  
منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي الحديث اثابت عن أمير المؤمنين أبي بكر  
الصديق رضي الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال: يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها (يا أيها الذين  
آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) واني سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول «ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعيهم  
الله بعقاب منه» وفي لفظ من عنده رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن  
صحيح وابن ماجه والنسائي ولفظه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
«ان القوم اذا رأوا المنكر فلم يغيروه عيهم الله بعقاب» وفي رواية لابي داود سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرن على  
ان يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك ان يعيهم الله منه بعقاب» وفي رواية ان الناس  
اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك ان يعيهم الله بعقاب من عنده  
﴿وان يكن ذا﴾ أي الذي علم بالمنكر وتحققه وشاهده وهو عارف بما ينكر ﴿واحدا﴾  
أو كانوا عدداً لكن لا يحصل المقصود الا بهم جميعاً ﴿تعيناً﴾ أي الامر بالمعروف  
والنهي عن المنكر وصارا فرض عين ﴿عليه﴾ أو عليهم للزومه عليهم (لكن  
شرطه) أي شرط افتراضه على الجماعة أو الواحد سواء كانا فرض كفاية أو عين  
(ان يأمن) بألف الاطلاق على نفسه وأهله وماله ولم يخف سوطاً ولا عصا ولا  
أذى ولا فتنة تزيد على المنكر وقيل ان زادت وجب الكف وان تساوى باسقاط  
الانكار قال الامام أحمد رضي الله عنه يأمر بالرفق والخضوع فان اسمعوه ما يكره  
لا يفضب فيكون يريد ان ينتصر لنفسه ولهذا قال (فصبر) على الاذى بمن  
تأمره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله (وزل) المنكر وغيره من زاله عن مكانه

يزيله زبلا وأزاله إزالة وإزالا ﴿باليد﴾ وهو أعلا درجات الانكار وإزالة المنكر كإزالة الخمر وكسر أواني الذهب والفضة والحيلولة بين الضارب والمضروب ونحوه ورد المفصوب إلى مالكة ﴿و﴾ غير المنكر ﴿اللسان﴾ حيث لم تستطع تغييره باليد بأن تعظه وتذكره بالله وأليم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين وإغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يحصل المقصود في بعض المحال بالرفق والسياسة بازيد واتم مما يحصل بالعنف والرياسة كأن يقول لمن رآه متكثفا في نحو حمام استرسترك الله ونحو ذلك ﴿لمنكر﴾ متعلق بزل وفي نسخة بدل زل «ذذ» أي اطرد وامنع للمنكر باليد واللسان ﴿واحذر﴾ من النزول عن أعلا المراتب حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك إلى أوسطها وهو الانكار باللسان الامع المعجز عن ذلك ثم انه لا يسوع لك العدول عن التغيير للمنكر باللسان وانت تقدر عليه إلى الانكار بالقلب فان لم تستطع تغيير المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل إلى الانكار بقلبك وهو اضعف الايمان فلذا احذر ﴿من النقصان﴾ وأشار بذلك إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه وذلك اضعف الايمان» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي ولغظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برى ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برى» ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برى وذلك اضعف الايمان» وفي صحيح مسلم أيضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» وفي هذا الباب عدة أحاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه وقد روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه قال قال علي رضي الله عنه

ان أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر عكس فجعل أعلاه أسفله وقال ابن مسعود رضي الله عنه هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بقلبه يشير الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يستقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك وأما الانكار باليد واللسان فانما يجب بحسب الطاقة وفي سنن أبي داود عن العرس بن عميرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدها » وخرج ابن أبي الدنيا نحوه عن أبي هريرة مرفوعا واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كون ذلك واجبا نارة يحمل عليه رجاء الثواب وتارة خوف العقاب في تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبهه وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يفترى من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت ان الخلق كلهم أطاعوا الله وان لمحي قرض بالمقاريض فمن لحظ ما ذكرناه هان عليه ما يلقاه من الاذى في الله عزوجل قال سفيان الثوري قدس الله روحه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كانت فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمرك رفيق بما ينهى عدل بما يأمرك يحتاجون الى مداراة ورفق الامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له ولا اعتبار كون الامر بالمعروف والناهي عن المنكر عدلا بما ينهى أشار بقوله

﴿ ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى مما به يقضى العجب ﴾

﴿ فسلو بدا بنفسه فذاها عن غيرها لكان قد أفادها ﴾

﴿ ومن أي أي انسان أو الذي ﴿ نهى ﴾ الخاق ﴿ عما ﴾ أي الشيء الذي ﴿ له ﴾ أي لذلك الشيء الذي نهى الناس عنه ﴿ قدارتسكب ﴾ وفعله وخالف قوله عمله من فعل المحذور

وترك المأمور **﴿فقد﴾** والله **﴿آتي﴾** من قاله وحاله **﴿من ما﴾** أي من العمل الذي **﴿به﴾** أي منه **﴿يقضى﴾** بانبيائه لم يسم فاعله و**﴿العجب﴾** نائب الفاعل أي يقضي العقلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب. أي يحكمون ويقطعون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك ويخفي سببه والمراد انه يعظم عليهم ذلك ويكبر لديهم ان ينهى عن القبيح وآتيه ويأمر بالحسن ولا يأتيه وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **﴿يوتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقطاب بطنه أي امعاؤه ومعنى تندلق أي تخرج فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فسلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية﴾** رواه البخاري ومسلم وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول **﴿مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرائيل قال خطباء أممك الذين يقولون ما لا يفعلون﴾** وروى نحوه ابن أبي الدنيا من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا وفيه فقال الخطباء من أممك الذين يأسرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وروى الطبراني بإسناد حسن عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **﴿مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه﴾** وروى الاصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعا **﴿ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخاف قوله عمله ويأمن جاره بوائقه﴾** كان الحسن البصري رحمه الله اذا خرج الى الناس فكانت له رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها فكانوا اذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئا وكان الامام أحمد لا تذكر الدنيا في مجلسه ولا تذكر عنده انما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوي الذراعين فيؤلم ضربه فيردع فاما من هو سقيم البدن لا قوة له فاذا ينفع تأديبه بالضرب والنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا يتنفع به وهذا

بمنزلة من يصف له الطبيب دواء لمرض به مثله والطبيب معرض عنه غير ملتفت إليه بل الطبيب أحسن حالا من هذا الأمر المخالف لما أمر به لانه قد يقوم عند الطبيب دواء آخر مقام هذا الدواء وقد يرى ان به قوة على ترك التداوي بخلاف الواقع فان ما يعظ به طريق النجاة لا يقوم غيرها مقامها فلا بد منها ولهذا الفرة قال شعيب عليه السلام لقومه (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) وقال بعض السلف اذا أردت ان يقل منك الامر والنهي فاذا أمرت بشي فكن أول الفاعلين له المؤمنون به واذا نهيت عن شي فكن أول المنتهين عنه ولهذا قال ﴿ فلو بدا ﴾ الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر قبل أمره ونهيه لغيره ﴿ بنفسه ﴾ متعلق ببدا ﴿ فزادها ﴾ أي منمها وردها ﴿ عن غيرها ﴾ متعلق بزادها أي عن ضلالها والنهي الضلال والانهماك في الباطل ومنه حديث الاسراء «لو أخذت الحجر غوت أمتك» أي ضلت ﴿ لكان ﴾ بدايته بارشاد نفسه وردها عما هي فيه من ارتكاب مهاوي الهوى والضلال والنهي والوبال ﴿ قد أفادها ﴾ النجاة والسلامة والرشد والاستقامة فان الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدأ في ارشاده من الامم بالامم فالامم والاقترب فالاقرب من ذوي الرحم ولا أم ولا أقرب اليه من نفسه النبي بن جنبيه وقد قال من أفصح في المقال ونصح لمن كان له قلب أو ألقى البال وترك الوبال

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء الذي السقام من الضنا	كي يشتفي منه وانت سقيم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها	فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتندي	بالقول منك وينفع التعليم
ولما جلس عبد الواحد بن زيد الواقع	أته امرأة من الصالحات فانشده

يا واعظا قام لاحساب	يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت المريب حقا	هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عييك أو تبت من قريب



كان لما قلت يا حبيبي      موقع صدق من القلوب  
تنهى عن الغي والبهادي      وأنت في النهي كالمريب

وقال آخر

وغير تقي بأمر الناس بالثقي      طيب يداوي الناس وهو مستقيم  
وجاء رجل لابن عباس رضي الله عنهما فقال أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن  
المنكر فقال إن لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والا فابدأ بنفسك  
ثم تلا (أنا مرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وقوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون  
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام  
(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)

### ﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) ما قدمنا من اعتبار كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
مستقيم الحال هو عين الكمال والمؤثر أمره ونهيه في القلوب والذي قاله وحاله  
ترياق الذنوب في ظهور الانجاح وادراك الفلاح وأما الوجوب فلا يستقط عن  
المكلف وإن كان بغير تلك الاوصاف بل من غير أهل العدالة والعفاف فعلى من تكب  
الذنب النهي عن مثل ما ارتكب لأن تركه للمنكر ونهيه فرضان متميزان ليس لمن  
يترك أحدهما ان يترك الآخر فيجب على متعاطي الكس أن ينكر على الجلاس  
لأن النهي عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال باحد الواجبين  
لا يمنع وجوب فعل الآخر وقد روى ابن أبي الدنيا باسناد فيه ضعف عن أبي  
هريرة رضي الله عنه مر فوعا «مرروا الناس بالمعروف وإن لم تعملوا به وانهموا عن  
المنكر وإن لم تتناهوا عنه كله» وقيل للحسن ان فلانا لا يعظ ويقول اخاف ان  
أقول ما لا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم  
يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال الامام مالك عن ربيعة قال سمعت ابن  
جبير لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء  
ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال الامام مالك ومن ذا الذي ليس فيه شيء  
(الثاني) متعلق وجوب الانكار الروية للمنكر وتحققه فلو كان مستورا فلم يهره

ولكن علم به فالذهب يجب عليه الانكار لتحققه والمنصوص عن الامام أحمد في أكثر الروايات أنه لا يتعرض له ولا يفتش على ما استتراب وقد روي عنه أنه يكسر المغطى إذا تحققه وهذا المعتمد وأما إذا سمع صوت ملهاة ولم يعلم مكانه فلا شيء عليه وأما ستور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الأئمة مثل سفیان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه نعم قال القاضي أبو يعلى في كتابه الاحكام السلطانية ان كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستسرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس والاقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات استدراك انتهاك المحارم وان كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه انتهى وحكمة عدم وجوب التفتيش مع وجود النصوص على التجسس ان المعاصي اذا أخفيت انما تضر من يعملها واذا أعلنت ضرت العامة فأخرج الامام أحمد من حديث عدي بن عمير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» وخرج الامام أحمد أيضا وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول مامنك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت الناس» وأخرجا من حديثه أيضا مرفوعا «لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال - يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيامة مامنك ان تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياي كنت أحق ان تخشى» فهذا محمول على ان المانع له من الانكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للانكار فان خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الاذى أو خاف مثل ذلك على أهله أو جيرانه سقط وجوب الانكار وقد نص على ذلك الأئمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم قال الامام أحمد لا يتعرض للسلطان فان سيفه مسلول وقال ابن شبرمة الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان يصابر فيه الاثني عشر ويحرم عليه الفرار منها ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك وأمام مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيء فلا يسقط الانكار نص عليه الامام أحمد وان احتمل الاذى وقوي عليه فهو أفضل نص عليه وقال «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وهذا رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبي امامة وفي مسند البزار عن أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال «رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله وحديث «لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه» يدل على انه اذا علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فلا يتعرض حينئذ للامر والنهي وهذا حق وانما الكلام في من علم من نفسه الصبر كذلك قاله الامام أحمد وسفيان والفضيل بن عياض وغيرهم

(الثالث) اذا علم انه لا يقبل منه فهل يسقط وجوب الامر والنهي حكى القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد رضي الله عنه في ذلك روايتين وصحح القول بوجوده قال الحافظ ابن رجب وهو قول أكثر العلماء . وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال تكون معذرة وهذا كما أخبر الله عن الذين أنكروا على المعتدين في السبت أنهم قالوا لمن قال لهم (أتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون) وقد ورد ما يستدل به على سقوط الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع في سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي عن أبي ثعلبة الحشني رضي الله عنه قيل له كيف تقول في هذه الآية (عليكم أنفسكم) فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «بل ائتمروا بالمعروف واتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام» وقد روى معنى هذا من عدة وجوه وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المتبتئين ويجوز الانكار فيما لا يرجح زواله وان خاف أذى وقيل لا وقيل يجب ولا يجب الانكار فيما فات ومضى الا في العقائد والآراء

(الرابع) الذي يجب انكاره من المنكر هو ما كان مجمعا عليه فأما المختلف فيه فن

علمائنا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه أو مقلدا لمجتهد تقليدا سائفا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ما ضعف فيه الخلاف وكان ذريعة الى محذور متفق عليه ككساح المتعة فانه ذريعة الى الزنا المجمع على تحريمه وذ كرتين أني اسحق بن شاقلا انه ذكر ان المتعة هي الزنا صراحا وقال ابن بطة لا يفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تناول فيه الا ان يكون قضى لرجل بعقد متعة والمنصوص عن الامام أحمد رضي الله عنه الانكار على اللاعب بالشطرنج وتأوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد أو تقليد سائغ ونظر فيه الحافظ ابن رجب بأن المنصوص عنه أيضا ان يحذر شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه وان لم يخرج فاعله المتأول من العدالة بذلك والله أعلم وكذا نص الامام أحمد رضي الله عنه على الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك لضعف مثل هذا الاختلاف لمصادمته للنصوص عن صاحب الشريعة والله أعلم

( الخامس ) وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ودليله بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فيكس قوله تعالى ( وتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) وتقدم في أول الفصل وأما السنة فقد ذكرنا منها ما يحصل به المقصود وأما الاجماع فلان المسلمين كانوا في الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع القدرة فعلى الناس اعانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصره على ذلك وما يختص علمه بالعلماء يختص انكاره بهم وبمن يأمرونه به من الولاة والعوام ومن التزم مذهبا أنكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولا تقليد سائغ أو عذر ظاهر والله تعالى الموفق

## الخاتمة

( نَسأل الله تعالى حسن الخاتمة )

في فوائد جليلة وفرائد جزيلة لا يسع من خاض في مثل هذه العلوم الجبل بها وهي في الادلة وما يتعلق بها وهي قسيان مفردات ومركبات كما قال الامام الموفق ولذا قال

﴿ مدارك العلوم في العيان محصورة في الحد والبرهان ﴾

﴿ وقال قوم عند أصحاب النظر حس وإخبار صحيح والنظر ﴾

﴿ مدارك العلوم ﴾ المدارك جمع مدرك من أدرك الشيء بالشيء واستدركه حاول ادراكه به وأدرك الشيء أحاط به وبلغ وقته وانتهى الى العلم به والاحاطة بحكمه والمراد المدرك بالعقول لأننا نشاهد قطعاً آثار العقول في الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة وذلك يدل على تفاوت العقول في نفسها والعقول جمع عقل وهو لغة المنع سمي بمنع صاحبه عن الرذائل والقبايح ولذا لا يطلق عليه تعالى العاقل واصطلاحاً ما يحصل به الميز بين المعلومات وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التمييز والادراك وهو غريزة قاله الامام أحمد رضي الله عنه وقاله الحارث المحاسبي ليس مكتسباً بل خلقه الله تعالى يفارق به الانسان البهيمة ويستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعلم الضروري والصبا ونحوه حجاب له قال القاضي وغيره انه غير مكتسب كالضروري وقال البر بهاري من أصحابنا ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا يقتضي انه القوة المدركة كما دل عليه كلام الامام أحمد لا الادراك وهو بعض العلوم الضرورية عند أصحابنا والاكثر يستعد بها لفهم دقائق العلوم وتدبير الصنائع الفكرية وقاله أبو بكر الباقلاني وابن الصباغ وغيرهما فخرجت العلوم الكسبية لان العاقل يتصف بكونه عاقلاً مع انتفاء العلوم النظرية وانما قالوا بعض

( ٢ ش عقيدة السفاريني - ٥٣ )

العلوم الضرورية لانه لو كانت جميعها لوجب أن يكون الفاقد للعلم بالمدرجات غير عاقل لعدم الادراك المعلق عليها والمشاهد خلافه ومحل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماغ وروي عن الامام أحمد أن محله الدماغ وهو قول أبي حنيفة والطوفي من أصحابنا وقيل في الدماغ ان قلنا انه جوهر والا ففي القلب والصحيح أن العقل يختلف كالمدرج به وقال الامام ابن عقيل من علمائنا والاشاعرة والمعتزلة العقل لا يختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك وقال غير واحد العقل عقلاان غريزي وتجريبي مكتسب فالعقل الغريزي لا يختلف وأما الكسبي فيختلف وحمل العلامة الطوفي الخلاف على ذلك وقوله ﴿ في العيان ﴾ أي المشاهدة وبادىء النظر لذوي العرفان ﴿ محصورة ﴾ في شيئين لا ثالث لهما أي محبوسة وممنوعة فيهما ومقصورة عليهما لا تتجاوزهما ﴿ في الحد ﴾ ويأتي الكلام عليه قريبا ﴿ و ﴾ في ﴿ البرهان ﴾ هو الحجة والدليل وفي الحديث الصدقة برهان أي أنها حجة لطالب الاجر من أنها فرض يجازي الله به وعليه وقيل بل هي دليل على صحة ايمان صاحبها الطيب نفسه باخراجها وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال والبرهان عند أهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانهاج يقينيات واليقين اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون الا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغيره

﴿ وقال قوم ﴾ بل مدارك العلم ﴿ عند أصحاب النظر ﴾ الفكر والتدقيق والبحث والتحقيق أعني علماء النظر وهم النظار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة أحدها ﴿ حس ﴾ أي ما يدرك بأحد الحواس الخمس وهي جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس فخلق الله تعالى كلا من تلك الحواس لادراك أشياء مخصوصة فالسمع للاصوات والذوق للطعوم والشم للروائح والبصر للمرييات واللمس للملموسات وهي القوة المثبتة ٧ في جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالحاسة الاخرى والمدرج بشيء منها يقال له محسوس

﴿ و ﴾ الثاني ﴿ أخبار صحيح ﴾ ثابت رجح مطابق للواقع فان الخبر كلام يحتمل

الصدق والكذب احتمالا متساويا بقطع النظر عن قائله وله نسبة خارجة فان طابقته فصادق والافكاذب وهذا الخبر الذي يفيد العلم على نوعين (أحدهما) المتواتر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ومصادقه وقوع العلم من غير شبهة وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الماضية في الأزمنة الخالية والبلدان النائية كوجود مكة و بغداد فان من لم يحسن الاكتساب ولا ترتيب المقدمات من النساء والصبيان يدرك ذلك فلوم يكن العلم بذلك ضروريا لما أحسنوا ذلك وأما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام واليهود بتأييد دين موسى عليه السلام فتواتره ممنوع لأن مستنده مجرد الوهم والهوى فان قيل خبر كل واحد لا يفيد الا الظن وضم الظن الى الظن لا يوجب اليقين وأيضا جواز كذب كل واحد يوجب جواز كذب المجموع لأنه نفس الآحاد فالجواب البيئة الاجتماعية أوجبت له من القوة ما لم تكن لأفراده كقوة الجبل المؤلف من الشعر مع الشعرات فان قيل الضروريات لا يقع فيها تفاوت ولا اختلاف ونحن نجد العلم بكون الواحد نصف الاثنين أقوى من العلم بوجود اسكندر والمتواتر قد أنكر افادته العلم جماعة من العقلاء كالسمنية والبراهمة فالجواب هذا ممنوع بل قد يتفاوت أنواع الضروري بواسطة التفاوت بالالف والعادة والممارسة والاختار بالبال وتصورات أطراف الاحكام وقد يختلف فيه مكابرة وعنادا كالسوفسطائية في جميع الضروريات كما سننبه عليه قريبا (النوع الثاني) من نوعي الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدي كما مر فيوجب العلم الاستدلالي للقطع بأن من أظهر الله تعالى المعجزة على يده تصديقا له في دعوى الرسالة لا يكون الا صادقا فيما أتى به من الاحكام واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا وانما كان استدلاليا لتوقفه على الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات وكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والمتواترات في اليقين والثبات

﴿ و ﴾ الثالث من مدارك العلم (النظر) أي الفكر الذي يطلب به علم أو ظن قال العلامة شهاب الدين أحمد ابن قاضي الجبل من محقق علمائنا النظر لعة الانتظار والرؤية والرأفة

والتفكير وعرفا الفكر المطلوب به علم أو ظن فينتقل من أمور حاصلة ذهنا إلى أمور مستحصلة وقد يطلق على حركة النفس التي يليها البطن الأوسط من الدماغ المسمي بلدودة أي حركة كانت في المعقولات وفي المحسوسات تسمى تخيلا لا فكرا وقال الامام ابن عقيل في الواضح النظر هو الاصل في تحصيل هذا الامر والطريق اليه وهو اسم مشترك يقع على الرؤية بالبصر كما قال تعالى (وجوه يومئذ ضرة إلى ربها ناظرة) وعلى الانتظار المنتظر والتوقع له (فناظرة بمرجع المرسلون) وهو ههنا أي في عرف الاصوليين التأمل والتفكير والاعتبار بمعرفة الحق من الباطل والفصل بين الحجمة والشبهة وهو فكرة القلب وتأمله ونظره المطلوب به علم هذه الامور وغلبة الظن لبعضها وقد يصيب الناظر فيها وقد يخطئ وكلاهما نظر منه وقد ينظر في شبهة وفي دليل وقد يصل بنظره إلى العلم تارة اذا سلك فيه المسلك الصحيح ورتبه على واجبه ومقتضاه وقد لا يصل اليه اذا قصر وغلط. وغلط فيه أو نظر فيها هو شبهة وليس بدليل وللنظر آلة وغرض فالآلة هو المطلوب من أجل غيره والغرض هو المطلوب من أجله في نفسه فالغرض كعرفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انتهى

والحاصل أن اسباب العلم ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل ووجه الحصر أن السبب ان كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك فالحواس والا فالعقل وان كان المؤثر في العلوم كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانها بخلقها وابتجاده والله اعلم

- ﴿ فالحد وهو اصل كل علم      وصف محيط كاشف فافهم ﴾
- ﴿ وشرطه طرد وعكس وهوان      أنبأ عن الذوات، فالتام استبين ﴾
- ﴿ وان يكن بالجنس ثم الخالصه      فذلك رسم فافهم المحاصه ﴾

(ف) اذا عرفت ما ذكرناه لك من التمهيد وطلبت تعريف الحد المذكور (ف) الحد في اللغة المنع منه سمي البواب حداً لانه يمنع من يدخل الدار والحدود حدوداً لانها تمنع من العود إلى المعصية وسمي التعريف حداً لمنعه الداخل



فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه وقوله ﴿ وهو ﴾ أي الحد ﴿ أصل كل علم ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو الحد وخبره الذي هو وصف الخ وانما كان اصلا للمعلوم لأن من لا يحيط به علما لا ينتفع بما عنده قال الفخر أبو محمد اسماعيل البغدادي من علمائنا الحد على الحقيقة أصل كل علم فمن لا يحيط به علما لا نفع له بما عنده وقاله غيره وهو صحيح كما في شرح مختصر التحرير ﴿ و ﴾ الحد في الاصطلاح ﴿ وصف محيط ﴾ بموصوفه قال الامام القاضي أبو يعلى من أئمة علمائنا معنى الحد هو الجامع لجنس ما فرقه التفصيل المانع من دخول ما ليس من جملة فيه وفي التحرير المحيط بمعناه أي بمعنى المحدود فكأنه قال حد الشيء الوصف المحيط بمعناه ﴿ كاشف ﴾ بالرفع عطف على محيط. الذي هو نعت لوصف أي مميز للمحدود عن غيره ولذا قال الغزالي قيل حد الشيء نفسه وذاته وقيل هو اللفظ المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المتبتئين انه قول يكشف حقيقة المحدود وذكر فيه ثمانية أقوال ﴿ فاقتمهم ﴾ أمر بالانفعال ٧ لقبول الفهم بالتفهم والفهم ادراك معنى الكلام بسرعة كما في واضح ابن عقيل واستظفروا عدم تقييده بسرعة كما قاله الطوفي في شرح مختصره وتبعه العلامة ابو بكر الجراي في حواشي أصول ابن اللحام قال الطوفي لان من سمع كلاما ولم يدرك معناه الا بعد شهر أو أكثر قيل فهمه وبذلك يقال الفهم اما بطيء أو سريع فينقسم اليهما ومورد القسمة مشترك بين الاقسام نعم السرعة قيد في الفهم الجيد انتهى وقيل الفهم جودة الذهن من جهة تهيمته لاقتباس ما يرد عليه من المطالب والذهن قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود والاراء

( وشرطه ) أي شرط كون الحد صحيحا والشرط في اللغة العلامة وفي العرف ما يعتبر للحكم وهو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط وهو عقلي ولغوي وشرعي فالعقلي كالخياة للعلم واللغوي كقوله ان دخلت الدار فأنت طالق والشرعي كالظهارة للصلاة ﴿ طرد ﴾ خبر المبتدأ الذي هو شرطه وهو المانع الذي كلما وجد الحد ٧ وجد المحدود ﴿ وعكس ﴾ وهو الجامع الذي كلما وجد المحدود ٧ وجد الحد فهذا عكس الاطراد و يلزم من

ذلك أنه كلما انتفى الحد انتفى المحدود وقال الجراعي في الحواشي المطرد هو الذي اذا وجد الحد وجد المحدود وهو المانع قال والمنعكس هو الذي اذا عدم الحد عدم المحدود وهو الجامع قال وهذا قول الجمهور منهم الغزالي وابن الحاجب وابن مفلح قال وعكس القرافي والطوفي فقالا المطرد هو الجامع والمنعكس هو المانع وذكر أبو علي التيمي في كتاب التذكرة في أصول الدين ان هذا التعريف للحد قول المتكلمين وأما المناطقة فقالوا انه القول الدال على ماهية الشيء وهو ما يحصل من جنس التعريف وفصله قال ولا يحتاج فيه الى ذكر الطرد والعكس لأن ذلك يتبع الماهية واعلم أن الحد من حيث هو تام ورسمي ولفظي ولذا قال ﴿ وهو ﴾ أي الحد ﴿ ان أنبا ﴾ أي دل وكشف ﴿ عن الذوات ﴾ أي ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل ما الانسان فيقال حيوان ناطق ﴿ ف ﴾ هو أي الحد الذي أنبا عن ذاتيات المحدود الحقيقي ﴿ التام ﴾ وهو الأصل وله حد واحد لأن ذاتيات الشيء لا يكون له حدان مثله حيوان ناطق فانه حد للانسان فان قيل جميع ذات الشيء عين الشيء والشيء لا يفسر نفسه فالجواب أن دلالة المحدود من حيث الاجمال ودلالة الحد من حيث التفصيل فليس عينه من كل وجه فصح تعريفه به ولذلك لم يجعل اللفظان مترادفين الا اذا كان الحد لفظيا فلذا قال ﴿ استبن ﴾ أي اطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد فان هذا هو الحد الحقيقي التام المنبني عن ذاتيات المحدود وان كان بفصل قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقي ناقص كما اذا قيل ما الانسان فقلت ناطق وكذا ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق بالنسبة الى الانسان ﴿ وان يكن ﴾ الحد مركبا ﴿ بالجنس ﴾ أي من الجنس القريب ﴿ ثم الخاصه ﴾ مثال ذلك حيوان ضاحك بالنسبة الى الانسان ﴿ فذاك ﴾ المركب من جنس قريب وخاصة نحو الضاحك ﴿ رسم ﴾ تام فان الضاحك عرض في فبالفعل مفارق لا بالقوة وسمي خاصة لاخصاصه بحقيقة واحدة بالقوة أو الفعل بالنسبة الى الانسان لأن الضحك بالقوة لازم لماهية الانسان مختص بها وبالفعل مفارق لها مختص بها وتعريف الخاصة هي كلية تقال على ما تحت حقيقة واحدة فقط قولاً عرضياً وان كان الحد

بها أي الخاصة فقط كقولك الانسان ضاحك سمي رسماً ناقصاً وكذا ان كانت الخاصة مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك ﴿ فافهم الخاصه ﴾ بضم الميم فحاء مهمله مفتوحة فألف فصاد مهمله مدغمة في مثلها فحاء تأنيث أي المقاسمة يقال حصص الشيء ت حصيصاً وحصحص بان وظهر وتخاصوا وخاصوا اقتسموا حصصاً كما في القاموس قال والحصصة بالكسر النصيب والمراد افهم التقسيم ما بين الحد الحقيقي التام كالحیوان الناطق بالنسبة الى الانسان والحقيقي الناقص وله صورتان الأولى أن يكون بفصل قريب فقط كالناطق بالنسبة الى الانسان أو بالفصل مع جنس بعيد كالجسم الناطق بالنسبة الى الانسان أيضاً وكذا افهم الرسم الحقيقي التام والرسم الناقص على ما ذكرنا والجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو كالحیوان بالنسبة الى أنواعه نحو الانسان والفرس والنوع كلي مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب ما هو كالانسان بالنسبة الى زيد وعمرو ونحوهما من أفرادہ والفصل غير مقول في جواب ما هو بل في جواب أي شيء هو في ذاته وهو الذي يميز الشيء عما يشاركه في الجنس كالناطق بالنسبة الى الانسان والحد اللفظي ما كان بلفظ مرادف أظهر عند السائل من المستؤل عنه كما لو قال قائل ما الخندر يس فيقال له هو الحجر والله أعلم

﴿ وكل معلوم بحس وحجى فنكره جهل قبيح في الهجاء ﴾

﴿ فان يقم بنفسه فجوهراً أولاً فذاك عرض مقتقر ﴾

﴿ الجسم ما الف من جزئين فصاعداً فاترك حديث المين ﴾

﴿ وكل معلوم بحس ﴾ من الحواس الخمس الظاهرة التي لاشك فيها ولا آفة تعتربها فانكاره قبيح جدا اذ هو مجرد مكابره قال في شرح الجواهر وينسب انكار الحواس الى بطليموس وأفلاطون وارسطو وجالينوس قال ويجب أن يكون مرادهم بذلك أن جزم العقل ليس بمجرد الحس بل بتوسط ضمنية لا أن حكم الحس غير معتد به أصلاً والا يلزم انتفاء علومهم المبنية على الأحكام الحسية واستدل من قال بالانكار بأن الحس كثير الغلط فلا يعتبر وبيانه أنه يرى العنبة

في الماء كالأجاصة أو القطرة النازلة كالخط المستقيم ومنها أن الحس حاكم بيباض الثلج وهو مركب من أجزاء شفاقة ليس في الواقع له بياض وأن التألم يجزم بما رأى في النوم جزمه في اليقظة وكذا صاحب البرسام ونحوه فيمكن مثل ذلك في غيرهم وذلك كاف في رفع الثقة وأيضاً الأمثال متواردة أعم من أن تكون جواهرها كالأجسام عند النظام أو عرضاً كالألوان عند متكلمي الأشعرية ومن وافقهم والحس حاكم باستمرارها فيقوم الاحتمال في الشكل ولا جزم مع قيام الاحتمال وجواب شبههم عما أوردوه بأنه غير دال على عدم الوثوق يجزم العقل في المحسوسات بعدم الجزم بل على عدم جزم العقل بمجرد الحس وهو غير منكور فالحاكم في هذه الصور العقل بتوسط الحس لا الحس فقط كذا قيل والحق أن انكار الوثوق بالمدرك بالحواس مكابرة (و) كذا ما يدرك: (حجج) كالي هو العقل (فكره) أي انكاره وردده بعدم الوثوق به (جهل قبيح) متناه في القبح (في الهجاء) أي في الشكل والمثل يقال هذا على هجاء هذا أي على شكله أي قبيح في العادة المستمرة ومردود عند ذوي الهجاء المجيدين في التبحر والكشف عن حقائق الأشياء يقال هجي التبت كرضي هجياً انكشف قال العلامة نجم الدين بن حمدان في نهاية المبتدئين كل مؤد إلى حقيقة ثابتة تعلم عقلاً أو حساً فانكاره سفسطة انتهى والسوفسطائية انكروا كلام الحسيات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كل منها فأوردوا عليهم جزمهم بالشك فالتزموا عدم الجزم فيه أيضاً فقالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون وهؤلاء ثلاث فرق عندية وعنادية ولا أدرية فالعندية قالت مذهب قوم حق بالقياس إليهم باطل بالنسبة إلى خصوصهم ولا حق في نفس الأمر والعنادية مامن قضية بديهية كانت أو نظرية الا وهما معارض يساويها في القوة والقبول وأما اللاأدرية وهم أمثالهم فقالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون ونمسكوا بان دليل كل من منكري الحسيات والبديهيات دال على انتفاها والنظر متفرع عليهما منتف بانتفاها ولا طريق إلى الجزم غير الحس والبدية والنظر فلم يكن للجزم تحقق أصلاً وإذا كان الأمر كذلك لم يكن للمناظرة معهم فائده لأنها لا فائدة المجهول بالمعلوم وليس عندهم معلوم فتتجر المناظرة إلى التزام مذهبهم ولذا منع المحققون منها معهم ولكن يقال لهم هل ميزتم بين الألم

واللذة أو بين مذهبكم وما يناقضه فان ابوا الاصرارا أوجعوا ضربا وعذبوا بالنار ليعترفوا أو يهلكوا وسوف سطا اسم للحكمة الموهبة والعلم المزخرف لان سوففا معناه العلم والحكمة واسطامعناه المزخرف والغلط . ومنه اشتقت السفسطة كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف أي محب الحكمة

### ﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اعلم ان العلم منه ماهو ضروري ومنه ماهو كسبي فالضروري ما يلزم نفس المخلوق لزوما لا يبعد الى الانفكاك عنه سبيلا كالتصديق بأن الكل أعظم من الجزء وان الواحد نصف الاثنين وان العلم البديهي أخص من الضروري لان البديهي هو ما يثبتته مجرد العقل من غير احتياج الى شيء آخر ويمكن الاحتياج في الضروريات الى شيء آخر غير العقل كوجدان أو تجربة أو غيرها وأما الكسبي فهو مقابل للضروري وهو النظري والاستدلالي وهو ما يتضمنه النظر الصحيح وعرفه غير واحد بما يحصل بالذات عقيب النظر وفي مختصر التحرير وشرحه الدال الناصب للدليل وهو لغة المرشد وشرعا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري ويدخل في المطلوب الخبري ما يفيد القطع والظن وهو مذهب أصحابنا وأكثر الفقهاء والاصوليين وقيل ان ما أفاد القطع يسمى دليلا وما أفاد الظن يسمى اشارة وقال ويحصل المطلوب المكتسب بالنظر الصحيح في الدليل عقبه عادة وعلى هذا أكثر العلماء لانه قد جرت العادة بأن يفيض على نفس المستدل بعد النظر الصحيح مادة مطلوبة بصورة مطلوبة الذي توجه بالنظر الى تحصيله وقيل يحصل عقب النظر ضرورة لانه لا يمكنه تركه . ثم ان الادراك لمساهية الشيء بلا حكم عليها بنفي أو اثبات تصور لانه لم يحصل به سوى صورة ذلك الشيء في الذهن وتصور ماهية الشيء مع الحكم عليها باليجاب أو سلب تصديق فالتصور ادراك الحقائق مجردة عن الاحكام والتصديق نسبة حكمية بين الحقائق باليجاب أو السلب والعلم الحاصل بالضرورة والكسب هو صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاعراض والواجب والممكن

والممتنع تميزا جازما مطابقا للواقع بحيث لا يحتمل النقيض والحق انه يتفاوت كالمعلوم وكما يتفاوت الايمان قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه الصواب ان جميع الصفات المشروطة بالحياة تقبل التزايد وروي عن الامام احمد رضي الله عنه في المعرفة الحاصلة في القلب في الايمان اهل تقبل التزايد والنقص روايتان قال والصحيح من مذهبننا ومذهب جمهور اهل السنة امكان الزيادة في جميع ذلك انتهى وتقدم وجوب اعتقاد قبول الايمان للزيادة والنقصان أو دليل ذلك بالعقل والقرآن والله أعلم

(الثاني) اعلم ان العلم يطلق لغة وعرفا على اربعة امور (احدها) ما لا يحتمل النقيض كما تقدم (الثاني) يطلق ويراد به مجرد الادراك سواء كان جازما أو مع احتمال راجح أو مرجوح أو مساو (الثالث) انه يطلق ويراد به التصديق قطعيا كان أو ظاهريا (الرابع) يطلق ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ومنه قوله تعالى (ما عرفوا من الحق) اي علموا وقد يطلق الظن ويراد به العلم كقوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) اي يعلمون والمعرفة من حيث انها علم مستحدث او انكشاف من بعد لبس اخص من العلم لشموله غير المستحدث وهو علم الله تعالى والمستحدث وهو علم العباد ومن حيث انها يقين وظن اعم من العلم لاختصاصه حقيقة باليقين وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب والله أعلم

ثم ان كل شيء لا يتخلو اما ان يقوم بنفسه او لا ﴿فان يقوم﴾ ذلك الشيء بنفسه ﴿اي بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتحيز بنفسه غير تابع بتحيزه لتحيز شيء آخر وعند الفلاسفة معنى قيام الشيء بذاته استغناؤه عن محل يقومه فلا يتخلو القائم بنفسه من أحد أمرين اما أن يكون مركبا من جزئين فصاعدا وهو الجسم كما يأتي الكلام عليه أو غير مركب فان قام بنفسه وكان غير مركب من جزئين فصاعدا ﴿ف﴾ هو ﴿جوهر﴾ والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذي لا يتجزأ وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد أعني الجزء الذي لا يتجزأ وزعموا ان تركيب الجسم انما هو من الهيولى والصورة وأقوى الأدلة على اثبات الجزء الذي لا يتجزأ عند القائلين به

انه لو وضع كرة حقيقة على سطح حقيقي لم تماسه الا بجزء غير منقسم اذ لو ماسة بجزئين لكان فيها خط بالفعل فلم تكن كرة حقيقة وأشهرها عند محققي المتكلمة وجهان (الاول) ان لو كان كل عين منقسماً لا الى نهاية لم تكن الخردلة أصغر من الجبل لان كلا منهما غير متناهي الاجزاء والعظم والصغر انما هو بكثرة الاجزاء وقتلها وذلك انما يتصور في المتناهي (الثاني) قالوا ان اجتماع الجسم ليس لذاته والا لما قبل الافتراق فله تعالى قادر على أن يخلق فيه الافتراق الى الجزء الذي لا يتجزأ لان الجزء الذي تنازعا فيه ان أمكن افتراقه لزم قدرة الله تعالى عليه دفعا للعجز وان لم يمكن ثبت المدعى الذي هو وجود الجزء الذي لا يتجزأ وضعف هذه المدارك لم يثبتها شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وان كان في اثباته نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الهوى والصورة المؤدي الى قدم العالم ونفي حشر الاجساد وامتناع الحرق والالتئام مما هو معلوم الفساد من دين الاسلام بالضرورة والله أعلم ﴿أولاً﴾ يقوم بنفسه ﴿فذلك﴾ الذي لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون قائماً بغيره تابعا له في التحيز أو مختصا به اختصاص الناعت بالمنعوت فهو ﴿عرض مفترق﴾ الى محل يقومه فوجود العرض في الموضوع هو ان وجوده في نفسه هو وجوده في الموضوع فيمتنع الانتقال عنه فالعرض مفترق الى محل يقوم به ويحمله وقيل هو الموجود في شيء غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامه دون ما هو منه وقيل ما بطراً على جوهر من كون ولون لانه بمعنى انه لا يمكن تعلقه بدون المحل كما قد توهم ذلك بعضهم نعم يوجد ذلك في بعض الاعراض كالابوة مثلاً

﴿ والجسم ما ﴾ أي شيء أو الذي ﴿ ألف ﴾ أي ركب ﴿ من جزئين فصاعدا ﴾ أي أكثر يعني ذاهبا الى جهة الصعود والارتفاع عن اثنين فيكون أقل ما يتركب من جزئين ولا حد للكثرة ﴿ فترك حديث ﴾ أي كلام ﴿ المين ﴾ أي الكذب يعني الكلام الكذب وأراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة أعني الطول والعرض والعمق وعلى من زعم انه لا يتركب من أقل من ثمانية أجزاء لتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة وقيل

الجسم ما يقبل الزيادة بالوصف بجوهر الجسم منه وقد قدمنا الكلام على الجوهر والجسم والعرض عند قولنا في الباب الاول

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذوالعلا  
فراجعه ان شئت وانما أعاده هنا تبعاً للاصحاب في الحاقهم أو اخر العقائد كلمات  
يكثرون دورانها في هذا العلم ومن هذا القبيل قوله

﴿ ومستحيل الذات غير ممكن وضده ما جاز فاسمع زكني ﴾

﴿ والضد والخلاف والنقيض والمثل والغير ان مستفبض ﴾

﴿ وكل هذا علمه محقق فلم نطل به ولم نتمق ﴾

﴿ ومستحيل الذات غير ممكن ﴾ أي المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور اذ لو  
تعلقت به القدرة لصار ممكناً لانها لا تتعلق الا بالممكنات كما مر وضده أي  
ضد المستحيل ﴿ ما ﴾ أي الذي ﴿ جاز ﴾ وجوده وعدمه والحاصل ان  
الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده  
والممكن ما جاز وجوده وعدمه يعني قبل ايجاده وتقدم الكلام عليه في  
الباب الاول ﴿ فاسمع زكني ﴾ أي علمي وفهمي وتفرسي في اختصار الكلام  
مع تمام الاحكام يقال زكن كفرح وازكنه علمه وفهمه وتفرسه وظنه او  
الزكن ظن بمنزلة اليقين عندك او طرف من الظن وازكنه اعلمه وافهمه والازكان  
ان تزكن شيئاً بالظن فيصيب ثم اشار الى بعض ما ذكره النجم ابن حمدان في  
آخر نهاية المبتدئين فقال ﴿ والضد ﴾ يعني مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعها  
في محل واحد في زمن واحد كالاسود والبياض والحركة والسكون والاجتماع  
والافتراق اذا الشيء الواحد لا يكون اسود ايض في زمن واحد ولا يكون  
ساكناً متحركاً في زمن واحد ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا اسود ولا  
ايض قال في نهاية المبتدئين وقيل الضدان الوصفان الوجوديان اللذان يمنع  
اجتماعهما لذاتهما كالسود والبياض وقيل كل ذاتين يتعاقبان على موضع واحد  
ستحيل اجتماعهما فيه بينهما غاية الخلاف والبعد انتهى وهي عبارات متقاربة المعنى



في الجملة (والخلاف) أي الخلافان يجتمعان ويرتفعان كالحركة والبياض في الجسم الواحد (والنقيض) ان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضافين الى معين واحد (والمثالي) ان ما قام احدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله والجواهر مماثلة وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة كبياض وبياض واما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان اما في الصورة واما في استحقاق المعنى المحوز عليهما او في السبب الذي تعلق به وجودهما ونحو ذلك مما تقع به المشابهة والمتشابهان من وجه قد يختلفان من آخر والمثلان لا يختلفان من وجه والختلفان قد يختلفان من وجه ويشبهان من وجه آخر (والغيران) هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن ان يفارق احدهما الآخر بوجه فالمختلفان يقربان من المثليين وهما في التقارب على العكس من المختلفين وفيهما زيادة على اصح حد المتشابهين لانه قد يكون التفاوت بالوصف كما في المتشابهين لانه وقد يكون التفاوت بالزمان والمكان وليس ذلك في المتشابهين وقد يكون في المماثلين تفاضل من وجه مثل الحر كتين تكون احدهما اشد من الاخرى ولذلك يتفاوت السوادان شدة وضعفا وكل علم ذلك معلوم عند أهل هذا الفن وعند المناطق (مستفيض) استفاضة ظاهرة لا تخفى على احد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية (تنبية) قد يتعذر ارتفاع الخلافين لخصوص حقيقة كونهما خلافاين كذات واجب الوجود تعالى وتقدس مع صفاته وقد يتعذر اقتراقها والخمس مع الفردية والجوهر مع الالوان ونحو هذا وهو كثير لكن لاتنافي بين امكان الاقتراق والارتفاع بالنسبة الى الذات وتعذر الارتفاع بالنسبة الى امر خارجي عنها وهذا الذي ذكرناه كله بالنسبة الى ممكن الوجود اما الله تعالى وصفاته فلا يقال بإمكان رفع شيء منها لتعذر رفعه بسبب وجوب وجوده وقد قدمنا في بحث الصفات ما يرشد لهذا (وكل هذا) المذكور واضعافه مما لم يذكر (علمه) مشهور عند أرباب الفن (محقق) وحيث كان كذلك فلنقتصر على هذا المقدار الذي ذكرناه (فلم نطل به) أي بذكره (ولم نتمق) من التنبيق وهو التحسين والتزيين قال في القاموس تمق الكتاب كتبه ونمقه وتميضا حسنه وزينه بالكتابة ويقال للشيء المروج فيه نمقه

محركة اذا المقصود انما هو ذكر امهات مسائل العقائد السلفية ونظم فرائد الاصول  
الاثرية وقد ذكرنا منها ما اعلمه يكفي المبتدي ويشفي المنتهي ويكمد المعتدي  
وبالله التوفيق ثم حمدنا الله تعالى عودا على بدء قفلنا

﴿ والحمد لله على التوفيق لمنهج الحق على التحقيق ﴾  
﴿ مسلما لمقتضى الحديث والنص في القديم والحديث ﴾  
﴿ لا أعتني بغير قول السلف موافقا لأمتي وسلفي ﴾

﴿ والحمد لله على التوفيق ﴾ وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل  
والمشرب الصافي من ينبوع التنزيل من غير الحاد ولا تأويل ولا تشبيه ولا  
تعطيل والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه  
شرح منازل السائرين قد اجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يكلك الله تعالى الى  
نفسك والخذلان ضده وهو ان يخلي بينك وبينها فالعبيد متقلبون بين توفيقه  
وخذلانه بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيع مولاه ورضيه  
ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له فهو دائر  
بين توفيقه وخذلانه فان وفقه فبفضله ورحمته وان خذله فبعبدله وحكمته وهو سبحانه  
المحمود في هذا وهذا له اتم حمد وأكمل له لم يمنع العبد شيئاً هو له وانما منعه ما  
هو مجرد فضله وعطائه وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله قال فتى شهد العبد هذا  
المشهد وأعطاه حقه علم ضرورته وفاقته الى التوفيق في كل نفس ولحظة وطرفة عين  
وان توحيديه وإيمانه ممسك بيد غيره لو تخلى عنه طرفة عين لثل عرشه ونجرت سماء  
إيمانه على الارض وان المسك له من يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه  
فدا به بقلبه ولسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف  
قلبي على طاعتك ودعواه يا حي يا قيوم يا بدیع السموات والارض يا ذا الجلال  
والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلفني الى  
نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك ثم قال والتوفيق هو ارادة الله من نفسه  
أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه مريداً له

محباً له مؤثراً له على غيره ويغض اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله تعالى  
 والعبد محل له قال تعالى (ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم  
 الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة والله عليم  
 حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في  
 مواضع وعند أهله ولا يمنعه أهله ولا يضعه عند غير أهله وذكر هذا عند عقيب  
 قوله (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) ثم جاء بحرف  
 الاستدراك فقال (ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه) قال وقد فسرت الجبرية  
 وغيرهم التوفيق بأنه خلق الطاعة والخذلان خلق المعصية وبنوا ذلك على أصولهم  
 الفاسدة من انكار الاسباب والحكم وردوا الامر الى محض المشيئة من غير  
 سبب ولا حكمة قال وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام  
 والتمكن من الطاعة والاقدار عليها وتهيئة أسبابها قال وهذا حاصل لكل كافر  
 ومشرك بلغته الحجة وتمكن من الايمان وقد قدمنا في الكلام على القدر ما لعله يكفي  
 ويشفي وبالله التوفيق وقوله ﴿ لمنهج الحق على التحقيق ﴾ متعلق بالتوفيق والمنهج  
 الطريق الواضح كالمنهج والمناهج والحق هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على  
 الاقوال والمقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل وأما  
 الصدق فشاع في الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بين الحق والصدق بأن  
 المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى  
 صدق الحكم مطابقتها للواقع ومعنى حقيقته مطابقتها للواقع ايها والتحقق ايقاع  
 الاشياء في محالها وردھا الى حقائقها يقال حقق الطريق ركب حاقته وحقق الامر  
 تيقنه وقوله ﴿ مسلماً ﴾ حال من معمول التوفيق أي الحمد لله على توفيقه لمنهج الحق  
 حال كوني مسلماً ﴿ لمتقضى الحديث ﴾ أي لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوي  
 ﴿ والنص ﴾ الصريح القرآني وقدم الحديث لمراعاة القافية ولشدة الاعتناء بالتمسك  
 بالسنة النبوية والاحاديث المرضية كالنص كما هو في نسخة وهي أولى وأحرى  
 وحينئذ فالنص هو المقدم وسواء أدركنا معناه بعقولنا أم لم ندرکه وهذا هو الحق  
 الواجب على كل مسلم يوضحه ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله

من صفاته وغيرها ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على ذلك فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول عليه السلام اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله تعالى عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به اذا كان الذي لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله وما لم يخبر به ان علمه بعقله آمن به ومن سلك هذا السبيل فوجود الرسول واخباره وعدمهما عنده سواء وما يذكر من القرآن والحديث والاجماع لا أثر له عنده هؤلاء وقد صرح بذلك جماعة من أئمة المتكلمة وتقدم هذا في الباب الاول بعد قولنا

فكل ما قد جاء في الدليل فثبت من غير تمثيل

وقوله ﴿ في القديم والحديث ﴾ يحتمل معنيين كلاهما مراد (أحدهما راجع الى الناظم وهو أن هذا عقيدتي واعتمادي ومبنى عصمتي واعتمادي التسليم والاتباع والمسئول والاعتماد على مقتضى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية سواء أدرکنا معانيها بعقولنا أو قصرت عن ادراك حقائقها ألبابنا وآراؤنا وهذا في أول زمان وجود ادراك فهمي ولم ينفك عن هذا عقدي ودليل علمي فقديم زماني وحديثه على ذلك وهو نهج القويم وان تباينت المسالك (الثاني) أن مبنى علمي وحقيقة حجتي وفهمي وعصمتي وسندي انما هو النص القرآني والخبر الصحيح النبوي وما أجمع عليه السلف سواء في ذلك الأحكام المتعلقة بالعبادات ونحوها من المعاملات والأنكحة والجنايات والحدود والكفارات أو الأخبار عن البرزخ والمعاد وما للعالم من شقوة أو أسعاد هذا وهذا ونحوه مما يتعلق بالحادث والحوادث أو كان مما يتعلق بالقديم الديان من الذات والصفات والقرآن حسبما برهنا على ذلك في شرحنا هذا على قدر الامكان مما يعلمه الناظر فيه بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة والأدلة النافعة والالزامات القاسمة ﴿ لا أعنتي ﴾ في أصل نظم عقيدتي

هذه بقول قائل وان جل أمره وشاع ذكره ﴿ بغير قول السلف ﴾ أي لا أعول ولا يهمني ولا يعنيني في نظم عقد توحيدى الا قول السلف الصالح والرعيلى الاول الفالح وفي نسخة « لا أعتنى الا بقول السلف » ولست في ذلك منفردا ولا ناهجاً نهجاً متقدماً بل في نهجى المذكور وسيرى المشكور حال كوفى ﴿ موافقاً أمتى ﴾ من أئمة أهل الأثر ﴿ وسافى ﴾ في ذلك من كل همام معتبر قد سبروا الأخبار ودونوا الآثار وعرفوا ما كان عليه النبى المختار وما اقتناه عليه أصحابه الأبرار وأصهاره الأخيار وأنصاره الأتطار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وقد قال « ستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابى » وتقدم ذلك في المقدمة

﴿ ولست في قولى بهذا مقلداً الا النبى المصطفى مبدي الهدى ﴾

﴿ صلى عليه الله ما قطر نزل وما تعانى ذكره من الازل ﴾

﴿ وما انجلى بهديه الديبور وراقت الاوقات والدهور ﴾

﴿ ولست في قولى بهذا ﴾ أي بما أشرت اليه من اقتفاء الأئمة والسلف الصالح ﴿ مقلداً ﴾ لهم في اعتقادى ، وان الذى نحوه بمجرد عمدي واعتقادى ، من غير نظر في الدليل وبحث عن الكثير والقليل ، بل نظرت كما نظروا ، وسبرت كما سبروا ، وخضت في علوم النظر والكلام ، والحكمة والأحكام ، فرأيتها لا تشفى من سقام ، ولا تروى من أوام ، ولا تهدي من ضلال ، ولا تجدى من نوال ، هذا واللب عاكف على الآثار ، عارف بشمات الاخبار ، كارف من نشرها ما يزيل تنن الراء ، عارف من بحرها ما يطفى حرارات الاهواء ، مقتبسا من أنوارها ما يقشع ظلمات الافكار الفلسفية ، ملتمساً من أسرارها ما يقيم شبهات الانظار الكلامية ، مقيداً منها بما يزيل الخيالات المعتزلية ، معتمداً منها على ما يفسل الزبالات الرافضية ، فليس لي في كل سيرى مقلداً ، ولا في اعتقادى قدوة ومعتمداً ﴿ الا النبى المصطفى ﴾ من سائر العالم المختار من سائر بني آدم ﴿ مبدي ﴾ أي مظهر ومبين وكاشف ﴿ الهدى ﴾ بالدلائل الواضحة ، ومرشد العالم الى سلوك المسالك الناجحة ، وتقدم ( ٢ ش عقيدة السفار بنى - ٥٥ )

الكلام على الهداية ، بما فيه كفاية ، فقد بذلت وسعي في اقتفاء آثاره ، وانتقاء أخباره ، وسبر أحواله ، ونشر أقواله ، وتهذيب سيرته الشريفة ، وثبوت شريعته المحكمة المنيفة ، فكرعت منها عللا بعدنهل ، وشربت عذبا زلالا صافيا برياً من زبالات الآراء والزلل ، فذاك معتمدي مدى العمر ، لا زيد ولا بكر ، ولا خالد ولا عمرو ﴿ صلى عليه الله ﴾ تقدم الكلام على معنى الصلاة والسلام ﴿ ما قطر نزل ﴾ أي مدة دوام نزول الامطار وتداول الاعصار ، والقطر هو الماء والنزول وكفه من العلو اذا هطل ﴿ و ﴾ صلى الله وسلم عليه ﴿ ماتعاني ﴾ المعتنون ﴿ ذكره من الازل ﴾ في الاعصار الخالية والاطوار البالية والقرون الفانية والامم الماضية فانه لم يخل زمان من ذكره ولا أوان من التنويه بشرعه ومبعثه ونبيه وأمره الى أن جاء ابان رسالته زمان بعثته وظهور مقاتله فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب النبوات فانخست وبهرت رسالته سائر المقالات فانطمست ﴿ و ﴾ صلى الله وسلم عليه ﴿ ما نبجلى ﴾ أي تفرق وزال وانكشف ﴿ بهديه ﴾ الناصع ونور شرعه المشرق اللامع ﴿ الديجور ﴾ أي الظلام قالب في القاموس الديجور التراب والظلام والاغبر الضارب الى السواد أي مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الافك وغبار البدع والابتكار بمنار هديه ونور شرعه الذي أزال كل ظلام وأطفأ كل نار ﴿ و ﴾ ما بهديه صلى الله عليه وسلم ﴿ راقت ﴾ أي صفت قال في القاموس الترويق التصفية والراووق المصفاة والريق تردد الماء على وجه الارض من الضحضاح والرائق الخالص و ﴿ الاوقات ﴾ جمع وقت وهو المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل في الماضي والميقات يطلق على الزمان والمكان المضروب للفعل وفي نسخة ما راقت الايام بدل الاوقات جمع يوم والمراد ما خلصت وصفت الاحوال جمع حال الواقعة في الاوقات والحاصلة في الايام والساعات والحال كنه الانسان وما هو عليه كالحالة وبرد بالحال الهيئة ومنه تغير من حال الى حال ﴿ و ﴾ ماراقت ﴿ الدهور ﴾ جمع دهر وهو الزمان الطويل والامد الممدود وقد يعد في الاسماء الحسنى والمراد على حذف مضاف والذي عدّه في الاسماء الحسنى نظر الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو

الدهر» الى ظاهر الحديث القدسي قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وقال الخطابي معناه انا صاحب الدهر ومدبر الامور التي ينسبونها الى الدهر فمن سب الدهر من اجل انه هذه الامور عاد بسبه الى ربه الذي هو فاعلها وانما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور وكانت عادة الجاهلية أنهم اذا اصابهم مكروه اضافوه للدهر فقالوا بؤسا للدهر وتبا للدهر قال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك وقد شن الغارة الحافظ ابن الجوزي على من نسب شيئا من ذلك الى الدهر ولو لم يعتقد ظاهره في عدة مواضع من كتبه منها صيد الخاطر وغلط القاضي عياض من زعم ان الدهر من أسماء الله تعالى فان الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله في الدنيا أو فعله لما قبل الموت وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم لان الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شيء عندهم ولا صانع سواه وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث «أنا الدهر أقلب ليله ونهاره» فكيف يقلب الشيء نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقال محمد ابن أبي جرة لا يخفى ان من سب الصنعة فقد سب صانعها فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى وذكروا ما قدمنا من أن ليس للدهر ولا لليل والنهار فعل ولا تأثير فمن سب شيئا من ذلك يؤول من حيث المعنى أنه سب خالق ذلك انتهى ملخصا

﴿ وآله وصحبه أهل الوفا معادن التقوى وينبوع الصفا ﴾

﴿ وتابع وتابع للتابع خير الورى حقا بنص الشارع ﴾

﴿ و ﴾ صلى الله على ﴿ آله ﴾ أي أبه على دينه وقيل أقاربه الادنون من بني هاشم و بني المطاب والاول اختيار الامام احمد في مقام الدعاء والثاني اختيار الامام الشافعي وقيل آله اهله والصواب جواز اضافته الى الصمير خلافا لمن انكر

ذلك نعم هو قليل ﴿وصحبه﴾ وهم كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على الايمان وتقدم الكلام عليهم في اول الكتاب وفي قوله ﴿اهل الوفا﴾ اشارة الى انهم فعلوا ما امروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من بذل نفوسهم انفسهم وكل نفيس في نصرة الدين القويم والتمسك بهديه المستقيم وقوله ﴿معادن التقوى﴾ يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره أمدح ونحوه ورفع خبر لمبتدا محذوف تقديره هم والمعادن جمع معدن بكسر الدال قال الازهري سمي المعدن معدنا لعدون ما أنبته الله فيه أي لاقامته فيه يقال عدن بالمكان يعدن عدونا والمعدن المكان الذي عدن فيه الجوهر من جواهر الارض أي ذلك كان . وأحرى خلق الله تعالى وأجدر باقامة التقوى فيهم وعدونها لديهم بعد أنبياء الله تعالى ورسوله أصحاب نبيه المصطفى رضوان الله تعالى عليهم والتقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفته وامتناله امره واجتناب نهيه وحققتها ان يجعل المرء بينه وبين معاصي الله وقاية تمنعه من انتهاكها والوقوع فيها فلا بد أن يجعل بينها وبينه حاجزا وفي سنن الترمذيين وابن ماجه من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا بما به بأس » وقال ابو الدرداء رضي الله عنه التقوى تمام التقوى ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين الحرام وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب ﴿وينبوع الصفا﴾ معطوف على معادن والينبوع بفتح التحتية وسكون النون وضم الموحدة وبعدها واو سا كنهة فمعين مهملة عين الماء أو الجدول الكثير الماء كما في القاموس والصفات الكدر كالصفو والصفوة وصفوة الشيء مثله ما صفي منه ومنه صفا الجو اذا لم يكن فيه لظمة غيم فالصحاب الكرام ينبوع كل خالص من الكدر نقي من غبار البدع وقذى الفكر فمن ورد مورد هم كرع صافيا زلالا ومنزل عن نهجهم شرب أجاجا قدرا وبالا ﴿و﴾ على ﴿تابع﴾ لهم باحسان ﴿وتابع للتابع﴾ على نهج الاستقامة والاتقان وهوؤلاء القرون الثلاثة ﴿خير الوري﴾ كفتي الخلق أي من هذه الامة وأفضلهم



أحق ذلك ﴿حقابنص الشارع﴾ للشرائع يعني النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران ابن حصين رضي الله عنهما فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة رواه البخاري ومسلم وغيرهما وكذا في حديث ابي هريرة عند مسلم ولفظا حديث ابي هريرة «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه» ولهذا المعنى قال

﴿ورحمة الله مع الرضوان والبر والتكريم والاحسان﴾  
 ﴿تهدي مع التبجيل والانعام مني لمثوى عصمة الاسلام﴾  
 ﴿أئمة الدين هداة الامة أهل التقى من سائر الائمة﴾  
 ﴿لا سيما احمد والنعمان ومالك محمد الصنوان﴾

﴿ورحمة الله﴾ تعالى ﴿مع الرضوان﴾ من الله تعالى ﴿والبر﴾ بالكسر الاحسان والشفقة ﴿والتكريم﴾ لهم من فضله العميم وكرمه الكريم ﴿والاحسان﴾ اليهم من الله لانهم أحسنوا عملا وخلصوا قولا وفعلا فيجازيهم بالاحسان لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿تهدي﴾ بضم المثناة الفوقية على صيغة مالم يسم فاعله أي هذه الامور التي هي الرحمة والرضوان والبر والتكريم والاحسان ﴿مع التبجيل﴾ أي التعظيم وفي حديث أنه عليه السلام أتى القبور فقال «السلام عليكم أصبتم خيرا بجيلا» أي واسعا كثيرا من التبجيل يعني التعظيم كما في النهاية وقال في القاموس بجله بجيلا عظمه ﴿والانعام﴾ من الملك المنعم الميمن السلام ﴿مني﴾ أي بأن أسأل الله تبارك وتعالى ان يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه وطوله وحلمه ﴿لمثوى﴾ أي منزل ومقام قال في النهاية المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا اقام فيه وفي القاموس المثوى المنزل وجمعه مثاوى وهو مجازلان المراد الثاوين فأطلق المحل واراد الحال ﴿عصمة﴾ أهل ﴿الاسلام﴾ من البدع المضلة والآراء المخلة وأهل الزبغ والالحاد والافك والعناد والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي والاعتصام الامتسك بالشيء افتعال منه وفي شعر أبي طالب في حق النبي صلى الله عليه وسلم «ثمال اليتامى عصمة للارامل» أي يمتنهم

من الضياع والحاجة وعلى كل حال انما عصمة هذا الدين بعد الصحابة والتابعين كان  
 بهؤلاء الائمة المجتهدين ومن ثم قال ﴿أئمة﴾ أهل هذا الدين المتين ونور الله المبين  
 الذي جاء به النبي الامين من عند رب العالمين ﴿هداة الامة﴾ أي الدالين الامة على  
 نهج الرسول والكاشفين لهم عن معاني الكتاب المنزل والاحاديث التي عليها المعول  
 والذابين زيغ الزائغين وبدع المبتدعين وضلال المضلين والحاد الملحدين فقد  
 شيدوا مبانيها وسددوا معانها وأصلوا أصولها وفضلوا فصولها فأصبحت الشريعة بهذا  
 الترتيب مضبوطة وأحكامها بهذا الوصف والتبويب مربوطة فمن رام اختلاس  
 حكم من أحكامها نكص على عقبيه وهو خائب ومن دنا من سماء أحكامها رمته  
 كواكب حرسها بشهاب ثاقب ولست أخص بهذا الوصف والدعاء أحدا دون احد بل  
 أسأل الله تعالى لهم جميعا لانهم هم ﴿أهل التقى من سائر﴾ أي جميع ﴿الائمة﴾ من  
 المقتدى بأقوالهم وأفعالهم من كل عالم همام وجبر ققام ومقدم مقدم كالأئمة  
 المتبوعة الآتي ذكرهم والسفيانيين والحمادين واسحاق بن راهويه وأبي ثور  
 ويحيى بن معين وابن أبي ذئب والبخاري ومسلم وعبد الله بن المبارك والليث  
 ابن سعد وريبعة بن عبد الرحمن وعبد الملك بن جريج وداود وغيرهم فانهم  
 وان تباينت أقوالهم واختلفت آراؤهم من جهة الفروع الفقهية فالجميع سلفية  
 أثرية ولهم في السنة التصانيف النافعة والتاليف الناصعة كابن سعيد الدارمي  
 وأبي بكر بن خزيمة وأشباهم ثم بعد أن عم جميع الائمة بالدعاء والثناء خص  
 الائمة الاربعة الذين مدار الشريعة الآن على ما أصلوه واحكامها ضمن ما  
 فصلوه فقال ﴿لاسيا﴾ هذه الكلمة مبنية على دخول ما بعدها في ما قبلها  
 بالأولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فمن بعدها كذلك وأولى بذلك  
 ويجوز في الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا وكذلك النصب أيضا اذا  
 كان نكرة وقد روي بالأوجه الثلاثة قول امرئ القيس • ولاسيا يوم بدارة  
 جلجل • وأرجحها الجر وهو على الاضافة وما زائدة بين المضاف والمضاف اليه  
 مثلها في أياما رجلين والرفع على أنه خبر لمضمرة محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة  
 بالجملة والتقدير ولا مثل الذي هو يوم أو ولا مثل شيء هو يوم وعلى الوجهين فتحة

سي اعراب لأنه مضاف والنصب على التمييز كما يقع التمييز بعد مثل في مثل (ولو جئنا بمثله مددا) وما كافة عن الاضافة وفتحة سي فتحة بناء مثلها في لا رجل وأما انتصاب المعرفة نحو ولا سيما زيد اتمعه الجمهور وتشديد سها ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب عند قوم حتى قال ثعلب من استعمل لا سها على خلاف ما جاء في قوله : ولا سها يوم : فهو مخطيء وذكر غيره أنها قد تحذف وقد تحذف الواو كقوله

فه بالعقود و بالايان لا سها عقد وفاء به من أعظم القرب

وهي عند الفارسي منصوبة على الحال وعند غيره اسم للتبرئة واختاره بعضهم الامام ﴿ احمد ﴾ ابن محمد بن حنبل الشيباني سيدنا وامامنا وقدوتنا ومتبوعنا والواسطة بيننا وبين نبيتنا محمد صلى الله عليه وسلم الامام الشهير والامة العلم المنير صاحب المسند والتفسير والزهد وغيرها رضي الله عنه وتقدمت ترجمته في صدر الكتاب والله اعلم ﴿ و ﴾ الامام الاعظم والحبر المعظم أبي حنيفة ﴿ النعمان ﴾ بالجر عطف على ما قبله على المختار الاكثر ويصح الرفع فيهما كما أشرنا أولا على الاشهر وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي امام أهل العراق وقيهم بالاتفاق وامام اصحاب الرأي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات الحفاظ قيل انه من أبناء فارس وهو من التابعين فانه رأى أنس ابن مالك وأبا الطفيل رضي الله عنهما وروى عن حماد بن ابي سليمان وعطاء وعاصم بن ابي النجود والزهري وقتادة وخلق وعنه ابنه حماد وويع وعبد الرزاق وابو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وهما الصحابان اذا أطلقا عند الحنفية قال الامام يحيى بن معين كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بما لا يحفظ وقال الامام عبد الله بن المبارك ما رأيت في الفقه مثله وقال مكى بن ابراهيم كان أعلم أهل زمانه وما رأيت في الكوفيين أروع منه وقال الامام الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه أبو حنيفة أو سفيان فقال سفيان أحفظ للحديث و ابو حنيفة أفقه . أكره أبو حنيفة رضي الله عنه على القضاء فأبى أن يكون قاضيا وكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعا ولد رضي الله عنه سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وقيل سنة احدى وقيل ثلاث

وخمسين والاول اصح

﴿و﴾ الامام ابي عبد الله ﴿مالك﴾ بالجر والتثنية هو الامام الكبير والنجم المنير والعلم الشهير أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو بن الحارث الاصبحي الحيري المدني شيخ الأئمة وامام دار الهجرة روى عن جماعة من التابعين نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحيد الطويل وغيرهم وعنه الامام الشافعي وخلق جمعهم الخطيب في مجلد قال الامام علي بن المديني لمالك نحو الف حديث وقال الامام ابن الامام عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قلت لأبي من أثبت اصحاب الزهري قال مالك أثبت في كل شيء وقال الامام البخاري رضي الله عنه اصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما وقال الامام الشافعي رضي الله عنه اذا جاء الأثر فمالك النجم وعند الامام احمد سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اصح الاسانيد (١) قال ابن خلكان أخذ عن الامام مالك الاوزاعي ويحيى بن سعيد وغيرها ونودي في المدينة ألا لا يفتي الناس الامالك بن انس وابن ابي ذئب مات في المدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضي الله عنه ودفن في البقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع بلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة رحمه الله ورضي عنه

والامام ابي عبد الله ﴿محمد﴾ معطوف على من قبله سقط حرف العطف لاقامة الوزن فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي الشافعي رضي الله عنه يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور وقوله ﴿الضنوان﴾ اي القرابة للنبي صلى الله عليه وسلم يقال للنخلتين فما زاد في الاصل الواحد كل واحد منهما صنو ويضم وركيتان صنوان متجاورتان او بنيمان من عين واحدة وفي حديث العباس رضي الله عنه «فان عم الرجل صنوايه» وفي رواية «العباس صنوايي» وفي رواية «صنوي» يريد صلى الله عليه وسلم ان اصل العباس واصلي واحد وفي نسخة بدل

(١) كذا في الاصل والمأثور عن أحمد : اصح الطرق الزهري عن سالم عن أبيه

الصنوان المتقان من الاتقان لانقائه للعلوم واحكامه للمنطوق منها والمفهوم فهو  
 امام الامة وقدة الامة ولد بقرية هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة المشرفة  
 وهو ابن ستين وقيل ولد باستقلال وقيل باليمن سنة أربع وخمسين وقيل سنة  
 اثنتين كذا في طبقات الحفاظ للجلال السيوطي وشرح ألفية الحديث للمصنف  
 وفي طبقات الحفاظ أيضاً ولد ببلاد غرة سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو  
 ابن ستين فنشأ بها وكان رضي الله عنه جم المفاخر منقطع النظير اجتمعت فيه من  
 العلوم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم  
 واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية  
 والشعر حتى قرأ عليه الأصمعي مع اشتهاره بهذا الشأن اشعار الهذليين ما لم  
 يجتمع في غيره حتى قال الامام أحمد رضي الله عنه عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه  
 ما جالسنا الشافعي وقال عبد الله بن الامام أحمد قلت لأبي أي رجل كان  
 الشافعي فاني سمعتك تكثر من الدعاء له فقال يا بني كان الشافعي كالشمس  
 للدنيا وكالعافية للبدن هل للذين من خلف أو عنهما من عوض كذا في وفيات  
 الأعيان لابن خلكان قال السيوطي في طبقات الحفاظ روى الشافعي عن محمد  
 ابن علي وابن أسامة وسعيد بن سالم وسفيان بن عيينة والامام مالك واسماعيل  
 بن علي وابن أبي فديك وخلق وعنه ابنه أبو عثمان محمد والامام أحمد وأبو ثور  
 وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو طاهر بن البرخ وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد  
 الزعفراني والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي  
 ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به  
 رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى اتقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه  
 شظية فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم ينتشر في  
 سائر البلدان وقال الامام أحمد ان الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة  
 من يعلمهم السنة وينفي عن رسول الله الكذب فنظرنا فاذا في رأس المائة عمر  
 ابن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله  
 عنه حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطن وأنا ابن عشر وقال

الربيع ابن سليمان كان الشافعي يفتي وله خمسة عشر سنة وكان يحبي الليل الى أن مات وقال أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدي الى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الاجماع ويبان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة قال ابن مهدي ما أصلي صلاة الا وأنا أدعو للشافعي فيها وقال هرون بن سعيد الديلمي لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب لاقتداره على المناظرة وكان الحميدي يقول حدثنا سيد الفقهاء الشافعي توفي رحمه الله ورضي عنه في شهر رجب سنة أربع ومائتين وقال ابن خلكان أنه توفي آخر يوم من رجب ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره مشهور بزار ويتبرك به وأجمع العلماء قاطبة على ثقته وامامته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه رضي الله عنه وكان الشافعي قد قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة قاله ابن خلكان والله أعلم ثم أشار الى أنه يجب على كل واحد من هذه الأمة من له عمل وتقوى أن يقلد واحدا من هؤلاء الأربعة على الاصح الأقوى فقال

﴿ من لازم لكل ارباب العمل تقليد حبر منهم فاسمع نخل ﴾

﴿ من ﴾ أي الذين هم فهو مبتدا خبره فرض ﴿ لازم ﴾ لا انفكك عنه ولا مندوحة منه ﴿ لكل ﴾ واحد مكلف من ﴿ ارباب ﴾ أصحاب ﴿ العمل ﴾ الصالح والكدر التاجح ممن ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق ﴿ تقليد حبر منهم ﴾ أي من الائمة الأربعة المعلومة مذاهبيهم المضبوطة أقوالهم المحفوظة رواياتهم المدونة مذاهبيهم في كل مصر وعصر الواصلة بالتواتر بشروطها وأركانها وموانعها واتقانها بحيث لا يتأتى لاحد أن ينسب لمذهب منها ما ليس منه بل آحاد طلبة العلم يرد عليه ويميه ويقول هذا ليس في هذا المذهب حتى أنهم يعرفون المشهور من أقوال المذهب والمهجور وان كان الدليل المأثور مع القول المهجور والخبر بفتح الحاء المهملة وكسرها وسكون الموحدة العالم المتقن وكان يقال لابن عباس رضي الله

عنها الخبر والبحر لعلمه وسعته وتسمى سورة المائدة سورة الاجبار لقوله تعالى (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) والتقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلائد وعرفا أخذ مذهب الغير مع اعتماد صحته واتباعه عليه بلا معرفة دليله فالرجوع الى قول النبي صلى الله عليه وسلم والى المفتي والى الاجماع ورجوع القاضي الى العدول ليس بتقليد ولو سمي ذلك تقليدا لساغ وفي المنع المشهور أن أخذه بقول المفتي تقليد وهو أظهر وقدمه النجم بن حمدان في آداب المفتي وقال شيخ الاسلام في المسودة والتقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع تقليداً لأن الاجماع دليل ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد بخلاف فتيا الفقيه وذكر في ضمن مسألة التقليد أن الرجوع الى قول الصحابي ليس بتقليد لأنه حجة وقد قال الامام أحمد في رواية أبي الحارث من قلدا الخبر رجوت أن يسلم إن شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وإن كان حجة في نفسه (تنبية) انما قال لكل أرباب العمل ليحترز به عن التقليد في عقائد التوحيد من معرفة الله تعالى ونعوت ذاته وصفاته والرسالة وكذا في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر ذكره علماءنا ونقل الاجماع في ذلك غير واحد منهم أبو الخطاب الكلوثاني وأبو الوفاء بن عقيل لتساوي الناس فيما لا يسوغ فيه اجتهاد وتقديم الكلام عليه في آخر الباب الاول مطولا والله أعلم قال الامام موفق الدين في الروضة وأما التقليد في الفروع فهو جائز اجماعاً قال وذهب بعض القدرية الى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل واستدل لجواز التقليد بقوله تعالى (فاستلوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) وهو عام لتكرره بتكرار الشرط وعلّة الامر بالسؤال الجهل وأيضا الاجماع فان العوام يقلدون العلماء من غير ابتداء مستند من غير تكبير وأيضا عدم القول بذلك يؤدي الى خراب الدنيا بترك المعاش والصنائع ولا يلزم مثله في التوحيد والرسالة لتيسره وقلته ودليل العقل والنقل ولذا قال الامام مالك يجب على العوام تقليد المجتهدين في الاحكام كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الادلة خلافاً للمعتزلة البغدادية فانهم واقفوا القدرية في إيجابهم على العوام الاجتهاد واحتجوا بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)

ومن الاستطاعة ترك التقليد ولأن العامي متمكن من كثير من وجوه النظر فوجب أن لا يجوز له تركها قياساً على المجتهد ولنا أن الخطأ متعين وبلوغ الصواب متعسر بل متعذر في حق العوام إذا انفردوا بمعرفة الاحكام لأنهم لا يعرفون الناسخ والمنسوخ ولا المخصص ولا المقيد ولا كثيراً مما يتوقف عليه دلالة الالفاظ ولا يضبطونه ولا يسوغ لهم مخالفته لفرط الغرر فيه فهم لا يستطيعون الوصول اليه وقد توسط أبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة فقال شعائر الاسلام الظاهرة لا تحتاج لنصب الاجتهاد فلاحاجة الى التقليد فيها كاصلوات الخمس وصوم رمضان ونحو ذلك وأما الامور الخفية من المجتهد فيه فيتعين التقليد فيها بالضرورة ولا نزاع في ذلك لان تحصيل الحاصل محال ولا سيما والتقليد انما يفيد الظن وهو دون الضرورة بكثير وما لم ينته الى حد الضرورة يتعين التقليد فيه لحاجة النظر الى آليات مفقودة في العامي

## ( تنبيهات )

(أحدها) منع قوم وجوب لزوم مذهب معين قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية تنازع المتأخرون من أصحاب الامام أحمد والامام الشافعي وغيرهما هل على العامي ان يلتزم مذهبا واحداً بعينه من مذاهب الأئمة المشهورين بحيث يأخذ بعزائمه ورضخه على قولين قال والمشهور انه لا يجب كما انه ليس له أن يقلد في كل مسألة من يوافق غرضه وليس له ان يقلد في المسألة الواحدة اذا كان الحق له من لا يقلده اذا كان الحق عليه بل عليه باتفاق الأئمة ان يعدل بين نفسه وبين غيره في الاقوال فاذا اعتقد وجوب شيء أو تحريمه اعتقد ذلك عليه وعلى من يماثله كشفعة الجوار فليس له ثبوت الشفعة اذا كان هو الطالب وانتفاؤها اذا كان هو المطلوب كما يفعله أهل الهوى متابعة للهوى لا مراعاة للتقوى وقال في مواضع أخرى التمدد بمذهب بحيث يأخذ برخصه وعزائمه طاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه وهو خلاف الاجماع وتوقف أيضاً في جواز ذلك فضلاً عن وجوبه وقال ان خالفه لقوة الدليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدر ذلك في عدالته بلانزاع وقال بل يجب في هذا الحال وأنه نص الامام وكذا قال القدوري الحنفي ماظنه أقوى فعليه تقليده فيه وله الافئاء به حاكياً بمذهب من قلده وقال صدر الوزراء عون



الدين ابو المظفر ابن هبيرة انه من مكاييد الشيطان أن يقيم أو ثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يتبين له الحق فيقول هذا ليس بمذهبنا تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق وقال ابو محمد بن حزم أجمعوا على أنه لا يحل للحاكم ولا المفتي تقليد رجل فلا يحكم ولا يفتي الا بقوله انتهى والاشهر الآن عليه أن يتمذهب بمذهب قال ابن حمدان في الرعاية هذا الاشهر فلا يقلد غير أهله وقال في آداب المفتي يجتهد في أصح المذاهب فيتعبد وقطع الكبار بلزوم التمشد بمذهب قال الامام النووي هذا كلام الاصحاب والذي يقتضيه الدليل أنه لا يلزمه انتهى (الثاني) اذا قلنا يلزمه ان يتمذهب بمذهب يجوز له الانتقال عن المذهب الذي تمذهب به وعمل به عند الاكثر فيتخير في الصورتين واختار الآمدي منع الانتقال فيما عمل به وتقدم كلام شيخ الاسلام أنه اذا خالفه لقوة دليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بالانزاع والحاصل أن العلماء في ذلك ثلاثة أقوال الاول امتناع الانتقال عنه مطلقا لالتزامه آياه الثاني له الانتقال عنه مطلقا والتزامه مالا يلزم غير لازم والثالث التفصيل وهو ان كان عمل بمقتضى ذلك المذهب الذي تمذهب به وصلى وصام وزكى ونحو ذلك على حسبه غير ملتفت لغيره لزمه الوقوف عليه وامتنع عليه الانتقال عنه وصوب ذلك بعض العلماء وجزم به غير واحد (الثالث) يحرم على العامي الذي ليس بمجتهد تتبع الرخص في التقليد ولو قلنا بجواز الانتقال وهو أنه كلما وجد رخصة في مذهب عمل بها ولا يعمل بغيرها في ذلك المذهب قال علماؤنا ويفسق بذلك لأنه لا يقول باباحة جميع الرخص أحد من علماء المسلمين فان قال بالرخص في مذهب لا يقول بالرخصة الاخرى في غيره قال الامام ابن عبد البر لا يجوز للعامي تتبع الرخص اجماعا وقال الامام احمد رضي الله عنه لو ان رجلا عمل بكل رخصة يعمل بمذهب أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع وأهل مكة في التمتع لكان فاسقا وقال عمر لو ان رجلا أخذ بقول أهل المدينة في السماع يعني الغناء وأتبان النساء في أدبها رهن أو بقول أهل مكة في التمتع والصرف وبقول أهل الكوفة في المسكر كان أشمر عباد الله تعالى وقال سليمان التيمي لو اخذت برخصة كل عالم

او قال زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله لكن قال القاضي ابو يعلى بن الفراء امام المذهب  
بمدح كرام الامام احمد رضي الله عنه المتقدم آفا هذا محمول على أحد الوجهين اما أن  
يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاد الى الرخص فهذا فاسق لانه ترك ما هو الحكم  
عنده واتبع الباطل أو يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا  
فاسق لانه أدخل وهو التقليد قال واما ان كان عاميا وقلد في ذلك لم يفسق لانه  
قلد من يسوغ اجتهاده ونظر فيه الجراعي في حواشيه على اصول ابن اللحام قلت وهو  
الحق وقد نقل جمع محققون أن ما يجوز تقليد في النوازل والانتقال من مذهب  
الى مذهب في بعض المسائل بثلاثة شروط (الاول) ان لا يجمع بين المذهبين مثلا  
على صفة تخالف الاجماع كمن تزوج بنهر صدق ولاولي ولاشهود فان هذه الصورة لم  
يقبل بها احد قلت أي تزوج بلاولي مقلدا لابي حنيفة وبلاشهود مقلدا للمالك فهذا  
لم يقبل به احدهما ولاغيرهما وهو ذريعة للزنا فهذا لانزاع في رده (الثاني) ان يعتقد  
فيمن يقلده الفضل ولو بوصول خبره اليه (الثالث) ان لا يتبع رخص المذاهب  
(الرابع) للعاقل ان يقلد المفضل مع وجود الفاضل من المجتهدين عند أكثر علمائنا  
منهم القاضي وابوالخطاب والامام الموفق في روضته وقاله الحنفية والمالكية وأكثر  
الشافعية وقيل يصح ان اعتقده فاضلا أو مساويا لا ان اعتقده مفضولا لانه  
ليس من القواعد ان يعدل عن الراجح الى المرجوح وقال الامام ابن عقيل  
وابن سريج والقفال والسمعان يلزمه الاجتهاد فيقدم الارجح (في) معناه قول  
أبي القاسم الخرقى والامام الموفق في المقنع والامام أحمد رضي الله عنه روايتان  
واستدل للاول بأن المفضل من أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن السلف كان  
يفتي مع وجود الفاضل مع الاشتهار والتكرار ولم ينكر ذلك احد فكان اجماعاً  
على جواز استفتاءه مع القدرة على استفتاء الافاضل وبظاهر قوله تعالى (فاستلوا  
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وأيضا العامي لا يمكنه الترجيح لتصوره ولو كلف  
بذلك لكان تكليفه بضرب من الاجتهاد وان زيف ابن الحاجب ذلك زاعماً أن  
الترجيح يظهر بالتسامع ورجوع العلماء اليه وغيره لكثرة المستفتين وتقديم العلماء له انتهى  
لكثرة جهات التفضيل كما سبق وإيجاد أشياء في المفضل ببعضها ما يفضل الفاضل

بغيرها والله أعلم قوله ﴿ فاسمع نخل ﴾ أي فاسمع نظامي وما أشرت اليه من لزوم كل مكلف لم يبلغ رتبة استخراج الاحكام من معادنها ولا استنباط الادلة من مكانها التقليد والافتداء بأحد أئمة الهدى ومصايح الدجا وقوله نخل أي تظن وتعلم ذلك لان الانسان قبل سماعه يكون خالي الذهن فاذا سمع الكلام وتأمل ما فيه من الاحكام علم أو ظن لزوم ذلك على ذوي الافهام وأصله مثل يقوله الرجل اذا بلغه شيء من رجل فآتمه وقيل معناه انه من يسمع أخبار الناس ومناقبهم ومثالبهم يقع في نفسه أثر ذلك من خير أو شر ولفظ المثل « من يسمع نخل » أي من يسمع له خبر يحدث له ظن فحذف المفعولين اقتصاراً لافادة تجديد الفعل أو حدوثه

﴿ ومن نحا لسبلهم من الورى مادارت الافلاك وأنجم سرى ﴾

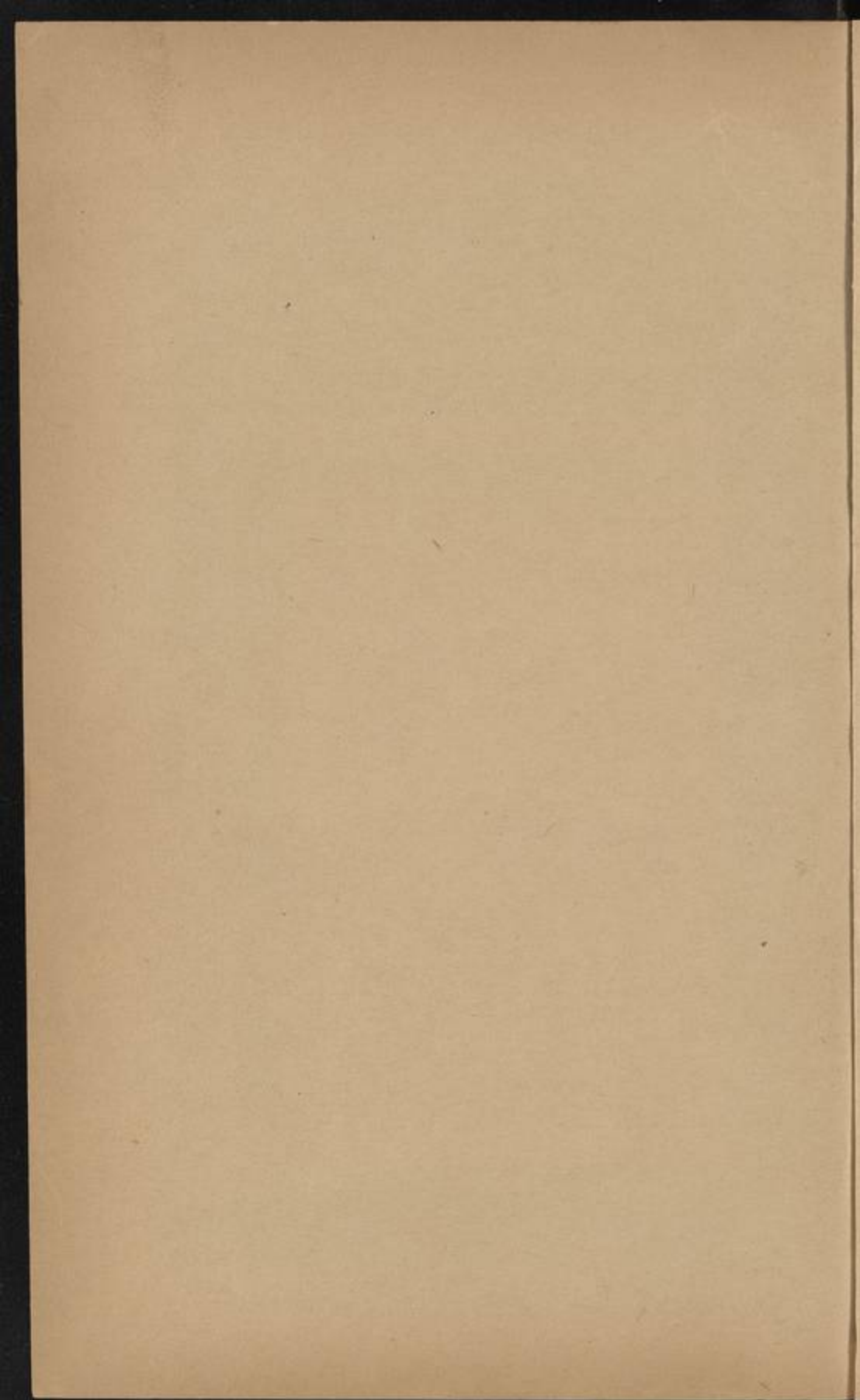
﴿ و ﴾ رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعفو والغفران نهدي لـ ﴿ من ﴾ أي انسان أو الذي ﴿ نحا ﴾ أي قصد متبعاً ﴿ لسبلهم ﴾ ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح كما أنه خص الأئمة الاربعة بعد عموم الأئمة دعا لمن اتبعهم أو اتبع واحداً منهم ﴿ من ﴾ سائر ﴿ الورى ﴾ كفتى الخلق ﴿ ما دارت ﴾ أي مدة دوران ﴿ الافلاك ﴾ جمع فلك بفتح الفاء واللام جدار النجوم وتجمع ايضا على فلك بضمين ومن كل شيء مستداره ومعظمه والمراد الاول ﴿ أو أنجم سرى ﴾ أي وتهدي لهم ولتبعوهم الرحمة والرضوان والبر والاحسان والانعام مدة دوام سرى النجوم على الدوام وسرى كهدي سارعامه الليل والنجم الكوكب وجمعه أنجم وأنجم ونجوم وأنجم والنجم من النبات ما أنجم على غير ساق والثريا والوقت المضروب والمراد الاول

﴿ هدية مني لأرباب السلف مجانبا للخوض من اهل الخلف ﴾

﴿ خذها هديت واقفني نظامي تفز بما أملت والسلام ﴾

ولما كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض اصحابنا النجديين وأنها على ما نحاها السلف من الاثريين قال عند تمام انجاح السؤال هذه العقيدة الاثرية المفيدة ﴿ هدية ﴾ مهداة وعطية مؤداة ﴿ مني ﴾ بعون الله وتوفيق من لا ينبغي الرشد من سواه ﴿ لارباب ﴾ جمع رب بمعنى صاحب طريقة ﴿ السلف ﴾ وعقيدة أهل الاثر من

درج على الحق وسلف حال كوني ﴿مجانبا﴾ في أصل نظمي لها وتضمنني اياها أقوال السلف  
 وعقائد أهل الآثار ﴿الغوض﴾ في التأويل والتعمق في صرف آيات التنزيل عن  
 مقتضاها الثابت ومعناها الظاهر المؤيد بالسنة النبوية والاحاديث النبوية والاحبار السلفية  
 والآثار الاثرية الى غير محاملها من غير دلائل نبوي ولا اذن شرعي مما هو دأب المنتظمين  
 ﴿من أهل﴾ مذهب ﴿الخلفه﴾ خذها أي هذه العقيدة ﴿هديت﴾ بضم الهاء وكسر  
 الدال المهملة على صبغة مالم يسم فاعله أي هداك الله أيها الأثري والمتبع في اعتقادك  
 أثري ﴿واقفني﴾ أي اتبع ﴿نظامي﴾ في هذه العقيدة السلفية التي هي بأهيات مسائل  
 عقائد السلف وفيه فأنك ان فعلت ﴿تفرز﴾ أي تظفر ﴿بما﴾ أي بلذي ﴿أملت﴾ من  
 نيل الفلاح ودرك النجاح قال في القاموس الفوز النجاح والظفر بالظفر والامل الرجاء يقال أمله  
 أملا وأمله تأملا لرجاه ﴿و﴾ تظفر أيضا ﴿بالسلام﴾ أي الامان من التخليط الجدلي والتخاطب  
 الكلامي وما ينشأ عن ذلك من حزازات الصدور وساويس الافكار وتصبعب الامور  
 ومعنى السلام لغة الامان قال العلماء السلام من أسماء الله تعالى فعنى السلام عليك اسم  
 الله عليك وسلم الله عليك وقال العلامة أبو بكر بن أبي داود في التحفة في معنى اسمه تعالى  
 السلام قيل معناه ذو السلامة من كل عيب وتقيصة فيكون من أسماء التنزيه وقيل مالك  
 تسليم العباد من الممالك فيرجع الى القدرة وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنان  
 فيرجع الى الكلام القديم الاثري قال تعالى (سلام قولنا من رب رحيم) قال وحظ  
 العبد من هذا الاسم أن يسلم من الغش والحقد والحسد ومن كل رذيلة  
 وهذا آخر ما قصدت ابراده على منظومتي المسماة بالدرة المضية في عقد أهل الفرقة  
 المرضية وأنا أتوسل اليه تعالى بلسان الافتقار وأتذلل اليه بجنان الذل والافتقار  
 وأنضرع بمجوارح العجز والانكسار وأتشفع بجرمة النبي المختار وآله الأطهار وأصحابه  
 الاخير وأصحابه الابرار وسائر المهاجرين والانصار وبجميع الانبياء والمرسلين  
 وبالملائكة المقربين وبالعلماء العاملين وأهل المعرفة والتمتقين أن يجعل هذا الشرح خالصا  
 لوجه الكريم وسببا للفوز لديه في جنات النعيم وأن ينظرالي والى من كتبه وقرأه  
 وأقرأه بعين العناية وأن يحفظني وأهل بيتي واخواني من كل ضلالة وغواية وأن ينفع  
 به من كتبه وقرأه وفهمه ووعاه انه جواد كريم رؤوف رحيم وصلى الله على سيدنا محمد  
 سيد المرسلين وآله وصحبه وأمهته الغر المحجلين وكافة من دعانا بخير يارب العالمين



## DATE DUE

GL JAN 22 1985

201-6503

Printed  
in USA

0111719834

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



\* 0111719834 \*

BUTLER STACKS

893.799

Sa17

MAY 18 1961

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58846263

893.799 Sa17

Kitab Lawah al-anwa